وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(١) سُورَةُ الفَاتِحَة
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية من الكتاب الكريم ؛ تدل على ذات الله العلية ، وصفاته السنية ! وقد ورد أنها المعنية بقول الحكيم العليم : «وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً» قيل : إن من قرأها ـ متعبداً بها ـ أنجاه الله تعالى من ملائكة الجحيم التسعة عشر «عليها تسعة عشر» فعدد حروفها بعددهم . وقال بعضهم : إنها تيجان لسور القرآن ؛ وليست بآية منه . وعلى ذلك قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها . وقيل : إنها آية من كل سورة ؛ وعلى ذلك قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما . وقد رجحوا أنها آية من الفاتحة فحسب ؛ لأحاديث وردت بذلك . والرأى أنها آية من كل سورة عدا براءة ؛ لثبوتها فى المصحف الإمام؛ الذى لازيادة فيه ولا نقصان بإجماع الأمة الإسلامية .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «كل أمر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم : فهو أبتر» أى ناقص وقليل البركة ! لذا وجب علينا أن نبدأ بها فى كل أمورنا : لتحل بركتها ، ويعم نفعها !

هـذا وقد جرت عادة بعض كتاب هذا العصر على إغفالها فى مؤلفاتهم؛ وهو خطأ فاحش شنيع! إذ كيف نبدأ فى أمورنا باسم بعض المخلوقات الفانية العاجزة ، ونغفل اسم الإله الباقى العظيم الخبير ، اللطيف القدير ؟ ! ﴿رب﴾ مالك وسيد . يقال : «رب» الدار أى مالكها ، و«رب» الغلام ؛ أى مالكه قال تعالى : «ارجع إلى ربك» أى إلى سيدك ولايقال لمخلوق : هذا الرب: معرفا بالألف واللام . فإن هذا لا يجوز إلا لله تعالى وحده . وإنما يقال : «رب» المنزل ، و«رب» القرية . فيعرف بالإضافة أنه من الأرباب المخلوقين ؛ فتعالى رب الأرباب رب العالمين! ﴿العالمين﴾ جمع العالم . والعالم: الخلق كله . والمراد: رب سائر المخلوقات ؛ من ملك وإنس وجن ، ووحش وطير وغيره وبالجملة فهو ماسوى الله تعالى من أحياء وجماد ويتناول أيضاً سائر العوالم الكائنة بشتى الكواكب المتناثرة فى ملكوت الله تعالى . فتعالى الله رب العالمين ! ﴿مالك يوم الدين﴾ مالك يوم الجزاء ـ وهو يوم القيامة ـ فلا شفيع إلا بإذنه ، ولا عقاب إلا بأمره ، ولا ثواب إلا بفضله ! ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أى طريق الذين أنعمت عليهم بالهداية والاصطفاء كالنبيين ، =

= والصديقين ، وخواص المؤمنين ﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم العصاة ؛ الذين جعلوا إلههم هواهم ، واشتروا دنياهم بأخراهم ، ولم يبالوا بغضب مولاهم ؛ فارتكبوا الذنوب وهم بها عالمون ، ولعاقبتها مقدرون . وقيل : هم اليهود ﴿ولا الضالين﴾ وهم الذين يرتكبون الذنوب حال كونهم غير عالمين بجرمها ، ولا بمبلغ إثمها . وقيل: هم النصارى . ولا يخفى أن اليهود : مغضوب عليهم وضالون ، وأن النصارى : ضالون ومغضوب عليهم .

«آمين» ليست من القرآن بالإجماع ؛ ويسن قولها بعد الفراغ من قراءة الفاتحة ؛ وبعد سكتة قصيرة ؛ للفرق بينها وبين كلامه تعالى . ومعناها : اللهم استجب ، أو كذلك فليكن . وقيل : هي اسم من أسمائه تعالى .



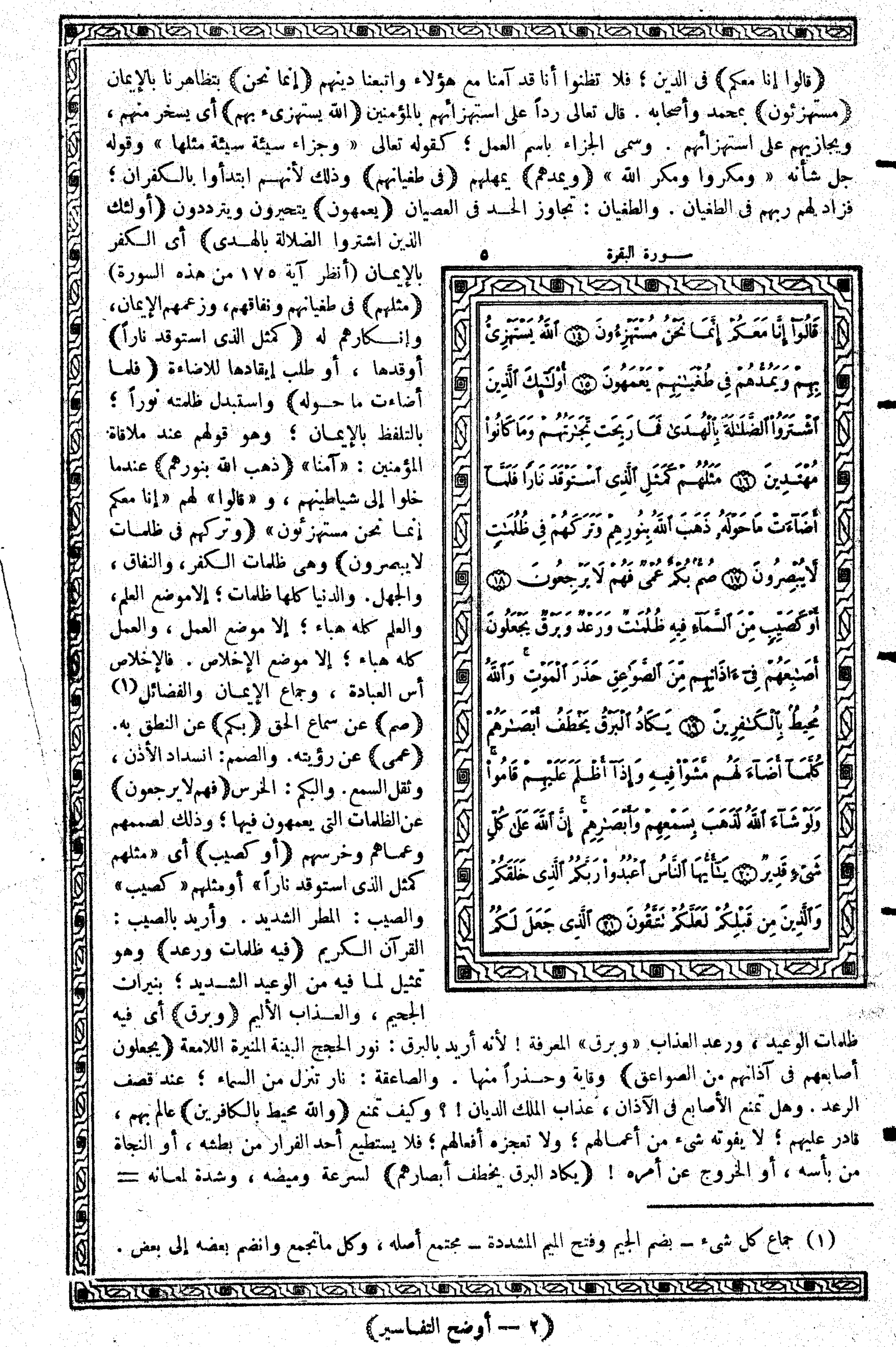
﴿الم﴾ قيل : إن المعنى : ألف، لام ، ميم ﴿ذلك الكتاب﴾ أي إن هذا الكلام البليغ المعجز: مكون من جنس الأحرف التي يتكون منها كلامكم ؛ وهي الألف، واللام ، والميم ؛ وهكذا . وقيل: إن «الم» : اسم للسورة ، وهكذا سائر أوائل السور المكونة من الأحرف . وقيل: غيرذلك. وجميع ماذكر في هذا الصدد لايرتاح إليه الضمير؛ والله تعالى أعلم بمايريد .

وقد جاءت «الم» في بدء ست سور من القرآن الكريم : البقرة ، وآل عمران، والعنكبوت والروم ، ولقمان ، والسجدة . وزيدت عليها الصاد في الأعراف : «المص» وزيدت عليها الراء في الرعد : «المر» (انظر آية ١ من سورة غافر) ﴿لا ريب﴾ لاشك ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ بما غاب عنهم ؛ من أمر البعث والحساب ، وغير ذلك ؛ مما غاب عن البصر ، ولم يغب عن البصيرة ﴿ومما رزقناهم﴾ من الثمار والأموال والخيرات ﴿ينفقون﴾ يتصدقون على الفقراء والمعوزين (انظر آيتي ٤٤ من سورة الروم ، و١٠٧ من سورة الصافات) ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ من القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ على من تقدمك من الرسل: كالتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ؛ عليهم السلام . والمراد أنهم يؤمنون بالرسول عليه الصلاة والسلام وما أنزل إليه ، وبالرسل المتقدمة ـ الذين جاء ذكرهم في القرآن ـ وصدق دعواهم : «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى =

=وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» ﴿وبالآخرة﴾ وما فيها من نعيم مقيم ، وعذاب أليم ﴿هم يوقنون﴾ يؤمنون بالقيامة وما فيها تمام الإيمان ؛ من غير شك ولاشبهة ﴿أولئك﴾ المذكورون ﴿على هدى من ربهم﴾ هداية أضفاها عليهم ، وعناية أحاطهم بها : لإيمانهم بالغيب ، وإقامتهم الصلاة ، وإنفاقهم مما رزقهم الله ! ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالجنة ، الناجون من النار ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ أى وعظتهم أم لم تعظهم ، وخوفتهم أم لم تخوفهم ﴿لا يؤمنون﴾ عناداً واستبداداً ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ أى غطى عليها وطبع ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ غطاء . من غشاه : إذا غطاه . والمعنى : أنه تعالى طبع وغطى على قلوبهم ؛ فلا تفهم العظة ، وعلى أسماعهم ؛ فلا تسمع النصح ، وعلى أبصارهم ؛ فلا ترى الحقيقة ﴿ومن الناس﴾ وهم المنافقون ﴿من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين﴾ وغاية الإيمان : أن يؤمن الانسان بقلبه بالله فيتقيه ، وباليوم الآخر ومافيه . أما إذا كان الإيمان لايجاوز اللسان: فهو خداع ونفاق ؛ وذلك لأنك إذا تيقنت أن هناك إلها قادراً عظيما ؛ يراك حين تعصاه ، ويسمعك حين تبغى على مخلوقاته : وجب عليك أن تتجنب هذا العصيان وذلك البغى ، وإذا آمنت أن هناك يوما تحاسب فيه على الكبير والصغير ، والنقير والقطمير : وجب عليك ألا تفعل إلا طيباً ، ولا تقول إلا حسناً ! ﴿يخادعون الله﴾ يبدون من الإيمان ، خلاف ما يخفون من الكفران ﴿فى قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق . لأن الشك : تردد بين الأمرين ، والمريض : متردد بين الحياة والموت ﴿وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ هكذا شأن المفسدين فى كل زمان ومكان : يظنون فى أنفسهم الإصلاح وهم عنه بعداء ، ويتوهمون ما يفعلونه الخير وهم منه براء ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ يعنون بالسفهاء : أئمة المسلمين ، وهداة الدين ؛ الذين آمنوا بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه» والسفهاء : الجهال . قال تعالى رداً عليهم ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ لمزيد جهلهم ، وفرط سفههم ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ أى إذا انفردوا بمن هم كالشياطين فى العتو والتمرد والكفر ؛ وهم رؤس الكفر والضلال من قسسهم ورهبانهم .

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ

قالوا



قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

(قالوا إنا معكم) فى الدين ؛ فلا تظنوا أنا قد آمنا مع هؤلاء واتبعنا دينهم (إنما نحن) بتظاهرنا بالإيمان (مستهزئون) بمحمد وأصحابه . قال تعالى رداً على استهزائهم بالمؤمنين (الله يستهزىء بهم) أى يسخر منهم ، ويجازيهم على استهزائهم . وسمى الجزاء باسم العمل ؛ كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله جل شأنه « ومكروا ومكر الله » (ويمدهم) يمهلهم (فى طغيانهم) وذلك لأنهم ابتدأوا بالكفران ؛ فزاد لهم ربهم فى الطغيان . والطغيان : تجاوز الحد فى العصيان (يعمهون) يتحيرون ويترددون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى الكفر بالإيمان (أنظر آية ١٧٥ من هذه السورة) (مثلهم) فى طغيانهم ونفاقهم، وزعمهم الإيمان، وإنكارهم له (كمثل الذى استوقد ناراً) أوقدها ، أو طلب إيقادها للاضاءة (فلما أضاءت ما حوله) واستبدل ظلمته نوراً ؛ بالتلفظ بالإيمان ؛ وهو قولهم عند ملاقاة المؤمنين : «آمنا» (ذهب الله بنورهم) عندما خلوا إلى شياطينهم ، و «قالوا» لهم «إنا معكم إنما نحن مستهزئون» (وتركهم فى ظلمات لايبصرون) وهى ظلمات الكفر، والنفاق ، والجهل. والدنيا كلها ظلمات ؛ إلا موضع العلم، والعلم كله هباء ؛ إلا موضع العمل ، والعمل كله هباء ؛ إلا موضع الإخلاص . فالإخلاص أس العبادة ، وجماع الإيمان والفضائل(1) (صم) عن سماع الحق (بكم) عن النطق به. (عمى) عن رؤيته. والصمم: انسداد الأذن ، وثقل السمع . والبكم : الخرس (فهم لا يرجعون) عن الظلمات التى يعمهون فيها ؛ وذلك لصممهم وعماهم وخرسهم (أو كصيب) أى «مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً» أو مثلهم «كصيب» والصيب : المطر الشديد . وأريد بالصيب : القرآن الكريم (فيه ظلمات ورعد) وهو تمثيل لما فيه من الوعيد الشديد ؛ بنيران الجحيم ، والعذاب الأليم (وبرق) أى فيه ظلمات الوعيد ، ورعد العذاب «وبرق» المعرفة ! لأنه أريد بالبرق : نور الحجج البينة المنيرة اللامعة (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) وقاية وحذراً منها . والصاعقة : نار تنزل من السماء ؛ عند قصف الرعد . وهل تمنع الأصابع فى الآذان ، عذاب الملك الديان ! ؟ وكيف تمنع (والله محيط بالكافرين) عالم بهم ، قادر عليهم ؛ لا يفوته شىء من أعمالهم ؛ ولا تعجزه أفعالهم ؛ فلا يستطيع أحد الفرار من بطشه ، أو النجاة من بأسه ، أو الخروج عن أمره ! (يكاد البرق يخطف أبصارهم) لسرعة وميضه ، وشدة لمعانه =

(1) جماع كل شىء ـ بضم الجيم وفتح الميم المشددة ـ مجتمع أصله ، وكل ماتجمع وانضم بعضه إلى بعض .

= ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ أى كلما لمع البرق مشوا مسرعين فى ضوئه ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أى إذا سكت البرق، وخبت ناره، وانطفأ نوره: وقفوا فى أماكنهم متحيرين مترصدين خفقة أخرى؛ عسى يتسنى لهم الوصول إلى مقاصدهم ﴿الذى جعل لكم الأرض فراشاً﴾ تقعدون عليها وتمشون وتنامون ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ ماء المطر: ينزل من السماء رأى العين؛ ومنشؤه البحار، وتحمله السحب. قال الشاعر:

الْأَرْضَ فِرَٰشًا وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَاتَّقُوا۟ النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا

وَمَا يُضِلُّ

كالبحر يمطره الغمام وماله
فضل عليه لأنه من مائه

﴿أنداداً﴾ شركاء ونظراء وأمثالا ﴿وإن كنتم فى ريب﴾ شك ﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ محمد من آيات الكتاب المجيد ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ تحداهم أولا بقوله: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله» وبعد ذلك تدرج تعالى معهم ـ نكاية بهم، وزيادة فى توبيخهم ـ بقوله: «قل فأتوا بعشر سور مثله» وبعد كل هذا الاحتقار والازدراء؛ أراد أن يستثير كامن همتهم، وماضى عزيمتهم بقوله: «قل فأتوا بسورة مثله» أىّ سورة، بل أىّ آية؛ وأنى لهم أن يأتوا بأقصر سورة من مثل هذا القرآن الذى أعجز البلغاء، وأخرس الفصحاء؛ وانظر ـ يارعاك الله ـ فى أى عصر من العصور حصل هذا التحدى؟ إنه فى عصر الفصاحة التى لا تجارى، والبلاغة التى لاتجارى، والمنطق الذى لايلحق له بغبار. وقد وقف الجميع مكتوفوا الأيدى، ناكسوا الرؤس؛ لايستطيعون أن يحيروا جوابا أو أن ينبسوا ببنت شفة ﴿وادعوا شهداءكم﴾ آلهتكم التى تعبدونها ﴿قالوا هذا الذى رزقنا من قبل﴾ أى رزقنا فى الدنيا مثله: فى المنظر، لافى المخبر ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ من الحيض والأقذار، والأدناس الحسية والمعنوية ﴿إن الله لا يستحي﴾ من الحياء؛ جاءت رداً على الكفرة حيث قالوا: أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت. فجاءت على سبيل المقابلة ﴿فما فوقها﴾ فى الحقارة والصغر ﴿يضل به﴾ أى بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ من المنافقين؛ لكفرهم وعنادهم ﴿ويهدى به كثيراً﴾ من المؤمنين؛ لتسليمهم وانقيادهم

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الكافرين ؛ لأن الله تعالى لا يضل مؤمناً «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم» وإنما إضلال الله تعالى يقع عقوبة لمن يصر على الكفران ، ويأبى داعى الإيمان ! ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ والمراد بناقضى العهد : المنافقين ، أو الكفار جميعاً ، أو هم أحبار اليهود ؛ بدليل قوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ كصلة الأقرباء ، والعطف على الفقراء ، ومعاونة الضعفاء ، وإشاعة المحبة بين الناس ، والألفة والمرحمة ! ﴿وكنتم أمواتاً﴾ نطفاً فى أصلاب آبائكم . والموت يطلق على السكون وعدم الحركة ﴿فأحياكم﴾ فى الأرحام ، أو بالخروج إلى الدنيا ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يبعثكم ﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة ؛ فيؤاخذكم بما فعلتم و﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ لخدمتكم ومصلحتكم : لقد سخر تعالى لكم الحيوان والطير ، والنبات والجماد ، والماء والهواء ؛ بغير حول لكم ولا قوة ! فانظر أيها المؤمن إلى تذليل الله تعالى للحيوان، وخضوعه واستكانته لبنى الإنسان : فترى البعير الكبير، وقد انقاد للطفل الصغير وكيف أن الفيل ـ رغم قوته وضخامته ـ ينقاد لبنى الإنسان ، ويكون له مطية فى كثير من الأحيان، ومعواناً له فى الرحال ، وحمل الأثقال. وانظر إلى الطير، وكيف يرحل من مواطنه ، ويسير آلاف الأميال ؛ حتى يرتمى بين فكيك ، وينسحق تحت ماضغيك ، وانظر إلى الثمار والنبات : كيف ترمى البذرة فتنتج لك الجنات ، وتلقى بالحبة فتنبت لك الأقوات . وانظر أيضاً إلى الجماد : فقد علمك المعلم على الاستفادة به فى شتى الحالات . وكذلك الماء : فقد ساقه الله تعالى لك سلسلا ؛ تستقى منه وتسقى ما تشاء من العجماوات . والهواء : وقد أجراه الله تعالى لك ؛ ليحييك ويكفيك صنوف البلاء !

وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ

ولو شاء ربك لقلب هذه النعم نقما ، وجعل الداء مكان الدواء ؛ لأنه تعالى وحده خالق الخلق الفاعل لما يشاء ! ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ وجه قدرته وإرادته لخلقها بعد خلق الأرض ﴿فسواهن﴾ خلقهن مستويات؛ لاعوج فيها ، ولا خلل ، ولا خطا «لاترى فى خلق الرحمن من تفاوت» ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ يخلفنى فى تنفيذ أحكامى ، والقيام بأوامرى ؛ وهو آدم أبو البشر عليه السلام . ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ وهذا يدل على وجود الأرض قبل آدم ، وسكناها بأمم قبل بنى آدم ؛ كان دأبها الإفساد فى الأرض وسفك الدماء . أو كان قول الملائكة استفهاماً عن الحكمة الداعية لذلك الخلق ؛ وقد كانوا عليهم السلام ملء الأرض والسموات ، وقد رأوا فى اللوح المحفوظ فساد بنى الإنسان ،=

=وشهوته إلى سفك الدماء ! وها هو الجنس الآدمي قد حقق ظن الملائكة فيه؛ فملأ الأرض فساداً وإفساداً، وأراق الدماء بحاراً وأنهاراً، وعصى خالقه ورازقه جهاراً، وكفر بموجده ومربيه نهاراً؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! هذا ولم يكن سؤال الملائكة عليهم السلام اعتراضاً على فعله تعالى، أو مخالفة لأمره؛ لحاشا أن يعترض على الله تعالى أعلمهم به، وأخوفهم منه، وأتقاهم له ! ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ ننزهك عن كل نقص، ونحمدك على نعمائك ﴿ونقدس لك﴾ أي نعظمك، أو نطهر أنفسنا لعبادتك. ومعنى تقدس: تطهر ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ أي ألهمه معرفة كل شيء يحتاج إليه. وسمي «آدم» لخلقه من أديم الأرض؛ وهو ما على وجهها من تراب. وزعم بعضهم: أن آدم وإبليس ليسا على حقيقتهما؛ وإنما هما رمزان لا أصل لهما؛ يمثلان الشر والمعصية. وهو قول بادي البطلان؛ يدفعه صريح القرآن ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ أي عرض المسميات لا الأسماء؛ بدليل قوله تعالى ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ المسميات؛ ليريهم أنه تعالى قد وهب لآدم من المعرفة ما لم يهبه لهم، وليريهم آيته في حكمة خلق الإنسان وخلافته في الأرض.

أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

يَٰبَنِيٓ

هذا وقد أضفى تعالى على نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه علوم الأولين والآخرين؛ ليجعله رحمة للعالمين؛ ولله در البوصيري حيث يقول في همزيته:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ
ـب ومنها لآدم الأسماء

﴿قالوا سبحانك﴾ تنزهت وتعاليت (أنظر آية ١ من سورة الإسراء).

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ أمرهم الله تعالى بالسجود ابتلاء لهم واختباراً؛ وهو سجود لقدرة الله تعالى وإبداعه؛ ولا وجه لمن قال: إن سجودهم كان بالانحناء فحسب؛ على سبيل التحية؛ بل كان سجوداً حقيقياً كسجود الصلاة؛ يدل عليه قول الحكيم العليم: «فقعوا له ساجدين» ﴿فسجدوا﴾ أي سجد الملائكة جميعاً، وسائر العقلاء من المخلوقات ﴿إلا إبليس أبى﴾ رفض السجود المأمور به. و «إبليس»: أبو الجن؛ وليس من الملائكة كما زعموا. وسمي بإبليس: ليأسه من رحمة الله تعالى وتحيره؛ لأن معنى أبلس: يئس وتحير ﴿رغداً﴾ الرغد: طيب العيش وسعته ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ هي شجرة أي شجرة نهيا عن الأكل منها امتحاناً لهما، واختباراً لعزمهما. وقيل: إنها الحنطة، أو العنب، أو التفاح ﴿فتكونا من الظالمين﴾ يؤخذ من ذلك أن هناك خلقاً قبل آدم عليه السلام، وأن ظالماً وظلماً قد كان في الأرض قبله ﴿فأزلهما الشيطان﴾ أوقعهما في الزلة. وقرىء «فأزالهما» أي عن النعيم الذي كانا فيه ﴿اهبطوا﴾ انزلوا.=

= والمعنى : تحولوا من الجنة العالية ، إلى الأرض السافلة ، ومن النعيم ، إلى البؤس والشقاء ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ بنى الإنسان ، وبنى الشيطان ، أو بعض بنى الإنسان عدو لبعض ﴿ومتاع﴾ تمتع ﴿إلى حين﴾ وهو انقضاء الأجل ﴿فتلقى آدم من ربه﴾ ألهم ، أو أوحى إليه ﴿كلمات﴾ هى قوله تعالى «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» ﴿فتاب عليه﴾ ربه: قبل توبته ، وغفرله ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ المــراد آدم وحواء ؛ تؤيده قراءة من قرأ «اهبطا منها جميعاً» وقوله تعالى : «قال اهبطا منها جميعاً» وقد خوطبا بلفظ الجمع : لأنهما أصل لبنى الإنسان، أو على مذهب من يقول : إن أقل الجمع اثنان وقد يكون المقصـود بالخطاب : آدم وحواء وإبليس ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ كتاب أو رسول ﴿يا بنى إسرائيل﴾ خطاب لليهود . و «إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام . وخص بنى إسرائيل بالذكر ؛ لأنهم أوفر الأمم نعمة ، وأشدهم كفراً ، وأكثرهم فساداً وعناداً ﴿اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ أنجاهم من الذل ، وفضلهم على الكل ؛ فازدادوا طغياناً وكفراً، وبغياً وعتواً ﴿وأوفوا بعهدى﴾ الذى عهدته إليكم فى التوراة ؛ بالإيمـان بمحمد عند بعثته . أو أوفوا بمـا عاهدتكم عليه ؛ من تبليغ ماأنزل إليكم ، وتبيينه للناس: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه» ﴿أوف بعدكم﴾ الذى قطعته على نفسى ؛ وهو إثابتكم على ذلك بالثواب والأجر ﴿وإياى فارهبون﴾ خافونى وأطيعوا أمرى ﴿وآمنوا بمـا أنزلت﴾ من القرآن ﴿مصدقاً لمـا معكم﴾ من التوراة ؛ وفيها ذكر الرسول عليه الصـلاة والسلام ، وأنباء بعثته ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أى بالقرآن ، أو بالرسول ﴿ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا﴾ أى لا تبيعوا دينكم بدنياكم وأخراكم بأولاكم ﴿ولا تلبسوا﴾ لا تخلطوا ﴿الحق﴾ الإيمـان

سورة البقرة ٩

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم

﴿بالباطل﴾ بالكفر الذى تفترونه ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ البر : الاتساع فى الخـير ﴿وتنسون أنفسكم﴾ فلا تأتمرون بمـا به تأمرون . قيل: نزلت فى أحبار اليهود ، كانوا ينصحون سراً باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يتبعونه ؛ طمعاً فيما يصل إلى أيديهم من الصلات والهبات والهدايا ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ التوراة ؛ وفيها ذكر الرســول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وأنباء رسالته ﴿واستعينوا﴾ على الأمور الشاقة ، والشهوات الموبقة ﴿بالصبر﴾ على الطاعات ، وعن الملذات ﴿والصلاة﴾ التى هى مناجاة لرب العالمين ! «كان صلى الله تعالى عليه وسـلم إذا حزبه أمر(١) فزع إلى الصــلاة» ﴿وإنها لكبيرة﴾ ثقيلة شاقة =

(١) حزبه أمر : أصابه ضر ، ونابته نائبة .

= ﴿إلا على الخاشعين﴾ الذين يستغرقون فى مناجاة ربهم ﴿الذين يظنون﴾ يوقنون ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ فيجازيهم على طاعتهم وإخلاصهم ﴿واتقوا يوماً﴾ خافوا يوم القيامة ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ بدل أو فدية ﴿يسومونكم﴾ يظلمونكم أشد الظلم؛ من سامه خسفاً: إذا أولاه ظلماً ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يتركونهن أحياء، أو يفعلون بهن مايخل بالحياء ﴿بلاء﴾ بلية ومحنة ﴿وإذ فرقنا﴾ فصلنا وفلقنا ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ وذلك لما دخل بنو إسرائيل مصر - بعد هلاك فرعون - ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه: وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه كتاباً «التوراة» وضرب له ميقاتاً: «ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه» ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ عبدتموه؛ وهو العجل الذى صنعه لهم السامرى من حليهم؛ وكان الشيطان يدخل فى جوفه ويخور كما يخور العجل قال تعالى: «فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار» وقيل: صنعه بحيث إذا تعرض للهواء: أصدر صوتاً يشبه خوار العجل ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿والفرقان﴾ الذى يفرق بين الحق والباطل ﴿بارئكم﴾ خالقكم ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ أى ليقتل البرىء منكم المذنب؛ ولا يتستر عليه لقرابته، أو لمحبته. وقيل: كانت التوبة عندهم أن يقتل التائب نفسه إثباتاً لصدق توبته. أو المراد بقتل النفس: كبح جماحها، وقتل شهواتها، والحيلولة دون سطوتها وتسلطها، وتمردها على الحق؛ ويكفى فى التوبة: الإقلاع عن المعصية، ورد المظالم، واجتناب المحارم ﴿الصاعقة﴾ نار تنزل من السماء؛ ذات أصوات ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ أى من بعد أخذ الصاعقة لكم، ومعاينة أسباب الموت وموجباته. ولعل المراد بالبعث هنا: من خلفهم من ذراريهم وأبنائهم ﴿الغمام﴾ السحاب ﴿المن﴾ طل ينزل من السماء وينعقد عسلا. أو هو كل ماءمن الله تعالى به على الإنسان

مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ

وَٱلسَّلْوَىٰ

﴿والسلوى﴾ قيل إنه السمانى؛ الطائر المعروف . أو هو كل ما يتسلى به؛ من فاكهة ونقل، ونحوهما ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ من الرزق الحلال المبارك (أنظر آيتى ١٧٢ من هذه السورة و ٨٥ من الأعراف)

وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا

﴿وماظلمونا﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بتعريضها للعذاب الأليم المقيم ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ وهى بيت المقدس، أو أريحا؛ وهى بلد بالشام ﴿رغدا﴾ الرغد: سعة العيش ﴿وادخلوا الباب سجداً﴾ أى حينما تدخلون باب هذه القرية: اسجدوا لله تعالى؛ شاكرين فضله وأنعمه ﴿وقولوا حطة﴾ مسألتنا حطة؛ أى نطلب حط الذنوب عنا . وهو كناية عن التوبة وطلب المغفرة ﴿رجزاً﴾ عذاباً ﴿بما كانوا يفسقون﴾ الفسق: الترك لأمر الله تعالى، والعصيان، والخروج عن طريق الحق، وجادة الصواب ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾ طلب لهم السقيا من الله تعالى ﴿فقلنا﴾ له ﴿اضرب بعصاك الحجر﴾ فضربه ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ وذلك أنه لما اشتد العطش ببنى إسرائيل: طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليرسل لهم الماء؛ فدعا الله تعالى؛ فقيل له: «اضرب بعصاك الحجر» فضربه «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» تفيض بالماء؛ وذلك بعدد رؤساء الجند ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ أى قد علم كل فرقة من الجند عينهم التى يشربون منها ﴿ولا تعثوا﴾ العثو: أشد الفساد ﴿لن نصبر على طعام واحد﴾ وهو «المن والسلوى» ﴿بقلها﴾ البقل: ما تنبته الأرض من الخضر؛ كالفول والفاصوليا واللوبيا، والحمص وأمثالها؛ وهو ما ينبت فى بزره لا فى أصل ثابت ﴿وفومها﴾ الفوم: الثوم . وقيل: الحنطة ﴿الذى هو أدنى﴾ أقل وأحقر ﴿اهبطوا مصراً﴾ المصر: العاصمة . أى اهبطوا مصرا من الأمصار، أو هى مصر نفسها ﴿فان لكم ما سألتم﴾ من البقل، والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل .

﴿وضربت﴾ جعلت ﴿عليهم﴾ وصارت لزاماً لهم ﴿الذلة والمسكنة﴾ أعطاهم الله تعالى جميع ماسألوا ، ووهبهم فوق الذى طلبوا ؛ فما زادهم ذلك إلا طغياناً وكفراناً ؛ فسلبهم العزة ، وألبسهم الذلة . وليس المراد بالمسكنة : الفقر نفسه ؛ بل المراد لازمه ؛ وهو الحقارة ، وقلة الشأن ، والصغار . ومصداق هذه الآية : اضطهاد العالم أجمع لليهود ، وتشتيتهم فى سائر الممالك ؛ حيث لا وحدة تجمعهم ، ولا رابطة تضمهم ؛ اللهم سوى ما اغتصبه بعض الأفاقين من أرض فلسطين ؛ وهو عائد إلى أربابه بإذن رب العالمين ! ﴿وباءوا﴾ رجعوا ﴿إن الذين آمنوا﴾ بالله تعالى ، وبرسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿والذين هادوا﴾ اليهود . من هاد: إذا تاب ورجع إلى الحق ، وهم قوم موسى عليه السلام ﴿والنصارى﴾ وهم قوم عيسى عليه السلام . قيل : سموا نصارى ؛ لتناصرهم وتآلفهم على دينهم ــ وقت تسميتهم ــ وقيل: نصرانى ؛ نسبة إلى نصورية : ــ بفتح النون ، وضم الصاد ، وكسر الراء وفتح الياء ــ قرية بالشام ﴿والصابئين﴾ الخارجين من دين إلى آخر ؛ من صبا : إذا مال . وقيل : هم قوم عبدوا الملائكة . وقيل : إنهم كانوا يعبدون الأنجم والكواكب . وقيل : هم قوم على ملة نوح عليه السلام ؛ استمروا على إيمانهم به ، فلم يقبلوا اتباع من أرسل بعده من الرسل ﴿من آمن﴾ إيماناً حقيقياً كاملا ؛ من هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ، أو آمنوا بموسى ، أو آمنوا بعيسى ، أو آمنوا بنوح ؛ من آمن منهم ﴿بالله﴾ وعظمته وقدرته ووحدانيته ﴿واليوم الآخر﴾ القيامة ؛ وما فيها من عقوبة للعاصين ، ومثوبة للطائعين ﴿وعمل صالحاً﴾ فى دنياه ؛ تقرباً إلى مولاه ! وذلك لأن الإيمان لا ينفع ولا يجدى ؛ ما لم يكن مقروناً بالعمل الصالح ﴿فلهم أجرهم﴾ أى فلهؤلاء المذكورين جزاءهم على إيمانهم ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ العهد عليكم بالعمل بما فى التوراة ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾

سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا

قَالَ

الجبل . قيل : لما جاء موسى عليه السلام لبنى إسرائيل بالصحف المنزلة عليه من ربه : أمرهم بالعمل بما فيها ؛ فقالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» فرفع الله تعالى الجبل فوقهم ؛ حتى صار كالظلة عليهم . فقال لهم موسى: إن لم تؤمنوا وقع عليكم وكنتم من الهالكين ! فآمنوا جميعاً ذعراً وخوفاً من الهلكة ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ ائتمروا بأوامره ، وانتهوا بنواهيه ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت﴾ بصيد السمك فيه ؛ وقد نهيناهم عنه . والمقصود بالسبت: يوم السبت ؛ ومعناه لغة : الراحة ؛ لأنه يوم راحتهم ؛ وكانوا قد أمروا بالتفرغ فيه للعبادة ؛ فخالفوا ذلك ، وخرجوا للاصطياد ﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أى كالقردة ؛ فى الخفة والحمق والفساد . أو مسخوا قردة على=

= الحقيقة ﴿خاسئين﴾ مطرودين ﴿فجعلناها﴾ أى جعلنا هذه العقوبة ، أو هذه المسخة ، أو هذه الآية ﴿نكالا﴾ عبرة وعظة . يقال: نكل به تنكيلا : إذا صنع به صنيعاً يحذر به غيره «والله أشد بأساً وأشد تنكيلا» ﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ أى لمعاصريهم ومن بعدهم ، أو للسابقين واللاحقين ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾

قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

حين وجدوا قتيلا من بينهم ؛ ولم يعلموا قاتله فسألوه أن يدلهم عليه ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ وحكاية ذلك : أن رجلا موسراً قتله بنو عمه ليرثوه ، وطرحوه عند باب المدينة ، ثم جاءوا يطالبون بديته ؛ فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتيل ببعضها ؛ فيحيا ويخبرهم بقاتله . فضربوه بذنبها ، فحيي وقال : قتلني فلان وفلان ــ يريد ابني عمه ــ فاقتص منهما ، وحرما ميراثه

﴿فارض﴾ طاعنة فى السن ﴿عوان﴾ وسط فى السن «لا فارض ولا بكر» ﴿فاقع لونها﴾ شديد الصفرة ﴿لا ذلول﴾ أى لم تذلل للعمل ﴿مسلمة﴾ سالمة من العيوب ﴿لا شية فيها﴾ لا علامة ﴿فادارأتم﴾ أصلها : فتدارأتم ؛ أى تدافعتم فى الخصومة ، وتستر بعضكم وراء بعض ﴿والله مخرج﴾ مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ من الجريمة ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ أى اضربوا القتيل ببعض البقرة فيحيا ، أو اضربوا القاتل ببعض جثة القتيل ؛ وهذا يكون مدعاة لاعتراف القاتل ﴿كذلك﴾ أى مثل إحياء القتيل أمامكم ﴿يحيي الله الموتى﴾ يوم القيامة ؛ فتقوم ، وتجادل ، وتحاسب ، وتثاب ، وتعاقب وعلى القول الثانى ــ وهو ضرب القاتل ببعض جثة المقتول ــ «يحيي الله الموتى» بظهور القاتل ، والاقتصاص منه .

﴿ثم قست قلوبكم﴾ أيها اليهود ﴿من بعد ذلك﴾ أى من بعد أن أظهر الله تعالى ما كتمتموه فى أنفسكم من القتل ، وبعد أن أراكم كيف يحيي الموتى ؛ ومن حق القلوب التى ترى ذلك أن تخضع وتلين ؛ ولكن قلوبكم ازدادت قسوة ﴿فهى كالحجارة﴾ فى الصلابة والجمود ، وعدم الخشوع والفهم ﴿أو أشد قسوة﴾ من الحجارة

وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً

قُلْ

﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ إشارة إلى أن من الحجارة ما هو أرق من القلوب القاسية، وأرق من القلوب الكافرة ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ أى وإن من الحجارة لما يخشع ويخضع خوفاً من الله؛ قال تعالى: «فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا» ﴿أفتطمعون﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أى تؤمن لكم اليهود عن طريق النظر والاستدلال؟ وكيف يكون ذلك ﴿وقد كان فريق منهم﴾ أى من أسلافهم، ومن هم على شاكلتهم؛ وهم قوم موسى ﴿يسمعون كلام الله﴾ فى التوراة؛ ويعلمون تمام العلم أنه حق ـ بما ظهر لهم من الآيات المتتالية، والمعجزات المتوالية ـ ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرونه، ويبدلونه؛ متعمدين معاندين ﴿من بعد ما عقلوه﴾ فهموه بعقولهم ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ بأنكم على الحق، وأن رسولكم هو المبشر به فى التوراة ﴿وإذا خلا﴾ انفرد ورجع ﴿بعضهم إلى بعض قالوا﴾ أى قال الذين لم ينافقوا ولم يؤمنوا للذين نافقوا بقولهم «آمنا» قالوا لهم ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ عرفكم فى التوراة من نعت محمد ﴿ليحاجوكم﴾ ليقيموا عليكم الحجة ﴿ومنهم﴾ أى من اليهود ﴿أميون﴾ لا يقرأون، ولا يكتبون ﴿إلا أمانى﴾ إلا أكاذيب. وقيل: «أمانى»: قراءة. والمعنى: إنهم يقرأون بغير فهم، ولا علم، ولا تدبر ﴿فويل﴾ الويل: حلول الشر، وشدة العذاب ﴿للذين يكتبون الكتاب﴾ التوراة ﴿بأيديهم﴾ مغيرين فيها ومبدلين؛ طبقاً لأهوائهم

﴿بلى من كسب سيئة﴾ ارتكب جرماً ، أو المراد بالسيئة : الشرك ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أى لم يخرج من معصيته بالتوبة ، ومن كفره بالإيمان ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ لقد أمر الديان ، للوالدين بالإحسان ، فى كل وقت وزمان، وفى كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول أرسله ؛ فتدبر هذا أيها المؤمن ، وتقرب إلى ربك بطاعتهما وبرهما ! (انظر آية ٢٣ من سورة الإسراء) ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ أى قولا حسناً ؛ وهوحث بليغ على طيب الأخلاق وحسن المعاملة . والقول الحسن : يجمع سائر الفضائل ، وبه تنبعث المحبة من القلوب ، وله تطمئن النفوس ، وبه تختفى الإحن ، وتذهب حزازات الصدور ! ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ، والعمل بهذه الوصايا النافعة فى الدنيا والآخرة ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أى أخذنا العهدعليكم؛ بأن أمرناكم وعقلتم ما أمرناكم به ، أو أمرناكم بما يجب أن يطاع ، وبما فيه مصلحتكم ؛ فكان ذلك بمثابة العقد والعهد والميثاق ﴿لاتسفكون دماءكم﴾ أى لا ترتكبون من الجرائم ما يوجب سفكها قصاصاً ﴿ثم أقررتم﴾ أى أقر عقلكم بذلك واستصوبه ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ أى يقتل بعضكم بعضا ﴿تظاهرون﴾ تتعاونون ﴿بالإثم والعدوان﴾ بالمعصية والظلم ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾ أى تقبلوا إطلاقهم نظير أموال تدفع إليكم ؛ وقد حرم عليكم أصلا محاربتهم

قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

وإخراجهم من ديارهم ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ وبالتالى يحرم عليكم أخذ الفدية منهم ؛ لأنهم إخوانكم ﴿أفتؤمنون ببعض

الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
إلا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد
العذاب وما الله بغفل عما تعملون ﴿٨٥﴾ أولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون ﴿٨٦﴾ ولقد ءاتينا موسى الكتب وقفينا
من بعده بالرسل وءاتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدنه
بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴿٨٧﴾ وقالوا قلوبنا
غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ﴿٨٨﴾
ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكفرين ﴿٨٩﴾
بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا

أن

الكتاب) التوراة (وتكفرون ببعض) لأن فيها حل المفاداة ، وحرمة القتل والإخراج (إلا خزى) فضيحة وهوان (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) أى اشتروا اللذة الفانية ، والشهوة الزائلة ؛ بالثواب الباقى ، والنعيم السرمدى ! (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وقفينا) أتبعنا (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات الواضحات ، والمعجزات الظاهرات (وأيدناه بروح القدس) جبريل عليه السلام (وقالوا قلوبنا غلف) مغشاة بأغطية (ولما جاءهم كتاب من عندالله) القرآن الكريم (مصدق لما معهم) موافق لكتابهم (وكانوا من قبل يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) المشركين ـ إذا قاتلوهم ـ ويقولون : اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ، الذى نجدوصفه ونعته فى كتابنا «التوراة» (فلما جاءهم ماعرفوا) أى ما عرفوه فى كتبهم ؛ من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم (كفروابه) فلم يؤمنوا ؛ وقد كان الأجدر بهم أن يؤمنوا بما عرفوا . (أنظر آية ١٤ من سورة الشورى) (بئسما اشتروا به أنفسهم) أى ساء ما اشتروا به أنفسهم ، أو بئس الشىء الذى اشتروا به أنفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله) على رسوله (بغياً

أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أى حسداً منهم : أن أنزل الله تعالى الكتاب على غيرهم (فباءوا) رجعوا (بغضب على غضب) غضب استوجبوه بسبب كفرهم بمحمد عند بعثته ، وغضب استحقوه بسبب جحودهم نبوته ، وزعمهم بأنه ليس هو المنعوت فى كتابهم ، وحسدهم لمن بعث فيهم (وإذا قيل لهم

أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ

آمنوا بما أنزل الله) على محمد ؛ وهو القرآن الكريم (قالوا) لا (نؤمن) إلا (بما أنزل علينا) من التوراة والإنجيل (ويكفرون بما وراءه) بما بعده ، وبما عداه ؛ وهو القرآن (وهو الحق مصدقا لما معهم) أى حال كون هذا القرآن ـ الذى يكفرون به ـ هو الحق ، وهو مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل (قل) فان كنتم صادقين فيما تقولون ، وأنكم بغير الذى أنزل عليكم لا تؤمنون (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) كزكريا ويحي عليهما السلام (ولقد جاءكم موسى بالبينات) المعجزات الظاهرات (ثم اتخذتم العجل) عبدتموه (وأنتم ظالمون) لأنفسكم بكفركم (وإذ أخذنا ميثاقكم) أخذنا العهد عليكم بأن تبينون الكتاب للناس ولا تكتمونه عنهم «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» (ورفعنا فوقكم الطور) الجبل (خذوا ما آتيناكم) من الأوامر والنواهى (بقوة) بجد واجتهاد وعزيمة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك . أى قالوا بألسنتهم : «سمعنا» وعملوا بعكس مايعمل السامع ؛ كمن قال «عصينا» قال تعالى : «يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم» (وأشربوا فى قلوبهم العجل) عبر بذلك كناية عن تغلغل حب العجل فى قلوبهم وعبادته كتغلغل الشراب (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) فيما تقولون ؛ من أن لكم الثواب فى الآخرة ، ولمن عداكم العقاب . وذلك لأن من تيقن أن النعيم أمامه : أسرع إليه ، ومن تيقن أنه صائر إلى الجنة : اشتاق إلى ورودها ؛ ليخلص من دار الآثام والآلام . ولكن قولهم ينافى فعلهم ؛ إذ هم متمسكون بدنياهم ، مفرطون فى شئون أخراهم (ولتجدنهم أحرص الناس

عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ
عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ
وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ
ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ
ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى

ٱلْمَلَكَيْنِ

﴿على حياة﴾ لما تراه من خوفهم وجبنهم ؛ شأن المنزعج على مصيره ، الخائف من عاقبته ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ فى الدنيا ؛ ما دام الموت له بالمرصاد ، والجحيم معدة له يوم المعاد ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾ أى فإن جبريل الذى يعادونه: نزل القرآن على قلبك . وناهيك بمن نزل بالقرآن من الرحمن ! وقد نشأت عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ؛ حين علموا أنه ينزل بالعذاب والهلاك والدمار ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ ماتقدمه من الكتب المنزلة ﴿أوكلما عاهدوا عهداً﴾ وهو موثقهم فى التوراة بتبيين أحكامها للناس ، وعدم إخفاء شىء منها ﴿نبذه﴾ طرحه وألقاه ﴿فريق منهم﴾ وهم المنكرون لمحمد عليه الصلاة والسلام وبعثته، والقرآن ونزوله ﴿واتبعوا﴾ أى اليهود ﴿ماتتلوا الشياطين﴾ من كتب السحر والشعوذة ﴿على ملك سليمان﴾ أى فى زمنه وعهده ، أو حول ملكه وسلطانه ؛ وكانوا يذيعون أن ملكه كان قائماً على السحر ﴿وما كفر سليمان﴾ كما ادعت اليهود ؛ حيث قالوا : إن محمداً يخلط الحق بالباطل ، ويذكر أن سليمان نبى؛ مع أنه كان ساحراً يركب الريح، وتأتمر الجن بأوامره ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بتعليمهم الناس السحر ﴿يعلمون الناس السحر﴾ بالوسوسة؛ ويحتمل أن يعنى بالشياطين : شياطين الإنس والجن معا ﴿وما أنزل على

الملكين ببابل﴾ يحتمل أن يكون هناك ملكان حقيقة؛ أنزلهما الله تعالى لتعليم الناس السحر؛ لإظهار الفرق بين السحر والمعجزة؛ وليروا أن ملك سليمان، ومافيه من خوارق وعظمة وسلطان؛ لم يكن قائماً على سحر وتخيلات، بل على كرامات ومعجزات؛ وأنه عليه السلام لم يكن ساحراً ماكراً؛ بل كان رسولا عظيما، ونبياً كريماً؛ أمده الله تعالى بالملك الواسع، والغنى الجامع؛ تحقيقاً لرغبته، واستجابة لدعوته! وإلا فأين السحر من تكليم الحيوان والحشرات والطير؟ وأين السحر من تسخير الهواء والماء، والجن والإنس؟

الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ

وقد ذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية؛ فى قوله تعالى «وما أنزل على الملكين ببابل» وقوله جل شأنه «وما يعلمان من أحد» أى لم ينزل على الملكين شيء من السحر، ولم يعلماه أحداً؛ كما ادعت اليهود أن هناك ملكين أنزل عليهما السحر، وأنهما يعلمانه للناس، وكما ادعوا على سليمان؛ فكذبهم الله تعالى فى ذلك. و«بابل» قرية بالعراق ﴿هاروت وماروت﴾ اسمان للملكين المزعومين؛ كما أسمتهما اليهود. وقيل: إنهما رجلان تعلماه من الشياطين، وجعلا يعلمانه للناس. وقيل: إنهما قبيلتان من قبائل الجن. وعلى قراءة من قرأ «ملكين» يكون المراد بهما: داود وسليمان ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ أى إنما نحن ابتلاء من الله تعالى واختبار؛ فلا تكفر بتعلم السحر والعمل به ﴿فيتعلمون﴾ أى الناس ﴿منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهى الأشياء التى يعملها بعض الفجار؛ مما يؤدى إلى التفرقة بين الزوجين بواسطة بعض التخييلات. ويلاحظ أن الرأى القائل بأن «ما» نافية لا يستقيم مع باقى الآية. وقيل: إن أهل بابل كانوا يعبدون الكواكب - بصرف السحرة لهم عن الحق - فأنزل الله تعالى هذين الملكين ليفضحا حيل السحرة، وليظهرا أمر السحر للناس على حقيقته، ويعلموهم أن ما يسيطرون به عليهم ليس إلا نوعا من التمويه والتخييل، وكان الملكان يعلمان الناس حيل السحرة، ويحذرانهم أن يفعلوا مثله، لأنه كفر وضلال، ويقولان لهم: إنما نحن متحان لكم، فلا تكفروا بما نعلمكموه؛ فإنما نعلمكم للتحذير من الوقوع فى مثله، ولتستطيعوا أن تفرقوا بين السحر والمعجزة، وبين الحق والباطل.

أما ماذهب إليه أكثر المفسرين: من أن هاروت وماروت: ملكان؛ عصيا الله تعالى وزنيا، وقتلا النفس، وشربا الخمر؛ فعذبهما الله تعالى بأن علقهما من شعورهما فى بئر ببابل؛ فجعلا يعلمان الناس السحر. إلى آخر ما أوردوه من أقاصيص من وضع الدساسين والزنادقة واليهود؛ وهو كلام لا يجوز نسبته بحال إلى الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ الذين قال الله تعالى فيهم: «ومن عنده لا يستكبرون عن =

= عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون» وقال جل شأنه واصفاً طاعتهم: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» ﴿خلاق﴾ نصيب ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة﴾ أى لكان ذلك ثواباً لهم ﴿راعنا﴾ راقبنا ؛ وهى بلغة اليهود: كلمة سب ؛ من الرعونة ﴿انظرنا﴾ انتظرنا ﴿ننسخ﴾ نبدل ﴿أو ننسها﴾ من النسيان . وقرىء «أو ننسأها» أى نؤخرها ﴿نأت بخير منها﴾ أى نأت بآية جديدة حاوية لحكم جديد ، خير من الحكم المنسوخ . وقد ذهب كثير من العلماء والمفسرين إلى تقسيم المنسوخ إلى أقسام : منها ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته ، ومنها مانسخ حكمه وبقيت تلاوته ، ومنها ما نسخت تلاوته وبقى حكمه . فاذا ما استساغ العقل منسوخ الحكم والتلاوة ، ومنسوخ الحكم باقى التلاوة ؛ فان القسم الأخير لا يستساغ عقلا ؛ إذ كيف تنسخ التلاوة مع بقاء الحكم ؟

أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ
ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ

عَلَىٰ

ومن ذلك زعمهم أن القنوت فى الصلاة من القرآن المنسوخ ؛ فى حين أن القنوت ورد بألفاظ شتى ، وعبارات متباينة ، وقد أخذ كل واحد من الأئمة بصيغة تخالف ما أخذه غيره .

كما زعموا أيضاً أن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» من القرآن المنسوخ تلاوة الباقى حكماً . هذا مع أن الرجم لم ينزل به قرآن ألبتة ؛ بل هو عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وتشريع الرسول واجب حتما كتشريع القرآن ؛ لقوله تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» وقوله جل شأنه : « وما آتاكم الرسول فخذوه» وقوله عز وجل: «من أطاع الرسول فقد أطاع الله» .

وأفحش هذه المزاعم : روايتهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها: كان فيما يقرأ من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» وأن ذلك قد نسخ بقوله تعالى «خمس رضعات معلومات يحرمن» وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وهى فيما يقرأ من القرآن . وأن الدواجن أكلتها بعد موت الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه !

وهذا الزعم يشهد بفساده وبطلانه : وعد القدير العظيم ، بحفظ كتابه العزيز الكريم «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وقد حفظه تعالى من شياطين الإنس والجن؛ فكيف بالدواجن ، وضعاف الطير ؟! ﴿ولى﴾ محب يلى أموركم ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ أى كما سأل قوم موسى موسى بقولهم : «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» وقولهم «أرنا الله جهرة» ﴿سواء السبيل﴾ الطريق السوى ﴿حسداً من عند أنفسهم﴾ المراد بالحسد هنا : الأسف على الخير عند الغير (انظر آية ٥ من سورة الفلق) =

= ﴿فاعفوا﴾ عنهم ﴿واصفحوا﴾ عن ذنوبهم ﴿حتى يأتى الله بأمره﴾ بالقتال، أو بنمو الإسلام بزيادة بنيه وقدرتهم على دفع عدوهم ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ أى تجدوا ثوابه وجزاءه ﴿هوداً﴾ أى من اليهود ﴿تلك أمانيهم﴾ آمالهم، أو تلك أقوالهم التى يدعونها ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ أخلص نفسه لله، وصدق فى عبادته ﴿وهو محسن﴾ لنياته وأعماله ﴿ولا خوف عليهم﴾ فى الدنيا ﴿ولاهم يحزنون﴾ فى الآخرة ﴿وهم﴾ أى اليهود والنصارى ﴿يتلون الكتاب﴾ التوراة لليهود، والإنجيل للنصارى؛ وفى التوراة: تصديق عيسى. وفى الإنجيل: تصديق موسى. وفى الكتابين: تصديق محمد. وفى القرآن: تصديق ما تقدمه من الكتب والرسل (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف). ﴿ومن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها﴾ أى تعطيلها. ويدخل فى ذلك: منع المصلين، وحبس المياه أو النور عن المساجد، أو تركها بغير إصلاح وتعمير؛ مع حاجتها إلى ذلك، والقدرة عليه. أو هو نهى عن ترك الصلاة وهجر المساجد ﴿خزى﴾ فضيحة وهوان ﴿فثم﴾ هناك ﴿واسع﴾ أى واسع الرحمة؛ يسع فضله كل شىء ﴿وقالوا﴾ أى النصارى ﴿اتخذ الله ولداً﴾ يعنون به المسيح عيسى ابن مريم ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عن الولد والوالد ﴿بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون﴾ خاضعون مطيعون. وهو إنكار لاتخاذ الله تعالى للولد بالدليل العقلى: لأن الإنسان لا يسعى للولد إلا رغبة فى المساعدة والمعاونة؛ وكيف يحتاج تعالى لذلك و «له ما فى السموات والأرض» ومن فيهما: طائعين خاضعين ﴿بديع السموات والأرض﴾ مبدعهما ﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ هو تقريب لأفهامنا؛ والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً كان؛ بغير افتقار للفظ «كن» ﴿لولا يكلمنا الله﴾ أى هلا يكلمنا الله ﴿أو تأتينا آية﴾ معجزة مما نقترحه. قال تعالى: «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا».

عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِى إِسْرَٰءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ

إِبْرَٰهِۦمَ

(إنا أرسلناك بالحق) بالقرآن (بشيراً) مبشراً من أطاع بالثواب والجنة (ونذيراً) منذراً من عصى بالعقاب والنار (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أى ولا نسألك عنهم : مالهم لم يؤمنوا بعد أن أبلغتهم رسالة ربهم؟ «ليس عليك هداهم» (ولى) محب يلى أمرك ، ويهمه شأنك (الذين آتيناهم الكتاب) من اليهود والنصارى؛ وآمنوا به إيماناً حقيقياً (يتلونه حق تلاوته) يفهمونه حق فهمه (أولئك يؤمنون به) أى بمحمد ، أو بالقرآن ، أو بكتابهم الذى هداهم إلى معرفة محمد وكتابه (عدل) بدل أو فدية (ابتلى) اختبر وامتحن (بكلمات) أوامر ونواه (فأتمهن) فأداهن أحسن تأدية ، وقام بهن خير قيام (قال إنى جاعلك للناس إماماً) أى رئيساً لهم؛ يأتمون بك فى الدين ، ويقتدون بك فى الأعمال (قال ومن ذريتى) أى واجعل من ذريتى أيضاً أئمة يقتدى بهم (قال لاينال عهدى الظالمين) المراد بالظلم هنا: الكفر. أى لا تصيب الإمامة الكافرين من ذريتك . ويصح أن يراد بالظلم : الظلم نفسه لا الكفر ؛ إذ أن ولاية الظلمة والفسقة لاتجوز ؛ وكيف تجوز ولاية الظالم ، لكف الظالم ؟ (مثابة) مرجعا ؛ من ثاب : إذا رجع أو المعنى : موضع ثواب ؛ يحجون إليه ، فيثابون عليه (وأمنا) يأمن من فيه على نفسه ـ فى الجاهلية والإسلام ـ فقد كان الرجل يلق فيه قاتل أبيه ؛ فلا يستطيع أن يصعد النظر نحوه (واتخذوا من مقام

إبراهيم مصلى﴾ موضع صلاة . وهو أمر بركعتى الطواف . روى جابر رضى الله تعالى عنه: أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ؛ وقرأ «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» ومقام إبراهيم: هو الحرم كله ، أو الحجر الذى قام عليه عند البناء ؛ وفيه أثر قدمه ، أو الموضع الذى كان فيه الحجر ـ حين قام عليه وأذن بالحج ـ وعن عمر رضى الله تعالى عنه : وافقت ربى فى ثلاث . قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر؛ فلوأمرتهن أن يحتجبن ؛ فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نساؤه ـ فى الغيرة ـ فقلت لهن : «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن» فنزلت كذلك ﴿وعهدنا﴾ أوصينا وأمرنا ﴿والعاكفين﴾ المقيمين ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ وقد أجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام ؛ فحملت الثمار من سائر الأقطار إلى الحرم ؛ قبل أن يتذوقها زارعوها وحاملوها ؛ وقد تجدبين أيديهم فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف؛ وقد رأيت بعينى رأسى أرقى ثمار العالم تحمل إليه بالطائرات عبر البحار والمحيطات ، فعجبت ـ حيث لا عجب ـ لماذا يحمل كل ذلك لهذه البلدة الخاوية إلا من الدين ، الخالية إلا من المؤمنين ؟ فتذكرت دعوة إبراهيم ، فتبارك السميع العليم! ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ فقد كان دعاؤه عليه السلام قاصراً على من آمن منهم فحسب؛ ولذاقال تعالى ﴿ومن كفر﴾ أى وسأرزق أيضاً من كفر ﴿فأمتعه قليلا﴾ فى الدنيا ﴿ثم أضطره﴾ ألجئه ﴿القواعد﴾ الأسس والجدر ﴿ربنا تقبل منا﴾ أى قالا : «ربنا تقبل منا» مانفعل فى سبيلك؛ من بناء بيتك ، وإعلاء دينك ﴿إنك أنت السميع﴾

إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ

لقولنا ودعائنا ﴿العليم﴾ بإخلاصنا وصدق نياتنا ﴿ربنا واجعلنا مسلمين﴾ مخلصين ﴿وأرنا مناسكنا﴾ عرفنا عباداتنا ﴿وتب علينا﴾ أى اقبل توبتنا، ورجوعنا إليك ، وإنابتنا لك! وإذا كان هذا حال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؛ وهما من كبار الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ؛ فكيف بنا معشر العصاة الطغاة ـ وقد ارتكبنا ما ارتكبنا ، وأتينا ماأتينا ـ فلم نتدبر المآب ، ولم نفكر فى المتاب ؛ كأنما أخذنا عند الله عهداً بعدم العذاب ، أو كأن ما فعلناه لا يستوجب العقاب ! ﴿وابعث فيهم رسولا منهم﴾ أى من ذرية إبراهيم عليه السلام ؛ وهو خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «أنادعوة أبى إبراهيم» ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الشرك ، ومن دنس المعصية ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ رغب عن الشىء: =

= لم يرده ؛ ضد رغب فيه إذا أراده ﴿إلا من سفه نفسه﴾ حملها على السفه ، أو أهلكها ﴿ولقد اصطفيناه﴾ اخترناه

فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِّنْهُمْ

﴿أسلم﴾ استسلم ﴿ووصى بها﴾ أى بالملة ؛ وهى الإسلام ﴿إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أى اختاره ورضيه ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ المعنى حافظوا على دينكم ، وتقربوا إلى ربكم ؛ حتى لاتموتن إلا وأنتم ثابتون على الإسلام ﴿أم كنتم شهداء﴾ مشاهدين وحاضرين ﴿مسلمون﴾ مطيعون ومنقادون ﴿تلك أمة قد خلت﴾ قد مضت وهو خطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى. أى إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب ، وذراريهم من المؤمنين «أمة قد خلت» والأمة: الجماعة ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ أى عليها إثم مااقترفت من الذنوب ، وثواب ماعملت من الصالحات ، وعليكم إثم ماجنيتم من الآثام ، وأجر ماعملتم من الحسنات ﴿وقالوا﴾ أى اليهود والنصارى للمؤمنين ﴿كونوا هوداً﴾ يهود ﴿قل﴾ لهم: لن أتحول عن دينى الذى هدانى إليه ربى ؛ ولن أكون يهودياً أو نصرانياً ﴿بل أمة﴾ أبى ﴿إبراهيم حنيفاً﴾ مستقيما ﴿وما كان﴾ إبراهيم ﴿من المشركين﴾ بل كان عابداً لله قانتاً ﴿الأسباط﴾ حفدة يعقوب : ذرارى أبنائه

﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا ﴿فإنما هم فى شقاق﴾ فى خلاف ومعاداة ﴿صبغة الله﴾ دينه ﴿قل أتحاجوننا﴾ أتجادلوننا

مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ
فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ
مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ
أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾
* سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى
كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

﴿ولنا أعمالنا﴾ أى جزاء أعمالنا وثوابها ﴿ولكم أعمالكم﴾ إثمها وعذابها ﴿ونحن له مخلصون﴾ فى الحب، والعبادة! والإخلاص: لب كل خير، وأساس كل نفع؛ فبغيره لا يصل الإنسان إلى ربه، ولايهنأ بقربه؛ فالدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم، والعلم كله هباء إلا موضع العمل، والعمل كله هباء، إلا موضع الإخلاص. والإخلاص لايكون باللسان؛ بل بالجنان، ولا يكتسب بالركوع والسجود؛ بل بالاتجاه إلى الرب المعبود! فاحرص ـ هديت وكفيت ـ على الإخلاص؛ فهو باب النجاة والخلاص! ﴿والأسباط﴾ حفدة يعقوب عليه السلام: ذرارى أبنائه ﴿ومن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن كتم شهادة﴾ أخفاها ولم يبدها ﴿تلك أمة قد خلت﴾ قد مضت ﴿لها ما كسبت﴾ جزاء ما عملت ﴿ولكم ما كسبتم﴾ جزاء ما عملتم ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ أى ولا تؤاخذون بكفرهم وطغيانهم «كل امرىء بما كسب رهين» ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ الجهال منهم ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾ أى ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا يصلون نحوها؛ وقد كان المؤمنون ـ فى بدء الإسلام ـ يصلون نحو بيت المقدس؛ حتى نزل قول العزيز الكريم: «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها» ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أى له الكون أجمع بسائر جهاته «فأينما تولوا فثم وجه الله» ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ أى متوسطين بين الغلو والتفريط. ووسط كل شىء: أعدله. والطريقة الوسطى: المثلى. قال تعالى «قال أوسطهم» أى أعدلهم حكماً، وأصوبهم رأياً

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ
الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم
مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ

وَإِنَّ

﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها﴾ وهى بيت المقدس ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ فيما يذكره عن ربه؛ من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ﴿ممن ينقلب﴾ يرجع ﴿على عقبيه﴾ أى يعود الى الكفر الذى كان فيه ﴿وإن كانت﴾ التولية عن القبلة ﴿لكبيرة﴾ شاقة صعبة؛ لأن كل تغيير فى أمر من الأمور ـ خاصة إذا كان هذا الأمر جديداً فى أوله: كالإسلام، وكان هاماً: كقبلة الصلاة ـ فإنه يكون صعباً وشاقاً على النفوس ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ وفقهم للإيمان، وهداهم للتصديق ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أى صلاتكم إلى القبلة الأولى. ولا يخفى مافى التعبير عن الصلاة بالإيمان: من تعظيم لشأنها، وإعلاء لقدرها؛ وأن من تمسك بأدائها، وحافظ على أوقاتها؛ فقد تمسك بالإيمان كله! كيف لا وهى الناهية عن الفحشاء والمنكر: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وهى فوق ذلك مذهبة الهموم، ومفرجة الكروب «كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»(١) ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ جهته ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ أى ليعلمون أن تحويل القبلة هو الحق؛ لأنه معلوم عندهم، مدون فى كتبهم ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ﴿بكل آية﴾ بكل معجزة يقترحونها، وبرهان يطلبونه ﴿ماتبعوا قبلتك﴾ لإصرارهم على الكفر والعناد ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾ علم الله تعالى أن رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ليس بتابع قبلتهم، ولا بمتبع أهواءهم؛ ولكنه خطاب موجه لسواد الأمة الإسلامية، ونهى لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ عن اتباع الأشرار والفجار، واتخاذهم أولياء. وهو كنهى الملك لقائده، وتهديده أمام جنده؛ بقصد حثهم على الاستقامة؛ وتحفيزهم على الطاعة. وكل ماجاء فى الكتاب الكريم من الآيات بهذا المعنى؛ فهو لهذا المرمى ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿يعرفونه﴾ أى يعرفون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم. قال تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل» (أنظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف).

---

(١) حزبه أمر: أصابه ضر، ونابته نائبة.

وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾ أى ينكرون معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ الذى هوحق معروف ثابت فى كتبهم ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين ﴿ولكل وجهة هوموليها﴾ أى ولكلٍّ قبلة يتجه إليها. أو لكل فريق طريقة هو متبعها ﴿فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ أى حيث إن الله تعالى قادر على الإتيان بكم جميعاً، ومحاسبتكم عما ضيعتموه، ومعاقبتكم على ما اقترفتموه؛ فسابقوا إلى الخيرات والحسنات؛ ليحل الثواب مكان العقاب، والرحمة مكان النقمة، والنعيم مكان الجحيم! ﴿شطره﴾ جهته ﴿لئلا يكون للناس﴾ اليهود والنصارى والمشركين ﴿حجة﴾ يجادلونكم بها؛ وذلك لأن اليهود تعلم أن النبى المنعوت فى التوراة تكون قبلته الكعبة لا بيت المقدس ﴿إلا الذين ظلموا﴾ من أهل الكتاب؛ الذين قالوا: ما تحول إلى الكعبة إلا رغبة فى دين قومه؛ ويوشك أن يرجع إلى ملتهم ﴿ويزكيكم﴾ يطهركم من الكفر والمعاصى ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ أى يعلمكم مالا سبيل إلى علمه ومعرفته؛ إلا بالوحى الإلهى الدال على نبوته عليه الصلاة والسلام ﴿فاذكرونى﴾ بالطاعة ﴿أذكركم﴾ بثوابها، وبالتوفيق إلى أمثالها ﴿واشكروا لى﴾ ما أنعمت به عليكم.

والشكر قسمان: قسم بالأقوال، وقسم بالأفعال. والقول إن لم يصحبه فعل يدل على صدقه؛ فلا فائدة منه، ولا طائل وراءه. ورب شاكر باللسان ورب العزة عليه غضبان! أما إذا صاحب القول الفعل؛ فقد ازداد الشاكر سعة ونعمة، ومن الله حباً وقرباً! وشكر المال: إنفاقه فى سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته، وإخراج زكاته. وشكر البصر: غضه عن المحارم. وشكر السمع: ألا يسمع به غيبة أو لغواً. وشكر القوة: نصرة المظلوم، والكف عن الأذى، وبذلها فى الجهاد والدفاع عن الدين والوطن!

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا﴾ على قضاء حوائجكم الدنيوية والأخروية ﴿بالصبر﴾ على الطاعة ، وعن المعصية ، وعلى الأمور الشاقة ﴿والصلاة﴾ وكيف لا يستعان بها ؛ وهي مرضاة رب العالمين ، ومناجاة أكرم الأكرمين ، ومفرجة كرب المكروبين «كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أُولَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَـٰٓئِكَ

أتوب

﴿ولنبلونكم﴾ لنختبرنكم ﴿بشيء من الخوف﴾ من العدو ﴿والجوع﴾ القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ بالفقر وتقدير الرزق ﴿والأنفس﴾ بالموت والأمراض ﴿والثمرات﴾ بالجوائح والآفات الزراعية «لنبلونكم» بذلك لننظر أتصبرون أم تكفرون ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وإنا إليه راجعون﴾ فيجزينا أجر ماأصابنا !

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «مامن عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ؛ إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها» وقد ورد عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها ؛ أنه لما توفي زوجها أبو سلمة رضي الله تعالى عنه : قالت — في نفسها — ومن خير من أبي سلمة ؟ رجل شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفاز بصحبته ، وحظي بمحبته ؛ ولكنها استرجعت ، ودعت الله كما جاء في الحديث: فخطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فكان نعم الخلف ! وعنه أيضاً صلى الله تعالى عليه وسلم «مايصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولاحزن ، ولا أذى ، ولا غم حتى الشوكة يشاكها ؛ إلا كفر الله بها من خطاياه» ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ الصلاة من الله تعالى : المغفرة ﴿إن الصفا والمروة﴾ هما جبلان بمكة شرفها الله تعالى ﴿من شعائر الله﴾ أعلام مناسكه ﴿اعتمر﴾ زار ﴿فلا جناح عليه﴾ لا حرج ، ولا إثم عليه ﴿أن يطوف بهما﴾ أي بالصفا والمروة ؛ بأن يسعى بينهما سبعاً ﴿ومن تطوع﴾ زادعلى ذلك ﴿خيراً﴾ أي بخير ؛ بأن أراد زيادة التقرب إلى الله تعالى بالنوافل ﴿فإن الله شاكر﴾ له مازاد ، مجاز عليه ﴿عليم﴾ بظواهره وسرائره

أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ

﴿أتوب عليهم﴾ أغفر لهم ﴿ينظرون﴾ يمهلون ويؤجلون ﴿إن فى خلق السموات﴾ ومافيها من كواكب وأنجم، وأفلاك وأملاك ﴿و﴾ فى خلق ﴿الأرض﴾ وما فيها من مخلوقات ونباتات، وأشجار وأنهار ﴿و﴾ فى ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجىء، والزيادة والنقصان ﴿و﴾ فى ﴿الفلك﴾ السفن ﴿التى تجرى فى البحر﴾ بأمر الله تعالى ونعمته ﴿بما ينفع الناس﴾ من التجارات، والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بعد جدبها ﴿وبث﴾ فرق ونشر ﴿فيهامن كل دابة﴾ وهى كل مايدب على وجه الأرض؛ من إنسان وحيوان ونحوهما ﴿و﴾ فى ﴿تصريف الرياح﴾ تقليبها جنوباً وشمالا، باردة وحارة؛ بما ينفع الناس والمخلوقات، والزرع والضرع ﴿و﴾ فى ﴿السحاب المسخر﴾ بأمر الله تعالى وقدرته ﴿بين السماء والأرض﴾ إن فى جميع ذلك ﴿لآيات﴾ دلالات واضحات على وحدانية القادر الحكيم ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون هذه الآيات، ويفهمون هذه الدلالات ﴿ومن الناس﴾ أى ممن لا يعقلون، ولا يفهمون، ولا يتدبرون ﴿من يتخذ من دون الله﴾ غيره ﴿أنداداً﴾ شركاء وأمثالا ﴿ولو يرى﴾ ولو يعلم ﴿الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر واتخاذ الأنداد ﴿إذ يرون العذاب﴾ يوم القيامة؛ وقد كانوا يكذبون به فى الدنيا ﴿أن القوة﴾ والقدرة والبطش ﴿لله جميعاً﴾ له وحده؛ لا للأنداد التى كانوا يعبدونها ﴿إذ تبرأ الذين

اتبعوا﴾ أى تبرأ الأنداد التى كانوا يعبدونها، والكهان والرهبان الذين كانوا يطيعونهم، والسادة والرؤساء الذين كانوا يتبعونهم، وكل من دعا إلى عبادة غير الله تعالى؛ يتبرأ هؤلاء جميعاً ﴿من الذين اتبعوا﴾ أى الذين اتبعوهم على الكفر؛ وهم فقراء الكفار والمشركين وأراذلهم. يقول السادة والرؤساء يومئذ: لا نعرفهم، ولم نقل لهم: اعبدونا أو اتبعونا ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ أى أسباب المودة؛ من قرابة وصداقة ولم يبق لهم نصراء ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة﴾ أى لو أن لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فنتبرأ منهم﴾ أى من رؤساء الأديان؛ الذين دعونا للكفر فى الدنيا، وتبرأوا منا فى الآخرة ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى لا تطيعوا وسوسته لكم بترك الحسنات، وفعل السيئات. ويدخل فى ذلك شياطين الإنس أيضاً؛ فنهم من هو أشد فتكا، وأبلغ نكاية من شياطين الجن! (انظر آية ١١٢ من سورة الأنعام) ﴿ما ألفينا﴾ ماوجدنا ﴿أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ أى أولو كان آباؤهم جهالا؛ لايفقهون، ومجانين لايعون؛ فهم لهممتبعون؟! فمثلهم ﴿كمثل الذى ينعق﴾ يصيح ﴿بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ أى صوتاً يسمعه ولا يفهم معناه؛ كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ﴿صم﴾ عن سماع الحق ﴿بكم﴾ عن النطق به ﴿عمى﴾ عن رؤيته ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أى من الرزق الحلال؛ ومتى كان الأكل حلالا: كان العمل صالحاً ومتقبلا! وإذا شاب الحرام الرزق أوأحاطت به شبهات الكسب: فترت الهمة، ووهنت العزيمة؛ ولم يتقبل الله تعالى من عبده العبادات والطاعات، وردت عليه دعوته؛ واكتنفه الذل مع عزته، والفقر مع غناه، وخسر دنياه وأخراه؛ فليحذر المؤمن الشبهات فى سائر الحالات؛ خاصة فى طعامه وشرابه (انظر آية ٥٨ من سورة الأعراف) ﴿واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ فالشكر من لوازم العبادة؛ وغير الشاكر: لا يكون عابداً، ولو ظل طول دهره ساجداً. (انظر آية ١٥٢ من هذه السورة) ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم﴾ المسفوح ﴿ولحم الخنزير﴾ نهانا تعالى عن لحم الخنزير؛ لما فيه من شر وضر؛ فقدثبت أنه يحمل ميكروبات شتى تسبب أمراضاً يعسر شفاؤها ويعز دواؤها!

ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ

وَمَآ

وهذه الآية من أهم ما حرص عليه الطب الوقائى: فى الميتة ملايين الميكروبات التعفنية والرمية، كما أن الدم هو حامل الميكروب إلى سائر الجسم؛ وقد لجأ الطب أخيراً ــ حينما اكتشف ذلك ــ إلى تحليل جزء منه فيتضح له كل ما فى الجسم من أمراض؛ وهو فى هذه الحال من أسرع وسائل العدوى، ولحم الخنزير: مباءة لكثير من الميكروبات، وهو العائل الأصلى للدودة الشريطية

﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي ما ذبح للأصنام ، أو ذكر عليه اسم غير اسمه تعالى ﴿فمن اضطر﴾ أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من ذلك المحرم ؛ بسبب مجاعة مهلكة أشرف فيها على التلف ؛ فله أن يأكل على ألا يتناول منه سوى القدر الذي يحفظ عليه حياته ﴿غير باغ﴾ على أحد؛ كأن يختطف مايسد رمقه من إنسان آخر؛ ليس له مايسد رمقه سوى ما اختطفه منه. أو «غير باغ» على جماعة المسلمين وخارج عليهم ﴿ولا عاد﴾ معتد عليهم بقطع الطريق ؛ فألجأه ذلك إلى الجوع المهلك المتلف ؛ فليس له أن يستمتع بهذه الرخصة ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى؛ كتموا نعت محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وهو موصوف عندهم في التوراة والإنجيل ﴿ويشترون به﴾ أي بذلك الكتمان ﴿ثمناً قليلا﴾ هو ما يأخذه أحبارهم ورهبانهم ﴿ولا يزكيهم﴾ لا يطهرهم . والمعنى : لا يغفر لهم ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة﴾ الكفر والمعصية ﴿بالهدى﴾ بالإيمان والطاعة ﴿والعذاب﴾ الذي ينالهم ؛ عقوبة على ضلالهم وكفرهم ﴿بالمغفرة﴾ التي تنال المؤمنين المهتدين ؛ جزاء إيمانهم وطاعتهم !

وَمَا أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

ومن عجب أن ينصرف كثير من الناس عن إرضاء مولاهم ؛ إلى الحرص على دنياهم وينصرف آخرون إلى إرضاء المخلوقين ، وإغضاب رب العالمين ؛ قال الشاعر :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
وللمشترى دنياه بالدين : أعجب
وأعجب من هذين: من باع دينه
بدنيا سواه: فهو من ذين أخيب

﴿شقاق﴾ خصام وجدال وخلاف ﴿بعيد﴾ كبير ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ في الصلاة ﴿ولكن البر من آمن﴾ بالله إيماناً حقيقياً ﴿واليوم الآخر﴾ أي وآمن بالقيامة ومافيها من بعث وحساب، ونعيم وعذاب ﴿والكتاب﴾ أي وآمن بالكتاب ؛ وهو اسم جنس. أي آمن بسائر الكتب المنزلة ﴿وآتى المال﴾ أعطاه وبذله ﴿على حبه﴾ أي رغم حبه للمال ، وحاجته إليه ، وافتقاره له ؛ لأن مقتضى الحب : الحاجة إلى المحبوب ، والتشوق إليه . وقيل : في سبيل حبه تعالى ، ورغبة في إرضائه جل شأنه !

والمراد: أن يعطى المال وهو طيب النفس بإعطائه (انظر آية ٣٢ من سورة الزخرف) ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع ﴿وفي الرقاب﴾ أي إعتاق العبيد ، وفك الأسرى . والرق معروف ـ من أقدم العصور ـ قبل الإسلام ؛ فقد عرف في مصر الفرعونية ، وفي دولة آشور، ودول فارس ، والدولة الرومانية والبيزنطية؛ ولم يكن الإسلام مؤسساً للرق وموجداً له ـ كما يزعم الكثيرون ـ بل كان داعياً إلى التخلص منه والقضاء عليه؛ لما يكتنفه من المباهاة والمفاخرة وإذلال الغير . وحين بزغ قمر السلام ، ولاح فجر الإسلام ، وسطعت =

= أنوار الحرية : سعى الدين إلى رفع الذل والعبودية عن الأرقاء ؛ فجعل من العتق قربة إلى الله تعالى ومنجاة من العذاب ، وكفارة من الإثم ! فدعا بذلك إلى حرية الجنس الإنساني ، وقدسية الآدمية (انظر آية ٩٢ من سورة النساء) . ﴿البأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وحين البأس﴾ وقت اشتداد القتال ﴿يأيها الذين آمنوا كتب﴾ فرض ﴿عليكم القصاص﴾ وهو الأخذ بالمثل فى العقوبة : كقتل القاتل ﴿الحر بالحر﴾ فلا يقتل حر بعبد ﴿والعبد بالعبد﴾ ويقتل بالحر أيضاً ﴿والأنثى بالأنثى﴾ وتقتل بالذكر ، كما يقتل الذكر بها .

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

يَٰٓأَيُّهَا

و « القصاص » : يقتضى المماثلة فى الدين ؛ فلا يقتل مسلم – ولو عبداً – بكافر – ولو كان حراً – ﴿فمن عفى لهمن أخيه﴾ أى ولى المقتول ؛ بأن ترك المطالبة بالقصاص واكتفى بالدية ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ أى حيث إن ولى المقتول عفى عن قتل القاتل ، وقبل الدية منه فليتبع ذلك بالمعروف ، وليؤد إليه الدية باحسان من غير مطل ولا اضرار ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بأن جاوز هذا الشرط ؛ كأن لم يدفع القاتل الدية كاملة لولى المقتول ، أو أن يقتل ولى المقتول القاتل بعد قبوله الدية ﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب﴾ إقرأ هذه الآية – أيها المنصف الحكيم – وكرر قراءتها ، وتبين معانيها ومراميها ، وتفهمها جلياً ، وتأملها ملياً ؛ وانظر إلى بلاغة القرآن وإيجـاز القرآن وإعجازه : يقول الله تعالى : إن لكم فى الموت حياة . لأن القصاص : هو القتل ولنا فى هذا القتل حياة !

ولو لم يكن القصاص : لما بقى على ظهرها إنسان : إن النفوس التى جبلت على الشر ، وروضت عليه لو علمت أنه لا يوجد حاكم يحكمها ، ولا رادع يردعها ، ولا ولى يأخذ لضعيفها من قويها ، ولفقيرها من غنيها ؛ لقتل الأشرار الأخيار ، وأكل الناس بعضهم بعضا ! وقد صدق الله : فإن لنا فى القصاص لحياة وأى حياة ! ﴿كتب عليكم﴾ فرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أى حضرت أسبابه ، وأحس المريض بدنو أجله ولم يبق له سوى صالح عمله ﴿إن ترك خيراً﴾ أى مالا كثيراً ﴿الوصية للوالدين والأقربين﴾ الذين لا يرثونه ﴿بالمعروف﴾ الذى أذن فيه الله تعالى وأجازه فى الوصية ؛ مما لم يجاوز الثلث ، ولم يتعمد فيه ظلم ورثته . وقيل : إن هذه الآية نسخت بآية المواريث فى سورة النساء ﴿فمن بدله﴾ أى غير الإيصاء – من الورثة ، أو الشهود – عن وجهه الذى أراده الموصى ﴿فإنما إثمه﴾ إثم هذا التبديل ﴿على الذين يبدلونه﴾ لا على الموصى؛ الذى أبرأ ذمته ، وأرضى ربه ! ﴿فمن خاف من موص جنفا﴾ جوراً وميلا عن الحق ﴿أو إثماً﴾ بألا يوصى لوالديه ؛ بغضاً لهما ، أو لا يوصى للأقربين ؛ مع فقرهم وحاجتهم ، أو يوصى بأكثر مما أجازه الله تعالى =

= فى الوصية ؛ متعمداً لحوق الضرر بالورثة ﴿فأصلح بينهم﴾ بين الموصى وورثته ، أو بينه وبين من تجب عليه الوصية لهم ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ فرض ﴿عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ فقد كان الصوم مفروضاً على من تقدمنا من الأمم ﴿لعلكم﴾ بسبب هذا الصيام ﴿تتقون﴾ الله تعالى، وتخشون غضبه ، وتعملون بأوامره ؛ ومن هذا يعلم أن الصيام يبعث على الإيمان الصادق ، ويرقق القلب ، ويصفى النفس، ويعين على خشية الله تعالى ؛ ولذا استعان به الأنبياء فى تحقيق مآربهم ، والأولياء فى تهذيب نفوسهم ، والخاصة فى شفاء قلوبهم ، والعامة فى شفاء جسومهم! ﴿أياماً معدودات﴾ أى قلائل ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ يتحملونه بجهد ومشقة ؛ وهو رخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده (أنظر آية ٢٢٦ من هذه السورة) ﴿فمن تطوع خيراً﴾ زاد فى الاطعام ، أو زاد فى الصيام ؛ تطوعاً منه فوق ما فرض عليه من الإطعام والصيام ﴿فهو خير له﴾ وفى هذا ما فيه من الحث على الإطعام ، والترغيب فى الصيام . ومنه يعلم ما فى الصيام من فوائد جمة لا تدركها العقول ؛ فانه فضلاً عن كونه مرضات للرب ، ومطهرة للنفس ؛ فقد ثبت أنه علاج ناجع لكثير من الأمراض المستعصية ؛ وقد يكون العلاج الوحيد لضغط الدم ، وقد أجمع الأطباء على فائدته الكبيرة لمرضى السكر ؛ يدل على ما تقدم قوله تعالى ﴿وأن تصوموا﴾ حال المرض والسفر ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ما فيه مصالحكم ﴿وبينات من الهدى﴾ آيات الكتاب الكريم ﴿والفرقان﴾ الذى يفرق بين الحق والباطل ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ أى حضره ؛ ولم يكن مسافراً ، ولا مريضاً ﴿فليصمه﴾ وليس معنى الشهود : الرؤية والمشاهدة ﴿ولتكملوا العدة﴾ أى عدة الشهر؛ ليتساوى صائم الشهر كاملا ، مع من قضى ما فاته لعذر ﴿وإذا سألك عبادى عنى﴾ أين ربنا ؟ وهل يسمع لدعائنا ، ويستجيب لندائنا ؟ ﴿فانى قريب﴾ منهم ؛ أسمع نجواهم وشكواهم ، و ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ ورب قائل يقول : إننى أسأله فى كل يوم فلا يعطينى ، وأناديه فى كل ساعة فلا يجيبنى . والجواب على هذا القائل: إنك أيها السائل لم تسأل ربك بل امتحنته ، ولم تناده بل سخرت منه ؛ ولو أنك ناديته بحق لأجابك ، وسألته بصدق لاستجاب لك !

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ

إن من شرائط السؤال - أيها الممتحن لربه ، الساخر بقدرته - أن تتيقن بإجابته تيقنك بوجودك، وأن تثق بما عنده وثوقك بنفسك : تسأل صديقك - الذليل الحقير الضعيف الفقير - أن يعطيك شيئاً ؛ وأنت على تمام الوثوق ، ومزيد اليقين بإجابة سؤلك ، وتدعو ربك - المعطى المانع ، الضار النافع - أن يهبك أحقر الأشياء ؛ وأنت من الإجابة آيس ، ومن عطائه قانط ! فما الذى ترجوه بعد هذا الكفران ! ؟ تؤمن =

= بصديقك أكثر ماتؤمن بربك ، وترجو إجابة سؤلك ودعائك ؛ هيهات هيهات أن يجاب لك؛ قبل أن تحسن ظنك به ، وتثق بما عنده ، وتعبده كأنك تراه ، وتخشاه كأنه يراك ! (أنظر آية ٦٠ من سورة غافر) ﴿فليستجيبوا لى﴾ إذا دعوتهم لما يصلحهم وينجيهم؛ لأجيبهم فيما يطلبونه منى !

ومن هذا يعلم أن الإيمان والعمل الصالح : شرط فى قبول الدعاء ﴿لعلهم يرشدون﴾ يصيبون الرشد والسداد ، ويوفقون لما يجعلهم مجابى الدعاء ، عظيمى الرجاء ! ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ أى كل ليلة صيام؛ لا الليلة الأولى من رمضان ؛ كما يتوهمه بعض العامة ﴿الرفث﴾ الجماع ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ أى كلا كما ستر للآخر عن الحرام ، أو شبههما تعالى باللباس: لاعتناقهما ، واشتمال كل واحد منهما على صاحبه ، أو هو بيان لسبب الإحلال : فان الذى بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة : قل صبركم عنهن ، وصعب عليكم اجتنابهن ؛ فلذا رخص لكم فى مباشرتهن ﴿تختانون﴾ أن تخونون ﴿أنفسكم﴾ وتظلمونها بالجماع ، أو تنقصونها حظها من الثواب ﴿فتاب عليكم﴾ غفر ما سلف منكم ﴿وعفا عنكم﴾ بإحلال ما كان محظوراً عليكم ﴿فالآن﴾ بعد الإحلال ﴿باشروهن﴾ جامعوهن ﴿الخيط الأبيض﴾ الفجر ﴿من الخيط الأسود﴾ الليل ﴿ولا تباشروهن﴾ لا تجامعوهن ﴿وأنتم عاكفون﴾ مقيمون ومعتكفون ﴿فى المساجد﴾ للتعبد والصلاة ﴿وتدلوا﴾ تلقوا ﴿بها﴾ بالأموال ﴿إلى الحكام﴾ على سبيل الرشوة . وهذا مشاهد ؛ يفعله بعض ضعاف النفوس عديمو الضمائر: فيرشون أمثالهم ـ ممن لا خلاق لهم ـ ليقتطعوا بذلك مال إخوانهم ﴿بالإثم﴾ بالباطل والظلم ! فليحذر هذا وليتجنبه من يؤمن بالله ويخشاه ، وليخف يوما إذا طولب فيه بالوفاء : عجز عن الأداء ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ هو كناية عن وجوب مباشرة الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها .

لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ

وقيل : كانوا يأتون بيوتهم ـ فى الإحرام ـ من نقب ينقبونه فى ظهرها ؛ زاعمين أن ذلك من البر ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ أى قاتلوا الذين يبدأونكم بالقتال ، أو قاتلوا الرجال الذين يقاتلونكم فحسب ؛ ولا تقاتلوا الشيوخ والنساء والصبيان ﴿ولا تعتدوا﴾ بالابتداء بالقتال ، أو بقتال الذين لم يقاتلوكم

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ

﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ حيث وجدتموهم ﴿وأخرجوهم﴾ والمراد بذلك المشركين ﴿من حيث أخرجوكم﴾ أى من مكة؛ لأنهم أخرجوا المسلمين منها ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ «الفتنة»: عذاب القيامة، أو الإخراج من مكة، أو الشرك ﴿فان انتهوا﴾ عن الشرك ﴿فان الله غفور﴾ لهم ماتقدم من كفرهم ﴿رحيم﴾ بهم؛ فلا يعذبهم بما فعلوه حال كفرهم. والإيمان يجبُّ ما قبله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ لا يكون شرك، ولا يكون إيذاء ﴿فان انتهوا﴾ عن الشرك والقتال ﴿فلا عدوان﴾ أى لايصح القتال والاعتداء ﴿إلا على الظالمين﴾ الكافرين؛ وقد انتهوا عن القتال وأسلموا ﴿الشهر الحرام﴾ فى الحرمة والتقديس والأمن وعدم القتال ﴿بالشهر الحرام﴾ أى مقابلا له. والأشهر الحرم: ذو العقدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب. فاذا قاتلكم المشركون فى شهر منها؛ فلا تضعوا أيديكم على صدوركم، وتتحرجوا من قتالهم فى مثلها وتقولوا: لانقاتل فى الأشهر الحرم؛ فقد حرم الله تعالى فيها القتال والاعتداء. بل قاتلوهم فيها كما قاتلوكم ﴿والحرمات قصاص﴾ فكما انتهكوا حرمة الأشهر الحرم؛ جاز لكم أن تقتصوا بمثلها. يؤكده قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ فى الأشهر الحرم ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ فيها. وليس معنى ذلك: أن من يقتل ولدى أقتل ولده، ومن يسمم بهيمتى أسمم بهيمته؛ إذ ماذنب الولد حتى يعاقب بما جناه أبوه وماذنب البهيمة حتى تعاقب بما جناه صاحبها؟ بل يجب أن تقع المماثلة فى العقاب على نفس المجرم جزاء ما جنت يداه ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ بعدم الإنفاق فى سبيل الله تعالى، والاستعداد للجهاد؛ فيقوى عدوكم، وتضمحل قوتكم! وفى هذا ما فيه من الذل المؤبد، والهلاك المحقق. وقيل: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» بأن تعرضوها للموت المحتم، أو بانفاق سائر مالكم فتعرضون أنفسكم وعيالكم للفقر والتلف والضياع ﴿وأحسنوا﴾ الظن بالله تعالى فى النصر والإخلاف أوأحسنوا أعمالكم ونياتكم ﴿فان أحصرتم﴾ أى حوصرتم من الأعداء، ومنعتم من الحج ﴿فما استيسر من الهدى﴾ ما تيسر منه. و«الهدى» الإبل المهداة للحرم

﴿فمن كان منكم مريضا﴾ مرضاً يضطره إلى ترك شيء من المناسك ﴿أو به أذى من رأسه﴾ كبثور، أو قمل، أو نحوهما؛ مما يلجئه إلى حلق رأسه وهو محرم ﴿ففدية من صيام﴾ يصوم ثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ يتصدق بها؛ وهي ثلاثة آصع. والصاع: أربعة أمداد. والمد: ملء كف الرجل المعتدل ﴿او نسك﴾ ذبح شاة.

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

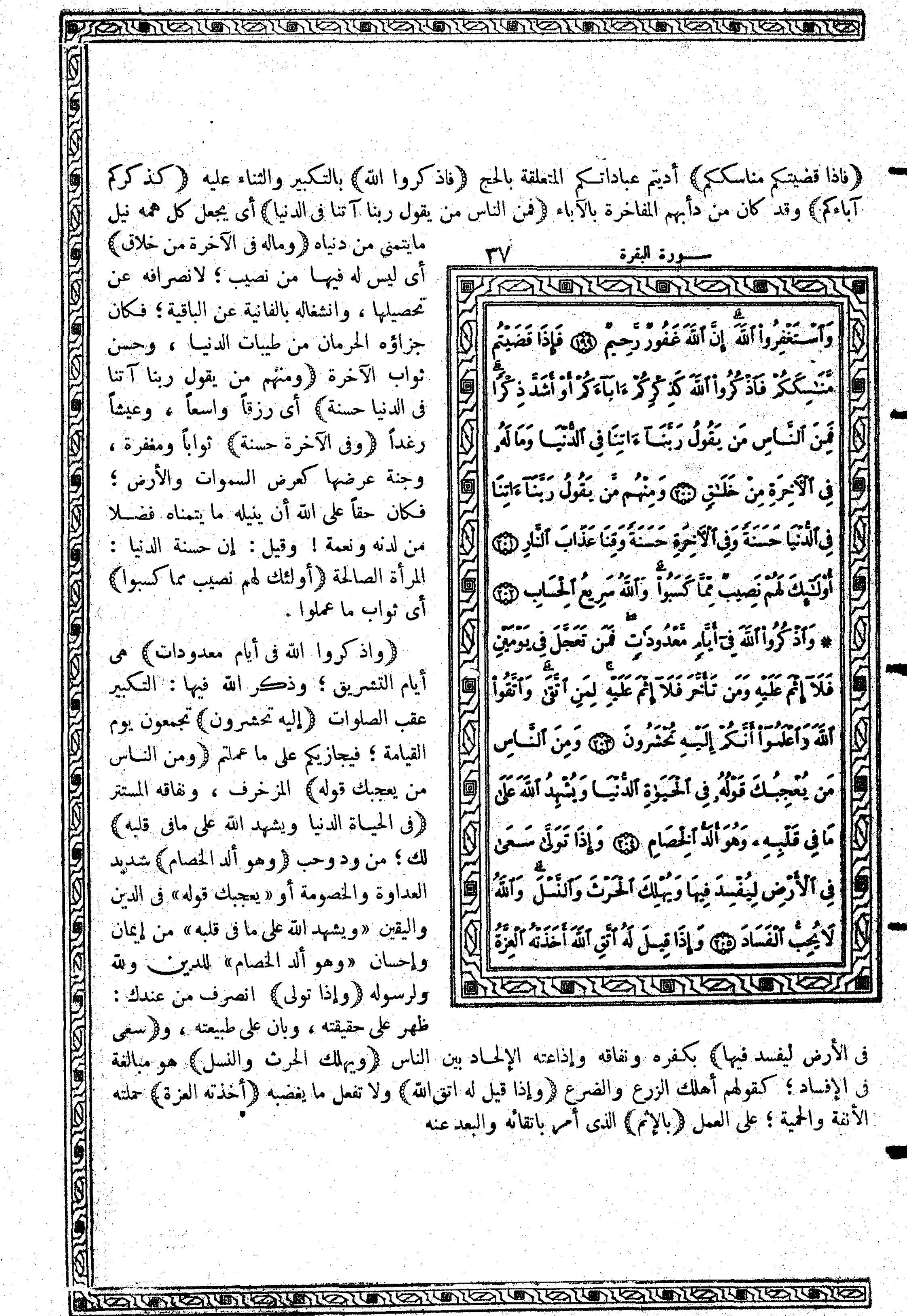
وَاسْتَغْفِرُوا

عن هادي الأمة صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ أنه قال لكعب بن عجرة: «لعلك آذاك هوامك؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين، أو انسك شاة» والفرق: ثلاثة آصع ﴿فاذا أمنتم﴾ الإحصار وكنتم في حال سعة وأمن ﴿فمن تمتع﴾ حل من إحرامه، واستباح ما كان محظوراً عليه ﴿بالعمرة﴾ وفاته الحج بسبب إحصاره.

والعمرة: زيارة البيت الحرام؛ مع الطواف والسعي بالإحرام ﴿إلى﴾ وقت ﴿الحج فما استيسر من الهدى﴾ أي فعليه دم بسبب تمتعه بمحظورات الإحرام ﴿إذا رجعتم﴾ أي من الحج ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ أي لم يكن من مستوطني مكة ﴿فلا رفث﴾ الرفث: الجماع، أو الفحش في القول ﴿ولافسوق﴾ الفسوق: الفجور، والترك لأمر الله تعالى ﴿ولا جدال في الحج﴾ أي لامجادلة، ولامخاصمة أثناء الحج. وذلك لأن الحج عبادة روحية تستدعي الصفاء وتفرغ النفس لعبادة ربها وحده، والبعد عن مواطن الخطأ والزلل ﴿وتزودوا﴾ لآخرتكم؛ بالعبادة والعمل الصالح والإخلاص ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ أي لا حرج عليكم إن ابتغيتم - مع الحج - التجارة والتكسب ﴿فاذا أفضتم﴾ رجعتم ﴿من عرفات﴾ جبل معروف بمكة ﴿المشعر الحرام﴾ جبل يقف عليه الإمام، واسمه «القزح» ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أي ارجعوا من حيث رجعوا؛ وهو أمر لقريش خاصة؛ وقد كانوا يقفون بالمزدلفة(١) ترفعاً عن الوقوف مع باقي المؤمنين بعرفة

---

(١) المزدلفة: موضع بين عرفات ومنى؛ سمي بذلك: لأنه يتقرب فيه إلى الله تعالى.. وهو من الازدلاف؛ وهو التقرب. وقيل: سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة، أو لمجيء الناس إليها في زلف من الليل.



وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ * وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

﴿فاذا قضيتكم مناسككم﴾ أديتم عباداتكم المتعلقة بالحج ﴿فاذكروا الله﴾ بالتكبير والثناء عليه ﴿كذكركم آباءكم﴾ وقد كان من دأبهم المفاخرة بالآباء ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا﴾ أى يجعل كل همه نيل مايتمني من دنياه ﴿وماله فى الآخرة من خلاق﴾ أى ليس له فيها من نصيب ؛ لانصرافه عن تحصيلها ، وانشغاله بالفانية عن الباقية ؛ فكان جزاؤه الحرمان من طيبات الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة﴾ أى رزقاً واسعاً ، وعيشاً رغداً ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ ثواباً ومغفرة ، وجنة عرضها كعرض السموات والأرض ؛ فكان حقاً على الله أن ينيله ما يتمناه فضلا من لدنه ونعمة ! وقيل : إن حسنة الدنيا : المرأة الصالحة ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ أى ثواب ما عملوا .

﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ هى أيام التشريق ؛ وذكر الله فيها : التكبير عقب الصلوات ﴿إليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة ؛ فيجازيكم على ما عملتم ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ المزخرف ، ونفاقه المستتر ﴿فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه﴾ لك ؛ من ود وحب ﴿وهو ألد الخصام﴾ شديد العداوة والخصومة أو « يعجبك قوله » فى الدين واليقين « ويشهد الله على ما فى قلبه » من إيمان وإحسان « وهو ألد الخصام » للدين ولله ولرسوله ﴿وإذا تولى﴾ انصرف من عندك : ظهر على حقيقته ، وبان على طبيعته ، و﴿سعى فى الأرض ليفسد فيها﴾ بكفره ونفاقه وإذاعته الإلحاد بين الناس ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ هو مبالغة فى الإفساد ؛ كقولهم أهلك الزرع والضرع ﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ ولا تفعل ما يغضبه ﴿أخذته العزة﴾ حملته الأنفة والحمية ؛ على العمل ﴿بالإثم﴾ الذى أمر باتقائه والبعد عنه

بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

وَأَنزَلَ

﴿فحسبه﴾ كافيه ﴿جهنم﴾ التي سيصلاها عقوبة له ﴿ولبئس المهاد﴾ الفراش ﴿من يشرى نفسه﴾ أي يبيعها ﴿فى السلم﴾ الإسلام؛ أو هو الاستسلام؛ وهو الصلح. أي اجتنبوا البغضاء والشحناء ﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ لأنه يدعوكم إلى التفرقة والشقاق ﴿فان زللتم﴾ وقعتم فى الزلة ﴿البينات﴾ المعجزات الظاهرات، والآيات الواضحات ﴿هل ينظرون﴾ ماينتظرون ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ أي بعذابه؛ كقوله تعالى: «أو يأتى أمر ربك» أي بالعذاب ﴿فى ظلل﴾ جمع ظلة؛ وهو ما أظلك ﴿من الغمام﴾ السحاب المتكاثف ﴿وقضى الأمر﴾ قامت القيامة، أو وجب العذاب ﴿سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ معجزة ظاهرة واضحة ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾ أي آياته؛ التي أنعم بها على عباده لهدايتهم، وإنجائهم من الضلال؛ لأنها من أجل النعم! وتبديلها: أنها سيقت لتكون سبباً للهداية، فيجعلونها سبباً للغواية ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ أي حببت إليهم، وزينها الشيطان لهم، وعجلنا لهم طيباتهم فيها. قال تعالى: «عجلنا لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا» ﴿ويسخرون﴾ فى الدنيا ﴿من الذين آمنوا﴾ لأنهم لايعبأون بالدنيا ولابأهلها؛ وكل همهم الحرص على رضا ربهم جل شأنه! ﴿والذين اتقوا﴾ ربهم وخافوه، وعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، وصدقوا برسوله، وآمنوا بالنور الذى أنزل معه؛ فهؤلاء ﴿فوقهم﴾ أي فوق الكافرين؛ الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار! فالمتقين فى الجنة، والكافرين فى النار! ﴿والله يرزق من يشاء﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿بغير حساب﴾ أي بغير سبب؛ فقد يرزق البليد، ويمنع النشيط، ويعطى العاصى، ويمنع الطائع؛ ما أراده كان، ومالم يرده لم يكن! ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد؛ هو دين الفطرة؛ أو كانوا كفاراً لا يعلمون حالهم ولامآلهم (انظر آية ١٩ من سورة يونس) ﴿فبعث الله النبيين﴾ إليهم ﴿مبشرين﴾ من أطاع بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من عصى بالنار!

﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ الذين يؤيدهم ﴿بالحق﴾ الذى يأمرون به ، ويسيرون عليه . و « الكتاب » اسم جنس : يقع على سائر الكتب المنزلة ؛ كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ﴿وما اختلف فيه﴾ أى فى الكتاب المنزل مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿إلا الذين أوتوه﴾ أى إلا الذين أنزل عليهم الكتاب ؛ أنزله الله تعالى مزيلا للاختلاف ، فجعلوه سبباً للخلاف ﴿بغياً بينهم﴾ أى حسداً وظلماً : كيف ينزل الكتاب على رجل غيرهم ؟ وكل واحد منهم يرى أنه أحق بنزوله عليه ، وأجدر ممن نزل عليه «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» و «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ﴿صراط﴾ طريق ﴿خلوا﴾ مضوا ﴿مستهم البأساء﴾ الفقر والحاجة ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وزلزلوا﴾ أزعجوا إزعاجاً شديداً ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ ما الذى يتصدقون به ؟ ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ مال ؛ أو هو كل ماينفق : من مال ، أو غذاء ، أو كساء ، أو دواء . وسمى تعالى ماينفق : خيراً ؛ لأنه سبب فى كل خير فى الدنيا والآخرة ؛ وناهيك بقول العظيم الكريم ﴿وما تفعلوا من خير فان الله به عليم﴾ يجزى عليه أحسن الجزاء ﴿كتب﴾ فرض ﴿عليكم القتال﴾ الجهاد فى سبيل الله ﴿وهو كره﴾ مكروه ﴿لكم﴾ لما فيه من مشقة ، وبعد عن الأهل والولد ؛ ولأنه فى ظاهره تعرض للتلف والفناء ، مع أنه أساس الحياة وسر البقاء ! ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً﴾ كالقتال ﴿وهو خير لكم﴾ فى الدنيا ؛ بتخليص البلاد ، ونجاة العباد ، ورفع كلمة الله تعالى ! وفى الآخرة بنعيم الجنان ، ورضا الرحمن ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً﴾ كالقعود مع الأهل والولد ﴿وهو شر لكم﴾ فى الدنيا ؛ بالذل والاستعباد ، وفقدان الكرامة ! وفى الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! ﴿والله يعلم﴾ مافيه الخير لكم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ فاتبعوا أوامره ، وابتغوا مافرضه عليكم ؛ ففيه نجاتكم وسعادتكم !

وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ الأشهر الحرم هى: ذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ، ورجب ﴿قتال فيه﴾ أى هل يجوز القتال فيه ؟ ﴿قل قتال فيه كبير﴾ من المشركين لكم ﴿وصد عن سبيل الله﴾ منع عن دينه ﴿و﴾ صد أيضاً عن ﴿المسجد الحرام وإخراج أهله﴾ المؤمنين ﴿منه﴾ وجميع ذلك ﴿أكبر عند الله﴾ إثماً وأعظم جرماً ؛ من القتال فى الأشهر الحرم . فكيف تسألون عن جوازالقتال فى الأشهر الحرم؟ قال تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص»

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ

﴿والفتنة﴾ اى الكفر ، أو الإخراج من مكة ، أو العذاب يوم القيامة ﴿أكبر من القتل﴾ وأنكى وأشد ﴿حبطت أعمالهم﴾ أى بطلت أعمالهم الحسنة التى عملوها ؛ لأن الكفر محبط لسائر الأعمال ﴿يسألونك عن الخمر﴾ ماحكمها ؟ (انظر آية ٩٠ من سورة المائدة) ﴿والميسر﴾ القمار ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ وأى إثم ! لقد أكرمك الله تعالى أيها الإنسان بالعقل المنير؛ فكيف تطفئه بالخمر؟ ! ووهبك الخير الكثير ؛ فكيف تتلفه بالقمار ؟ وهب أنك كاسب فيه غير خاسر؛ فبم تستحل لنفسك ماليس لك بحق ، وما هو محرم عليك ، وشؤم على عيالك ؟ ! ويدخل فى عموم الميسر : ما يسمونه باليانصيب ، وكذلك سائر المراهنات ، وسباق الخيل ؛ وكل كسب أو خسارة بغير سبب معقول ، ووجه مشروع : فهى إثم ! ﴿و﴾ فى الخمر والميسر ؛ مع مافيهما من أسقام وآثام ﴿منافع﴾ فى الظاهر ﴿للناس﴾ ألا يربحون فى تجارة الخمر ، ويكسبون فى لعب الميسر؟ ! وهو ربح ممقوت ؛ الخسارة منه أكسب ! وكسب حرام ؛ الإفلاس منه أربح ! وهى منافع حقيرة زائلة ؛ بجانب ما يترتب عليها من الآلام والآثام ! فقد أثبت الطب ــ قديمه وحديثه ــ ان الإدمان على الخمر : يسبب تلفاً بالكبد ، ويحول خلاياه الحية إلى ألياف ميتة ؛ كما تؤدى إلى تصلب الشرايين ، وإلى نزيف المخ ، وإلى إفساد الجهاز العصبى ، وضعف المدارك الحسية ! ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ أى أىّ شىء ينفقونه ؟ ﴿قل العفو﴾ أى الزائد عن نفقتكم وحاجاتكم . أو خير ما تنفقونه : «العفو» عند القدرة « ألا تحبون ان يغفر الله لكم »

﴿وإن تخالطوهم﴾ فى المعيشة ﴿والله يعلم المفسد﴾ منكم فى هذه المخالطة ﴿من المصلح﴾ الذى أراد بها تدبير أموال اليتامى ، وإصلاح أمورهم ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ لأحرجكم وضيق عليكم ﴿ولا تنكحوا المشركات﴾ أى لا تتزوجوهن . والمشركة : التى تدعو مع الله إلهاً آخر ؛ وهى غير الكتابية : اليهودية أو النصرانية . ﴿ولا تنكحوا المشركين﴾ أى لا تزوجوهم بناتكم ﴿حتى يؤمنوا﴾ وقد ذهب جماعة ـ منهم حبر الأمة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ـ إلى أن لفظ المشركات والمشركين ؛ يعم اليهود والنصارى لقوله تعالى :

لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ

«وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله» فهم مشركون أيضاً ؛ لأن إلههم الذى يعبدونه يلد ؛ وإلهنا تعالى «لم يلد ولم يولد» ويعارض هذا الرأى : قوله تعالى «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب» وقد قصد بهم اليهود والنصارى الذين قالوا : عزير ابن الله ، والمسيح ابن الله . وعلى ذلك يكون المراد بالمشركين : عبدة الأصنام والنار والكواكب ، ومن شاكلهم ؛ ممن لا يؤمنون بوجود إله أصلا ! ﴿أولئك﴾ المشركون والمشركات ﴿يدعون إلى النار﴾ أى إلى الكفر المؤدى إلى النار ؛ فلا تجوز مناكحتهم ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة﴾ بما يدعو إليه من أعمال صالحات ؛ موصلة إليهما ، موجبة لهما ﴿بإذنه﴾ بأمره وإرادته ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أى عن شأن الزوجة فى مدة الحيض ، وما ينبغى على الزوج حيالها وقت نزول دم الحيض ؟ ﴿قل هو أذى﴾ مستقذر مبغوض ﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن﴾ أى لا تجامعوهن ؛ لأن الأصل فى الجماع : إنتاج الولد ؛ وهن فى هذه الحال غير مؤهلات للحمل . وقد جعل الله التلذذ عند التقاء الرجل بالمرأة : حرصاً على بقاء الجنس ، واستيفاء لحاجة الكون من بنى آدم وغيره من الأحياء ؛ والمرأة الحائض تستقذر عادة ؛ فاذا حاول الرجل إتيانها ـ وهى على هذه الحال ـ ربما أبغضها استقذاراً لها ؛ فنهانا الحكيم العليم بعدم قربانهن فى المحيض ﴿حتى يطهرن﴾ أى حتى ينقطع الدم ، ويمتنع الأذى ؛ ويغتسلن ؛ فيصرن نظيفات طاهرات مؤهلات لما أعدهن الله تعالى له . وقد أثبت الطب تحقق الضرر من التقاء الرجل بالمرأة وقت حيضها ﴿فإذا تطهرن فأتوهن﴾ جامعوهن ﴿من حيث أمركم الله﴾ فى الفرج ؛ لا فى مكان آخر يكرهونه ويغضب الله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ شبههن الله تعالى بالحرث : لما يلقى فى أرحامهن وينتجن من الولد ﴿أنى شئتم﴾ أى بأى طريقة أردتم ؛ فى المكان المعلوم : موضع الحرث ، لا موضع الفرث . وزعم بعض الفساق : أن الله تعالى أباح إتيان المرأة فى دبرها ؛ مستدلا بقوله تعالى «أنى شئتم» أى فى أى موضع أردتم . والمعلوم أن معنى «أنى» لغة : =

= كيف . فلا تعطى المعنى الفاسد الذى ذهبوا إليـه ! ومن المعلوم أيضاً أن الله تعالى أنزل هذا القرآن على مخـلوقات تسمع وتعقل وتعى ؛ فاذا ما كان هناك أمر تعاف إتيانه أحط الحيوانات ؛ فـكيف يتوهم حصوله من أفضل المخلوقات ! ولم نسمع أن حماراً أتى أتاناً فى دبرها ؛ فـكيف نصدق أن إنساناً يستسيغ أن يكره امرأته على إتيانها فى غير ما أمر الله تعالى به ؟! فليتق الله من يؤمن بالله ، ولايدع شيطانه ينزل به إلى درك لم تنزل إليه البهائم التى لاتعقل ! وإن الإنسان ليرى العـذرة فى الطريق فيستقذر أن يمشى بقربها ؛ فـكيف يذهب بارادته ويندس فى مكانها ووعائها !

أف لمن يفعل ذلك ، أو يحاوله ؛ وله الويل يوم يسأل عنه ويعاقب عليه !

عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ

فَإِنْ

﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ أى لا تجعلوه تعالى معرضاً لأيمانكم ؛ فتحلفون به فى كل وقت وحين ، وفى كل مناسبة ، وتعرضـوا اسمه الكريم للابتذال بكثرة الحلف به . وقد ذم الله تعالى كثير الحلف بقوله «ولا تطع كل حلاف مهين» أو المعنى : ولاتجعلوا الله مانعاً وحاجزاً دون الخير ؛ كمن يحلف على قطيعة رحم ، أو عدم الإصلاح بين متخاصمين ، أو عدم التصدق ؛ أو ماشا كل ذلك . قال الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ؛ فليكفر عن يمينه» ﴿أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ وهى الأمور المحلوف عليها : أداء أو تركا . ويجوز أن يكون المعنى: «ولاتجعلوا الله عرضة لأيمانكم» إلا أن كان ذلك بسبب البر والتقوى والإصلاح بين الناس ؛ فحينئذ يجوز لـكم أن تحلفوا بقصد إقناع البعض وإرضائه عن الآخر؛ كمن يحلف للزوجة المغاضبة : أن زوجها يقول عنها : إنها خير امرأة . وكمن يحلف للأخ المخاصم : أن أخاه يدعو له بالهـداية والخير ويتطلب رضاه. وقد يكون الواقع عكس المحلوف به ﴿لايؤاخذكم الله﴾ لايعاقبكم ﴿باللغو فى أيمانكم﴾ وهومالا يعقد عليه القلب ؛ كقول الإنسان : لا والله ، وبلى والله ﴿يؤلون﴾ يقسمون . وبها قرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ﴿تربص﴾ التربص: الانتظار ﴿فاءوا﴾ رجعوا ﴿ثلاثة قروء﴾ ثلاثة حيضات ﴿وبعولتهن﴾ أزواجهن ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ لقد كانت النساء قبل الإسلام مستعبدات ، مملوكات ، مهانات ؛ وكان الرجل يرى أن وجود المرأة معرة ؛ ويعاملها معاملة العبيد ـ بل أسوأ من معاملة العبيد ـ وكانت المرأة توهب وتورث كسائر الجمادات والحيوانات ؛ ويزوجها وليها لمن لا تريد ولا ترغب رغم أنفها ؛ شأن جهلة هذا العصر : الذين يضحون ببناتهم على مـذابح الأطماع الدنيئة ؛ ابتغاء العرض الزائل . وكان الرجل =

= فى الجاهلية إذا مات عن زوجة : جاء ابنه - من غيرها - أو جاء أحد ورثته ؛ فألقى ثوبه عليها وقال : ورثت امرأته كما ورثت ماله . وتصير فى حوزته ، ويصير أحق بها من كل الناس - حتى من أهلها وأبويها - فان شاء تزوجها من غير صداق ، وإن شاء زوجها وأخذ صداقها لنفسه . فلما أشرقت شمس الإسلام وبزغ قمر السلام : خلصهن من هذا الاستعباد وأنقذهن من الذل والاسترقاق ، وأوجب لهن على الرجال - مثل مايجب للرجال عليهن - من حسن العشرة ، وترك المضارة ، والحب ، والإخلاص ، والمودة ، والرحمة ! وغير ذلك من الحقوق التى تعرف بالبديهة ، ويحس بها كل ذى عقل وقلب ! وأمر ألا تزوج إلا باذنها ، وبمن ترتضيه لنفسها . ولا حجة لمن قال بعكس ذلك من الفقهاء ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لاتنكح الأيم(١) حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ؛ واذنها صماتها» وقد رد الرسول الكريم ؛ صلوات الله تعالى وتسليماته عليه : تزويج الأب ابنته بغير اذنها ! وقد حثنا الدين الحنيف على التلطف بهن والعناية بأمرهن !

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا ءَايَٰتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَٰبِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم

وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : انى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى . وأتى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه بامرأة تصر على فراق زوجها ؛ فنظر إلى الزوج فوجده أشعث غير نظيف الثياب ؛ فقال : أدخلوه الحمام وألبسوه الأبيض . فلما جىء به نظيف الجسم ، نظيف الثياب ؛ قال لها : أتقيمين معه ؟ قالت نعم . فاصلح بينهما ؛ وقال لمن حضره : تصنعوا لهن كما يتصنعن لكم . ﴿الطلاق مرتان﴾ دفعتان مفترقتان . فلو طلقها ثلاثاً بلفظ واحد : لم يقع إلا واحدة (انظر مبحث الطلاق بآخر الكتاب . وانظره أيضاً مفصلا فى «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية) ﴿تسريح﴾ تطليق ﴿باحسان﴾ من غير إجحاف ولامضارة ﴿ولا يحل لكم﴾ أى حرام عليكم ﴿أن تأخذوا مما آتيتموهم﴾ من المهر وغيره ﴿إلا أن يخافا﴾ الزوجان ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ بأن يخشى الزوج أن يسىء معاملتها - لكراهته لها - أو أن تسىء عشرته - لبغضها له - ﴿فان خفتم﴾ أيها الحكام . قال تعالى : «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» ﴿فلاجناح عليهما﴾ لا إثم ولاحرج ﴿فيما افتدت به﴾ نفسها ؛ من=

(١) الأيم : من لازوج لها ، بكراً كانت أم ثيبا . والمراد بها فى الحديث الشريف : الثيب ؛ لمقابلتها فى الحديث مع البكر .

بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

وَلَا

= رد ما أخذته ـ إن كانت كارهة له ـ ولايجوز للزوج أن يأخذ أكثر مما أعطى؛ إذ هوظلم بين ، ودليل على خسة الطبع ، ودناءة النفس! وحكمة رد المهر : أنها له كارهة ، ولصحبته مبغضة ؛ وهو فى حاجة للتزوج بغيرها ؛ فوجب أخذ مادفعه ليمهر به سواها . أما إذا كان هو الكاره لها ، المائل عنها لغيرها ؛ فلا يحل له أصلا أن يأخذ شيئاً مما آتاها «أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً» هذا وقد جاءت جميلة بنت سلول ـ وكانت زوجا لثابت بن قيس ـ إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقالت له : يارسول الله إنى لا أعتب على ثابت فى دين ولا خلق ؛ ولكنى أخشى الكفر بعد الإسلام ؛ لشدة بغضى له ! فقال لها سيد ولد آدم : أتردين عليه حديقته التى أصدقك ؟ قالت : نعم وزيادة . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : أما الزيادة فلا ؛ ولكن حديقته . فأخذها ثابت وخلى سبيلها . وهذا أول خلع فى الإسلام .

وقال بعض الفقهاء بجواز أخذ شىء من مالها . ولا حجة لهم فيه : لقوله تعالى «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً» واستثنى من ذلك بقوله جل شأنه «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به» أى فى هذه الحال فقط يحل أخذ بعض المهر أو كله ، فى حدود قوله تعالى «مما آتيتموهن» من المهور والهدايا ونحوهما (انظر آية ٢٠ من سورة النساء) ﴿فإن طلقها﴾ للمرة الثالثة ﴿فلا تحل له﴾ مراجعتها ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ حتى تتزوج رجلا آخر ، ويبنى بها ويذوق عسيلتها وتذوق عسيلته ﴿فإن طلقها﴾ الزوج الآخر ﴿فلا جناح عليهما﴾ هى والمطلق الأول ﴿أن يتراجعا﴾ بعد انقضاء عدتها من زوجها الآخر بعقد جديد ؛ وذلك ﴿إن ظنا﴾ تأكداً ﴿أن يقيما حدود الله﴾ أوامره وشرائعه ؛ التى سنها لعباده : من ترك المضارة ، وحسن المعاملة ، وطيب المعاشرة ، وتوافر المودة والرحمة ! ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أى قاربن آخر عدتهن ﴿ولا تمسكوهن ضرارا﴾ أى مريدين الإضرار بهن ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بارتكاب مانهى الله تعالى عنه ، وتعريضها للعقاب ﴿نعمة الله﴾ الإسلام ، ونبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ! ﴿يعظكم به﴾ أى بالقرآن ﴿فبلغن أجلهن﴾ انقضت عدتهن ﴿تعضلوهن﴾ تمنعوهن ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ الذين كانوا قبلكم . أو الذين يتقدمون إليهن ، أو هو خطاب للأولياء . ﴿ذلك﴾ الأمر والنهى المتقدم ﴿يوعظ به﴾ يتعظ ويعمل به ﴿من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ الذى يعاقب فيه العاصى على عصيانه ، ويثاب فيه الطائع على طاعته ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ أفضل للمآب وأنمى =

= للثواب ﴿وأطهر﴾ لقلوبكم ونفوسكم ﴿والله يعلم﴾ ما يصلحكم فى دنياكم وأخراكم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ لجهلكم وقصور أفهامكم، وطمعكم فى الحطام الزائل الفانى، ونسيانكم النعيم الدائم الباقى! ﴿حولين﴾ عامين ﴿وعلى المولود له﴾ أى الوالد؛ ولم يقل: وعلى الوالد؛ إشعاراً بأن الوالدات إنما ولدن لهم ﴿بالمعروف﴾ من غير إسراف ولا تقتير ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ أى لا يكلف الوالد بما لا يطيق؛ بل ينفق النفقة التى يستطيعها «لينفق ذو سعة من سعته» و ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ أى بسبب ولدها؛ بألا ينفق عليها، أو يهددها بأخذه منها ﴿ولا﴾ يضار ﴿مولود له بولده﴾ بأن تطالبه بما لا يستطيع، أو تترك له ولده ـ بعد أن ألفها واعتاد صحبتها ـ وما أشبه ذلك. واضافة الولد إليهما فى الموضعين: استعطافا لهما، وهزاً لمشاعرهما! ﴿وعلى الوارث﴾ أى وارث الصبى، أووارث الأب ﴿فان أرادا﴾ أى الأب والأم ﴿فصالا﴾ فطام الصغير ﴿وان أردتم﴾ أيها الأزواج الآباء ﴿أن تسترضعوا أولادكم﴾ أى تسترضعوا لأولادكم مراضع غير الوالدات ﴿إذا سلمتم ما آتيتم﴾ أى ما أردتم إيتاءه لهن من الأجرة. وقرىء «ما أوتيتم» أى ما آتاكم الله تعالى، وأقدركم عليه ﴿ويذرون﴾ يتركون ﴿يتربصن﴾ ينتظرن ﴿أربعة أشهر وعشرا﴾ وهى عدة المتوفى عنها زوجها؛ ما لم تكن حاملا؛ فعدتها أبعد الأجلين: الوضع، أو الأربعة الأشهر والعشر ﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ قضين عدتهن ﴿فعلن فى أنفسهن﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿بالمعروف﴾ بالوجه الذى لا ينكره الشرع؛ فلا يبالغن فى التزين، ولا يفرطن فى التبرج ﴿ولاجناح عليكم﴾ لا حرج، ولا إثم ﴿فيما عرضتم﴾ لوحتم وأشرتم ﴿به من خطبة النساء﴾ كأن تقول لها: إنك لجميلة، أوصالحة، أو من غرضى أن أتزوج. وشبه ذلك مما لا ينكره الذوق، ولا يمقته الدين ﴿أو

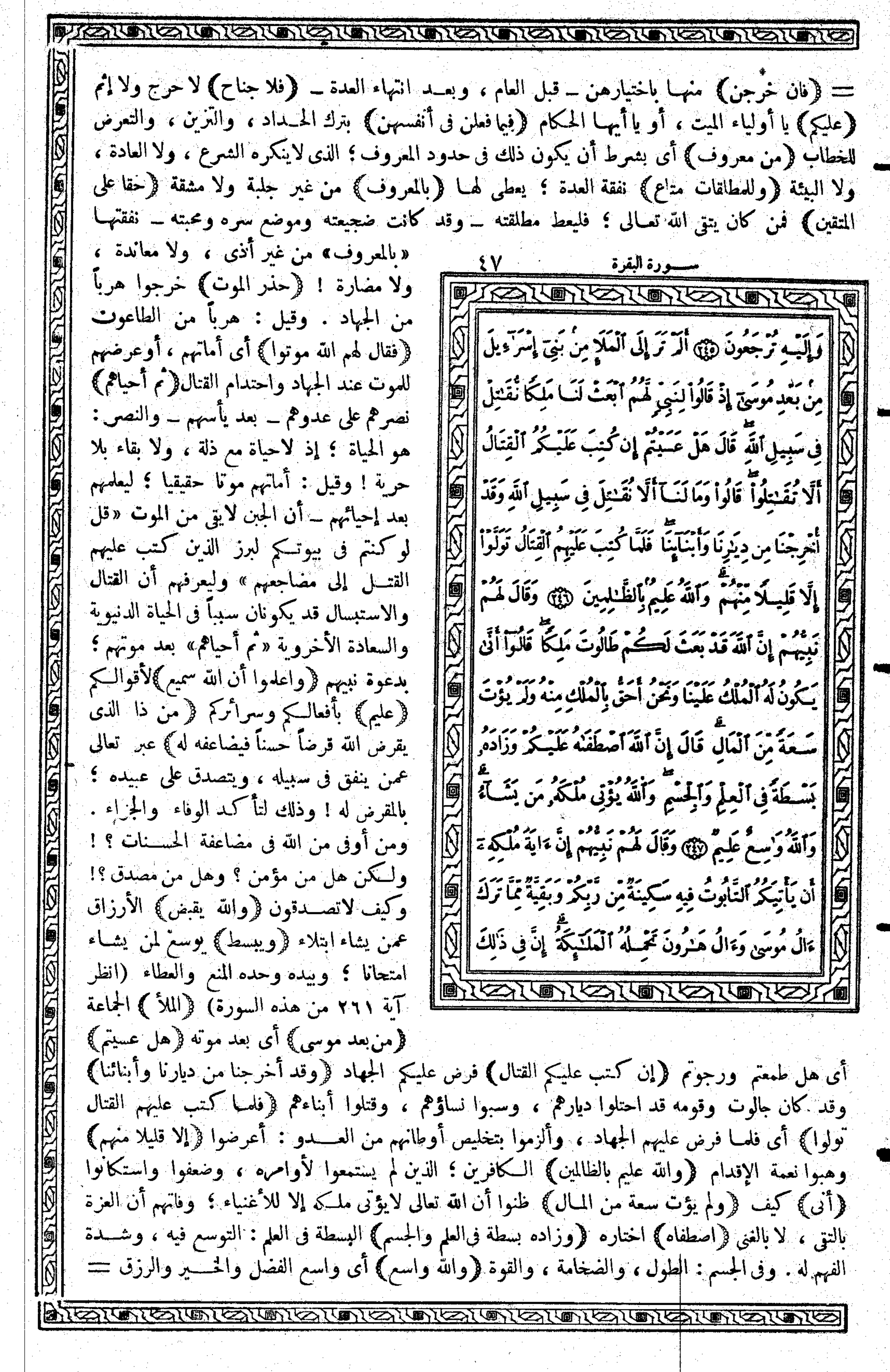
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ

أكننتم﴾ أضمرتم ﴿ولكن لاتواعدوهن﴾ على اللقاء ﴿سرا﴾ خفية عن أعين الرقباء؛ فى هذا ما فيه من تمكين للشيطان، الذى يجرى مجرى الدم من الإنسان! وقيل: المراد بالسر: الزنا، أو هو التعريض بالجماع. والمراد: لا يكون تعريضكم سفهاً وفجوراً؛ فذكر أمثال ذلك ـ أمام غير الزوجة ـ فحش؛ لا يرتكبه إنسان! ﴿ولا تعزموا﴾ تقصدوا قصداً جازماً ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ بانقضاء عدتها ﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم﴾ من سوء وشر ﴿فاحذروه﴾ خافوا عقابه، ووطنوا أنفسكم على فعل الخير ما استطعتم؛ وروضوا قلوبكم على عمل الطاعات، وتجنب المخالفات ﴿لا جناح عليكم﴾ لا حرج ﴿إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ تجامعوهن ﴿أو تفرضوا لهن فريضة﴾ أى لم تقدروا لهن مهراً ﴿ومتعوهن﴾ أى أعطوهن =

= مايتمتعن به ، واكسوهن بعد الطلاق ﴿على الموسع﴾ الغني ﴿قدره﴾ طاقته ووسعه ﴿وعلى المقتر﴾ الفقير ﴿حقاً﴾ أى ذلك التمتيع «حقاً» واجباً ﴿على المحسنين﴾ الذين أحسنوا أعمالهم ، ورغبوا فى إرضاء ربهم ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾ قدرتم لهن مهراً ﴿فنصف ما فرضتم﴾ أى فلهن أخذ نصف المهر ﴿إلا أن يعفون﴾ أى تعفو الزوجة ووليها ؛ فيردون المهر كله ﴿أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ وهو الزوج ؛ فلا يأخذ من المهر شيئاً ؛ تلطفاً منه وكرما ! ﴿وأن تعفوا﴾ أيها الأزواج ؛ فتتركوا جميع المهر ﴿أقرب للتقوى﴾ وأرضى لله ! ومن المعلوم أن العبد إذا اتقى ربه وأرضاه ؛ فانه تعالى يجازيه على ذلك ؛ بأن يخلف عليه أكثر مما فاته من مال ، وأن يعوضه خيراً ممن تركها ! ﴿ولاتنسوا الفضل بينكم﴾ أى تذكروا أن الأكمل لدينكم،والأجمل لفعالكم ؛ ألاتتشددوا وتقلبوا ماأقدمتم عليه من خير وتوثيق لروابط المحبة ، إلى عداء كبير ، وشر مستطير !ومن عجب أن الناس اليوم لايفعلون مابه الله أمر ؛ بل يتنكرون لأوامره ، ويتشددون عند حدوث ذلك ، ويتخذونه مغنما وهو غرام ، ويفرحون بما يأخذون وهو حرام !وتكون عاقبة الذين أساءوا السوأى ؛ فى الدنيا بعدم التوفيق ، وسوء الرفيق،وفى الآخرة بالحرمان من رضا الرحمن ! ﴿حافظوا على الصلوات﴾أى أدوها فى أوقاتها ﴿والصلاة الوسطى﴾ صلاة العصر ؛ لتوسطها صلاة اليوم ، واشتغال الناس ــ فى وقتها ــ بأعمالهم ومتاجرهم . وقيل : صلاة الظهر ؛ لتوسطها النهار . وقيل : المغرب أو العشاء . وقيل : الفجر ؛ لتوسطها بين صلاة الليل والنهار ، ولما فيها من المشقة والثقل على المنافقين . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «أثقل الصلاة على المنافقين : الصبح والعشاء» وقد أخفاها تعالى : ليحافظ المؤمنون على صلواتهم أجمع ﴿وقوموالله قانتين﴾ طائعين خاشعين ﴿فإن خفتم﴾ عند حلول وقت الصلاة من عدو يهاجمكم ﴿فرجالا أوركبانا﴾ أى فصلوا قائمين أوراكبين ولو إلى غير قبلة «فأينما تولوا فثم وجه الله» ﴿فإذا أمنتم﴾ أى إذا زالت أسباب الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ اشكروه ، واعبدوه ، وصلوا له ﴿كما علمكم﴾ من أحكام دينكم ، ومنافع دنياكم ﴿مالم تكونوا تعلمون﴾ أى ما كنتم تجهلونه ، ولا تستطيعون علمه بعقولكم القاصرة ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون﴾ يتركون ﴿أزواجا﴾ فليوصوا ﴿وصية لأزواجهم﴾ أى يجب عليهم أن يوصوا قبل موتهم لأزواجهم ﴿متاعاً إلى الحول﴾ أى أن ينفق عليهن من ماله لمدة عام . قيل : إنه منسوخ بقوله تعالى «أربعة أشهر وعشراً» ولعله حق من حقوق الزوجة ؛ لها أن تتمتع به ما دامت لم تتزوج غير زوجها المتوفى ﴿غير إخراج﴾ أى لا يخرجهن أحد من مساكنهن =

وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ

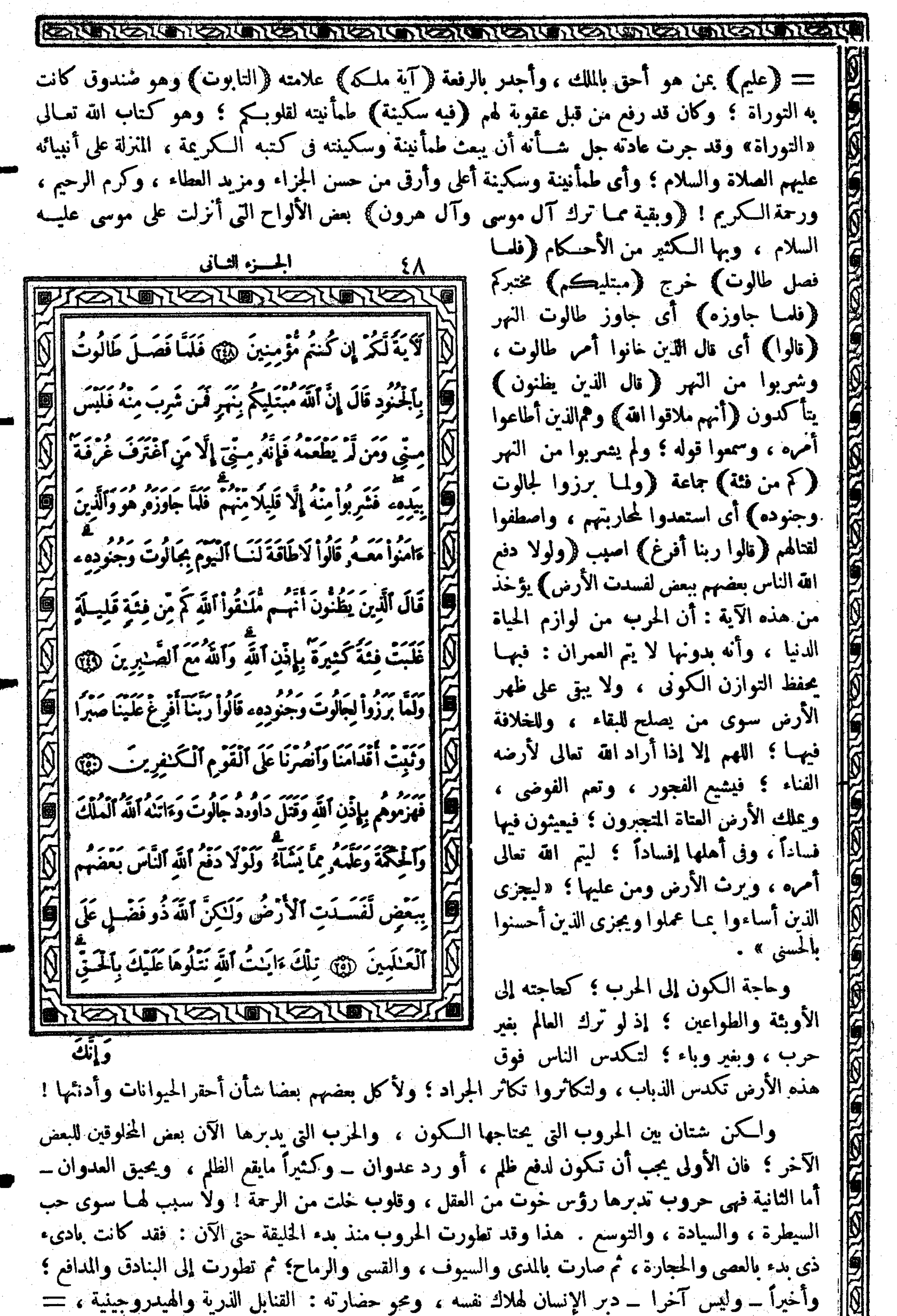
وَإِلَيْهِ



= ﴿فإن خرجن﴾ منها باختيارهن ـ قبل العام ، وبعد انتهاء العدة ـ ﴿فلا جناح﴾ لا حرج ولا إثم ﴿عليكم﴾ يا أولياء الميت ، أو يا أيها الحكام ﴿فيما فعلن فى أنفسهن﴾ بترك الحداد ، والتزين ، والتعرض للخطاب ﴿من معروف﴾ أى بشرط أن يكون ذلك فى حدود المعروف ؛ الذى لا ينكره الشرع ، ولا العادة ، ولا البيئة ﴿وللمطلقات متاع﴾ نفقة العدة ؛ يعطى لها ﴿بالمعروف﴾ من غير جلبة ولا مشقة ﴿حقا على المتقين﴾ فمن كان يتقى الله تعالى ؛ فليعط مطلقته ـ وقد كانت ضجيعته وموضع سره ومحبته ـ نفقتها

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

«بالمعروف» من غير أذى ، ولا معاندة ، ولا مضارة ! ﴿حذر الموت﴾ خرجوا هرباً من الجهاد . وقيل : هرباً من الطاعون ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أى أماتهم ، أو عرضهم للموت عند الجهاد واحتدام القتال ﴿ثم أحياهم﴾ نصرهم على عدوهم ـ بعد يأسهم ـ والنصر : هو الحياة ؛ إذ لا حياة مع ذلة ، ولا بقاء بلا حرية ! وقيل : أماتهم موتا حقيقيا ؛ ليعلمهم بعد إحيائهم ـ أن الجبن لا يقى من الموت «قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» وليعرفهم أن القتال والاستبسال قد يكونان سبباً فى الحياة الدنيوية والسعادة الأخروية «ثم أحياهم» بعد موتهم ؛ بدعوة نبيهم ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم وسرائركم ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾ عبر تعالى عمن ينفق فى سبيله ، ويتصدق على عبيده ؛ بالمقرض له ! وذلك لتأكد الوفاء والجزاء . ومن أوفى من الله فى مضاعفة الحسنات ؟ ! ولكن هل من مؤمن ؟ وهل من مصدق ؟! وكيف لا تصدقون ﴿والله يقبض﴾ الأرزاق عمن يشاء ابتلاء ﴿ويبسط﴾ يوسع لمن يشاء امتحانا ؛ وبيده وحده المنع والعطاء (انظر آية ٢٦١ من هذه السورة) ﴿الملأ﴾ الجماعة ﴿من بعد موسى﴾ أى بعد موته ﴿هل عسيتم﴾ أى هل طمعتم ورجوتم ﴿إن كتب عليكم القتال﴾ فرض عليكم الجهاد ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ وقد كان جالوت وقومه قد احتلوا ديارهم ، وسبوا نساءهم ، وقتلوا أبناءهم ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا﴾ أى فلما فرض عليهم الجهاد ، وألزموا بتخليص أوطانهم من العدو : أعرضوا ﴿إلا قليلا منهم﴾ وهبوا نعمة الإقدام ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الكافرين ؛ الذين لم يستمعوا لأوامره ، وضعفوا واستكانوا ﴿أنى﴾ كيف ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ ظنوا أن الله تعالى لا يؤتى ملكه إلا للأغنياء ؛ وفاتهم أن العزة بالتقى ، لا بالغنى ﴿اصطفاه﴾ اختاره ﴿وزاده بسطة فى العلم والجسم﴾ البسطة فى العلم : التوسع فيه ، وشدة الفهم له . وفى الجسم : الطول ، والضخامة ، والقوة ﴿والله واسع﴾ أى واسع الفضل والخير والرزق =



= ﴿عليم﴾ بمن هو أحق بالملك ، وأجدر بالرفعة ﴿آية ملكه﴾ علامته ﴿التابوت﴾ وهو صندوق كانت به التوراة ؛ وكان قد رفع من قبل عقوبة لهم ﴿فيه سكينة﴾ طمأنينة لقلوبكم ؛ وهو كتاب الله تعالى «التوراة» وقد جرت عادته جل شأنه أن يبعث طمأنينة وسكينته فى كتبه الكريمة ، المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ؛ وأى طمأنينة وسكينة أعلى وأرقى من حسن الجزاء ومزيد العطاء ، وكرم الرحيم ، ورحمة الكريم ! ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ بعض الألواح التى أنزلت على موسى عليه السلام ، وبها الكثير من الأحكام ﴿فلما فصل طالوت﴾ خرج ﴿مبتليكم﴾ مختبركم ﴿فلما جاوزه﴾ أى جاوز طالوت النهر ﴿قالوا﴾ أى قال الذين خانوا أمر طالوت ، وشربوا من النهر ﴿قال الذين يظنون﴾ يتأكدون ﴿أنهم ملاقوا الله﴾ وهم الذين أطاعوا أمره ، وسمعوا قوله ؛ ولم يشربوا من النهر ﴿كم من فئة﴾ جماعة ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ أى استعدوا لمحاربتهم ، واصطفوا لقتالهم ﴿قالوا ربنا أفرغ﴾ اصبب ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ يؤخذ من هذه الآية : أن الحرب من لوازم الحياة الدنيا ، وأنه بدونها لا يتم العمران : فبها يحفظ التوازن الكونى ، ولا يبقى على ظهر الأرض سوى من يصلح للبقاء ، وللخلافة فيها ؛ اللهم إلا إذا أراد الله تعالى لأرضه الفناء ؛ فيشيع الفجور ، وتعم الفوضى ، ويملك الأرض العتاة المتجبرون ؛ فيعيثون فيها فساداً ، وفى أهلها إفساداً ؛ ليتم الله تعالى أمره ، ويرث الأرض ومن عليها ؛ «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى» .

لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

وَإِنَّكَ

وحاجة الكون إلى الحرب ؛ كحاجته إلى الأوبئة والطواعين ؛ إذ لو ترك العالم بغير حرب ، وبغير وباء ؛ لتكدس الناس فوق هذه الأرض تكدس الذباب ، ولتكاثروا تكاثر الجراد ؛ ولأكل بعضهم بعضا شأن أحقر الحيوانات وأدنئها !

ولكن شتان بين الحروب التى يحتاجها الكون ، والحرب التى يدبرها الآن بعض المخلوقين للبعض الآخر ؛ فان الأولى يجب أن تكون لدفع ظلم ، أو رد عدوان ـ وكثيراً مايقع الظلم ، ويحيق العدوان ـ أما الثانية فهى حروب تدبرها رؤس خوت من العقل ، وقلوب خلت من الرحمة ! ولا سبب لها سوى حب السيطرة ، والسيادة ، والتوسع . هذا وقد تطورت الحروب منذ بدء الخليقة حتى الآن : فقد كانت بادىء ذى بدء بالعصى والحجارة ، ثم صارت بالمدى والسيوف ، والقسى والرماح؛ ثم تطورت إلى البنادق والمدافع ؛ وأخيراً ـ وليس آخرا ـ دبر الإنسان لهلاك نفسه ، ومحو حضارته : القنابل الذرية والهيدروجينية ، =



= والـكوبالت ، والصواريخ الموجهة ؛ وماشا كل ذلك من وسائل التخريب والهلاك ؛ ليهدم مابنته الإنسانية فى مئات الملايين من السنين ، ويجتاح ما شيدته الفطر السليمة من مدنية وحضارة بتوجيه من موجد الـكون ومنشئه تعالى ! ولو استمرأ دعاة السوء والحرب ماهم عليه الآن ؛ لحق لنا أن نقول بحق: ان الجنس الإنسانى قد أصبح بغيرشك أغبى من الذباب ـ وقدهداه الله تعالى النجدين ـ وأحط من الصرصور ـ وقد خلقه تعالى فى أحسن تقويم ـ وهذا نهاية الطيش والحمق والجنون! وهو إن دل على شىء ؛ فلايدل إلا على عقول عفنة ، أتلفها الجشـم والطمع ! وقلوب متحجرة ، أفسدتها الأنانية وحب الذات ! وحقاإن أعدى أعداء الإنسان ؛ لهو الإنسان نفسه !

وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَالْكَٰفِرُونَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُ حِفْظُهُمَا

ولو خير العقلاء بين هـذه الحروب وتلكم الأوباء ؛ لاختاروا الثانية وفضلوهاعلى الأولى وذلك لأن الأولى من صنع حثالة الخلائق ، ووحوش البشرية ؛ والثانية من صنع الحـكيم العليم ، العزيز الرحيم ، الذى لايصدر أعماله إلا بحكمة ، ولا ينفذ قضاءه إلا برحمة ؛ وكل شىء عنده بمقدار !

وترى دعاة الحروب ـ رغم استعدادهم بتلك القوى الهائلة ، وهذه الأدوات المهلكة ـ يتميزون بالجبن والخور : يخشـون المحن ، وعاديات الزمن ؛ تحيط بهم الأطباء من كل جانب ؛ ليحافظوا على نبضهم وضغطهم وحرارتهم فهم دائماً فى مرض ونصب ، وهم وتعب ! (انظر آية ٥٠ من سورة طه) ﴿ولـكن الله ذو فضل على العالمين﴾ فيسـخر هؤلاء للحرب : تبعا لحاجة الـكون إلى الحرب ؛ لا تبعاً لحاجاتهم وأطماعهم ؛ فتعالى القادر القاهر ، المسير المسخر الذى هو بكل شىء عليم ! ﴿تلك الرسـل﴾ الذين نقص عليك قصصهم معجزة لنبوتك ، وآية لأمتك ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ لما ميزناه به عن الآخرين ﴿منهم من كلم الله﴾ كموسى عليه الصلاة والسلام ؛ وهى مرتبة جليلة : اصطفاه الله تعالى لها ، واختصه بها . (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) ﴿ورفع بعضهم على بعض درجات﴾ وناهيك برفعة قدر نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام !

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم !

لم يساووك فى علاك وقد حا ل سناً منك دونهم وسناء !

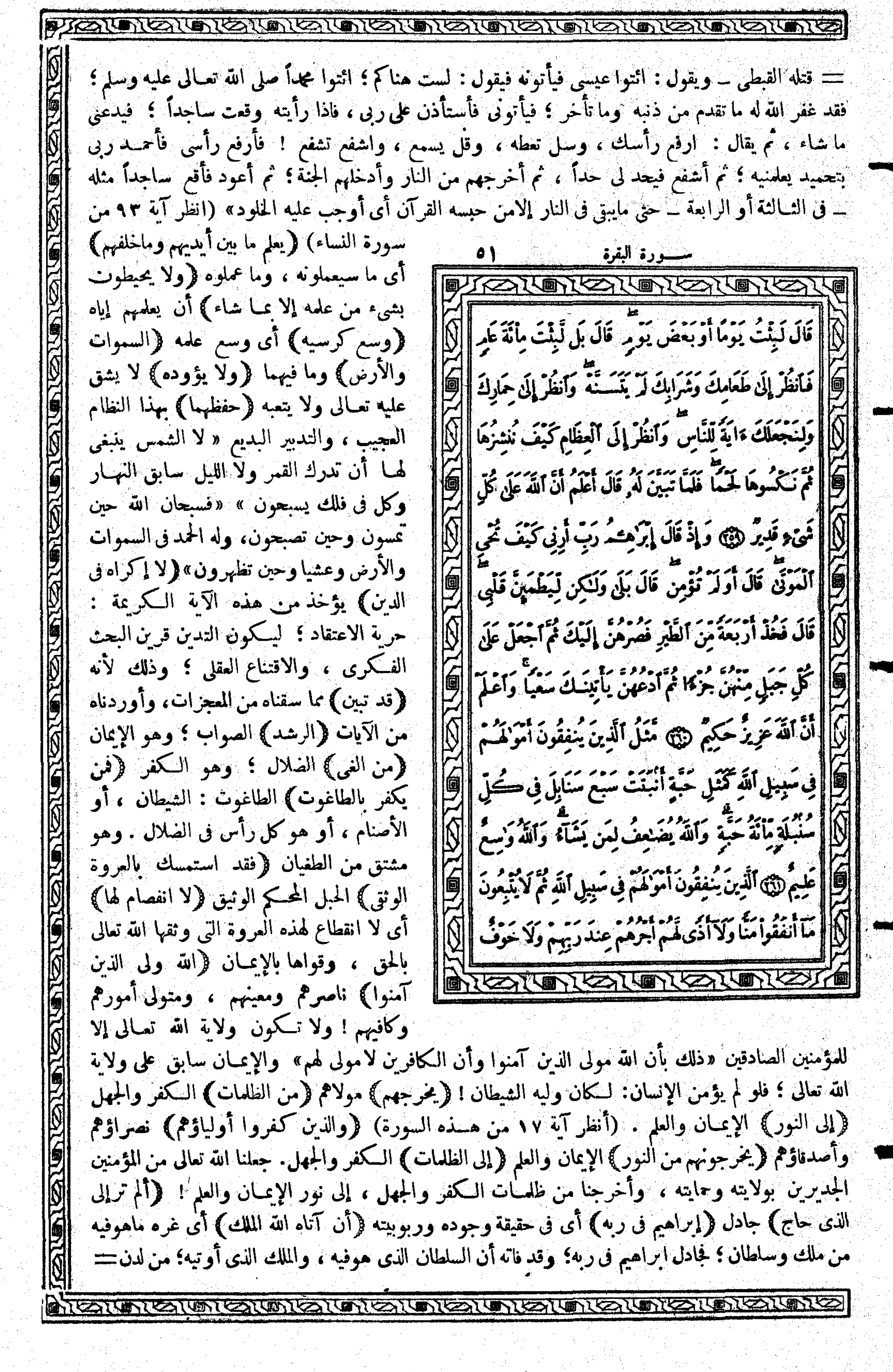
﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ المعجزات الواضحات ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ جبريل عليه السلام . وقيل الإنجيل ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾ زكوا وتصدقوا ﴿مما رزقناكم﴾ به ، وأمرناكم بالإنفاق منه ﴿من قبل أن يأتى يوم﴾ هو يوم القيامة =

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم
مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَٰهِمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ

قَالَ

= ﴿لابيع فيه﴾ أى لامعاملة فيه بين الناس كشأنهم فى الدنيا . أو هو إشارة إلى أن حرصهم فى الدنيا على الربح والكسب ، والبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، واهتمامهم بشئون دنياهم ؛ كل هذا لايفيد فى الآخرة ؛ التى لايفيد فيها سوى العمل الصالح ؛ وأين العمل الصالح ؛ وقد قضوا أعمارهم فى الحرص على الربح – من أى وجه كان – من رباً ، أو سرقة ، أو كذب ، أو خداع ! ﴿ولا﴾ تنفع فى هذا اليوم ﴿خلة﴾ صداقة أو محبة ؛ وقد كانوا فى الدنيا يتحابون فى الشيطان ، ويتصادقون على المعاصى ! فلاصداقة اليوم تنجى من عذاب الله ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أى والتاركون للزكاة «هم الظالمون» بدليل أول الآية «ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم» وبدليل قوله تعالى «وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» وكفرتارك الزكاة لايحتاج إلى دليل؛ فقد قاتل الصديق رضى الله تعالى عنه مانعيها ؛ والمؤمن لا تجوز مقاتلته إطلاقا ؛ فيؤخذ من ذلك أن أبا بكر حكم بخروجهم من الإسلام لمنعهم الزكاة ؛ وقد قال: «والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم عليه» ومن أولى بالاقتداء والاتباع من أبى بكر ؟

وقد سماهم الله تعالى فى هذه الآية بالكافرين وفى آية أخرى بالمشركين ، وهذه التسمية بهم أولى وأليق ! (انظر الآيات ٦ و٧ من سورة فصلت ، وآية ١٤١ من سورة الأنعام) . ﴿الله لا إله إلاهوالحى﴾ الذى لايموت أبداً ﴿القيوم﴾ القائم بتدبير الخلق وحفظه ؛ والقائم بذاته : الذى لايقوم غيره إلا به ! وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن «الحى القيوم» هو الإسم الأعظم ؛ الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ! ﴿لاتأخذه سنة﴾ نعاس وهو مايتقدم النوم من الفتور ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ أى لايشفع أحد عنده تعالى إلا إذا أذن له بالشفاعة ورضى قوله «يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا» قال شفيعنا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام «يجمع الله تعالى الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا عند ربنا فيريحنا مما نحن فيه ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ؛ فاشفع لنا عند ربنا . فيقول : لست هناكم ليست لى هذه المرتبة ؛ ويذكر خطيئته – أكله من الشجرة – ويقول : ائتوا نوحاً ؛ أول رسول بعثه الله تعالى . فيأتونه فيقول : لست هناكم ؛ ويذكر خطيئته – دعوته على قومه – ويقول : ائتوا إبراهيم ؛ الذى اتخذه الله خليلا . فيأتونه فيقول : لست هناكم ؛ ويذكر خطيئته – كذباته الثلاث التى عرض بها – ويقول: ائتوا موسى؛ الذى كلمه الله تعالى. فيأتونه فيقول: لست هناكم ؛ ويذكر خطيئته =



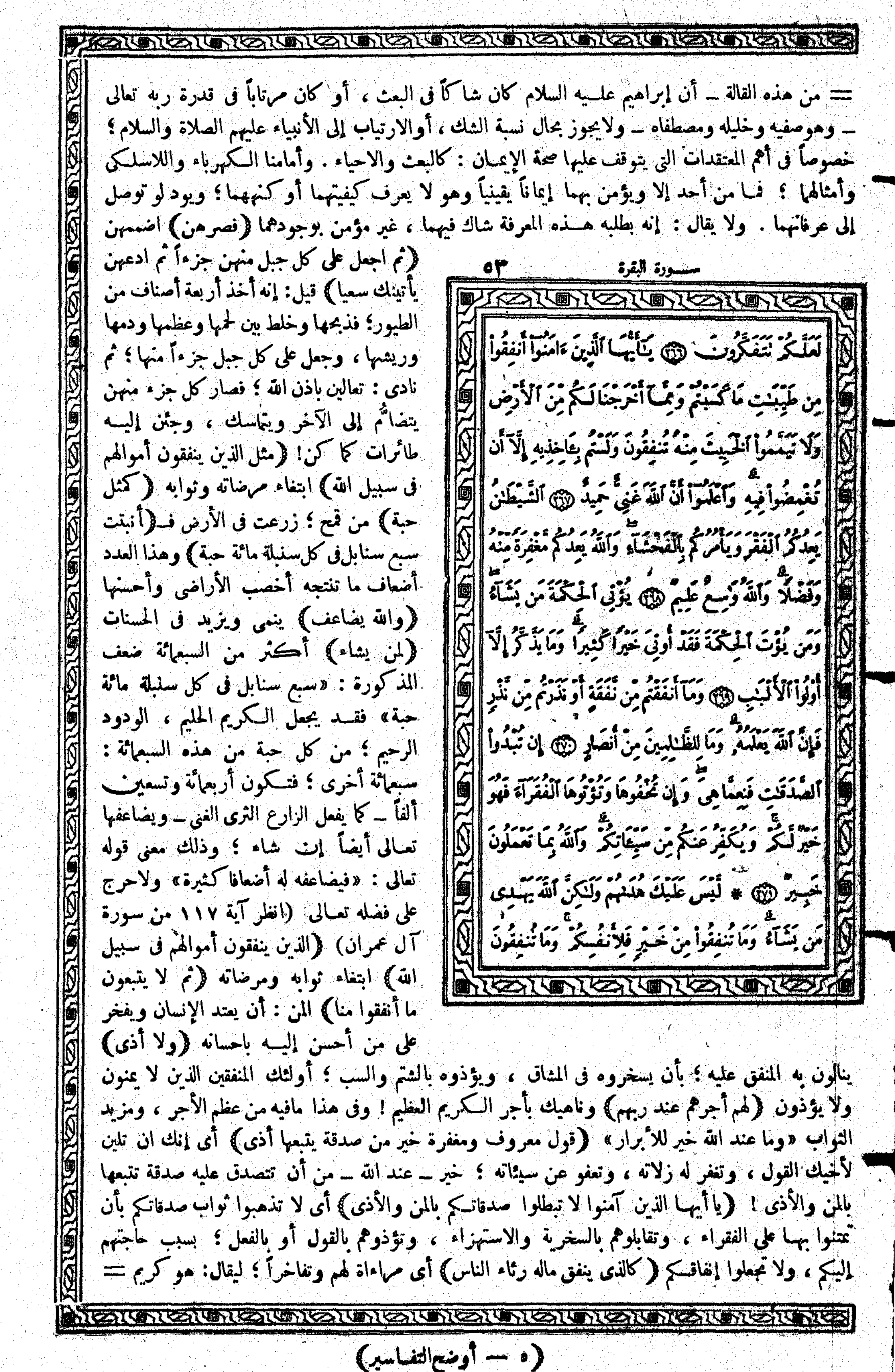
= قتله القبطى ـ ويقول : ائتوا عيسى فيأتونه فيقول : لست هنا كم ؛ ائتوا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ فيأتونى فأستأذن على ربى ، فاذا رأيته وقعت ساجداً ؛ فيدعنى ما شاء ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ! فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ؛ ثم أشفع فيحد لى حداً ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ؛ ثم أعود فأقع ساجداً مثله ـ فى الثالثة أو الرابعة ـ حتى مايبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى أوجب عليه الخلود» (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) ﴿يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم﴾ أى ما سيعملونه ، وما عملوه ﴿ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾ أن يعلمهم إياه ﴿وسع كرسيه﴾ أى وسع علمه ﴿السموات والأرض﴾ وما فيهما ﴿ولا يؤوده﴾ لا يشق عليه تعالى ولا يتعبه ﴿حفظهما﴾ بهذا النظام العجيب ، والتدبير البديع «لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون» «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» ﴿لا إكراه فى الدين﴾ يؤخذ من هذه الآية الكريمة : حرية الاعتقاد ؛ ليكون التدين قرين البحث الفكرى ، والاقتناع العقلى ؛ وذلك لأنه ﴿قد تبين﴾ بما سقناه من المعجزات، وأوردناه من الآيات ﴿الرشد﴾ الصواب ؛ وهو الإيمان ﴿من الغى﴾ الضلال ؛ وهو الكفر ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ الطاغوت : الشيطان ، أو الأصنام ، أو هو كل رأس فى الضلال . وهو مشتق من الطغيان ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ الحبل المحكم الوثيق ﴿لا انفصام لها﴾ أى لا انقطاع لهذه العروة التى وثقها الله تعالى بالحق ، وقواها بالإيمان ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ ناصرهم ومعينهم ، ومتولى أمورهم وكافيهم ! ولا تكون ولاية الله تعالى إلا للمؤمنين الصادقين «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم» والإيمان سابق على ولاية الله تعالى ؛ فلو لم يؤمن الإنسان: لكان وليه الشيطان ! ﴿يخرجهم﴾ مولاهم ﴿من الظلمات﴾ الكفر والجهل ﴿إلى النور﴾ الإيمان والعلم . (أنظر آية ١٧ من هذه السورة) ﴿والذين كفروا أولياؤهم﴾ نصراؤهم وأصدقاؤهم ﴿يخرجونهم من النور﴾ الإيمان والعلم ﴿إلى الظلمات﴾ الكفر والجهل. جعلنا الله تعالى من المؤمنين الجديرين بولايته وحمايته ، وأخرجنا من ظلمات الكفر والجهل ، إلى نور الإيمان والعلم ! ﴿ألم تر إلى الذى حاج﴾ جادل ﴿إبراهيم فى ربه﴾ أى فى حقيقة وجوده وربوبيته ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أى غره ماهوفيه من ملك وسلطان ؛ فجادل ابراهيم فى ربه؛ وقد فاته أن السلطان الذى هوفيه ، والملك الذى أوتيه؛ من لدن=

قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ
مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

= ذى الجلال والاكرام ؛ الذى يؤتى فضله من يشاء ـ منحة أو محنة ـ ليقيم بذلك الدليل على وجوده ، والبرهان على وحدانيته ﴿إذ قال إبراهيم﴾ لعدو الله نمروذ ﴿ربى الذى يحيي ويميت﴾ أى يخلق الحياة والموت ﴿قال﴾ نمروذ ﴿أنا﴾ أيضا ﴿أحيي وأميت﴾ مثلما يحيي ربك ويميت ﴿قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ ان استطعت . وهنا أسقط فى يد الكافر الخاسر ؛ وقامت عليه الحجة القاطعة الدامغة ﴿فبهت الذى كفر﴾ دهش وتحير، ولم يحر جوابا ! وذلك لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألهمه مولاه أن يسلك مع عدو الله أسلوباً قاطعاً لكل جدل، دامغاً لكل حجة : لقد قال الكافر لإبراهيم ـ جواباً على تقريره بأن الله تعالى يحيي ويميت ـ « أنا أحيي وأميت » فلو قال إبراهيم : كيف تحيي وكيف تميت ؛ وقد انفرد الله تعالى بهما دون سائر الخلائق ؟ ! لأحضر عدو الله إنساناً مقضياً بموته فأطلقه ، وإنساناً بريئاً فأماته ؛ وكان لإبراهيم على ذلك رد آخر : وهو أن الله تعالى يحيي ابتداء ويميت بغير أداة ؛ ولاتسمث بينهما رقعة الجدال ؛ ولكن الله تعالى ألهمه العدول عن مجاراته فى هذه المهاترات ، والتضييق عليه بالحجة التى لا تقبل التأويل ، ولا تحتمل الجدل ، ولا تتسع للمحاورة والمداورة ؛ فقال له : «إن الله يأتى بالشمس من المشرق» فان كنت إلهاً كما تزعم «فأت بها من المغرب» وأنى لعدو الله أن يتعرض لملك الله بتغيير ، أو لنظامه بتبديل !؟ ﴿أو كالذى مر على قرية﴾ وهو عزير : أحد أنبياء بنى إسرائيل (أنظر آية ٣٠ من سورة التوبة) ﴿وهى خاوية على عروشها﴾ أى ساقطة على سقوفها ؛ وهى بيت المقدس ؛ وقد خربها بختنصر ، وقتل أهلها ومن فيها ﴿قال﴾ عزير فى نفسه ﴿أنى يحيي﴾ كيف يحيي ؟ ﴿هذه﴾ القرية ؛ أى أهلها ﴿الله بعد موتها﴾ خرابها وهلاك أهليها ﴿فأماته الله مائة عام﴾ أنامه ؛ كما أنام أصحاب الكهف نيف وثلاثمائة عام ﴿ثم بعثه﴾ أيقظه كما أيقظهم . وقد يكون المراد بالإماتة : الموت الحقيق ؛ الذى هو سلب الروح من الجسد ـ سلباً كلياً ـ ليكون إحياؤه دليلا على إحياء أمثاله ممن مات من أهل هذه القرية ﴿لم يتسنه﴾ لم يتغير ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف صار رميا ؛ وهذا يدل على طول المكث ، وأنه لبث مائة عام ؛ لا «يوما أو بعض يوم» كما توهم . وقد أراه الله تعالى ـ فى نفسه ـ كيف يقوم الإنسان بعد الإحياء عند بعثه ، وأراه ـ فى حماره ـ كيف يجمع العظم المتفتت ، وكيف يركب بعضه فوق بعض ! ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ نركب بعضها على بعض (انظر آية ٢٠ من سورة الكهف) ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى﴾ قد يظن ظان =

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ

لَعَلَّكُمْ



= من هذه القالة ـ أن إبراهيم عليه السلام كان شاكاً فى البعث ، أو كان مرتاباً فى قدرة ربه تعالى ـ وهو صفيه وخليله ومصطفاه ـ ولا يجوز بحال نسبة الشك ، أو الارتياب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ خصوصاً فى أهم المعتقدات التى يتوقف عليها صحة الإيمان : كالبعث والاحياء . وأمامنا الكهرباء واللاسلكى وأمثالها ؛ فما من أحد إلا ويؤمن بهما إيماناً يقينياً وهو لا يعرف كيفيتهما أو كنههما ؛ ويود لو توصل إلى عرفانهما . ولا يقال : إنه بطلبه هذه المعرفة شاك فيهما ، غير مؤمن بوجودهما ﴿فصرهن﴾ اضممهن

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ

﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾ قيل: إنه أخذ أربعة أصناف من الطيور؛ فذبحها وخلط بين لحمها وعظمها ودمها وريشها ، وجعل على كل جبل جزءاً منها ؛ ثم نادى : تعالين باذن الله ؛ فصار كل جزء منهن يتضام إلى الآخر ويتماسك ، وجئن إليه طائرات كما كن! ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله﴾ ابتغاء مرضاته وثوابه ﴿كمثل حبة﴾ من قمح ؛ زرعت فى الأرض فـ﴿أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة﴾ وهذا العدد أضعاف ما تنتجه أخصب الأراضى وأحسنها ﴿والله يضاعف﴾ ينمى ويزيد فى الحسنات ﴿لمن يشاء﴾ أكثر من السبعمائة ضعف المذكورة : «سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة» فقد يجعل الكريم الحليم ، الودود الرحيم ؛ من كل حبة من هذه السبعمائة : سبعمائة أخرى ؛ فتكون أربعمائة وتسعين ألفاً ـ كما يفعل الزارع الثرى الغنى ـ ويضاعفها تعالى أيضاً إن شاء ؛ وذلك معنى قوله تعالى : «فيضاعفه له أضعافا كثيرة» ولاحرج على فضله تعالى (انظر آية ١١٧ من سورة آل عمران) ﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله﴾ ابتغاء ثوابه ومرضاته ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا﴾ المن : أن يعتد الإنسان ويفخر على من أحسن إليه باحسانه ﴿ولا أذى﴾ ينالون به المنفق عليه ؛ بأن يسخروه فى المشاق ، ويؤذوه بالشتم والسب ؛ أولئك المنفقين الذين لا يمنون ولا يؤذون ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ وناهيك بأجر الكريم العظيم ! وفى هذا مافيه من عظم الأجر ، ومزيد الثواب «وما عند الله خير للأبرار» ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾ أى إنك ان تلين لأخيك القول ، وتغفر له زلاته ، وتعفو عن سيئاته ؛ خير ـ عند الله ـ من أن تتصدق عليه صدقة تتبعها بالمن والأذى ! ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ أى لا تذهبوا ثواب صدقاتكم بأن تمتنوا بها على الفقراء ، وتقابلوهم بالسخرية والاستهزاء ، وتؤذوهم بالقول أو بالفعل ؛ بسبب حاجتهم إليكم ، ولا تجعلوا إنفاقكم ﴿كالذى ينفق ماله رئاء الناس﴾ أى مراءاة لهم وتفاخراً ؛ ليقال: هو كريم =

= جواد . وما أكثر هؤلاء في عصرنا هذا ! ﴿فمثله﴾ أي مثل المنفق رياء ﴿كمثل صفوان﴾ حجر أملس ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ مطر غزير ﴿فتركه صلداً﴾ أملس لم يعلق به شيء ؛ فكذلك من يرائي بعبادته وإنفاقه ؛ فان رياءه يذهب ثواب عمله ، ولا يبقى له أجراً ؛ كما يذهب المطر ما على الحجر الصلد الأملس من التراب ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ أي لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا ؛ لأنهم أنفقوه رياء ؛ وابتغاء الفخر، لا ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته. هذا مثلهم ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾ أي طلباً لرضائه ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي متثبتين مستيقنين بحسن جزائه ، ومزيد ثوابه ! ﴿كمثل جنة﴾ بستان ﴿بربوة﴾ مكان مرتفع ﴿أصابها وابل﴾ مطر شديد ﴿فآتت أكلها﴾ أنتجت ثمرها ﴿ضعفين﴾ أي مثلي ما يثمر غيرها ﴿فان لم يصبها وابل فطل﴾ مطر قليل؛ وهو الرذاذ ، أو الندى . أي ان المنفقين ابتغاء وجه الله تعالى : يتضاعف لهم ثواب أعمالهم ، ويجزون عنها الجزاء الأوفى ؛ وذلك بعكس المرائي الذي يمحى ثواب عمله ﴿أيود أحدكم﴾ استفهام للانكار ﴿أن تكون له جنة﴾ بستان ﴿من نخيل وأعناب﴾ ذكر الله تعالى النخيل والأعناب في غير موضع من كتابه الجليل ؛ وذلك لفتاً لأنظار ذوي الاعتبار إلى ما يحتويه الصنفان من فوائد تجل عن الحصر: فمن فوائد التمر أنه يقوي الكبد والرئتان والحلق ، ويزيد في الباه مع الصنوبر ، وأكله على الريق: قاتل لديدان المعدة ، وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن ؛ ويعتبر التمر غذاء ، ودواء ، وفاكهة . أما العنب فهو من أجل الفواكه وأكثرها نفعاً ؛ وهو يسهل ويسمن ، ويقوي القلب والرئتان ، ويقطع البلغم ﴿وأصابه الكبر﴾ ضعف عن السعي والكسب ، واحتاج إلى الدعة والراحة ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ أبناء صغار ضعاف ؛

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ

لَا يُحِبُّ

لا يقدرون على السعي والكسب ﴿فأصابها﴾ أي أصاب جنته ؛ الذي أصبح هو وذريته في مسيس الحاجة إلى ثمارها ﴿إعصار﴾ ريح شديدة مهلكة ﴿فيه نار﴾ أي في هذا الإعصار نار ﴿فاحترقت﴾ جنته بما فيها من نبات وثمار !

وهذا تمثيل لذهاب ثواب المرائي يوم القيامة ؛ وهو أشد ما يكون احتياجاً إلى قليل الثواب ! ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ أي من أحسن ما عندكم وأنفسه ﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ من سائر صنوف النبات والفاكهة ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ أي لا تقصدوا أردأ ما عندكم فتجودوا به ؛ يؤيده قوله تعالى «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» ﴿ولستم بآخذيه﴾ أي لو قدم لكم =

= ما تقدمونه من الخبيث؛ لتأخذوه في حق من حقوقكم؛ ماقبلتموه لفساده ورداءته ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ أي إلا أن تغضوا أبصاركم عن خبثه ورداءته؛ فكيف تقدمون لله ما لا ترضونه لأنفسكم! أتجعلون لله ما تكرهون؟! والاغماض: غض البصر. وهو كناية عن المسامحة ﴿واعلموا أن الله غني﴾ عنكم وعن إنفاقكم؛ ولكنه تعالى يمتحن بهذه الأوامر قلوبكم ﴿حميد﴾ محمود، وأهل لكل حمد. أو «حميد» يحمد أفعالكم الحسنة؛ فيجازيكم عليها ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي يخيل إليكم بوسوسته أن الإنفاق يذهب بمالكم، ويفضي إلى سوء حالكم؛ ولكن الله تعالى ﴿يعدكم مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلا﴾ يختصكم به في الدنيا ﴿والله واسع﴾ موسع عليكم جزاء إنفاقكم؛ ألا ترون إلى قوله جل شأنه: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة» وقوله عز وعلا «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» وقد وعد تعالى مغفرة ذنوبكم: جزاء حسناتكم «إن الحسنات يذهبن السيئات» ﴿عليم﴾ بالمنفقين فيكافئهم، وبالممسكين فيعاقبهم! ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ والحكمة: العلم النافع، الموصل لخيري الدنيا والآخرة ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ ومن الحكمة: أن يعلم الإنسان أن الله تعالى صادق الوعد، وأن ما يبذله في سبيله سيؤتيه مكانه أضعافاً مضاعفة في الدنيا، وثواباً عظيما ومغفرة ورضواناً في الآخرة ﴿وما يذكر﴾ يتذكر ﴿إلا أولوا الألباب﴾ ذووا العقول ﴿وما للظالمين﴾ الأغنياء؛ الذين ظلموا الفقراء بحبس حقوقهم عنهم، ومنع إيصال الصدقات إليهم؛ فهؤلاء ما لهم ﴿من أنصار﴾ ينصرونهم من الله تعالى، ويمنعون عنهم عذابه يوم القيامة. أو المراد: أنهم ليس لهم أنصار في الدنيا؛ لكراهة الناس لهم، وبغضهم إياهم (انظر الآيات ١٤١ من سورة الأنعام، و٦ و٧ من سورة فصلت) ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ وتوزعوها أمام الناس عياناً ﴿فنعما هي﴾ فنعم شيئاً هي؛ لأن إبداءها يحفز الهمم على التقليد لكم، والاقتداء بكم ﴿وان تخفوها﴾ عن الناس، وتتستروا عند إعطائها ﴿فهو خير لكم﴾ لأن فيه جبر خواطر الفقراء، وعدم إذلالهم! والأفضل أن يبدى الزكاة المفروضة للاقتداء، ويخفي الصدقة حتى لا تعلم شماله مافعلت يمينه! ﴿ويكفر﴾ يمحو ﴿ليس عليك﴾ يا محمد ﴿هداهم﴾ أي لا تذهب نفسك عليهم حسرات؛ فلست ملزماً بهدايتهم؛ إنما عليك الإنذار والبلاغ المبين «من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها» ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ أي فثوابه وأجره عائد عليكم ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ جزاؤه في الدنيا بالستر، وفي الآخرة بالأجر! =

لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ

= ﴿للفقراء الذين أحصروا﴾ منعوا بسبب الجهاد عن التكسب، وعن السير فى مناكبها ﴿لا يستطيعون ضربا فى الأرض﴾ أى لا يستطيعون سفراً للتجارة والكسب ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ وذلك لإبائهم السؤال، ومجانبتهم التملق والتزلف ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ بما يلوح عليهم من انكساف البال، ورثاثة الحال ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ إلحاحاً ﴿الذين يأكلون الربا﴾ أى يأخذونه ويستحلونه. والربا: الزيادة. هذا وقد فشا الربا فى مجتمعنا هذا فشواً شنيعاً ذريعاً؛ ينذر بضياع الثروة، ومحو البركة، وسقوط المحبة، وانعدام التعاطف والتراحم بين الناس. وآكلوا الربا ﴿لايقومون﴾ يوم القيامة. أو «لايقومون» فى الدنيا ﴿إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان﴾ وهو المصروع ﴿من المس﴾ الجنون. وهذا مشاهد فيهم فى الدنيا؛ إذ هم - رغم وفرة أموالهم، ومزيد ثرائهم - لايزالون فى هم دائم، وفكر مقيم! وقد حرمهم الله تعالى اللذائذ - رغم توافر أسبابها - ومن النعم - رغم وجود مقوماتها - فتجدهم يأكلون أطايب الطعام؛ وكأنما يتناولون السم الزعاف، ويتداولون النقود، وكأنما يتداولون الصخور والأحجار، وينامون على الحرير، وكأنما يتقلبون على الجمر! فحياتهم دائماً ظاهرها النعيم، وباطنها العذاب الأليم! ويظن كثير من الناس أن إثم الربا يقع على آكله دون موكله؛ وأن موكله لا نص يوجب تأثيمه؛ وهو ظن فاسد، ووهم باطل؛ فالدليل قائم على اشتراك الموكل مع الآكل فى الجرم والإثم؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ ذلك قولهم عند نزول هذه الآيات البينات، القاطعات الدلالة؛ وقد خلف من بعدهم خلف قالوا قالتهم، وساروا على نهجهم واتبعوا طريقتهم؛ وها نحن أولاء وقد فشا بيننا الربا فشواً يؤذن بالتدمير، وينذر بسوء المصير! وهاهو تاريخ الكفر يعيد نفسه؛ فاذا بالمعاملات جميعها وقد صار الربا جزءاً منها متمماً لها؛ وياليت المتعاملين به يقولون بتحريمه؛ كمن يتعاطى الخمر ويرتكب الزنا؛ عالماً بتحريمهما، كارهاً لها؛ ولكنهم يتعاطون الربا، ويقولون كما قال آباء لهم من قبل: «إنما البيع مثل الربا» ﴿وأحل الله البيع﴾ لأنه عن تراض. كما أن الزيادة فى ثمن المبيع بسبب تأخير دفع الثمن؛ لا غبار عليها، وهى مما أحل الله ﴿وحرم الربا﴾ لأنه ظلم وغصب - ولو أنه يتخذ دائماً مظهر الرضا فى كثير من الأحيان - ومن عجب أن قام أناس من العلماء، يحلون ذلك الوباء؛ فانا لله وإنا إليه راجعون! ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ تهديه إلى سواء السبيل، وتحول بينه وبين هذا الداء الوبيل ﴿فانتهى﴾ فامتنع عن أكل الربا، ورجع إلى الله تعالى ﴿فله ما سلف﴾ =

وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ

وَلْيَتَّقِ

وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا

= ما مضى من أمره قبل مجيء الموعظة ، ولا يعاقبه الله تعالى عليه ؛ بشرط أن يرد ما أخذه لأربابه ؛ لأنه ظلم . والظلم قرين الكفر ! قال تعالى «وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون» ﴿وأمره إلى الله﴾ إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه ﴿ومن عاد﴾ إلى أكل الربا ؛ بعد استماع الموعظة ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وأولئك الذين أعلن الله تعالى ورسوله الحرب عليهم : «فأذنوا بحرب من الله ورسوله» ﴿يمحق الله الربا﴾ يبطله ويذهب ببركته ﴿ويربي الصدقات﴾ يزيد وينمي المال الذي أخرجت منه الزكاة! فاعجب لمال يزيد: فينقصه الله ويمحقه ، ولمال ينقص فيزيده الله تعالى ويباركه !

هذا فضلا عن زيادة ثواب الزكاة والصدقة «والله يضاعف لمن يشاء» ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ شديد الكفر ﴿أثيم﴾ كثير الإثم ﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿ما بقي من الربا﴾ لكم عند مدينيكم ﴿فان لم تفعلوا﴾ ذلك ، وطالبتم بما استحق لكم من الربا ؛ بعد ما علمتم حرمته وشؤمه ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ الويل كل الويل لمن سمع هذا الإنذار ولم يرتجع ولم يتب ؛ بل انتحل الأعذار التي لا يستسيغها بعض المخلوقات ، فضلا عن مبدع الكائنات ! والإيذان : الاعلام ﴿وان كان﴾ المدين ﴿ذو عسرة﴾ لا يستطيع دفع ما عليه في موعده ﴿فنظرة﴾ مهلة وانتظار ﴿إلى ميسرة﴾ أي إلى أن يتيسر للمدين دفع دينه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « من أنظر معسراً أو وضع عنه : أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ﴿وأن تصدقوا﴾ تتصدقوا على المعسر بالترك ، أو الإبراء ، أوحط جزء من الدين ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ما أعده الله تعالى من الأجر للمتصدق ﴿ثم توفى﴾ تجازى ﴿كل نفس ما كسبت﴾ جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى﴾ أي أجل معلوم ؛ وهذا غير ما يعطى على سبيل المعونة ﴿فاكتبوه﴾ ليتذكر الدائن ما له ، والمدين ما عليه .

أنظر أيها المؤمن كيف يعلمنا الله تعالى النظام والكتابة ؛ ليحل الوئام مكان الخصام ، والوفاق مكان الشقاق ؛ فله تعالى الحمد والمنة ، والشكر والنعمة ! ﴿وليملل الذي عليه الحق﴾ لأنه هو المدين ، وهو الذي يعلم مبلغ يساره ووقته ﴿وليتق﴾ المدين المملي ﴿الله ربه﴾ أو «وليتق» الكاتب ﴿ولا يبخس﴾ لا ينقص ﴿منه شيئاً﴾ أي من الدين ﴿فان كان الذي عليه الحق﴾ المدين ﴿سفيهاً﴾ لا يحسن التصرف ﴿أو ضعيفاً﴾ عن الإملاء ؛ لمرض ، أو كبر ﴿أو لا يستطيع أن يمل﴾ لخرس ، أوعي ونحوها ﴿فليملل وليه﴾ متولي =



= أمره؛ كوالد، أو ولد، أو وصى، أو قيم (أن تضل) أى خشية أن تنسى (إحداهما) إحدى المرأتين (فتذكر إحداهما الأخرى) بما نسيته (ولا يأب) لا يمتنع (الشهداء إذا ما دعوا) للشهادة (ولا تسأموا) لا تملوا (أن تكتبوه) أى الدين (صغيراً) كان (أو كبيراً إلى أجله) مدته، وموعد أدائه (ذلكم أقسط) أعدل (وأدنى ألا ترتابوا) أقرب ألا تشكوا فى مقدار الدين وأجله (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) بالتسليم وتسلم الثمن (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) إذ لا فائدة من الكتابة؛ فقد تم تسلم البضاعة، وتم دفع ثمنها (ولا يضار كاتب) بسبب كتابته (ولا شهيد) بسبب شهادته؛ ما داما قد قاما بما أمر الله به من العدل والاستقامة (وإن تفعلوا) ما نهيتم عنه، وألحقتم الضرر بمن كتب، أو شهد (فإنه فسوق بكم) خروج عن الطاعة (واتقوا الله) خافوه، واخشوا عقابه (ويعلمكم الله) ما لم تكونوا تعلمون؛ بسبب خشيتكم وتقواكم (ولا تكتموا الشهادة) أى أدوها على وجهها الأكمل؛ لترد الحقوق إلى أربابها، والمظالم إلى أصحابها (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) إسناد الإثم إلى القلب — مع أنه سيد الأعضاء والمضغة التى إذا صلحت صلح الجسد كله — دلالة على أن كتم الشهادة من أكبر الآثام؛ إذ أن إثم القلب ليس كإثم سائر الجوارح (وإن تبدوا ما فى أنفسكم) فيعلمه الناس عنكم (أو تخفوه) عن الناس؛ فإن الله تعالى يعلمه (آمن الرسول بما أنزل إليه) من القرآن (والمؤمنون) آمنوا أيضاً به (كل) من الرسول والمؤمنين (آمن بالله وملائكته) أى وآمن بوجود ملائكة الله تعالى المكرمين (وكتبه) أى وكل آمن بسائر الكتب المنزلة على رسل الله وأنبيائه السابقين (ورسله) أى وآمن برسله عليهم السلام؛ الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم (لا نفرق)

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سورة آل عمران مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

هُنَّ

أى يقول الرسول والمؤمنون: «لا نفرق» (بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض، ونكفر ببعض (وقالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك ربنا) لذنوبنا (وإليك المصير) فاعف عنا واغفر لنا (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) طاقتها (لها ما كسبت) من الثواب (وعليها ما اكتسبت) من العقاب (ربنا لا تؤاخذنا) بذنوبنا (إن نسينا) إن فعلناها ناسين (أو أخطأنا) أو فعلناها مخطئين، غير عامدين. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) أى لا تكلفنا أمراً يثقل علينا حمله وأداؤه. والإصر: العبء الثقيل (كما حملته على الذين من قبلنا) كبنى إسرائيل؛ حين شددوا فشدد الله تعالى عليهم، وحرم عليهم طيبات أحلت لغيرهم (ربنا ولا تحملنا =

= مالا طاقة لنا به﴾ أى لا تحملنا ما يصعب علينا القيام به. وليس معناه: لا تحملنا مالا قدرة لنا على احتماله لأن مالا قدرة عليه؛ لا يدخل فى باب التكليف «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ومتولى أمورنا!

(سورة آل عمران)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ

﴿الم﴾ (أنظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ القائم بتدبير الخلق وحفظه. عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه الإسم الأعظم ﴿نزل عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ ماقبله من الكتب: كالتوراة والإنجيل ﴿وأنزل التوراة﴾ على موسى ﴿والإنجيل﴾ على عيسى ﴿من قبل﴾ أى من قبل مجىء إمام الرسل عليه الصلاة والسلام ﴿وأنزل الفرقان﴾ القرآن الكريم؛ ويطلق «الفرقان» على سائر الكتب المنزلة؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾ ذكراناً وإناثاً بيضاً وسوداً، حساناً وقباحاً ﴿منه آيات محكمات﴾ قطعية الدلالة؛ لا تحتمل اشتباهاً، ولا تأويلا ﴿هن أم الكتاب﴾ أى أصله، تحمل المتشابهات عليها، وترد إليها ﴿وأخر﴾ أى وآيات أخر ﴿متشابهات﴾ محتملات التأويل، لها معان متشابهة. وقد ذهب قوم ــ عفا الله تعالى عنهم ــ إلى أن القرآن كله محكم، لقوله تعالى «كتاب أحكمت آياته» وذهب آخرون إلى أنه كله متشابه؛ لقوله جل شأنه «كتاباً متشابهاً» وليس هذا من معنى الآية فى شىء؛ إذ أن معنى قوله تعالى «أحكمت آياته» أى فى حسن النظم، وقوة التعبير، وأنه حق من عند الله. ومعنى «متشابها»: أى يشبه بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا ﴿أولوا الألباب﴾ ذووا العقول ﴿ربنا لا تزغ﴾ لا تمل ﴿قلوبنا﴾ عن الحق ﴿بعد إذ هديتنا﴾ إلى الإيمان ﴿ليوم لا ريب﴾ لاشك ﴿فيه﴾ وهو يوم القيامة ﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ من عذابه لهم، وانتقامه منهم ﴿كدأب﴾ كشأن وعادة ﴿آل فرعون﴾ أى فرعون وقومه ﴿والذين من قبلهم﴾ من الأمم الكافرة المعاندة؛ كعاد وثمود ﴿كذبوا بآياتنا﴾ التى أنزلناها على رسلنا ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ جازاهم بها، وعاقبهم عليها. يقال: أخذته بكذا: أى جازيته عليه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿للذين كفروا ستغلبون﴾ يوم بدر ﴿وتحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة ﴿إلى جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش ﴿قد كان لكم آية﴾ برهان وعبرة =

= ﴿في فئتين﴾ فرقتين وجماعتين ﴿التقتا﴾ للقتال يوم بدر ﴿فئة﴾ مؤمنة ﴿تقاتل في سبيل الله﴾ أي في سبيل نصرة دينه، وإعلاء كلمته ﴿وأخرى﴾ أي وفئة أخرى ﴿كافرة﴾ تحاول إطفاء جذوة الإيمان ﴿يرونهم مثليهم﴾ أي يرى الكفار المؤمنين ضعفي عددهم، فتنخلع قلوبهم. أو يرى المؤمنون الكفار ضعفي عددهم - مع أنهم يزيدون عن الضعف زيادة كبيرة - فتقوى بذلك قلوبهم؛ وقد وعدهم الله تعالى بالنصر والغلبة: «فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» (انظر الآيات ٤١ وما بعدها من سورة الأنفال) ﴿إن في ذلك﴾ الخداع الذي بدا على أعين القوم؛ والذي تسبب في نصرة المؤمنين، وخذلان الكافرين ﴿لعبرة﴾ لعظة ﴿لأولي الأبصار﴾ لذوي البصائر ﴿زين للناس﴾ حبب إليهم، وزين الشيطان لهم ﴿حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ والاستكثار من كل ذلك: يحبون النساء للشهوة؛ لا لابتغاء الولد الصالح، ويحبون البنين للطغيان والكثرة؛ لا للعبادة والقربى، ويحبون الذهب والفضة للجمع والكنز؛ لا للبذل والتصدق ﴿والخيل المسومة﴾ الحسان المعلمة؛ يحبونها للفخر والزينة؛ لا للجهاد في سبيل الله ﴿والأنعام﴾ وهي الماشية التي ترعى؛ وأكثر ما تطلق على الإبل ﴿والحرث﴾ الزرع ﴿ذلك﴾ كله ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يؤاخذ الإنسان على تصرفه فيها، والقيام بحقوقها ﴿والله عنده حسن المآب﴾ حسن المرجع؛ فمن شاء عمل لذلك؛ ولم تغره مفاتن الدنيا ومتاعها الزائل ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ المتاع المذكور: الشهوات من النساء، والبنين، والقناطير من الذهب والفضة، والخيل الفارهة، والزرع والضرع؛ بخير من ذلك كله: ما أعده الله تعالى للمتقين ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات﴾ فأين الشهوات الزائلات، والأموال الفانيات؛ من الجنات العاليات، التي عرضها كعرض الأرض السموات ﴿خالدين فيها﴾ أبداً ﴿و﴾ لهم فيها ﴿أزواج مطهرة﴾ من الأدناس، ومن كل ما يستقذر عادة؛ كالحيض والنفاس ﴿ورضوان من الله﴾ وهو خير من الجنات، وما فيها من الطيبات ﴿والقانتين﴾ الطائعين الداعين ﴿والمنفقين﴾ مما آتاهم الله؛ الذين وقاهم شح أنفسهم، وزادهم هدى وآتاهم تقواهم «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ أواخر الليل، قبيل الصبح ﴿شهد الله﴾ قرر، وبين لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ يقررون ذلك أيضاً ﴿قائماً بالقسط﴾ مقيما للعدل بين خلقه ﴿إن الدين

اللهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ

عند

عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا
مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ
أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ

عند الله الإسلام﴾ أي إن الدين الحق، المرضى المقبول، هوالإسلام. وقد قال فيلسوف الإنجليز برناردشو في إحدى كتاباته عن الإسلام: هو دين المستقبل. ﴿فإن حاجوك﴾ جادلوك ﴿فقل أسلمت وجهى﴾ أخلصت نفسى ﴿لله﴾ أنا ﴿ومن اتبعن﴾ من المؤمنين ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿والأميين﴾ الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ﴿أأسلمتم فإن أسلموا﴾ وانقادوا ﴿فقد اهتدوا﴾ إلى الصراط المستقيم ﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ «ليس عليك هداهم» ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ هم أحبار اليهود ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ التوراة ﴿ليحكم بينهم﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله؟ فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يامحمد؟ فقال: على ملة إبراهيم ودينه. فقالا: فان إبراهيم كان يهودياً. فقال لهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: فهلموا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم. فأبوا عليه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

مِنْ

﴿فكيف﴾ يكون حالهم ﴿إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ لاشك فيه؛ وهو يوم القيامة ﴿ووفيت كل نفس﴾ فى ذلك اليوم ﴿ما كسبت﴾ جزاء ماعملت من خير أو شر ﴿وهم لايظلمون﴾ بزيادة عذاب، أو نقصان ثواب ﴿تولج الليل فى النهار﴾ أى تدخله فيه؛ بزيادة النهار ونقصان الليل ﴿وتولج النهار فى الليل﴾ بزيادة الليل ونقصان النهار كماهو مشاهد فى نهار الصيف والشتاء ولياليهما ﴿وتخرج الحى من الميت﴾ الدجاجة وهى حية، من البيضة وهى ميتة، والإنسان وهو حى، من المنى وهو ميت فى الظاهر ﴿وتخرج الميت من الحى﴾ البيضة وهى ميتة، من الدجاجة وهى حية، والمنى وهو ميت ظاهراً من الإنسان وهو حى. أو تخرج النخلة والأشجار وهما أحياء بالفاكهة والثمار، من النواة والبذرة وهما لا نفع منهما، ولا حياة فيهما. وروى عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه: «يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن» ولا بدع فالحياة الحقيقية: حياة القلوب لا الجسوم؛ ولا حياة بغيرها! والحياة الأبدية: هى الإيمان! ﴿وترزق من تشاء﴾ رزقه ﴿بغير حساب﴾ بل بغير سبب؛ فقد يرزق تعالى الجاهل، ويمنع العاقل! ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ نهى سبحانه وتعالى عن موالاة الكفار دون المؤمنين؛ لما يترتب على ذلك من مضار دينية ودنيوية؛ إذ أن الكافر إن أظهر الود فخداع ونفاق، وإن أبان الإخلاص فخصام وشقاق! وما أخر الأمم الإسلامية وأذلها بالاستعباد والاسترقاق: سوى موالاة الكفار، ومجانبة الأبرار (انظر آية ٥١ من سورة المائدة) ﴿ومن يفعل ذلك﴾ بأن يوالى الكافرين من دون المؤمنين ﴿فليس من الله فى شىء﴾ أى فقد برىء من الله تعالى، وبرىء الله منه ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ أى إلا إذا واليتموهم بقدر، وصاحبتموهم بحذر؛ لتتقوا بذلك أذاهم، وتسلموا من كيدهم ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أى يخوفكم بطشه وعقابه إذا لم تسمعوا قوله وتنزلوا على حكمه ﴿وإلى الله المصير﴾ فيؤاخذكم على مافعلتم، ويعاقبكم على ما جنيتم ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ فى الدنيا

مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا

﴿من خير﴾ أى أجره وثوابه ﴿محضراً﴾ لم ينقص منه شيء ﴿أمداً﴾ مسافة وغاية ﴿قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فان الله لايحب الكافرين﴾ وسيعاملهم يوم القيامة معاملة الكاره لهم ؛ والويل لمن أبغضه الله ! ﴿إن الله اصطفى﴾ اختار واجتبى ﴿آدم ونوحاً﴾ لاتباع دينه ونشره ﴿وآل إبراهيم وآل عمران﴾ للاسلام. وآل الرجل: قومه وأتباعه ، ومن هم على دينه . قال تعالى «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه» ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ فى موالاة الله ، وفى الدين ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ أم مريم عليها السلام ﴿رب إنى نذرت لك ما فى بطنى﴾ من الولد ﴿محرراً﴾ خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس

﴿وإنى أعيذها﴾ أجيرها وأحصنها ﴿بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها﴾ تقبل مريم التى نذرتها أمها ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ وهو مجاز عن التربية الحسنة . قال ابن عطاء : ما كانت ثمرته مثل عيسى ؛ فذاك أحسن النبات !

(وكفلها زكريا) أى جعله الله تعالى يتكفل بتربيتها (كلما دخل عليها زكريا المحراب) الغرفة التى تجلس فيها ، أو هو مكان العبادة (وجد عندها رزقا) طعاماً . قيل : كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك) من أين لك (هذا) الذى أراه (هنالك) عندما رأى زكريا مشاهد الرضا والقبول (دعا زكريا ربه)

حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿٣٧﴾ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴿٣٨﴾ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ﴿٣٩﴾ قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴿٤٠﴾ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار ﴿٤١﴾ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴿٤٢﴾ يا مريم اقنتى لربك

واسجدى

فى مواطن التجلى يستجاب الدعاء ! (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى) فيه إشارة إلى أن الصلاة مفتاح للخيرات ، وبها تجاب الدعوات ؛ وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . (مصدقا بكلمة من الله) أى مصدقاً بعيسى عليه السلام ؛ لأنه أتى إلى الحياة بكلمة «كن» فكان (وسيداً وحصوراً) الحصور: الذى يحصر نفسه ويمنعها عن ملاذها وشهواتها ، أو هو المعصوم من الذنوب ؛ كأنه حصر نفسه عنها . وقيل : الحصور : الذى لا يأتى النساء (قال) زكريا (رب أنى يكون لى غلام) كيف يكون لى ولد (وامرأتى عاقر) لا تلد لكبرها (قال رب اجعل لى آية) علامة على ذلك ، أو مرنى بأمر إذا وفقت إليه : أعلم منه إجابة دعوتى (قال آيتك) علامتك (ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أى بالإشارة ، لا بالنطق . وقد كان صيامهم عن الطعام والكلام «إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا» (واذكر ربك كثيراً) اعبده (وسبح) بحمده (بالعشى) وهو من الزوال إلى الغروب (والإبكار) من طلوع الفجر إلى الضحى . والمراد : طول مدة التسبيح (يا مريم إن الله اصطفاك) اختارك (وطهرك) من كل سوء . وقيل : من مس الرجال (واصطفاك على نساء العالمين) قيل : على سائر النساء ؛ من بدء الخليقة حتى قيام الساعة . وقيل : عالمى زمانها فحسب ؛ وأنها عليها السلام لا تفضل فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا خديجة بنت خويلد ؛ واستدلوا بقوله تعالى «يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين» ولم يقل أحد : إن بنى إسرائيل أفضل من أمة خير الأنام صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ بل ان تفضيلهم كان على عالمى زمانهم ، أو من تقدمهم من الأمم (يا مريم اقنتى لربك) أديمى الطاعة له ، والخشوع والابتهال إليه .

﴿ذلك﴾ المذكور من أمر مريم وأمها ، وزكريا وابنه ﴿من أنباء الغيب﴾ الذى غاب عن علمك وعلم قومك ﴿نوحيه إليك﴾ آية لنبوتك ، وبرهاناً على صدقك ﴿وما كنت لديهم﴾ فى هذه العصور ؛ حتى ترى ما فعلوا ، وما فعل بهم ؛ فتحكيه لقومك . ولكننا أطلعناك عليه من غيبنا الذى لا نطلع عليه إلا من ارتضينا «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول» أطلعناك عليه ليؤمن بك من أنار الله بصيرته ، ويهتدى بهديك من أراد الله هدايته ! «وما كنت لديهم» قبل ذلك عند ولادة مريم ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ ليرون ﴿أيهم يكفل مريم﴾ قيل : اختصم أهل مريم عليها السلام فيمن يكفلها ؛ فاتفقوا على الاقتراع ؛ وطريقته وقتذاك : أن يلقوا أقلامهم فى النهر ؛ ويحتمل أن تكون القرعة لصاحب القلم الذى يظل طافياً على الماء، أو الذى يكون رأسه إلى أعلى ، أو أمثال ذلك ﴿يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ بعيسى عليه السلام ؛ لأنه خلق بقول «كن» ﴿وجيهاً فى الدنيا والآخرة﴾ أى ذا منزلة عالية فى الدنيا ، وعزة وكرامة فى الآخرة ﴿ويكلم الناس فى المهد﴾ وهو ما يفرش للطفل ؛ وكلامه فى المهد معجزة له ، وتبرئة لأمه مما افتراه عليها المفترون ﴿وكهلا﴾ أى ويكلمهم كهلا . والكهل : الذى جاوز الثلاثين ، ووخطه الشيب . والمراد بذلك نفى ما ادعاه الكافرون من ربوبيته ؛ فذكر تعالى أنه عليه السلام يدركه ما يدرك البشر من التغير والانتقال من الصغر إلى الكبر ، ومن حال إلى حال ﴿قالت﴾ مريم ﴿رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر﴾ كسائر من يلدن ﴿ويعلمه الكتاب﴾ الكتابة التى يخطها بيده ﴿والحكمة﴾ العلم النافع ؛ والمراد بها الشرائع والأحكام ﴿والتوراة﴾ الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام ؛ وقد كان معمولا به حتى بعثة عيسى عليه السلام ﴿أنى قد جئتكم بآية﴾ معجزة دالة على صدق ﴿وأبرىء الأكمه﴾ الذى ولد أعمى ﴿والأبرص﴾ وهو بياض يصيب بعض الجلد ؛ فيجعله مشوها . وخصا بالذكر : لأن المبتلى بهما لا يبرأ منهما ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ بإرادته وقدرته ؛ لا بإرادتى وقدرتى . قيل : إنه أحيا سام بن نوح ؛ فكلمهم وهم ينظرون . وذهب بعض المفسرين المحدثين إلى أن المراد به إحياء موتى القلوب والنفوس ؛ وهو تأويل فاسد ، منكر لإحدى معجزات عيسى عليه السلام التى اختصه الله تعالى بها ؛ وإلا فان أكثر الصالحين يحيون موتى القلوب والنفوس ﴿وأنبئكم﴾ أخبركم .

وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم

﴿بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم﴾ قيل: انه عليه السلام كان يقول لأحدهم: يافلان لقد أكلت كذا فى يومك، وادخرت كذا فى بيتك؛ وذلك بغير تفكير، أو أستنطاق لرمل أو أرقام؛ كما يفعل الدجاجلة. ولعل المراد أنه كان يعلمهم عناصر الأغذية وخواصها، وكيف يحفظونها ويدخرونها. وهو باب يدخل ضمن أبواب الأدوية والعلاجات: وقد تخصص فيها معجزة له عليه الصلاة والسلام ﴿ومصدقا لما بين يدى﴾ ما تقدمنى ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ وقد كان تعالى حرم عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم قال تعالى «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم» وقال جل شأنه «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» ﴿وجئتكم بآية﴾ معجزة دالة على صدقى، وحجة وعبرة؛ وهو كل ما قدمه من إبراء، وإحياء، وإخبار بغيب ﴿هذا صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ ومن عجب أن يبرىء عيسى - لبنى إسرائيل - الأكمه والأبرص، ويحيى لهم الموتى، ويخبرهم بالغيب الذى لا يعلمه سواهم، وما هو كائن فى حلوقهم وبطونهم؛ فيأبون الانقياد لخير العباد، ويرفضون الإيمان للديان! ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ بالله، وانكار بعثته، ونبوته: أراد أن يختار خلصاءه من بين من آمن منهم - وقليل ماهم - ﴿قال من أنصارى إلى الله﴾ أى من أنصارى لنصل معاً إلى الله، أو من أنصارى مع الله ﴿قال الحواريون﴾ حوارى الرجل: صفوته وخاصته ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ الذين يشهدون بوحدانيتك، ويؤمنون بصدق رسولك ﴿ومكروا ومكر الله﴾ أى جازاهم الله على مكرهم بمكر أشد منه وأقسى. وهذا على سبيل المقابلة. والمكر: الخداع. قال تعالى «يخادعون الله وهو خادعهم» ﴿إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك﴾ أى مستوفى أجلك. وقد اختلف فى موته عليه الصلاة والسلام؛ وهل رفع حياً، أم رفعت روحه فحسب؟ واستدل كل فريق بما يراه مؤيداً لرأيه: فاستدل من قال بموته بقوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت» وعيسى عليه السلام من جملة النفوس التى كتب عليها الموت. ورد الفريق الآخر بأنه عليه السلام سيذوق الموت قبيل القيامة، وبعد نزوله إلى الأرض وحكمه بشريعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام! ونحن إذا قلنا برفع روحه فحسب؛ فان سائر الأرواح ترفع إلى بارئها سبحانه وتعالى؛ ولا يكون ثمت فضل لعيسى عليه السلام اختصه الله تعالى به! وزعم قوم بأنه مات ودفن بجهة سموها؛ ولعلها ببلاد الهند؛ والله تعالى أعلم بقوله وفعله! ﴿ورافعك إلى﴾ أى إلى السماء =

بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا
آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا

فِي الدُّنْيَا

= ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ بتخليصك منهم ﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾ وآمنوا بك ﴿فوق الذين كفروا﴾ بك . وهم اليهود - قاتلهم الله - كفروا بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

﴿ذلك﴾ القصص ﴿نتلوه عليك﴾ يا محمد ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ فى الخلق ﴿كمثل آدم﴾ خلقه من غير أب ولا أم ، وخلق عيسى من غير أب ؛ قال لهما : كونا فكانا ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ الشاكين ﴿فمن حاجك﴾ جادلك من النصارى أوالمشركين ﴿من بعد ماجاءك﴾ الذى جاءك ﴿من العلم﴾ فى هذا الكتاب الحق ﴿فقل﴾ لهؤلاء المجادلين ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل﴾ نتضرع إلى الله تعالى .

والمباهلة : أن يجتمع الفريقان ويخرجان بأبنائهم ونسائهم ، ثم يدعون الله تعالى باللعنة على الكاذب منهما ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ! ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا ﴿فان الله عليم بالمفسدين﴾ الكافرين ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾ مستوية ؛ والسواء : العدل

بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ

أَهْلِ

﴿يأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم﴾ زعم كل من اليهود والنصارى: أن إبراهيم عليه السلام كان منهم؛ وجادلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه، فقيل لهم: إن اليهودية إنما كانت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل؛ وبين إبراهيم وموسى ألف عام، وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون على دين لم يأت بعد، ولم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ من أمر موسى وعيسى ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ من أمر إبراهيم ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا﴾ كما تزعمون ﴿ولكن كان حنيفاً﴾ مائلا إلى الدين الحق القيم؛ وهو الإسلام ﴿إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه﴾ أى آمنوا به؛ وليس من بينهم اليهود أو النصارى ﴿وهذا النبي﴾ محمد؛ لأنه نادى بدين إبراهيم وملته «قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا» ﴿والذين آمنوا﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام؛ فهؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم؛ لا من كذبوه! ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾ جماعة من اليهود ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ القرآن ﴿وأنتم تشهدون﴾ تعلمون أنه حق منزل من عند الله تعالى؛ لورود ذكر مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام فى كتابكم ﴿ياأهل الكتاب لم تلبسون﴾ تخلطون ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾ لطائفة أخرى منهم



أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ

﴿آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ أوله ﴿واكفروا آخره﴾ وذلك أنهم تواصوا فيما بينهم أن يؤمن فريق منهم أول النهار، ثم يكفروا آخره ؛ لأجل أن تتزلزل عقائد المسلمين ؛ فيقولون فى أنفسهم: مادعا هؤلاء إلى الارتداد؛ إلا ظهور بطلان ديننا ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى لعل المؤمنين يرجعون عن إيمانهم ﴿ولا تؤمنوا﴾ لا تصدقوا ولاتطمئنوا فى هذا السر الذى اتفقنا عليه ﴿إلا لمن تبع دينكم﴾ لئلا يطلع المسلمون عليه ﴿أن يؤتى﴾ بأن يؤتى ﴿أحد﴾ من المؤمنين ﴿مثل ما أوتيتم﴾ من المعجزات والتوراة ، وفلق البحر ، والمن والسلوى ، وأشباه ذلك ﴿أو يحاجوكم﴾ يجادلكم المؤمنون يوم القيامة ﴿عند ربكم﴾ لأنكم أصح دينا . قال تعالى رداً عليهم : مخاطباً خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ﴿قل إن الفضل﴾ كله ﴿بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ وقد آتاك النبوة ، وأنزل عليك الكتاب بالحق ﴿ومن أهل الكتاب﴾ اليهود ﴿من إن تأمنه بقنطار﴾ من الذهب ؛ والمراد به المال الكثير ﴿يؤده إليك﴾ لأمانته ﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار﴾ واحد ﴿لا يؤده إليك﴾ لخيانته ﴿إلا ما دمت عليه قائما﴾ أى ملحاً بالمطالبة والمقاضاة . وهو تحذير من معاملتهم وعدم الاغترار بأمانة بعضهم ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين﴾ أى العرب ﴿سبيل﴾ طريق للإثم ؛ وذلك لأن اليهود لعنهم الله تعالى يستحلون أكل مال من عداهم من الأمم ــ مسلمين ، أو نصارى ، أو غيرهما ــ ويزعمون أن الله بذلك أمرهم . قال تعالى ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ بنسبة ذلك الإفك إليه ؛ وقد أمر تعالى بالوفاء بالعقود والعهود والوعود ــ للمسلمين والكافرين على السواء ــ وقد حض على ذلك بقوله جل شأنه ﴿بلى من أوفى بعهده﴾ أدى أمانته ﴿واتقى﴾ الله ربه فى سائر معاملاته ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ فيعزهم فى الدنيا ، ويكرمهم وينعمهم فى الآخرة ﴿إن الذين يشترون﴾ يستبدلون ﴿بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا﴾ أى يستبدلون الصدق والوفاء والأمانة بالكذب والاخلاف والخيانة ؛ نظير ثمن قليل هو حطام الدنيا الزائل الفانى! وذلك كمن يتفق مع آخر على بيع سلعة من السلع ؛ فيزيد له إنسان فى ثمنها فيبيعها له ، وينقض اتفاقه مع الأول . أو من يخطب ابنة إنسان ؛ فيعاهده أبوها على تزويجها له نظير مهر مقدر بينهما ؛ فيأتى آخر فيزوجها له نظير زيادة فى المهر . أو كمن يحلف ببراءته من دين هو عليه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم : لقى الله تعالى وهو عليه غضبان» وكيف يرجو الخير من يلقى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان ؟ ! أعاذنا الله تعالى من غضبه ، وأنجانا من سخطه ومن علينا برضاه يوم نلقاه! ﴿أولئك﴾ الذين اشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمناً =

= قليلا (لا خلاق) لا نصيب (لهم فى الآخرة) من النعيم ، والثواب المقيم (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) نظر عطف ورحمة ، ولا يرعاهم (ولا يزكيهم) لا يطهرهم من ذنوبهم (وان منهم) أى من اليهود ؛ وقد كانوا يقطنون حوالى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (لفريقاً يلوون ألسنتهم) يميلونها فى النطق ؛ يريدون بذلك أن يفهموا السامع أن ما ينطقون به هو من التوراة (لتحسبوه من الكتاب) التوراة (وما هو من الكتاب) ما هو من التوراة ؛ بل هو من عند أنفسهم (ما كان لبشر) ما جاز له وما صح (أن يؤتيه الله الكتاب) الإنجيل (والحكم) العلم والفقه (والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله) وهو تكذيب لمن يقول بألوهية المسيح عيسى ابن مريم (ولكن) كان يقول للناس (كونوا ربانيين) نسبة إلى الرب تعالى ؛ أى طائعين له ، ومنفذين لأحكامه . أو كونوا علماء حكماء أتقياء (ولا يأمركم) أى ما كان لبشر أن يقول للناس : كونوا عبادا لى . ولا أن يأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) على يديه ، وبأمر من مرسله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) أخذ العهد عليهم بأن يصدق بعضهم بعضاً ، ويؤمن بعضهم بما جاء به الآخر (لما آتيتكم) للذى آتيتكم (من كتاب) أنزلته عليكم (وحكمة) علم نافع أضفيته على أفهامكم (ثم جاءكم رسول) محمد سيد البشر عليه الصلاة والسلام (مصدق لما معكم) من الكتب المنزلة (لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم) بذلك (وأخذتم على ذلكم) الميثاق (إصرى) أى عهدى . والإصر: العهد والذنب ، والثقل

إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَـٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَـٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ النَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

فَمَن

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

﴿فمن تولى﴾ أعرض عن الإيمان بمحمد؛ وقد آمن به الأنبياء قبل إيجاده ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ يطلبون ﴿وله أسلم﴾ انقاد ﴿من فى السموات والأرض﴾ من أملاك ، وإنس وجن ، ومخلوقات لا يعلمها سوى خالقها ﴿طوعاً﴾ بعد تدبر الأدلة والآيات ، والحجج البينات ﴿وكرهاً﴾ بالسيف ، أو بعد معاينة العذاب ؛ كنتق الجبل على بنى إسرائيل ، وإغراق فرعون وقومه ، وأمثال ذلك ﴿والأسباط﴾ حفدة يعقوب عليه السلام ؛ ذرارى أبنائه

﴿وجاءهم البينات﴾ الدلائل الواضحات

﴿ينظرون﴾ يمهلون

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أى بعد ارتدادهم ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم ﴿فان الله غفور﴾ لذنوبهم .

رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ

مَّقَامُ

(رحيم) بهم

(لن تنالوا البر) أى لن تنالوا بر الله تعالى وثوابه ومغفرته (حتى تنفقوا مما تحبون) وهذا يكاد أن يكون منعدماً فى هذا الزمان؛ لأنك ترى الرجل يتصدق بثوبه الممزق، ولقمته العفنة، وكل ما يكرهه ويستقذره؛ ثم يتيه عجباً، ويختال طرباً، ويميس فخراً، بما جاد به، ويعتقد أن الجنة لم تخلق إلا لأجله؛ فهيهات هيهات أن يدخل مثل هذا جنة الله، أو أن يتمتع برضوانه! ولن ينال بر الله، سوى من أنفق مما يحب فى دنياه! (وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم) فيؤاخذكم عليه إن كان مما تكرهون، ويثيبكم عليه إن كان مما تحبون! فانظروا ـ هداكم الله ـ ماذا أنتم فاعلون! (كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ـ وقد كانا أحب الأشياء عنده ـ لمرضه بعرق النسا. و «إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة) مكة؛ وهما لغتان فيها (مباركا) كثير الخير والبركات؛ لما فيه من الثواب وتكفير السيئات (فيه آيات بينات) حجج ظاهرات.

مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

﴿مقام إبراهيم﴾ وهو الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت فأثرت فيه قدماه ، ومنها أن الطير لا يعلوه أبداً ؛ مع كثرته وشدته ﴿ولله على الناس﴾ أى طلب منهم ، وفرض عليهم ﴿حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ بالمال ، والصحة ، والأمن ﴿ومن كفر﴾ أى جحد فرضية الحج . أو هو من كفران النعم ؛ أى من لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم ، وسعة الرزق ؛ ولم يحج ﴿فان الله غنى عن العالمين﴾ وهم الفقراء إليه ، المتزلفون له ، الطالبون مرضاته ، المؤملون فضله ! ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون﴾ تمنعون ﴿عن سبيل الله﴾ عن دين الحق ؛ وهو الإسلام ﴿تبغونها عوجا﴾ تطلبونها وتريدونها معوجة ﴿ومن يعتصم بالله﴾ يحتمى به ، ويلجأ إلى أوامره ، ويهرع إلى مرضاته ﴿فقد هدى إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ قويم واضح ، موصل لكل خير ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ أى خافوا الله واحذروه، وائتمروا بأوامره، واجتنبوا نواهيه ، وداوموا على ذلك حتى تموتوا وأنتم مسلمون ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ بكتابه ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «القرآن حبل الله المتين» .

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ الشفا: الحافة ﴿فأنقذكم منها﴾ بأن هداكم للاسلام؛ وذلك لأن الكافر والمذنب ـ مثلهما فى الدنيا ـ كمثل الواقف على حافة النار؛ فاذا مات: وقع فيها؛ فأنقذنا الله تعالى ـ بمنه وكرمه ـ من الوقوع فى النار؛ بهدايتنا إلى الإيمان ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أى جماعة من مثقفيكم وعلمائكم ﴿يدعون إلى الخير﴾ يرشدون إلى الإيمان، ويحضون على الإحسان، ويوجهون إلى البر، ويحثون على الشكر ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ بالفعل الحسن الذى يقره العرف والشرع ﴿وينهون عن المنكر﴾ الذى يستقبحه الشرع، وينكره العقل ﴿وأولئك﴾ الداعون إلى الخير، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر ﴿هم المفلحون﴾ هذا وقد أوجب الله تعالى على سائر الأمة الإسلامية: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر؛ لما يترتب على تركهما من فشو المعاصى، وانتهاك حرمات الله تعالى. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم؛ إلا عمهم الله بعذاب محتضر» وها نحن أولاء ـ وقد دعونا إلى الشر، وأمرنا بالنكر، ونهينا عن الخير ـ نعانى قلة البركات، وفسادالنفوس والثمرات، وقلة الأرباح، وكساد التجارات، وعقوق الأبناء، وتجبر الآباء! ولا دواء لما نعانيه، وشفاء لما نلاقيه؛ سوى اللجوء إلى الله تعالى، والتمسك بأوامره، واجتناب نواهيه وزواجره! ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ هم اليهود والنصارى؛ حيث تعادوا وكفر بعضهم بعضا «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ الآيات الواضحات ﴿يوم تبيض وجوه﴾ وجوه المؤمنين؛ ولو كانت سوداء ﴿وتسود وجوه﴾ وجوه الكافرين؛ ولو كانت بيضاء ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ فيقال لهم ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ أى بعد أن كان الإيمان فى متناول قلوبكم وعقولكم! يقال لهم ذلك على سبيل إذلالهم والنكاية بهم ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله﴾ وجنته ورضوانه ﴿هم فيها خالدون﴾ أبد الآبدين، ودهر الداهرين! ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض﴾ ملكا وخلقاً وعبيداً! ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فى الدنيا والآخرة؛ فيقضى فيها حسبما تقتضيه المصلحة، وتستوجبه العدالة المطلقة ﴿كنتم﴾ يا أمة محمد ﴿خيرأمة أخرجت للناس﴾ بسبب أنكم ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ فالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر: صيرا الأمة الإسلامية خير الأمم وأفضلها! كذلك تركهما يصير الإنسان أحط من العجماوات؛ فادأب ـ هديت وكفيت ـ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لترضى نفسك، وترضى ربك؛ وتكفى ذل الحياة وبؤسها! وليكن أمرك

بالمعروف ونهيك عن المنكر ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، ورغبة فى مرضاته ! وحذار أن تفعل ذلك ابتغاء شهرة أو تظاهر فتهلك ؛ وينقلب سعيك إلى خسران ، وحقك إلى بطلان ! ﴿منهم﴾ أى من أهل الكتاب

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ وَأُولَٰٓئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ

﴿المؤمنون﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ الكافرون، الكائدون لكم ﴿لن يضروكم﴾ بكفرهم وكيدهم ﴿إلا أذى﴾ يسيراً ﴿وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ لجبنهم ، وضعف باطلهم أمام حقكم ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ أى أينما وجدوا . نزلت فى اليهود ؛ وهى من الآيات البينات ، والمعجزات الظاهرات ، والمغيبات الواضحات ؛ وليس أدل على ذلك من اضطهاد العالم أجمع لهم ، وتشتيتهم فى سائر الممالك ، وتفريق شملهم ؛ ولا يغرنك ما هم عليه الآن من ملك اغتصبوه ، وحق استلبوه ؛ سيرد إلى أهله بقوة السنان والإيمان ؛ بعون الله تعالى ! وستضرب عليهم الذلة ـ التى كتبها الله تعالى عليهم ـ والمسكنة ـ التى أرادها الله لهم ـ وستحل عليهم اللعنة أينما ثقفوا ! (انظر آية ٦١ من سورة البقرة) ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ الحبل : السبب والعهد . أى انهم لا يأمنون على أنفسهم إلا إذا كانوا يدفعون جزية ، أو يتملقون مسلما ؛ وهذا نوع من الذلة كتبه الله تعالى عليهم ﴿وباءوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله وضربت عليهم﴾ كتبت ﴿المسكنة﴾ الذلة والضعف ؛ وهاهم أولاء تعاونهم شتى الدول بالميرة والذخيرة ، والعدة والعدد ؛ فلم يزدهم ذلك إلا ذلا وضعفاً وهواناً ! ﴿ويقتلون الأنبياء﴾ كيحيي وزكريا عليهما السلام ﴿ليسوا سواء﴾ أى ليس أهل الكتاب مستوين فى الخير والشر «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله﴾ أى «ليسوا سواء» لأن منهم أمة قائمة بأمر الله ؛ يتلون آياته ﴿آناء الليل﴾ ساعاته ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه﴾ أى لن يعدموا ثوابه !

كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ

بمَا

(مثل ما ينفقون) أى مثل ما ينفق الذين كفروا (فى هـذه الحياة الدنيا) من بر ، وصدقة ، وصلة رحم (كمثل ريح فيها صر) الصر: برد يضر الحرث والنبات (أصابت) تلك الريح (حرث قوم ظلموا أنفسهم) بارتكاب المعاصى، وتعريض أنفسهم للعقاب (فأهلكته) أى أهلكت الريح ذلك الحرث . وقد وصف تعالى المؤمنين فى إنفاقهم ـ وما يجلبه هذا الإنفاق عليهم من أجر عظيم ، وخير عميم ـ بقوله جل شأنه «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة» فضاعف تعالى أجر المؤمن المنفق إلى سبعمائة ؛ ووعد أيضاً بأن يضاعف له هـذه السبعمائة أضعافاً مضاعفة «والله يضاعف لمن يشاء» هذا مثل المؤمن المنفق ؛ أما مثل إنفاق الكافر فقد مثله الله تعـالى بالريح التى تعصف بالنبات والأقوات ، وتهلك الزرع والضرع ! (وما ظلمهم الله) بذلك الجزاء (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) بطانة الرجل : خاصته وأصدقاؤه . ومنه بطانة الثوب ؛ لملاصقتها له (من دونكم) أى من غير دينكم وجنسكم ؛ لأن الأجنبى لا يعمل لخيرك ، بل يدس ويكيد لك ؛ فوجب الابتعاد عنه ، والاحتراس منه ؛ قال تعالى «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة» (لا يألونكم خبالا) أى انهم لا يقصرون فى إفسادكم ، وإيصال الضرر بكم (ودوا ماعنتم) أى ودوا ضرركم أشد الضرر وأبلغه ؛ وهو من العنت: أى المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) بما يقذفونكم به من سباب ، وما ينطقون به من كفر وهجر (وما تخفى صدورهم أكبر) مما بدا من أفواههم (ها أنتم أولاء تحبونهم) وتتخذون منهم بطانة (و) هم (لا يحبونكم) لأنهم مفطورون على كراهة من عداهم (وتؤمنون بالكتاب كله) بالكتب المنزلة كلها ؛ بما فى ذلك كتابهم ؛ فى حين أنهم لايؤمنون بكتابكم ، ولا بـكتابهم أيضاً لأنهم لا يعملون بما فى كتابهم (وإذا لقوكم) نافقوا و (قالوا آمنا وإذا خلوا) بأنفسهم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وعض الأنامل: عادة يفعلها المغيظ المحنق ، إذا لم ينل من عدوه منالا (إن الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (إن تمسسكم حسنة) نصر أو غنيمة (تسؤهم وإن تصبكم سيئة) باخفاق مقصد أو بهزيمة من عدو (يفرحوا بها) أرأيتم أيها المؤمنون حال من نهاكم عن اتخاذهم بطانة لكم ، أو أولياء توالونهم من دون المؤمنين ؟ !

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ أى خرجت غدوة من أهلك . والغدوة : ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ﴿تبوىء المؤمنين﴾ تنزلهم ﴿مقاعد للقتال﴾ مواقف ؛ أى ترتب جيوش المؤمنين : ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين . وكان ذلك فى وقعة أحد ﴿إذ همت طائفتان﴾ هم بنو سلمة ، وبنو حارثة ﴿أن تفشلا﴾ تضعفا عن القتال ﴿والله وليهما﴾ كافيهما وناصرهما ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ لاعلى أحد غيره قال تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ قليلون ؛ نصركم ـ رغم قلتكم وضعفكم ـ على المشركين رغم كثرتهم وقوتهم ﴿ويأتوكم من فورهم﴾ من وقتهم ﴿مسومين﴾ معلمين ﴿وماجعله الله﴾ أى هذا الإمداد ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ فلا تجزع لكثرة العدو ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ يهبه لمن يشاء بلا قدرة ولا قوة ، ويمنعه عمن يشاء مع مزيد القدرة ووفور القوة ؛ وقد وهبكم النصر على الكافرين مع قلتكم وكثرتهم ،وضعفكم وقوتهم ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ أى ليهلك طائفة منهم ﴿أويكبتهم﴾ يغيظهم ويذلهم ويخزيهم ﴿فينقلبوا خائبين﴾ فيرجعوا منهزمين .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ كل نهى جاء مصحوبا بنداء المؤمنين : «يا أيها الذين آمنوا» فهو من المحرمات ؛ التى يأثم فاعلها ، ويثاب تاركها : «يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان» «لا تكونوا كالذين كفروا» «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» «لاتخونوا الله والرسول» وأمثال ذلك . وأكل الربا من أفحش الموبقات المنهى عنها ؛ خاصة إن كانت ﴿أضعافاً مضاعفة﴾ وهو ما يسميه الربويون بالفوائد المركبة ؛ وهو أن يضم المرابى فوائد الدين إلى أصله ، ويحتسب الدين وفوائده وفوائد الفوائد ؛ وهكذا حتى يتضاعف الدين «أضعافاً مضاعفة» وليس معنى الآية : إباحة الربا إذا لم يكن أضعافاً مضاعفة ؛ بل هو حرام قل أو كثر ، ضوعف أو لم يضاعف ؛ ويأثم فاعله ، ويكفر مستحله : لقوله تعالى ﴿واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ الذين لا يطيعون الله فيما أمر ، ولا يعبأون بتهديده ووعيده ! ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ أى بادروا لفعل مايوصل إليها ؛ من فعل الطيبات ، واجتناب المحرمات ﴿و﴾ سارعوا إلى ﴿جنة عرضها السموات والأرض﴾ هذا عرضها فكيف بطولها؟ والمراد بذلك وصفها بالسعة والبسط ؛ فشبهها تعالى بأوسع ماعلمه الناس وألفوه . أما وصفها الحقيق : فهو مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! ﴿أعدت﴾ هذه الجنة ، التى هذا وصفها ، وهذه سعتها ﴿للمتقين﴾ الذين يرجون رحمة ربهم ، ويخافون عذابه ! ووصف الله تعالى المتقين بقوله ﴿الذين ينفقون﴾ مما آتيناهم ﴿فى السراء والضراء﴾ فى اليسر والعسر ، فى السعة والضيق ، فى السرور والحزن ؛ لايمنعهم مانع عن الإنفاق والاعطاء ؛ أليس هذا أمر ربهم ، وتوجيهه لهم ؟! ﴿والكاظمين الغيظ﴾ يقال : كظم غيظه: إذا حبسه ومنعه ﴿والعافين عن الناس﴾ إذا صدرمنهم مايستوجب المؤاخذة ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ الفاحشة : الفعلة القبيحة ، الخارجة عما أمر الله تعالى به . وقيل : الفاحشة : الزنا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب المعاصى ، وتعريضها للعقاب ﴿ذكروا الله﴾ تذكروا أمره ونهيه ، وثوابه وعقابه ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ طلبوا منه تعالى غفرانها ، وعاهدوه على تركها وعدم العودة إليها ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ أى لاأحد يغفرها ويمحوها سواه تعالى ؛ بشرط الاستغفار ، وعدم الاصرار ﴿ولم يصروا﴾ أى لم يقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ من الذنوب التى استوجبت الاستغفار وإلا فالعائد إلى ذنبه ، كالمستهزىء بربه ! ﴿وهم يعلمون﴾ أن مايفعلونه من الآثام .

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

قَدْ

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ

﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلكم سنن﴾ وقائع أو أمم ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بيان للناس﴾ يبين لهم ما خفى عليهم ﴿وهدى﴾ هداية لهم يهديهم إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم ﴿وموعظة للمتقين﴾ يتعظون بما فيه من الآيات، ويعتبرون بما فيه من الحادثات ﴿ولا تهنوا﴾ من الوهن أى لا تضعفوا ﴿ولا تحزنوا﴾ فالله تعالى معكم ﴿وأنتم الأعلون﴾ بالغلبة والنصر على الكافرين ﴿إن يمسسكم قرح﴾ القرح: واحد القروح؛ وهو كناية عن الغلب والهزيمة يوم أحد ﴿فقد مس القوم قرح مثله﴾ أى مستهم هزيمة منكرة يوم بدر ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ أى نصرفها بينهم: فننصر هؤلاء يوماً، وننصر أولئك يوماً آخر. ونفقر هؤلاء، ونغنى هؤلاء؛ ثم نغنى من أفقرنا، ونفقر من أغنينا كل شيء عندنا بمقدار وتقدير، ونظام وتدبير ﴿وليعلم الله﴾ علم ظهور ﴿الذين آمنوا﴾ بصبرهم على بلواهم، وشكرهم على نعماهم! ﴿وليمحص﴾ يبتلى ويختبر ﴿ويمحق﴾ يهلك ﴿أم حسبتم﴾ أيها المؤمنون ﴿أن تدخلوا الجنة ولما﴾ لم ﴿يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ على ما أصابهم فى سبيله ﴿ولقد كنتم تمنون﴾ تتمنون ﴿الموت﴾ فى الجهاد؛ عند مافاتتكم وقعة بدر التى انتصر فيها المسلمون ﴿فقد رأيتموه﴾ أى رأيتم أسبابه؛ فى الجهاد يوم أحد؛ فلم جبنتم وانهزمتم؟ أليس هو الموت الذى تتمنونه والشهادة التى تنشدونها؟! (انظر آية ٤٢ من سورة الزمر) ﴿وما محمد إلا رسول﴾ يعرض له ماعرض لسائر الرسل، ويجوز عليه ما جاز عليهم وهو كسائر البشر: يأكل الطعام، ويمشى فى الأسواق. ويمرض، ويموت (انظر آية ٤ من سورة القلم) ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبله الرسل﴾ وماتوا حين حان أجلهم ﴿أفإن مات﴾ كباقى مخلوقات الله تعالى ﴿أو قتل﴾ كسائر المستشهدين فى سبيله ﴿انقلبتم﴾ رجعتم ﴿على أعقابكم﴾ والمراد: ارتددتم إلى الكفر بعد إيمانكم ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ فيكفر بعد إيمان، ويشك بعد إيقان ﴿فلن يضر الله شيئاً﴾ بل يضر نفسه، ويوردها مورد الهلكة

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ

(وما كان لنفس أن تموت) بإرادتها ؛ بل تموت (بإذن الله) حين ينتهى أجلها المحدد لها فإذا جاء أجلها لا تستأخر ساعة ولا تستقدم (كتابا) مكتوباً عند الله (مؤجلا) أى مؤقتا بأجل معلوم ؛ فلا ينفع الجبن ، ولا تنجى الهزيمة «قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا نؤته) ما كتب له (منها) وليس له حظ فى ثواب الآخرة (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) وما أعده الله للمتقين (نؤته منها) ما يستحقه من النعيم المقيم ! (وكأين) وكم (من نبى قاتل معه ربيون) أى ربانيون ؛ وهم العلماء العاملون ، والمؤمنون الموحدون : حواريو الأنبياء وخاصتهم (فما وهنوا) أى فما فتروا ، وما انكسرت همتهم ، أو ضعفت نفوسهم (وما استكانوا) وما خضعوا (والله يحب الصابرين) فى الحرب ، وعلى البأساء والضراء ، وعلى الطاعة ، وعن المعصية (وما كان قولهم) أى لم يكن قولهم هذراً ولا لغواً ولا شكاية ، ولا تأففاً وتضجراً ؛ وإنما طاعة وصبراً ؛ ولم يكن قولهم (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا) تجاوزنا الحد فيما أمرتنا به ، ونهيتنا عنه (وثبت أقدامنا) فى الحرب ؛ فلا تزول من مكانها إلا إلى النصر والظفر ! من هنا نعلم أن واجب الإنسان حين يدعو ربه لدفع ملمة ، أو رفع كربة : أن يتجرد من دنياه ، ويستغفر من خطاياه ، ويتجه إلى مولاه ؛ فيستجيب دعاه ! ألا ترى ـ هداك الله تعالى إلى مرضاته ـ إلى قول العزيز الجليل (فآتاهم الله ثواب الدنيا) بالنصر والغنيمة والذكر الحسن (وحسن ثواب الآخرة) بالجنة والنعيم المخلد ، ورضى عنهم وأرضاهم ! (بل الله مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) منكم ؛ فلا يستطيعون مقاتلتكم (بما أشركوا) أى بسبب إشراكهم (بالله ما لم ينزل به سلطاناً) حجة أو برهاناً (ومأواهم) مرجعهم .

﴿مثوى﴾ مقام ﴿إذ تحسونهم﴾ تقتلونهم . والحس : القتل والاستئصال ﴿بإذنه﴾ بأمره وإرادته وقدرته ﴿حتى إذا فشلتم﴾ جبنتم وضعفتم ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من النصر والظفر والغنيمة ، وانهزام العدو فى مواقع عدة ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ الغنيمة ؛ فترك مراكز القتال ؛ ليفوز بها ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وثوابها ؛ فثبت فى مراكزه حتى قتل ؛ وفاز بالأجر والشهادة ؛ وأنعم بهما من سعادة !

وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ

﴿ثم صرفكم عنهم﴾ ردكم عن الكفار بالهزيمة ﴿ليبتليكم﴾ ليختبركم بالمصائب ، وليظهر ثباتكم على الإيمان ﴿إذ تصعدون﴾ الإصعاد : الذهاب فى صعيد الأرض ، أو الإبعاد فيه . والصعيد : ماعلى وجه الأرض من تراب وحجر ونحوهما . والمعنى: تستبقون إلى الهرب فى مستوى الأرض، وفى بطون الأودية والشعاب . وقيل: هو من الصعود؛ وأنهم صعدوا هاربين فى أحد ﴿ولا تلوون﴾ لا تلتفتون ﴿والرسول يدعوكم فى أخراكم﴾ يناديكم وأنتم منهزمين: إلى عباد الله ، إلى عباد الله! ﴿فأثابكم﴾ جزاكم ﴿غماً﴾ هزيمة ﴿بغم﴾ أى مقابل غمكم للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، ومخالفتكم أمره . أو المعنى : غمكم بالهزيمة فى أحد ، مقابل غم الكافرين وهزيمتهم ببدر ! وهو كقوله تعالى «وتلك الأيام نداولها بين الناس» ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم﴾ والهزيمة ﴿أمنة نعاساً﴾ أى أنزل تعالى على المؤمنين الأمن ، وأزال عنهم الخوف حتى نعسوا ﴿يغشى﴾ هذا النعاس ﴿طائفة﴾ جماعة ﴿منكم﴾ وهم الذين كانوا مع الرسول فى القتال ، وعملوا بأمره ، ولم تلههم الغنائم عن طاعته : فنعسوا من كثرة ما أمنوا. والنعاس فى القتال : أمن من الله ورحمة ، وفى الصلاة : من الشيطان ﴿وطائفة﴾ أخرى ؛ وهم الذين خالفوا أمر الرسول ، وانصرفوا إلى الغنائم ؛ فتقدم المشركون وأثخنوا المؤمنين . وهذه الطائفة ﴿قد أهمتهم أنفسهم﴾ والمحافظة على حياتهم ؛ فهم من حذر الموت ، وخشية القتل فى شغل ﴿يظنون بالله غير﴾ الظن ﴿الحق﴾ ويتوهمون أنه تعالى لا ينصر محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ظن الجاهلية﴾ الأولى ، الذين كانوا يشركون بالله ، ولا يعرفون رباً يعتمدون عليه ، ويكلون أمورهم إليه ﴿يخفون فى أنفسهم﴾ من النفاق ﴿ما لا يبدون لك﴾ وذلك لأنهم كانوا يبدون للرسول الإسلام ــ وهم برآء منه ــ والحرص على الجهاد ــ وهم بعداء عنه ــ

فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فإذا

﴿لبرز﴾ خرج ﴿الذين كتب﴾ قضى ﴿عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ مصارعهم ﴿وليبتلى﴾ يختبر ﴿ما فى صدوركم﴾ من إيمان وإخلاص، أو كفر ونفاق ﴿وليمحص﴾ يميز حقيقة ﴿ما فى قلوبكم﴾ من حب له، وتفان فى سبيله، أو حب للذات، وتفان فى الملذات ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ بما فى القلوب ﴿إن الذين تولوا منكم﴾ انهزموا ﴿يوم التقى الجمعان﴾ الجيشان: جمع المسلمين، وجمع الكافرين؛ بأحد ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أوقعهم فى الزلة ﴿ببعض ما كسبوا﴾ عملوا من الذنوب. ﴿وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض﴾ سافروا فيها، وتعرضوا للمتاعب والأخطار ﴿أو كانوا غزى﴾ جمع غاز ﴿لو كانوا عندنا﴾ فى ديارهم ﴿ما ماتوا﴾ فى أسفارهم ﴿وما قتلوا﴾ فى غزواتهم. ونسوا أنهم لو كانوا فى بيوتهم وكتب عليهم الموت؛ لسعى إليهم، أو سعوا إليه، وأن قضاء الله تعالى لا يدفع، وأمره لا يرد ﴿ليجعل الله ذلك﴾ القول الذى يقولونه، والتفكير الذى يفكرونه ﴿حسرة فى قلوبهم﴾ تحز فى نفوسهم ﴿والله يحي ويميت﴾ فلا يمنع من الموت قعود، ولا يكون القعود سبباً فى الخلود ﴿لمغفرة من الله﴾ لذنوبكم ﴿ورحمة﴾ منه لكم ﴿خير مما يجمعون﴾ من المال الفانى ﴿ولئن متم﴾ فى فراشكم، أو أسفاركم ﴿أو قتلتم﴾ فى حربكم وجهادكم ﴿لإلى الله تحشرون﴾ فيجزيكم خير ما عملتم ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ أى فبرحمة عظيمة كائنة من الله تعالى لهم؛ عاملتهم بهذا الرفق والتلطف! ﴿ولو كنت فظاً﴾ جافياً ﴿غليظ القلب﴾ قاسيه ﴿لانفضوا﴾ تفرقوا ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم﴾ ماتقدم من ذنوبهم ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ تكريماً لهم، وتطييباً لنفوسهم: يا لله! عفو ومغفرة، ورفعة تبلغ حد المشاورة! يأمر المولى عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام بمشاورتهم فى الأمر ـ وهو خير الأنام، وهاديهم ومرشدهم ـ وكل الناس مهما ارتقوا وعلوا فمن مدده يغترفون، ومن فيضه يستقون! ولكن الله تعالى أراد بهذه الآية أن يعلمنا التدبر فى الأمور، والتشاور فيها؛ وما المبادىء الديمقراطية، والنظم الدستورية، والمجالس النيابية؛ إلا نتيجة تعاليم هـذا الكتاب الكريم؛ فله تعالى الحمد على ما منّ به وأنعم!

﴿فإذا عزمت﴾ أى إذا استقر رأيك على إمضاء أمر من الأمور ، وطابت نفسك له ، وشاورت إخوانك وأحباءك ، واستخرت إلهك ﴿فتوكل على الله﴾ اعتمد على معونته ونصرته ؛ فانه لا شك معينك وناصرك ﴿وعلى الله﴾ وحده ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ الصادقون فى الإيمان ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء)

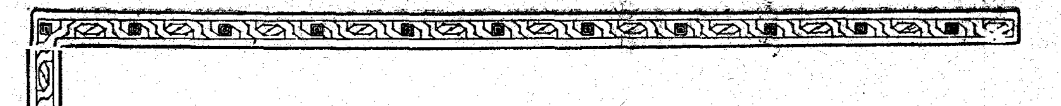
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى

﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ أن يخون. يقال : غل من المغنم : إذا أخذ منه خفية ﴿ومن يغلل﴾ منكم ﴿يأت بما غل يوم القيامة﴾ المعنى : أنه يأت حاملا ذنب الغلول وإثمه ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ تعطى جزاء ما عملت وافياً ؛ غير زائد ولا منقوص . قيل : نزلت حينما افتقدوا قطيفة من مغانم بدر ؛ فقال بعضهم: لعل محمداً أخذها لنفسه . وقيل : «أن يغل» أى يكتم شيئاً مما أنزله الله تعالى عليه ؛ رهبة من الناس أو رغبة ! ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ أطاعه واتبع أمره ، ولم يغل من مغنم ، ولم يكتم علماً ﴿كمن﴾ غل فى المغنم ، وعصى مولاه ، و ﴿باء﴾ رجع ﴿بسخط﴾ غضب ﴿من الله﴾ لا يستويان ! ﴿هم درجات عند الله﴾ فالمتبع لرضوانه فى جنات النعيم ، والذى باء بسخطه فى العذاب الأليم . ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ تفضل عليهم وأكرمهم وأعزهم ﴿إذ بعث فيهم رسولا﴾ محمداً : خاتم الرسل وإمامهم ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ﴿من أنفسهم﴾ أى من جنسهم ، ولسانهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ من القرآن الكريم ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من دنس الكفر والمعاصى ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ العلم النافع ﴿أولما أصابتكم﴾ أى أوحين أصابتكم ﴿مصيبة﴾ يريد ما أصابهم يوم أحد ؛ من قتل وجراح ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يوم بدر ؛ فقد قتل من المسلمين بأحد سبعون رجلا ، وكان المسلمون قد قتلوا منهم ببدر سبعين وأسروا مثلهم ﴿قلتم أنى هذا﴾ كيف يكون هذا ؟ ومن أين أصابنا هذا ! ونحن مؤمنون وهم كافرون ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ لأنكم خذلتم الرسول ، ولم تطيعوا أمره ، وهرعتم إلى الغنائم ، وتركتم مراكز القتال التى أمركم بالوقوف فيها ؛ فكر عليكم المشركون ، ونالوا منكم ما نالوا ؛ فلا تلوموا إلا أنفسكم !

الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ

عَظِيمٌ

﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾ يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن من دعى للجهاد فلم يلب؛ كان للكفر أقرب منه للإيمان! وجدير بمن سمع نداء الدين والوطن والواجب؛ فلم يلب هذا النداء؛ أن يموت إن شاء يهودياً أو نصرانياً! ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ وهو قولهم «لو نعلم قتالا لاتبعناكم» ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا﴾ عن الجهاد؛ كفراً وجبناً ﴿لو أطاعونا﴾ أي لو أطاعنا الذين خرجوا للقتال ﴿ما قتلوا﴾ ولكانوا سالمين مثلنا. قال الله تعالى لهم رداً عليهم ﴿قل فادرأوا﴾ ادفعوا ﴿عن أنفسكم الموت﴾ بقعودكم عن الجهاد ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تقولون ﴿ولا تحسبن﴾ لاتظنن ﴿الذين قتلوا في سبيل الله﴾ في الجهاد؛ لإعلاء دينه، ونصرة نبيه. لا تحسبنهم ﴿أمواتاً﴾ كسائر الأموات؛ الذين لايحيون، ولا يبعثون إلا يوم القيامة ﴿بل﴾ هم ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾ يأكلون ويشربون، ويتلذذون ويتنعمون، ويضحكون ويمرحون ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ من نعيم مقيم، ورزق كريم! ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم﴾ أي يستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يموتوا في الجهاد بعد، وبما سيؤول إليه حالهم بعد موتهم؛ من إكرام كاكرامهم، ونعيم كنعيمهم! ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾ الهزيمة بأحد



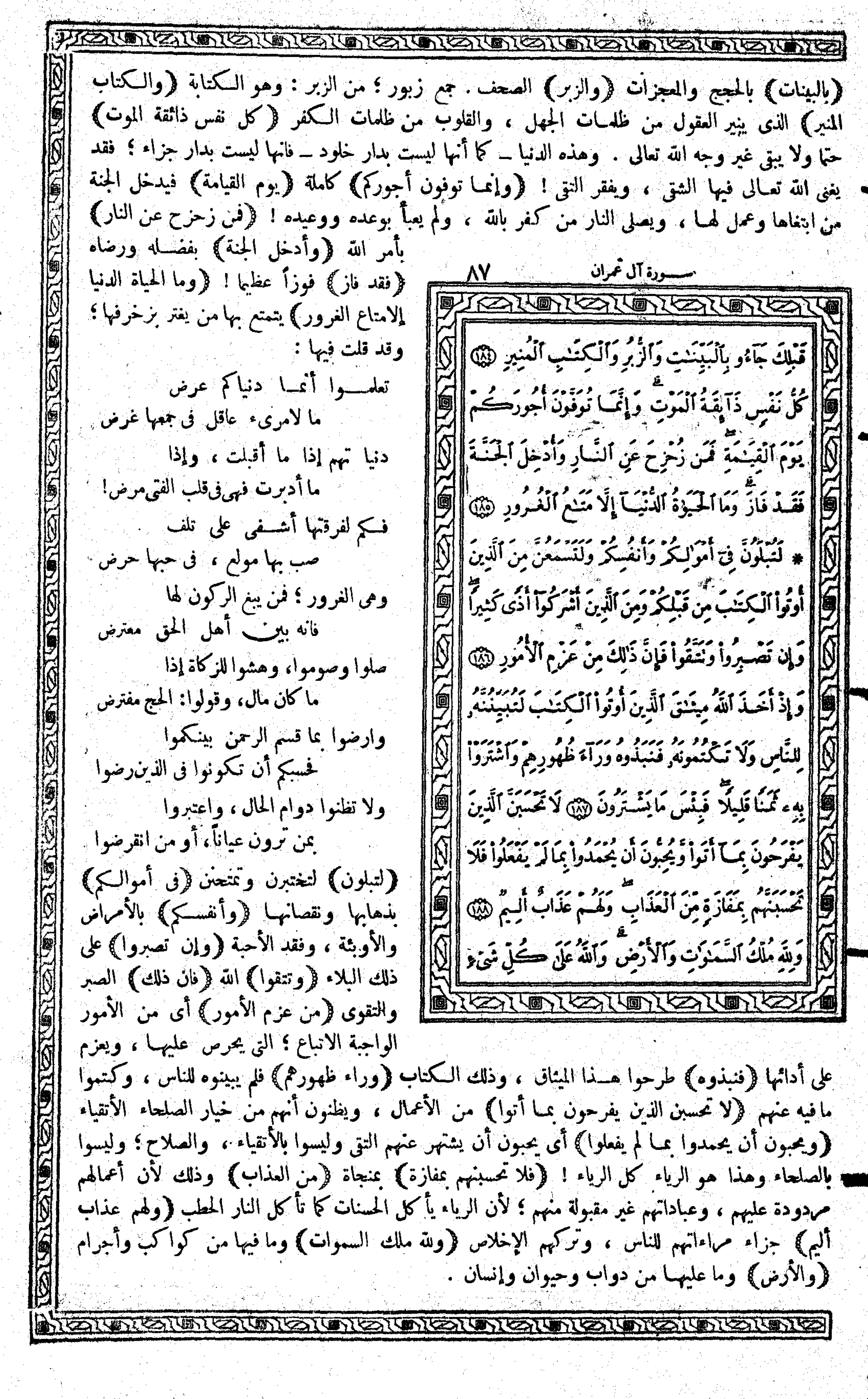
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ

﴿الذين قال لهم الناس﴾ أى قال لهم المنافقون ﴿إن الناس﴾ الكفار ﴿قدجمعوا لكم﴾ الجموع للقائكم ومحاربتكم ﴿فاخشوهم﴾ خافوهم ﴿فزادهم﴾ هذا التخويف ، وذلك القول . أو زادهم تجمع الأعداء عليهم ﴿إيماناً﴾ بالله ، ووثوقاً بنصره الذى وعد به ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ كافينا وناصرنا ﴿فانقلبوا﴾ رجعوا ﴿بنعمة من الله وفضل﴾ نصر وغنيمة ﴿لم يمسسهم سوء﴾ لم يصبهم قتل أوهزيمة ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ مايوجب رضاءه تعالى ﴿إنما ذلكم﴾ الذى يلقى الرعب فى قلوب المؤمنين ، ويصرف النفوس عن الجهاد فى سبيل الله ، ويخوفهم من الكافرين «إنما ذلكم» هو ﴿الشيطان﴾ اللعين : عدو المؤمنين ، وولى الكافرين ﴿يخوف أولياءه﴾ أى يخوفكم أتباعه من الكافرين ! ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أن مانملى لهم﴾ أى نمهلهم بدون جزاء وعذاب ﴿خير لأنفسهم﴾ أى ليس ذلك الإمهال خير لهم ؛ بل هو شر كبير! ﴿إنما نملى لهم﴾ نؤخرهم ﴿ليزدادوا إثماً﴾ على إثمهم ﴿ما كان الله ليذر﴾ ليترك ﴿المؤمنين على ما أنتم عليه﴾ من الفوضى والاضطراب ؛ فبعضكم يؤمن بالله تعالى إيماناً حقيقياً ، وبعضكم ينافق وبعضكم يعبد الله على حرف ؛ فما كان الله ليترككم على هذه الصورة ﴿حتى يميز﴾ يفصل ويبين ﴿الخبيث﴾ الكافر والمنافق ﴿من الطيب﴾ المؤمن الصادق الإيمان ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ أى ما كان ليطلعكم على ضمائر الناس ؛ فتعرفوا مافيها من كفر ونفاق ؛ ولكنه تعالى يختبرهم بالتكاليف الشاقة ؛ كالجهاد والهجرة وأشباههما ؛ فيميز المؤمن والطائع ، من الكافر والمنافق .

﴿ولـكن الله يجتبي﴾ يختار ﴿من رسله من يشاء﴾ فيصطفيه فيطلعه على ما فى ضمائر بعض الناس ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ من الأموال والأرزاق ؛ لايحسبون أن بخلهم به ﴿هو خيراً لهم بل هو﴾ فى الحقيقة ﴿شر لهم﴾ فى الدنيا بالأمراض ، وبغض الناس لهم . وفى الآخرة ﴿سيطوقون ما بخلوا به﴾ هو كناية عن إحاطة إثم البخل بهـم ؛ كاحاطة الطوق بالعنق ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ ملكهما ، وما فيهما ، ومن فيهما ﴿والله بما تعملون﴾ من خير أو شر ﴿خبير﴾ فيثيبكم عليه ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قاله اليهود لعنهم الله تعالى ؛ حين نزل قوله تعالى «من ذا الذى يقرض الله قرضا حسناً» ﴿سنكتب ماقالوا﴾ فى صحائف أعمالهم ؛ ليجازوا عليه يوم القيامة ﴿وقتلهم الأنبياء﴾ ونـكتب أيضاً قتلهم الأنبياء : كزكريا ويحيي عليهما السلام ﴿ونقول﴾ لهم يوم القيامة ﴿ذوقوا﴾ أيها الأغنياء الأغبياء ﴿عذاب الحريق. ذلك﴾ العذاب ﴿بما قدمت أيديكم﴾ من كفر ونكر ألم تقتلوا الأنبياء ؟ ألم تقولوا : «إن الله فقير ونحن أغنياء» ؟ ! ﴿الذين قالوا﴾ وهم اليهود أيضاً ﴿إن الله عهد إلينا﴾ أوصانا وأمرنا ﴿ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ أى حتى يقدم هذا الرسول قربانا ؛ فتنزل نار من السماء فتأكله . وهذا افتراء منهم على الله حيث لم يعهد إليهم بذلك ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات﴾ بالآيات الواضحات والمعجزات الظاهرات ﴿وبالذى قلتم﴾ أى بالقرابين التى تأكلها النار ﴿فلم قتلتموهم﴾ وقد جاءوا بما عهد إليكم به الله فى زعمكم ﴿فان كذبوك﴾ بعد أن ألجمتهم ﴿فقد كذب رسل من قبلك جاءوا﴾ أقوامهم

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن

قَبْلِكَ



﴿بالبينات﴾ بالحجج والمعجزات ﴿والزبر﴾ الصحف . جمع زبور ؛ من الزبر : وهو الكتابة ﴿والكتاب المنير﴾ الذى ينير العقول من ظلمات الجهل ، والقلوب من ظلمات الكفر ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ حتما ولا يبقى غير وجه الله تعالى . وهذه الدنيا ـ كما أنها ليست بدار خلود ـ فانها ليست بدار جزاء ؛ فقد يغنى الله تعالى فيها الشقى ، ويفقر التقى ! ﴿وإنما توفون أجوركم﴾ كاملة ﴿يوم القيامة﴾ فيدخل الجنة من ابتغاها وعمل لها ، ويصلى النار من كفر بالله ، ولم يعبأ بوعده ووعيده ! ﴿فمن زحزح عن النار﴾ بأمر الله ﴿وأدخل الجنة﴾ بفضله ورضاه ﴿فقد فاز﴾ فوزاً عظيما ! ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ يتمتع بها من يغتر بزخرفها ؛ وقد قلت فيها :

تعلموا أنما دنياكم عرض
ما لامرىء عاقل فى جمعها غرض
دنيا تهم إذا ما أقبلت ، وإذا
ما أدبرت فهى فى قلب الفتى مرض!
فكم لفرقتها أشفى على تلف
صب بها مولع ، فى حبها حرض
وهى الغرور ؛ فمن يبغ الركون لها
فانه بين أهل الحق معترض
صلوا وصوموا، وهشوا للزكاة إذا
ما كان مال، وقولوا: الحج مفترض
وارضوا بما قسم الرحمن بينكموا
فحسبكم أن تكونوا فى الذين رضوا
ولا تظنوا دوام الحال ، واعتبروا
بمن ترون عياناً ، أو من انقرضوا

سورة آل عمران 87

قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

﴿لتبلون﴾ لتختبرن وتمتحنن ﴿فى أموالكم﴾ بذهابها ونقصانها ﴿وأنفسكم﴾ بالأمراض والأوبئة ، وفقد الأحبة ﴿وإن تصبروا﴾ على ذلك البلاء ﴿وتتقوا﴾ الله ﴿فان ذلك﴾ الصبر والتقوى ﴿من عزم الأمور﴾ أى من الأمور الواجبة الاتباع ؛ التى يحرص عليها ، ويعزم على أدائها ﴿فنبذوه﴾ طرحوا هذا الميثاق ، وذلك الكتاب ﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يبينوه للناس ، وكتموا ما فيه عنهم ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ من الأعمال ، ويظنون أنهم من خيار الصلحاء الأتقياء ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ أى يحبون أن يشتهر عنهم التقى وليسوا بالأتقياء ، والصلاح ؛ وليسوا بالصلحاء وهذا هو الرياء كل الرياء ! ﴿فلا تحسبنهم بمفازة﴾ بمنجاة ﴿من العذاب﴾ وذلك لأن أعمالهم مردودة عليهم ، وعباداتهم غير مقبولة منهم ؛ لأن الرياء يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴿ولهم عذاب أليم﴾ جزاء مراءاتهم للناس ، وتركهم الإخلاص ﴿ولله ملك السموات﴾ وما فيها من كواكب وأجرام ﴿والأرض﴾ وما عليها من دواب وحيوان وإنسان .

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ

وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ

﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ ومافيها من عجب عجاب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالزيادة والنقصان ، والنور والظلمة ﴿لآيات﴾ لعبر ﴿لأولى الألباب﴾ ذوى العقول ﴿الذين يذكرون الله﴾ يتذكرونه ﴿قياما وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ والمراد بذكر الله فى هذه الحالات : هوخشيته ومراقبته فى كل حالة ؛ وليس كما يدعيه أرباب الطرق : من أن تأوبله مايفعلونه فى مراقصهم مما يتنافى مع الدين وآدابه ! وقيل : المراد بالذكر : الصلاة ؛ وليس بشيء . قال تعالى «فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والأرض﴾ وكيف خلقهما الله تعالى ، وكيف حفظهما ، وكيف رزق من فيهما ؟ قائلين فى حال ذكرهم وتفكرهم ﴿ربنا ماخلقت هذا﴾ الكون عبثا و ﴿باطلا سبحانك﴾ تنزهت وتعاليت عما يقوله الكافرون (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿ربنا إننا سمعنا مناديا﴾ هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو القرآن الكريم ﴿وكفر عنا﴾ استر وامح ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ جمع بر ، أو بار ؛ وهم المستمسكون بالشريعة ، المحافظون على حدود الله تعالى ﴿وآتنا ما وعدتنا﴾ من الفضل والرحمة والمغفرة ﴿على رسلك﴾ أى على ألسنة رسلك ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ أجاب دعاءهم ، قائلا لهم ﴿أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ وسأجزى كلا بما فعل ﴿بعضكم من بعض﴾ يستوى فى الأعمال الذكور والإناث ﴿لأكفرن﴾ لأمحون

وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿ثواباً من عند الله﴾ وجزاء لأعمالهم ﴿لا يغرنك﴾ يامحمد ، أو «لا يغرنك» أيها المؤمن ﴿تقلب الذين كفروا فى البلاد﴾ بالأموال والتجارة ؛ فهذا ﴿متاع قليل﴾ فى الدنيا ﴿ثم مأواهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش

﴿نزلا﴾ موضع إكرام . والنزل: مايعد لنزول الضيف وإكرامه

﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ المتقين ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿لمن يؤمن بالله﴾ ورسوله ﴿وما أنزل إليكم﴾ من القرآن ﴿وما أنزل إليهم﴾ من التوراة والإنجيل

﴿وصابروا﴾ أى غالبوا الأعداء فى الصبر على أهوال القتال ، وشدائد الحروب ﴿ورابطوا﴾ أى لازموا حدود بلادكم وثغوركم ؛ مستعدين للدفاع والكفاح والغزو

(٤) سورة النساء مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴿١﴾ وءاتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا ﴿٢﴾ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴿٣﴾ وءاتوا النساء صدقاتهن

(سورة النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خافوه واخشوا عقابه (الذى خلقكم من نفس واحدة) آدم عليه السلام (وخلق منها) أى من جنسها (زوجها) حواء (وبث) فرق ونشر (منهما رجالا كثيراً ونساء) كثيرة؛ هم سائر الخلق من بنى الإنسان (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) أى يسأل بعضكم بعضا بالله استعطافا كقولكم: أسألك بالله أن تفعل كذا. ويسأل بعضكم بعضاً بالأرحام؛ يقول: بحق ما بيننا من الرحم افعل كذا «والأرحام» جمع رحم؛ وهو القرابة. أى واتقوا الأرحام فلا تقطعوها؛ بل صلوا أقرباءكم وبروهم (إن الله كان عليكم رقيبا) أى مراقبا لأعمالكم، فجازيكم عليها؛ إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر (وآتوا اليتامى أموالهم) أعطوهم أموالهم، ولا تأكلوها لعجزهم عن مطالبتكم بها (ولا تتبدلوا الخبيث) الحرام؛ أى لا تستبدلوا الأمر الخبيث؛ وهو أكل مال اليتامى (بالطيب) الحلال؛ وهو المحافظة عليه، ورده لأصحابه (ولا تأكلوا أموالهم) بأن تضموها (إلى أموالكم) وتزعمونها لكم (إنه كان حوبا) إثماً (وإن خفتم ألا تقسطوا) ألا تعدلوا (فى) شأن (اليتامى فانكحوا) تزوجوا (ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) انظر مبحث «تعدد الزوجات» بآخر الكتاب (ذلك أدنى) أقرب (ألا تعولوا) ألا تجوروا. من عال الحاكم فى حكمه: إذا جار. أو «ألا تعولوا» بمعنى ألا تميلوا. من عال الميزان عولا إذا مال. وقيل: المعنى: ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم. يؤيده قراءة من قرأ «ألا تعيلوا» (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن

(نحلة) النحلة : العطاء الذى لايقابله عوض . أو «نحلة» أى عن طيب نفس . أو «نحلة» بمعنى: حقا لهن ، لامراء فيه ؛ لأن النحلة أحد معانيها الدعوى (فإن طبن لكم عن شىء منه) أى من المهر بأن تنازلن لكم عن بعضه (فكلوه هنيئاً مريئاً) حلالا لا شبهة فيه ؛ لأن كل حق تنازل عنه صاحبه ـ عن طيب نفس ـ فهو حلال طيب للمتنازل إليه (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرون وعديمو الأهلية ، أوهم النساء والصبيان أى لا تؤتى ابنك السفيه ، ولا امرأتك السفيهة مالك وكان أبو موسى الأشعرى يقول: ثلاثة يدعون الله تعالى فلا

صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ

يستجيب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفيها ، ورجل كان له دين على آخر فلم يشهد عليه . والآية فى السفهاء عامة بدون تخصيص والسفيه : هو المستحق الحجر ؛ لفساده وإفساده وسوء تدبيره ؛ فلا تؤتوهم (أموالكم) فيتلفونها ويضيعونها ؛ وهى (التى جعل الله) أى جعلها (قياما) قواماً لأبدانكم ، وسبباً لمعاشكم ! ويدل على أن المراد بذلك الأبناء والزوجات: قوله تعالى (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) لأن الإنسان غير مكلف برزق وكسوة سائر السفهاء ؛ وإن كان مكلفاً بأن يقول للجميع «قولا معروفا» والقول المعروف : أن يقول لهم : إن صلحتم ورشدتم أعطيناكم كذا ، وسلمنا إليكم كذا وجعلناكم رؤساء آمرين ، لا مرءوسين مأمورين ؛ وأمثال ذلك . وقد يكون المراد بقوله تعالى «أموالكم» : أموالهم ؛ فيكون المراد سائر السفهاء كما قدمنا . وسمى مال السفهاء : أموال المخاطبين : لأن المال مشاع الانتفاع بين الناس ، وتجب المحافظة عليه على كل واحد منهم (وابتلوا اليتامى) أى اختبروا صلاحهم ودينهم وعقلهم (حتى إذا بلغوا النكاح) أى سن الزواج ؛ وهو بلوغ الحلم . هذا وقد قيدت القوانين الوضعية سن الزواج لمصالح ارتآها المقنن ؛ وطاعة الحاكم واجبة مالم تمس حرمات الله تعالى ! (فان آنستم) وجدتم وعرفتم (منهم رشدا) عقلا وصلاحا فى التصرفات (فادفعوا إليهم أموالهم) ليتصرفوا فيها طبقا لرغباتهم ـ فى حدود ما أمر الله تعالى ـ وإلا فالحجر واجب على كل سفيه ! (ولا تأكلوها إسرافا وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبادرين أكل أموالهم قبل أن يكبروا ويتسلموها منكم (ومن كان) منكم (غنيا) أيها الأوصياء (فليستعفف) أى فلا يأخذ أجرا على وصايته (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) لا يزيد عن أجر إدارة أموال اليتيم فحسب (للرجال نصيب) حظ مقدر (مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب) من ذلك أيضا (نصيباً مفروضا) فرضه الله تعالى (وإذا حضر القسمة) قسمة الميراث (أولوا القربى) ذوو القرابة ؛ ممن لايرث =

= (و) حضر (اليتامى والمساكين فارزقوهم منه) من الميراث بقدر ما تطيب به نفوسكم (وقولوا لهم قولا معروفا) ترضية لنفوسهم، وتطييباً لقلوبهم. وهى وصية لأولى القربى: الذين يحزنون ولا يرثون. قال تعالى «إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف» وقد ذهب بعضهم إلى نسخ ذلك الحكم؛ وهو محكم وليس بمنسوخ؛ وقد أجمع على ذلك الصدر الأول من الإسلام: فقد روى عن يحيى بن يعمر رضى الله تعالى عنه: ثلاث آيات محكمات مدنيات؛ تركهن الناس: هذه الآية، وآية الاستئذان «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم» وآية التعارف «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» وقيل: على الوارث الاعطاء، وعلى المعطى له قول المعروف (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) بعد موتهم (ذرية ضعافا خافوا عليهم) نزلت هذه الآية فى الأوصياء والمعنى: تذكر أيها الوصى ذريتك الضعاف من بعدك؛ وكيف يكون حالهم بعد موتك؛ وعامل اليتامى الذين وكل إليك أمرهم وتربوا فى حجرك؛ بمثل ما تريد أن يعامل أبناؤك بعد فقدك! (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أى ظالمين لهم (إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) وهذا مشاهد فى الدنيا: ترى آكل مال اليتيم؛ وقد انتابته الأمراض الفتاكة المهلكة؛ فهذه قرحة فى المصارين تقض مضجعه، وهذا سرطان يسرى فى دمه ويأكل لحمه، وهؤلاء أبناؤه وقد فسدوا خلقاً وخلقاً، وعاثوا فساداً وإفساداً، وأهلكوا ماله وأفسدوا حاله؛ جزاء وفاقاً لما جنته يداه، وعصيانه لمولاه! وقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالنار التى يأكلونها فى بطونهم: نار الآخرة؛ لأن مآلهم إليها. والقول الذى ذهبنا إليه أولى لما نشاهده، ولقوله تعالى (وسيصلون سعيرا) فى الآخرة (يوصيكم الله) أى يعهد إليكم، ويأمركم (فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أى مثل نصيب الأنثيين. ولا توجد حالة يسوى فيها المشرع بين الذكر والأنثى فى الميراث؛ سوى عند وجود الأبوين مع ابن أو بنتين فصاعداً؛ فإن نصيب الأم يكون مساويا لنصيب الأب؛ فيأخذ كل منهما السدس. وعند وجود اخوة، وإخوة لأم؛ فانهم جميعاً يستحقون ثلث التركة: يقسم بينهم بالتساوى، لافرق بين ذكورهم وإناثهم. ولا عبرة بما يدعو إليه غلاة الزنادقة، وأئمة الإلحاد؛ من مساواة المرأة بالرجل فى الميراث؛ إذ أن مايدعون إليه من أكبر الكبائر! كيف لا وهو مخالف لما جاء به الكتاب الكريم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! والميراث من الحقوق التى قررها الله تعالى، وجعلها فريضة محكمة، وتوعد مخالفها والخارج عليها بنار الجحيم؛ والعذاب =

ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ

مما

= الأليم : «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين» فليس لإنسان - بالغ ما بلغ - أن يطمعه الشيطان ؛ بأن هداه أهدى من هدى الله ! وليس لإنسان أن يحاول الخروج عما رسمه الله تعالى وأراده لعباده ؛ وليس لهوى الإنسان ، مكان مع صريح القرآن ! «آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا . فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما» «يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم» وقد يقول قائل: إن الله قد جعل الإنسان حراً فيما آتاه ! وهو وهم يلقيه الشيطان لأوليائه من بني

مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ

الإنسان ؛ فهي حرية مقيدة بما فرضه وقرره واهب المال ! وقد جعله تعالى فتنة للناس «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم» «فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا» باتباع أحكامه ، والتزام أوامره ، ومن شاء اتخذ إلهه هواه ، وخرج من دنياه بسخط المخلوقين ، وغضب رب العالمين! وليس معنى ذلك أننا نحرم الوصية المشروعة ؛ التي يجب وضعها حيث أمر الله ؛ وما شرعها تعالى إلا لزيادة ثواب فاعلها وتنمية أعماله ؛ وهي - في حدود الثلث - لذوي القربى من المعوزين ، ولذوي الحاجات من الفقراء والعاجزين ! وقد جاء في الحديث الشريف : أن أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منح أحد أولاده بعض ماله ، وجاء ليشهد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه على ما منح ؛ فسأله صلى الله تعالى عليه وسلم : أله أخوة ؟ قال : نعم يارسول الله . قال : أكلهم أعطيت مثلما أعطيته ؟ قال : لا . قال عليه الصلاة والسلام : «لا أشهد على جور ؛ اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم !» وقد وضح من ذلك الحديث : أن محاباة بعض الأبناء ظلم وجور ؛ وعن ذلك نهى الله تعالى ورسوله «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» ﴿آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الله يدري ذلك ؛ فقسم حيث توجد المصلحة ، وتتوفر المنفعة . وهذا يتنافى مع ما يعمله بعض الجهال ؛ من إيثار بعض أبنائه عماله ، وحرمان البعض الآخر ؛ مما يوجب البغضاء والشحناء ، ويؤدي إلى ارتكاب الجرائم ، ووخيم العواقب ﴿من بعد وصية يوصين بها﴾ إلى بعض الأقرباء الفقراء ؛ كما بينا في الآية السابقة ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ الكلالة : الذي لا ولد له ولا والد ﴿غير مضار﴾ أي بشرط أن تكون تلك الوصية للمصلحة ؛ لا بقصد الاضرار بالورثة ﴿تلك﴾ الفرائض التي بينها الله تعالى وشرعها ﴿حدود الله﴾ فلا ينبغي تجاوزها «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ هي المساحقة . وقال الأكثرون : هي الزنا ، وإنها =

فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْـَٰٔنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾

وَكَيْفَ

= نسخت بقوله تعالى «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» وسندهم فى ذلك : قوله تعالى ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ واشتراط الأربعة الشهداء ؛ لم يرد إلا فى الزنا ﴿فان شهدوا﴾ بإتيانهن الفاحشة ﴿فأمسكوهن﴾ احبسوهن ﴿فى البيوت﴾ فلا يختلطن بأحد - رجالا أو نساء - عقوبة لهن وحفظاً ﴿حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ طريقا للخلاص ؛ مما هن فيه من الحبس ، ومما كن عليه من الإثم ! وذلك السبيل بالزواج . ويرد على قول من قال : إن هذه الآية نزلت فى الزنا وإنها منسوخة ؛ يرد على ذلك بقوله تعالى ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ نخص فى الأولى الأناث وحدهن ، وفى الثانية الرجال وحدهم؛ فبان لنا من ذلك أنه تعالى إنما عنى فى الأولى المساحقة ، وفى الثانية اللواط ﴿فآذوهما﴾ أى اللائط والملوط به : والإيذاء يكون بالضرب ، والتوبيخ ، والتشنيع ، والتعيير ، والهجران ، وغير ذلك . وهو دليل أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ؛ فى حد اللائط بالتعزير . والتعزير قد يصل إلى حد القتل ؛ وقد قضوا فى اللائط ؛ بأن يلقى من حالق ! واللواط من الفواحش الذميمة التى يستحق مرتكبها أن يقطع إرباً ، ويلقى للكلاب ؛ جزاء فعلته التى قبحها الله وتوعد فاعلها ! عافانا الله تعالى من كل ما يغضبه بمنه وكرمه ، وأنجانا من ذل المعصية ، ووهبنا عز الطاعة ؛ إنه سميع مجيب ! ﴿فإن تابا﴾ عن اللواط ﴿وأصلحا﴾ أعمالهما ﴿فأعرضوا عنهما﴾ توقفوا عن إذايتهما ؛ ماداما قد تابا إلى الله ، وأصلحا ﴿إن الله كان تواباً﴾ قابلا لتوبة من تاب ﴿رحيما﴾ بعباده ؛ إذا حسنت توبتهم : بدل سيئاتهم حسنات! ﴿إنما التوبة على الله﴾ يقبلها ويثيب فاعلها ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ بجهل منهم عاقبة أمرهم ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ أى يتوبون سريعا ، ويرجعون إلى مولاهم ! ومن علامة التوبة النصوح : عدم العود إلى الذنب ؛ وإلا فالعائد لذنبه ، كالمستهزىء بربه! وهذه هى التوبة المتقبلة ؛ التى تجعل صاحبها فى عداد الطيبين الصالحين ! ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ ولايعبأون بفاطر الأرض والسموات ! وهم أهل الاصرار على المعاصى ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ أى حضرت أسبابه ومقدماته ، وأخـذ فى النزع ﴿قال إنى تبت الآن﴾ فهذا الغر لاتقبل توبته ، ولاترد غربته ، ولا تحمد أوبته ! فما أشبهه بفرعون - حين أدركه الغرق ، وأخذ الموت بتلابيبه - قال : «آمنت أنه لاإله إلا الذى آمنت به بنوإسرائيل» فقيل له : «آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» (انظر آية ٩١ من سورة يونس) ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا﴾ أعددنا وهيأنا ﴿لهم عذابا أليما﴾ فى جهنم وبئس المصير ! ﴿يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء =

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ
مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم
مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن
نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

= كرها﴾ أى لا يحل لكم أن تأخذوا نساء مورثكم فتتزوجوهن كأنهن من الميراث المتروك لكم؛ وكان ذلك شأنهم فى الجاهلية. وقد يكون المعنى: لا يحل لكم أن ترثوهن أحياء؛ فتأخذوا أموالهن كرها ﴿ولا تعضلوهن﴾ العضل: الحبس والتضييق ﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ من المهر ونحوه ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾ هى الزنا. وقيل: ماتستحيل معه المعيشة: كالنشوز، وإيذاء الزوج وأهله؛ فهنا فقط يجوز للزوج أن يسترد ما آتاها ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ بالمودة والرحمة اللتان فرضهما الله تعالى بين الأزواج ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ وهو حث كريم على العطف وعدم التطليق إلا للضرورة القصوى التى تستحيل معها جنة الحياة الزوجية، إلى جحيم الشحناء والبغضاء! ﴿وإن أردتم﴾ أيها الأزواج ﴿استبدال زوج مكان زوج﴾ بتطليق وتزوج ﴿وآتيتم احداهن﴾ أى آتيتم الزوجة المرغوب عنها، المرغوب فى تطليقها ﴿قنطاراً﴾ كناية عن كثرة المعطى لها؛ من مهر وهدية ونحوهما ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً﴾ وصف الله تعالى أخذ المطلق شيئاً مما آتاه لمطلقته بالبهتان - وهو الظلم - وبالإثم المبين - وهو الذنب البين الفادح. وهذا النهى فى حالة واحدة: هى رغبة الرجل وحده فى التطليق؛ ابتغاء «استبدال زوج مكان زوج» أما فى حالة رغبتها هى فى الانفصال؛ فيجوز له أخذ كل ما آتاها أو بعضه؛ لقوله تعالى «فلا جناح عليهما فيما افتدت به» نفسها؛ لتخلص من هذا الزوج الذى لا ترغب فى البقاء تحت إمرته (انظر آية ٢٢٩ من سورة البقرة) ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ هو كناية عن الخلوة الصحيحة ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ الميثاق الغليظ: هو ما أمر الله تعالى به من إمساكهن بالمعروف، أو تسريحهن بإحسان، أوهو عقد الزواج، أو هو كناية عن الالتقاء والمجامعة. أو المراد بالإفضاء والميثاق: هو ما بينهما من المودة والمحبة، وما يجب عليهما من ستر المعايب، والمحافظة على السر ﴿ومقتاً﴾ وبغضاً عند الله تعالى ﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾ أى بنات أزواجكم اللاتى ربيتموهن؛ وسميت ربيبة: لتربيته لها. والتحريم يتناول من تربت فى الحجر ومن لم تترب فيه؛ لأن الزوجة المدخول بها: يحرم على الزوج أصولها وفروعها. وقد ذهب أهل الظاهر إلى أن الربيبة لا تحرم إلا بشرطين: الدخول بالأم، والتربية فى الحجر؛ فإذا انعدم أحد الشرطين؛ لم يوجد التحريم ﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ لا حرج فى تزوج الربيبة فى حالة طلاق الزوجة، أوموتها قبل الدخول بها؛ والدخول: كناية عن الجماع ﴿وحلائل أبنائكم﴾ =

= جمع حليلة ؛ وهى الزوجة (وأن تجمعوا بين الأختين) لما فى الجمع بينهما من مضارة لها ؛ وإبدال ما بينهما من ود بالغ ، إلى حقد شنيع ! ويحرم أيضاً الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، أو ابنة أخيها ، أو ابنة أختها ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وعلى ابنة أخيها ولا على ابنة أختها» (والمحصنات) المتزوجات (من النساء) أى وحرمت عليكم النساء المتزوجات ؛ ويتناول التحريم : أن يتعرض لها بوعد ، أو أن يعرض نفسه عليها (إلا ماملكت أيمانكم) فهن غير محرمات . وهن اللائى سبين فى الحرب ، ولهن أزواج من الكفار المحاربين ؛ فقد أصبحت - بالكفر والسبي - من ملك اليمين ؛ حلالا لمن أخذها؛ بشرط أن يستبرئها ؛ وإذا باعها فقدطلقت منه بالبيع . وقيل : «المحصنات» العفائف «إلا ما ملكت أيمانكم» بالعقد . وقيل : هن نساء أهل الكتاب : لا تحل إلا إذا ملكت بالسبي وقت الحرب (كتاب الله) أى كتب الله تعالى تحريم ما حرم ، وتحليل ما حلل من ذلك (عليكم) فلا تحلوا ماحرم ، أو تحرموا ما أحل (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا) الحلال (بأموالكم) للمهر أو للثمن (محصنين) متزوجين . والاحصان : العفة ، وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام (غير مسافحين) غير زانين . والمسافحة : الزنا (فما استمتعتم به منهن) بالزواج (فآتوهن أجورهن) مهورهن (ولا جناح عليكم) لا إثم ، ولا حرج (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) أى فى إنقاص جزء من المهر المفروض ؛ بشرط التراضى الكامل ؛ الذى لا عسف فيه ولا إكراه (ومن لم يستطع منكم طولا) غناء وسعة (أن ينكح المحصنات) الحرائر العفيفات (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم) إمائكم (المؤمنات والله أعلم بإيمانكم) أى ليتزوج أحدكم أمة أخيه أو صديقه - ما دامت قد أظهرت إيمانها - والله أعلم بسرائركم (بعضكم من بعض) أى إنكم جميعاً بنو آدم ؛ قد خلقتم من نفس واحدة ؛ فلاداعى أن تستنكفوا من زواج الإماء المؤمنات ؛ حيث إنكم فى ضيق لايمكنكم من زواج الحرائر ؛ أليس الزواج بالأمة خير من الوقوع فى الزنا ؟ ! (فانكحوهن) تزوجوا الإماء (باذن أهلهن) مواليهن (وآتوهن أجورهن) مهورهن (بالمعروف) على ماتراضيتم به ؛ من غير مطل (محصنات) عفيفات (غير مسافحات) زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن : وهو الخليل (فاذا أحصن) زوجن (فان أتين بفاحشة) أى زنين (فعليهن) أى على الإماء من الحد (نصف ما على المحصنات) الحرائر (ذلك) الذى أبحته لكم من زواج الإماء (لمن خشى العنت) الزنا . وأصل العنت : الضيق والضرر والمشقة=

فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ

أن

=﴿وأن تصبروا﴾ عن المعاصي ، وعلى الطاعات ﴿خير لكم والله غفور﴾ لما فرط منكم ؛ إن أصلحتم أمور أنفسكم فيما بينكم وبينه ﴿رحيم﴾ بكم ؛ لا ينهاكم إلا عما فيه الضرر المحيق بكم ، ولا يأمركم إلا بما فيه المصلحة الدنيوية والأخروية لكم ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ الشرائع السليمة ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ طرق من سبقكم من رسل الله تعالى وأنبيائه ، وعباده المؤمنين الصالحين ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ يغفر ذنوبكم ، ويعفو عما سلف من آثامكم ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ من شياطين الإنس ؛ الذين نسوا مولاهم ، وجعلوا إلههم هواهم ﴿أن تميلوا﴾ عن الإيمان والحق ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ بما يسره وأباحه لكم ؛ من زواج الأمة - عند تعذر زواج الحرة - وبما رخصه لكم ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ لا يستطيع الصبر عن النساء ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بما لم يبحه الشرع ؛ كالغصب ، والقمار ، والربا ، والسرقة ، وما شاكل ذلك ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ تديرونها بينكم ﴿عن تراض منكم﴾ على أن يكون التراضي غير مشوب بإكراه ؛ كمن يرى تاجراً في ضيق فينتهز فرصة ضيقه وإفلاسه ، ويساومه في بضاعته ؛ بدون ثمنها المعلوم ، أو بأقل مما يشترى به مثلها ؛ فيقبل البائع مضطراً ؛ لحاجته . ويقول المشتري في نفسه : أليس البيع عن تراض ؟ أليس من حقي أن أشتري بالثمن الذي أرتضيه ؟ ويستحل بذلك ما حرم الله تعالى ! فليس هذا بالتراضي المطلوب الذي أراده الله تعالى ؛ بل هو بالغصب أشبه . وإنما التراضي : أن تكون نفس البائع راضية ؛ ونفسه لن تكون راضية وهو خاسر في بيع سلعته ؛ أكرهته الظروف على هذا البيع ، واضطرته مطامع المشتري إليه ! فليتق الله من يرغب في جنته ، وليتجنب الشبهات في ماله وعرضه ودينه ! ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضا ، أو لا تفعلوا ما يوجب قتلها . أو هو على ظاهره بمعنى الانتحار ﴿ومن يفعل ذلك﴾ بأن يأكل أموال الناس بالباطل ، أو يشتري بغير تراض ، أو يقتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها ﴿عدواناً﴾ منه على الغير ﴿وظلماً﴾ لهم ﴿فسوف نصليه﴾ ندخله ﴿ناراً﴾ جهنم وبئس المصير ! ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ الكبائر : لا تعد ، ولا تحد ؛ وأكبرها : الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، والزنا ، وشرب الخمر ، وقول الزور ، والفرار يوم الزحف . وقد قالوا : لا صغيرة من الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ! أي إن الصغائر إذا لازمها المذنب وأصر على إتيانها : فهي كبائر ، والكبائر إذا ندم على ارتكابها ، واستغفر ربه منها ؛ قبله الله تعالى وغفرها له ! ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾=

أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا

= المراد بالسيئات : الصغائر ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ أى الزموا الطاعة ، وتمسكوا بأهداب القناعة ؛ ولا تطمحوا بأعينكم إلى ما خص الله تعالى به غيركم ؛ فهو جل شأنه مالك الملك ؛ يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ؛ بيده الخير كله ! وهو حث على عدم الحقد والحسد . وقيل : نزلت حين تمنت النساء مثل أجر الرجال ﴿واسألوا الله من فضله﴾ فان آلاءه لا تعد ، وفواضله لا تنفد ؛ وهو وحده القادر على تحقيق أمانيكم ، وبلوغ آمالكم ﴿ولكل جعلنا موالى﴾ وهم الأقرباء الذين ليست لهم فرائض مسماة ؛ فيأخذون ما بقى ـ من الميراث ـ من أصحاب الفرائض ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أى قائمون عليهن بالأمر والنهى والتوجيه ، والزجر والتأديب ، والإنفاق والرعاية ؛ كما يقوم الولاة على الرعية . وذلك لأن القوامة أحوج إلى الحزم والتدبير ؛ منها إلى الحنان والوجدان ! فصفات الرياسة والقوامة متوافرة فى الرجل توافراً كاملا ؛ لأنه خلق ليكون قائداً ورائداً ؛ كما أن صفات الرقة والحنان ، والرحمة والوجدان ؛ متوافرة فى المرأة ؛ لأنها خلقت لتكون زوجاً وأماً ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ أى هذه القوامة بسبب تفضيل الله تعالى للرجال على النساء ؛ لوفور علمهم ، ومزيد قوتهم ، واضطلاعهم بالأعباء الجسام ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ لأن النفقة واجبة عليهم . وهذا هو سبب قوامة الرجل على المرأة ، فاذا انعدمت هذه الأسباب ؛ وكان الرجل خاملا ، ضعيفاً ، جاهلا ، معدماً ؛ فأى قوامة له على المرأة النابهة ، القوية ، العالمة ، الغنية ؟ ! ﴿فالصالحات﴾ من النساء ﴿قانتات﴾ مطيعات لله تعالى ولأزواجهن ﴿حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ أى حافظات لعرضه وماله ـ حال غيبته ـ بما أمر الله به أن يحفظ . أو حافظات لما يجرى بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ، ويجمل ستره .

فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

وَٱلَّذِينَ

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ؛ ثم ينشر أحدهما سرصاحبه» ولا يخفى ما يأتيه الآن سفهاء القوم ؛ حين يصبح أحدهم فيقول: صنعت فى ليلة أمس كيت وكيت ، وتصبح زوجته أيضاً فتقول لجارتها : لقد صنع بى أمس كيت وكيت . فيتضاحكن لتلك السفاهة الشنيعة ، والبذاءة الممقوتة ! ﴿واللاتى تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن ﴿فعظوهن﴾ أى مروهن بالطاعة ﴿واهجروهن فى المضاجع﴾ بأن لا تناموا معهن فى فراش واحد . أو كناية عن عدم إتيانهن ﴿واضربوهن﴾ ضربا يسيراً غير مبرح ؛ ولكنه يبلغ حد الإيلام ، وإلا انتفت به حكمة التأديب . انظر كيف يعلمنا الله سبحانه وتعالى كيف نؤدب نساءنا ؟ وكيف نتدرج بهذا التأديب ؛ فمن نصح يبلغ =

= حد اللطف ، إلى هجر لا يبلغ حد العنف ، إلى ضرب بعيد عن القسوة ؛ فاذا نفع الوعظ: حرم الهجر . وإذا تم التأديب بالهجر : حرم الضرب ﴿فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ أى إن أطعنكم بالوعظ ؛ فلا تبغوا عليهن بالهجر ، وإن أطعنكم بالهجر ؛ فلاتبغوا عليهن بالضرب ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ أى إن استحكم هذا الشقاق ، وخشيتم عواقبه ؛ ولم تتأدب بما أدبها الله تعالى به ، أو تجاوز الزوج حدود الله فى تأديبها ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ ليبحثا مابين الزوجين من خلاف ﴿إن يريدا﴾ الحكمان ﴿إصلاحاً﴾ بين الزوجين ﴿يوفق الله بينهما﴾ أى بين الحكمين ؛ فيزيلا ما بين الزوجين . أو «يوفق الله بينهما» أى بين الزوجين ﴿إن الله كان عليما﴾ بما فعله الحكمان ﴿خبيرا﴾ بمكنون صدورهما ﴿واعبدوا الله﴾ حق عبادته ﴿ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا﴾ قرن تعالى عبادته بالإحسان بالوالدين فى غير موضع من كتابه الكريم ؛ لما لهما على الابن من فضل يعجزه وفاؤه ﴿والجار ذى القربى﴾ القريب منك ﴿والجار الجنب﴾ البعيد عنك. أو المراد بها قرابة النسب ؛ وعلى كلا المعنيين فقد أوصى الله تعالى بذى القربى ـ جاراً كان أو غير جار ـ وقد أوصى جبريل الأمين الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليهما بالجار حتى ظن النبى أنه سيورثه ؛ ومن وصيته عليه الصلاة والسلام بالجار : «إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ،وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن مات تبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا باذنه ، ولا تؤذه بقتارقدرك إلا أن تغرف له منها ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولايخرج بها ولدك ليغيظ بهاولده» ﴿والصاحب بالجنب﴾ وهو الذى رافقك فى سفر ، أو تعلم علم ، أو جاورك فى الصلاة . وقيل : هى امرأة الرجل تكون إلى جنبه ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا﴾ متكبرا ﴿فخورا﴾ على الناس بجاهه وماله ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من مال كثير ، ورزق وفير ؛ فلا يعطون منه الفقير ؛ فحسبهم جهنم وبئس المصير ! ﴿وأعتدنا﴾ هيأنا وأعددنا ﴿للكافرين﴾ الذين يبخلون بما آتاهم الله ﴿عذابا مهينا﴾ هذا شأن الذين يبخلون ؛ أما الذين يتظاهرون بالكرم والجود ـ رياء ونفاقا ـ فهم أسوأ حالا ومآلا ممن يبخلون ! وقد وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ أى مراءاة لهم ﴿ولايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر﴾ لأنهم لو آمنوا بربهم ؛ لعملوا له لا لمخلوقاته ! =

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا



= فهم في العطاء أسوأ من البخلاء؛ لأنهم قرناء الشيطان ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا﴾ أي مصاحبا؛ يأمر فيطاع: يأمره بكل شر، وينهاه عن كل خير ﴿إن الله لا يظلم مثقال﴾ وزن. من الثقل ﴿ذرة﴾ وهي أصغر من النمل أو هو مايذروه الهواء من صغار المخلوقات؛ التي خلقها بارىء الأرض والسموات! ﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾ ينمها ويزدها ﴿فكيف إذا جئنا﴾ يوم القيامة ﴿من كل أمة بشهيد﴾ هو رسولها يشهد بما لها أو عليها ﴿وجئنا بك﴾ يامحمد ﴿على هؤلاء﴾ أي على قومك ﴿شهيدا﴾ بما عملوا من عناد وفساد

بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا ﴿٤٣﴾ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ﴿٤٤﴾ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴿٤٥﴾ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴿٤٦﴾ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴿٤٧﴾ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى

إثما

﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ أي لو يدفنون وتسوى بهم الأرض كما يفعل بالموتى ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ أي ولا يستطيعون أن يكتموا الله تعالى ما فعلوا؛ وكيف يكتمونه وأعضاؤهم وجوارحهم تشهد عليهم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ قيل: نزلت هذه الآية في بدء تحريم الخمر؛ حين قرأ أحدهم في صلاته «قل ياأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون» فنهوا عن الصلاة وهم سكارى ﴿ولا جنبا﴾ أي لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب ﴿إلا عابري سبيل﴾ أي إلا مسافرين؛ فقد أبيحت لكم الصلاة بغير وضوء - عند فقدان الماء - ويجزىء حينذاك التيمم ﴿أو لامستم النساء﴾ جامعتموهن ﴿فتيمموا﴾ اقصدوا ﴿صعيدا﴾ هو وجه الأرض؛ ترابا كان أوحجراً أو غيرهما ﴿طيبا﴾ طاهرا ﴿إن الله كان عفوا﴾ كثير العفو ﴿غفورا﴾ للمذنبين:

سبحان من يهفو ويعفو دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي؛ ولا يمنعه
جلاله من العطا لذي الخطا

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ هم أحبار اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ يختارونها ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ أي يريدون أن تكونوا مثلهم في الضلال، وتخطئوا طريق الحق ﴿من الذين هادوا﴾ من اليهود قوم ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ أي يبدلون الكلام عن معناه. قال بعضهم: أريد بالكلم التوراة. وقد أخفوا فيها ذكر محمد عليه الصلاة والسلام، وأخفوا منها آية الرجم ﴿ويقولون سمعنا وعصينا﴾ المعنى: إنهم سمعوا قوله؛ فتلقوه بالعصيان. وقد عبر تعالى عن ذلك بالقول - مع أنهم لم يقولوه - كما جاء في قوله تعالى «قالتا أتينا طائعين» ﴿واسمع غير مسمع﴾ هو دعاء بمعنى: اسمع لاسمعت ﴿وراعنا﴾ هي كلمة سب بالعبرية أو السريانية ﴿ليا بألسنتهم﴾ أي يلوون ألسنتهم بقولهم «غير مسمع» وقولهم «راعنا» التي هي في الحقيقة سب ودعاء، ويقولونها في قالب =



= آخر ؛ كقولهم : السام عليكم مكان «السلام عليكم» والسام : الموت ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ﴿آمنوا بما نزلنا﴾ من القرآن ، على رسولنا محمد ﴿مصدقا لما معكم﴾ من التوراة والإنجيل ﴿من قبل أن نطمس وجوها﴾ نغيرها بالمسخ ﴿أو نلعنهم﴾ نطردهم من رحمتنا أو نمسخهم قردة ﴿كما لعنا أصحاب السبت﴾ اليهود الذين خالفوا بالصيد يوم السبت ؛ وقد نهوا عنه «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ يمدحونها ويصفونها بالطاعة والتقوى ؛ وهو إثم . وأريد بهم اليهود ؛ حيث قالوا «نحن أبناء الله وأحباؤه» وليست تزكية النفس بالقول ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ يأجره ويجزيه ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ هو كناية عن القلة . والفتيل : الذي يفتل بين الأصابع ؛ لتفاهته وقلته ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ اليهود ﴿يؤمنون بالجبت﴾ الصنم ، أو الكاهن ، أو الساحر ﴿والطاغوت﴾ كل رأس في الضلال . وقيل : الجبت والطاغوت : صنمان كانوا يعبدونهما في الجاهلية ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء﴾ أي هؤلاء الناس الذين وصفهم كتاب محمد بالكفر ﴿أهدى﴾ سبيلا ﴿من الذين آمنوا﴾ بمحمد ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ طردهم من رحمته ﴿أم لهم﴾ أي أم لهؤلاء اليهود ﴿نصيب من الملك﴾ من ملك الله ؛ يعطون من أرادوا ويمنعون من شاءوا ﴿فإذاً﴾ إذا كان لهم نصيب من الملك ﴿لا يؤتون الناس نقيراً﴾ النقير : النقرة في ظهر النواة ؛ وهو مثل في القلة : ضربه الله تعالى لهم؛ إشارة لشدة بخلهم . وهذا كقوله تعالى «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الانفاق» ﴿أم﴾ بل ﴿يحسدون الناس﴾ المسلمين ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ وهو بعث الرسول محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه فيهم، وانزال القرآن الكريم إليهم ﴿فقد آتينا﴾ من قبل محمد ﴿آل إبراهيم﴾

إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

إبراهيم وأبناءه عليهم السلام ﴿الكتاب﴾ الكتب التي أنزلت إليهم : كصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ﴿والحكمة﴾ النبوة والعلم النافع ﴿وآتيناهم ملكا عظيما﴾ كملك سليمان ـ وهو من آل إبراهيم ـ وقيل : المراد بالملك : النبوة ، والجاه ، وكثرة الأتباع ، والانتصار على الكفار . وذهب أكثر المفسرين ـ سامحهم الله ـ إلى أن المقصود بـ«الناس» في الآية : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبالفضل الذي آتاه الله : ما أباحه له من النسوة ؛ ينكح منهن ماشاء بغير عد ولا حد . وقد وثقوا هذا التأويل الفاسد بعنعنة دونوها ، وأسماء طنانة أوردوها ، وألفاظ نمقوها ، وهو قول فاسد يأثم قائله وراويه وناقله ، ومعتقده فلا حول ولا قوة إلا بالله ! ﴿فمنهم﴾ أي من الذين أوتوا الكتاب من يهود =

= بنى إسرائيل (من آمن به) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام . أو «من آمن به» أى بالكتاب - أى كتاب منزل - وليس فيه . مايؤمنون به من الجبت والطاغوت بل فيه نعت محمد عليه الصلاة والسلام، وأنباء بعثته (ومنهم من صد عنه) أى أعرض ومنع الناس عن الإيمان به (سوف نصليهم) ندخلهم (كلما نضجت جلودهم) أى أحرقت (بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وذلك لأن أشد العذاب والإيلام يكون عن طريق سطح الجلد؛ فاذا ما احترق الجلد: فتر الألم، وقل العذاب. أما وقد قضى ربك بتعذيبهم، والتشديد عليهم، وعدم النظر إليهم، وطردهم من رحمته، وحرمانهم من عطفه! لذا فانه تعالى قدر أن تبدل جلودهم كلما نضجت «ليذوقوا العذاب» الذى كفروا به، وكذبوا بحدوثه (والذين آمنوا) بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله، وبعثه وجنته وناره (وعملوا الصالحات) التى أمرهم الله تعالى بها وحضهم عليها؛ وماتوا على ذلك! (لهم فيها أزواج مطهرة) مما يستقذر عادة؛ كالحيض والنفاس والأنجاس (وندخلهم ظلا ظليلا) أى دائما لا تنفخه شمس (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) هى فى ولاة الأمور؛ وتأدية الأمانة إلى أهلها: أن تضع ثقتك فى محلها؛ فلا يحكمك إلا من هو أهل للحكم، ولا يليك إلا من هو أهل للولاية؛ فلا تلعب بك الأهواء، فتجعل ثقتك فى غير موضعها؛ وتخون الأمانة التى وضعها الله تعالى فى عنقك.

والأمانات: كل ما ائتمنت عليه من مال، أو عهد، أو عقد، أو سر، أو شبه ذلك (إن الله نعما يعضكم به) أى نعم الشىء الذى يعظكم به؛ وهو تأدية الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل (أطيعوا الله) أى أوامره ونواهيه الواردة فى القرآن (وأطيعوا الرسول) أى ماجاء عنه من القول السديد، والفعل الحميد (وأولى الأمر منكم) فى هذه الآية دليل على أن أولى الأمر الواجبة طاعتهم على الأمة: يجب أن يكونوا منها - حسا ومعنى، ولحما ودما - «وأولى الأمر» هم الولاة والسلاطين؛ ماداموا قائمين بأمر الله تعالى؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (فان تنازعتم فى شىء) أى إذا اختلفتم فيما بينكم وبين أنفسكم فى أمر من الأمور أو إذا تنازعتم أنتم وأولوا الأمر (فردوه) ارجعوا فى حكم هذا النزاع (إلى الله) إلى ماجاء فى كتابه المستبين (والرسول) وإلى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه حال حياته، وإلى سنته وهديه من بعده! (ذلك) الرجوع إلى الله ورسوله فيما شجر بينكم من خلاف (خير) من رد النزاع إلى التهور والتعصب الأعمى (وأحسن تأويلا) مآلا وعاقبة (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) من القرآن؛ وهم بعض من آمن من اليهود (وما أنزل من قبلك) من التوراة =

ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ

= والإنجيل . أو المراد بـ«الذين يزعمون أنهم آمنوا»: بعض المؤمنين أو المنافقين «وما أنزل من قبلك» بعض اليهود ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ وهو كل رأس فى الضلال ؛ من ساحر وكاهن ونحوهما ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أى أمروا بالتحاكم إلى الله ورسوله . قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾ نحتكم ﴿إلى ما أنزل الله﴾ فى كتابه ﴿وإلى الرسول﴾ ليحكم فى تنازعنا ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ يمنعون الناس من الاتصال بك ، والإيمان بما أنزل عليك ، والاحتكام إليك ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة﴾ نزلت بهم نازلة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ماقدموه من كفران وعصيان ﴿يحلفون بالله إن أردنا﴾ ما أردنا فى الاحتكام إلى غيرك ﴿إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ بين الناس ﴿أولئك الذين يعلم الله ماف قلوبهم﴾ من النفاق ﴿وقل لهم فى أنفسهم﴾ ازجرهم فى السر ﴿قولا بليغاً﴾ زجراً عنيفاً ؛ ليتعظوا ويؤمنوا ، ويرجعوا عن نفاقهم . أو «قل لهم فى أنفسهم» أى فيما ارتكبته أنفسهم من آثام ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب الآثام ، وتعريضها للعقاب ﴿جاءوك﴾ تائبين ﴿فاستغفروا الله﴾ مما فرط منهم ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ هو على طريقة الالتفات ؛ أى واستغفرت لهم مستشفعاً ﴿لوجدوا الله توابا﴾ أى قابلا لتوبتهم واستغفارهم ؟ كيف لا . وقد تابوا وأنابوا ، واستشفع لهم شفيع الأمة ومنقذها صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! ﴿فلا وربك﴾ أقسم تعالى بخاتم رسله وأنبيائه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿لا يؤمنون﴾ إيماناً حقيقياً ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ فيما اختلط عليهم ، واختلفوا فيه ﴿ثم لا يجدوا﴾ أى المتحاكمون ﴿فى أنفسهم حرجاً﴾ ضيقاً ﴿مما قضيت﴾ به بينهم ﴿ويسلموا تسليما﴾ بظواهرهم وبواطنهم ، بألسنتهم وقلوبهم ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ فرضنا وقضينا ﴿أن اقتلوا أنفسكم﴾ أى عرضوها للقتل بالجهاد ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾ مهاجرين إلى الله ﴿ما فعلوه﴾ لأن قلوبهم لم تطمئن بعد للجزاء الذى وعدتهم به ﴿إلا قليل منهم﴾ ممن أنار الله بصيرته ، وأنقى سريرته ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من الاقدام والاستبسال ﴿لكان خيراً لهم﴾ لأنهم سيفوزون بالنصر والغنيمة ، أو بالأجر والشهادة ﴿وأشد تثبيتاً﴾ لقلوبهم ، وتحقيقاً لإيمانهم !

لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن

لَدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

ٱلرِّجَالِ

﴿ولهـديناهم صراطاً مستقيما﴾ طريقا واضحاً قويما ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ الصديق : المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة ، وباطنه بالمراقبة ! ويطلق على خواص صحابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿يا أيها الذين آمنوا خـذوا حذركم﴾ من الأعداء ﴿فانفروا ثبات﴾ أى فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة: سرية بعد سرية ؛ و «الثبات» : الجماعات ؛ واحدها ثبة ﴿أو انفروا جميعاً﴾ مجتمعين ؛ حسبما تقتضيه ظروف ملاقاة العدو ، وأسباب الحرب وفنونه ؛ من كر وفر ، وإقدام وإحجام ، وتظاهر بالكثرة الغالبة ، أو بالقلة الضاربة ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ ليتثاقلن ويتخلفن عن الجهاد ؛ ويثبطن هم المجاهدين ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ انتابتكم هزيمة ﴿قال﴾ المنافق ، الجبان ، المتثاقل ، المتخلف ، المثبط ﴿قد أنعم الله على﴾ بالسـلامة والنجاة ﴿إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ مشاهداً للقتال ، وحاضراً فيه ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ نصر وغنيمة ﴿ليقولن﴾ متندماً على ما فاته من نصر وكسب ﴿ياليتنى كنت معهم فأفوز﴾ بما فازوا به ﴿فليقاتل﴾ أمر صريح بالجهاد ﴿فى سبيل الله الذين يشرون﴾ يبيعون ﴿الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أى يستبدلونها بها ﴿وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين﴾ أى وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، وفى سبيل خلاص المستضعفين ؛ الذين أسرهم الكفار ، أو المراد بالمستضعفين : النساء . أى فى سبيل حماية نسائكم من الاعتداء ، وأعراضكم من الضياع .

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ

﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ هي مكة؛ إذ أنها كانت موطن الكفر، ولذا هاجر منها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ في سبيل إعلاء كلمته، ونصرة دينه ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الطغيان، أوهو كل رأس في الضلال. ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ أنصاره ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ لأن كيده معلوم لأرباب القلوب، ويمكن لكل ذي لب أن يتحاشاه ﴿ألم تر﴾ يامحمد ﴿إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ عن القتال؛ قبل فرض الجهاد ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب﴾ فرض ﴿عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس﴾ أي يخشون لقاء الأعداء في الحرب؛ لجبنهم ﴿كخشية الله﴾ وعذابه ﴿أو أشد خشية﴾ من الله؛ وأمثال هؤلاء لانقول بنفاقهم أو ضعف إيمانهم؛ بل هو الكفر بعينه (انظر آية ١٨ من سورة التوبة) ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ متاع الدنيا قليل زائل، ومتاع الآخرة كثير دائم؛ والكثير إذا كان مشرفا على الزوال: فهو قليل؛ فكيف بالقليل الزائل؟ ﴿ولا تظلمون فتيلا﴾ هو مثل للقلة؛ وهو مايفتله الإنسان بأصبعيه؛ لقلته وحقارته ﴿وإن تصبهم﴾ أي اليهود، أو المنافقين ﴿حسنة﴾ خصب وسعة، وسلامة وأمن ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ جدب وفقر، ومرض وخوف ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ أي بشؤمك علينا ﴿قل كل﴾ من الخصب والرخاء، والجدب والبلاء

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ

وحرض

﴿من عند الله﴾ يمتحن بها من يشاء ؛ ليعلم علم ظهور : أيشكرون على السراء أم يفجرون ؟ ويصبرون على الضراء أم يكفرون ؟ ﴿ما أصابك﴾ أيها الإنسان ﴿من حسنة﴾ نعمة وإحسان ﴿فمن الله﴾ بفضله ومنته ﴿وما أصابك من سيئة﴾ بلية ومصيبة ﴿فمن نفسك﴾ بذنب ارتكبته ، وتقصير أتيته . وقد ذهب بعض الجهال إلى أن المراد بالحسنة : الطاعة . وبالسيئة : المعصية ؛ وبنوا على ذلك قصوراً من الآمال ، على كثبان من الرمال ! ونسقوا على ذلك البطلان قول الحكم العدل اللطيف الخبير «قل كل» من الطاعة والمعصية «من عند الله» وهو قول هراء ينسب ظلم العالمين ، لأحكم الحاكمين ؛ وهو القائل فى كتابه المبين «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين» «فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا» ﴿ومن تولى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ويقولون طاعة﴾ أى أمرنا طاعة لك ﴿فاذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول﴾ بيت الأمر: دبره ليلا ؛ وهى فى الغالب تستعمل فى الشر للمبيت له ﴿فأعرض عنهم﴾ لاتعبأ بهم ، فان الله حافظك منهم ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ والتوكل على الله تعالى: هو الوثوق به عند الملمات ، والاعتماد عليه فى سائر الحالات ! وهى مرتبة سامية قل أن يرتفع إليها إنسان ؛ إلا من هدى الله ، وقليل ماهم ! فقد اعتاد الغالبية العظمى أن يعتمدوا على المال ــ وهو عرض زائل ــ أو على بعض المخلوقين ــ وهو جسم فانٍ ــ فالذى تعود الاتكال على ماله ، أوعلى صديقه : يأتيه زمن تضيق به دنياه بل تضيق به نفسه ؛ فلايجد من ماله نفعا ، ولا من أصدقائه متنفساً ، ولا يجد من دون الله وليا يلى أمره ، ولانصيرا ينصره فى نكبته ، أو يعينه فى محنته !

أما إذا كان العبد متوكلا على الله حق توكله ؛ فهو تعالى كافيه من كل شر، وحافظه من كل سوء !

وأين المال والصديق عند زلزلة العقائد ، وعند الأزمات الحالكة ، والأوقات العصيبة ؟ أين المال والصديق ساعة الموت ، وعند طلوع الروح ، وفى ظلمة القبر ووحشته ؟ بل أين المال والصديق عند الحساب؟ وعند ماتتفتح أبواب النيران ؛ ويقال لها «هل امتلأت وتقول هل من مزيد» ؟ عند ذاك لا ينفع مال ولا بنون ؛ إلا من أتى الله بقلب سليم ! وعرفه حق معرفته ، وتوكل عليه حق توكله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير : تغدوا خماصاً ، وتروح بطانا» ولا شك أن فتنة المحيا والممات ، ونسيان القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ؛ لا شك أن كل هذه البلايا =

= العظام ، وهاتيك المصائب الجسام؛ لاسبب لها سوى ترك التوكل ، والاعتماد على غير الله تعالى؛ فعود نفسك أيها المؤمن الركون إلى ربك لترشد ، والتوكل عليه لتسعد؛ ولتلتى فى دنياك غبطة وسروراً ، وفى آخرتك جنة وحريراً!

هذا وليس معنى التوكل على الله تعالى: غلق الأبواب ، وترك الأسباب؛ فقد حث تعالى على السعى والعمل ، وابتغاء الرزق. ألا ترى إلى قوله تعالى لمريم: «وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا» ولو شاء لأسقط عليها الرطب من غير هز الجذع؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شىء سبباً: فجعل سبب الرزق: السعى والدأب.

وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

وليس معنى ذلك إنكار الكرامات والمعجزات؛ فقد يسخر الله تعالى السموات والأرضين ، فى خدمة بعض المخلوقين! ولكن ليس هذا من طبيعة الأشياء ، فهو تعالى يختص من شاء بما شاء ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أى أفلا يتأملون فى معانيه ومراميه ومبانيه؛ فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴿وإذا جاءهم﴾ أى جاء المسلمين ، أو المنافقين ﴿أمر من الأمن﴾ خبر يؤدى إلى النصر ﴿أو﴾ أمر من ﴿الخوف﴾ خبر يؤدى إلى الهزيمة ﴿أذاعوا به﴾ أفشوه؛ وفى هذا مافيه من اذاعة الأسرار المتعلقة بالحروب ، والتى قد تؤدى إلى أوخم العواقب ﴿ولو ردوه﴾ أى ردوا هذا الأمر ﴿إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم﴾ من الرؤساء والولاة والقادة؛ لأنهم وحدهم الذين يعلمون أين توجد المصلحة. ويعلمون مايجب إذاعته ومايجب كتمانه ﴿لعلمه﴾ أى لعلم ذلك الأمر الخطير ــ الذى يعتبر سراً حربياً ــ ﴿الذين يستنبطونه﴾ يستخرجون من الأمر ما يذاع وما لا يذاع ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ بإرسال الرسل ، وإبداء النصح والارشاد ، والتوفيق إلى السداد ﴿و﴾ لولا ﴿رحمته﴾ بانزل القرآن ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ الذى يوردكم موارد الخسران؛ مثل هؤلاء المنافقين الذين يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ــ إذا أمرهم بأمر ــ: «طاعة. فاذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذى تقول» والخطاب للذين قال لهم جل شأنه: «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا» والاستثناء بقوله تعالى ﴿إلا قليلا﴾ ينصب على المستنبطين من أولى الأمر؛ الذى عناهم العليم الحكيم بقوله: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» ﴿وحرض المؤمنين﴾ حثهم على القتال ﴿عسى الله أن يكف﴾ يمنع بهذا التحريض ، وهذا الاستعداد ﴿بأس الذين كفروا﴾ قوتهم =

= وسطوتهم؛ فأنتم تدعون إلى الحق، وهم يدعون إلى الباطل وأنتم تدعون إلى الجنة، وهم يدعون إلى النار وأنتم يدفعكم الرحمن، وهم يدفعهم الشيطان! و «إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون» ﴿والله أشد بأساً وأشد تنكيلا﴾ أشد تعذيباً. ونكل به: جعله عبرة لغيره ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ هي الشفاعة في دفع الشر، أو جلب الخير ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ هي السعي في جلب الشر، أو منع الخير، أو هو كناية عن النميمة ﴿يكن له كفل﴾ نصيب ﴿منها﴾ أي من شرها في الدنيا، ومن إثمها في الآخرة ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾ مقتدرا ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ التحية: أي تكريم يكون بالقول، أو بالعمل. فالقول الحسن: تحية. والدعاء: تحية. والهدية: تحية. والحب: من أجلّ التحايا ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ قولا أو فعلا فالسلام: يرد بأحسن منه. والتكريم: بأكرم منه. والدعاء: بأبلغ منه. والهدية: بخير منها. والحب؛ وناهيك بالحب: فهو خير الهدايا والتحايا، والأقوال والأفعال ﴿أوردوها﴾ أي أجيبوا في القول بمثله، وفي الفعل بمثله. أو المراد «فحيوا بأحسن منها» أهل الإسلام «أوردوها» فلا تزيدوا عليها؛ لأهل الكتاب، والتحية في الأصل: تطوع، وردها بأحسن منها أو مثلها: فريضة.

إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ

هذا ولا يرد السلام في الخطبة، وقراءة القرآن، ورواية الحديث، ومذاكرة العلم، والأذان، والإقامة. ولا يسلم على لاعب الملاهي، ولا على المغني، ولا على القاعد لحاجته ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم﴾ من قبوركم ﴿إلى يوم القيامة﴾ للحساب ﴿لا ريب فيه﴾ لا شك في ذلك الجمع، أو لا شك في ذلك اليوم ﴿فما لكم﴾ أي ما شأنكم أيها المؤمنون ﴿في المنافقين فئتين﴾ فرقتين مختلفتين؛ فرقة تقول: نقتلهم. وفرقة تقول: لا نقتلهم. و «المنافقين» هم الذين تخلفوا عن القتال يوم أحد، وقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام ولأصحابه: «لو نعلم قتالا لاتبعناكم» ﴿والله أركسهم﴾ ردهم مخذولين مقهورين. والركس: رد الشيء مقلوباً ﴿بما كسبوا﴾ بما عملوا ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ طريقاً إلى النجاة ﴿ودوا﴾ أي ود هؤلاء المنافقون الجبناء ﴿لو تكفرون كما كفروا﴾ وتجبنون كما جبنوا ﴿فتكونون سواء﴾ مستوين في الجبن والكفر ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أصدقاء، أو خلصاء ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ فيثبت بذلك إيمانهم وإقدامهم، ووثوقهم بما عند الله ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان والجهاد في سبيل الله ﴿فخذوهم﴾ الأخذ: العقوبة، والإيقاع بالشخص ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ =

= بلا شفقة ولا رحمة ﴿ولا تتخذوا منهم وليا﴾ صديقا ؛ وكيف تصادقونهم بعد ظهور كفرهم وعداوتهم للمؤمنين !؟ ﴿ولا﴾ تتخذوا منهم ﴿نصيرا﴾ تنصرونه ، أو تستنصرون به ﴿إلا الذين يصلون﴾ يحتمون ويلجأون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد ﴿أو جاءوكم﴾ مسالمين ﴿حصرت صدورهم﴾ ضاقت . والحصر: الضيق والانقباض ﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ الذين أسلموا وانضموا إلى زمرتكم ﴿وألقوا إليكم السلم﴾ الانقياد والاستسلام ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ طريقاً للقتال ؛ لأنهم لم يقاتلوكم وجاءوكم مسالمين

فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾

﴿كلما ردوا إلى الفتنة﴾ أي كلما دعوا إلى الشرك ﴿أركسوا فيها﴾ قلبوا فيها ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ صادفتموهم ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبينا﴾ تسلطاً قوياً ، وحجة ظاهرة فى قتلهم . وبعد أن أباح الله تعالى قتل الكافرين المحاربين المخادعين : نهى عن قتل المؤمنين . قال تعالى ﴿وما كان﴾ ما صح وماجاز ﴿لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾ أى بغير تعمد ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أى فعليه إعتاق رقبة مؤمنة ؛ لأنه لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء ؛ لزمه أن يدخل نفساً مثلها فى جملة الأحرار ؛ إذ أن إطلاقها من قيد الرق كاحيائها . وللرق حدود وواجبات مفصلة فى كتب الحديث والفقه . وللعبد الرقيق فى الإسلام من الحقوق ماليس للأحرار فى الأمم الأخرى؛ وليس أدل على ذلك من قوله تعالى «فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء» وقول الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه فى مرضه الذى مات فيه «الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم؛ لا تكلفوهم ما لا يطيقون» ومن يطلع على معاملة الزنوج بأمريكا يتضح له جليا صحة ما نقول . وها هى الأمم الغربية تحرم استرقاق العبيد ؛ فى حين أنها تسترق الأحرار . وتحرم استرقاق الأفراد ، وتسترق الجماعات والأمم والشعوب ؛ باسم الاستعمار ، والانتداب ، والاحتلال ، ومناطق النفوذ (انظر آيتى ١٧٧ من سورة البقرة ، و٧١ من سورة النحل) ﴿إلا أن يصدقوا﴾ أى إلا أن يتصدق أهل القتيل بالدية للقاتل ؛ فلا يطالبونه بها ﴿فمن لم يجد﴾ أى لم يملك رقبة ، ولا ما يتوصل به إليها من مال ونحوه ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ مكان الإعتاق ﴿توبة من الله﴾ تجاوزا منه للتخفيف عليكم ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ قاصداً قتله ﴿فجزاؤه جهنم﴾ لا جزاء له غيرها ﴿خالدا فيها﴾ خلودا مؤبداً ؛ يدل عليه مابعده من غضب الله تعالى عليه ولعنه ، واعداد أشق العذاب وأعظمه له ! وقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم» وقال الأكثرون : المراد بالخلود =

= فى سائر الآيات : طول المكث . وهو معنى لا يستقيم مع صريح لفظ الكتاب الكريم ؛ فقد أخبرنا الله تعالى ـ بما يبلغ حد اليقين ـ بأن خلود الكافرين على وجه التأبيد ؛ قال تعالى «وماهم بخارجين من النار» «ولهم عذاب مقيم» (انظر آية ٢٥٥ من سورة البقرة) ﴿يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله﴾ أى سرتم فى طريق الغزو ﴿فتبينوا﴾ تثبتوا ممن تريدون قتله ، ولاتأخذوا بالشك بل باليقين . فلا تقتلوا سوى من تيقنتم عداوته وإيذاءه ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ الاستسلام أو كلمة الشهادة ، وقيل : التسليم ﴿لست مؤمنا﴾ أى تقولون له : أنت لست مؤمنا ؛ بل تظاهرت بالإيمان لتنجو من القتل ﴿تبتغون﴾ بذلك ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ متاعها الزائل الفانى ؛ وهو لباسه وسلاحه وماله ﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ تغنمونها فى الدنيا برزقه ، وفى الآخرة بفضله ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ مثل هؤلاء الكفار الذين تقتلونهم الآن أو «كذلك كنتم» تخفون دينكم تحرزا منهم ، كما أخفوا دينهم تحرزا منكم ﴿فمن الله عليكم﴾ بالإيمان والنصر والظفر ﴿فتبينوا﴾ كما أمرتكم ﴿لا يستوى القاعدون﴾ عن الجهاد فى سبيل الله تعالى ﴿غير أولى الضرر﴾ المرض ، والعاهة : من عمى ، أو عرج ، ونحوهما ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين﴾ من أولى الضرر؛ فضلهم عليهم ﴿درجة وكلا﴾ من المجاهدين والقاعدين بسبب ضرر لحقهم ﴿وعد الله الحسنى﴾ الجزاء الحسن فى الآخرة ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ عن الجهاد بغير ضرر يمنعهم ، أو سبب يعوقهم ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ التوفى: قبض الروح. و«الملائكة» ملك الموت عزرائيل عليه السلام وأعوانه . والمعنى : إن الذين تتوفاهم الملائكة ؛ وهم ظالمون لأنفسهم بالجبن والخور ، وفقدان الأمل ؛ وضعف العزيمة ، وعدم الهجرة ﴿قالوا فيم كنتم﴾ أى قال الملائكة للمتوفين : فى أى شىء كنتم ؟ وهو سؤال تقريع وتوبيخ ؛ حيث إنه كان فى مقدورهم أن يقووا عزائمهم ، ويهاجروا من أوطانهم ، ويتخلصوا من ذلهم وجبنهم ، ولا يحيوا حياة السوائم ! والدين الاسلامى القويم : لم يرض لمعتنقيه الضعف والذل ؛ بل أرادهم وبهم العزة والرفعة والكرامة ؛ وألا يحل مسلم فى أرض إلا إذا كان عزيزا مكرماً مرهوب الجانب ؛ والا فأرض الله واسعة وأبواب رزقه ورحمته مفتوحة ! وربما أريد بظالمى أنفسهم : المنافقين ؛ الذين بخلوا وتركوا الهجرة بدينهم مع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿قالوا﴾ جواباً على سؤال ملائكة الموت ﴿كنا مستضعفين﴾ أى عاجزين عن القيام بأعباء العبادة بين كفار مكة وصناديد قريش ﴿فى الأرض﴾ أرض مكة ﴿قالوا ألم تكن =

دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا

مُّبِينٗا

= أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ أى قال لهم الملائكة : أليست أرض الله - على سعتها ورحبها - تسعكم إذا هاجرتم فيها ، وفررتم بدينكم ؛ كما فعل من هاجر إلى المدينة ، وإلى الحبشة ؟ ﴿إلا المستضعفين من الرجال﴾ لكبر ، أو مرض ، أو فقر ونحو ذلك ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ للقتال ، أو للهجرة ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً﴾ مذهبا ومكانا للهرب ﴿وسعة﴾ فى الرزق ﴿وإذا ضربتم﴾ سافرتم ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ قصر الصلاة: هو تصيير الرباعية ثنائية فى السفر وقد قال بعض الفقهاء:

مُبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

إن صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الخوف ركعة واحدة . وقال آخرون : إن القصر فى السفر حال الخوف فحسب ، وأما فى الأمن فلا قصر فى السفر . ورووا عن النبى صلوات الله تعالى وسلامه عليه القصر حال الخوف والأمن فى السفر ؛ وعلى ذلك الأكثرون ﴿إن خفتم أن يفتنكم﴾ يعذبكم ﴿الذين كفروا﴾ بأن يؤذوكم وقت الصلاة ويقتلوكم ﴿وإذا كنت فيهم﴾ وقت القتال ، وحان وقت الصلاة ﴿فأقمت لهم الصلاة﴾ صلاة الخوف ؛ فلينقسموا فرقتين ﴿فلتقم طائفة منهم﴾ فليصلوا ﴿معك وليأخذوا﴾ أى لتأخذ الطائفة الأخرى التى لم تقم للصلاة ﴿أسلحتهم﴾ استعداداً لملاقاة العدو؛ إذا غدر بكم ، منتهزاً فرصة انشغالكم بالصلاة . وقيل: الأمر بأخذ السلاح للمصلين ؛ فيأخذون سيوفهم ورماحهم وخناجرهم ؛ استعداداً للدفاع إذا دهمهم العدو وقت الصلاة ﴿فإذا سجدوا﴾ وأتموا سجودهم ؛ فلينتقلوا من مكانهم فى الصلاة ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ للمحافظة على من يصلى بعدهم ؛ وهى الطائفة الأخرى - التى لم تصل ، وكانت قائمة بالحراسة - ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ بعد ؛ لأنهم كانوا قائمين بحراسة المصلين ﴿فليصلوا معك﴾ كما صلى أفراد الطائفة الأخرى ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ أى لتأخذ الطائفة التى صلت حذرها وأسلحتها ؛ لتقوم بحراسة الطائفة التى قامت للصلاة . وقيل : إن الطائفة التى تأخذ حذرها وأسلحتها : هى الطائفة المصلية ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم﴾ يأخذونكم خدعة على غرة ؛ وهذا هو سبب الأمر بالحيطة والحذر واتخاذ الأهبة ﴿ولا جناح﴾ لا حرج ولا إثم ﴿عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى﴾ لا تستطيعون الاستمرار فى حمل السلاح ؛ فلا حرج عليكم فى ﴿أن تضعوا أسلحتكم﴾ أمامكم ، ولا تحملوها ﴿وخذوا حذركم﴾ اجعلوا الأسلحة قريبة منكم وفى متناول أيديكم ﴿إن الله أعد للكافرين﴾ فى الآخرة ﴿عذاباً مهينا﴾ عظيما مؤلما ﴿فاذا قضيتم الصلاة﴾ فلاتقطعوا صلتكم بربكم ، ولاتظنوا أنكم قد أديتم ماعليكم ﴿فاذكروا الله﴾ تذكروه =

= وراقبوه (قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أى فى سائر حالاتكم ؛ ليعينكم على عدوكم (فاذا اطمأننتم) وزال خوفكم من أعدائكم (فأقيموا الصلاة) كاملة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا) فرضاً واجباً ؛ محدوداً بأوقات معلومة (ولا تهنوا) لاتضعفوا ولاتتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلبهم (إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) أى إن كنتم تتألمون من القتال ، وتخافون من الهلاك ؛ فانهم يتألمون أيضاً منه كما تتألمون ، ولكنكم ترجون من الله الشهادة والمنزلة الرفيعة ، حيث لا يرجونهما هم (إنا أنزلنا إليك الكتاب) القرآن (بالحق) بالصدق (لتحكم بين الناس بما أراك الله) فى القرآن ؛ من الأحكام والأوامر والنواهى (ولا تكن للخائنين خصيما) أى لا تكن مدافعاً عنهم ، ومخاصما من أجلهم (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) أى يخونونها ؛ بارتكاب المعاصى . وعبر بلفظ الخيانة : لأنهم كانوا (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) أى لا يحاولون الاستخفاء منه بترك معاصيه ؛ وكيف يستخفون منه (وهو معهم) يعلم سرهم ونجواهم (إذ يبيتون) يضمرون فى أنفسهم (وكان الله بما يعملون محيطا) عالما به ؛ لا يخفى عليه منه شىء ؛ فيجازى على الخير والشر (ومن يعمل سوءاً) يرتكب ذنبا يسىء إلى غيره (أو يظلم نفسه) يرتكب ذنباً يسىء إلى نفسه ، ويعرضها للعقاب يوم القيامة (ثم يستغفر الله) ويتب عن ذنوبه وآثامه (يجد الله غفوراً) لذنوبه (رحيما) به ؛ فلا يؤاخذه ولا يعاقبه (ومن يكسب إثماً فانما يكسبه على نفسه) أى ومن يقترف إثماً متعمداً ؛ فانما يعود وبال ذلك على نفسه. وعبر تعالى بلفظ الكسب للدلالة على العمد (ومن يكسب خطيئة أو إثماً) الخطيئة : الذنب الذى يحتمل الخطأ أو العمد . والإثم : المعصية التى لا تتأتى إلاعن عمد (ثم يرم به) بالخطيئة أوالإثم (بريئا) كمن يقتل ، أويسرق ، أويزنى ؛ ثم يلصق التهمة بغيره .

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ

لَهَمَّت

لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ

﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ النبوة ، والعلم النافع ﴿لا خير فى كثير من نجواهم﴾ مسارّتهم ﴿إلا من أمر﴾ فى نجواه ﴿بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ فهذا الآمر بالخير والمعروف ؛ تباح له النجوى والمسارة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ التناجى بالحث على الصدقات ، والأمر بالمعروف ، والإصلاح بين الناس ﴿ابتغاء مرضات الله﴾ يقصد بها رضاءه تعالى ، ولا يقصد رياء ، ولا ثناء بين الناس ﴿ومن يشاقق﴾ يخالف ويعادى ﴿الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ وصار فى متناول عقل العاقل ، وسمع السامع ، وبصر المبصر ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ بألا يؤمن بالله تعالى ، ولا يصدق برسوله عليه الصلاة والسلام ﴿نوله ما تولى﴾ نتركه وشأنه ؛ فلا نوليه عنايتنا وحفظنا ، بل نجعل وليه وحافظه وهاديه : من تولاه واتخذه إلهاً ؛ من صنم ، أو نجم ، أو نار ، أو مال ﴿ونصله﴾ ندخله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾ استدل بهذه الآية القائلون بأن الله تعالى يغفر سائر الكبائر ﴿لمن يشاء﴾ وهو جل شأنه لم يشأ غفران الكبائر للمصر عليها ، المجاهر بها ، الذى لم يتب عنها ﴿إن يدعون﴾ ما يعبدون ﴿إلا إناثاً﴾ كان كل حى من العرب له صنم يسمونه : أنثى بنى فلان ؛ وكانوا يقولون عنهن : هن بنات الله ! ﴿وإن يدعون﴾ وما يعبدون ﴿إلا شيطاناً مريداً﴾ متمرداً ، خارجاً عن الطاعة ﴿وقال﴾ الشيطان لربه ﴿لأتخذن من عبادك﴾ أى الذين خلقتهم لعبادتك ﴿نصيباً مفروضا﴾ مقطوعا به ﴿ولأضلنهم﴾ عن طريق الحق ﴿ولأمنينهم﴾ بطول الأمل ، وامتداد الأجل ؛ وألا بعث ولا حساب ، ولا ثواب ولا عقاب

فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَمَا فِى

(ولآمرنهم فليبتكن) البتك: القطع (فليغيرن خلق الله) كخصاء العبيد والحيوان . أو هو تغيير دينه . الذى خلقه وارتضاه ، وتحريم ما أحله ، وتحليل ما حرمه ؛ وما أشبه ذلك (ومن يتخذ الشيطان وليا) يتولاه ويطيعه (يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان إلاغروراً) خداعا وباطلا . والغرور : أن يرى الشيء على خلاف حقيقته (ولا يجدون عنها محيصا) محيداً ومهرباً (ومن أصدق من الله قيلا) أى قولا (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) أى ليس الأمر كما تشتهون وتتمنون ، ولا كما يشتهى أهل الكتاب ويتمنون ؛ بل الذى يعمل سوءاً يجزى به ، وينال عقابه (ولا يجد له من دون الله) غيره (وليا) يلى أمره (ولا نصيرا) يمنعه من عذاب الله تعالى (ولا يظلمون نقيراً) مبالغة فى القلة ؛ وهو النقرة فى ظهر النواة (ومن أحسن ديناً) أى لا أحد أحسن دينا (ممن أسلم وجهه لله) انقاد لأوامره ،وتجنب نواهيه (واتبع ملةابراهيم) وهى ملة الإسلام (حنيفا) مائلا عن كل دين يخالف الإسلام (واتخذ الله ابراهيم خليلا) لأنه صافى القلب ، خالص الحب !

﴿وكان الله بكل شىء محيطا﴾ بعلمه وقدرته وبأسه وسطوته ﴿ويستفتونك فى النساء﴾ أى يسألونك عن شأن النساء ، وما الذى يجب لهن وعليهن : فى الزواج والمهر والطلاق والمعاملة ، وغير ذلك ﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب﴾ وهو ما تقدم من آيات الفرائض فى أول هذه السورة ﴿فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ ما فرض لهن من الميراث ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ تتزوجوهن ﴿والمستضعفين﴾ الصغار الضعفاء ﴿من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ بالعدل ﴿وماتفعلوا من خير﴾ فى شأن اليتامى ، أوفى أى شأن من الشئون ﴿فان الله كان به عليما﴾ فيجازيكم عليه أحسن الجزاء ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾ أى جفاء وأذى ﴿أو إعراضاً﴾ بأن يقل من مؤانستها ؛ بسبب دمامة ، أو كبر سن ، أوتطلع إلى أخرى ﴿فلا جناح عليهما﴾ لا إثم ولاحرج ﴿أن يصلحا بينهما صلحا﴾ بأن يتصالحا على أن تنزل له عن نصيبها فى القسم ، أو النفقة ، أو بعضهما ﴿والصلح خير﴾ لهما ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أى وأحضرت أنفس النساء الشح بأنصبائهن فى القسم والنفقة . و «الشح» : الإفراط فى الحرص ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ العدل المقصود فى هذه الآية : هو العدل فى المحبة القلبية فحسب ؛ وإلا لو قلنا بأنه العدل المطلق ؛ لكان ذلك تناقضا مع قوله جل شأنه «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ؛ ويقول : «اللهم هـذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك» يعنى بذلك المحبة القلبية ؛ ويؤيده ما بعده من قوله تعالى ﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ أى لا تميلوا عن المرغوب عنها فتجعلوها كالمعلقة التى ليست بأيم ، ولاذات بعل . ولاعبرة بما يدعو إليه من يتسمون بالمجددين : من وجوب التزوج بواحدة فقط ؛ مستدلين بهذه الآية . وهو قول باطل ترده الشريعة السمحة ، والسنة الغراء ! فليحذر غضب الله من «يحرفون الكلم عن مواضعه» انظر مبحث تعدد الزوجات بآخر الكتاب ﴿وإن يتفرقا﴾ هذان الزوجان المتباغضان ﴿يغن الله كلا﴾ منهما ﴿من سعته﴾ وفضله ! فيرزقه خيراً منها خلقاً وخلقا ، ويرزقها خيراً منه رقة ولطفا ، وحناناً وعطفاً ﴿وكان الله واسعا﴾ أى واسع الفضل والرحمة والرزق ﴿حكيما﴾ فى صنعه !

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ أى متاعها الزائل وحطامها الفانى ؛ كالمجاهد الذى يريد بجهاده الغنيمة والفخر؛ لا الثواب والأجر ! والذى يريد بصلاته وحجه : الرياء والسمعة ، ولا يبتغى بعباداته وجه الله تعالى ؛ فقد أخطأوا جميعاً وجه الصواب ؛ وآبوا شر مآب ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ يعطى من كليهما من شاء ! فقد يعطى أحد الناس الدنيا فحسب ويحرمه من الآخرة والعياذ بالله ! وقد يعطى أحدهم الآخرة فحسب ؛ ويحرمه من الدنيا ؛ وهو عنه راض ! وقد يعطى أحدهم الدنيا والآخرة «وما كان عطاء ربك محظوراً» ! ﴿وكان الله سميعاً﴾ لأقوالكم ﴿بصيراً﴾ بأفعالكم ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ قائمين بالعدل فى كل شىء ﴿شهداء لله﴾ أى تقيمون الشهادة لاتبتغون بها سوى وجه الله بدون تحيز أو محاباة ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ أى ولو كانت تلك الشهادة على أنفسكم ، أو على آبائكم ، أو أقاربكم ؛ فلا تعوقكم القرابة ، ولا المنفعة عن أداء الشهادة على وجهها الأكمل ! ولا يحل كتمانها ؛ لأن فيه من ضياع الدماء والأموال والحقوق ما فيه ! (انظر آية ٢٨٣ من سورة البقرة) ﴿إن يكن﴾ المشهود ضده ﴿غنيا﴾ فلا يمتنع عن أداء الشهادة عليه لغناه ، طلبا لرضاه ؛ فرضا الله تعالى أحق أن يطلب ! ﴿أو فقيرا﴾ فلا يمتنع عنها عطفا عليه ، ورحمة به ! ﴿فالله أولى بهما﴾ أى حكمه تعالى وقضاؤه أولى بأن ينزل عليهما «ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله» ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ أى فلا تتبعوا هواكم بأن تعدلوا عن الحق ؛ فتضيعوا حقوق الخلق ! ﴿وإن تلووا﴾ أيها الشهداء فى شهاداتكم فتحرفوها ﴿أو تعرضوا﴾ عن أدائها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ فيجازيكم عليه . وقيل نزلت الآية فى الحكام ؛ لا فى الشهداء ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالرسل السابقين ؛ وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى : فاليهود آمنت بالتوراة وبمن جاء بها ؛ وكذبت بالإنجيل والقرآن وبمن جاء بهما . والنصارى آمنت بالإنجيل وأهمت من جاء به ، وكذبت بالفرقان ومن جاء به صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى سائر أنبيائه وملائكته ! فنزل الخطاب لهؤلاء : «يا أيها الذين آمنوا» ﴿آمنوا بالله﴾ تعالى ﴿ورسوله﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والكتاب الذى نزل على رسوله﴾ وهو القرآن الكريم .

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

وَٱلْكِتَٰبِ

وَالْكِتَٰبِ الَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوٓا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ

﴿والكتاب﴾ اسم جنس؛ أي وآمنوا بالكتب ﴿الذى أنزل من قبل﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾ أو يؤمن بالله وحده ويكفر بأحد هؤلاء ﴿فقد ضل ضلالا بعيداً﴾ أى جارعن محجة الطريق القويم، إلى مهاوى المهالك، وبعد عن الهدى والاستقامة! ﴿بشر المنافقين﴾ عبر تعالى بلفظ «بشر» تهكماً بهم. والتبشير: يجىء أيضا بمعنى الاخبار ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء﴾ أصدقاء ونصراء ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أى أيطلبون العزة والرفعة فى الدنيا بصحبة الكافرين وصداقتهم، واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين الذين هم إخوانهم ﴿فان العزة لله جميعاً﴾ لايملكها أحد سواه؛ يهبها لمن يشاء من أوليائه وأحبائه ﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب﴾ القرآن ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ أى لا تقعدوا مع الكافرين المستهزئين بآيات الله ﴿حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ فان قعدتم معهم مع كفرهم بآيات الله تعالى، وخوضهم فى الحق الذى أنزله ﴿إنكم إذاً مثلهم﴾ فى الكفر. يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن السامع شريك للقائل؛ مالم يرده قسراً. أو يمنعه جبراً؛ فان لم يستطع فليفارق مجلسه من فوره ﴿إن الله جامع المنافقين﴾ الذين يظهرون غير ما يبطنون ﴿والكافرين فى جهنم جميعا﴾ للعذاب ﴿الذين يتربصون﴾ ينتظرون ﴿بكم فان كان لكم فتح﴾ نصر وغنيمة ﴿من الله قالوا﴾ أى قال المنافقون للمؤمنين ﴿ألم نكن معكم﴾ بالمساعدة والرأى ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ من النصر عليكم ﴿قالوا﴾ أى قال المنافقون للكافرين

﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين ؛ بعد أن ثبطناهم حتى هابوكم وخافوكم وقويناكم عليهم ﴿ونمنعكم﴾ نحمكم وندفع عنكم ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ حجة ، أو طريقا للنيل منهم ﴿إن المنافقين﴾ وحالهم كما وصفنا ﴿يخادعون الله﴾ يظهرون خلاف ما يبطنون ﴿وهو خادعهم﴾ لأنه تعالى يبطن لهم فى الآخرة خلاف ماظهر لهم فى الدنيا فقد أعطاهم فيها ما يؤملونه من صحة ومال ؛ وبيت لهم فى الآخرة من العذاب ما تشيب لهوله الولدان ، ويجعلهم سكارى وماهم بسكارى ! ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ متثاقلين يذهب الإنسان للقاء صديقه : فينشط لمقابلته ، ويسرع لرؤيته ؛ ويقوم الإنسان لمناجاة ربه ، والوقوف بين يدى حبه: الخافض الرافع ، المعطى المانع ؛ متباطئاً متثاقلا ؛ كأنما يساق إلى أصعب الأفعال ، وأشق الأعمال ! وقد فاته أن هذا التكاسل والتثاقل من صفات الكافرين ، وسمات المنافقين ؛ وهم رغم تثاقلهم وتكاسلهم ﴿يراءون الناس﴾ بصلاتهم ﴿مذبذبين﴾ مترددين ﴿بين ذلك﴾ بين الإيمان والكفر ؛ ولم يراعوا الميثاق الذى واثقهم به ربهم ، وهم فى عالم الغيب ؛ وأضاعوا الأمانة التى ائتمنهم عليها ، وأساءوا إلى آدميتهم ، وأهدروا عقولهم ، ونزلوا من مصاف الإنسانية إلى درك الحيوانية ؛ وأصبحوا ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ لا إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ؛ والتردد: أسوأ مايوصف به مخلوق ! وهو إن دل على شىء ؛ فإنما يدل على انعدام الشخصية ، وفساد العقل ! ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ إلى الخير ، أو إلى الجنة ، أو إلى الصواب ! وذلك لأنه أرخى لشهواته العنان ، واستمرأ مايمليه عليه الشيطان فاستوجب الخذلان والحرمان ؛ وتخلى عن حفظه الرحمن ؛ «فماذا بعد الحق إلا الضلال!»

عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ

وَكَانَ

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء﴾ أصدقاء ونصراء ؛ بعد أن بينا لكم شأنهم وعداوتهم ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا﴾ حجة واضحة على نفاقكم ، وموالاتكم للكفار ؛ تؤدى إلى عذابكم ! ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ دركات النار : منازل أهلها فيها . والنار دركات ، والجنة درجات ! ﴿إلا الذين تابوا﴾ من النفاق ومن التثاقل فى العبادات ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم ﴿واعتصموا بالله﴾ استعانوا به ، ووثقوا بوعده ووعيده ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ أى أخلصوا له تعالى فى العبادة (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) .

﴿وكان الله شاكراً﴾ يجازيكم على إخلاصكم وشكركم ﴿عليما﴾ بحالكم ؛ ظاهرا وباطنا ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ أي لايحب الله الفحش فى القول ، والإيذاء باللسان ؛ إلا المظلوم فانه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه ، وأن يذكره بما فيه من السوء! ﴿إن تبدوا خيراً﴾ أى ان تظهروا ما تعملونه من أعمال الخير والبر ﴿أو تخفوه﴾ تعملوه سراً ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ تتجاوزوا عمن أساء إليكم ﴿فان الله كان عفوا﴾ عن ذنوبكم - يحب العفو - ويجزيكم براً ببر، وعفوا بعفو ﴿قديرا﴾ على ذلك ! بعد أن أباح تعالى لمن ظلم أن ينال من ظالمه بالجهر بالدعاء عليه : حث على العفو ، وأشار إلى أنه تعالى عفو مع قدرته ؛ فكيف لا تعفون مع ضعفكم وعجزكم ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا وهيأنا ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ جميعاً ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ كأن يقول المسلم: لا أومن بموسى ولا بعيسى ، أو أن يقول اليهودى : لا أومن بعيسى ولا بمحمد ، أو أن يقول النصرانى : لا أومن بموسى ولا بمحمد ، أو أن يقول النصارى : إن عيسى لم يكن رسولا من عند الله كموسى ومحمد ؛ بل هو ابنه أرسله ليحمل عن الناس أوزارهم وخطاياهم ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ اليهود ﴿أن تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ يرونه بأعينهم نازلا عليهم ؛ فلا تعجب من ذلك ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ جحوداً وكفراً ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾ نراه بأعيننا ، ونمسكه بأيدينا «قاتلهم الله أنى يؤفكون» ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وهى نار تنزل من السماء ﴿بظلمهم﴾ بسبب ظلمهم ؛ وأى ظلم أقبح ، وأى كفر أفدح ؛ من طلبهم رؤية من «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ عبدوه ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ وتضافرت لهم الآيات والمعجزات .

وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن

ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا

عليهم

﴿وآتينا موسى سلطانا مبينا﴾ حجة ظاهرة ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ الجبل ؛ تهديداً لهم حينما امتنعوا عن العمل بما فى التوراة ﴿بميثاقهم﴾ أى بسبب أخذ العهد عليهم بالإيمان بموسى ، والعمل بما فى التوراة ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا﴾ أى ادخلوا باب إيلياء مطأطئين رؤوسكم ﴿وقلنا لهم لا تعدوا﴾ لا تعتدوا بالصيد ﴿فى﴾ يوم ﴿السبت﴾ وقد نهيتم عن ذلك ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ عهـداً قويا وثيقا ؛ فنقضوه ﴿فبما نقضهم﴾ فبسبب نقضهم ﴿ميثاقهم﴾ الذى واثقناهم به ﴿وكفرهم بآيات الله﴾ تكذيبهم بكتبه ورسله ، وآياته فى الآفاق والأنفس ﴿وقتلهم الأنبياء﴾ كيحيى وزكريا ﴿وقولهم﴾ لنبيهم، أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿قلوبنا غلف﴾ أى ذات غلاف لا تعى ما تقوله أنت ﴿بل طبع الله﴾ غطى وختم ﴿عليها﴾ فلا تفهم الرشد ، ولا تعى الإيمان ﴿بكفرهم﴾ أى بسبب كفرهم؛ وما كان الله ليطبع على قلب مؤمن! ﴿وقولهم﴾ أى وبسبب قولهم ﴿على مريم بهتانا﴾ يقال : بهته : إذا قال عليه ما لم يفعل . وقد بهتوها عليها السلام : بأن نسبوا إليها الزنا ؛ وقد اصطفاها ربها وفضلها على نساء العالمين ! ﴿وقولهم﴾ أى وبسبب قولهم أيضاً ﴿إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم﴾ توهموا قتله وصلبه ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولـكن شبه لهم﴾ ألقى الله تعالى شبهه على أحد حوارييه، وقيل: على أحد أعدائه . وذلك بعد أن أخذوه عليه الصلاة والسلام وعذبوه عذاباً شديداً، وجروه على الشوك ، ولاقى منهم عنتاً لا حد له ؛ كشأن سائر أنبياء الله تعالى وأصفيائه ﴿وان الذين اختلفوا فيه﴾ وهم اليهود لعنهم الله ؛ اختلفوا فيمن قتلوه ﴿لفى شك منه﴾ لأنهم افتقدوا واحدا من عدة من يعرفون مع عيسى أو واحدا منهم هم ﴿وما قتلوه يقينا﴾ أى ما قتلوه مستيقنين بأنه عيسى ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وهو الذى افتقدوه من عدتهم ﴿وإن من أهل الـكتاب إلا ليؤمنن به﴾ أى بعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿قبل موته﴾ أى قبل موت الـكتابى ـ حين تحضره ملائـكة الموت ـ فلا ينفعه الإيمـان ، أو قبل موت عيسى عليه السلام ؛ حين ينزل قبيل الساعة لقتل الدجال ، والحـكم بشريعة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ؛ كما جاء فى الآثار والأحاديث الشريفة ﴿ويوم القيامة يكون﴾ عيسى ﴿عليهم شهيدا﴾ أى شاهدا على أهل الـكتاب ؛ بتكذيب من كذبه منهم ، وتصديق من صدقه . ومن كذب بمحمد: فقد كذب بعيسى ، لأن عيسى بشر بمحمد ووصفه لقومه ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ أى فبسبب ظلم الذين هادوا ضيقنا عليهم ، وحرمنا عليهم الطيبات . قال تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما

إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» ﴿وبصدهم﴾ أى وذلك التضييق والتحريم بسبب صدهم ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ (انظر آية ٢٧٥ من سورة البقرة) ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ وهو ما يأخذونه من الرشا فى الحكم ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا وهيأنا ﴿لكن الراسخون فى العلم منهم﴾ أى من اليهود ﴿يؤمنون بما أنزل إليك﴾ من القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ من التوراة والإنجيل ﴿والأسباط﴾ حفدة يعقوب عليه السلام ﴿وآتينا دواد زبورا﴾الزبور: الكتاب ويجمع على زبر ﴿ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ إشارة إلى أنه تعالى أرسل للناس رسلا فى كل زمان ومكان غيرمن ذكرهم فى القرآن ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ لايوصف ، ولا يعلم له كنه فلا ينبغى لأمثالنا أن نبحث عن كيفيته ، أو نحاول الوقوف على حقيقته ؛ فليس بالصوت الحادث ، ولا بالأحرف المعلومة ؛ فقد كلم الله موسى ، وسمع موسى كلام ربه ؛ ولكن كيف كان ذلك الكلام ؟ وكيف كان ذلك السماع ؟ فهذا مما لاينبغى الخوض فيه والبحث وراءه ؛ لأن الكلام قد حصل من قبيل الوجدان والشعور النفسى ؛ كالإحساس باللذة والسرور - وهمامن الأشياء التى يتذوقها الإنسان تذوقا كاملا - غير أنهما لايمكن وصفهما بما توصف به المحسوسات ؛ وإلا لو قلنا بخلاف ذلك لجاز لموسى - وقد سمع كلام الله تعالى - أن يصف ذلك التكلم بالسرعة أو بالبطء ، ولجاز له أيضا أن يصف الصوت المسموع بالجهورة أو الخفوت ، وماشا كل ذلك ؛ وقد تعالى الله عن قول القائلين ، ووصف الواصفين ! وهؤلاء الرسل الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم قد أرسلناهم إلى أقوامهم ﴿مبشرين﴾ من أطاع بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من عصى بالنار ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ أى إنه بعد إرسال الرسل تنقطع حجة الناس ، وتسقط معذرتهم ؛ ويقال للكافرين عند دخول النار : «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» هذا وقد وفينا هذا البحث فى كتابنا «الفرقان»

عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ

حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرًا

لَّكُمۡۚ

(لـكن الله يشهد بما أنزل إليك) أى لا يحزنك يامحمد حسد الحاسدين، وتكذيب المكذبين؛ فان الله تعالى يشهد بأنك صفوته من عباده، وخيرته من خليقته، وأن ماأنزل إليك هو كلامه القديم الكريم! لأنه تعالى (أنزله بعلمه) وإرادته (والملائكة يشهدون) بذلك أيضا (إن الذين كفروا وصدوا) منعوا الناس (عن سبيل الله) دينه (إن الذين كفروا وظلموا) أنفسهم بكفرهم (لم يكن الله ليغفر لهم) قال تعالى «إن الله لا يغفر أن يشرك به» (ولا ليهديهم طريقا) يوصلهم إلى الإيمان والجنة (إلا طريق جهنم) الذى سلكوه واختاروه لأنفسهم (ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق) بالقرآن (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) أى لا تتجاوزوا الحد؛ حيث قالت اليهود عن عيسى: إنه ابن زنا. وقالت النصارى: إنه ابن الله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) بأن توحدوه، وتمجدوه وتنزهوه عن الولد والصاحبة والشريك (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) كسائر الرسل الذين أرسلهم لهداية عباده (وكلمته) التى (ألقاها إلى مريم) على لسان ملائكته عليهم السلام؟ فى قوله «إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه» يعنى برسالة منه، وبشارة من عنده (وروح منه) أى رحمة منه على من اتبعه، أو وقوة منه؛ لإحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص، وإتيانه بالمعجزات الظاهرات. قال تعالى «وأيدهم بروح منه» أى بقوة منه، أو برحمة منه (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) وهو مايزعمه النصارى من أن الإله ذو ثلاثة أقانيم: الأب، والإبن، وروح القدس (انتهوا) ارجعوا عن ذلك القول

لَكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

﴿خيراً لكم﴾ إذ أن فيه نجاتكم ﴿إنما الله إله واحد﴾ لا ولد له ولا والد ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ تنزه عن أن يكون له ولد؛ كما زعمت النصارى أن عيسى ابنه؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً! ﴿لن يستنكف﴾ أى لن يأنف ﴿المسيح أن يكون عبدا لله﴾ فكيف تستنكفون أنتم عن عبادته تعالى ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ مثلكم ﴿فسيحشرهم إليه جميعا﴾ أى يجمع سائر الخلائق يوم القيامة للحساب: مؤمنهم وكافرهم ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من شرائط الإيمان: العمل الصالح ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ ثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ فوق مايستحقونه ﴿وأما الذين استنكفوا﴾ أنفوا من الإيمان، ومن عبادة الرحمن ﴿واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليما﴾ جزاء كفرهم واستكبارهم ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليا﴾ يدفع عنهم عذابه ﴿ولا نصيرا﴾ يمنعهم منه ﴿ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ هو الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يحمل برهان صدقه، وبرهان وجوده تعالى ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ هو القرآن الكريم؛ وأنعم به من نور! لأنه يهدى إلى الحق، وينجى من الضلال ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾ أى بالله، أو بالقرآن؛ والاعتصام: الامتناع والوقاية ﴿فسيدخلهم فى رحمة منه﴾ خير ونعمة ﴿وفضل﴾ كبير ﴿ويهديهم إليه﴾ يوفقهم إلى طاعته ومحبته ﴿صراطا﴾ طريقا ﴿مستقيما﴾ موصلا إلى مرضاته ﴿يستفتونك﴾ يسألونك يامحمد عن الكلالة ﴿قل﴾ لهم ﴿الله يفتيكم﴾ يجيب على سؤالكم ﴿فى الكلالة﴾ وهى ﴿إن امرؤ هلك﴾ مات؛ و ﴿ليس له ولد﴾ يرثه ﴿وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ وما بقى فلعصبته. و «الكلالة»: من لا ولد له ولا والد

﴿وهو يرثها﴾ أى يرث أخته إن ماتت قبله ؛ لا ولد لها ولا والد ﴿فللذكر مثل حظ﴾ نصيب ﴿الأنثيين﴾ (انظر آية ١١ من هذه السورة) ﴿يبين الله لكم﴾ الأحكام ﴿أن تضلوا﴾ أى لئلا تضلوا .

(سورة المائدة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

(٥) سورة المائدة مدنية
إلا آية ٣ فنزلت بعرفات في حجة الوداع
وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ

وَرِضْوَانًا

﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ هو أمر بالوفاء بكل عقد . والعقد : كل اتفاق يتم بين اثنين فأكثر؛ مكتوباً كان أو غير مكتوب: فالزواج عقد ، والوفاء به : حسن العشرة ، وترك المضارة . والبيع عقد ، والوفاء به : عدم الغش ، وحسن المعاملة . والوعد - أياً كان - عقد ، والوفاء به : إنجازه . ويقاس على ذلك سائر الاتفاقات التى تحمل بين طياتها حقوقا والتزامات (انظر آية ٧٢ من سورة الأنفال) ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ؛ أو هى الأنعام الوحشية ؛ من الظباء والبقر والحمر ونظائرها ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه فى قوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب» ﴿غير محلى الصيد وأنتم حرم﴾ أى «أحلت لكم بهيمة الأنعام» غير مستحلى صيد ما يصاد منها ، وأنتم محرمون . وقيل المراد بالإحلال : أجنة الأنعام التى توجد ميتة فى بطونها عند ذبحها ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ شعائر الله : حدوده التى حدها لعباده - من إحلال الحلال ، وتحريم الحرام - والمراد بها هنا : معالم الحج ؛ كالطواف ، والسعى ، والحلق ، والنحر ، ونحوه . وإحلالها : تعدى حدود الله تعالى فيها ، ومخالفة أوامره ﴿ولا الشهر الحرام﴾ أى ولا تنتهكوا حرمات الشهر الحرام ؛ والأشهر الحرم: ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ؛ وانتهاك حرمتها : القتل فيها ﴿ولا الهدى﴾ وهو ما يهدى إلى البيت تقربا إلى الله تعالى ﴿ولا القلائد﴾ جمع قلادة ؛ وهو ما قلد به الهدى . أى لا تنتهكوا حرمات الهدى؛ سواء كان مقلداً أو غير مقلد . وقيل: إنهم كانوا فى الجاهلية يتقلدون من لحاء شجر الحرم ؛ فيأمنون على أنفسهم حتى يلحقوا بأهلهم ؛ فنهى الله عن التقلد بشىء من شجر الحرم ﴿ولا آمين﴾ ولا قاصدين ﴿البيت الحرام﴾ أى لا تمنعوا قاصدى البيت عن الوصول إليه ، ولا تقاتلوهم ؛ لأنهم ﴿يبتغون﴾ بذلك ﴿فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم﴾ انتهيتم من أداء مناسك الحج ، وحل لكم ما حرم

وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

عليكم ـ بسبب الإحرام ـ كالصيد والحلق ونحوهما ﴿ولا يجرمنكم﴾ لا يحملنكم ﴿شنآن﴾ بغض ﴿قوم أن صدوكم﴾ أى من أجل أنهم منعوكم ﴿عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ عليهم ﴿وتعاونوا﴾ جميعاً ﴿على البر﴾ بالناس ﴿والتقوى﴾ وتقوى الله تعالى وخشيته ﴿ولا تعاونوا على الإثم﴾ أى ولا تتعاونوا على ارتكاب الذنوب ﴿والعدوان﴾ على الناس ﴿وما أهل لغير الله به﴾ أى ما سمى عليه بغير اسمه تعالى ﴿والموقوذة﴾ التى ماتت من الضرب؛ من وقذه: إذا ضربه حتى استرخى وأشرف على الهلاك ﴿والمتردية﴾ التى تردت ـ أى سقطت ـ من مكان عال ﴿والنطيحة﴾ التى ماتت من نطح أخرى لها ﴿وما أكل السبع﴾ أى ما بقى من أكله، أو ما أمسكه ليأكله ﴿إلا ماذكيتم﴾ أى يستثنى من التحريم: ماذكيتموه؛ أى طهرتموه بالذبح قبل أن يموت من الضرب، أو السقوط، أو النطح، أو أكل السبع ﴿وماذبح على النصب﴾ أى على الأصنام والأوثان ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ الاستقسام: طلب ماقسم فى الغيب؛ و«الأزلام»: قداح كانوا يستعملونها لذلك ﴿ذلكم﴾ الذى ذكرته لكم وحرمته عليكم ﴿فسق﴾ خروج عن أمر الله تعالى ﴿فمن اضطر﴾ إلى أكل شىء ﴿فى مخمصة﴾ مجاعة ﴿غير متجانف لإثم﴾ أى غير مائل لذنب؛ وإنما ألجأته الضرورة القصوى ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ من المطاعم ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ التى تذكونها بأيديكم ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ أى وأحل لكم أيضاً صيد ما علمتموه «من الجوارح» وهى سباع البهائم والطير: كالكلب، والفهد، والعقاب، والصقر، والبازى؛ ونحوها

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

فَتَيَمَّمُوا

﴿مكلبين﴾ المكلب : مؤدب الجوارح ، ومعلم الكلاب ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ أى مما أمسكن لكم من الصيد ، ولم يأكلوا منه ؛ أما إذا أكلت الجوارح من الصيد ؛ فلا يحل أكله ؛ بل يترك لهم ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ؛ الذين يدينون بما نزل عليهم ، ويسمون الله تعالى على ذبائحهم ﴿حل لكم﴾ كذبائحكم تماماً ؛ ولا يطلق الحل إلا على الذبائح فحسب ـ لا على سائر الأطعمة ـ ألا ترون أنهم يطعمون الخنزير ؛ وهو حرام عندنا وإثم كبير ﴿والمحصنات﴾ الحرائر العفيفات ﴿من المؤمنات﴾ حل لكم زواجهن ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ حل لكم أيضاً ﴿إذا آتيموهن أجورهن﴾ مهورهن ﴿محصنين﴾ متزوجين ﴿غير مسافحين﴾ زانين . والسفاح : الزنا ﴿ولامتخذى أخدان﴾ الخدن : الصديق ﴿حبط﴾ بطل ﴿أوجاء أحد منكم من الغائط﴾ أى أحدث ؛ وذلك أنهم كانوا يذهبون إلى الغائط لقضاء حاجتهم . والغائط : الأرض المستوية الواسعة ؛ ومنه غيط ، وغيطان : لما يحرث ويزرع ﴿أو لامستم﴾ أى جامعتم

﴿فتيمموا﴾ اقصدوا ﴿صعيدا﴾ الصعيد: وجه الأرض؛ من تراب وغيره ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ ضيق ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ يطهر أجسامكم من الأحداث والخبائث، وأرواحكم من دنس الشك والمعاصى! ويؤخذ من التيمم أن الله تعالى لم يرد من الغسل والوضوء: مجرد النظافة الظاهرية - وإلا لما أجزأ التيمم: الذى هو فى حقيقته يتنافى مع مظهر النظافة - وإنما أريد بذلك التطهر الباطنى، والتطهر الروحى؛ وبهما يكون العبد أهلا لمناجاة ربه وللوقوف بين يديه، وبذلك أيضاً ينظر الله تعالى إليه برحمته ومغفرته، وإنعامه وإحسانه! فعلى المغتسل والمتوضىء أن ينوى تطهير روحه، قبل تطهير جوارحه؛ وأن يقصد بغسل يديه: محوما ارتكبتا من آثام وذنوب. وبغسل وجهه: إزالة خائنة عينيه، وإثم أذنيه. وبمسح رأسه: إزاحة هواجسه ووساوسه، وطرد ما يلقى الشيطان فى فكره، مما يكون سببا فى وبال أمره. وبغسل رجليه: إزالة ما علق بهما من آثار خطاإخطا اليه، وجرم مشى فيه! وما أراد الله تعالى بالغسل والوضوء والتيمم: سوى تطهير ذاتكم وصفاتكم، ونقاء سركم وسريرتكم ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ بالوفاء والصفاء ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإيمان ﴿وميثاقه الذى واثقكم به﴾ بأن تسمعوا وتطيعوا؛ فاذا وفيتم بذلك: وفى لكم ماضمن لكم الوفاء به: من إتمام نعمته، ودخول جنته، والتمتع بدار كرامته! وقيل: الميثاق: هو الذى أخذ عليهم - وهم فى صلب آدم - حين قال لهم: «ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» والأول أولى ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أى بما تخفى القلوب ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله﴾ قائمين فى سبيل مرضاته: تقصدون وجهه فى سائر أعمالكم، وتبتغون فضله فى جميع أموركم ﴿شهداء بالقسط﴾ أى يجب أن يكون العدل فى الحكم، والصدق فى الشهادة؛ فى المكان الأول من تقديركم، وألا تحيدوا

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

عن ذلك أبداً مهما كان المحكوم عليه أو المشهود له ﴿ولا يجرمنكم﴾ لا يحملنكم ﴿شنآن قوم﴾ بغض قوم ﴿على ألا تعدلوا﴾ بينهم؛ لعداوتكم لهم، وكراهتكم إياهم ﴿اعدلوا﴾ بين الجميع - أعداء وأحباء، بعداء وأقرباء - فذلك أزكى لكم، وأطهر لنفوسكم؛ وهذا ﴿هو أقرب للتقوى﴾ أى أقرب لخشية الله تعالى، ومخافة عقابه! وأهل التقوى: هم أهل الخوف من الله تعالى، والحذر من أن يخالفوه ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم﴾ هم يهود بنى النضير. وقيل: قريش ﴿أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالإيذاء والقتال ﴿فكف﴾ منع ﴿أيديهم عنكم﴾ أن تصل إليكم بسوء ﴿وعلى الله﴾ وحده ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ لا على غيره (انظر آية ٨١ من سورة النساء)

* وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ

رَسُولُنَا

﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل﴾ على الإيمان والطاعة ﴿وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً﴾ النقيب : هو الذى ينقب عن أفعال القوم ويفتش عنها ﴿وقال الله﴾ لبنى إسرائيل على لسان رسله ﴿إنى معكم﴾ بالتوفيق والمعونة ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ وداومتم عليها ﴿وآتيتم الزكاة﴾ أعطيتموها لمن أمرت باعطائها لهم ﴿وآمنتم برسلى﴾ جميعاً ﴿وعزرتموهم﴾ عظمتموهم ووقرتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ بالصدقات التى يردها لكم فى الدنيا أضعافا مضاعفة ، وفى الآخرة بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ! لئن فعلتم ذلك ﴿لأكفرن﴾ لأمحون ﴿عنكم سيئاتكم﴾ التى ارتكبتموها «إن الحسنات يذهبن السيئات» ﴿فمن كفر بعد ذلك﴾ الميثاق ﴿منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الصواب والحق ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أى فبنقضهم عهدهم ﴿لعناهم﴾ اللعنة من الله تعالى: الطرد والمقت ؛ نعوذ به تعالى من غضبه ! ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ جافية عن الإيمان بى ، والتوفيق لطاعتى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وذلك بتحريفهم التوارة ، وكتابة ما يرغبون فيها ، ومحو مالايرغبون ، أو تحريفهم معانيها بمايتفق وأهواءهم ﴿ونسوا حظا مماذكروا به﴾ الحظ: النصيب . أى تركوا نصيباً مماذكروا به فلم يفعلوه ﴿ولاتزال تطلع على خائنة﴾ على خيانة ﴿منهم﴾ ومن ذلك همهم ببسط أيديهم إليكم بالإيذاء والقتال ﴿إلا قليلا منهم﴾ استكانوا ولم يبسطوا أيديهم ﴿فاعف عنهم﴾ أى عن الذين هموا بكم ﴿واصفح﴾ عن ذنبهم هذا ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ خصوصاً من أحسن لمن أساء. وقيل: هى منسوخة بقوله تعالى «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» هذا هو حال اليهود ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ أيضاً ؛ كما أخذنا ميثاق اليهود ﴿فنسوا حظا﴾ نصيباً ﴿مما ذكروا به﴾ كما نسيت اليهود «تشابهت قلوبهم» ﴿فأغرينا بينهم﴾ أى بين اليهود والنصارى ، أو بين اليهود أنفسهم ، أو بين النصارى بعضهم مع بعض . وعلى كلا الوجهين : فقد شاعت العداوة بين اليهود وبعضهم ، وبين النصارى وبعضهم ، وبين اليهود والنصارى ؛ فترى اليهود وقد انقسموا إلى فرقتين متنافرتين: قرّايين وربانيين ؛ وكلاهما له دين خاص ، وشريعة خاصة ، ونظام يخالف نظام الآخر - فى العبادات والمعاملات - لا يجتمعان إلا فى أمر واحد : هو كراهة المسلمين والنصارى . وترى النصارى وقد انقسموا إلى فرق متعددة : كاثوليك ، وأرثوذكس ، وبروتستانت ؛ كل منها له شريعة خاصة ونظام خاص ؛ وتراهم دائبى الخلاف فى كل صغيرة وكبيرة . أما عداوة اليهود للنصارى ، والنصارى لليهود ؛ فأمر لايحتاج إلى =

= برهان أو دليل؛ قال تعالى «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» وترى الأمم الغربية ـ وهم أبناء دين واحد ـ وقد تفنن بعضهم فى إهلاك البعض ـ هلا كا تشيب لهوله الولدان ـ فمن مخترع للقنبلة الذرية، إلى مخترع للهيدروجينية، إلى مصمم لقنبلة الكوبالت؛ إلى مالا نهاية له من صنوف الإيذاء والبلاء الذى لا يوصف؛ وبذلك حق عليهم الإغراء؛ فهم أبد الدهر فى شحناء وبغضاء! ﴿يا أهل الكتاب﴾ خطاب لليهود والنصارى فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿قد جاءكم رسولنا﴾

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ
وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ السَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم
بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ

محمد ﴿يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ اسم جنس. أى ما كنتم تخفونه من كتابيكم «التوراة والإنجيل» وكان مما أخفوه وبينه النبى عليه الصلاة والسلام: رجم الزانيين المحصنين ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ موضح؛ وهو القرآن الكريم. اللهم أمدنا بنوره، واجعله حجة لنا لا علينا! ﴿يهدى به الله من اتبع رضوانه﴾ طريق مرضاته ﴿سبل السلام﴾ طرق الأمن والسلامة؛ و «السلام»: يشمل كل ما تحتمله هذه الكلمة من معان زاخرة بأنبل الصفات والسمات؛ فالسلام: هو السلامة والسلم، والود والهدوء، والسكينة والطمأنينة، والخير والبر! ﴿ويخرجهم من الظلمات﴾ وهى جمع ظلمة؛ وهى تقع على كل ضلال وخبال، وسوء وشر، وعصيان وفسوق! أرأيت كيف يتعثر الإنسان فى الظلمات: فلا يرى ما يعترضه من عقبات، ولا ما يصادفه من مهاوى ومهالك؟ فيقع فى موارد التهلكة وسوء العاقبة. والمراد بالظلمات أيضاً: الجهل والكفر (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) فمن أحبه الله تعالى: هداه إلى سبل السلام، وأخرجه من الظلمات ﴿إلى النور﴾ والنور: كل عمل يتسم بالنبل والفضل، والهدى والرشاد! أرأيت كيف يهتدى الإنسان فى النور إلى سلامته وأمنه، ويتوقى مواطن الخطل والزلل؛ وبالتالى يقى نفسه غضب الرب، وسوء المنقلب! والمراد بالنور: الإيمان. أى يخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان! ﴿بإذنه﴾ بأمره وإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ طريق النجاة، طريق الفلاح، طريق الجنة! كأن سائلا سأل: ما هو القرآن؟ وما فائدته؟ وما جدوى نزوله؟ فقيل له: هو «كتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» وهو تعريف عرّف به القرآن منزله تعالى؛ العالم بأسراره وأنواره، الواضع لمعالمه وأحكامه!

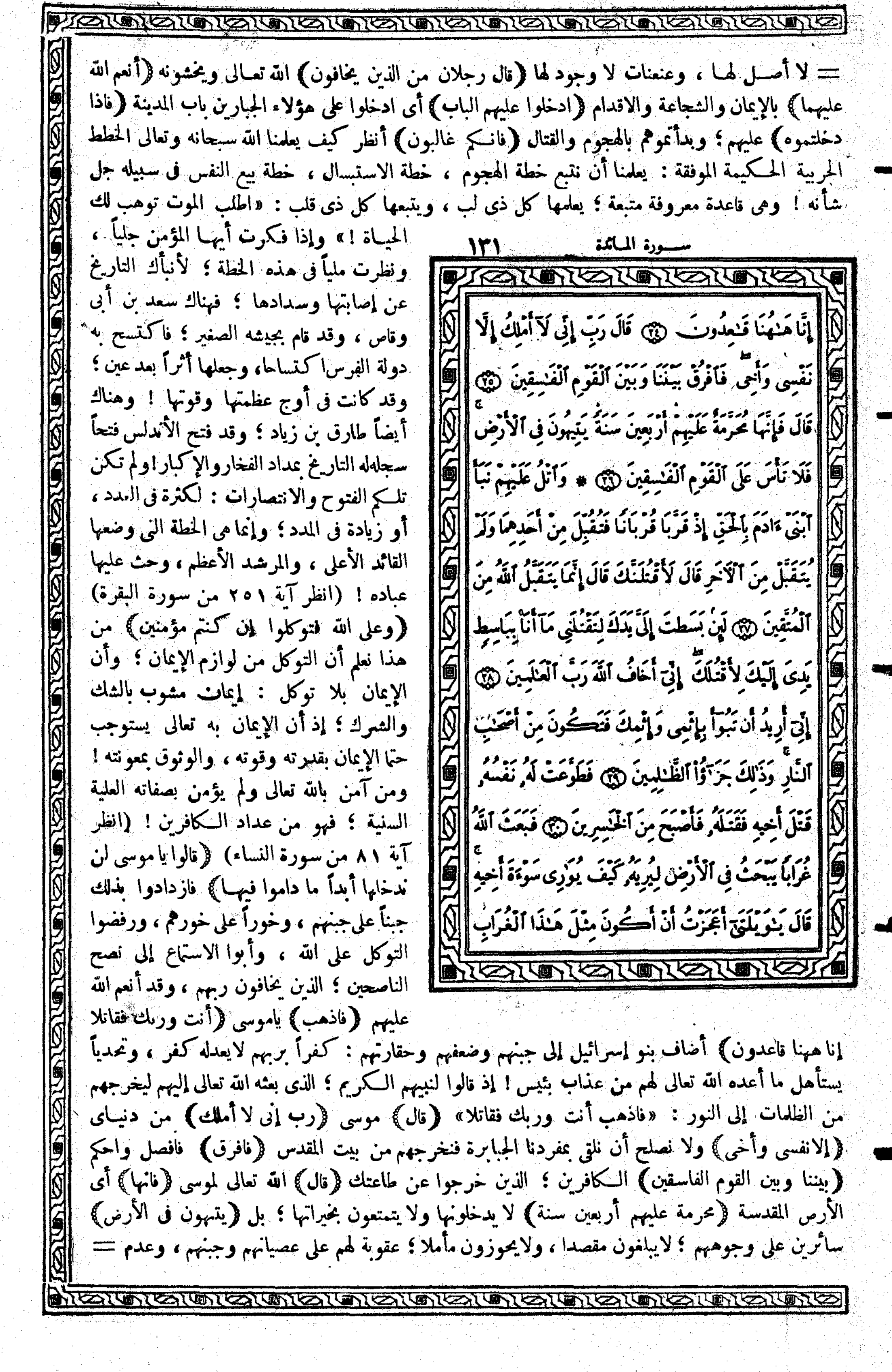
وهذا التعريف بالقرآن؛ خير مما عرفه به الأصوليون؛ من أن القرآن: هو اللفظ العربى، المنزل =

= على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم؛ للتدبر والتذكر، المنقول متواتراً؛ وهو مابين دفتي المصحف؛ المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس.

وهو تعريف - كما ترى - جاف، خال من الروح والروعة الواجبة. وخير التعاريف به: تعريف منزله ومبدعه؛ تعالى شأنه، وعز سلطانه! ﴿قل فمن يملك من الله شيئا﴾ أي فمن يملك أن يدفع شيئاً أراده الله تعالى ﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم﴾ الذي تزعمون ألوهيته، أو بنوته لله ﴿و﴾ أن يهلك ﴿أمه﴾ مريم التي ولدته؛ ذكرها تعالى ليعرفهم أن الله الواجب الوجود: لايلد ولا يولد؛ فكيف تقولون عمن ولدته مريم: إنه الله، أو ابن الله؟! ﴿وقالت اليهود والنصارى﴾ تبجحاً منهم ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ قالوا ذلك حين دعاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان، وحذرهم غضب الله تعالى وعقابه ﴿قل﴾ لهم يا محمد: إذا كنتم صادقين في أنكم أبناء الله وأحباؤه ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ وذلك أنهم قالوا: «لن تمسنا النار إلا أياما معدودة» ﴿بل أنتم﴾ في الحقيقة ﴿بشر ممن خلق﴾ كسائر البشر ﴿يغفر لمن يشاء﴾ بأن يوفقه للايمان والطاعة ﴿ويعذب من يشاء﴾ بأن يتخلى عن هدايته؛ لتمسكه بالكفر وعناده ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿يبين لكم﴾ طرق الهداية ﴿على فترة من الرسل﴾ أي على فتور من إرسال الرسل، وانقطاع الوحي ﴿أن تقولوا﴾ أي أرسلناه لئلا تقولوا ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم﴾ محمد ﴿بشير﴾ لمن آمن منكم وأطاع بالجنة ﴿ونذير﴾ لمن كفر وعصى بالنار ﴿وجعلكم ملوكا﴾ أي مالكين؛ بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه ﴿وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين﴾ خلصهم من الذل، وفضلهم على الكل؛ فازدادوا كفراً وعتواً! وأنجاهم من البلوى، وأطعمهم المن والسلوى؛ فأبوا الطعام الأعلى، وطلبوا الطعام الأدنى! وأنزل عليهم مائدة من السماء؛ فكفروا بما هنالك، وأوقعوا أنفسهم في المهالك؛ فأعد لهم ربهم عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين! ﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ أرض بيت المقدس ﴿التي كتب الله لكم﴾ أي كتب في لوح المحفوظ أن تسكنوها وتقيموا فيها ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ أي لا ترجعوا مدبرين منهزمين ﴿قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين﴾ أقوياء أشداء شجعاناً. وقيل: سفلة لا خلاق لهم. وقال بعض المفسرين: انهم من بقايا قوم عاد، وأنهم ضخام الأجسام، عظام الأجساد؛ حتى ان أحدهم ليحمل الاثنى عشر نفساً في أحد أكمامه. وهو قول غير صحيح، وإنما قصه القصاصون الأفاكون؛ وزينوه بروايات =

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ
اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم
مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾
قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن
نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا

إِنَّا



إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ

= لا أصل لها ، وعنعنات لا وجود لها ﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ الله تعالى ويخشونه ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالإيمان والشجاعة والاقدام ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ أى ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب المدينة ﴿فاذا دخلتموه﴾ عليهم؛ وبدأتموهم بالهجوم والقتال ﴿فانكم غالبون﴾ أنظر كيف يعلمنا الله سبحانه وتعالى الخطط الحربية الحكيمة الموفقة : يعلمنا أن نتبع خطة الهجوم ، خطة الاستبسال ، خطة بيع النفس فى سبيله جل شأنه ! وهى قاعدة معروفة متبعة ؛ يعلمها كل ذى لب ، ويتبعها كل ذى قلب : «اطلب الموت توهب لك الحياة !» وإذا فكرت أيها المؤمن جلياً ، ونظرت ملياً فى هذه الخطة ؛ لأنبأك التاريخ عن إصابتها وسدادها ؛ فهناك سعد بن أبى وقاص ، وقد قام بجيشه الصغير ؛ فاكتسح به دولة الفرس اكتساحا، وجعلها أثراً بعد عين ؛ وقد كانت فى أوج عظمتها وقوتها ! وهناك أيضاً طارق بن زياد ؛ وقد فتح الأندلس فتحاً سجله له التاريخ بمداد الفخار والإكبار ولم تكن تلكم الفتوح والانتصارات : لكثرة فى العدد ، أو زيادة فى المدد ؛ وإنما هى الخطة التى وضعها القائد الأعلى ، والمرشد الأعظم ، وحث عليها عباده ! (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ من هذا نعلم أن التوكل من لوازم الإيمان ؛ وأن الإيمان بلا توكل : إيمان مشوب بالشك والشرك ؛ إذ أن الإيمان به تعالى يستوجب حتما الإيمان بقدرته وقوته ، والوثوق بمعونته ! ومن آمن بالله تعالى ولم يؤمن بصفاته العلية السنية ؛ فهو من عداد الكافرين ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿قالوا يا موسى لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ فازدادوا بذلك جبناً على جبنهم ، وخوراً على خورهم ، ورفضوا التوكل على الله ، وأبوا الاستماع إلى نصح الناصحين ؛ الذين يخافون ربهم ، وقد أنعم الله عليهم ﴿فاذهب﴾ ياموسى ﴿أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ أضاف بنو إسرائيل إلى جبنهم وضعفهم وحقارتهم : كفراً بربهم لايعدله كفر ، وتحدياً يستأهل ما أعده الله تعالى لهم من عذاب بئيس ! إذ قالوا لنبيهم الكريم ؛ الذى بعثه الله تعالى إليهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور : «فاذهب أنت وربك فقاتلا» ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنى لا أملك﴾ من دنياى ﴿إلا نفسى وأخى﴾ ولا نصلح أن نلقى بمفردنا الجبابرة فنخرجهم من بيت المقدس ﴿فافرق﴾ فافصل واحكم ﴿بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ الكافرين ؛ الذين خرجوا عن طاعتك ﴿قال﴾ الله تعالى لموسى ﴿فانها﴾ أى الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم أربعين سنة﴾ لا يدخلونها ولا يتمتعون بخيراتها ؛ بل ﴿يتيهون فى الأرض﴾ سائرين على وجوههم ؛ لا يبلغون مقصدا ، ولايحوزون مأملا ؛ عقوبة لهم على عصيانهم وجبنهم ، وعدم =

= استماعهم لكلام ربهم ونصح نبيهم ﴿فلا تأس﴾ لا تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ الكافرين العاصين ﴿واتل﴾ يامحمد ﴿عليهم﴾ على هؤلاء اليهود؛ الذين هموا أن يبسطوا إليكم أيديهم بالبطش والأذى ﴿نبأ ابنى آدم﴾ هابيل وقابيل ﴿إذ قربا قرباناً﴾ لله ﴿فتقبل من أحدهما﴾ هابيل ﴿قال﴾ قابيل - الذى لم يتقبل قربانه - لهابيل الذى تقبل منه ﴿لأقتلنك﴾ حسداً منه له ﴿قال﴾ هابيل ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ الذين يخشونه ﴿لئن بسطت﴾ مددت ﴿إلى يدك لتقتلنى﴾ فلن أقابلك بمثل بغيك؛ و﴿ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك﴾ لأنى لست شريراً مثلك ﴿إنى أخاف الله رب العالمين. إنى أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمى﴾ إثم قتلى ﴿وإثمك﴾ الذى ارتكبته من قبل؛ ولم يتقبل قربانك بسببه أو المراد «بإثمى»: آثامى تلقى عليك «وإثمك» الذى ارتكبته بقتلى. قال صلى تعالى عليه وسلم: «يؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف؛ فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه» يعضده قوله تعالى «وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم» ﴿فطوعت له نفسه﴾ زينت له، وتابعته وطاوعته ﴿فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض﴾ يحفر فيها برجله ومنقاره ﴿ليريه كيف يوارى سوأة أخيه﴾ جسده؛ والسوأة: كل مايسوء الإنسان ظهوره ﴿من أجل ذلك﴾ القتل الذى حصل بين ابنى آدم ﴿كتبنا﴾ حكمنا وقضينا ﴿على بنى إسرائيل﴾ وعلى غيرهم أيضاً ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس﴾ أى بغير أن يكون ذلك القتل قصاصاً من المقتول الذى قتل نفساً ظلماً ﴿أو فساد فى الأرض﴾ أى وبغير أن يكون القتل بسبب إفساد المقتول فى الأرض، وقطعه للطريق، وسلبه أموال الناس وإفساده للأمن ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ أى لأنه بفعلته هذه سن القتل، وجعل كل الناس عرضة له، ولأن عقوبته فى الآخرة لا تنقص عن عقوبة من قتل الناس جميعاً؛ ألا ترى أن جزاءه جهنم، وأنه خالد فيها، وأن غضب الله تعالى محيط به، ولعنته منصبة عليه، وأنه تعالى أعد له عذاباً عظيماً مهيناً!؟ فأى شقاء وأى عذاب بقى لمن قتل الناس جميعاً بعد هذا الشقاء، وفوق هذا العذاب؟ (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) ﴿ومن أحياها﴾ أى أنقذها من هلاك محقق: كغرق، أو حرق، أو دفع عدو ظالم، أو غير ذلك ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ لأنه سن بينهم النجدة، والتضحية، والأمن. وقيل: إن الكف عن القتل: هو الإحياء.

فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ

جَمِيعًا

بعد ذلك بين الله تعالى لنا الأسباب الموجبة للقتل، والتى استثناها فى الآية السابقة بقوله جل شأنه: «بغير نفس أو فساد فى الأرض» قال تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ بمحاربة المسلمين، =

= ومخالفة ما أمر الله تعالى به ، وإتيان ما نهى عنه ﴿ويسعون فى الأرض فساداً﴾ وهم قطاع الطريق ؛ الذين يعيثون فى الأرض ، وينتهكون الحرمات ، ويفسدون الأمن ؛ فجزاء أمثال هؤلاء ﴿أن يقتلوا﴾ إن كان إثمهم القتل فقط ﴿أو يصلبوا﴾ إن كان إثمهم القتل وسلب المال ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ إن كان إثمهم سلب المال «السرقة بالإكراه» وطريقة ذلك أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى - يده للسرقة ، ورجله لإخافة الطريق - فإن لم يتب تقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ إن كان إثمهم التخويف فقط ؛ والنفى : أن يطرد من موطنه قسراً حتى يلحق بأرض العدو ، أو هو نفيه من بلده إلى بلد آخر يسجن فيها حتى تبدو توبته ، وتظهر إنابته ؛ ويقلع عن معصية الله وإيذاء عباده الآمنين ! (انظر آية ٣٨ من هذه السورة) ﴿ذلك﴾ الجزاء المتقدم ﴿لهم خزى﴾ ذل وفضيحة ﴿فى الدنيا﴾ يعلق بهم وبأبنائهم وذراريهم ﴿إلا الذين تابوا﴾ عن محاربة الله تعالى ورسوله ، وعادوا إلى حظيرة الإيمان ﴿من قبل أن تقدروا عليهم﴾ فأولئك ليس لكم عليهم من سبيل ؛ لأن الإيمان يجبُّ ماقبله . أما إذا كان الساعى فى الأرض بالفساد من المؤمنين : فعليه القود والقصاص . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه : يعفى من حق الله تعالى ، ويؤخذ بحق الناس ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خافوه ، واخشوا عقابه ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ الوسيلة : هى القربة ، والعمل الصالح ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ يسرق السارق - حين يسرق - وهو آمن مطمئن ؛ لا يخشى شيئاً : اللهم سوى ذلك السجن الذى يطعم ويكسى ويعالج فيه ؛ فيقضى مدة العقوبة التى فرضها عليه القانون الوضعى ، ويخرج من هذا السجن وهو إلى الإجرام أميل ، وعلى الشر أقدر ! يدل على هذا أن تعداد الجرائم يزداد يوما عن يوم ، وعاما عن عام ، وذلك لقصور العقل البشرى وعجزه عن الوصول للشفاء النافع ، والدواء الناجع ! أما عقوبة قطع يد السارق فالذى وضعها الرحيم الرحمن ، الذى هو أعلم بالإنسان من الإنسان ؛ وهاهى ذى بلاد الحجاز - رغم فقر أهلها وعوزهم - فلا تكاد تسمع بوقوع سرقة فيها ؛ حتى ان الإنسان ليقع منه الدرهم فيتذكره فيعود إليه فيجده فى موضعه بعد أيام ؛ حيث لا يجسر أحد أن ينظر إليه ، فضلا عن أن يمد يده لأخذه وما ذلك إلا بفضل انتشار الأحكام الدينية ؛ جزى الله تعالى القائمين بها خير الجزاء ! وهاهى ذى أوروبا وأمريكا تناديان بوجوب تغيير هذه القوانين الوضعية ؛ حيث لم تعد صالحة لردع النفوس الشريرة ؛ بدليل ازدياد الجرائم ؛ فلله ما أحلى هذا الدين ، وأجمل تعاليمه وشرائعه ! ﴿جزاء بما كسبا﴾ من إثم السرقه =

جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ

= ﴿نكالا من الله﴾ النكال: العبرة للغير. أى ذلك القطع عبرة من الله: يعتبر بها الغير؛ فيتجنب أسبابها ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ رجع إلى الله من بعد ارتكاب السرقة، واعترف بها ﴿وأصلح﴾ أعماله ﴿فان الله يتوب عليه﴾ يقبل توبته؛ بعد توقيع الحد عليه ﴿يا أيها الرسول﴾ خاطب الله تعالى سائر النبيين بأسمائهم؛ فقال: «يا آدم، يانوح، ياإبراهيم، ياداود، ياعيسى، يازكريا، يايحيى» ولم يخاطب الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه إلا بقوله: «يا أيها الرسول، يا أيها النبى، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر» وفى هذا من رفعة شأنه عليه الصلاة والسلام مالا يخفى!

فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ

بِٱلنَّفْسِ

﴿أكالون للسحت﴾ الحرام والرشوة

﴿فاحكم بينهم بالقسط﴾ بالعدل

﴿والربانيون﴾ جمع ربانى نسبة إلى الرب؛ وهم العلماء والحكماء. وقيل: هم الرهبان ﴿والأحبار﴾ العلماء ﴿بما استحفظوا﴾ حفظوا، واستودعوا علمه ﴿من كتاب الله﴾ وهو التوراة ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ أى لا تخافوهم خوفاً ينسيكم أوامرى؛ فأنا أحق بالخشية منهم؛ لأنى أنفع وأضر، وهم لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم، ولا دفع ضر عنها. وهذا نهى عن الترلف والتملق، ووجوب نهى العاصى عن عصيانه، والطاغى عن طغيانه ﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ أى فى التوراة ﴿أن النفس﴾ تقتل

﴿بالنفس والعين﴾ تفقأ ﴿بالعين والأنف﴾ يجدع ﴿بالأنف والأذن﴾ تقطع ﴿بالأذن والسن﴾ تقلع ﴿بالسن والجروح قصاص﴾ فيقتص لكل عضو بمثله إذا أمكن .

لو أن المجرم المعتاد للاجرام ، والذى أشربت نفسه حب الأذى والضرر ؛ علم أنه لو فقأ عيناً فقئت عينه ، أو كسر سناً كسرت سنه ؛ لما جسر على الأذى : ولا قوى على الفتك ! ولو أن أعصى العصاة ، وأعتى العتاة ؛ حينما يضع يده على عصاه ؛ ليوقع الضرر بعباد الله : علم أنه إنما يضرب نفسه ، ويقتطع من جوارحه : لانقلبت شروره خيرات ، وسيئاته حسنات ؛ ولكان مندفعا إلى الخير ـ إن لم يكن بطبيعته وفطرته ـ فبرعبه ورهبته ! غير مافى هذه العقوبات الرادعة من شفاء للقلوب المكلومة ، والنفوس الموتورة ؛ التى يتولد منها ـ بسبب عدم إنزال العقاب الصارم ، بالمجرم الظالم ـ سلسلة جرائم وأخذ ثارات ؛ يتزلزل لها الأمن وتنزعج منها العدالة! أرشد الله تعالى الناس ، لما يصلح الناس ﴿فمن تصدق به﴾ أى تجاوز عن حقه فى الاقتصاص من المعتدى ﴿فهو كفارة له﴾ أى إن ذلك التجاوز تكفير لبعض ذنوب المعتدى عليه ، أو هو كفارة للمعتدى نفسه ؛ لأن العفو كالاقتصاص ؛ فلايجوز للمعتدى عليه أن يطالبه بالقصاص بعد التصدق والعفو ﴿وقفينا﴾ أتبعنا ﴿على آثارهم﴾ أى آثار النبيين الذين تقدموا عيسى عليه السلام ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ ما تقدمه ﴿من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى﴾ من الله ﴿ونور﴾ لمن اتبعه ﴿ومصدقاً﴾ أى الإنجيل جاء مصدقاً ﴿لما بين يديه﴾ تقدمه ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ ولكنهم لم يحكموا بما فيه ؛ بل حكموا تبعاً لأهوائهم ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ ومن عجب أن تنزل التوراة لليهود فلا يعملون بها ، ويحرفونها عن مواضعها ، وينزل الإنجيل للنصارى فلا يعملون بما فيه ، بل يكون دأبهم تغييره ومخالفته ، وينزل القرآن الكريم على المسلمين فيجعلون ديدنهم التشدق بحروفه ، ومراعاة وقوفه . والإفراط فى الغن إفراطاً أخل بنطقه ، والتزيد فى المد تزيداً أخل بمعناه ؛ وتركوا العمل بما فيه ؛ ولم ينزله منزله تعالى إلا لذلك ! ولكنه الشيطان زين لهم تافه الأمور ، وصرفهم عن لب القرآن ! ﴿وأنزلنا إليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ ماتقدمه ﴿من الكتاب﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿ومهيمناً عليه﴾ رقيباً وحافظاً وأمينا ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ الشرعة: الشريعة . والمنهاج : الطريق البين الواضح ﴿ولكن ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ من الشرائع والتكاليف ؛ فيعلم ـ علم ظهور ـ المطيع منكم والعاصى ، والبر والفاجر !

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ

الَّذِينَ

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ ابتدروها وسابقوا نحوها؛ قبل الفوات بالوفاة! ﴿إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ ويجزى كلا بما عمل ﴿وأن احكم بينهم﴾ بين اليهود - وقد احتكموا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فى بعض جرميهم - وقيل: إن سادة اليهود وكبراءهم ذهبوا إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، وقالوا له: إنا إن أسلمنا أسلم سائر اليهود، وان بيننا وبين قومنا خصومة، فاقض لنا عليهم ونحن نسلم لك ونؤمن بك. فأبى اتباعهم، وأنزل الله تعالى عليه هذه الآية ﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾ يضلوك ﴿عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ من الأحكام فى كتابه المبين ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا عنك، وانصرفوا عن تصديقك ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم﴾ بالعقوبة فى الدنيا؛ كالجلاء، والجزية، والأسر، والقتل ﴿ببعض ذنوبهم﴾ التى أتوها؛ ومنها الإعراض والتولى! وسيصيبهم فى الآخرة بالعقوبة الكاملة المدمرة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أى أصدقاء توالونهم من دون المؤمنين ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ يستدل من ذلك أن موالاة الكفار كفر؛ ألاترى إلى قوله تعالى «فانه منهم» أى من جنسهم، ومن جماعتهم! فاحذر - يارعاك الله - أن توالى الكافرين؛ فتكون من الظالمين! (انظر آية ٢٨ من سورة آل عمران) ﴿فترى الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿يسارعون فيهم﴾ أى يسارعون فى ولايتهم وصداقتهم ﴿يقولون﴾ إنما نواليهم لأننا ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أى مصيبة، أو حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها ﴿فعسى الله أن يأتى بالفتح﴾ بالنصر ﴿أو أمر من عنده﴾ بنزول العذاب ﴿فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم﴾ من النفاق والمنكر بالمؤمنين

﴿حبطت أعمالهم﴾ بطلت ﴿فسوف يأتى الله بقوم﴾ غيركم : مؤمنين ، طائعين ، صالحين ﴿يحبهم﴾ لإيمانهم ﴿ويحبونه﴾ لمعرفتهم به ، ومزيد فضله عليهم !

وحب المؤمن لربه : يجب أن يكون متميزاً عن سائر الحب ؛ فلا يجوز أن يكون كحب الولد ؛ إذ هو كاسبه ، ولا كحب الوالد ؛ إذ هو واهبه ، ولا كحب المال ؛ إذ هو مكسبه ، ولا كحب الزوج ؛ إذ هو هاديها وراعيها ، ولا كحب سائر الأهل ـ مهما كانوا نافعين قادرين ، ومهما كانوا أحباء محبين ـ بل يجب ألا يشاركه تعالى فى الحب مخلوق ـ مهما سما قدره ، وعلت منزلته ـ ولايجوز أن يتعلق حبه تعالى بسبب من الأسباب ؛ لئلا يزول ذلك الحب بزوال هذا السبب ! بمعنى أنه يحبه لأنه يحفظ عليه أهله ، أو ولده ، أو ماله . بل يجب أن يكون حبه لله لذات الله ! فانه تعالى إن شاء وهب ، وإن شاء سلب ؛ وإن شاء أعطى ، وإن شاء منع ؛ لا يسأل تعالى عما يفعل وهم يسألون !

الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

والحب لله ان كان مبنياً على خوف عذابه ، أو رجاء ثوابه ؛ فانه لا يخالف الشرع ؛ قال تعالى «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» لكنه على كل حال ليس بالحب الذى يناسب ذات الله المقدسة ! وقد ذهب بعض الصوفية إلى أكثر من هذا ؛ فقال : إن حبه تعالى لا يجوز أن يكون رغبة فى جنته ، أو خوفاً من ناره ؛ بل يجب أن يكون مجرداً عن كل غرض ، أو شبهة الغرض ؛ بل يكون حبه تعالى : هو الغاية ، وهو الوسيلة ، وهو المقصد ، وهو المطلب ! فإذا ما وصل العبد إلى هذه المرتبة : كان صديقاً ؛ بل وفوق مرتبة الصديقين ! واعلم أيها المؤمن ـ هديت وكفيت ـ أن محبة الله تعالى ورضاءه لا يتوافران إلا برضاء الناس ومحبتهم ؛ فاحرص على رضاء مخلوقاته وحبهم ـ حتى العجماوات منها ـ فيرضى عنك الجميع ويحبونك ، ويرضى عنك الله تعالى ويحبك !

وما من إنسان يحبه مولاه : إلا أحبه كل مخلوق ، وتيسر له كل صعب ، وهان عليه كل عسير !

واعلم أن مخلوقات الله تعالى بمثابة عياله ؛ فمن أكرمهم : أكرمه الله ، ومن أعزهم : أعزه ، ومن غفر لهم : غفر له ! «ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» .

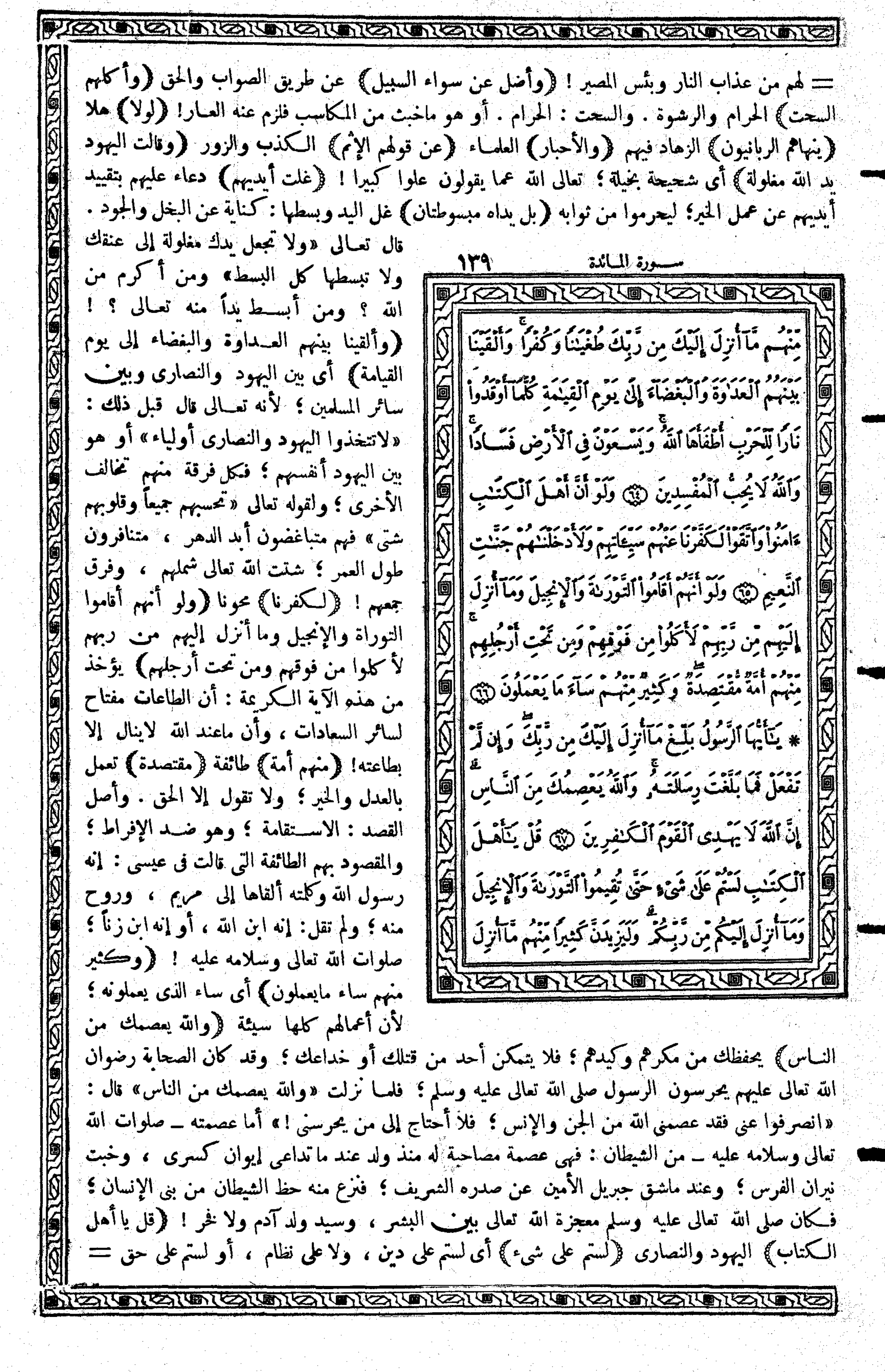
واعلم ـ هداك الله وعافاك ـ أنه ما من لقمة تطعمها ، ولا نفقة تنفقها ؛ إلا كان لك بها أجر : لو علمته لأطعمت الفقراء سائر طعامك وما طعمته ، ولو تحققته لأنفقت عليهم نفقة عيالك وما بخلت به ! ==

= واعلم - علم اليقين - أن الله تعالى معطيك بذلك ماتريد وفوق ماتريد - فى الحياة الدنيا - ومعطيك فى الآخرة ما لم تتوهمه ، وما لم يخطر ببالك ! وأن عطاءه تعالى ليس كعطائك - مهما بذلت - وأن مثوبته ليست كمثوبتك - مهما بالغت - فاعمل بذلك لدنياك وآخرتك ؛ إنى لك من الناصحين ! (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ من علامة حب الله تعالى للمؤمن ، وحب المؤمن لربه : أن يكون لين الجانب متواضعاً لإخوانه المؤمنين ، قوى الشكيمة متسربلا بالعزة والكبرياء حيال الكافرين والمنافقين ؛ لا يراعى أحداً لسعته أو لبطشه .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

مِّنْهُم

أقدار الناس عنده تتسامى بإيمانهم وتقواهم ، لا بقوتهم وغناهم ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ من خلصائه وأوليائه ﴿إنما وليكم﴾ ناصركم ﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ جعل تعالى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : شرطاً من شرائط الإيمان ؛ فلينظر هذا وليعتبر ! ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾ أى أذن مؤذنكم بها ﴿اتخذوها هزواً ولعباً﴾ هذه صفة الكافرين ؛ وصفهم الله تعالى بها فى كتابه الكريم ؛ ومن عجب أن هذه الصفة قد أصبحت من سمات كثير ممن تسموا بالمؤمنين: يراك أحدهم وقد شرعت فى طاعة مولاك بإقامة الصلاة - التى أمرك بأدائها - فيغرب فى الضحك ، ويمعن فى السخرية ، ويجتمع حولك مع أمثاله من الفاسقين الضالين ؛ فيجعلون من صلاتك سبباً للضحك عليك ، والسخرية بك ! «فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون» ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون﴾ هل تكرهون ﴿منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ من القرآن ﴿وما أنزل من قبل﴾ على النبيين ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ أى ثوابا . والمثوبة - وإن كانت مختصة بالاحسان - لكنها وضعت هنا موضع العقوبة ؛ كقوله تعالى «فبشرهم بعذاب أليم» ﴿من لعنه الله﴾ طرده من رحمته ﴿وغضب عليه﴾ وأى شر أشر من لعن الله تعالى وغضبه ؟ ! بل أى درك ينحط فيه إنسان - بعد اللعن والغضب - أحط من المسخ ؟ ! ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ وأى حيوان أقبح شكلا ، وأخبث منظراً ، وأكره رائحة ، وأزرى خلقاً وهيئة من القردة والخنازير؟ ! هذا وصف بنى إسرائيل من ناحية الخلق ؛ أما وصفهم من ناحية الخلق : فشأنه لا يقل بحال عن الخلق ؛ فقد وصفهم الله تعالى بقوله ﴿وعبد الطاغوت﴾ والمراد بالطاغوت : الطغيان المادى أو هو كل رأس فى الضلال ؛ هذه الصفات ، وتلك السمات ؛ ساقها الله تعالى وصفاً لليهود ﴿أولئك شر مكاناً﴾ فى الدنيا : بما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة ، وفى الآخرة: بما أعده الله تعالى =



= لهم من عذاب النار وبئس المصير ! ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ عن طريق الصواب والحق ﴿وأكلهم السحت﴾ الحرام والرشوة . والسحت : الحرام . أو هو ماخبث من المكاسب فلزم عنه العار! ﴿لولا﴾ هلا ﴿ينهاهم الربانيون﴾ الزهاد فيهم ﴿والأحبار﴾ العلماء ﴿عن قولهم الإثم﴾ الكذب والزور ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ أى شحيحة بخيلة ؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! ﴿غلت أيديهم﴾ دعاء عليهم بتقييد أيديهم عن عمل الخير؛ ليحرموا من ثوابه ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ غل اليد وبسطها : كناية عن البخل والجود .

مِنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا
نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم
مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ

قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط» ومن أكرم من الله ؟ ومن أبسط يداً منه تعالى ؟ ! ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ أى بين اليهود والنصارى وبين سائر المسلمين ؛ لأنه تعالى قال قبل ذلك : «لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء» أو هو بين اليهود أنفسهم ؛ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ؛ ولقوله تعالى «تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى» فهم متباغضون أبد الدهر ، متنافرون طول العمر ؛ شتت الله تعالى شملهم ، وفرق جمعهم ! ﴿لكفرنا﴾ محونا ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ يؤخذ من هذه الآية الكريمة : أن الطاعات مفتاح لسائر السعادات ، وأن ماعند الله لاينال إلا بطاعته! ﴿منهم أمة﴾ طائفة ﴿مقتصدة﴾ تعمل بالعدل والخير ؛ ولا تقول إلا الحق . وأصل القصد : الاستقامة ؛ وهو ضد الإفراط ؛ والمقصود بهم الطائفة التى قالت فى عيسى : إنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ؛ ولم تقل: إنه ابن الله ، أو إنه ابن زناً ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! ﴿وكثير منهم ساء مايعملون﴾ أى ساء الذى يعملونه ؛ لأن أعمالهم كلها سيئة ﴿والله يعصمك من الناس﴾ يحفظك من مكرهم وكيدهم ؛ فلا يتمكن أحد من قتلك أو خداعك ؛ وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحرسون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فلما نزلت «والله يعصمك من الناس» قال : «انصرفوا عنى فقد عصمنى الله من الجن والإنس ؛ فلا أحتاج إلى من يحرسنى !» أما عصمته ــ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ــ من الشيطان : فهى عصمة مصاحبة له منذ ولد عند ما تداعى إيوان كسرى ، وخبت نيران الفرس ؛ وعند ماشق جبريل الأمين عن صدره الشريف ؛ فنزع منه حظ الشيطان من بنى الإنسان ؛ فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة الله تعالى بين البشر ، وسيد ولد آدم ولا فخر ! ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿لستم على شيء﴾ أى لستم على دين ، ولا على نظام ، أو لستم على حق =



= ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ بأن تعملوا بما فيها . وفى التوراة والإنجيل نعت محمد عليه الصلاة والسلام ، والتبشير بمجيئه ؛ فالإيمان به إذن : إقامة للتوراة والإنجيل ، وعمل بمافيهما (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) ﴿وليزيدن كثيراً منهم﴾ أى من اليهود والنصارى ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ من القرآن ﴿طغياناً﴾ على طغيانهم ﴿وكفراً﴾ على كفرهم ﴿فلا تأس﴾ لا تحزن ﴿إن الذين آمنوا﴾ بالله تعالى؛ وهم قوم محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والذين هادوا﴾ اليهود : قوم موسى عليه السلام ﴿والصابئون﴾ جنس من أهل الكتاب. وصبأ : إذا رجع . وقيل : هم قوم كانوا يعبدون النجوم . وقيل: قوم كانوا على دين نوح عليه السلام؛ وأبوا اتباع دين آخر ﴿والنصارى﴾ قوم عيسى عليه السلام ﴿من آمن﴾ من هؤلاء جميعاً ﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾ فى دنياه ﴿فلا خوف عليهم﴾ من العذاب ﴿ولاهم يحزنون﴾ يوم القيامة ؛ إذهم ناجون بإيمانهم بالله واليوم الآخر ، وبالعمل الصالح ﴿وحسبوا﴾ أى ظن بنو إسرائيل ﴿ألا تكون فتنة﴾ أى ألا ينزل بهم عذاب بسبب تكذيبهم ﴿فعموا﴾ عن رؤية الحق ﴿وصموا﴾ عن سماعه ؛ وذلك لأنهم لم ينتفعوا بما رأوا ولا بما سمعوا ؛ فكانوا كالأعمى والأصم ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ رفع عنهم العذاب ، ومهد لهم سبيل المتاب ، ولن يتوب إنسان ، قبل أن يتوب عليه المنان! قال تعالى «ثم تاب عليهم ليتوبوا» لكن بنى إسرائيل هم هم ؛ طول العمر ، وأبد الدهر ؛ فبعد أن عموا وصموا ، وبعد أن رفع ربهم عنهم العذاب ، ﴿ثم﴾ مهد لهم سبل المتاب ﴿عموا وصموا كثير منهم والله بصير بمايعملون﴾ فجازيهم به ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وكيف يكون إلهاً من ولدته مريم ؟ ومن صفاته تعالى أنه لايلد ولايولد ! «قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً» ﴿وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ أن يدخلها ، أو يشم ريحها ﴿ومأواه﴾ مرجعه ﴿النار وما للظالمين﴾ الكافرين ﴿من أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله ، أو ينصرونهم من دونه ؛ و﴿لقد كفر﴾ أيضاً ﴿الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ وهم النصارى حيث يقولون : إن الله ذو ثلاثة أقانيم ﴿وإن لم ينتهوا﴾ يرجعوا

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟

عَمَّا

عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ

﴿عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم﴾ بهذا القول ﴿عذاب أليم﴾ فى الدنيا بالخزى ، وفى الآخرة بالنار! ﴿ما المسيح ابن مريم﴾ الذى ألهته النصارى ورمته اليهود ﴿إلا رسول﴾ من عند الله ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبله الرسل﴾ أمثاله ﴿وأمه صديقة﴾ مبالغة فى الصدق ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كما تأكل سائر المخلوقات ؛ وفى هذا القول إشارة لطيفة إلى أن من يأكل الطعام ؛ لابد أن يكون فى حاجة إلى إخراجه ومن يكن هذا حاله ؛ فكيف يعبد؟ أوكيف يتوهم أنه إله ؟! ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾ الدالة على فساد حكمهم، وخطل رأيهم ﴿ثم انظر أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن عبادتى ؛ رغم ظهور الآيات الدالة على وحدانيتى؟! ﴿قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق﴾ الغلو: مجاوزة الحد ؛ من إفراط . أو تفريط : فقد قالت النصارى عن عيسى : إنه إله ، وإنه ابن الله . وقالت اليهود عنه : إنه ابن زنا ! قاتلهم الله أنى يؤفكون ! ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم﴾ يعنى بهم اليهود ﴿قد ضلوا من قبل﴾ بافترائهم على المسيح وأمه؛ وهوعبد الله وكلمته ، وأمه صديقة ﴿وأضلوا كثيرا﴾ من الناس ؛ بصرفهم عن الإيمان ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ عن الطريق المستوى الواضح المستقيم ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾ أى لعنوا على لسان داود فى الزبور ، وعلى لسان عيسى فى الإنجيل ﴿كانوا لا يتناهون﴾ لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عن منكر فعلوه﴾ قال تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» بل تصيب الطائعين والعاصين معاً ؛ لأن الطائعين لم يكونوا ينهون مرتكبى المنكر عن منكرهم ؛ فيصيبهم ما يصيبهم ﴿ترى كثيراً منهم﴾ أى من اليهود ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يصادقون مشركى العرب وعبدة الأوثان ؛ ليستعينوا بهم على المسلمين ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ لدنياهم وآخرتهم !

أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴿٨٠﴾ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴿٨١﴾ * لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴿٨٢﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴿٨٣﴾ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴿٨٤﴾ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴿٨٥﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴿٨٦﴾

يا أيها

﴿أن سخط الله عليهم﴾ بسبب مصاحبتهم للكافرين، وموالاتهم لهم، وعدائهم للمسلمين وعدم تناهيهم عما يعملونه من المنكر ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾ إذ أن موالاة الكافرين كفر ﴿لتجدن﴾ يا محمد ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا﴾ بك ﴿اليهود والذين أشركوا﴾ بالله من عبدة الأوثان ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ قيل: نزلت فى نفر من نصارى الحبشة؛ وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن وآمنوا به؛ ولما رجعوا إلى الحبشة أخبروا النجاشى بذلك فآمن وظل على إيمانه حتى مات مسلماً. وقيل: إنهم قوم كانوا على ملة عيسى عليه السلام؛ فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آمنوا به وصدقوه. والظاهر أن المراد: عموم النصارى ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله تعالى ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ خشوعاً وتأثراً ﴿مما عرفوا من الحق﴾ وذلك أنهم عرفوا من الإنجيل أن مجىء محمد عليه الصلاة والسلام حق، وأن نزول القرآن عليه حق (انظر آية ١٥٨ من سورة الأعراف) ﴿يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أى مع أمة محمد عليه الصلاة والسلام؛ الذين هم شهداء على سائر الأمم ﴿فأثابهم﴾ جزاهم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم﴾ اليمين اللغو: أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك، وليس كما ظن، أو هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لاوالله، وبلى والله ﴿أو تحرير رقبة﴾ وتحريرها: إعتاقها من الرق؛ كفارة لليمين (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة) ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ و«الخمر»: كل ماخامر العقل؛ وقد جاء فى الحديث الشريف أنها أم الكبائر! وقد تعددت فى زماننا هذا أنواعها وألوانها؛ لشدة رغبة العصاة فيها، وانكبابهم عليها؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «يأتى على أمتى زمان يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها» وقد صدق الحديث على هذه الفترة من الزمن؛ وهاهم الآن يشربونها بأسماء عدة؛ ليس من بينها لفظ «الخمر» ويشربون بعضه للتداوى؛ وهو من أفتك أنواع الخمور وأخشها؛ كأصناف حديد الكينا وغيرها؛ مما لايتورع بعض العلماء والفقهاء عن شربه؛ متسترين بأنها تحمل اسما غير اسم الخمر، وغاب عنهم أن الله تعالى مطلع على خفاياهم، وعالم سرهم ونجواهم!

ومن دواعى الحسرة والأسف أننا نجد بعض الأمم الغربية ـ الغير الاسلامية ـ تحارب الخمور بكل الوسائل وكافة السبل؛ وتحظر صنعها وبيعها وحملها؛ فى حين أننا فى مصر لا نكون عصريين ومتحضرين إذا لم نشربها ونعرف سائر أنواعها وأصنافها.

ومن عجب أنها فى مصر ـ زعيمة الدول العربية ـ تباع جهاراً وعلى مقربة من المساجد، وبتصريح رسمى من الحكومة المسلمة ـ التى دينها الرسمى الإسلام ـ فحتى متى نظل فى هذه الأدران، راضين عن هذا الكفران؟!

ونحن نرجو ونلحف فى الرجاء: أن تقوم حكومتنا الرشيدة المسلمة برفع هذا الإصر، ومحو هذا العار؛ لنكون أهلاً لما بوأنا الله تعالى من زعامة، وما اختصنا به من كرامة!

والخمر: يحد شاربها ويستتاب. وقد جاء فى البخارى: «أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حد شارب الخمر، وأمر أن يضربوه بالنعال» وهذا قاطع بوجوب امتهان شارب الخمر وتسفيهه والإزراء به!

والخمر من أولى مهامها أن تجعل شاربها يحيا حياة هى دون مستوى الحياة الإنسانية المهذبة؛ فيتسلط عليه الجانب الحيوانى، على الجانب العقلى والروحى، الكامن فى أعماقه! وهى فوق هذا تهبط بالقوى =

مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا
وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ
تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ
فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ
أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
انتِقَامٍ

= العقلية إلى مستوى لا يرتضيه لنفسه إنسان يريد أن يعيش موقراً بين أقرانه ؛ مكرماً بين أنداده ؛ لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على جهازه العصبي ؛ فتغير من إحساساته وانفعالاته تغييراً كبيراً يجعله أقل قدرة على ضبط أقواله وأفعاله ؛ فيسهل انقياده إلى حيث يرضي الشيطان ، ويغضب الرحمن ! «والميسر» : القمار ؛ ويدخل تحته سائر ضروب اللعب وأوراق اليانصيب «اللوترية» و «الأنصاب» : الأصنام والأحجار التي كانوا ينصبونها للعبادة من دون الله تعالى «والأزلام» : قداح أو سهام ؛ كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ؛ قال تعالى «وأن تستقسموا بالأزلام» والاستقسام بها : طلب معرفة ما قسم للانسان في الغيب . والرجس : القذر ؛ وهو كل ما يستوجب العذاب والعقاب ﴿إنما يريد الشيطان﴾ بدفعكم إلى شرب الخمر ، وإغوائكم على لعب القمار ﴿أن يوقع بينكم العداوة﴾ بعد أن ألف الله تعالى بين قلوبكم بالإيمان ﴿والبغضاء﴾ بعد أن جعلكم الله تعالى إخوانا أحباء ! ولكن الشيطان ـ ودأبه دائماً إذاية بني الإنسان ـ أراد بدفعكم إلى هذه المناكير أن يعادي بعضكم بعضاً ، ويبغض بعضكم بعضاً ، وكيف لا يتعادى من سلبت عقله الخمر ، وأطاحت برشده ولبه ؟ أو كيف لا يتعادى المقامرون ؛ وقد سلب بعضهم مال البعض الآخر ظلماً وزوراً ؟ ! ﴿و﴾ قد أراد الشيطان بذلك أيضاً أن ﴿يصدكم﴾ يمنعكم ويحول بينكم وبين ﴿ذكر الله﴾ تذكره وعبادته ﴿وعن الصلاة﴾ وكيف يذكر الله تعالى أو يصلي له من لاعقل له ؟ أو كيف يعبد الله من شغله القمار عن أهله وولده ، بل عن أكله وشربه ؟! ﴿فهل أنتم﴾ أيها المؤمنون ﴿منتهون﴾ راجعون عن طاعة الشيطان ، إلى طاعة الرحمن؟ ومنصرفون عن العصيان ، وعائدون إلى حظيرة الإيمان ؟! (انظر آية ٢١٩ من سورة البقرة) ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الطاعة ﴿جناح﴾ إثم ﴿فيما طعموا﴾ ذاقوا . قال أكثر المفسرين : إنها نزلت حين تحرج قوم عند نزول تحريم الخمر وهي لا تزال في بطونهم .

والذي أراه في معنى الآية : «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا» أي أكلوا وشربوا من المباحات ﴿إذا ما اتقوا﴾ الله تعالى وخافوه ، وتناولوا هذا المطعوم من حله ، وأدوا حق التنعم به ، وأطعموا منه البائس والفقير ؛ يدل عليه قوله جل شأنه ﴿وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ وأي صالحات أسمى ، ولا أنمى من إطعام الطعام ؛ فبه يدخل المؤمن جنة ربه ، ويحظى بقربه ومزيد حبه ! وليس للمانع سوى النيران وغضب الرحمن ! واذكر إن شئت قول الحكيم العليم : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا» وقول الجبار القهار: «ماسلككم في سقر؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين» =

انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ
وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ
الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

= ﴿ثم اتقوا﴾ ربهم ؛ فلم ينالوا ما طعموه واطعموه إلا من حله ؛ لا يشوبه نهب ولا سلب ، ولا خداع ﴿ثم اتقوا﴾ ربهم؛ فلم يدركهم العجب بكرمهم ، ولم يراءوا بجودهم ﴿وأحسنوا﴾ العمل خالصاً لوجهه الكريم؛ غير مبتغين أجراً ولا شكوراً «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا» ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم﴾ ليختبرنكم ﴿الله بشيء من الصيد﴾ يسوقه إليكم ؛ بحيث إنه ﴿تناله أيديكم﴾ بالامساك ؛ كصغار الوحش ، وضعاف الطير وفراخه وبيضه ﴿و﴾ تناله ﴿رماحكم﴾ ؛ وذلك الابتلاء ﴿ليعلم الله﴾ علم ظهور ؛ إذ هو جل شأنه عالم بما كان وسيكون ﴿من يخافه بالغيب﴾ أى من يخشاه؛ مع أنه غائب عنه لا يراه ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ فاصطاد ﴿فله عذاب أليم﴾ لاستهانته بأوامر الله تعالى ، وارتكابه ما نهى عنه ، واستحلاله ما حرم ! والتكاليف : امتحان من الله تعالى لعبيده ؛ وقد تكون المغفرة ، وقد يكون التعذيب: بقدر تسلط الطبيعة البشرية على النفس وعدم تسلطها ؛ فكلما كان تسلط الطبيعة قاسياً ومستحكماً على النفس ؛ كانت مغفرة الله تعالى أدنى من المذنب ـ طالما أقلع عن ذنبه ، ولجأ إلى ربه! ـ وكلما كان ارتكاب الإثم واقعاً تحت الاختيار المحض ، والرغبة المطلقة : كان الذنب أقبح ، والجرم أفدح ! وكانت العقوبة أشد ـ لاستهانة النفس بوعد خالقها ووعيده ! ـ لذا توعد الله تعالى من اصطاد فى الإحرام ، بالتعذيب والإيلام ! وإلا فأى دافع يدفع المحرم إلى الصيد ؟ وأى حافز له إلى ذلك غير المخالفة لأوامر الله تعالى، وعدم الاعتداد بنواهيه ! لذلك وجبت له الجحيم ، وحق عليه العذاب الأليم ! ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ محرمون بالحج أو العمرة ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ قتله ، ناسياً إحرامه ، أما متعمد القتل مع تذكر الاحرام «فله عذاب أليم» ﴿فجزاء﴾ أن جزاء على قتل الصيد ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ أى يذبح ما يماثلها فى الشكل والعد : نظيره فى الخلق ، وقدره فى الجسم ؛ فان قتل نعامة : أهدى ناقة ـ للتماثل ولقرب الشبه بين الاثنين فى الخلقة ـ وان قتل حماراً وحشيا : أهدى بقرة ، وان قتل ظبيا : أهدى شاة ، وهكذا . و«النعم» : واحد الأنعام ؛ وهو المال الراعية ؛ وأكثر ما يقع على الإبل ﴿هدياً﴾ الهدى : ما يهدى إلى الحرم ﴿أو كفارة﴾ لمحو ما ارتكبه من قتل الصيد وهو محرم ﴿طعام﴾ إطعام ﴿مساكين﴾ وذلك بأن يقوم ثمن المثل ؛ ويطعم به المساكين ﴿أو عدل ذلك﴾ أى ما يعادل ذلك الإطعام ويماثله من الأيام ﴿صياما﴾ يصومه قاتل الصيد المتعمد؛ عن كل صاع يومين ﴿ليذوق وبال أمره﴾ ثقل جزائه ﴿عفا الله عما سلف﴾ عما مضى قبل التحريم =

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ
وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ
إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ

ذَا قُرْبَىٰ

= ﴿ومن عاد﴾ إلى ما نهى عنه ﴿فينتقم الله منه﴾ فى الآخرة ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ ما اصطدتموه من سمك وحيوان؛ محلين أو محرمين و «البحر» : سائر البحار والأنهار ﴿وطعامه﴾ ما قذفه على ساحله : حياً أو ميتاً ؛ ما دام صالحاً للأكل ﴿متاعاً لكم﴾ تتمتعون بأكله ﴿وللسيارة﴾ السائرين من أرض إلى أرض ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه . ودنياهم ؛ بأمن من يدخله . وهى قوام من لا قوام لهم؛ من ملك يجمع كلمتهم ، أو رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم ﴿و﴾ جعل تعالى ﴿الشهر الحرام﴾ كذلك ؛ يمتنع فيه القتل والعدوان . والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ﴿والهدى﴾ وهو مايهدى إلى الحرم من الأنعام ﴿والقلائد﴾ جمع قلادة ؛ وهى مايعلق بأعناق الأنعام المهداة إلى الحرم ؛ جميع ذلك جعله الله تعالى حراماً لايعتدى عليه ؛ وذلك لتهذيب النفوس التى أشربت حب الفتك والعدوان ، ولتأهيلها لتلقى الأوامر والنواهى ، وإعدادها لقبول الزجر عن المخالفات والعصيان ؛ فكان جميع ذلك بمثابة الرئيس الذى يقوم به أمر أتباعه ، وينتظم عقدهم ، ويسلس قيادهم ﴿اعلموا﴾ أيها الناس ﴿أن الله شديد العقاب﴾ لمن عصاه ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ لمن أطاعه ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ «إن علينا للهدى» ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ فمحاسبكم عليه ﴿قل لا يستوى الخبيث﴾ الحرام ﴿والطيب﴾ الحلال . وكيف يستويان و «الخبيث» موصل إلى النار «والطيب» موصل إلى الجنة ؟! ﴿فاتقوا الله﴾ واتركوا الحرام ـ مهما كثر ـ فانه منعدم البركة ، محقق المحق ! واحرصوا على الحلال ـ مهما قل ـ ففيه الخير كل الخير ، وفيه النماء والبركة ! ﴿ياأولى الألباب﴾ ياذوى العقول ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ وهى الأشياء التى لا يستفاد بها علم ، ولا يبتغى من ورائها نفع . وقد كانوا يسالونه عليه الصلاة والسلام ؛ مستهزئين به تارة ، وممتحنين له أخرى . روى البخارى ومسلم رضى الله تعالى عنهما فى صحيحيهما «قال رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يانبى الله من أبى ؟ قال أبوك فلان . فنزلت» والإساءة المتوقعة والمعنية بقوله جل شأنه «ان تبد لكم تسؤكم» هى أن يكون السائل ابن زنا ، أو منتسباً لغير أبيه .

وروى أيضا أنه لما نزل قوله تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» قالوا : يارسول الله أفى كل عام ؟ فسكت . فقالوا : أفى كل عام ؟ قال : «والذى نفسى بيده لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما أطقتموها ، ولو لم تطيقوها لكفرتم» فأنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا =

= عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم» . وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ ، لابخصوص السبب ؛ فالآية الكريمة نزلت للنهى عن كل سؤال لا فائدة من ورائه ، ولا حاجة إلى استقصائه . وقد كان هدى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : السؤال للفهم والعلم ؛ فقد سألوه صلوات الله تعالى وسلامه عليه عما فيه خير دنياهم وآخرتهم رجاء النفع لا الضرر ، والاستفادة لا التعنت : «يسألونك عن المحيض . يسألونك عن الأهلة . يسألونك عن اليتامى . يسألونك عن الشهر الحرام . يسألونك ماذا ينفقون» .

ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى

وقيل : كان السؤال عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى .

وخير مايقال فى هذه الآية الكريمة : إن المراد بالنهى : سؤال الآيات ، واقتراح المعجزات ؛ وفى إبدائها إساءة بالغة لمنكريها . قال تعالى عند ما سأله بنو إسرائيل أن ينزل عليهم مائدة من السماء : «إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين» ﴿وإن تسألوا عنها﴾ أى عن هذه الأشياء التى نهيتم عن السؤال عنها ﴿حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ أى لا تسألوا معجزة ، ولا تقترحوا آية ؛ إلا إذا نزل القرآن ؛ ففيه كل تبيان وبرهان ، وفيه ما يغنيكم عن كل سؤال ، وعن كل آية ، وعن كل معجزة ؛ قال الإمام البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

﴿عفا الله عنها﴾ أى عن المسألة التى سلفت منكم ﴿قد سألها قوم من قبلكم﴾ أى سأل قوم - ممن كان قبلكم - مثل سؤالكم هذه الآيات واقترحوا مثل مااقترحتموه من المعجزات ﴿ثم أصبحوا﴾ بعدإجابةسؤلهم ﴿بها كافرين﴾ وذلك كما فعل بنو إسرائيل عند اقتراحهم استبدال الطعام ، وإنزال المائدة ، أو كقوم صالح الذين سألوا الآية ؛ فلما جاءتهم الناقة عقروها ﴿ماجعل الله من بحيرة﴾ وهى الناقة يبحر أذنها «أى يشق» وهى ابنة السائبة ؛ وحكمها حكم أمها ﴿ولاسائبة﴾ كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث : سيبت فلم تركب ، ولم يشرب لبنها إلاولدها أو الضيف حتى تموت ؛ فاذا ماتت : أكلها الرجال والنساء جميعاً ، وبحرت أذن بنتها الأخيرة فصارت «بحيرة» ﴿ولا وصيلة﴾ الوصيلة التى كانت فى الجاهلية : هى الشاة تلد سبعة أبطن - عناقين عناقين(١) - فان ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم ، وإن ولدت جدياً وعناقاً ؛ قالوا : وصلت أخاها ؛ فلا يذبحون أخاها من أجلها ، =

(١) العناق ؛ بفتح العين : الأنثى من ولدالمعز .

وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم
بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوٓا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ
السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ
وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُ

أَحَدًا

= ولا تشرب لبنها النساء ؛ وكان للرجال وحدهم ، وجرت مجرى السائبة ﴿ولا حام﴾ كانوا فى الجاهلية إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن ؛ قالوا : قد حمى ظهره . فلا يركب ، ولايحمل عليه ، ولايمنع من ماء ولا مرعى ﴿قالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿ماوجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادات وعادات ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ فقوموها على الإيمان ، وروضوها على الطاعة ، واعملوا على خلاصها من عقاب الله تعالى ، وأمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقد فعلتم ما أمرتم به ، وقمتم بما وجب عليكم . وهو كقوله تعالى: «ليس عليك هداهم» «إنك لا تهدى من أحببت» ﴿ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ أى ليشهد بينكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أى حضرت أسبابه ومقدماته ؛ كاشتداد المرض ، والنزع ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل﴾ مشهود لهما بالتقى والورع والصلاح ﴿منكم﴾ من دينكم وملتكم ﴿أو آخران من غيركم﴾ أى من غير دينكم وملتكم ـ إذا لم يوجد الأولان ـ وذلك لأن الوقت وقت ضرورة ملحة ؛ وليس فى الإمكان أن نطلب ممن يعالج سكرات الموت أن ينتظر حتى يعثر على المؤمنين الأتقياء الصلحاء ! وقالوا بعدم جواز شهادة غير المسلم على المسلم ؛ إلا فى الوصية ـ بشرط أن تكون فى حال السفر ـ وقيل : «منكم» أى من أقاربكم ؛ لأنهم أعلم بأحوال الميت «أو آخران من غيركم» أى من الأجانب المؤمنين ﴿إن أنتم ضربتم فى الأرض﴾ سافرتم فيها ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ أى فمتم بعد أن أديتم إلى الشاهدين ما تملكون ، وأوصيتم بماتريدون ؛ فان قاما بما استودعاه ، وأديا ما ائتمنا عليه ، وارتاح ورثة المتوفى لتصرفهما؛ فقد تم أمر الله. أما إذا توهم الورثة كذبهما أو خيانتهما ؛ فما عليكم إلا أن ﴿تحبسونهما﴾ تمسكونهما ﴿من بعد الصلاة﴾ وقد كانوا يجلسون للحكومة بعد صلاة العصر ﴿فيقسمان بالله﴾ يحلف الشاهدان به تعالى ﴿إن ارتبتم﴾ إن شككتم فيهما ؛ ويقولان ﴿لا نشترى به﴾ أى بالحق الذى استودعناه وائتمنا عليه ، أو لانشترى بالحلف بالله ﴿ثمناً﴾ عوضاً ؛ ولا نبيع أخرانا بدنيانا ﴿ولو كان﴾ المتوفى ، أو صاحب المصلحة المقسم له ﴿ذا قربى﴾ يهمنا أمره ﴿ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين﴾ المستوجبين للعقاب إذا كتمنا الشهادة ﴿فان عثر على أنهما استحقا إثماً﴾ بأن كذبا فى الشهادة ، ولم يؤدياها على وجهها ﴿فآخران﴾ من أولياء الميت ؛ أو من الموصى إليهم ﴿يقومان مقامهما﴾ فى الحلف ﴿من الذين استحق عليهم﴾ أى استحق عليهم الإثم ؛ وهم المجنى عليهم من أهل الميت وعشيرته ووارثيه ﴿الأوليان﴾ الأحقان بالشهادة لقرابتهما ، أو لمعرفتهما ﴿فيقسمان بالله﴾ يحلفان به ﴿لشهادتنا أحق﴾ =

= أولى وأصدق ﴿من شهادتهما﴾ وأنهما قد كذبا فيما قالا ، وخانا الأمانة ؛ وأن ما وجد لديهما هو من مال المتوفى لا من مالهما ﴿وما اعتدينا﴾ عليهما فى ذلك ﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾ إن كنا معتدين ، أو كاذبين ﴿ذلك﴾ الذى مر ذكره ؛ من ترتيب الشهادة ، ودفعها عند الارتياب ووقوع الإثم ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يأتوا﴾ أى الشهداء ﴿بالشهادة على وجهها﴾ الصحيح ؛ كما حملوها بلا خيانة فيها ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ فيفتضحوا بظهور كذبهم ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ الذين أرسلهم لهداية خلقه ﴿فيقول ماذا أجبتم﴾ أى بماذا أجابكم أقوامكم ﴿إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك﴾ بالإمامة والرسالة ﴿وعلى والدتك﴾ بالطهارة ، والاصطفاء على نساء العالمين ﴿إذ أيدتك﴾ قويتك ﴿بروح القدس﴾ جبريل عليه السلام ﴿تكلم الناس﴾ صغيراً ﴿فى المهد﴾ المهد : فراش الطفل ﴿وكهلا﴾ الكهل : الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب ﴿وإذ علمتك الكتاب﴾ الكتابة ﴿والحكمة﴾ العلم النافع ﴿وتبرىء الأكمه﴾ وهو الذى ولد أعمى ﴿وإذ تخرج الموتى﴾ من القبور أحياء ﴿باذنى﴾ قيل : أخرج سام ابن نوح ، ورجلين ، وامرأة ، وجارية ؛ وتكلم معهم خلق كثير . وقال بعض المحدثين : المراد بالموتى : موتى القلوب والنفوس . وهو قول هراء لا يلتفت إليه عاقل ؛ وذلك لأن إحياء موتى القلوب متيسر لمن عنده أدنى معرفة بالله تعالى ؛ فكيف يكون معجزة لنبى ؟ والمعجزة من صفاتها وخصائصها عدم توفرها لغير نبى مؤيد من الله تعالى ! ﴿وإذ كففت﴾ منعت ﴿بنى إسرائيل عنك﴾ أى اليهود حين هموا بقتلك ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾ بالمعجزات والحجج الظاهرات ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ وحى إلهام . والحواريون : الخواص والأصفياء ؛ وهم أنصار عيسى عليه السلام ﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ أى لا تمتحنوا ربكم باقتراح الآيات والمعجزات ؛ خشية أن يصيبكم عذابه ـ إذا كذبتمونى بعد نزولها ـ قال تعالى: «إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» (انظر آية ١٠١ من هذه السورة) ﴿قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا﴾ بأنها منزلة من السماء ، وليست من صنع البشر ﴿ونعلم﴾ بذلك ﴿أن قد صدقتنا﴾ فى ادعائك النبوة ﴿تكون لنا﴾ يوم نزولها ﴿عيداً لأولنا وآخرنا وآية﴾ علامة دالة على صدق ، وعلى وجودك ! ﴿قال الله إنى منزلها عليكم﴾ كما اقترحتم ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ أى بعد نزولها ﴿قال سبحانك﴾ أنزهك عما لايليق بك (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿ما يكون لى﴾ مايصح لى ولايجوز ﴿أن أقول ما ليس لى بحق﴾ فكيف بادعاء الألوهية ؟! =

أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

= وسؤاله تعالى لعيسى يوم القيامة ليس سؤال استفهام؛ بل هو لإقامة الحجة على هؤلاء الكفرة الفجرة؛ الذين عبدوا من دون الله مخلوقات الله؛ واتخذوا عبيده آلهة؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً! ﴿إن كنت قلته﴾ أى قلت للناس ذلك القول ﴿فقد علمته﴾ لأنك علام الغيوب ﴿تعلم ما فى نفسى﴾ أى ما أكنه فى صدرى؛ فكيف بالذى أقوله بلسانى؟ ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ أى كنت مشاهداً لأعمالهم، مراقباً لأفعالهم؛ مدة إقامتى بينهم فى هذه الحياة ﴿فلما توفيتنى﴾ أمتنى، أو توفيت مدة إقامتى فى الدنيا ورفعتنى إليك ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ المراقب لأعمالهم وأفعالهم ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ فى الدنيا؛ فى عبادة الله تعالى والإنابة إليه ﴿لهم جنات﴾ بساتين ﴿تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ أى خلوداً مؤبداً؛ لا غاية له، ولا انتهاء لأمده! ﴿رضى الله عنهم﴾ فأرضاهم ﴿ورضوا عنه﴾ فرضى عنهم (انظر آيتى ٥٤ من هذه السورة، و ٢٢ من سورة المجادلة) ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ ملكا وخلقاً وعبيداً؛ لم يشركه أحد فى خلقهم، ولا يشركه أحد فى عبادتهم! ﴿وهو على كل شىء﴾ أراده ﴿قدير﴾ على فعله.

(٦) سُورَةُ الأنعامِ مكيّة
إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن

لَّكُمْ

(سورة الأنعام)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿وجعل الظلمات والنور﴾ الليل والنهار؛ فإنهما آيتان من آيات الله تعالى. أو المراد كل ظلمة، وكل نور، أو هو ظلمة الكفر ونور الإيمان، وظلمة الجهل ونور العلم؛ جعل الظلمات ليستدل بها على ما عداها؛ فلولا ظلمة الليل ما عرفنا نور النهار، ولولا الكفر ما عرف الإيمان، ولولا الجهل ما عرف العلم. (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿ثم الذين كفروا﴾ بعد هذه الدلالات على وجود الله تعالى ووحدانيته ﴿بربهم يعدلون﴾ أى يجعلون له عدلا؛ وهو المثل، والشبيه، والنظير؛ وهو تعالى «ليس كمثله شىء وهو السميع البصير» ﴿وهو الذى خلقكم﴾ أى خلق أصلكم آدم عليه السلام ﴿من طين ثم قضى أجلا﴾ لكل مخلوق من مخلوقاته لا يتجاوزه «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» ﴿وأجل مسمى عنده﴾ هو أجل القيامة ووقتها ﴿ثم أنتم﴾ بعد كل ذلك ﴿تمترون﴾ تشكون فى القيامة، وتجادلون فى الله ﴿وهو الله﴾ الخالق البارئ المصور ﴿فى السموات﴾ وأين أنتم من السموات وما فيها؟! «أأنتم أشد خلقا أم السماء؟!» ﴿وفى الأرض﴾ وهو ذلك الكوكب الصغير الحقير؛ بالنسبة لملك الله تعالى وملكوته ﴿يعلم سركم﴾ ما تسرونه فى أنفسكم، وتحتفظون به فى صدوركم ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ ما تعملون ﴿وما تأتيهم من آية﴾ معجزة وبرهان =

= ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ لا يأبهون بها ، ولا يلتفتون إليها ؛ وأى معجزة أكبر أو أجل من القرآن ؟! وأى برهان أقوى من رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ذلك اليتيم الذى آواه الله ، والضال الذى هداه ، والعائل الذى أغناه ! والأمى الذى أخرس بفصاحة ما جاء به البلغاء والفصحاء ، وتحدى بآياته أساطين البيان ﴿فقد كذبوا بالحق﴾ القرآن الكريم ، أو محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ أى سوف يأتيهم العذاب الذى يدلهم على صدق ما كذبوا به ؛ وصحة ما سخروا منه ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ القرن : الأمة ، أو أهل الزمان الواحد ﴿مكناهم فى الأرض﴾ أى جعلنا لهم مكانة فيها ، وقوة وسعة ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ أى جعلنا السماء تدر عليهم بالمطر ؛ وهو كناية عن بسط الرزق ، وسعة القوت ؛ لأن المطر مصدر الرخاء والنماء ﴿وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم﴾ لكنهم طغوا وبغوا ﴿فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً﴾ أمة ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس﴾ أى لو أنزلنا عليك من السماء كلاما مكتوباً فى ورق ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ ورأوه بأعينهم ؛ لما آمنوا ، و ﴿لقال الذين كفروا إن هذا﴾ الذى نراه ونلمسه ﴿إلا سحر مبين﴾ سحر واضح بين ﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه﴾ أى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ملك﴾ من السماء ؛ يمشى معه ويؤيده ، ويصدق أمامنا بما جاء به ﴿ولو أنزلنا ملكا﴾ كما يقترحون ﴿لقضى الأمر﴾ بهلاكهم واستئصالهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يؤجلون ، ولا يمهلون ﴿ولو جعلناه﴾ أى الرسول إليهم ﴿ملكا﴾ من السماء ﴿لجعلناه رجلا﴾ أى جعلناه على صورة رجل ؛ ليستطيعوا رؤيته ، ويقووا على مواجهته ؛ لأنه لا قوة ولا طاقة للبشر على رؤية الملك على حقيقته ؛ ولأن كل نوع يميل إلى نوعه ، وكل جنس يألف لجنسه ؛ والإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ والإنسان لا يقوى على رؤية عفريت أو شيطان ، فكيف برؤية الملك الذى يهلك قرية بصيحة ، ويفنى أمة برجفة ؟! وقد كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل لنبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه على صورة رجل ؛ ليأنس إليه ، ويطمئن إلى مخاطبته ؛ ولم يره صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته الحقيقية غير مرتين : مرة عند غار حراء ؛ رآه ساداً للأفق ، حاجباً للشمس ؛ فغشى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عظمة ما رأى ! ورآه مرة أخرى عندما أسرى به فى السموات العلى «عند سدرة المنتهى» فتعالى الخالق المبدع المصور ؛ الذى هدانا برسول من أنفسنا ، نأنس إليه ، ونلتمس غنى الدارين من يديه ! ﴿وللبسنا عليهم﴾ =

لَكُم وَأَرسَلنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيهِم مِّدرَارٗا وَجَعَلنَا ٱلأَنهَٰرَ تَجرِي مِن تَحتِهِم فَأَهلَكنَٰهُم بِذُنُوبِهِم وَأَنشَأنَا مِن بَعدِهِم قَرنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَو نَزَّلنَا عَلَيكَ كِتَٰبٗا فِي قِرطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيدِيهِم لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن هَٰذَآ إِلَّا سِحرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَولَآ أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٞ وَلَو أَنزَلنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلأَمرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَو جَعَلنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسنَا عَلَيهِم مَّا يَلبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱستُهزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَستَهزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُل سِيرُواْ فِي ٱلأَرضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفسِهِ ٱلرَّحمَةَ لَيَجمَعَنَّكُم إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ لَا رَيبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم فَهُم لَا يُؤمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ

= لخلطنا عليهم (ما يلبسون) على أنفسهم؛ بأن يقولوا على الملك الذي أنزلناه في صورة رجل «ما هذا إلا بشر مثلكم» (ولقد استهزئ برسل من قبلك) مثل ما استهزئ بك (فحاق) فنزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي جزاءه من العقاب والتعذيب (كتب) قضى ربكم (على نفسه الرحمة) تفضلا منه على العباد؛ ومن دلائل رحمته تعالى: تلطفه بخلقه رغم تجبرهم، وإمدادهم رغم عصيانهم؛ وأي رحمة أبلغ من رزقه لمن يكفر به، وإمهاله لمن يعبد غيره؟! (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) للحساب والجزاء

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ

ٱلَّذِينَ

(لا ريب فيه) لا شك في حصول ووقوعه (الذين خسروا أنفسهم) أضاعوها بكفرهم، وأعمالهم السيئة في الدنيا؛ فلا يقام لهم وزن في الآخرة، وليس لهم نصيب فيها سوى الجحيم والعذاب الأليم! (وله ما سكن في الليل والنهار) أي له تعالى كل شيء - هو خالقه ومالكه - من ساكن أو متحرك؛ لأن الذي يسكن لابد أن يكون متحركا. والآية الكريمة تنص على كل مخلوق من متحرك وساكن بطبعه، أو ساكن بعد تحرك (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بأفعالكم (قل أغير الله أتخذ وليا) ناصراً ومعيناً (فاطر السموات والأرض) فاطر الشيء: خالقه ابتداء من غير مثال سبق (وهو يطعم) سائر مخلوقاته ويتكفل بأرزاقهم وأقواتهم (ولا يطعم) لا يحتاج لأحد يرزقه أو يطعمه؛ شأن من عبدتم من المخلوقات كعيسى (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (وهو القاهر) الذي لا يعجزه شيء (فوق عباده) مستعلياً عليهم؛ فهم كلهم تحت رحمته؛ وقيد إرادته؛ يعز من يشاء، ويذل من يشاء، يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، يسعد من يشاء بجنته ورحمته، ويشقي من يشاء بناره وغضبه، بيده الملك والملكوت، والعزة والجبروت؛ تفرد بالعظمة والسلطان! (وهو الحكيم) في صنعه (الخبير) بخلقه (قل أي شيء أكبر شهادة) لي بالرسالة والنبوة (قل الله شهيد بيني وبينكم) أي ان دعوتي لتوحيده، وحثي على معرفته: شهادة على نبوتي، ودليل على صدق (وأوحي إلى هذا القرآن) وهو شهادة أخرى قاطعة ناصعة؛ فأي شهادة أكبر من هذا تطالبوني بها، وتلزمونني بابدائها؟! (لأنذركم به ومن بلغ) أي لأنذركم بهذ القرآن؛ ومن سيبلغه من بعد وفاتي؛ فكأنما أنذرته بنفسي وأبلغته. أو ومن بلغه القرآن: وجب عليه القيام بتبليغه أيضاً (الذين آتيناهم الكتاب) اليهود والنصارى (يعرفونه) أي يعرفون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لنعته في كتبهم (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف).

ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم

﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بتعريضها للجحيم والعذاب الأليم ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بمحمد؛ رغم معرفتهم له كمعرفتهم لأبنائهم ﴿ومن أظلم﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن أشرك معه غيره من مخلوقاته ﴿ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم آلهة، وتشركونهم معي في العبادة ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ الفتنة هنا بمعنى الاختبار؛ أي لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال. وقيل: «فتنتهم» معذرتهم ﴿وضل عنهم﴾ غاب ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ بأذنيه، وينصرف عنك بقلبه؛ ومثل هذا غير جدير بالاعتبار؛ وأولى بمثله أن يورده الله تعالى موارد الغواية، ويبعده عن مواطن الهداية ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية؛ بسبب انصرافهم وعنادهم وكفرهم ﴿أن يفقهوه﴾ أي لئلا يفقهوا القرآن ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ ثقلا يمنع من السمع ﴿وإن يروا كل آية﴾ منزلة عليك من القرآن الكريم ﴿يقول الذين كفروا إن هذا﴾ القرآن ﴿إلا أساطير﴾ أكاذيب ﴿وهم ينهون عنه﴾ أي ينهون الناس عن سماعه ﴿وينأون﴾ يتباعدون ﴿وإن﴾ وما ﴿يهلكون﴾ بهذا النهي والنأي ﴿إلا أنفسهم﴾ لأنهم يعرضونها للعذاب الشديد يوم القيامة ﴿ولو ترى إذ وقفوا﴾ حبسوا ﴿على النار فقالوا ياليتنا نرد﴾ نرجع إلى الدنيا

مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن

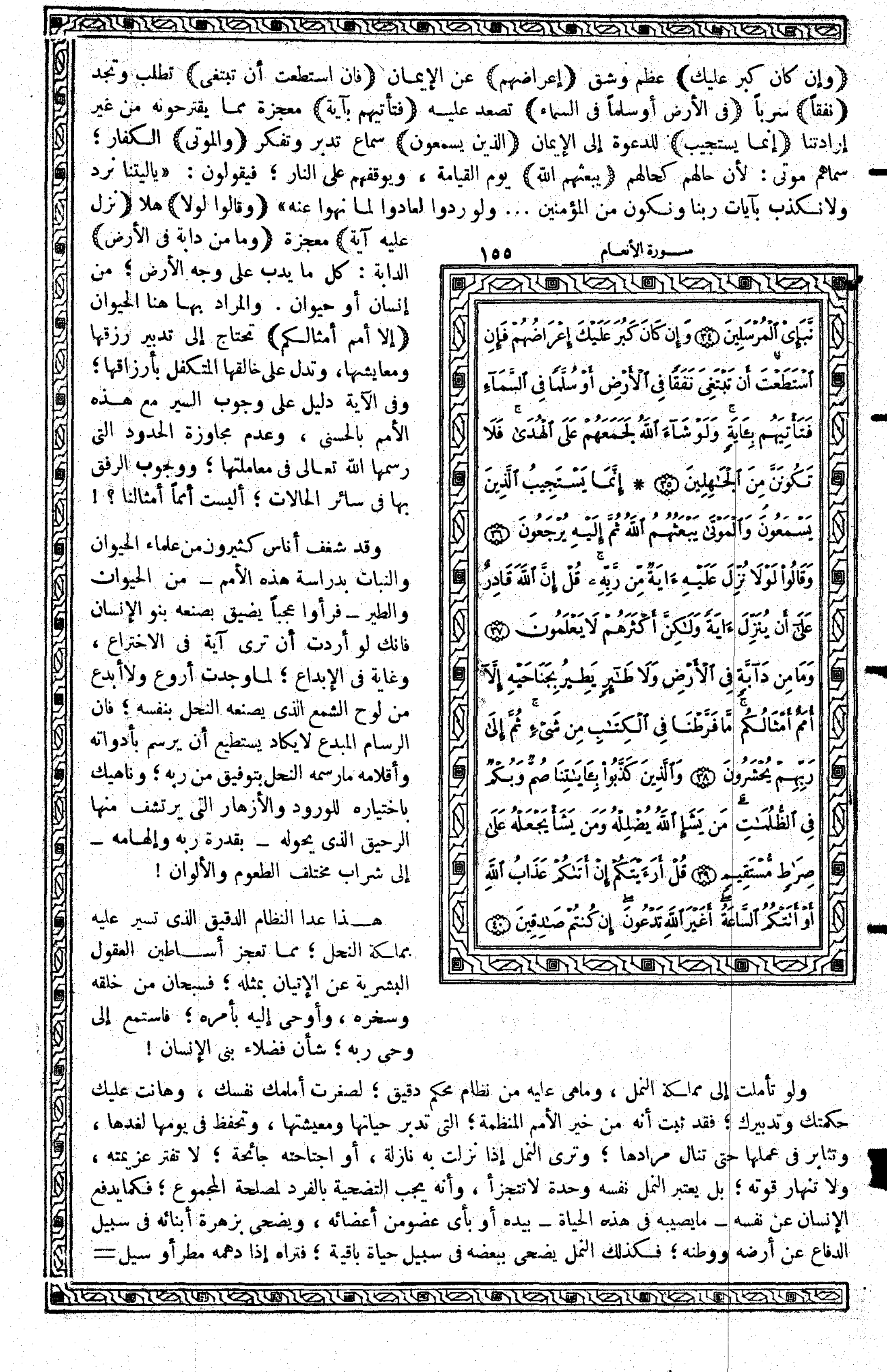
نَّبَإِي

﴿ولو ردوا﴾ إليها ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ أى لعادوا إلى كفرهم وعنادهم ﴿وقالوا إن﴾ ما ﴿هى إلا حياتنا الدنيا﴾ لا شىء غيرها ولاحياة بعدها ﴿ومانحن بمبعوثين﴾ فى الآخرة كما يزعم محمد .

هــذا وقد ظهر فى زماننا هذا قوم من غلاة الزنادقة ينكرون البعث ، ويقولون بالتعطيل[1] وفى الواقع أن عقولهم وقلوبهم هى المعطلة ؛ وسيرون غــداً حينما تلتهمهم النيران ، ويحل بواديهم الخسران ؛ من أضل سبيلا ، وأسوأ قيلا ! (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ للحساب ، ورأوا بأعينهم سوء المآب ﴿قال أليس هــذا﴾ الذى ترونه وتلمسونه ﴿بالحق﴾ الذى أنذركم به محمد ؛ فكذبتموه وكفرتم به ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿قالوا﴾ وقتذاك ﴿ياحسرتنا على مافرطنا فيها﴾ أى على ما قصرنا فى الدنيا ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ ذنوبهم ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ مثلما كذبك قومك ؛ وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا﴾ فاصبر كما صبروا ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ باهلاك المكذبين ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ لأوامره وسنته ، ومواعيده بنصر رسله

---

(١) التعطيل : التفريغ والإخلاء ، وترك الشىء ضياعاً . ويطلق على تعطيل الكون ، وإخلائه بغير خالق . والمعطلة : من يقولون بألا بعث ، ولا حساب ، ولا جزاء !



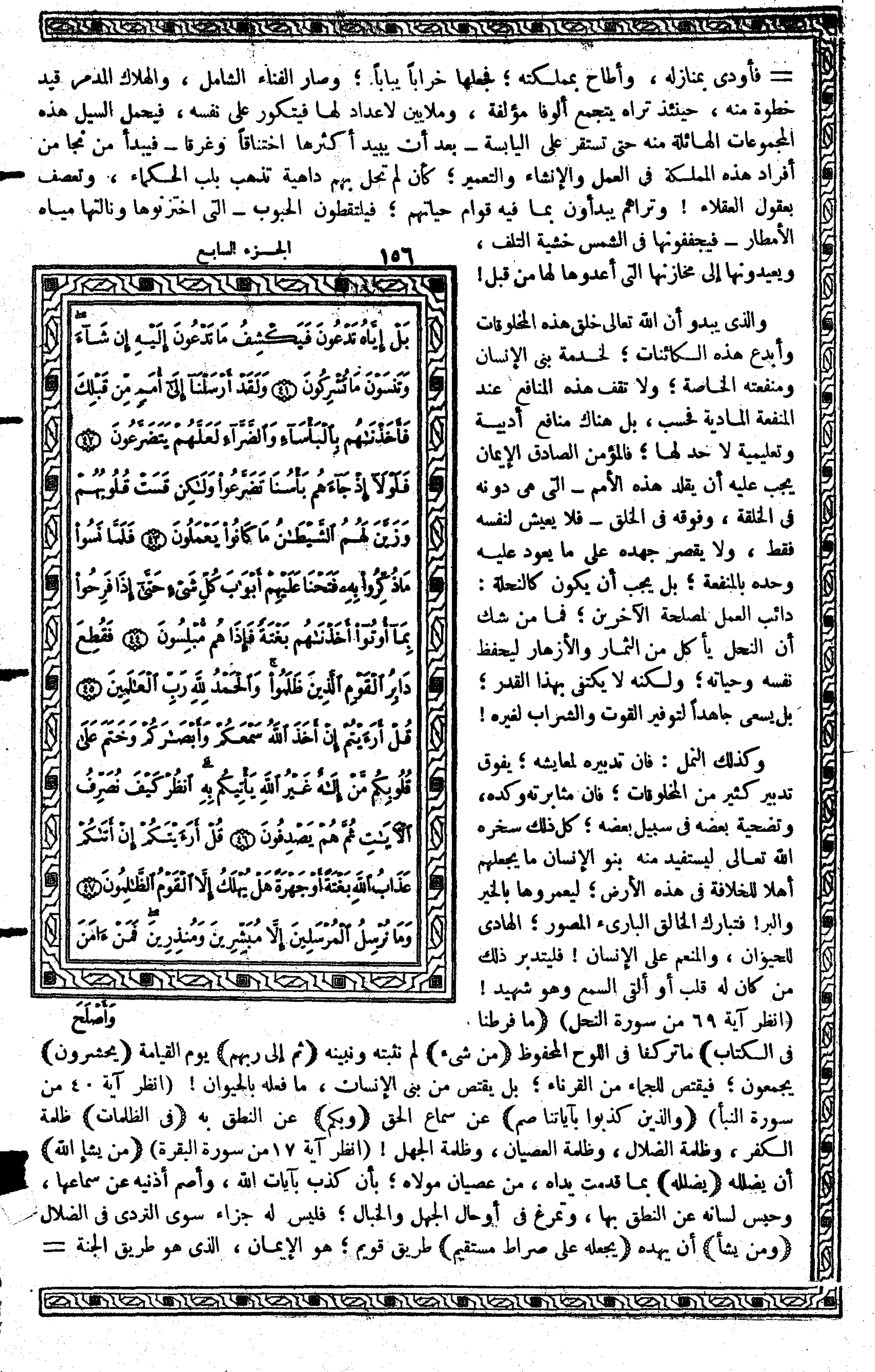
﴿وإن كان كبر عليك﴾ عظم وشق ﴿إعراضهم﴾ عن الإيمان ﴿فان استطعت أن تبتغى﴾ تطلب وتجد ﴿نفقاً﴾ سرباً ﴿فى الأرض أوسلماً فى السماء﴾ تصعد عليه ﴿فتأتيهم بآية﴾ معجزة مما يقترحونه من غير إرادتنا ﴿إنما يستجيب﴾ للدعوة إلى الإيمان ﴿الذين يسمعون﴾ سماع تدبر وتفكر ﴿والموتى﴾ الكفار؛ سماهم موتى: لأن حالهم كحالهم ﴿يبعثهم الله﴾ يوم القيامة، ويوقفهم على النار؛ فيقولون: «ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ... ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» ﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه آية﴾ معجزة ﴿ومامن دابة فى الأرض﴾ الدابة: كل ما يدب على وجه الأرض؛ من إنسان أو حيوان. والمراد بها هنا الحيوان ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ تحتاج إلى تدبير رزقها ومعايشها، وتدل على خالقها المتكفل بأرزاقها؛ وفى الآية دليل على وجوب السير مع هذه الأمم بالحسنى، وعدم مجاوزة الحدود التى رسمها الله تعالى فى معاملتها؛ ووجوب الرفق بها فى سائر الحالات؛ أليست أمماً أمثالنا؟!

نَبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾

وقد شغف أناس كثيرون من علماء الحيوان والنبات بدراسة هذه الأمم - من الحيوان والطير - فرأوا عجباً يضيق بصنعه بنو الإنسان فانك لو أردت أن ترى آية فى الاختراع، وغاية فى الإبداع؛ لما وجدت أروع ولاأبدع من لوح الشمع الذى يصنعه النحل بنفسه؛ فان الرسام المبدع لايكاد يستطيع أن يرسم بأدواته وأقلامه مارسمه النحل بتوفيق من ربه؛ وناهيك باختياره للورود والأزهار التى يرتشف منها الرحيق الذى يحوله - بقدرة ربه وإلهامه - إلى شراب مختلف الطعوم والألوان!

هذا عدا النظام الدقيق الذى تسير عليه مملكة النحل؛ مما تعجز أساطين العقول البشرية عن الإتيان بمثله؛ فسبحان من خلقه وسخره، وأوحى إليه بأمره؛ فاستمع إلى وحى ربه؛ شأن فضلاء بنى الإنسان!

ولو تأملت إلى مملكة النمل، وماهى عليه من نظام محكم دقيق؛ لصغرت أمامك نفسك، وهانت عليك حكمتك وتدبيرك؛ فقد ثبت أنه من خير الأمم المنظمة؛ التى تدبر حياتها ومعيشتها، وتحفظ فى يومها لغدها، وتثابر فى عملها حتى تنال مرادها؛ وترى النمل إذا نزلت به نازلة، أو اجتاحته جائحة؛ لا تفتر عزيمته، ولا تنهار قوته؛ بل يعتبر النمل نفسه وحدة لاتتجزأ، وأنه يجب التضحية بالفرد لمصلحة المجموع؛ فكما يدفع الإنسان عن نفسه - مايصيبه فى هذه الحياة - بيده أو بأى عضو من أعضائه، ويضحى بزهرة أبنائه فى سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه؛ فكذلك النمل يضحى ببعضه فى سبيل حياة باقية؛ فتراه إذا دهمه مطرأو سيل=



= فأودى بمنازله ، وأطاح بمملكته ؛ فجعلها خراباً يباباً ؛ وصار الفناء الشامل ، والهلاك المدمر قيد خطوة منه ، حينئذ تراه يتجمع ألوفاً مؤلفة ، وملايين لاعداد لها فيتكور على نفسه ، فيحمل السيل هذه المجموعات الهائلة منه حتى تستقر على اليابسة - بعد أن يبيد أكثرها اختناقاً وغرقاً - فيبدأ من نجا من أفراد هذه المملكة فى العمل والإنشاء والتعمير ؛ كأن لم تحل بهم داهية تذهب بلب الحكماء ، وتعصف بعقول العقلاء ! وتراهم يبدأون بما فيه قوام حياتهم ؛ فيلتقطون الحبوب - التى اختزنوها ونالتها مياه الأمطار - فيجففونها فى الشمس خشية التلف ، ويعيدونها إلى مخازنها التى أعدوها لها من قبل!

والذى يبدو أن الله تعالى خلق هذه المخلوقات وأبدع هذه الكائنات ؛ لخدمة بنى الإنسان ومنفعته الخاصة ؛ ولا تقف هذه المنافع عند المنفعة المادية فحسب ، بل هناك منافع أدبية وتعليمية لا حد لها ؛ فالمؤمن الصادق الإيمان يجب عليه أن يقلد هذه الأمم - التى هى دونه فى الخلقة ، وفوقه فى الخلق - فلا يعيش لنفسه فقط ، ولا يقصر جهده على ما يعود عليه وحده بالمنفعة ؛ بل يجب أن يكون كالنحلة : دائب العمل لمصلحة الآخرين ؛ فما من شك أن النحل يأكل من الثمار والأزهار ليحفظ نفسه وحياته؛ ولكنه لا يكتفى بهذا القدر ؛ بل يسعى جاهداً لتوفير القوت والشراب لغيره !

وكذلك النمل : فان تدبيره لمعايشه ؛ يفوق تدبير كثير من المخلوقات ؛ فان مثابرته وكده، وتضحية بعضه فى سبيل بعضه ؛ كل ذلك سخره الله تعالى ليستفيد منه بنو الإنسان ما يجعلهم أهلا للخلافة فى هذه الأرض ؛ ليعمروها بالخير والبر! فتبارك الخالق البارىء المصور ؛ الهادى للحيوان ، والمنعم على الإنسان ! فليتدبر ذلك من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ! (انظر آية ٦٩ من سورة النحل) ﴿ما فرطنا فى الكتاب﴾ ماتركنا فى اللوح المحفوظ ﴿من شىء﴾ لم نثبته ونبينه ﴿ثم إلى ربهم﴾ يوم القيامة ﴿يحشرون﴾ يجمعون ؛ فيقتص للجماء من القرناء ؛ بل يقتص من بنى الإنسان ، ما فعله بالحيوان ! (انظر آية ٤٠ من سورة النبأ) ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم﴾ عن سماع الحق ﴿وبكم﴾ عن النطق به ﴿فى الظلمات﴾ ظلمة الكفر ، وظلمة الضلال ، وظلمة العصيان ، وظلمة الجهل ! (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿من يشإ الله﴾ أن يضله ﴿يضلله﴾ بما قدمت يداه ، من عصيان مولاه ؛ بأن كذب بآيات الله ، وأصم أذنيه عن سماعها ، وحبس لسانه عن النطق بها ، وتمرغ فى أوحال الجهل والخبال ؛ فليس له جزاء سوى التردى فى الضلال ﴿ومن يشأ﴾ أن يهده ﴿يجعله على صراط مستقيم﴾ طريق قويم ؛ هو الإيمان ، الذى هو طريق الجنة =

١٥٦ الجـزء السابع

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ

وَأَصْلَحَ

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ

= طريق النعيم المقيم ! ﴿قل أرأيتكم﴾ هي عند بعضهم بمعنى: أرأيتم. وعند الآخرين بمعنى: أخبروني ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ الذي توعدكم به في الدنيا ﴿أو أتتكم الساعة﴾ القيامة ﴿أغير الله تدعون﴾ ليكشف ما حل بكم. والمعنى: هل يوجد عندئذ من يستطيع أن يمنعكم من عذاب الله تعالى، أو أن يدفع عنكم بأسه ﴿بل إياه تدعون﴾ منه وحده تطلبون ﴿فيكشف ما تدعون إليه ان شاء﴾ أي إن أراد أن يكشف ما نزل بكم ﴿وتنسون ما تشركون﴾ به في عبادته ﴿فأخذناهم بالبأساء﴾ بالبؤس؛ وهو القحط والجوع ﴿والضراء﴾ الضرر؛ وهو المرض، ونقصان الأنفس ﴿لعلهم يتضرعون﴾ إلينا فنكشف ما بهم ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا﴾ تذللوا إلينا لنكشف عنهم ما نزل بهم؛ كعادتنا دائماً ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي تركوه فلم يعملوا به ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ قوينا جسومهم، ووسعنا أرزاقهم، وبذلنا لهم المزيد من الخيرات والنعم؛ استدراجا لهم ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ فرح بطر وكفران، لا فرح شكر وإيمان ﴿أخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ فجأة. عن سيد الخلق صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إذا رأيتم الله تعالى يعطي العباد مايشاءون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم» ثم تلا «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون» أي قانطون يائسون. يقال: أبلس من رحمة الله؛ إذا قنط؛ ومنه سمي إبليس. والإبلاس أيضاً: الانكسار والحزن ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ استؤصلوا عن آخرهم ﴿من إله غير الله يأتيكم به﴾ أي بما أخذه منكم ﴿ثم هم يصدفون﴾ يعرضون ﴿قل أرأيتكم﴾ أرأيتم ﴿إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ فجأة؛ بغير مقدمات، أو دلائل تدل على مجيئه؛ فقد تأتي النقمة من جهة الرحمة، وقد يحل القحط من جهة الرخاء؛ فقد يمطر السحاب ناراً، وقد تقذف الأرض حمما ! ﴿أو جهرة﴾ ظاهراً بمقدمات تدل على إتيانه. أو المراد: «بغتة» ليلا، و «جهرة» نهاراً ﴿فمن آمن﴾ بالله ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ فأملك التصرف فيها، والإعطاء منها ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأستكثر من الخير. وهاهو الرسول الأعظم؛ سيد الخلق قاطبة ! يقول له ربه: أعلن على الملإ أنك لاتعلم الغيب؛ فبال أقوام يدعون علم مامضى، وما حضر، وما استقبل؟ وأعجب من ادعائهم هذا: أنهم يجدون من يصدقهم ويثق بأقوالهم؛ مع أنهم من كبار الدجاجلة، وقد جاء ذكرهم والتحذير منهم في شتى الأحاديث؛ فليحذر المؤمن من تمويههم وباطلهم؛ وليعلم أن الاستسلام لمثل أقوالهم ضرب من الكفر ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم: =

«من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ ذهب بعضهم إلى تفضيل الملك على الرسول؛ بدليل هذه الآية. والآية الكريمة لا يؤخذ منها التفضيل؛ بل المراد نفي الأفعال الخارقة للعادة، والتي لا تتأتى إلا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴿إن أتبع﴾ ما أتبع فيما أقول وأعمل ﴿إلا ما يوحى إلي﴾ من ربي ﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ الكافر ﴿والبصير﴾ المؤمن ﴿أفلا تتفكرون﴾ في ذلك فتؤمنون ﴿وأنذر به﴾ أي بالقرآن ﴿ليس لهم من دونه﴾ غيره ﴿ولي﴾ ينصرهم ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ يعبدونه ويتضرعون إليه ﴿بالغداة والعشي﴾ أي صبحاً ومساءاً ﴿يريدون وجهه﴾ يطلبون مرضاته تعالى؛ ولا يبتغون شيئاً من أعراض الدنيا ﴿وكذلك فتنا﴾ ابتلينا ﴿بعضهم ببعض﴾ ابتلينا الشريف بالوضيع، والقوي بالضعيف، والغني بالفقير، والسادة بالعبيد ﴿ليقولوا﴾ أي ليقول الشرفاء، والأقوياء، والأغنياء؛ والسادة ﴿أهؤلاء﴾ الوضعاء، والضعفاء، والفقراء والعبيد ﴿منّ الله عليهم من بيننا﴾ بالعقل والإيمان والهداية؟! قال تعالى رداً على استفهامهم البادي على ألسنتهم تارة، وفي قلوبهم أخرى ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ فيوفقهم إلى مرضاته، ويسوقهم إلى جناته! ﴿كتب﴾ قضى ﴿ربكم على نفسه الرحمة﴾ تفضلاً منه على عبيده، وإحساناً منه لخلقه! ومن رحمته تعالى ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده﴾ أي من بعد عمل السوء ﴿وأصلح﴾ أعماله ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿غفور﴾ لذنبه ﴿رحيم﴾ به! يؤخذ من هذه الآية أن جناية العالم أكبر من جناية الجاهل، وأن من لوازم التوبة: إصلاح العمل ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ نوضحها ونبينها ﴿ولتستبين﴾ تظهر ﴿سبيل﴾ طريق ﴿المجرمين﴾ الذين يصرون على ذنوبهم؛ فلا يتوبون منها، ولا يرجعون عنها ﴿قل إني على بينة من ربي وكذبتم به﴾ أي إني على حجة واضحة ظاهرة من ربي؛ وهي القرآن ﴿و﴾ قد ﴿كذبتم به﴾ و ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ أي ليس عندي ما تطلبونه من العذاب؛ وذلك كقولهم «فأمطر علينا حجارة من السماء» ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق﴾ أي يقوله، ويتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره وفي قراءة «يقضي الحق» ﴿وهو خير الفاصلين﴾ الحاكمين ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ بتعجيله وإنزاله بكم؛ وقسركم على الإيمان، ولكن الله تعالى وحده يعلم متى يعذب عباده، ومتى يعفو عنهم، ومتى يرحمهم ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ فيعذبهم وقت إرادته؛ لا وقت طلبهم ﴿وما تسقط من ورقة﴾ من ورق الشجر ﴿إلا يعلمها﴾ يعلم شكلها وحجمها ومقدارها، ومتى تسقط، =

عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم

بِٱلَّيْلِ

= وأين تسقط ، وكم مرة تدور فى الهواء ، وكم مرة تتقلب على الأرض عند سقوطها ! ﴿ولا حبة﴾ من الحبوب ؛ كالبر والشعير والذرة والعدس ونحوه ؛ إلا يعلم كيف تنبت ، ومتى تنبت ، ومن يجتنيها ، ومن يأكلها ؛ وقد تحمل الحبة من قطر إلى قطر ، وتجوب البحار والأنهار ؛ جرياً وراء آكلها ؛ حتى تستقر فى جوف من كتبت له ، وزرعت من أجله ؛ فتعالى الخالق الرازق ، العليم الحكيم ! ﴿ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب﴾ مكتوب ﴿مبين﴾ بين واضح ؛ وهو اللوح المحفوظ : كتب فيه لتعلمه الملائكة الموكلون

بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى اللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم

بانفاذ أوامره تعالى ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل﴾ يميتكم عند نومكم ؛ وذلك لأن النوم قرين الموت ؛ إذ فيه تقبض روح النائم ، وتسبح فى ملكوت ربها ؛ كما تقبض روح الميت تماماً ؛ غير أن النائم لاتنفصل روحه من جسده انفصالا تاماً ؛ بل لاتزال متصلة به . أما الميت فتنفصل روحه من جسده انفصالا تاماً فيريها الله تعالى ماشاء من نعمة أو نقمة ؛ حتى يقضى تعالى بالقيامة فتتصل كل روح بجسدها الذى يعيده الله تعالى لها ؛ فيلق المؤمن من كرم الله تعالى وحسن وفادته ماينسيه البؤس الذى لقيه فى دنياه ! ويلق الكافر من الذل والهوان والعذاب ماينسيه النعيم الذى كان فيه ﴿ويعلم ماجرحتم بالنهار﴾ ما كسبتم فيه من الآثام . وجرح واجترح : بمعنى كسب ؛ وذلك لأن الآثام لاترتكب إلابالجوارح ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أى فى النهار ؛ برد أرواحكم ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ وهو انقضاء آجالكم (انظر آية ٤٢ من سورة الزمر) ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم عليه ﴿وهو القاهر﴾ الذى لايعجزه شيء ﴿فوق عباده﴾ بالاستعلاء ؛ فكلهم مخلوق وفق إرادته ، وكلهم تحت سلطانه ورحمته ؛ يحيي ويميت ، ويعطى ويمنع ، ويعز ويذل ؛ وهو اللطيف الخبير ! ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ ملائكة حافظين ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ أى جاء وقته وأوانه ﴿توفته رسلنا﴾ المكلفون بقبض أرواح الخلائق ﴿وهم لا يفرطون﴾ فيما عهد إليهم به ، فلا يتعجلون أحداً لم يحن حينه ، ولا يتركون أحداً انقضى أجله ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم﴾ سيدهم ومالكهم ﴿الحق ألا له﴾ وحده ﴿الحكم﴾ بين عبيده ؛ لايشاركه فى ذلك أحد من خلقه ، ولايشفع أحد عنده إلاباذنه ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ قيل : يحاسب الناس جميعاً فى مقدار حلب شاة ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ مخاوفهما وأهوالها ، أو ظلمات البر : الصواعق . وظلمات البحر : الأمواج ؛ وكلاهما يشتد فى الغيم والليل ﴿تدعونه﴾ عند الوقوع فى المهالك ﴿تضرعاً﴾ ابتهالا وتذللا ؛ معلنين الضراعة ﴿وخفية﴾ مسرين ؛ قائلين ﴿لئن أنجانا﴾ ربنا ﴿من هذه﴾ المهالك والأهوال ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ له ، =

= المؤمنين به ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً﴾ يخلطكم فرقا؛ على أهواء شتى متباينة ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ شدة بعض في القتال. لما نزل قوله تعالى «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم» قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «أعوذ بوجهك» فلما نزل «أو من تحت أرجلكم» قال: «أعوذ بوجهك» فلما نزل «ويذيق بعضكم بأس بعض» قال: «هذا أهون وأيسر!». وقد ذهب بعض مفسري هذا العصر إلى أن قوله تعالى «عذابا من فوقكم»: هو ما يلقى من الطائرات، من قنابل ومهلكات، وقوله «أو من تحت أرجلكم»: هو الديناميت الذي يدسه الأعداء في باطن الأرض؛ يدل على ذلك ما بعده: «ويذيق بعضكم بأس بعض» ولم يقل ويذيقكم بأسه. وهو قول ظاهر التكلف، بادي التعسف. والمعنى المراد من الآية: «عذاباً من فوقكم» هو الصواعق ـ التي أهلك الله تعالى بها كثيراً من مكذبي الأمم قبلنا ـ وما تلقيه البراكين من الأحجار والحمم. وقوله «أو من تحت أرجلكم»: هو الخسف والزلازل؛ أعاذنا الله تعالى من نقمته، بمنه ورحمته! ﴿لكل نبإ﴾ أنبأتكم به، وعذاب ذكرته لكم ﴿مستقر﴾ أي قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها؛ فيعلم صدق النبإ من كذبه ﴿وسوف تعلمون﴾ صدق ما أنبأتكم به؛ حين ينزل بواديكم العذاب، وتندمون؛ ولات ساعة مندم! ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ يتكلمون فيها بما لا يليق؛ من النقد، أو الطعن، أو التكذيب ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ تركهم عند خوضهم، والاعراض عنهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ أي بعد التذكر ﴿وما على الذين يتقون﴾ الخوض مع الخائضين ﴿من حسابهم﴾ من آثام الخائضين ﴿من شيء ولكن ذكرى﴾ أي ولكن قيامهم وعدم القعود معهم لتذكيرهم بالقيام عنهم، وإظهار الكراهة لهم! ﴿لعلهم يتقون﴾ الخوض في آيات الله ﴿وذر﴾ اترك ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذي دعوا إليه، وكلفوا باتباعه؛ وهو الإسلام ﴿لعباً ولهواً﴾ سخرية واستهزاء ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ خدعتهم بزخرفها وبهرجها؛ فانقادوا إليها، وتمسكوا بها؛ وتركوا الآخرة وما يوصل إليها وراء ظهورهم ﴿وذكر به﴾ عظ بالقرآن، أو بالدين ﴿أن تبسل﴾ مخافة أن تبسل. والبسل: الحبس، والفضيحة، والهلاك. والبسل: أيضاً الإعجال والشدة. وأصل الإبسال: المنع ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ وإن تقدم كل فداء؛ والعدل: المثل ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ حبسوا، أو فضحوا، أو أهلكوا ﴿لهم شراب من حميم﴾ ماء شديد الحرارة ﴿قل أندعوا﴾ أنعبد ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿ونرد على أعقابنا﴾ نرجع كما كنا كفاراً ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ للإسلام وأنجانا من =

بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ

يَدْعُونَهُۥٓ

عبادة الأصنام ؛ ونـكون ﴿ كالذى استهوته ﴾ أضلته ﴿الشياطين فى الأرض﴾ باغوائهم وتزيينهم ؛ وصيرته ﴿حيران﴾ لا يدرى ما هو فاعل ، وماذا تكون عاقبته ؟ ﴿له أصحاب﴾ رفقة خيرون ؛ يتمنون نجاته من زلته وتخليصه من سقطته ! ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ قائلين له ﴿ائتنا﴾ أى ارجع عن غيك ، وتعال فى زمرتنا . فلا يجيبهم إلى مايطلبونه ، ولا يتبعهم إلى الهدى ﴿قل إن هدى الله﴾ الإسلام ، والتوفيق إليه ﴿هو الهدى﴾

يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا

وماعداه فهو ضلال ووبال ﴿ويوم يقول﴾ الله تعالى يوم القيامة لما يريد ﴿كن فيكون﴾ ما أراده من فناء الدنيا ، وموت الخلائق ؛ ثم إحيائهم ثانية ، ثم محاسبتهم على ما عملوا ، ثم إدخال أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ! كل هذا يتم من غير جهد ، ولا عناء ؛ بل بقوله تعالى «كن» كماقال للسموات والأرض: كونا ؛ فكانتا . ولآدم : كن ؛ فكان . ولفظ «كن» هى فى الواقع تقريب لأذهاننا ؛ لنعلم أنه تعالى لا يعجزه مطلب ، ولا يؤده شىء — مهما عظم — وفى الحقيقة أنه تعالى إذا أراد شيئاً: كان ؛ بغير افتقار للفظ «كن» فتعالى القادر المقتدر ! ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام . وقيل: «الصور» جمع صورة ؛ كبسر وبسرة ﴿وكذلك نرى إبراهيم﴾ أى مثل ما أريناه كفر قومه ، وأطلعناه على فساد عبادتهم للأصنام: نريه ﴿ملكوت﴾ ملك ، وسلطان. قيل : الملك : السلطان الظاهر ، والملكوت: السلطان الباطن ؛ فهو الملك التام ؛ ظاهره وباطنه ﴿السموات والأرض﴾ وما حوتا من عجائب المخلوقات ، وغرائب المصنوعات ؛ ليستدل بذلك على وجودنا ووحدانيتنا ﴿وليكون من الموقنين﴾ عياناً ، كما أيقن بياناً ﴿فلما جن﴾ أظلم ﴿عليه الليل رأى كوكباً﴾ قيل : هو الزهرة ، أو المشترى ، أو هو أى كوكب من كواكب السماء ؛ وهى تبلغ ملايين الملايين ؛ بل لايحيط بها عد العادين ، وإحصاء المحصين ؛ فلمارأى هذا الكوكب ﴿قال هذا ربى﴾ لايخفى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يؤمن بالكوكب وغيره إيماناً يقينيا ؛ وما كان له أن يقر بالربوبية لغير الله — وقد اختاره للنبوة والرسالة والامامة — وحاشا أن يتصف إبراهيم بمثل هذا ! وإنما قال ما قال ، وفعل ما فعل : لفتاً لأنظار قومه إلى فساد ما يعبدونه ، وتسفيهاً لأحلامهم ﴿فلما أفل﴾ غاب هذا الكوكب ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ طالعاً ، أو مبتدئاً فى الطلوع ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ طالعة

﴿قال هذا ربى هذا أكبر﴾ من كل الكواكب التى ظننتها ربا ﴿فلما أفلت﴾ غابت وامحى ضوؤها؛ وأثبت إبراهيم لقومه بذلك أن الله المعبود: يجب أن يكون أكبر من كل شيء، وأنه يجب ألا يطرأ عليه التغير، ولا يجوز له الأفول! حينذاك انتقل إبراهيم من الاستدلال إلى التقرير، ومن الاستقراء إلى التوثيق والتثبت؛ وواجه قومه بما يجب أن يواجههم به؛ قائما بالدعوة المطلوبة منه والمرسل بها ﴿قال يا قوم إنى برىء مما تشركون﴾ به الله تعالى فى العبادة!

رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ

وَسُلَيْمَٰنَ

﴿إنى وجهت وجهى﴾ اتجهت بكليتى ﴿للذى فطر السموات والأرض﴾ خلقهما؛ والفطر: الخلق من غير مثال سابق ﴿حنيفاً﴾ مائلا إلى الدين الحق؛ والحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه ﴿وحاجه﴾ جادله ﴿قومه﴾ فيما قاله ﴿قال أتحاجونى﴾ أتجادلوننى ﴿فى الله وقدهدان﴾ إلى معرفته ﴿ولا أخاف ماتشركون به﴾ فى عبادته ﴿إلا أن يشاء ربى شيئا﴾ أى إلا أن يشاء الله تعالى أن يبتلينى بشيء من المكروه؛ فلا اعتراض لى عليه؛ إذ أننى ملكه وصنع يده؛ يفعل بى مايشاء، ويحكم فىّ بما يريد! ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ وهى لاتنفع ولا تضر، ولاتسمع، ولاتعقل! ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾ وهو السميع البصير، اللطيف الخبير، المعطى المانع، النافع الضار! ﴿مالم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ أى مالم يقم عليه دليل عقلى أو نقلى ﴿فأى الفريقين أحق بالأمن﴾ والاطمئنان للمصير: نحن الذين عبدنا الإله الحق، القادر القاهر الرازق، المحيي المميت؛ ولم نخف آلهتكم وأصنامكم؛ أم أنتم وقد عبدتم ماصنعتم بأيديكم من جماد لايقدر على حماية نفسه؛ ولم تخشوا ربنا الذى خلقنا وهدانا، ورزقنا وكفانا! «فأى الفريقين» نحن أم أنتم «أحق بالأمن» والطمأنينة؟! ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ بشرك «إن الشرك لظلم عظيم» أو هو الظلم نفسه ﴿أولئك لهم الأمن﴾ من العذاب فى الدنيا، والأمن بالنجاة من النار فى الآخرة ﴿وتلك حجتنا﴾ التى احتج بها إبراهيم على قومه بوجود الله تعالى ووحدانيته؛ بأن وجهنا نظره للكائنات، فرأى ما يحدث لها من تغيرات؛ وعلم أن الإله لايتبدل، وأن الخالق لايتغير؛ وتوصل بطريق الاستدلال العقلى إلى معرفة الله تعالى: الموجود فى سائر الوجود «فتعالى الله الملك الحق» وصلوات الله وسلامه على سيدنا ومولانا إبراهيم: رأس الملة الحنيفية، وإمام أهل الحق، وجد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ فى العلم والحكمة، وسمو الروح، وعلو الهمة! ﴿ومن ذريته﴾ أى من ذرية نوح عليه السلام.

وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِي

﴿وزكريا ويحيي﴾ اللذين قتلهما اليهود عليهم اللعنة ! ﴿وإلياس﴾ وهو غير «اليأس» جد النبي عليه الصلاة والسلام ـ بسكون الهمز ـ لأنه أول من ابتلى باليأس ، وهو السل ؛ سمى بذلك لليأس من شفائه ﴿واجتبيناهم﴾ اخترناهم واصطفيناهم ﴿وهديناهم إلى صراط﴾ طريق ﴿ذلك﴾ الهدى الذى أضفيناه على هؤلاء الأنبياء ﴿هدى الله يهدى به من يشاء من عباده﴾ المتقين ﴿لحبط﴾ لبطل ﴿أولئك﴾ الأنبياء المذكورون : هم ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ أى الكتب التى أنزلت عليهم ﴿والحكم﴾ العلم النافع ، وحسن الفصل فى الحكومة ﴿فإن يكفر بها﴾ أى بالكتب ، أو بالكتاب والحكم والنبوة ﴿هؤلاء﴾ الفسقة الظلمة الكفرة ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ من المؤمنين الطائعين المنيبين ﴿أولئك﴾ الأنبياء الذين ذكرناهم : هم ﴿الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ أى اقتد يامحمد بهم ، واصبر كصبرهم ، وتحمل أذى قومك كما تحملوا أذى أقوامهم ؛ و ﴿قل﴾ لقومك ﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾ أى لا أسألكم على القرآن جعلا ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ لسائر الجن والإنس ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ماعرفوه حق معرفته ، وماعظموه حق عظمته ، وما عبدوه حق عبادته ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ كأنهم يريدون أن ينزل إليهم ربهم بنفسه ، أو ينزل لهم بعض ملائكته ؛ كسابقيهم فى الكفر : الذين قالوا لرسولهم : «أو تأتى بالله والملائكة قبيلا» وقالوا «لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً» ﴿قل﴾ لهم : كيف تقولون ذلك وقد تحققتم من نزول الكتاب على بشر من قبلى ؛ وإلا فقولوا لى ﴿من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس﴾ أوراقا مفرقة ؛ أى كسائر الأوراق ، وهوليس كسائرها

جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ

مَعَكُمْ

﴿تبدونها وتخفون كثيراً﴾ تبدون منها مايروق لكم من الأحكام ، وتخفون كثيراً مما يثقل عليكم ؛ وهو خطاب لليهود ﴿قل الله﴾ جواب لقوله «قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى» ﴿ثم ذرهم﴾ دعهم واتركهم ﴿فى خوضهم﴾ باطلهم الذى يخوضون فيه ﴿وهذا كتاب﴾ القرآن ﴿أنزلناه مبارك﴾ كثير المنافع والفوائد ﴿مصدق الذى بين يديه﴾ ما تقدمه من الكتب ﴿ولتنذر أم القرى﴾ مكة شرفها الله تعالى ، وزادها فضلا ! وسميت «أم القرى» لأن الناس يؤمونها ، وهى قبلة أهل القرى ، وأعظمها شأناً ﴿ومن حولها﴾ كل الدنيا ومن فيها من العقلاء ؛ وذلك لأن ما حول مكة : هى الجهات الأربع التى يتكون منها كل الأرض ومن عليها ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ المحافظة على الصلاة : ملازمتها فى أوقاتها ﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ الكافرون ﴿فى غمرات الموت﴾ أهواله وسكراته ﴿والملائكة﴾ الموكلون بقبض أرواحهم ﴿باسطوا أيديهم﴾ بالتعذيب ؛ ويقولون لهم ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أرواحكم ؛ أى خلصوها من عذابنا إن أمكنكم ، أو هو كناية عن صعوبة خروج أرواح الكافرين ؛ وقد ورد أن أرواح الكافرين تنزع انتزاعاً شديداً ، وتسل من جسومهم ، كما يسل الحرير من الشوك ؛ أما روح المؤمن فتنشط للخروج فرحاً بلقاء ربها ! أو يقال لهم هذا القول يوم القيامة : «أخرجوا أنفسكم» من النار إن استطعتم ؛ يدل عليه ما بعده ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ الهوان ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ منفردين بلا مال ولا معين ﴿وتركتم ماخولناكم﴾ ملكناكم فى الدنيا : من الأموال والنعم

﴿وما نرى معكم شفعاءكم﴾ آلهتكم؛ وقد كنتم تقولون عنها: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿شركاء﴾ لله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي تشتت جمعكم ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنكم ما كنتم تزعمون﴾ في الدنيا من شفاعتها لكم ﴿إن الله فالق الحب﴾ عن النبات ﴿والنوى﴾ عن النخل ﴿يخرج الحى من الميت﴾ أي النبات الغض من الحب اليابس ﴿ومخرج الميت من الحى﴾ الحب اليابس من النبات، أو الإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون ﴿فالق الإصباح﴾ خالق نور النهار ﴿وجعل الليل سكناً﴾ تسكن فيه سائر المخلوقات، وتهدأ مما أصابها من تعب النهار ووصبه ﴿و﴾ جعل ﴿الشمس والقمر حسباناً﴾ أي جعلهما تعالى – فضلا عن كونهما للانارة والنفع العام – فهما لمعرفة الحساب الزمني؛ قال تعالى «وجعلنا الشمس والقمر آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» ﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة﴾ هي آدم عليه السلام ﴿فمستقر ومستودع﴾ المستقر: رحم المرأة. والمستودع: صلب الرجل. أو المستقر: من خلق من الخلائق؛ فاستقر في الأرض، والمستودع: من لم يخلق بعد. وزعم بعضهم أن المستقر: الرحم. والمستودع: القبر. وهو ليس بشيء؛ إذ أن المقام مقام إنشاء: «إن الله فالق الحب والنوى. فالق الإصباح. وهو الذى أنشأكم. وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء. ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه»! ﴿فأخرجنا منه خضراً﴾ أي أخضر ﴿نخرج منه﴾ أي من الخضر ﴿حباً متراكباً﴾ متراكباً؛ بعضه فوق بعض؛ وهو السنبل وما يشبهه ﴿قنوان﴾ جمع قنو؛ وهو العذق؛ وهو من التمر: كالعنقود من العنب ﴿دانية﴾ سهلة الجنى والمنال ﴿وجنات﴾ حدائق ﴿من أعناب﴾ (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) ﴿مشتبها﴾ في الشجر واللون ﴿وغير متشابه﴾ في الطعم؛ فمنه الحلو والمز والحامض، وجميع ذلك «يسقى بماء واحد» فجل الصانع المبدع!

مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ

﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ كيف يكون فجاً؛ لا طعم فيه، ولا لون له، ولا رائحة ﴿و﴾ انظروا بعد ذلك إلى ﴿ينعه﴾ نضجه؛ بعد أن تتحول مرارة الثمرة إلى حلاوة، ويابسها إلى طراوة، وخضرتها إلى احمرار أو اصفرار؛ حتى تلذ فى الطعم، وتلين فى القضم، وتسهل فى الهضم؛ وهذا كله «صنع الله الذى أتقن كل شىء» ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ أى وجعلوا الجن شركاء لله فى العبادة؛ وقد يراد بالجن: الشياطين. وذلك باتباعهم فيما يوحون به إليهم، ويوسوسون ﴿وخلقهم﴾ أى وقد خلقهم ﴿وخرقوا له﴾ أى اختلقوا ﴿بنين وبنات بغير علم﴾ منهم بحقيقة ما يقولون. واختلاقهم البنين والبنات: قولهم: الملائكة بنات الله. وقول النصارى: عيسى ابن الله، وقول اليهود: عزير ابن الله ﴿سبحانه﴾ تنزه وتقدس ﴿وتعالى عما يصفون﴾ (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿بديع السموات والأرض﴾ مبدعهما ﴿أنى﴾ كيف ﴿يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ زوجة ﴿ذلكم﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿الله ربكم﴾ الذى خلقكم ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أى لا تراه الأبصار، ولا تحيط به ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أى يرى أصحاب الأبصار، ويحيط بسائر المرئيات ﴿وهو اللطيف﴾ بعباده ﴿الخبير﴾ بدقائق الأمور ﴿قد جاءكم بصائر﴾ جمع بصيرة؛ وهى نور القلب. أى جاءكم من الوحي والآيات؛ ما هو للقلوب بمنزلة البصائر ﴿فمن أبصر﴾ آمن واتقى ﴿فلنفسه﴾ لأن ثواب إيمانه وتقواه عائد إليها ﴿ومن عمى﴾ كفر ﴿فعليها﴾ لأن إثم كفره عائد عليها أيضاً ﴿وليقولوا درست﴾ أى قرأت الكتب السابقة ونقلت عنها ما تتلوه علينا اليوم. يقولون هذا وهم يعلمون أنه عليه الصلاة والسلام أمى لا يقرأ ولا يكتب «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أى لو أراد تعالى أن يلزمهم بالإيمان ويجبرهم على الطاعة لفعل؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعلهم أحراراً مستقلين فى اختيار ما يشاءون حتى يكونوا مسئولين عن عملهم، مؤاخذين على جرمهم

انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴿٩٩﴾ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ﴿١٠٠﴾ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ﴿١٠١﴾ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ﴿١٠٢﴾ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴿١٠٣﴾ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴿١٠٤﴾ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ﴿١٠٥﴾ اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ﴿١٠٦﴾ ولو شاء الله

﴿ولا تسبوا الذين يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿فيسبوا الله عدواً﴾ اعتداءاً ﴿بغير علم﴾ منهم عما يجب لله تعالى! ﴿كذلك زينا لكل أمة﴾ من أمم الكفار ﴿عملهم﴾ أي زيناه في زعمهم؛ حيث قالوا: «والله أمرنا بها» وهو كقوله «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء» ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ غاية اجتهادهم في الأيمان ﴿لئن جاءتهم آية﴾ معجزة ﴿ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله﴾ لا ينزلها بارادتكم أو إرادتي؛ بل ينزلها متى شاء، وحيث شاء ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون﴾ فقد أنزل الله تعالى على الأمم الآيات تلو الآيات، والمعجزات تلو المعجزات؛ فلم يؤمنوا بها؛ بل ازدادوا كفراً وعناداً؛ وقالوا: هذا سحر مبين! ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ قلوبهم؛ فلايؤمنوا كما آمن الناس ﴿وأبصارهم﴾ فلا يروا الحقائق التي يراها المؤمنون؛ وذلك عقوبة لهم ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ حين ظهرت آياته البينات، وحججه الظاهرات (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿ونذرهم﴾ ندعهم ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون متحيرين ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ كما قالوا «لولا أنزل علينا الملائكة» ﴿وكلمهم الموتى﴾ كما قالوا «فأتوا بآبائنا» ﴿وحشرنا عليهم كل شيء قبلا﴾ جمع قبيل؛ أي أفواجا. كما قالوا «أوتأتي بالله والملائكة قبيلا» أي إنا لو أجبناهم لما سألوا، وحققنا لهم كل ما اقترحوا ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ إيمانهم؛ فليلجأوا إلى ساحته، وليهرعوا إلى طاعته! ﴿وكذلك﴾ كما أن لك أعداء من المشركين ﴿جعلنا لكل نبي﴾ ممن سبقك ﴿عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض﴾ يزين بعضهم إلى بعض: فتزين شياطين الجن لشياطين الإنس، وتزين شياطين الإنس للإنس بما يوحون به من شرور وفجور! وقد قدم تعالى شياطين الإنس على شياطين الجن؛ لأنهم على الشر أقدر، وعلى ما يورد الجحيم أطوع؛ وشيطان الجن ـ مهما علت مرتبته، وسمت مكانته؛ في الشر والتزيين والتغرير ـ فانك بالاستعاذة منه تمحقه، وبتلاوة القرآن تهلكه! أما شيطان الإنس فانك لو قرأت عليه ما بين دفتي المصحف؛ لما تخلصت منه، ولا ابتعدت عنه! إلا إن أعاذك منه اللطيف الخبير، وأنجاك من كيده وشروره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم «قرناء السوء شر من شياطين الجن» ﴿زخرف القول﴾ ما زينوه من قولهم ووسوستهم في الشر، وإغرائهم على المعاصي ﴿غروراً﴾ خداعاً وباطلا ﴿ولو شاء ربك مافعلوه﴾ أي لوشاء الله لمنعهم من الإيحاء والوسوسة؛ ولكن الله تركهم امتحاناً لعباده؛ ليعلم أصحاب الإيمان الراسخ؛ المقيمين على العهد، الحافظين للود ﴿فذرهم﴾ دعهم واتركهم

مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ

﴿ولتصغى﴾ تميل وتتجه ﴿إليه﴾ إلى ما توحي به شياطين الإنس والجن ﴿أفئدة﴾ قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أما من آمن بها؛ فإنه لايصغى قلبه، ولايلتفت إلى ما توحي به الشياطين، ولا يرضاه، ولايقترف مايغضب مولاه ﴿وليرضوه﴾ يرضوا بما أوحت به الشياطين ﴿وليقترفوا﴾ ليكتسبوا. والاقتراف: ارتكاب الإثم ﴿وهو الذى أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلا﴾ مبيناً محكماً ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ هم من آمن من اليهود والنصارى ﴿يعلمون أنه﴾ أي القرآن ﴿منزل من ربك بالحق﴾ وذلك لما لمسوه فيه من الصدق، ولما علموه عنه من كتبهم السابقة «التوراة والإنجيل» ﴿فلا تكونن﴾ أيها السامع ﴿من الممترين﴾ الشاكين ﴿وتمت كلمة ربك﴾ القرآن ﴿صدقاً وعدلا﴾ كل مافيه من قصص وأخبار: مشتمل على الصدق، وكل مافيه من أوامر ونواه، وقضاء وأحكام: مشتمل على العدل ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا أصدق مما جاء فيه فيتبع، ولا أعدل من أوامره فيطاع؛ بل كل مافيه واجب الطاعة والاتباع عقلا؛ فلا يصح تركه إلى أصدق منه، ولا يجوز تبديله بما هو أعدل منه! «ومن أصدق من الله قيلا. ومن أصدق من الله حديثاً» وهو جل شأنه أصدق الصادقين وأعدل العادلين! ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم ﴿العليم﴾ بأحوالكم ﴿وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ أي يضلوك عن الطريق المستقيم؛ الموصل إليه تعالى. وهذه الآية دليل على مانراه من ضلال الغالبية العظمى وإضلالها! وقد ورد ذلك الخطاب موجها إلى الأمة الإسلامية؛ فى شخص إمامها ورسولها صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ وقد علم تعالى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لن يطيع أحدا من الضالين المضلين، وأنه لاسبيل لأحد منهم عليه ـ وقد وقاه الله تعالى كيد الكائدين، ووسوسة الشياطين، وإضلال المضلين ـ ﴿إن يتبعون﴾ أي ما يتبع هؤلاء المضلون ﴿إلا الظن﴾ وهوظنهم بأن آباءهم كانوا على حق، وهم على آثارهم مقتدون ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون. والخرص: الكذب، والتخمين ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل﴾ بين ﴿لكم ما حرم عليكم﴾ وهو قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة» الآية ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ من ذلك المحرم؛ فهو حلال أيضاً عند المجاعة المتلفة؛ بشرط عدم البغى والاعتداء ﴿وإن كثيراً﴾ من المضلين ﴿ليضلون﴾ الناس عن الحق، وعن كل ما هو حلال مباح ﴿بأهوائهم﴾ و ﴿بغير علم﴾ منهم بصحة ما يقولون؛ بل يضلون بسبب هواهم وميلهم؛ بغير استناد منهم إلى علم صحيح: كمن يحل بعض الشراب المحرم لميله إليه، ويحل الحشيش لتعوده عليه، أو كمن يفتى بغير علم ولا سند من كتاب أو سنة

وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ

عِلْمٍ

﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾ علانيته: كالقتل والسب، وسره: كالزنا والغيبة ﴿سيجزون﴾ فى الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ يكتسبون من الإثم ﴿وإنه لفسق﴾ الفسق: العصيان والترك لأمر الله تعالى ﴿وإن الشياطين ليوحون﴾ يوسوسون ﴿إلى أوليائهم﴾ من المشركين ﴿ليجادلوكم﴾ فيما أحله الله تعالى وحرمه؛ وذلك بقولهم ـ فى حل الميتة ـ كيف تأكلون ماقتلتم، ولاتأكلون ماقتله الله؟ ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾

عَلِيمٌ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

أى كافراً فهديناه للايمان؛ الذى هوحياة القلوب والنفوس ﴿وجعلنا له نوراً﴾ هو نور الإيمان واليقين؛ يهدى به الله تعالى أولياءه الصالحين! أو هو نور العلم والمعرفة ﴿يمشى به﴾ أى بهذا النور ﴿فى الناس﴾ يهديهم بهديه، ويرشدهم إلى ماينجيهم فى دنياهم وأخراهم! ﴿كمن مثله فى الظلمات﴾ ظلمات الكفر والجهل والخطيئة. (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿ليس بخارج منها﴾ أى من هذه الظلمات. وكيف يخرج منها وهو لم يحاول الخروج، ولم يسع إليه، ولم يفكر فيه؟! ﴿كذلك﴾ كما زين للمؤمنين إيمانهم ﴿زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ وقد زين الله تعالى للمؤمنين أعمالهم، وللكافرين أعمالهم؛ بعد عرض الإيمان عليهم جميعاً: فآمن المؤمنون، وكفر الكافرون! يؤيد هذا المعنى قوله تعالى «ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم» فترى أن التزيين قد حصل بعد عدم الإيمان ﴿وكذلك﴾ كما جعلنا فى مكة صناديد قريش يمكرون فيها ﴿جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها﴾ أى جعلنا أكابرها مجرمين ﴿ليمكروا فيها﴾ بالصد عن الإيمان، وإفشاء الفجور والفساد، والابتعاد عن طرق السداد والرشاد ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن وبال مكرهم عائد عليهم ﴿وإذا جاءتهم آية﴾ دالة على صدق الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿قالوا لن نؤمن﴾ لك ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله﴾ أرادوا لعنهم الله أن يكونوا مثل أنبياء الله تعالى ورسله؛ فيمدهم بالآيات، ويخصهم بالمعجزات! ونظيره قوله تعالى «بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة» وذلك لمزيد كفرهم، وبالغ كبرهم. وقد رد الله تعالى عليهم بقوله ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ فيختار لها الأبرار الأطهار، لا الكفار الفجار؛ ويعد لحمل شريعته، صفوة خليقته! فكلهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من خيرة الأنام! فكيف يختار معهم بعض الكفرة اللئام؛ الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وعبدوا من دونه الطواغيت، واختاروا العصيان على الإيمان، وعصوا الرحمن وأطاعوا الشيطان! فهيهات هيهات لما يقولون! ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار﴾ ذل وهوان.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا

عَلَىٰ

﴿ومن يرد أن يضله﴾ أى يزيده على ضلاله الذى اختاره لنفسه وارتضاه ﴿يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ الحرج : شدة الضيق والانقباض ﴿كأنما يصعد فى السماء﴾ أى يتصعد فيها ؛ وهو كناية عن بعد منال الإيمان ، وعن تكلفه ما لا يطيقه ، أو هو كناية عن الضيق الذى يأخذ بتلابيبه من كل جانب ﴿كذلك يجعل الله الرجس﴾ العقاب والغضب ﴿على الذين لا يؤمنون﴾ بالله ، ولا يصدقون برسله ﴿وهذا﴾ الإيمان ﴿صراط ربك﴾ طريقه : الذى رسمه لعباده ، وارتضاه لهم ؛ فمن حاد عنه : حاد بارادته واختياره ، ومن سلكه : فقد سلكه بارادته وتوفيق ربه له ﴿لهم دار السلام﴾ الجنة : دار الأمن والسعادة والسلامة ﴿يامعشر الجن﴾ المراد بهم الشياطين ﴿قد استكثرتم من الإنس﴾ أى أضللتم كثيراً منهم بإغوائهم ﴿وقال أولياؤهم﴾ الذين أطاعوهم ﴿من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ فى الدنيا : استمتع الجن بطاعة الإنس وانقيادهم لهم ، واستمتع الإنس بالشهوات التى زينتها لهم الشياطين ﴿وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا﴾ القيامة التى جعلتها موعداً لنا ، أو الموت الذى جعلته نهاية لحياتنا واستمتاعنا ﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً﴾ أى نجعلهم أولياء بعض ؛ عقوبة لهم على ظلمهم ، أو نسلط بعضهم على بعض فيهلكه ﴿بما كانوا يكسبون﴾ يفعلون من المعاصى

﴿وغرتهم﴾ خدعتهم ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ منه لها؛ فتعالى الله عن الظلم! وإنما هم ظلموا أنفسهم باتباع الهوى والشيطان، وانشغالهم بالحياة الدنيا وزخرفها، عن الآخرة ونعيمها ﴿وأهلها غافلون﴾ بدون رسول أو نذير ﴿ولكل﴾ من الجن والإنس ﴿درجات﴾ فى الجنة، أو دركات فى النار ﴿مما عملوا﴾ من خير أو شر (انظر آية ٣١ من سورة الأحقاف) ﴿وربك الغنى﴾ يعطى من يشاء إعطاءه، ويرزق من يشاء رزقه بغير حساب؛ ورزقه تعالى ماله من نفاد! وهو جل شأنه ﴿ذو الرحمة﴾ الواسعة! قال تعالى «ورحمتى وسعت كل شىء» جعلنا الله تعالى ممن وسعته رحمته، وتناولته مغفرته، وشملته عنايته ورعايته! ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ بالإهلاك أو بالموت ﴿ويستخلف﴾ يخلق من يخلفكم على هذه الأرض؛ خلقاً آخر أطوع منكم ﴿إن ما توعدون﴾ به؛ من العذاب والقيامة ﴿لآت﴾ لا محالة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين عذابنا إذا أنزلناه ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أى اعملوا على تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم فى الكفر ﴿إنى عامل﴾ ما فى استطاعتى من طاعة لربى، وإيمان به! ﴿فسوف تعلمون﴾ غداً يوم القيامة؛ عند نزول نقمة الله ﴿من تكون له عاقبة الدار﴾ أى العاقبة المحمودة فى الآخرة ﴿وجعلوا لله مما ذرأ﴾ أى مما خلق. ذرأ الله الخلق: خلقهم. وذرأ الشىء: كثره ﴿من الحرث﴾ الزرع ﴿والأنعام﴾ الإبل والشاء؛ وتطلق على الإبل خاصة ﴿نصيباً﴾ قسما وجزءاً ﴿فقالوا هذا﴾ النصيب ﴿لله بزعمهم و﴾ جعلوا منها أيضاً نصيباً؛ وقالوا ﴿هذا لشركائنا﴾ يعنون الأصنام ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ قيل: كان إذا اختلط ما جعلوه لله بما جعلوه لشركائهم: تركوه، وإذا اختلط ما جعلوه لشركائهم بما جعلوه لله: أخذوه. وقد يكون المعنى: أن الله تعالى لا يقبل منهم شيئا؛ فما جعلوه له فهو مردود عليهم، وغير مقبول منهم، وواصل إلى شركائهم؛ فلينتظروا ثوابه منهم لا من الله ﴿وكذلك﴾ كما زين لهؤلاء المشركين أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً ﴿زين لكثير من المشركين قتل أولادهم﴾ بالوأد: زين لهم ذلك ﴿شركاؤهم﴾ من الشياطين؛ وسماهم تعالى شركاء: لأنهم يتبعونهم ويستمعون إليهم؛ كطاعتهم واستماعهم لله؛ فهم بذلك ــ فى نظرهم ــ شركاء لله فى العبادة؛ أو المراد بالشركاء: أصدقاء السوء؛ الذين يزينون الكفر والمعاصى؛ فنهم من يزين الوأد خشية الفقر، ومنهم من يزينه خشية فضيحة الزنا وهوان السبى! زينوا ذلك لهم

عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

﴿ليردوهم﴾ ليهلكوهم بهذا الجرم والإثم ﴿وليلبسوا﴾ ليخلطوا ﴿عليهم دينهم﴾ فلايعرفون ما أحله الله تعالى مما حرمه ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ولكنه تعالى تركهم وشأنهم : خلق لهم عقولا يفكرون بها ، وبعث لهم رسلا يهدونهم إلى ماينفعهم ، وأنزل عليهم كتباً يستضيئون بنورها ، ويسيرون على هديها ، وأبان لهم فيها ما يضرهم وما ينفعهم «وهديناه النجدين» «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ﴿فذرهم﴾ دعهم يامحمد واتركهم ﴿وما يفترون﴾ وما يختلقون من باطلهم ﴿و﴾ من جملة افترائهم وكفرهم أن ﴿قالوا﴾ على الأنعام والحرث التى وهبها الله تعالى لهم ، وأحلها لمن شاء من عباده ﴿هذه أنعام وحرث حجر﴾ حرام ﴿لا يطعمها﴾ لا يأكلها ﴿إلا من نشاء﴾ من خدمة الأوثان ، وسدنة الأصنام ﴿بزعمهم﴾ بباطلهم وكذبهم. والزعم: القول الحق ، أو الباطل والكذب . وأكثر ما يستعمل فى الباطل وفيما يشك فيه ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ أى حرم ركوبها ؛ كالسائبة والبحيرة والحامى ﴿سيجزيهم﴾ ربهم ﴿بما كانوا يفترون﴾ عليه من أحكام لم ينزلها ، وشرائع لم يشرعها ﴿وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام﴾ من الأجنة والألبان ﴿خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ قيل: هى البحائر والسوائب ؛ كانوا يخصون الذكران وحدهم بشرب ألبانها وأكل أولادها ﴿وإن يكن﴾ الجنين ﴿ميتة فهم﴾ نساءاً ورجالا ﴿فيه شركاء﴾ يأكلونه جميعاً ﴿سيجزيهم﴾ ربهم ﴿وصفهم﴾ أى سيجزيهم عقوبة كذبهم وافترائهم ﴿وهو الذى أنشأ﴾ خلق لكم وأبدع ﴿جنات معرشات﴾ حدائق ذات أفنان وظلال ﴿والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾ أى ثمره الذى يؤكل ؛ يختلف فى الطعم ؛ فهذا حلو، وهذا حامض ، وهذا من «صنع الله الذى أتقن كل شىء» ﴿والزيتون والرمان متشابها﴾ فى الخلقة والشكل والأغصان والأوراق ﴿وغير متشابه﴾ فى الطعم ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه﴾ أي زكاته ﴿يوم حصاده﴾ بدون تأخير ؛ فقد وجب حق الفقير بالحصاد .

قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ

وَلَا تُسْرِفُوٓا۟

وقيل : المراد بحقه : التصدق من الحب والثمار على الفقراء ؛ وهو حق ثابت : مأمور به ، مثاب عليه ، معاقب على تركه ! وهل يجوز لك ـ أيها المؤمن الكريم ـ أن تنعم وعيالك برزق الله ؛ دون أن تؤتى منه عيال الله ؟! وهل يجوز لك ـ أيها المؤمن الرحيم ـ أن تبيت مطمئن النفس ، ممتلئ البطن ؛ والفقير بجوارك طاوى الكشح ، متطلع إليك ، حانق عليك ؟ !

وقد تغالى بعض الصوفية ؛ فقال : إن لكل نعمة حقاً ، وأن مرتب الموظف يستحق حقه يوم قبضه ؛ الذى هو «يوم حصاده» .

(ولا تسرفوا) فى حبس الزكاة عن أربابها ، والحقوق عن أصحابها ؛ إذ أن هذا هو منتهى الإسراف فى البخل ! أو أريد بالإسراف : الخطأ فى العطية ؛ بأن يعطى من لايستحق . وزعم قوم من المفسرين ـ أثابهم الله تعالى ـ أن الإسراف : مجاوزة القدر فى الإعطاء ؛ حتى يجحف صاحب المال بنفسه . وهو قول غير مستساغ ؛ إذ أنه لاسرف فى الخير ! وقد فاتهم أن الله تعالى أعقب ذلك بقوله (إنه لايحب المسرفين) وما من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يستطيع أن يقول : إن الباذل ماله فى سبيل مرضات الله ؛ مستوجب لغضب الله ، والحرمان من محبته ؛ وهو جل شأنه القائل : «ويطعمون الطعام على حبه . وآتى المال على حبه» .

يقول الله تعالى «وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه» أى هو الذى أنشأ كل هذا بقدرته وعظمته ؛ لا أنتم بحرثكم الأرض ، ووضعكم البذر ؛ ولو شاء لما أنشأها ، ولجعلها قاحلة مجدبة ؛ فالفضل له وحده لا لكم وهو جل شأنه مالكها ومالككم ! فمالكم إذا قيل لكم : «كلوا من ثمره إذا أثمر» أكلتم . وإذا قيل لكم : «وآتوا حقه يوم حصاده» تغاضيتم وأعرضتم ؟! فلا تبكوا إذا انتزعها منكم واستخلف عليها قوما غيركم ؛ يطيعون أمره ، ويجتنبون نهيه! ولاتقولوا عند حضور آجالكم «رب لولاأخرتنىإلى أجلقريبفأصدق وأكن من الصالحين» ولو أخركم لعدتم لما نهيتمعنه ، ولبخلتم بالخيرات ، وأسرفتم فى الملذات! «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون» .

فانظر ـ يارعاك الله ـ كيف عبر تعالى بقوله: «وآتواحقه يوم حصاده» وتأمل واعلم أن للمال حقاً فى أعناقنا ؛ يأمرنا الله تعالى بأدائه لأربابه ! وانظر لمبلغ هذا النظام ، الذى وضعه خالق الأنام ؛ ومدى إنصافه وحسنه ، والفائدة التى تعود على المعطى قبل العاطى[1] ، وعلى المنفق قبل المنفق عليه : تتملك الأرض فتنبت لنا من خيراتها ، بغير حول لنا ولاقوة ؛ بل بقدرته تعالى وإرادته ! ويأمرنا الرزاق الوهاب لسائر هذه النعم أن نعطى الفقير حقه فيها ـ ولوشاء لجعله المالك لها ، ونحن الفقراء إلى قليل العطاء ـ فنأبى إلا أن نشح ونبخل ؛ فنورد أنفسنا النيران ، ويحل بوادينا الخسران ! فانظر بربك أيها المنصف لو أن الخلائق عملت بإرشاد الخالق =

سورة الأنعام ١٧٣

وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

(١) العاطى : الآخذ . لا كما يفهم الأكثرون .

= وأخرجت مافى ذمتها من الصدقات والزكاة؛ لما بقى على ظهرها إنسان، يشتكى الفقر والحرمان؛ ولحل الوئام مكان الخصام، والوفاق مكان الشقاق! وإذا نظرت - بعين التدبر - إلى معظم الجرائم لوجدت أن السبب الأول؛ بل السبب الأوحد فيها هو المال والمال وحده: يتمتع الغنى بسائر ضروب التمتع، ويكسر قلب الفقير بما يظهره من نفيس الملبس، ولذيذ المطعم، وفاره المركب[1] فيدفعه الفقر، والحقد، والجوع إلى ارتكاب السرقة، والنهب، والسلب، والقتل! ويعلم الله تعالى وحده أن تبعة هذه الآثام لا تقع على الجانى؛ بل على المجنى عليه! فليبادر من يتقى الله ويخشاه، ويحذر عقاب آخرته وشقاء دنياه؛ وليخرج مافى عنقه من زكاة ماله، وصدقات أوجبها عليه ربه؛ عن طيب خاطر وصفاء نية؛ فنى هذا النعيم الأكبر، والخير الأوفر! ﴿ومن الأنعام حمولة﴾ أى تتخذونها لحمل الأثقال ﴿وفرشاً﴾ أى تتخذون من أصوافها وأوبارها ما تفترشونه. وقيل: الحمولة: الأنعام الكبيرة التى يحمل عليها. والفرش: الصغار التى لم يحمل عليها بعد. وقيل: الحمولة: ماحمل عليه من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير وغير ذلك. والفرش: الغنم والمعز ﴿ثمانية أزواج﴾ هو بيان للحمولة والفرش؛ أى ومن الأنعام أنشأ تعالى لكم ثمانية أزواج ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ زوجين اثنين؛ يريد الذكر والأنثى؛ فذلك أربعة أزواج؛ لأن كل واحد من الاثنين زوج للآخر؛ والواحد إذا كان وحده فهو فرد، وإذا كان معه غيره من جنسه: سمى كل واحد منهما زوجا، وهما معاً زوجان؛ يدل على ذلك قوله تعالى «خلق الزوجين الذكر والأنثى» ﴿قل﴾ يامحمد لهؤلاء الذين حرموا ماحرموا - من الحرث والأنعام - اتباعاً للشيطان ﴿آلذكرين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرم﴾ ربكم ﴿أم الأنثيين﴾ منهما ﴿أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من الضأن والمعز؛ وذلك لأنهم - لعنهم الله تعالى - كانوا يحرمون الذكران تارة، والإناث تارة، وما اشتملت عليه أرحامهما تارة أخرى؛ وكذلك كان شأنهم بالنسبة للإبل والبقر ﴿أم كنتم شهداء﴾ حضوراً مشاهدين ﴿إذ وصاكم الله بهذا﴾ التحريم الذى تزعمونه ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه﴾ أى على آكل يأكله ﴿فإنه رجس﴾ قذر ونجس. والرجس: كل عمل يؤدى إلى العذاب والعقاب ﴿أو فسقاً﴾ الفسق: الفجور، والخروج عن الطاعة ﴿أهل لغير الله به﴾ =

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ
وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم
بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ
ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ
شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا
فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

* قُلْ

(١) الفاره من المركب: المليح الشديد. ويطلق على الجارية المليحة الفتية.

= أى ذكر اسم غير الله تعالى عليه ؛ وسمى «فسقاً» لأنه خروج عن طاعة الله تعالى ، وإعلاء لاسم غير اسمه ، فى موضع يجب ذكر اسمه تعالى فيه ؛ وقد كانوا فى الجاهلية يذبحون على النصب ، ويذكرون اسم آلهتهم . ويقاس عليه ما يفعله الآن جهلة العوام من تسمية الأولياء عند الذبح ؛ خاصة فى الموالد التى يقيمونها ﴿فمن اضطر﴾ إلى أكل شيء من هذه المحرمات ؛ كأن أوشك على الهلاك جوعاً ، ولم يجد ما يتبلغ به سوى ميتة ، أو لحم خنزير ، أو دماً ، أو ذبيحة أهل لغير الله بها ؛ فله أن يتناول منها القدر الذى يسد رمقه فحسب ؛ ولا يزيد فيبلغ بما يأكل حد الشبع ؛ وبشرط أن يكون ﴿غير باغ﴾ على أحد من جماعة المسلمين : كأن يكون قاطعاً للطريق ، أو مبتغياً لإثم ؛ وأوشك من جوعه على التلف ؛ فانه ليس له أن يتمتع برخصة الله تعالى ؛ إلا أن يتوب وينيب ؛ كما أنه ليس له أن يأخذ برخصة الإفطار فى رمضان وقصر الصلاة ؛ فى حالة السفر ﴿ولا عاد﴾ معتد على آخر ؛ بأن يختطف قوته من هذا المأكول الحرام المحلل . أو هو «غير باغ» متلذذ بما يأكل ؛ بغير ضرورة ملحة «ولا عاد» متجاوز حاجته التى تدفع عنه الموت ﴿وعلى الذين هادوا﴾ اليهود ﴿حرمنا كل ذى ظفر﴾ وهو كل مالم يكن منفرج الأصابع من البهائم والطير : كالإبل ، والأوز والبط ، وأشباهها ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾ ظاهر الآية يدل على أن التحريم تناول سائر شحومهما ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ من الشحم ﴿أو الحوايا﴾ الأمعاء ؛ أى ما حملته الأمعاء من الشحم ﴿أو ما اختلط﴾ من الشحم ﴿بعظم﴾ فجميع ذلك مباح . وقيل : إنما حرم الله تعالى الثروب خاصة ؛ وهى الشحم الرقيق يكون على الكرش والأمعاء ﴿ذلك﴾ التحريم ﴿جزيناهم ببغيهم﴾ أى بسبب بغيهم وكفرهم ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لا حد لها ، تسع كل شيء ﴿ولا يرد بأسه﴾ عذابه ؛ رغم رحمته الواسعة ﴿عن القوم المجرمين﴾ فان من تمام رحمته تعالى الانتصاف من المجرمين ، والانتقام من الظالمين للمظلومين ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا﴾ أشرك ﴿آباؤنا﴾ فهو راض عن هذا الشرك ؛ ولو لم يرضه « ما أشركنا » وهى حجة الكافرين والمعاندين فى سائر العصور : «لو شاء الله ما أشركنا ، لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ، لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» يحاجون بذلك ربهم ؛ وحجته تعالى قائمة عليهم ؛ وله تعالى الحجة البالغة : «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك التكذيب ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ وقالوا مثل قولهم ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿قل هل عندكم من علم﴾ بأن الله تعالى راض عن =

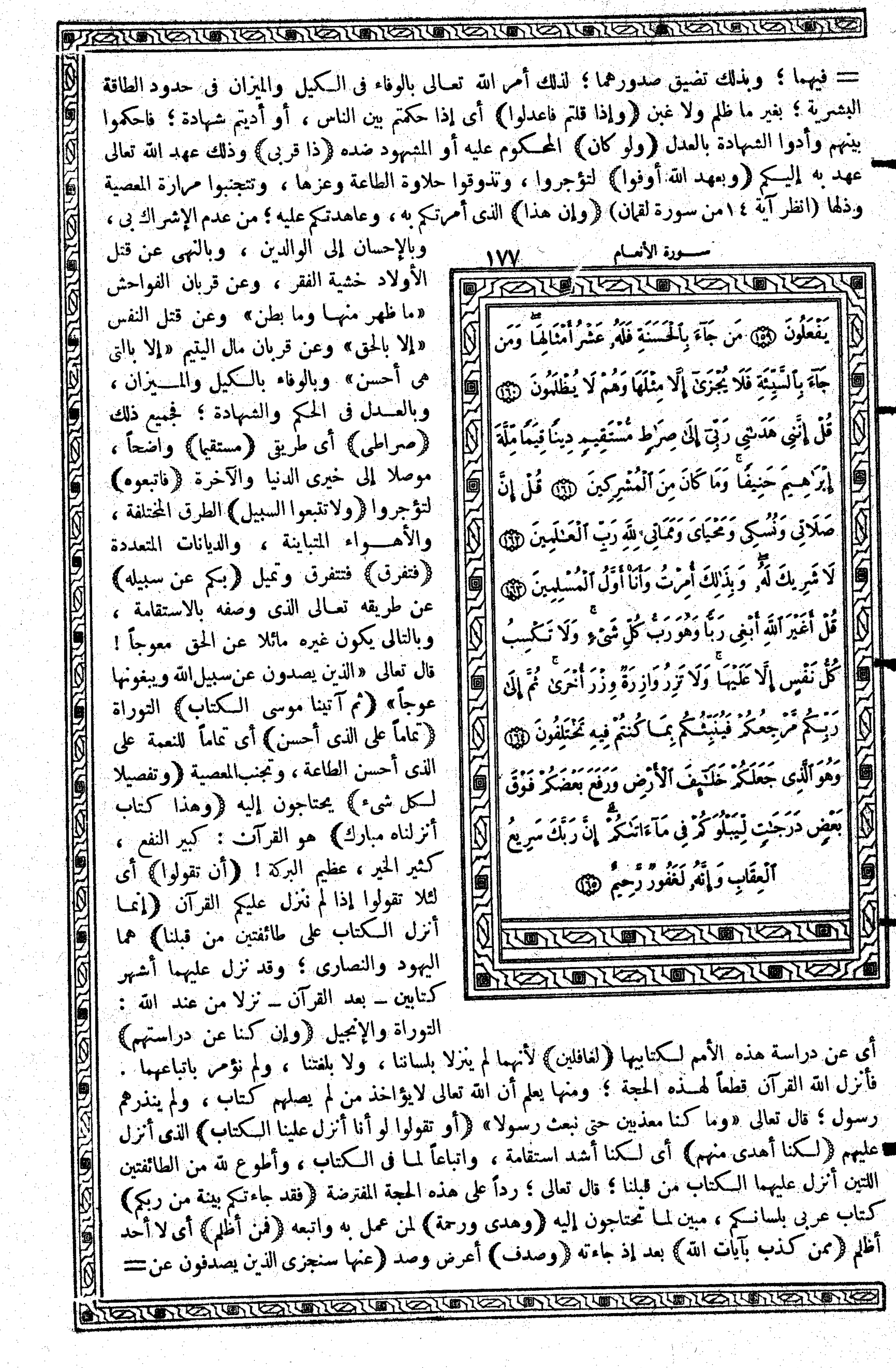
* قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ

= شركـكم وشرك آبائكم ؟ ﴿وإن أنتم الا تخرصون﴾ تكذبون ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ على الناس جميعاً ؛ حيث لاحجة لأحد عليه ؛ وحجته تعالى تقطع كل المعاذير ، وتزيل سائر الشكوك : ألم يرسل لعباده الرسل ، وينزل عليهم الـكتب ؛ ويسلـكها فى قلوب الـكافرين لعلهم يؤمنون ؟! فأى عذر بعد ذلك للجاحد المعاند ؟! ألم يبذل له خالقه كل السبل الموصلة إلى معرفته فأعرض عنها واتبع هواه ؟ ! ألم يقم له الدليل تلو الدليل على قدرته ووحدانيته فأبى إلا ضلالا وخبالا ؟! وهل بعد هذا تقوم له حجة بقوله «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا» وهى كلمة حق أريد بها باطل ؛ لقد قال العظيم الـكريم «ولا يرضى لعباده الـكفر» فكيف يريد مالا يرضى ؟ بل كيف يعذب على ما أراد ؟ فيأأيها الكافر الفاجر ؛ المشرك بربه ، المجترئ على خالقه : لقد هداك ربك إلى معرفته فأنكرت ، ودعاك إلى رحمته فأعرضت ، وسلك الإيمان فى قلبك فأبيت ! وبعد ذلك تريد أن تتستر وراء منطق الجهال ، وقول الضلال : «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا» ونسيت قول الحكيم العليم «لمن شاء منكم أن يستقيم» (انظر آيتى ٢٠٠ من سورة الشعراء ، و٢٨ من سورة التكوير) ﴿قل هلم شهداءكم﴾ أى هاتوا شهداءكم ﴿فان شهدوا﴾ أى فان شهد شهداؤهم زوراً بأن الله تعالى حرم ما حرموه من حرثهم وأنعامهم ﴿فلا تشهد معهم﴾ أى فلا تجالسهم ولا تخاطبهم ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾ لأنهم تركوا الحق الذى أنزل إليك ، واتبعوا أهواءهم ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ أى يجعلون له عدلا . والعدل : المثل ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ من فقر ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ وخوف الإملاق : كفر بالخلاق ! فقد خلق الله تعالى الخلق وتكفل بأرزاقهم ـ ولو كانوا فى مهمه قفر ـ ألا ترى أنه تعالى يرزق الحشرة داخـــل الصخر الأصم ! ؟

يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ

﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ الـكبائر ﴿ما ظهر منها﴾ كالقتل ، والسب ﴿وما بطن﴾ كالزنا والغيبة . وقيل : أريد به سر الزنا وعلانيته ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ الذى يوجب قتلها ؛ كقتل القاتل ، أو القتل دفاعاً عن النفس ، وأمثال ذلك ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ وهى أن تستثمروه له ، وأن تؤدوا زكاته ﴿حتى يبلغ أشده﴾ بلوغ الأشد : هو قوة البدن ، وزيادة المعرفة بالتجربة ؛ وهو مابين ثمانى عشرة إلى ثلاثين . وهو أيضاً بلوغ الحلم ﴿وأوفوا الـكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أى لا نكلفها إلا طاقتها ـ فى إيفاء الـكيل والوزن ـ وقد جاء ذلك الضابط خشية التحرج والتأثم ؛ فيضطر البائع إلى زيادة المـكيل والموزون ، ويضطر المشترى بدوره إلى أخذ مايقل عن استحقاقه =



يفعلون ﴿١٥٩﴾ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴿١٦٠﴾ قل إننى هدىنى ربى إلى صرط مستقيم دينا قيما ملة إبرهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴿١٦١﴾ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العلمين ﴿١٦٢﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿١٦٣﴾ قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿١٦٤﴾ وهو الذى جعلكم خلئف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجت ليبلوكم فى ما ءاتىكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴿١٦٥﴾

= فيهما ؛ وبذلك تضيق صدورهما ؛ لذلك أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والميزان فى حدود الطاقة البشرية ؛ بغير ما ظلم ولا غبن ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ أى إذا حكمتم بين الناس ، أو أديتم شهادة ؛ فاحكموا بينهم وأدوا الشهادة بالعدل ﴿ولو كان﴾ المحكوم عليه أو المشهود ضده ﴿ذا قربى﴾ وذلك عهد الله تعالى عهد به إليكم ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ لتؤجروا ، وتذوقوا حلاوة الطاعة وعزها ، وتتجنبوا مرارة المعصية وذلها (انظر آية ١٤ من سورة لقمان) ﴿وإن هذا﴾ الذى أمرتكم به ، وعاهدتكم عليه ؛ من عدم الإشراك بى ، وبالإحسان إلى الوالدين ، وبالنهى عن قتل الأولاد خشية الفقر ، وعن قربان الفواحش «ما ظهر منها وما بطن» وعن قتل النفس «إلا بالحق» وعن قربان مال اليتيم «إلا بالتى هى أحسن» وبالوفاء بالكيل والميزان ، وبالعدل فى الحكم والشهادة ؛ فجميع ذلك ﴿صراطى﴾ أى طريق ﴿مستقيما﴾ واضحاً ، موصلا إلى خيرى الدنيا والآخرة ﴿فاتبعوه﴾ لتؤجروا ﴿ولا تتبعوا السبيل﴾ الطرق المختلفة ، والأهواء المتباينة ، والديانات المتعددة ﴿فتفرق﴾ فتتفرق وتميل ﴿بكم عن سبيله﴾ عن طريقه تعالى الذى وصفه بالاستقامة ، وبالتالى يكون غيره مائلا عن الحق معوجاً ! قال تعالى «الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً» ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿تماماً على الذى أحسن﴾ أى تماماً للنعمة على الذى أحسن الطاعة ، وتجنب المعصية ﴿وتفصيلا لكل شىء﴾ يحتاجون إليه ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ هو القرآن : كبير النفع ، كثير الخير ، عظيم البركة ! ﴿أن تقولوا﴾ أى لئلا تقولوا إذا لم نُنزل عليكم القرآن ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ هما اليهود والنصارى ؛ وقد نزل عليهما أشهر كتابين ـ بعد القرآن ـ نزلا من عند الله : التوراة والإنجيل ﴿وإن كنا عن دراستهم﴾ أى عن دراسة هذه الأمم لكتابيها ﴿لغافلين﴾ لأنهما لم ينزلا بلساننا ، ولا بلغتنا ، ولم نؤمر باتباعهما . فأنزل الله القرآن قطعاً لهذه الحجة ؛ ومنها يعلم أن الله تعالى لايؤاخذ من لم يصلهم كتاب ، ولم ينذرهم رسول ؛ قال تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب﴾ الذى أنزل عليهم ﴿لكنا أهدى منهم﴾ أى لكنا أشد استقامة ، واتباعاً لما فى الكتاب ، وأطوع لله من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ؛ قال تعالى ؛ رداً على هذه الحجة المفترضة ﴿فقد جاءتكم بينة من ربكم﴾ كتاب عربى بلسانكم ، مبين لما تحتاجون إليه ﴿وهدى ورحمة﴾ لمن عمل به واتبعه ﴿فمن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن كذب بآيات الله﴾ بعد إذ جاءته ﴿وصدف﴾ أعرض وصد ﴿عنها سنجزى الذين يصدفون عن=

= آياتنا سوء العذاب﴾ أسوأه ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم ﴿أو يأتى ربك﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿أو يأتى بعض آيات ربك﴾ علامات الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها؛ وحينئذ ﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ أى من قبل حضور الموت، وظهور علامات القيامة ﴿أو كسبت فى إيمانها خيراً﴾ وهو الإخلاص فى الإيمان ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وكانوا شيعاً﴾ فرقاً متباينة ﴿لست منهم فى شىء﴾ أى لست مسئولا عما فعلوا.

وقيل: عنى بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً: أهل البدع والضلال من هذه الأمة؛ الذين اتبعوا ما تشابه من القرآن، وأولوه طبقاً لأهوائهم ﴿إنما أمرهم﴾ أى عاقبة أمرهم ﴿إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ فيجازيهم عليه «أحصاه الله ونسوه» ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ المراد بالعشر: الكثرة دون العدد؛ فقد يبلغ الجزاء مالا يحصره حد، ولا يحصيه عد! واقرأ إن شئت قول المنان الوهاب، المعطى من يشاء بغير حساب: «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» (انظر آية ٢٦١ من سورة البقرة) ﴿صراط﴾ طريق ﴿دينا قيما﴾ مستقيما لاعوج فيه؛ و«قيما» قيا؛ وبه قرأ سائر القراء عدا الكوفيين وابن عامر ﴿ملة إبراهيم حنيفا﴾ مسلماً ﴿وما كان﴾ إبراهيم ﴿من المشركين﴾ بل كان أول الهادمين للشرك، المستدلين على الوحدانية بالعقل والمنطق والتدبر! (انظر الآيات ٧٦ وما بعدها من هذه السورة) ﴿قل إن صلاتى ونسكى﴾ عباداتى ﴿وبذلك أمرت﴾ من ربى ومن عقلى الذى وهبنيه وأكرمنى به! ﴿ولا تكسب كل نفس﴾ إثماً ﴿إلا عليها﴾ أى لا يقع وبال إثمها إلا عليها ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ الوزر: الإثم، والحمل الثقيل؛ أى لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ﴿وهو الذى جعلكم خلائف﴾ جمع خليفة ﴿الأرض﴾ أى أهلك من سبقكم، واستخلفكم مكانهم ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ فى العلم والجاه والمال والسطوة ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ فيما أعطاكم من نعمه؛ وليعلم ــ علم ظهور ــ من أطاعه فيما آتاه، وأحسن فيما وهبه! ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ لمن عصاه وخالفه؛ فليبادر من ابتلى بالعصيان والحرمان إلى الرجوع إلى ربه، والمآب إلى خالقه! «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» ﴿وإنه لغفور﴾ لمن تاب وأناب ﴿رحيم﴾ به؛ فلا يؤاخذه بما سلف من أمره؛ تفضلا منه تعالى ورحمة بخليقته! =

(٧) سُورَةُ الأعرافِ مكيّة
إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية
وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

وَمَنْ

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ

(ســورة الأعراف)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

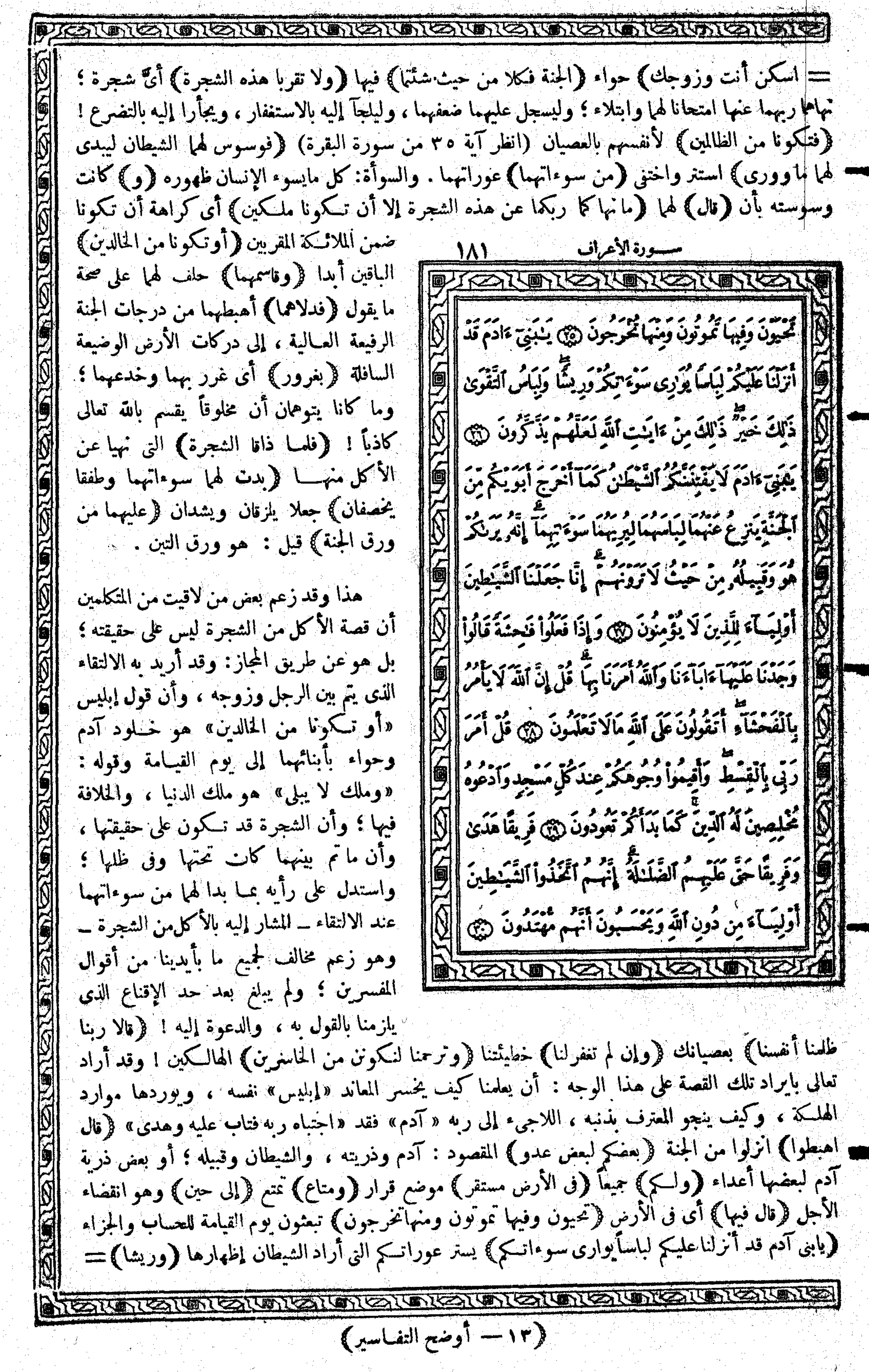
﴿المص﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿كتاب أنزل إليك﴾ القرآن الكريم ﴿فلا يكن فى صدرك حرج﴾ ضيق ﴿منه﴾ أى لا يكن فى صدرك غم أو ضيق من عدم إيمانهم بما أبلغته إليهم من القرآن المنزل عليك؛ وهذا كقوله تعالى: «لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين» ﴿لتنذر به﴾ أى «كتاب أنزل إليك؛ لتنذر به» ﴿وذكرى﴾ تذكيراً ﴿للمؤمنين﴾ الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴿ولاتتبعوا من دونه﴾ غيره ﴿أولياء﴾ تطيعونهم فى معصيته تعالى والكفربه ﴿وكم من قرية﴾ ظالمة ﴿أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلا ﴿أو هم قائلون﴾ أى وقت القيلولة. والمعنى: فجاءها عذابنا ليلا أو نهاراً؛ كما نريد ﴿فما كان دعواهم﴾ دعاؤهم وتضرعهم ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ حين جاءهم عذابنا ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ أى الأمم عمافعلوه من عصيان رسلهم، وكفرهم بربهم ﴿ولنسألن المرسلين﴾ عما أجيبوا به، وما لاقوه من عنت وتكذيب ﴿فلنقصن عليهم﴾ لنخبرنهم بما فعلوه ﴿بعلم﴾ منا؛ لأنا حاضرون معهم، مشاهدون لأعمالهم ﴿والوزن﴾ للأعمال الحسنة أو السيئة ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿الحق﴾ العدل؛ لازيادة فى السيئات، ولا نقصان للحسنات (انظر آية ٤٧ من سورة الأنبياء) ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أى ما يوزن له من الحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون! ﴿ومن خفت موازينه﴾ أى نقصت حسناته ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ حرموها من النعيم، وأضاعوها فى الجحيم ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ أى يجحدون ﴿ولقد مكناكم فى الأرض﴾ أى جعلناكم متمكنين منها، قادرين عليها؛ ذوى مكانة فيها ﴿وجعلنا لكم فيها﴾ أى فى الأرض ﴿معايش﴾ أى أسبابا للمعيشة؛ من مطعم ومشرب وملبس؛ فضلا من لدنه تعالى! ﴿ولقد خلقناكم﴾ أى خلقنا أصلكم وأباكم آدم من طين ﴿ثم صورناكم﴾ أى صورنا آدم فى صورته الإنسانية، ونفخنا فيه الروح. أو يكون معنى «خلقناكم ثم صورناكم»: إشارة إلى حكمه تعالى وتقديره لإحداث البشر فى هذا العالم ــ منذ بدايته حتى نهايته ــ وتصويره لهم على حقيقتهم التى علمها قبل أن يصورهم، وإثبات جميع ذلك فى اللوح المحفوظ؛ الذى أثبت فيه تعالى كل ماهو كائن ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ كان الأمر بالسجود لما خلقه الله تعالى بيديه؛ لا لأن آدم مستوجب

= للسجود مستحق له ؛ قال تعالى : «يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى» وقد ابتدأ اللعين، يحاج رب العالمين ؛ فأهلك نفسه ومن اتبعه إلى يوم الدين ! ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ظناً منه أن النار جسم شفاف نوراني ، والتراب جسم كثيف ظلماني ؛ وهو أول من قال بالقياس ؛ وفاته أن القياس لا يجوز مع صريح النص ؛ فقد أمره تعالى بالسجود وهو عالم أنه مخلوق من نار ، وأن آدم مخلوق من تراب ؛ وهو جل شأنه «يخلق ما يشاء ويختار» ﴿قال فاهبط منها﴾ فانزل من الجنة ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ دل ذلك على أن التفاخر بالأنساب من أشد الكبر! ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أى من أهل الصغار ؛ وهو الذل والهوان ؛ وهكذا كان الجزاء من جنس العمل : لما تكبر إبليس وتعالى على أمر الله : أذله الله تعالى ، وألحق به الصغار والهوان ؛ وطرده من جنته ، وحرمه من رحمته ! ﴿قال﴾ إبليس لربه ﴿أنظرني﴾ أى أمهلني ﴿قال فبما أغويتني﴾ أضللتني ؛ أى بإغوائك لى ؛ وهذه إحدى مكائد الشيطان اللعين ؛ حيث ينسب الإضلال لرب العالمين ! إذ أنه تعالى لم يضله إلا بعد أن ضل بنفسه ، وانحط إلى درك المخالفة ، وجادل ربه تعالى مجادلة الند للند ، وعاب خلقه وصنعه ، وعصى أمره ! ومن عجب أن يقول قوم بما قال به إبليس ، وينسبون الاضلال لهادى الضلال ، والاغواء لمن ينهى عن الغى ويعاقب عليه ؛ ويقولون : إن إبليس أعلم بالله ممن ينفى عن ربه الاضلال والإغواء ! (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿لأقعدن لهم﴾ أى لبنى آدم ﴿صراطك المستقيم﴾ أى أمنعهم عن الطريق القويم الموصل إليك ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ أى من قبل الآخرة ؛ التي هى أمامهم وبين أيديهم ؛ أشككهم فيها ، وأزين لهم عدم مجيئها وأنه لا بعث ، ولا جنة ، ولا نار ﴿ومن خلفهم﴾ من قبل الدنيا ؛ لأنها وراءهم ؛ أحببهم فيها ، وأزيدهم تمسكا بها ﴿وعن أيمانهم﴾ من قبل الحق ؛ لأنه يوصف باليمين ؛ أزين لهم أكله ، وأشبه عليهم أمر دينهم ﴿وعن شمائلهم﴾ من قبل الباطل ؛ أشهى لهم المعاصى ، وأدفعهم إلى ارتكابها!

لِمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا

تَحْيَوْنَ

لقد جاءك إبليس يا ابن آدم من كل جانب ، ومن كل وجهة ؛ لكنه لم يأتك من فوقك ؛ فلم يستطع أن يحول بينك وبين رحمته ورضوانه ومغفرته ؛ فهلم إلى ربك ، ادعه يستجب لك ، واطلب منه أن ينجيك من إبليس ومن ترصده لك ، وإيقاعه بك ! فهو وحده القادر على حمايتك وعصمتك ! عصمنا الله تعالى من المهالك ، وأعاذنا ممن جعله فتنة للناس ولم يجعل له سلطاناً عليهم ، وأذل جنده ، وأضعف كيده ! «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً» ﴿قال اخرج منها مذءوماً﴾ معيباً محقراً ﴿مدحوراً﴾ مطروداً ﴿ويا آدم =



= اسكن أنت وزوجك﴾ حواء ﴿الجنة فكلا من حيث شئتما﴾ فيها ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أىّ شجرة؛ نهاهما ربهما عنها امتحانا لهما وابتلاء؛ وليسجل عليهما ضعفهما، وليلجآ إليه بالاستغفار، ويجأرا إليه بالتضرع! ﴿فتكونا من الظالمين﴾ لأنفسهم بالعصيان (انظر آية ٣٥ من سورة البقرة) ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى﴾ استتر واختفى ﴿من سوءاتهما﴾ عوراتهما. والسوأة: كل مايسوء الإنسان ظهوره ﴿و﴾ كانت وسوسته بأن ﴿قال﴾ لهما ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ أى كراهة أن تكونا ضمن الملائكة المقربين ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الباقين أبدا ﴿وقاسمهما﴾ حلف لهما على صحة ما يقول ﴿فدلاهما﴾ أهبطهما من درجات الجنة الرفيعة العالية، إلى دركات الأرض الوضيعة السافلة ﴿بغرور﴾ أى غرر بهما وخدعهما؛ وما كانا يتوهمان أن مخلوقاً يقسم بالله تعالى كاذباً! ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ التى نهيا عن الأكل منها ﴿بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان﴾ جعلا يلزقان ويشدان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ قيل: هو ورق التين.

تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

هذا وقد زعم بعض من لاقيت من المتكلمين أن قصة الأكل من الشجرة ليس على حقيقته؛ بل هو عن طريق المجاز: وقد أريد به الالتقاء الذى يتم بين الرجل وزوجه، وأن قول إبليس «أو تكونا من الخالدين» هو خلود آدم وحواء بأبنائهما إلى يوم القيامة وقوله: «وملك لا يبلى» هو ملك الدنيا، والخلافة فيها؛ وأن الشجرة قد تكون على حقيقتها، وأن ما تم بينهما كان تحتها وفى ظلها؛ واستدل على رأيه بما بدا لهما من سوءاتهما عند الالتقاء ــ المشار إليه بالأكل من الشجرة ــ وهو زعم مخالف لجميع ما بأيدينا من أقوال المفسرين؛ ولم يبلغ بعد حد الإقناع الذى يلزمنا بالقول به، والدعوة إليه! ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ بعصيانك ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ خطيئتنا ﴿وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ الهالكين! وقد أراد تعالى بإيراد تلك القصة على هذا الوجه: أن يعلمنا كيف يخسر المعاند «إبليس» نفسه، ويوردها موارد الهلكة، وكيف ينجو المعترف بذنبه، اللاجىء إلى ربه «آدم» فقد «اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» ﴿قال اهبطوا﴾ انزلوا من الجنة ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ المقصود: آدم وذريته، والشيطان وقبيله؛ أو بعض ذرية آدم لبعضها أعداء ﴿ولكم﴾ جميعاً ﴿فى الأرض مستقر﴾ موضع قرار ﴿ومتاع﴾ تمتع ﴿إلى حين﴾ وهو انقضاء الأجل ﴿قال فيها﴾ أى فى الأرض ﴿تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم﴾ يستر عوراتكم التى أراد الشيطان إظهارها ﴿وريشا﴾ =

= لباساً للزينة ﴿ولباس التقوى﴾ الذى يقى الجسم مما يؤذيه من الحر والبرد ، أو هو لباس الحرب وقيل: «لباس التقوى» الإيمان وخشية الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿ذلك خير﴾ أى لباس التقوى ـ الذى يقى عذاب الله تعالى وغضبه ـ خير من كل لباس ؛ و﴿ذلك﴾ اللباس الذى أنزلناه عليكم ليوارى سوءاتكم ﴿من آيات الله﴾ الدالة على وحدانيته ؛ فمن المعلوم أن اللباس لا يعدو أنواعاً ثلاثة ؛ كلها تدل على قدرته تعالى ، ومزيد لطفه وإبداعه ؛ فالصوف: من أشعار الأنعام وأوبارها ، والقطن والكتان: مما تنتجه الأرض من خيراتها ؛

* يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ

أَظۡلَمُ

والحرير: تنتجه وتنسجه حشرة من حشرات الأرض؛ بوحى من ربها ، وإرشاد من خالقها ؛ وجميع ذلك ـ من حيوان ونبات ـ مسخر من عند الله تعالى لو أراد منعه لامتنع ؛ فتعالى المنعم المتفضل ! فما أروع عظاته ، وما أبدع آياته ! ﴿يابنى آدم لايفتننكم الشيطان﴾ احذروا لئلا يضلنكم ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ معشره وجنوده ﴿من حيث لاترونهم﴾ لأنهم أجسام شفافة لاترى ﴿إناجعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ أى قرناء لهم وأعوانا ﴿وإذا فعلوا﴾ أى إذا فعل الذين لا يؤمنون ﴿فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ فى حين أن تقليد المذنب فى ذنبه ، والآثم فى إثمه لا يقوم عذراً للمقلد ﴿والله أمرنا بها﴾ احتجوا بتقليد الجهال ، وافتروا على ذى الجلال ! وظنوا أن علم الله تعالى بكفرهم أمر منه به ، ورضا عنه ﴿قل أمر ربى بالقسط﴾ بالعدل ؛ فيجب اتباع أمره ؛ لا معاندته ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أى توجهوا بكليتكم إليه ، وأخلصوا نفوسكم عند كل سجود . أو أقيموا وجوهكم بالدعاء له فى مواطن الصلاة ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى «هنالك دعا زكريا ربه» وكان ذلك عند دخوله المحراب ﴿وادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ أى مخلصين له العبادة ؛ لأن العبادة بلا إخلاص كلا عبادة (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿كما بدأكم تعودون﴾ أى كما بدأكم من العدم ، يعيدكم بعد العدم ! ﴿فريقاً هدى﴾ الله بهدايته ﴿وفريقاً حق﴾ وجب ﴿عليهم الضلالة﴾ استوجبوها بانصرافهم عن نداء الحق ؛ ونبذهم كلام ربهم وراء ظهورهم ؛ ولم يوجب ربهم الضلالة عليهم ظلما لهم ؛ وكيف لا يستحقونها وقد وصفهم الله تعالى بقوله ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء﴾ يوالونهم ويعبدونهم ﴿من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ فحق عليهم غضب ربهم ، ووجب انتقامه منهم ؛ بتركهم فى ضلالهم يعمهون ! ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أى البسوا أفخر ثيابكم وأطهرها ؛ قيل: إنهم كانوا يطوفون بالبيت عرايا فنزلت . ﴿وكلوا واشربوا ولاتسرفوا﴾ أى «كلوا واشربوا» مما أحله الله «ولا تسرفوا» بتناول ما حرم . أو «كلوا واشربوا» مايكفى لحفظ =

أودكم ، وبقاء حياتكم «ولاتسرفوا» بالزيادة على ذلك ؛ ولا يجوز لإنسان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يطعم هو وأولاده فاخر الطعام ، وجاره يتضور جوعاً ، ويفتقر إلى الخبز القفار ؛ وكفى بالمرء سرفاً أن ينيل بطنه كل ما تشتهى ! وقد جرت عادة أفاضل القوم على أن يطعمون الغير ما يشتهونه هم ، ويحرمون أنفسهم مما يبتغون ؛ زجراً لها وتأديباً ! وهذا إذا جاز فى شريعتهم فانه غير ملزم لغيرهم ؛ لأن الله تعالى لم يكاف الناس ما يشق عليهم ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ وإنما هم حرموا على أنفسهم الطيبات ، ليحظوا بالخيرات ، ولم يطلقوا إسارها ليأمنوا عثارها ! وليصدق عليهم قول الحليم الكريم ﴿قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ أى ان زينة الله والطيبات من الرزق ستكون يوم القيامة خالصة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا . كيف لا ؟ وقد أطعموا الطعام على حبه ، وجعلوا هواهم تحت أرجلهم ورضا ربهم نصب أعينهم ؛ وآثروا غيرهم على أنفسهم ! فاحرص ـ هديت وكفيت ـ على الإيثار لا الأثرة ، والإنفاق لا الجمع ، واحذر البطنة ؛ فانها تذهب الفطنة ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «ماملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه» وقد جمع القرآن الكريم فى قوله تعالى «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» أصول الطب وخلاصة تجارب الأولين ، وحكمة علوم الآخرين ويعتبر من أعظم قواعد حفظ الصحة . وعدم الإسراف فى الأكل والشرب : وقاية من كثير من الأمراض الفتاكة ؛ كأمراض القلب ، والكبد ، والسكر ، والضغط العالى وتصلب الشرايين ﴿قل إنما حرم ربى الفواحش﴾ جمع فاحشة ؛ وهى القبائح ﴿ماظهرمنها﴾ كالقتل والسب ﴿وما بطن﴾ كالزنا والغيبة والنميمة ﴿والإثم﴾ المعصية ﴿والبغى﴾ الظلم والكبر ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حجة أودليلا ﴿ولكل أمة﴾ من الأمم السابقة

أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

المكذبة ﴿أجل﴾ وقت لنزول العذاب الذى قدره الله تعالى عليها ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ وقت نزول العذاب المعد لاستئصالهم ﴿يابنى آدم إما يأتينكم﴾ أى إن يجيئكم ﴿فمن اتقى﴾ آمن ﴿وأصلح﴾ أعماله ﴿فلاخوف عليهم﴾ فى الدنيا ﴿ولا هم يحزنون﴾ فى الآخرة ﴿فمن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن افترى﴾ اختلق ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ مما هو مكتوب فى اللوح المحفوظ ؛ من الرزق والأجل ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ ملائكة الموت ﴿قالوا﴾ أى قال لهم ملائكة الموت ﴿أين ما كنتم تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ؛ أى اين هم ؟ هل يستطيعون كشف الضر عنكم ، أو دفع الموت ، أو تخليصكم من أيدينا ؟ ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أى غابوا عنا ﴿قال﴾ لهم ربهم ﴿ادخلوا فى أمم قد خلت﴾ مضت ﴿حتى إذا اداركوا﴾ أى تداركوا وتلاحقوا =

لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴿٤١﴾ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿٤٢﴾ ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴿٤٣﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴿٤٤﴾ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ﴿٤٥﴾ وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم

ونادوا

= واجتمعوا ﴿قالت أخراهم﴾ أى الأمم المتأخرة ﴿لأولاهم﴾ لمن تقدمهم من الأمم ﴿ربنا هؤلاء﴾ المتقدمين ﴿أضلونا﴾ لأنهم ضلوا قبلنا ابتداء فاتبعناهم فى ضلالهم؛ ظنا منا أنهم مهتدون ﴿فآتهم عذابا ضعفا﴾ أى مضاعفاً ﴿قال لكل﴾ منكما ﴿ضعف﴾ من العذاب: تابعاً ومتبوعاً، متقدماومتأخراً لأن الأولين أتتهم رسلنا فكذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً، والآخرين أتتهم رسلنا فكذبوهم وآذوهم؛ فالأولين والآخرين فى الكفرسواء فكما أن الخطأ لايبرر الخطأ؛ كذلك كفر الأولين لايصح أن يتخذ سبباً لكفر الآخرين و «كل نفس بما كسبت رهينة» «ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى» ﴿وقالت أولاهم﴾ أى قالت الأمم المتقدمة ﴿لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ إذ أنكم كفرتم كما كفرنا؛ فلم يزد فضلكم علينا؛ لكنكم لو كنتم اعتبرتم بما حل بنا وآمنتم: كان ذلك فضلا يميزكم علينا. وبذلك انقطعت حجة المتأخرين على المتقدمين، وتساووا فى الكفر برب العالمين! وحينئذ يقول رب العزة للفريقين ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ تعملون ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿واستكبروا عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لاتفتح لهم أبواب السماء﴾ أى لايصعد لهم عمل صالح ولا يقبل منهم، أو لاتنزل لهم رحمة من السماء، أو لاتفتح لأرواحهم بعد الموت؛ بل يذهب بها إلى سجين؛ وما أدراك ماسجين! ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أبداً ﴿حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾ أى حتى يدخل البعير فى ثقب الإبرة؛ ويطلق الجمل أيضاً على حبل السفينة الغليظ، وعلى النخل؛ وقد علق الله تعالى دخولهم الجنة على مستحيل؛ فلن يدخل الجمل - سواء كان بعيراً، أو حبلا، أونخلا - فى خرت الإبرة؛ كما علق تعالى رؤية موسى له؛ على استقرار الجبل فلم يستقر؛ بل جعله ربك دكا وخر موسى صعقا! ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أغطية؛ فكانت النار لهم وطاء وغطاء. وقد جعل الله تعالى العذاب مكان الأمن والدعة والراحة؛ عافانا الله تعالى برحمته من غضبه ونقمته! ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفساً إلا وسعها﴾ أى إن الإيمان والأعمال الصالحة فى وسع كل إنسان؛ فلاحجة لمقصر، ولا عذر لمتخلف!

وهل ترى من قصد إلى المسجد؛ فتوضأ وصلى وابتهل إلى ربه: خسر من ماله، أو من صحته، أو من عرضه؛ مثل من قصد إلى حانة أو ماخور؛ فخسر ماله وصحته وعرضه! بل خسر أيضاً دنياه وآخرته! وربما جره ذلك إلى أشد العقوبات، وأفتك الأمراض! فأى الفريقين أحق بالأمن؟ وأى الطريقين أهدى وأرخص وأيسر؟! طريق الجنة، أم طريق النار؟ وحقا إن النار لتشترى بالنقود، =

= والجنة تنال بالمجان ! وقد تمت المنة ، وكملت النعمة ، وسقطت المعذرة ، وقامت لله الحجة البالغة ؛ بقوله «لانكلف نفساً إلا وسعها» ﴿ونزعنا ما في صدورهم﴾ أي صدور أهل الجنة ﴿من غل﴾ حقد وعداوة ؛ وذلك من تمام نعمته تعالى على عباده المؤمنين ! ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي هدانا لصالح العمل ؛ الذي أدخلنا بسببه الجنة ﴿وما كنا لنهتدي﴾ إلى ذلك ﴿لولا أن هدانا الله﴾ قيل : إن أهل النار يرون مقاعدهم من الجنة لو كانوا مهتدين ؛ فيكون ذلك حسرة عليهم ، وتعذيباً لهم ! وإن أهل الجنة يرون مقاعدهم من النار لو لم يهتدوا ؛ فيقولون «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» ﴿ونودوا﴾ أي نادى الملائكة أصحاب الجنة ﴿فأذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿بينهم﴾ بين أهل النار ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ الكافرين ؛ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وتعريضها للعقاب ! ﴿الذين يصدون﴾ يمنعون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه الحق ﴿ويبغونها عوجا﴾ أي يحاولون أن يجعلوا طريقه القويم ودينه المستقيم ؛ معوجاً ﴿وهم بالآخرة﴾ بالبعث والحساب والجزاء ﴿كافرون﴾ لا يصدقون بمجيء القيامة ﴿وبينهما﴾ أي بين الجنة والنار ، أو بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ﴿حجاب﴾ حاجز ؛ وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وهو سور الأعراف المعنى بقوله جل شأنه ﴿وعلى الأعراف﴾ جمع عرف ؛ وهو كل مرتفع من الأرض ، ومنه سمي عرف الديك: لارتفاعه. وقيل : سمي الأعراف : لأن أصحابه يعرفون الناس جميعا : أهل الجنة وأهل النار ﴿رجال﴾ هم أناس تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ؛ فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ فجعلوا هنالك حتى يقضي الكريم فيهم بما يشاء ؛ وسيدخلهم الجنة بفضله ومغفرته ورحمته ! وزعم بعضهم أن المقصود بأصحاب الأعراف : الملائكة ؛ وأنهم يناقشون أهل النار بأمر ربهم ؛ وهو قول يتجافى مع الصواب والمنطق ؛ فقد عرفهم الله تعالى بقوله «رجال» ولا يطلق هذا التعريف على ملائكة الرحمن ! وهؤلاء الرجال ﴿يعرفون كلا﴾ من أصحاب الجنة وأصحاب النار ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم ؛ فأهل الجنة يعرفون ببياض الوجه ونضرته ، وبالنور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، وأهل النار يعرفون بسواد وجوههم ، وبالقترة التي ترهقهم ﴿ونادوا﴾ أي نادى أصحاب الأعراف ﴿أصحاب الجنة﴾ قائلين لهم ﴿سلام عليكم لم يدخلوها﴾ أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة بعد ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ أي إذا اتجهت أبصار أصحاب الأعراف ﴿تلقاء أصحاب النار﴾ دعوا الله تعالى قائلين =

وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ

= ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ فى هذه النار ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا﴾ من أصحاب النار ﴿يعرفونهم بسيماهم﴾ بهيئاتهم التى كانوا يعرفونهم بها فى الدنيا ، وبكفرهم وكبرهم ﴿قالوا﴾ لهم ﴿ما أغنى عنكم﴾ من النار ﴿جمعكم﴾ كثرتكم واجتماعكم فى الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ عن الإيمان بالله ، وتتعالون على مخلوقاته . ويشيرون إلى أهل الجنة ؛ قائلين لأهل النار ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ فى الدنيا أنهم ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ منه ، ولا يدخلهم جنته ؛ وها هو قد قيل لهم ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ وقيل : يقال «ادخلوا الجنة» لأهل الأعراف ﴿فاليوم ننساهم﴾ نتركهم فى العذاب كالمنسيين ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ فلم يعملوا له ﴿وما كانوا بآياتنا﴾ كتبنا التى أنزلناها على رسلنا ﴿يجحدون﴾ ينكرون ويكذبون ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ هو القرآن الكريم ﴿فصلناه﴾ بيناه ؛ بالقصص والأخبار ، والوعد ، والوعيد ، وفصلنا فيه بين الحق والباطل ﴿على علم﴾ منا بحق ما بيناه ، وصحة ما فصلناه ﴿هدى﴾ لمن اتبعه ﴿ورحمة﴾ لمن تمسك به ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ أى إلا أن يأتى ما وعدوا به فى القرآن من البعث والحساب ، وما يستتبعه من العذاب! ﴿يوم يأتى تأويله﴾ يوم القيامة ؛ وحينئذ ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أى نسوا الوعد والوعيد فى الدنيا ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ فقد تحقق الآن ما أنذرونا به ﴿أو نرد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل﴾ فيها من الصالحات ﴿غير الذى كنا نعمل﴾ من السيئات ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ بأن ألقوا بها فى الجحيم والعذاب الأليم ﴿وضل عنهم﴾ غاب ﴿ما كانوا يفترون﴾ أى ما كانوا يعبدونه من الأصنام ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود! ﴿يغشى الليل النهار﴾ أى يغطيه بظلامه ﴿يطلبه حثيثاً﴾ سريعاً ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ سائرات بقدرته ، منظمات للكون بإرادته ؛ كل منها يعمل فى الحدود التى رسمها له خالقه ﴿ألا له الخلق﴾ جميعاً ؛ من ملك ، وإنسان ، وجن ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ﴿والأمر﴾ كله له لا يشاركه فيه أحد من خلقه ! ﴿تبارك﴾ تعالى وتعاظم ﴿ادعوا ربكم﴾ اعبدوه ﴿تضرعاً﴾ تذللا واستكانة لطاعته ﴿وخفية﴾ بخشوع قلوبكم ، وصحة يقينكم ؛ لا مجاهرين بذلك ؛ بقصد المراءاة ؛ كشأن أهل النفاق ! ولقد كان من سبقنا من علية القوم ما من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر ؛ فيكون علانية أبداً ، وكانوا لا يعملون فى الجهر إلا ما قصد به وعظ الغير إلى ما اتعظوا به ، وهدايتهم إلى ما اهتدوا ! أو أريد بالدعاء : السؤال والطلب ؛ وقد كانوا يجهدون فى الدعاء ؛ فلا يسمع لهم صوت =

إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

ٱلْمَآءَ

ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ عَادٍ

= إن كان فلا يكون إلا همساً بينهم وبين ربهم ـ هذا وقد ذكر الله عبداً صالحاً من عباده فرضى فعله؛ فقال «إذ نادى ربه نداء خفيا» ﴿إنه لايحب المعتدين﴾ المتجاوزين للحد فى رفع الصوت بالدعاء، أوالمتجاوزين لحد الأدب فى الدعاء؛ كمن يطلب رتبة النبيين، أو كمن يسأل مالا يجوز عقلا؛ ومن المعلوم أن إرادة الله تعالى لاتتعلق بمستحيل؛ فلايجوز أن يدعو إنسان ربه قائلا: يارب اجعل هذا النهر لبناً سائغاً، أوعسلاصافياً؛ فهذا ـ ولو أنه غير مستحيل على قدرة الله تعالى ـ فانه مستحيل عقلا وعادة؛ ومثل هذا الداعى ساخر بدينه، مستهزىء بربه! ﴿ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾ أى لاتكفروا بعد إذ أمركم بالإيمان وأقام على وحدانيته الدليل والبرهان، ولاتظلموا بعد إذ أمركم بالعدل، وأبان لكم مغبة الظلم، ولا تعصوا بعد إذ عرفكم جزاء الطائعين، وعاقبة المتقين! وجماع القول أن الله تعالى أراد بما أمر به ونهى عنه: إصلاح العباد والبلاد؛ فمن ابتغى وراء ذلك: فقد بالغ فى الفساد والإفساد! ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ خوفا من عذابه، وطمعا فى رحمته! ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً﴾ مبشرات ﴿بين يدى﴾ أمام ﴿رحمته﴾ المطر؛ وسماه رحمة لأنه سبب فى الرخاء والخصب والنماء؛ وجميعها رحمة وأى رحمة! ﴿حتى إذا أقلت﴾ حملت الرياح ﴿سحابا ثقالا﴾ ممتلئا ماءاً ﴿سقناه﴾ أى سقنا السحاب بواسطة الرياح ﴿لبلد ميت﴾ جدب لانبات فيه ﴿فأنزلنا به﴾ أى بواسطة الرياح، أو بالسحاب ﴿الماء فأخرجنا به﴾ أى بالماء ﴿من كل الثمرات﴾ التى يحتاجها الإنسان ﴿كذلك﴾ أى مثل إحياء الأرض بالثمار والنبات، وإخراجها للارزاق والأقوات؛ بعد قحطها وموتها ﴿نخرج الموتى﴾ أحياء من قبورهم ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتذكرون بهذه الأمثال التى نضربها لكم؛ فتؤمنون بالآخرة والحساب والجزاء ﴿والبلد الطيب﴾ الذى طابت تربته، وعذبت مشاربه ﴿يخرج نباته﴾ ثمراته وخيراته ﴿باذن ربه﴾ بقدرته وحكمته؛ وفى هذا إشارة إلى أن إخراج النبات والثمرات ـ ولو أن سببه صنع البشر رأى العين ـ لايكون إلا باذن الحكيم العليم، الخالق القادر! ﴿والذى خبث﴾ أى والبلد الذى خبثت تربته، وأسنت مشاربه ﴿لا يخرج﴾ نباته ﴿إلا نكدا﴾ رديئاً مصاباً بالعاهات والآفات؛ وهذا مشاهد فى وقتنا الحاضر: إذ أصيب الثمار والنبات بسائر ضروب المعاطب؛ وما ذاك إلا بجناية الخلق على أنفسهم: بنسيانهم الأعز الأكرم، المتفضل بسائر النعم، وانصرافهم عن إلههم ومولاهم! ويصح أن يكون ذلك مثالا للمؤمن والكافر؛ ويكون معنى قوله تعالى «والبلد الطيب» أى أهله؛ وهو كقوله جل شأنه «واسأل القرية» أى أهلها «والبلد الطيب» الذى يعمل أهله بجد واجتهاد =

= فى دينهم ودنياهم «يخرج نباته» أى ثواب إحسانهم وإيمانهم كثيرا غزيراً «بإذن ربه» بتفضله وإحسانه ؛ وهو الجنة ، وأنعم بها من منة ! «والذى خبث» أى الذى خبث أهله ، وساءت أعمالهم ، وكفروا بربهم ؛ وركنوا إلى الكسل والخمول «لا يخرج» نباته «إلا نكداً» أى ثواب أعمالهم النار وبئس القرار! ويجوز أن يكون المراد بالبلد : الجسد . وطيبه : أكل الحلال ، والابتعاد عن كل ما هو حرام . ونباته : أعماله ؛ تخرج كلها حسنة ، مليئة بالطاعات ، موصلة إلى الجنات! والجسد الذى خبث بأكل الحرام ، وارتكاب الآثام : لا يخرج عمله إلا سيئاً ؛ موصلا إلى النار ، وغضب الجبار ! فكذلك بنو آدم : خلقوا من نفس واحدة ــ بل من طينة واحدة ــ فنهم من آمن بالله وكتبه ورسله ؛ فطاب ! ومنهم من كفر بالله وكتبه ورسله فخبث ! (انظر آية ١٧٢ من سورة البقرة) ﴿كذلك﴾ أى مثل هذه الأمثال التى نضربها ، والآيات التى نسوقها ﴿نصرف الآيات﴾ نوضحها ونبينها، ونكررها ﴿قال الملأ﴾ أى السادة والأشراف ﴿فأنجيناه والذين معه فى الفلك﴾ السفينة ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ أى عمى عن الحق ﴿إنا لنراك فى سفاهة﴾ أى خفة عقل ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ موعظة تذكركم ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ فى الأرض ؛ تملكونها ، وتنتفعون بخيراتها ﴿من بعد قوم نوح﴾ وقد أهلكهم الله تعالى بكفرهم وذنوبهم ﴿وزادكم فى الخلق بسطة﴾ زيادة فى الجسم والعزم ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أنعمه ! ﴿ونذر﴾ ندع ونترك ﴿ما كان يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس﴾ عذاب ﴿وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها﴾ يعنى بها الأصنام التى يعبدونها ؛ كاللات ، والعزى ، ومناة ؛ وما شاكلها ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿فانتظروا﴾ العذاب الموعود الذى تستعجلون به ﴿إنى معكم من المنتظرين﴾ له ؛ فنزل بهم العذاب ، وأوقع الله تعالى عليهم العقاب !

أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ
ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم

مِّنَ

مِنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟

﴿فأنجيناه﴾ أى أنجينا هوداً ﴿والذين﴾ آمنوا ﴿معه برحمة منا﴾ بأن حففناهم بلطفنا الخفى، وأنجيناهم من عذاب بئيس؛ لاينزل إلا بأمرنا، ولا يدفع إلا برحمتنا! ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ الدابر: الأصل؛ أى استأصلناهم فلم نبق منهم أحداً ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ عبر تعالى بالأخ ـ فى مثل هذه المواضع ـ لأن كل نبى بعثه الله تعالى من قومه: زيادة فى تألفهم ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ حجة واضحة ﴿هذه ناقة الله﴾ معجزته؛ أخرجها ﴿لكم آية﴾ علامة على صدق ووحدانيته ﴿فذروها﴾ دعوها واتركوها ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم﴾ أسكنكم ﴿فى الأرض تتخذون من سهولها﴾ السهل: الأرض المستوية ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ نعمه ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ العثى: أشد الفساد ﴿قال الملأ﴾ السادة والأشراف ﴿الذين استكبروا﴾ عن الإيمان ﴿للذين استضعفوا﴾ وهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام ﴿قال الذين استكبروا﴾ الكافرون ﴿إنا بالذى آمنتم به كافرون﴾ أى كفروا بأن صالحاً مرسل من ربه، وأن الناقة آية منه تعالى ﴿فعقروا الناقة﴾ قتلوها

﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ استكبروا عن طاعته ﴿وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ أى متلبدين بالأرض باركين على الركب ميتين ﴿فتولى عنهم﴾ أعرض صالح عنهم ﴿وقال﴾ لقومه ـ بعد نزول العذاب بهم وموتهم ـ ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى﴾ التى

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

وَلَا

كلفنى بابلاغها لكم ، وأرسلنى بها لهدايتكم ﴿ونصحت لكم﴾ باتباعى والإيمان بالله تعالى وطاعته ؛ خشية أن ينزل بكم ما نزل ، ويحل بكم ما حل ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ فعصيتمونى وكفرتم بربكم ؛ فحل بكم عذابه الموعود الذى استعجلتموه ، ويومه المشهود الذى عاينتموه ! وخطاب صالح عليه السلام لقومه بعد موتهم : تسجيل لأداء ما كلفه الله تعالى بأدائه ، وتسجيل لتكذيبهم وكفرهم ؛ ولا شك أنهم سامعون لقوله ؛ بدليل مخاطبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لقتلى المشركين يوم بدر : «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا» وقال لمن حوله : «ما أنتم بأسمع منهم» ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ الكبيرة ؛ وقد كانوا يأتون الذكران ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ فى العصيان ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أى يتنزهون عما نفعله من إتيان الرجال فى الأدبار .

هذا وفعلة قوم لوط من أشنع الفواحش ، وأبشع الجرائم ؛ يأباها أحط الحيوانات ، فما بالك بأكرم المخلوقات ! ﴿فأنجيناه وأهله﴾ جميع من آمن به ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين فى العذاب ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ عجيباً ؛ ليس كسائر المطر ، الذى يأتى بالثمر ؛ بل أنزل عليهم من السماء ناراً تستعر ! ليس بالمطر الذى يبعث الرخاء والرحمة ، والسعة والنعمة ؛ بل أمطرتهم السماء ناراً وأحجاراً ، وبعثت فيهم موتاً ودماراً ! ويقال «أمطر» فى العذاب ، و«مطر» فى الرحمة ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ ومآلهم ؟ إذ دمرناهم وأحرقناهم وأهلكناهم ! ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ وهو صهر موسى عليهما السلام ؛ الذى زوجه إحدى ابنتيه وقال له «لا تخف نجوت من القوم الظالمين» ﴿قد جاءتكم بينة﴾ حجة ﴿من ربكم﴾ تدل على صدق ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ فى معاملاتكم

وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى

﴿ولا تبخسوا﴾ تنقصوا ﴿ولا تفسدوا فى الأرض﴾ بالكفر والعصيان ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الرسل ، وإنزال الكتب ﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ طريق ﴿توعدون﴾ من التوعد؛ أى تهددون من آمن بشعيب . والتوعد : التهدد . ويقال فى الخير : وعد . وفى الشر : أوعد . قال الشاعر :

وإنى إذا أوعدته ، أو وعدته
لمخلف إيعادى ، ومنجز موعدى

﴿وتصدون﴾ تمنعون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه القويم ﴿وتبغونها﴾ تريدونها ﴿عوجا﴾ معوجة ؛ غيرمستقيمة ؛ لتمنعواالناس عن سلوكها ﴿قال الملأ﴾ السادة والأشراف من قوم شعيب ﴿الذين استكبروا﴾ عن الإيمان به ﴿لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن﴾ جميعاً ﴿فى ملتنا﴾ التى نحن عليها ﴿قال أولو كنا كارهين﴾ أى أتعيدوننا فى ملتكم ؛ ولو كنا كارهين لهذه الملة ، ساخطين عليها ﴿قد افترينا﴾ اختلقنا ﴿على الله كذبا إن﴾ آمنا بغيره ، و ﴿عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾ بعنايته وتوفيقه ، وهدايته إلى معرفته ! ﴿وما يكون﴾ ما يجوز ، وما يحق ﴿لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أى إلا أن يكون قد سبق فى علمه تعالى شقوتنا وانحرافنا عن الحق الذى أمرنا باتباعه ﴿وسع ربنا كل شىء﴾ كان ، أو هو كائن ﴿علماً﴾ كيف لا ؛ وهو جل شأنه خالق كل شىء ، وهو السميع العليم !

ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن

كَذَّبُوا۟

﴿على الله توكلنا﴾ ليهدينا سبلنا ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿ربنا افتح﴾ احكم ﴿بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الحاكمين ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ متلبدين بالأرض ، باركين على الركب ميتين ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ كأن لم يقيموا فيها . والمغنى : المسكن ﴿فتولى﴾ أعرض ﴿عنهم وقال﴾ لهم ﴿ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى﴾ التى أرسلنى بها إليكم ؛ فكذبتمونى ﴿ونصحت لكم﴾ فلم تستمعوا لنصحى ﴿فكيف آسى﴾ أحزن ﴿على قوم كافرين﴾ بذلت لهم سبل الهداية ؛ فازدادوا فجوراً وكفراً ، وأسدى لهم النصح ؛ فأبوا إلا عتواً وعناداً ﴿أخذنا أهلها﴾ عاقبناهم ﴿بالبأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿لعلهم يضرعون﴾ يتذللون ﴿ثم بدلنا مكان السيئة﴾ أبدلناهم مكان الفقر والمرض ﴿الحسنة﴾ الغنى والعافية ﴿حتى عفوا﴾ نمت أموالهم ، وكثرت أولادهم ؛ يقال : عفا الشعر والنبات : إذا كثر . وقد عرّف تعالى أنه أخذهم بالشدة فلم تنجع ، وأخذهم باللين فلم ينفع ﴿وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ كما مسنا ؛ أرادوا أن ينسبوا ذلك إلى الدهر ، وأن ما حاق بهم : حاق بمن كان قبلهم ؛ وهذا ضرب من ضروب الكفر ! ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ فجأة ؛ بعد أن بذلنا فى إقناعهم كل الأسباب ؛ من نعمة وعذاب ، وإغناء وإقناء ، وصحة وإعلال ، ونوال ونكال ؛ فاستحقوا بذلك الإهلاك والاستئصال ! ﴿ولو أن أهل القرى﴾ الذين كفروا بالله تعالى ، وجحدوا أنعمه ، وكذبوا رسله ؛ لو أنهم ﴿آمنوا﴾ بربهم ﴿واتقوا﴾ بطشه وعذابه ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ بالمطر والنبات

كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ

﴿ولكن كذبوا فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا وانتقامنا ﴿بياتاً﴾ ليلا ﴿ضحى﴾ نهاراً ﴿أفأمنوا مكرالله﴾ مكره بهم: أخذه إياهم من حيث لا يشعرون ﴿أولم يهد﴾ أو لم يتبين ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ أهلكناهم بسببها ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ نغطي عليها ﴿فهم لا يسمعون﴾ النصح؛ وذلك عقوبة لهم على انصرافهم عن آيات ربهم؛ وعدم اعتبارهم بما امتحنهم به من تعذيب، ومامنحه لهم من نعيم! ﴿تلك القرى﴾ التي ذكرناها، وذكرنا أنباءها، ومن أرسل إليها؛ والمقصود بالقرى: أصحابها وساكنيها؛ وهم قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ أخبارها ما نثبت به فؤادك؛ وليتعظ بذلك قومك، وليعلموا أنهم إن بقوا على كفرهم؛ فسيكون حالهم مثل حالهم «أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ بالرسل ولا بالمعجزات ﴿بما كذبوا من قبل﴾ أي بما كذب به آباؤهم وأسلافهم، أو «بما كذبوا» به «من قبل» إتيان الرسل إليهم؛ أي إنهم ظلوا بكفرهم متمسكين، وعلى تكذيبهم ثابتين. وقيل: «فما كانوا ليؤمنوا» إذا ردوا بعد الموت «بما كذبوا من قبل» قال تعالى «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الطبع الذي طبعه الله تعالى على قلوب الكافرين والمكذبين ﴿يطبع الله﴾ يختم ويغطي ﴿على قلوب الكافرين﴾ لأنهم كفروا ابتداء، وأصروا على الكفر انتهاء، وأصموا آذانهم عن الاستماع إلى النصح، وأغلقوا قلوبهم بأقفال من الغفلة والعناد! فحق عليهم غضب ربهم، وتخليه عن هدايتهم! ولا يخفى أن كفرهم سابق على تغطية الله تعالى قلوبهم؛ وأن طبع الحكم العدل على قلوبهم؛ كان عقوبة على عنادهم وتمسكهم بكفرهم! ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ أي ليس لهم وفاء ولا أمانة ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها.

يَـٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو

بِسِحۡرٍ

(حقيق) جدير (قد جئتكم ببينة) بمعجزة ظاهرة (قال) فرعون (إن كنت جئت بآية) معجزة (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) بين واضح؛ لا لبس فيه ولا إبهام، ولا تمويه ولا خداع (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء للناظرين) مشرقة كاشراق الشمس، ولم يكن بياضاً معتاداً، كبياض البرص؛ وإلا لم تكن معجزة (قالوا أرجه وأخاه) أى أخرهما (وأرسل فى المدائن حاشرين) جامعين (وجاء السحرة) الذين جمعتهم رسل فرعون من المدائن (قالوا ياموسى إما أن تلقى) بسحرك أولا (قال) موسى (ألقوا) أنتم بسحركم أولا (فلما ألقوا) بسحرهم (سحروا أعين الناس) يؤخذ من هذا أن السحر إن هو إلا تمويه على العقول؛ وخدع للأبصار؛ وليس نقلا للأشياء عن حقيقتها وطبيعتها؛ كشأن المعجزة التى تسندها قوة الخالق الأعظم تبارك وتعالى! وذلك لأن الساحر لو أحال طبيعة الأشياء؛ لكان ما يأتى به معجزة أو هو كالمعجزة التى يأتى بها الأنبياء عليهم السلام، وكان لا فرق بينه وبين النبى؛ ولقام العذر لمن انخدع به (واسترهبوهم) من الرهبة؛ أى أخافوهم وأزعجوهم

(وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف) تتناول بسرعة ؛ والمعنى أنها تبتلع (ما يأفكون) مايكذبون ؛ أى مايموهون به على أعين الناس من سحرهم ؛ والإفك : أسوأ الكذب (فوقع الحق) الذى أراده الله تعالى ، وانتصر رسول رب العالمين ، على رسول إبليس اللعين ! ولقفت عصا موسى حبال السحرة

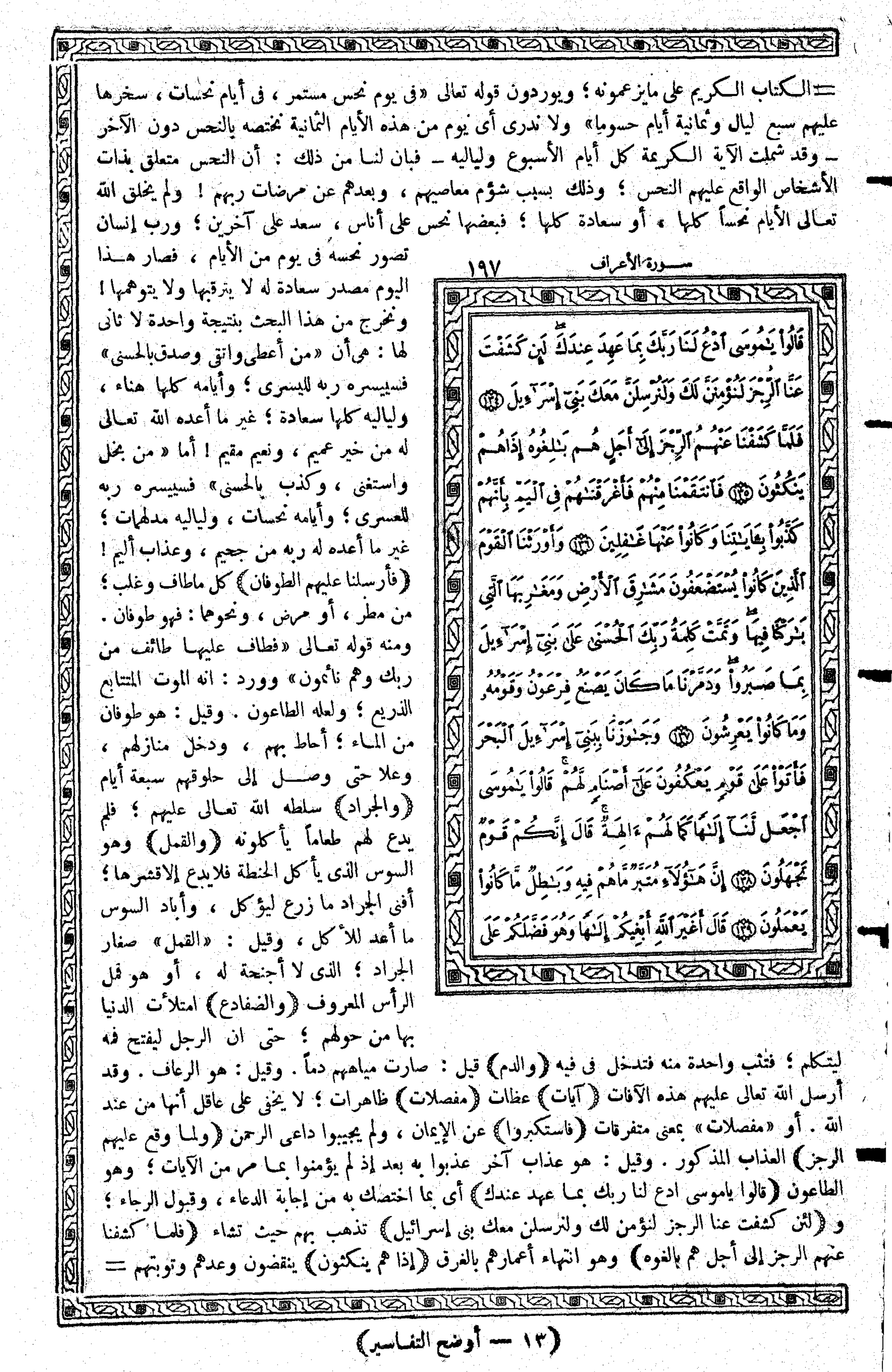
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ

وعصيهم ، وظهر أمر الله تعالى ، وعلت كلمته ، وانهار صرح الكفر ودالت دولته ! (فغلبوا) أى غلب فرعون وقومه (هنالك وانقلبوا) رجعوا (صاغرين) ذليلين مقهورين ! ولما بان للسحرة شأن موسى ، وأحسوا بما أبداه وأظهره ، وعلموا أن ذلك ليس من جنس السحر الذى يخدعون أعين الناس به ؛ وأنه يستعين فيما يأتيه بقدرة خارقة لطبائع الأشياء ، ويستمد بقوة إلهية محسوسة ؛ ولو أنها غير منظورة ! حينئذ علموا أنه يدعو إلى الحق ، وأن فرعون يدعو إلى الباطل ؛ وخروا سجداً لله ، و (قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون آمنتم) استفهام ؛ أى أآمنتم (به قبل أن آذن لكم) بالإيمان (إن هذا لمكر مكرتموه) وهو إظهار الإيمان بموسى ؛ ليؤمن به باقى الناس (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) راجعون (وما تنقم منا) أى وما تعاقبنا ؛ يقال نقم منه : إذا عاقبه (إلا أن آمنا بآيات ربنا) الدالة عليه ؛ وهى ما رأيناه من معجزات ظاهرات (ربنا أفرغ علينا صبراً) هب لنا من لدنك صبراً واسعاً ، وأكثره علينا حتى يفيض ويغمرنا (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر) أتترك (موسى وقومه) ممن آمن به من بنى إسرائيل (ليفسدوا فى الأرض ويذرك) يدعك ويتركك (وآلهتك) قيل : كان لعدو الله تعالى بقرة يعبدها ؛ وقد قرأ مجاهد وابن عباس «وإلاهتك» وكان القائلون لذلك خاصة فرعون وبطانته ؛ وهكذا شأن بطانة السوء فى كل زمان ومكان : تدس للعاملين المصلحين ؛ عند الملوك الجاهلين المستبدين ؛ وتفهمهم أن فى بقاء أمثال هؤلاء خطراً على عروشهم ! وهكذا أيضاً شأن الحمق من الملوك والرؤساء : يحيطون ملكهم وجبروتهم بسياج من السطوة والبطش ؛ لتتوفر لهم بذلك أسباب الاستقرار والانقياد ! ولذا كان جواب فرعون على تحريض ملئه له (قال سنقتل أبناءهم ونستحي

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ

قَالُوا

نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ عالون بالقدرة، والكثرة، والغلبة، والقهر. وهذا هو شأن المستبد الظالم الغاشم المبطل؛ الذي لا يعتمد إلا على ظلمه وقوته وقسوته! أما الذي ينشد العدل، ويرغب في الحق؛ ويسعى إلى الإصلاح؛ فهو إذا غلب على أمره: لجأ إلى مولاه يستهديه ويستعينه ويسترشده؛ لذا ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله﴾ على أعدائكم ﴿واصبروا﴾ على أذاهم؛ فالله معكم، وهو ناصركم! ﴿إن الأرض لله يورثها﴾ يملكها ﴿من يشاء من عباده﴾ الأتقياء ﴿والعاقبة﴾ النهاية الحسنة المحمودة ﴿للمتقين﴾ الذين يخشون ربهم، ويخافون سوء الحساب! ﴿قالوا﴾ أي قال بنو إسرائيل ـ أصحاب موسى ـ حين سمعوا مقالته: لقد ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ بقتل الأبناء، واستحياء النساء ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ بإيذاء فرعون لنا، ووعيده وتهديده ﴿قال﴾ موسى لقومه ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ فرعون وملئه ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ مكانهم ﴿فينظر كيف تعملون﴾ أتحسنون هذه الخلافة، أم تكونون ـ كمن سبقكم ـ من المفسدين؟! وقد أهلك الله تعالى عدوهم، واستخلفهم في الأرض كما وعدهم؛ فكانوا أضل من فرعون وأطغى، وكانوا من أسوإ الأمم فساداً وإفساداً؛ لعنهم الله تعالى! ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ بالقحط؛ يقال: أسنت القوم؛ بمعنى أقحطوا ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ الخصب والغنى ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي نستحقها بعملنا وعلمنا؛ ولم يشكروا الله تعالى عليها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ قحط وبلاء ﴿يطيروا﴾ يتشاءموا ﴿بموسى ومن معه﴾ زاعمين أنهم سبب الشؤم الواقع بهم ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أي إنما سبب شؤمهم عند الله؛ وهو عملهم الذي يعملونه، والذي استوجبوا عليه ما أسموه طيرة وشؤماً! هذا والتطير والتشاؤم من العادات التي ذمها القرآن الكريم، ونهى عنها الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» «إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا» وقال أيضاً صلى الله تعالى عليه وسلم: «من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك» لقد تشاءم الكافرون من أنبيائهم، في حين أن الشؤم هم سببه ومصدره؛ فقد تشاءم قوم موسى بموسى، وتشاءم قوم صالح بصالح «قالوا اطيرنا بك وبمن معك» وفي شتى العصور تشاءم الكافرون بالمرسلين وبالمؤمنين «قالوا إنا تطيرنا بكم» هذا وقد جرى بعض المسلمين على نهج هؤلاء الكافرين؛ فتشاءموا من الأوقات، ومن الأيام، ومن الأشخاص؛ وهي عادة مرذولة يأباها الإسلام ويحض على نبذها ومنعها؛ ولا يقبلها دين سماوي، ولا عقل راجح؛ ومن عجب أنهم يستدلون ببعض آيات =



قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

= الكتاب الكريم على مايزعمونه؛ ويوردون قوله تعالى «فى يوم نحس مستمر، فى أيام نحسات، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً» ولا ندرى أى يوم من هذه الأيام الثمانية نختصه بالنحس دون الآخر ـ وقد شملت الآية الكريمة كل أيام الأسبوع ولياليه ـ فبان لنا من ذلك: أن النحس متعلق بذات الأشخاص الواقع عليهم النحس؛ وذلك بسبب شؤم معاصيهم، وبعدهم عن مرضات ربهم! ولم يخلق الله تعالى الأيام نحساً كلها، أو سعادة كلها؛ فبعضها نحس على أناس، سعد على آخرين؛ ورب إنسان تصور نحسه فى يوم من الأيام، فصار هذا اليوم مصدر سعادة له لا يترقبها ولا يتوهمها! ونخرج من هذا البحث بنتيجة واحدة لا ثانى لها: هى أن «من أعطى واتقى وصدق بالحسنى» فسييسره ربه لليسرى؛ وأيامه كلها هناء، ولياليه كلها سعادة؛ غير ما أعده الله تعالى له من خير عميم، ونعيم مقيم! أما «من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى» فسييسره ربه للعسرى؛ وأيامه نحسات، ولياليه مدلهمات؛ غير ما أعده له ربه من جحيم، وعذاب أليم! ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ كل ماطاف وغلب؛ من مطر، أو مرض، ونحوهما: فهو طوفان. ومنه قوله تعالى «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون» وورد: انه الموت المتتابع الذريع؛ ولعله الطاعون. وقيل: هو طوفان من الماء؛ أحاط بهم، ودخل منازلهم، وعلا حتى وصل إلى حلوقهم سبعة أيام ﴿والجراد﴾ سلطه الله تعالى عليهم؛ فلم يدع لهم طعاماً يأكلونه ﴿والقمل﴾ وهو السوس الذى يأكل الحنطة فلايدع إلاقشرها؛ أفنى الجراد ما زرع ليؤكل، وأباد السوس ما أعد للأكل، وقيل: «القمل» صغار الجراد؛ الذى لا أجنحة له، أو هو قمل الرأس المعروف ﴿والضفادع﴾ امتلأت الدنيا بها من حولهم؛ حتى ان الرجل ليفتح فمه ليتكلم؛ فتثب واحدة منه فتدخل فى فيه ﴿والدم﴾ قيل: صارت مياههم دماً. وقيل: هو الرعاف. وقد أرسل الله تعالى عليهم هذه الآفات ﴿آيات﴾ عظات ﴿مفصلات﴾ ظاهرات؛ لا يخفى على عاقل أنها من عند الله. أو «مفصلات» بمعنى متفرقات ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان، ولم يجيبوا داعى الرحمن ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ العذاب المذكور. وقيل: هو عذاب آخر عذبوا به بعد إذ لم يؤمنوا بما مر من الآيات؛ وهو الطاعون ﴿قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ أى بما اختصك به من إجابة الدعاء، وقبول الرجاء؛ و ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل﴾ تذهب بهم حيث تشاء ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ وهو انتهاء أعمارهم بالغرق ﴿إذا هم ينكثون﴾ ينقضون وعدهم وتوبتهم =

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ

مَّوْعِظَةً

= ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ في البحر الذي لا يدرك قعره ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ وهم بنو إسرائيل؛ رفعهم من حضيض الذل، إلى أوج العز! ﴿وما كانوا يعرشون﴾ يبنون ﴿فأتوا على قوم يعكفون﴾ يقبلون مواظبين ﴿على﴾ عبادة ﴿أصنام لهم قالوا﴾ أي قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ياموسى اجعل لنا إلهاً﴾ نعبده ﴿كما لهم آلهة﴾ يعبدونها ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ عجباً لبني إسرائيل: رأوا ماحل بفرعون وقومه جزاء كفرهم بالله وذاقوا حلاوة نصرهم على عدوهم ـ جزاء إيمانهم ـ وحينما يرون أناساً يعبدون الأصنام يقولون: كيف يكون لهم آلهة ولا يكون لنا إلهاً نعبده كما يعبدون؟ ونسوا أنعم الله تعالى عليهم! ﴿إن هؤلاء﴾ الذين ترونهم يعبدون الأصنام ﴿متبر ماهم فيه﴾ أي إن ماهم فيه هلاك وخسران. و«متبر» مدمر مكسر ﴿قال أغير الله﴾ الذي خلقكم، واصطفاكم، وأهلك عدوكم وأنجاكم؛ أغيره ﴿أبغيكم﴾ أبغي لكم ﴿إلهاً﴾ معبوداً ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ فكيف تبتغون غيره، وتطلبون معبوداً سواه؛ وتقولون «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»؟ ﴿و﴾ اذكروا يابني إسرائيل ﴿إذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ الخطاب موجه لليهود الموجودين في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؛ أي اذكروا إذ أنجينا آباءكم وأسلافكم؛ أو هو تذكير لمنته تعالى على بني إسرائيل ﴿يسومونكم﴾ يذيقونكم ﴿سوء العذاب﴾ أشده وأسوأه ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يستبقونهن أحياء، أو يفعلون بهن ما يخل بالحياء ﴿وفي ذلكم﴾ العذاب والتقتيل ﴿بلاء﴾ ابتلاء ومحنة، أو «وفي ذلكم» العذاب نعمة لكم؛ لأن سنته تعالى جرت على رفع درجات من ابتلى، وإعلاء شأن من امتحن ﴿وواعدنا موسى﴾ بالمناجاة ﴿ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾ فتكون أربعين؛ صامها موسى استعداداً لهذا اللقاء، وتأهبا لتلقي أوامر الله تعالى! ﴿فتم ميقات ربه﴾ ماوقته له من الوقت ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي﴾ أي كن خليفتي فيهم، وراعياً لهم ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) ﴿قال رب أرني﴾ نفسك ﴿أنظر إليك﴾ أي لأنظر إليك وأراك ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ تجلى أمره بأن جعل الجبل لايستقر، وتجلت قدرته بأن ﴿جعله دكا﴾ أي مدكوكا؛ وليس معنى التجلي: ظهور المولى ـ جل وعلا ـ للجبل، أو إبداء نوره؛ كما ذهب إليه أكثر المفسرين؛ والذي حصل: أن الجبل تزلزل واهتز، وانهارت أركانه، وتصدع بنيانه، ومادت أحجاره، وتساقطت صخوره ﴿وخر موسى صعقاً﴾ مصعوقا؛ مغشياً عليه من هول مارأى! ﴿فلما أفاق﴾ من غشيته، اتجه بكليته و﴿قال سبحانك﴾ ربي؛ تقدست عن الرؤية، وتعاليت عن الوصف! =

= (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿تبت إليك﴾ من قولى «رب أرنى أنظر إليك» ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بعظمتك ، المصدقين بعلوك وتنزيهك ! فقبل الله تعالى توبته ؛ و ﴿قال﴾ له معدداً أفضاله عليه ﴿ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى﴾ اصطفيتك : اخترتك (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من التوراة ، وبلغها لقومك ﴿وكن من الشاكرين﴾ لى على هذا الاصطفاء ﴿وكتبنا له فى الألواح﴾ وذلك لأن التوارة كانت تنزل على موسى مكتوبة فى الألواح ، أو كان يكتبها - بأمر ربه - فى الألواح ؛ ولا حاجة بنا إلى أن نخوض فى صفة هذه الألواح ؛ وهل كانت من ياقوت ، أو زبرجد ، أو زمرد ، أو من سدر الجنة ؛ مما خاض فيه أكثر المفسرين ، وأطنبوا فى وصفه ؛ حيث لا حاجة بنا إلى ذلك ﴿من كل شيء﴾ من التنبيه إلى وجود الله تعالى والتذكير بعظمته ! ﴿موعظة﴾ لهم ﴿وتفصيلا﴾ تبييناً ﴿لكل شيء﴾ يحتاجون إليه لمعاشهم ومعادهم ﴿فخذها بقوة﴾ بجد وعزم واجتهاد ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ وذلك لأن فى التوراة : الحسن والأحسن ؛ كالاقتصاص والعفو ؛ فإن العفو خير من القصاص ، وكاتباع الأوامر واجتناب النواهى ؛ فإن اتباع الأوامر خير من اجتناب النواهى ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أى سأريكم ما حل بفرعون وقومه من عذاب وتشريد ، وأورثكم أرضهم وديارهم ؛ والمراد بدار الفاسقين : مصر ﴿سأصرف عن آياتى﴾ دلائل قدرتى وعظمتى ﴿الذين يتكبرون فى الأرض﴾ فلا يؤمنون بى ، ولا يصدقون رسلى ﴿وإن يروا كل آية﴾ دالة على وحدانيتى ﴿لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد﴾ طريق الهدى والصلاح ﴿لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى﴾ طريق الفساد والضلال ﴿يتخذوه سبيلا﴾ طريقاً لهم يتمسكون به ، ويسيرون

مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

فيه ﴿ذلك﴾ الصرف عن الآيات ، والوقوع فى الضلالات ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كذبوا بآياتنا﴾ بعد ظهورها ووضوحها ؛ فاستحقوا بذلك الصرف عما ينجى ، والوقوع فيما يردى ! ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ فلم يؤمنوا بها ؛ واتخذوا لقدرة الله تعالى وآياته أسبابا ؛ كقولهم : ان المطر بالنوء ، وإن الزلازل من تفاعلات أرضية ، وإن البراكين ترجع إلى أسباب طبيعية ؛ كتسرب ماء البحار وتبخره من الحرارة ومحاولته الخروج ، وإن الأرض والكواكب تدور فى أفلاكها بقوى مغناطيسية ، ودوافع جاذبية ، وإن الأرض كانت قطعة من الشمس فزالت منها ، وانفصلت عنها ؛ وهم بهذه التعلات والأسباب يحاولون أن يسندوا كل كائن إلى أسباب طبيعية ؛ يدفع بعضها بعضاً بغير حاجة إلى موجد أو إلى صانع ؛ ناسين الخالق الرازق ، القادر =

= القاهر ، العظيم الجبار ؛ فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! سبحانه «له الخلق والأمر» وهؤلاء المكذبين : كذبوا بآيات الله تعالى ﴿ولقاء الآخرة﴾ وهى القيامة ، والبعث ، والحساب ، والجزاء ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ التى عملوها فى الدنيا ؛ فلا يقام لها وزن ؛ فكم من عالم : ملأ علمه طباق الأرض ؛ وسارت مخترعاته فى طولها والعرض ؛ وهو من أهل النار : لكفره بالله ، وإيمانه بالقوى التى أوجدها الله بقدرته ومشيئته ! وكم من جاهل : صفت نيته ، وحسنت عبادته ؛ وآمن بمولاه ؛ فكان من أهل النجاة ! ﴿هل يجزون﴾ أى هل يجزى هؤلاء المكذبون الغافلون ؛ يوم القيامة من العذاب ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ أى إلا جزاء ما عملوا فى الدنيا ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أى بعد ذهابه لميقات ربه ﴿من حليهم﴾ أى مما يتحلون به من الذهب والفضة ﴿عجلا جسداً﴾ أى عجلا مجسما ﴿له خوار﴾ له صوت ؛ والخوار : صوت البقر ؛ وقد كان إبليس اللعين يدخل فى جسد العجل ، ويخور كما يخور . وقيل : صنعوه بحيث إذا تعرض للهواء : خرج منه صوت يشبه خوار العجل ﴿اتخذوه﴾ عبدوه ﴿ولما سقط فى أيديهم﴾ هو كناية عن اشتداد الحسرة والندامة ﴿ولما رجع موسى﴾ من ميقات ربه ﴿إلى قومه﴾ بعد أن تلقى أمر ربه ووحيه ﴿غضبان أسفاً﴾ مما رآهم عليه من الانصراف عن عبادة الله تعالى ؛ ـ الخالق الرازق ، الضار النافع ، السميع العليم ـ إلى عباد صنم أخرس ؛ لا يخلق ولا يرزق ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يبصر ولا يسمع ! ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ تعجلتم سخطه وغضبه وعذابه ! ﴿وألقى الألواح﴾ التى فى يده ، وفيها التوارة ، التى تلقاها عن ربه ليبلغها لهم ؛ وذلك ليتفرغ للنضال مع أخيه هرون ؛ الذى استخلفه عليهم ؛ وقد توهم أن هرون لم يقم بما استخلفه عليه ، وأهمل فى اتباع أوامره ﴿وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ فهال ذلك هرون ؛ وخشى على نفسه من أخيه موسى ، ورأى وضوح عذر موسى فى هذا الاعتداء ـ رغم أن هرون كان مضطراً ومغلوبا على أمره ـ ﴿قال﴾ هرون لموسى معتذراً ﴿ابن أم إن القوم استضعفونى﴾ بعد ذهابك ﴿وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء﴾ بما تفعله الآن معى ﴿ولا تجعلنى مع القوم الظالمين﴾ أى لا تجعلنى ـ بعدائك لى ـ فى مصاف الكافرين ! ويؤخذ من هذه الآية أن حالة الغضب لا يصح أن تقاوم بالشدة ؛ بل باللين ، خصوصاً بين متحابين ! فانظر كيف أن هرون عليه السلام حينما قابل غضب أخيه وبأسه بلينه وهدوئه : سكن موسى وطلب لنفسه ولأخيه الغفران ﴿قال رب اغفرلى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك﴾ =

خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

ٱلسُّفَهَآءُ

= التي وسعت كل شيء ﴿إن الذين اتخذوا﴾ عبدوا ﴿العجل﴾ وهم اليهود ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا﴾ غير ما أعد لهم في الآخرة من عذاب أليم مقيم! ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي سكن؛ وبه قرأ معاوية بن قرة. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن موسى عليه السلام كان من أشد الناس غضباً، وأنه من شدة غضبه صك ملك الموت ففقأ عينه. وهي فرية إسرائيلية؛ نعوذ بالله من الوقوع فيها! ﴿أخذ الألواح وفي نسختها﴾ أي فيما نسخ فيها وكتب ﴿هدى﴾ من الله ﴿ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ يخافون بطشه وعقابه ﴿واختار موسى قومه﴾ أي من قومه ﴿لميقاتنا﴾ أي للوقت الذي ضربناه له للاتيان بهم ليعتذروا عن عبادة العجل، ويستغفروا مما جنت أيديهم! ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة؛ وذلك لأنهم لم يفارقوا قومهم – حين عبدوا العجل – ولم ينهروهم على عبادته؛ وهم غير الذين سألوا الرؤية، وأخذتهم الصاعقة! ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ محنتك وابتلاؤك؛ حين كلمتني وسمعوا كلامك، فطمعوا في رؤيتك. أخذها موسى عليه السلام من قوله تعالى «فانا قد فتنا قومك من بعدك» وقد فتنهم الله تعالى بعد أن ضلوا وأضلوا، وزاغوا وأزاغوا «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا ورجعنا ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ قرأ الحسن «من أساء» من الإساءة ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ انظر كيف قيد الرحمة التي وسعت كل شيء بتقوى الله، وإيتاء الزكاة! فاعلم أيها المؤمن أن أمامك طريقين؛ أيهما سلكت جوزيت من جنس عملك: فإما أن تشح بمالك وتضحي برحمة الرحيم الرحمن؛ الذي يطمع في رحمته كل إنسان، وإما أن تؤدي ما فرضه الله تعالى عليك من الزكاة؛ فتسعك رحمته، وتشملك مغفرته! (انظر آية ١٤١ من سورة الأنعام) ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ جاء في إنجيل برنابا – على لسان عيسى عليه السلام – ما نصه: «إن كلامكم لا يعزيني؛ لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور، ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره؛ لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم، وان مما يعزيني أن لا نهاية لدينه؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً! حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا ألله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم» اصحاح ٩٧ ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ وهو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم – في الجاهلية – من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ كلحم الخنزير والميتة =

ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

= والدم ، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التى حرمها الله تعالى ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم﴾ أى يضع عنهم القيود والتشديد الذى كان على بنى إسرائيل ؛ بسبب أعمال عملوها ، وذنوب ارتكبوها ﴿فالذين آمنوا به﴾ أى بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿وعزروه﴾ عظموه ﴿واتبعوا النور الذى أنزل معه﴾ وهو القرآن العظيم ؛ وأكرم به من نور !

رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدى بها من تشاء !

وَالْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

بِمَا كَانُواْ

نور القلوب ، وشفاء الصدور ، وكلام الحكيم العليم ، العزيز الرحيم ! ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى﴾ الذى لا يقرأ ولا يكتب ؛ وأتى بما أعجز البلغاء ، وأخرس الفصحاء ! وقد أرسله الله تعالى أمياً ؛ ليكون ذلك أذهب للريبة ، وأبعد للشبهة ؛ أرسله أمياً وهو أعلم العلماء ، وأحكم الحكماء !

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية ، والتأديب فى اليتم !

﴿ومن قوم موسى﴾ يعنى بنى إسرائيل ﴿أمة﴾ جماعة ؛ آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بالحق﴾ الذى تمسكوا به ﴿وبه﴾ أى بالحق ﴿يعدلون﴾ فى أحكامهم فيما بينهم ؛ فبه يعطون ، وبه يأخذون ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون . وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها أمة فيما وراء الصين ؛ وهو ليس بشىء ﴿وقطعناهم﴾ أى فرقناهم ﴿اثنتى عشرة أسباطا﴾ الأسباط : أولاد الولد ؛ وكانوا اثنتى عشرة قبيلة ؛ من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾ طلبوا السقيا ؛ لانعدام الماء فى التيه ﴿فانبجست﴾ فانفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد الأسباط ؛ والسبط: القبيلة من اليهود ﴿قد علم كل أناس﴾ كل سبط ﴿مشربهم﴾ العين الخاصة بشربهم ﴿وأنزلنا عليهم المن﴾ وهو كل ما من الله تعالى به على عباده ؛ من غير تعب ولا نصب ﴿والسلوى﴾ كل مايتسلى به . وقيل : طائر ، ويطلق أيضا على العسل ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أى من الرزق السهل ، الحلال الطيب المباح . (انظر آيتى ١٧٢ من سورة البقرة . و ٥٨ من هذه السورة) ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس ﴿وقولوا حطة﴾ أى أمرنا حطة . وهى بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة ﴿وادخلوا الباب﴾ أى باب القرية ﴿سجداً﴾ مطأطئين الرؤس ، خاضعين لله الذى تفضل عليكم ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم﴾ فلم يقولوا «حطة» بل قالوا: حنطة فى شعيرة . ولم يسجدوا ؛ بل زحفوا على أستاههم ؛ ولم يقصدوا من وراء ذلك سوى المخالفة ﴿فأرسلنا عليهم رجزاً﴾ عذابا

﴿واسألهم من القرية التى كانت حاضرة البحر﴾ أى قريبة منه ، راكبة لشاطئه «ميناء» قيل : هى أيلة ؛ بين مدين والطور ، وقيل : هى ساحل مدين ﴿إذ يعدون﴾ يعتدون ويتجاوزون حدود الله تعالى ﴿فى السبت﴾ فى يوم السبت ــ وهو يومهم المعظم فى ديانتهم ــ وقدأمروا بعدم العمل فيه ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على وجه الماء ؛ فتنة لهم وابتلاء ؛ وإن الله تعالى ليبتلى المؤمن ليزداد أجراً بصبره ، ويبتلى الكافر ليزداد عذابا بكفره ﴿كذلك﴾ أى إتيان الحيتان وظهورها على وجه الماء فى يوم السبت ؛ الذى حرم فيه الصيد ، وعدم إتيانها فى الأيام الأخرى التى أبيح فيها ؛ كذلك ﴿نبلوهم﴾ نشدد عليهم البلاء والاختبار والامتحان ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم ، وتركهم لأمر ربهم ﴿وإذ قالت أمة﴾ طائفة ﴿منهم﴾ من بنى إسرائيل ؛ لطائفة أخرى كانت تعظ الذين اعتدوا فى السبت ، وتقول لهم : احذروا مخالفة ربكم ، والزموا أوامره . فقالت الطائفة الضالة لهذه الطائفة الآمرة بالمعروف ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم﴾ فى الدنيا بأعمالهم ﴿أو معذبهم﴾ يوم القيامة ﴿عذابا شديداً قالوا﴾ إنما نهاهم ﴿معذرة إلى ربكم﴾ أى نعظهم ليكون ذلك عذراً لنا عند ربنا ؛ إذ قمنا بما يجب علينا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ولعلهم يتقون﴾ بسبب وعظنا لهم ﴿فلما نسوا ماذكروا به﴾ أهملوه وتركوه واستمرأوا الكفر والمخالفة ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهى الطائفة التى كانت تعظهم وتنهاهم ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ شديد البؤس ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أى بخروجهم من طاعة الله تعالى إلى معصيته ﴿فلما عتوا﴾ تكبروا ﴿عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة﴾ أى كالقردة فى المهانة أو «قردة» على الحقيقة ﴿خاسئين﴾ صاغرين مطرودين ﴿وإذ تأذن ربك﴾ أى أقسم وأعلم ﴿ليبعثن عليهم﴾ أى على اليهود ﴿إلى يوم القيامة من يسومهم﴾ يقال: سامه خسفاً : إذا أولاه ذلا ﴿سوء العذاب﴾ بالقتل ، والأسر ، وأخذ الجزية . فبعث الله تعالى عليهم سليمان ، وبعده بختنصر ؛ فأعمل فيهم القتل والسبى ، وضرب الجزية على من بقى منهم؛ فكانوا يؤدونها الى المجوس ؛ حتى بعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فضربها عليهم ؛ ثم بعث الله تعالى عليهم بعد ذلك أمة الألمان ، فأرتهم من الذل والعذاب ألواناً لم يرها مخلوق من قبل ؛ حتى انهم ليجمعونهم بالآلاف ويطلقون عليهم الغاز الخانق ، ويضعونهم فى النيران ! أليس ذلك مما تأذن به المنتقم الجبار فى سالف الأزمان ؟ !

بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ

وسيظل اليهود طول العمر ، وأبد الدهر؛ تحت نير الذل والعذاب «إلى يوم القيامة» ﴿وقطعناهم﴾ =

وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ

بَعْدِهِمْ

فرقناهم ﴿في الأرض أمماً﴾ فرقا ﴿منهم الصالحون﴾ المؤمنون؛ الذين آمنوا بمحمد وبما أنزل إليه ﴿ومنهم دون ذلك﴾ أي الكافرون ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ أي امتحناهم بالنعم والنقم، والخصب والجدب، والغنى والفقر، والصحة والمرض ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى ربهم، ويتوبون من ذنوبهم، ويؤمنون بعد كفرهم. لكنهم لم يفعلوا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الخلف بالجزم: الأولاد الطالحون، وبفتح اللام: الصالحون ﴿ورثوا الكتاب﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ العرض: المتاع. والأدنى: القريب، أو الأخس الأحقر. والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ وهكذا شأن الفجار الأشرار: يعملون كل ما يؤهلهم للنار، ويطمعون في المغفرة بلا عمل ولا استغفار! ﴿وإن يأتهم عرض مثله﴾ أي مثل العرض الأدنى المذكور ﴿يأخذوه﴾ أيضاً؛ وهم في ذلك كمثل المذنب الذي يطمع في المغفرة، ولا يحاول ترك الذنوب؛ بل يصر عليها، ويداوم على فعلها. ومن المقطوع به: أنه «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الاصرار» فكيف بالكبيرة مع الإصرار؟! ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ وهو أخذ العهود عليهم بإقامة التوراة والعمل بما فيها، و ﴿أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ فلا ينسبوا إليه مالم يقله، ولا يطمعوا في مغفرته بغير توبة ولا عمل ﴿ودرسوا ما فيه﴾ أي ما في الكتاب ﴿والدار الآخرة﴾ وما فيها من نعيم مقيم ﴿خير للذين يتقون﴾ الله ويخشون عقابه ﴿والذين يمسكون﴾ يستمسكون ﴿بالكتاب﴾ ويعملون بما فيه. وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه «والذين استمسكوا بالكتاب» ﴿وأقاموا الصلاة﴾ التي أمرناهم بإقامتها ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ قلعناه ورفعناه فوق رؤوسهم ﴿كأنه ظلة﴾ الظلة: كل ما أظلك من سقف، أو سحاب ﴿وظنوا﴾ تأكدوا ﴿أنه واقع بهم﴾ لا محالة؛ حينئذ قلنا لهم ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ من الشرائع، والأوامر، والنواهي ﴿بقوة﴾ بجد وعزم واهتمام ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ قائلا لهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ بأنك ربنا. وهذا من باب التمثيل والتخييل. والمعنى: أنه تعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته، والبراهين على وحدانيته، فشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله تعالى فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهداية! فكأنه تعالى أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم «ألست بربكم» وكأنهم «قالوا بلى شهدنا» وهذا التمثيل شائع سائغ في لغة العرب وأشعارهم ﴿أن تقولوا﴾ أي أشهدناكم على أنفسكم؛ لئلا تقولوا ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا﴾ الإيمان ﴿غافلين﴾ فلم نعلم عنه شيئاً ﴿أو تقولوا =

= إنما أشرك آباؤنا﴾ بالله ﴿من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ سرنا على سيرتهم ، واتبعناهم فى عباداتهم ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ من آبائنا ﴿واتل عليهم﴾ يا محمد ﴿نبأ الذى آتيناه آياتنا﴾ قيل : هو رجل من بنى إسرائيل ؛ أوتى علماً غزيراً ، وقيل : هو أمية بن أبي الصلت . وأعجب الأقوال : قول بعض المفسرين : إنه نبي من أنبياء الله ؛ يقال له : بلعم ، أو بلعام ، وقد أنزل عليه كتابا . وهو قول باطل ؛ يرده العقل والنقل ؛ فان الله تعالى ليس كأحدنا : فيخطىء فى اصطفاء عباده ، واختيار أنبيائه ؛

بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

و «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ﴿فانسلخ منها﴾ أى كفر بها ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أى إن الشيطان جعله تابعاً له ﴿فكان من الغاوين﴾ الهالكين ؛ من غوى الفصيل : إذا هلك ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أى بهذه الآيات ؛ ووفقناه للعمل بما فيها ﴿ولكنه أخلد﴾ سكن ﴿إلى الأرض﴾ أى إلى الدنيا ، ورغب فيها ، ومال إليها ﴿واتبع هواه﴾ واتباع الهوى من أشد الموبقات المهلكات ؛ وهو إحدى موارد النار ؛ فقد خلق الله تعالى الإنسان مزيجاً بين الخير والشر؛ وأبان له عن كليهما حق التبيين: قال تعالى «ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها» ثم ميزه بالعقل الذى يعقله عن الفجور المؤدى إلى النار، وعهد له سبيل التقوى المؤدى إلى الجنة ! وما من إنسان ــ كائن من كان ــ إلا ويميز فى نفسه بين الخير والشر ، والطيب والخبيث ؛ وقد تقل قدرته على هذا التمييز، أو تنعدم أصلا ؛ إذا كان مصابا بفساد عقله ، أو بذهابه !

غير أنه لا يمكن القول بأن ثمت مخلوقا قد عدم التمييز بين الخير والشر انعداماً تاماً ؛ وهو فى تمام صحته ، وكمال عقله. بل لابد أن تكون لديه فكرة كاملة عن أن بعض الأعمال شر وبعضها خير ؛ وإذا قلنا بغير ذلك فلماذا يستخفى عن الأعين حينما يتطلب هواه منه أمراً محذورا غير مشروع ؟

حتى الحيوان الأعجم فانه يحس فى قرارة نفسه ماهو شر ، وماهو خير ، وما هو مشروع ، وما هو غير مشروع . أرأيت إلى القطة كيف استطاعت أن تميز بين ما هو مباح ، وما ليس بمباح ؛ فبينما هى تأكل ماتعطيه لها آمنة مطمئنة ؛ إذا بها تفر فراراً بما تسرق أو تخطف ، وتتوارى به عن الأعين ؛ وتنظر إليك شزراً نظر الخائف المرتعب !

فالإنسان إذا ما اتبع هواه ، ولم يستطع أن يقاوم فى نفسه قوى الشر: فقد انحط بإنسانيته إلى مرتبة هى دون مرتبة البهائم ! أما إذا قاوم هواه ، وحارب نفسه ، وألزمها الخير المحض ، وجنبها الإثم والشر: فقد ترقى =

= بها إلى مراتب الأملاك ، وصار أهلاً لخلافة الله تعالى فى أرضه ، وخليقاً بتبوىء جنته ، والتقلب فى نعمته ! ﴿فمثله﴾ أى مثل من أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴿كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ المعنى : أنه ضال سواء وعظته أم لم تعظه ؛ كالكلب إن طردته فسعى لهث . وإن تركته على حاله آمنا هادئاً لهث . وهو تمثيل ظاهر البلاغة ، بادى الروعة ؛ يضرب لطالب الدنيا وحدها ؛ فهو دائماً ذليل مهان ؛ تابع لشهواته ، عابد لملذاته ﴿فاقصص القصص﴾ عليهم ﴿لعلهم يتفكرون﴾ يتدبرون فيها ؛ فيؤمنون ﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أى بئس المثل مثلهم ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بالتكذيب ، وتعريضها للعقاب الدنيوى ، والعذاب الأخروى ﴿من يهد الله﴾ إلى دينه ﴿فهو المهتدى﴾ لأن الهداية جاءته تفضلا من لدن العزيز الكريم! ﴿ومن يضلل﴾ يتركه بغير هداية ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ «الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة» وقد أضلهم الله تعالى بعد أن ضلوا وأضلوا ! قال تعالى «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» ﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ خلقناهم ليؤمنوا بى وبرسلى ؛ فكفروا بى وكذبوا رسلى. ومهدنا لهم سبيل الهدى؛ فاتبعوا الهوى، وأبنا لهم طريق الرشد ؛ فأبوا إلا طريق الغى ﴿لهم قلوب﴾ كسائر قلوب الناس ؛ خلقناها لهم ليفقهوا بها ؛ ولكنهم وضعوا عليها أكنة وأقفالا تمنعها من الفهم ؛ فأضحوا ﴿لا يفقهون بها ولهم أعين﴾ خلقناها لهم للإبصار والاستبصار ، وللتفرقة بين النافع والضار ، وللنظر إلى دلائل قدرته تعالى بعين الاعتبار ؛ لكنهم وضعوا عليها غشاوة فعموا عن رؤية الحق ، وأصبحوا ﴿لا يبصرون بها ولهم آذان﴾ خلقناها لهم للاستماع إلى النصح والرشد ؛ لكنهم صموا عن سماع الهدى ؛ فأمسوا ﴿لا يسمعون بها﴾ فحق عليهم وصف ربهم ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ سبيلا من الأنعام ، و ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عما ينجيهم ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ سميت أسماؤه تعالى بالحسنى : لأنها حسنة اللفظ والمعنى ، حسنة فى القلب والسمع ؛ كيف لا وهى تدل على اللطف والجود ، والكرم ، والرحمة ، والرأفة ، والود ، والهداية ﴿فادعوه بها﴾ أى تقربوا إليه تعالى بها ؛ واطلبوا منه ما تشاءون بأسمائه الكريمة : فيطلب الإنسان بكل اسم ما يليق به ؛ كأن يقول : يارحيم ارحمنى ، يامعز أعزنى ، ياغفار اغفرلى ، يارزاق ارزقنى ، ياقهار اقهر من ظلمنى ، ياتواب تب على ، ياهادى اهدنى ، وهكذا .

وهذه الأسماء : صفات لذاته تعالى ؛ إذ أن اسمه العظيم الأعظم هو «الله» وعلى ذلك كبار القوم ؛ =

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ

حفي

= ألا ترى إلى قوله جل شأنه «ولله» وهو المسمى «الأسماء» أى التسميات التى يتسمى بها ، أو الصفات التى يتصف بها (انظر آية ١١٠ من سورة الإسراء) ﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿الذين يلحدون فى أسمائه﴾ أى يميلون فيها ، ويتركون القصد ؛ كما فعل المشركون فى تسمية أوثانهم : فاشتقوا اللات من «الله» والعزى من «العزيز» ﴿وممن خلقنا أمة﴾ جماعة ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ أى يحكمون بالحق عدلا ﴿وأملى لهم﴾ أمهلهم ﴿إن كيدى﴾ الكيد : المكر . والمراد به : العذاب . أى إن عذابى ﴿متين﴾ قوى شديد ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم﴾ أى ليس بصاحبهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿من جنة﴾ جنون . وكانوا يقولون : شاعر مجنون ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ بين الإنذار واضحه ﴿أولم ينظروا﴾ نظر اعتبار واستبصار ﴿فى ملكوت السموات والأرض﴾ ملكه تعالى ﴿وما خلق الله من شىء﴾ فيهما ؛ وأن كل ذلك يدل على وجود الله تعالى ووحدانيته ، ووجوب الإيمان به ، والتصديق برسله ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ فيقبضوا على ماهم عليه من تكذيب وكفر ؛ فليسارعوا فى الإيمان ، قبل فوات الأوان ! وإذا لم يؤمنوا بما سقناه لهم من الدلائل ﴿فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ أى فبأى تخويف وترهيب ، وتبشير وترغيب ؛ بعد الذى جاء به محمد لهدايتهم يهتدون ؟ ! ﴿من يضلل الله فلا هادى له﴾ أى من يتركه ربه بغير هداية: فلن يستطيع أحد هدايته. وإضلاله تعالى لايعدو أن يتركه فى طغيانه ؛ مادامت أمامه سبل الهداية فلم يحاول سلوكها ﴿ويذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ العمه : التحير والتردد ﴿يسألونك عن الساعة أيان﴾ متى ﴿مرساها﴾ إرساؤها ؛ أى إثباتها وإقرارها ووقتها ﴿لايجليها﴾ لايظهرها ﴿لوقتها إلا هو﴾ وحده لايشركه أحد ـ من ملك أو رسول ـ فى ذلك ﴿ثقلت﴾ عظمت ﴿فى السموات والأرض﴾ أى على أهلهما ؛ لما ينتظرانه فيها من أهوال ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ فجأة ﴿يسألونك كأنك حفى عنها﴾ أى كأنك عالم بها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ وحده ﴿قل لا أملك لنفسى نفعاً﴾ ألحقه بها ﴿ولا ضراً﴾ أدفعه عنها ﴿إلا ما شاء الله﴾ أن يقوينى ويعيننى عليه ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء﴾ أى لو كنت أعلم الغيب لتحريت مواضع النجاح ، ومواطن النجاة ؛ ولما كنت غالباً تارة ، ومغلوبا أخرى (انظر آية ٥٠ من سورة الأنعام) ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم عليه السلام ﴿وجعل منها﴾ من جنسها ﴿زوجها﴾ حواء ﴿ليسكن إليها﴾ ليستأنس بها ، ويطمئن إليها ﴿فلما تغشاها﴾ أى جامعها ﴿فلما أثقلت﴾ ثقل حملها ﴿دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا﴾ أى نسلا صالحا ﴿جعلا له شركاء﴾ المعنى: =

حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ

مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ

لَا يُقْصِرُونَ

= انه كان من نسل آدم عليه السلام من كفر بالله تعالى ، وجعل له شركاء فى العبادة ؛ والتثنية بالنسبة للذكر والأنثى ﴿أيشركون﴾ به فى العبادة ﴿مالا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾ يخلق الله تعالى الحجارة ـ التى هم من جنسها ـ ويخلق الإنسان منها الأصنام التى يعبدها ﴿ولا يستطيعون﴾ أى لا تستطيع الأصنام ﴿لهم﴾ أى لعابديهم ﴿نصراً﴾ على عدوهم ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ لو أراد أحد الناس بهم سوءاً ؛ وهاهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد حطمها تحطيما ، وتركها جذاذاً ؛ وقال لعبدتهم «فاسألوهم ان كانوا ينطقون» ﴿وإن تدعوهم﴾ أى وإن تدعوا هذه الآلهة ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ لأنهم لا يسمعونكم ، ولا يرونكم ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ أى سيان عندهم دعاؤكم وصمتكم ؛ فكيف يهديكم إلى الرشاد ؛ من إذا دعى إليه: استوى عنده دعاؤكم وصمتكم ؛ لأنه لا يسمع ولا يعقل ! ﴿إن الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿عباد أمثالكم﴾ مملوكون له ؛ كما أنتم له مماليك ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ يجيبوكم لما دعوتموهم إليه . وإلا فكيف تعبدون مالا يسمع ولا يعقل ؟ ! ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾ كأرجلكم ﴿أم لهم أيد يبطشون بها﴾ كأيديكم ﴿أم لهم أعين يبصرون بها﴾ كأعينكم ﴿أم لهم آذان يسمعون بها﴾ كآذانكم ؟ فاذا كانوا لم يبلغوا بعد حد العابدين المخلوقين ؛ فكيف تسوونهم بأحسن الخالقين ؟! ﴿فلا تنظرون﴾ تؤجلون وتمهلون ﴿خذ العفو﴾ العفو : ضد الجهد ؛ أى تسهل فى معاملة الناس من غير كلفة ، ولا تطالبهم بما يشق عليهم ، أو «خذ العفو» أى الزيادة . والمعنى : لا تأخذ للصدقات إلا مما زاد عن حاجتهم . قال تعالى «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» وقيل : إنها نسخت بعد نزول آية الزكاة ﴿وأمر بالعرف﴾ المعروف والجميل من الأعمال . وقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» : هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك! وحقاً إن من يرى مافعله الرسول عليه الصلاة والسلام بأعدائه ؛ بعد أن أوسعوا فى الكيد له ، وأفرطوا فى إيذائه والنيل منه! إن من يرى ذلك الإيذاء والبلاء ، ويرى بعد ذلك معاملته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ؛ بعد أن أمكنه الله تعالى منهم ، ودخل مكة ـ فاتحاً ظافراً ـ بجيش عرمرم لجب ؛ لم تر جزيرة العرب مثله من قبل ؛ يكتسح مكة ، وتطؤها خيله ؛ والبلاد جميعاً فى قبضته وتحت رحمته ؛ وقد شملها ـ مع القدرة ـ عفوه ، وعمها ـ مع القوة ـ عدله ! فلم تثره عليهم حفيظة ، أو تحفزه على الفتك بهم ضغينة ! فى حين أن مثلهم قليل عليه هلاك النفوس ، وقطع الرؤوس ! =

لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

(٨) سورة الأنفال مدنية

إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية
وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

= انظروا إلى أبى سفيان ابن حرب؛ وقد فعل بالمؤمنين ما فعل، وآذاهم أبلغ الإيذاء، وأنزل بهم صنوف البلاء: فهو الذى نكل بهم أشد التنكيل فى أحد، وزلزلهم فى الخندق، وهاج عليهم القبائل، وحرض عليهم الكفار والمنافقين! وانظروا عفو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عنه، بعد أن أمكن الله منه: فان عفوه عليه الصلاة والسلام لم يقف عند حد فك أسره وانجائه من الموت فحسب؛ بل قد من عليه بما أعظم شأنه، ورفع رأسه: فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول مكة «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» فأى معروف هذا، وأى فضل، وأى عفو؟! ورب قائل يقول: إن إكرام أبى سفيان وتكريمه، والعفو عنه: إنما كان لرفعته فى قبيلته، وكرامته على قومه. فهاهو ذا «وحشى» ذلك العبد الحبشى، الذى لا أهل له يدفعون عنه، ولا عشيرة تؤويه، ولا قبيلة تحميه؛ وهو الذى أدمى قلب المسلمين، بقتل إمام المجاهدين: عم الرسول عليه الصلاة والسلام «حمزة» سيد الشهداء؛ وقد جىء بوحشى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ وقد أسلم ـ أو تظاهر بالإسلام وقتذاك خشية القتل ـ ولا شىء حينئذ أحب إلى سائر المسلمين من أن يروا دمه؛ كما رأوا أحشاء حمزة وقد طعنه وحشى بحربته خيانة وغدراً! فلم يكن شأن الرسول معه سوى أن قال له: غيب عنى وجهك فلا أرينك!

فأى مثل هذا لضبط النفس، والعفو الجميل! وإننا لو أردنا أن نورد طرفاً مما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من كريم الخصال، وحميد الفعال: لما وسعتنا الأسفار الضخام؛ فتبارك الذى خصه بمحاسن الأخلاق! (انظر آية ٤ من سورة القلم) ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ نزغ الشيطان بينهم: أفسد وأغرى ﴿ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان﴾ الطائف: العسس. شبه به بدء وسوسة الشيطان؛ لأنه عليه اللعنة يأتى متلصصاً؛ وبعد أن يتمكن من ضحيته: يتحكم فيها بأمرها بالمنكر، ونهيها عن المعروف ﴿واخوانهم يمدونهم فى الغى﴾ أى يكونون مدداً لهم، ويعضدونهم ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ أى هلا اخترتها واختلقتها ﴿هذا بصائر﴾ أى هذا القرآن بصائر: وهو جمع بصيرة؛ وهى الحجة الواضحة ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له﴾ حال قراءته فى الجهر ﴿وأنصتوا﴾ حال قراءته فى السر. وهذا فى غير الصلاة؛ إذ «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وذهب بعضهم إلى أن الاستماع والإنصات واجبان على المأموم عند قراءة الإمام ﴿واذكر ربك فى نفسك﴾ حين استماعك للقرآن وما فيه من عظات ﴿تضرعا﴾ تذللا وتخشعاً وتواضعاً ﴿وخيفة﴾ من أن يعاقبك مولاك على تقصير =

= وقع منك ﴿ودون الجهر﴾ أى أقل من الجهر ؛ لأن الإخفاء أدخل فى الاخلاص ، وأقرب إلى حسن التفكر ﴿بالغدو﴾ هو ماقبل طلوع الشمس ﴿والآصال﴾ هو مابعد العصر إلى المغرب . والمراد: واذكر ربك فى كل وقت ﴿إن الذين عند ربك﴾ هم الملائكة .

(سورة الأنفال)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

رَبَّكُمْ

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الأنفال : الغنائم التى تزيد عن حصة المجاهدين ـ وهى الخمس من كل ماغنموه ـ وقيل: هو ماجاء من غيرقتال ؛ كفرس ، أوعبد ، أوسلاح . وقيل: هى زيادة كان يزيدها الرسول عليه الصلاة والسلام لبعض المجاهدين : تشجيعاً لهم ، وحثا لغيرهم ؛ فسألوا عن ذلك ؛ فقيل لهم ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ يضعها الرسول بأمر الله تعالى حيث يشاء ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ أى أصلحوا الأحوال التى بينكم . كقوله تعالى «بذات الصدور» أى بمضمراتها ﴿إنما المؤمنون﴾ الكاملو الإيمان : هم ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره ؛ استعظاماً له ، وتهيباً من جلاله وعزه وسلطانه ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ على إيمانهم ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ ويعتمدون، ويستعينون ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ فى أوقاتها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فلا يخافون فقراً ، ولا يخشون فاقة؛ لأنهم «على ربهم يتوكلون» ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ فتدبر أيها المؤمن الكريم هذه الآية، وسائل نفسك : هل أنت مؤمن حقاً ؟ وهل إذا ذكر الله أمامك : وجل قلبك ؟ وإذا تليت عليك آياته : زادتك إيماناً ؟ وهل أنت تنفق مما رزقك الله ، كما أمرك الله ؟ فان كنت تفعل ذلك: فأنت من السعداء الناجين ، فاهنأ بما آتاك الله تعالى من فضل ، وماوهبك من خير ! وإن كنت فى واد والمؤمنون فى واد آخر؛ فالجأ إلى الرحيم الودود ، واجأر إلى اللطيف الحميد ؛ ليتم إيمانك ، ويثبت يقينك ، ويوفقك لإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والوثوق بما عند الله ؛ فنعم القريب ، ونعم المجيب ! ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ فى جناته ﴿ومغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ وهو ما أعده الله تعالى لهم فى الجنة من لذيذ المآكل والمشارب ، وهنىء العيش ﴿كما أخرجك ربك من بيتك﴾ بالمدينة إلى بدر ﴿بالحق﴾ الذى أمر به الله ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ ذلك الخروج . المعنى : إن إصلاح ذات البين ، ووجل القلوب عند ذكر المحبوب ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: خير لكم عند ربكم ؛ كما أن إخراج محمد عليه الصلاة والسلام من بيته كان خيراً له ! =

= ﴿يجادلونك في الحق﴾ مجاهدة العدو ﴿بعد ماتبين﴾ لهم النصر ؛ بوعد الله تعالى به . وذلك انهم خيروا بين العير والنفير ، فاختاروا العير ﴿كأنما يساقون﴾ حين تأمرهم بالقتال ﴿إلى الموت وهم ينظرون﴾ وكان ذلك في وقعة بدر ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام في تجارة عظيمة ، وخرج أبو جهل بجميع أهل مكة لتلقي العير ، والمحافظة عليها ؛ ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام ؛ فقال : يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما قريشاً . فاستشار الرسول صلى الله تعالى عليه

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

وسلم أصحابه ؛ فاختاروا العير لخفة الحرب ، وكثرة الغنيمة . وهذا معنى قوله تعالى ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ والشوكة : السلاح . فقام عند ذلك أبو بكر ، وعمر ، وسعد بن عبادة ، والمقداد بن عمرو ، وسعد بن معاذ ؛ رضي الله تعالى عنهم ، وقالوا فأحسنوا القول ، وكان مما قاله المقداد بن عمرو : يارسول الله امض إلى حيث أمرك الله فنحن معك ؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى «إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ! فو الذي بعثك بالحق لئن سرت بنا إلى برك الغماد(١) لجالدنا معك دونه حتى تبلغه ! ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ودعا لهم بخير ؛ وقال : سيروا على بركة الله تعالى ! وكان ما كان مما هو مدون في كتب السير . ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ يقال : ردفه : إذا تبعه . وأردفته إياه : إذا أتبعته ﴿وما جعله الله﴾ أي ما جعل ذلك الإمداد ﴿إلا بشرى﴾ لكم ﴿ولتطمئن به قلوبكم وما النصر﴾ بالكثرة ، ولا بالمعاونة ؛ وإنما هو في الحقيقة لا يكون ﴿إلا من عند الله﴾ ينصر الأقل الأذل ، على الأكثر الأعز ـ متى شاء ـ بإرادته وقوته ﴿إن الله عزيز﴾ قوي غالب ، لايغلب أبداً ﴿حكيم﴾ في سائر أموره وتقديراته ؛ فاذا قدر النصر فلمنة ، وإذا قدر الهزيمة فلحكمة ! ﴿إذ يغشيكم النعاس﴾ النوم ﴿أمنة﴾ أمناً لكم ؛ إذ أنه من المعلوم أن الخائف لاينام ؛ ولكن الله تعالى ربط على قلوبهم ، وحال بينهم وبينها ؛ فأمنوا في موطن الخوف ، وخاف الكافرون في موضع الأمن ! والنعاس في القتال : أمن من الله ، وفي الصلاة : رجز من الشيطان ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ قيل: كانوا على غير ماء ، وأصبحوا مجنبين ؛ فنزل المطر كالسيل ؛ فشربوا وتطهروا ﴿ويذهب عنكم رجز =

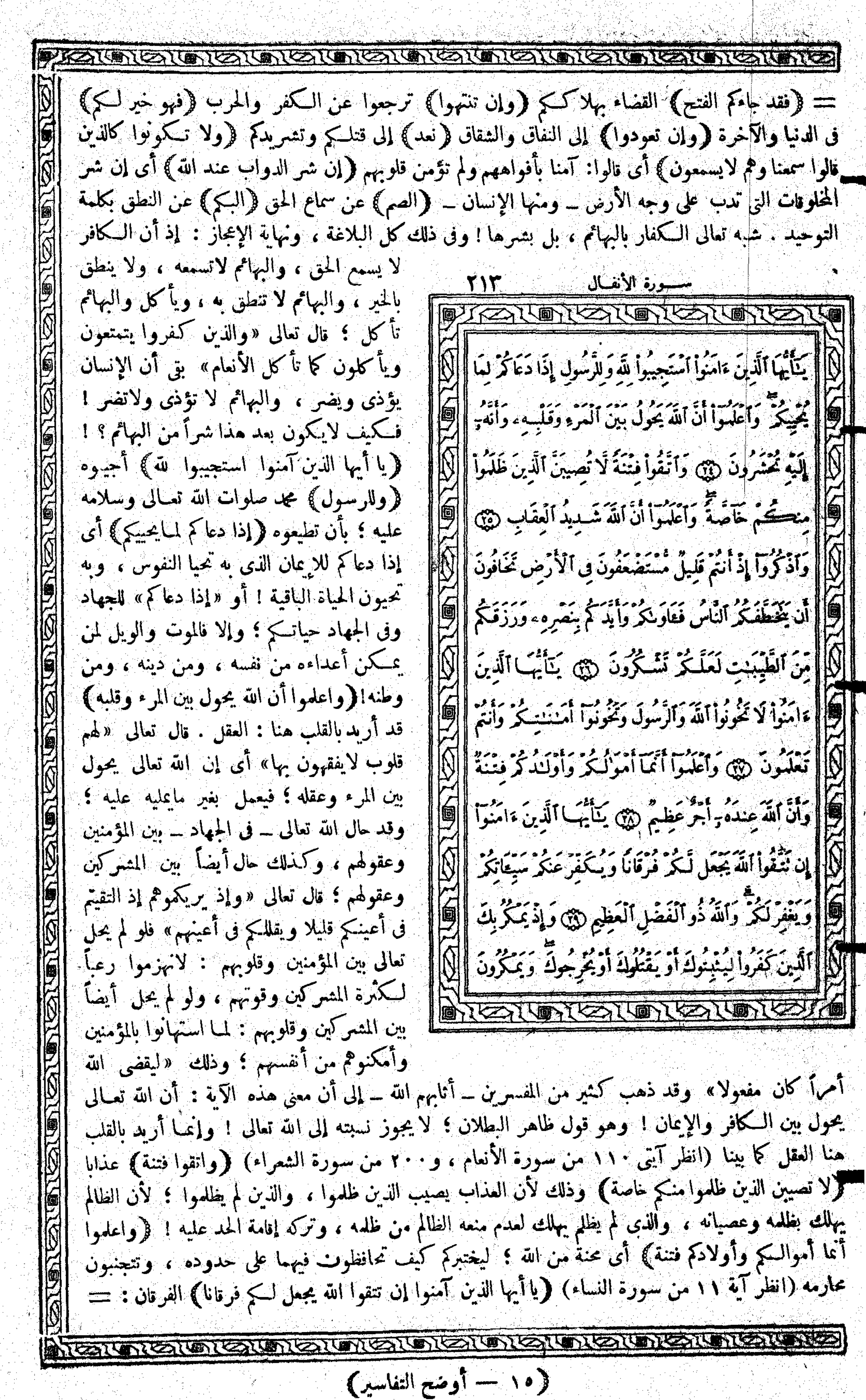
(١) برك الغماد : قالت العرب : إنه أقصى معمور الأرض . وقيل : هو مدينة الحبشة .

دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

يَٰٓأَيُّهَا

= الشيطان) بعد أن وسوس إليهم فى منامهم بما أصبحهم مجنبين ﴿وليربط على قلوبكم﴾ يقويها بالصبر؛ وأنهم قد أصبحوا متطهرين ﴿ويثبت به الأقدام﴾ عند لقاء العدو ، قيل : كانوا يتنقلون فى حربهم على كثبان من رمل تسوخ فيه الأقدام؛ فتلبد الرمل من الماء وثبتت عليه أقدامهم عند اللقيا ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ البنان: أطراف الأصابع ، أو هى الأصابع كلها؛ وذلك لجعلهم عاجزين عن إمساك السيوف ، ومقاتلة المسلمين مرة ثانية ﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾ خالفوا وعادوا ﴿ذلكم﴾ القتل والأسر والذل ﴿فذوقوه﴾ أيها الكافرون فى الدنيا ﴿وأن للكافرين﴾ فى الآخرة ﴿عذاب النار﴾ وغضب الجبار ﴿زحفا﴾ مجتمعين مهاجين ﴿إلا متحرفا لقتال﴾ أى جاعلا القتال حرفة له ، متقنا لها؛ وقد فر ليكر ، وتظاهر بالهزيمة ، ليفوز بالغنيمة ﴿فقد باء﴾ رجع ﴿بغضب من الله﴾ وشتان بين من رجع بالفوز والغنيمة ، أو الأجر والشهادة؛ وبين من «باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير!» ﴿فلم تقتلوهم﴾ أى لم تقتلوا من قتل من الأعداء بأيديكم ورماحكم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ بأيدى ملائكته ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ وذلك حين رمى سيد الكونين صلوات الله تعالى وسلامه عليه جيوش المشركين بقبضة من تراب، وقال : شاهت الوجوه! فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه منها ، ولم يستطع الابصار؛ وتسبب من ذلك هزيمتهم ونصر المؤمنين!

هذا وقد استدل كثير من الفضلاء بهذه الآية على أن سائر أفعال الخلق المكتسبة؛ هى من الله وحده؛ فقد نفى عنهم الفعل والانجاز؛ ألا ترى إلى قوله «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى» فنفى عنهم القتل ، وعن الرسول عليه الصلاة والسلام الرمى؛ وقد حصل كلاهما؛ فكذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى . وقد فاتهم أنه مما لاخلاف فيه أن سائر أعمال الخير مصدرها من الله تعالى ، أما أعمال الشر فهى من الإنسان وحده؛ قال تعالى «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» وقد نسب الله تعالى إلى نفسه قتل المشركين ورميهم بالحصباء؛ وهما خير وحسنة وإذا قلنا بغير ذلك : كانت أعمال الكفار أيضاً : من الله إنشاؤها وإنجازها؛ وهذا مالم يقل به مؤمن «وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» ﴿وليبلى﴾ ينعم ويعطى ﴿المؤمنين منه﴾ من فضله ﴿بلاء حسناً﴾ عطاء كثيرا من الغنائم ﴿ذلكم﴾ النصر والغنيمة حق ﴿وأن الله موهن﴾ مضعف ﴿إن تستفتحوا﴾ أى إن تطلبوا القضاء أيها الكفار =



= ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ القضاء بهلاككم ﴿وإن تنتهوا﴾ ترجعوا عن الكفر والحرب ﴿فهو خير لكم﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿وإن تعودوا﴾ إلى النفاق والشقاق ﴿نعد﴾ إلى قتلكم وتشريدكم ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ أى قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ أى إن شر المخلوقات التى تدب على وجه الأرض ــ ومنها الإنسان ــ ﴿الصم﴾ عن سماع الحق ﴿البكم﴾ عن النطق بكلمة التوحيد . شبه تعالى الكفار بالبهائم ، بل بشرها ! وفى ذلك كل البلاغة ، ونهاية الإعجاز : إذ أن الكافر

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ

لا يسمع الحق ، والبهائم لاتسمعه ، ولا ينطق بالخير ، والبهائم لا تنطق به ، ويأكل والبهائم تأكل ؛ قال تعالى «والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام» بقى أن الإنسان يؤذى ويضر ، والبهائم لا تؤذى ولاتضر ! فكيف لايكون بعد هذا شراً من البهائم ؟ ! ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله﴾ أجيبوه ﴿وللرسول﴾ محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ بأن تطيعوه ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ أى إذا دعاكم للإيمان الذى به تحيا النفوس ، وبه تحيون الحياة الباقية ! أو «إذا دعاكم» للجهاد وفى الجهاد حياتكم ؛ وإلا فالموت والويل لمن يمكن أعداءه من نفسه ، ومن دينه ، ومن وطنه ! ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قد أريد بالقلب هنا : العقل . قال تعالى «لهم قلوب لايفقهون بها» أى إن الله تعالى يحول بين المرء وعقله ؛ فيعمل بغير مايمليه عليه ؛ وقد حال الله تعالى ــ فى الجهاد ــ بين المؤمنين وعقولهم ، وكذلك حال أيضاً بين المشركين وعقولهم ؛ قال تعالى «وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم» فلو لم يحل تعالى بين المؤمنين وقلوبهم : لانهزموا رعباً لكثرة المشركين وقوتهم ، ولو لم يحل أيضاً بين المشركين وقلوبهم : لما استهانوا بالمؤمنين وأمكنوهم من أنفسهم ؛ وذلك «ليقضى الله أمراً كان مفعولا» وقد ذهب كثير من المفسرين ــ أثابهم الله ــ إلى أن معنى هذه الآية : أن الله تعالى يحول بين الكافر والإيمان ! وهو قول ظاهر البطلان ؛ لا يجوز نسبته إلى الله تعالى ! وإنما أريد بالقلب هنا العقل كما بينا (انظر آيتى ١١٠ من سورة الأنعام ، و ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿واتقوا فتنة﴾ عذابا ﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وذلك لأن العذاب يصيب الذين ظلموا ، والذين لم يظلموا ؛ لأن الظالم يهلك بظلمه وعصيانه ، والذى لم يظلم يهلك لعدم منعه الظالم من ظلمه ، وتركه إقامة الحد عليه ! ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أى محنة من الله ؛ ليختبركم كيف تحافظون فيهما على حدوده ، وتتجنبون محارمه (انظر آية ١١ من سورة النساء) ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ الفرقان : =

= النصر والبرهان ، ولعل المراد بذلك : يجعل لكم عقلا راجحاً تفرقون به بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين النفع والضر (ويكفر) يمح ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ يكيدوا لك ﴿ليثبتوك﴾ ليحبسوك ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ قالوا هذه القالة ؛ وحينما تحداهم بقوله «قل فأتوا بسورة مثله» ركنوا إلى الفرار وولوا الأدبار ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ لقد وصف الله تعالى هؤلاء البهم بأدق ما يوصف به أمثالهم : حيث قال «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا» وكيف لا يكون كالأنعام ـ بل أسوأ حالا من الأنعام ـ من يقول هذا القول ؟ ! وكان الأليق بمن يتصف بالآدمية والإنسانية ؛ أن يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ، ووفقنا إلى اتباعه ! ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ وقدجرت عادته تعالى ألا يعذب أمة إلا بعد إخراج نبيها والمؤمنين منها ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ قيل : كان المشركون يقولون عند طوافهم بالبيت: غفرانك غفرانك. وقيل: أريد بالمستغفرين : المؤمنين المستضعفين ؛ وهو كقوله تعالى «ولو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما» وقد ذهب المفسرون إلى أنه كان فيهم أمانان : نبي الله تعالى والاستغفار ؛ فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بموته ، وبقي الاستغفار . وقد فاتهم أن الذى ذهب من الأمانين هو الاستغفار ؛ لا الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ إذ لم يبق الآن مستغفر؛ وإذا استغفر إنسان: فاستغفاره فى حاجة إلى استغفار ! أما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بين ظهرانينا ـ بل بين جوانحنا ـ إلى يوم نلقى الله ؛ ممتعين باستغفاره لذنوبنا ، وشفاعته لنا إن شاء الله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم«تعرض على أعمالكم ؛ فإن وجدت خيراً حمدت الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم» ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ هو تأييد لما تقدم : أى لولا وجودك فيهم ، ووجود المستغفرين بينهم : لعذبهم الله تعالى ؛ لأنهم مستحقون للعذاب فعلا ؛ بسبب أنهم ﴿يصدون﴾ يمنعون المؤمنين ﴿عن المسجد الحرام﴾ يمنعونهم عن دخوله ، والطواف به ﴿وما كانوا﴾ أى وما كان هؤلاء المشركون الصادون ﴿أولياءه﴾ أى لا ولاية لهم على المسجد الحرام حتى يمنعوا الناس من الطواف به ﴿إن﴾ ما ﴿أولياؤه إلا المتقون﴾ الذين يخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ! ﴿وما كان صلاتهم﴾ أى دعاؤهم ﴿عند البيت الامكاء﴾ صفيرا ﴿وتصدية﴾ تصفيقاً ؛ وقد كانت قريش يطوفون بالبيت عراة ؛ يصفقون ويصفرون ؛ كما يفعل اليوم بعض من يدعون الولاية والجذب فى كثير من مجالسهم =

وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ

ٱلطَّيِّبِ

المختصة بذكر الله تعالى وعبادته ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾ لأنهم لن ينالوا مايبتغونه؛ وسيتم الله تعالى نعمته باكمال دينه! ﴿ثم يغلبون﴾ فى الدنيا؛ بالقتل وذهاب الأموال، والخزى ﴿ليميز﴾ يفصل ﴿الخبيث﴾ الكافر ﴿من الطيب﴾ المؤمن؛ فيجعل الخبيث فى نيران الجحيم والطيب فى جنات النعيم! أو هو عام فى كل شىء: فى العبادات، والمعاملات، والنفقات والصدقات، وفى سائر الأعمال التى يخبثها الرياء، والأذى، والمن. ويطيبها الإخلاص فى الطاعات، وتطهير السر والعلن! ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه﴾ يجمعه ويجعله متراكما ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا﴾ يرجعوا عن الكفر ﴿يغفر لهم ماقد سلف﴾ ماقد مضى من ذنوبهم؛ لأن الإيمان يجب ماقبله ﴿وإن يعودوا﴾ إلى الكفر بعد انتهائهم عنه ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ أى طريقتنا فى معاملة الكافرين؛ وهى إهلاكهم واستئصالهم؛ فكذا نفعل بهم ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ حتى لا يكون شرك ﴿فان انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فان الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم عليه ﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان، وبان منهم العدوان ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم ومعينكم ﴿واعلموا أنما غنمتم من شىء﴾ من مال الكفار فى القتال ﴿فأن لله خمسه﴾ يأمر فيه تعالى بما يشاء؛ وأربعة الأخماس للمحاربين الغانمين؛ وقد قسم الله تعالى الخمس على خمسة ﴿وللرسول ولذى القربى﴾ قرابته صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿واليتامى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم ﴿والمساكين﴾ ذوى الحاجة من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ الذى انقطع به الطريق فى السفر ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا﴾ أى وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والمعجزات، والملائكة الذين أنزلناهم لنصرته ﴿يوم الفرقان﴾ يوم النصر، وهو يوم بدر؛ وسمى «يوم الفرقان» لأنه يوم فرق الله تعالى به بين باطل المشركين، وحق المؤمنين ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ جانب الوادى القريب وهو من الدنو ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ جانب الوادى البعيد ﴿والركب﴾ أى ركب المشركين ﴿أسفل منكم﴾ فى مكان منخفض؛ مما يلى البحر ﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والأعداء، على هذا اللقاء ﴿لاختلفتم فى الميعاد ولكن﴾ تم هذا التوافق ﴿ليقضى الله أمراً كان مفعولا﴾ وهو نصر الإسلام، ومحق الكفر، وإعلاء كلمة الله تعالى

ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ

﴿ليهلك﴾ ليكفر ﴿من هلك﴾ من كفر ﴿عن بينة﴾ حجة واضحة؛ هي انخذالهم ـ وهم الأكثرون الأقوياء وانتصار المؤمنين عليهم ـ وهم الأقلون الضعفاء ـ ﴿ويحيا﴾ يؤمن ﴿من حي﴾ من آمن ﴿عن بينة﴾ حجة ظاهرة. وأي حجة أبين وأظهر من غلبة الضعيف للقوي وانهزام الجيش اللجب، ذي السطوة والقوة. أمام شر ذمة لاحول لها ولا طول الا بالله ذي العزة والمنعة! ولم تكن البينة في انتصار الضعفاء على الأقوياء فحسب؛ بل لقد رأى المسلمون ـ وهم الأقلون ـ الكافرين قليلا ـ وهم الأكثرون ـ ورأى الكافرون المسلمين كثيراً؛ فانخلعت قلوبهم، وأمكن الله تعالى منهم! ولم تكن بينة الله تعالى ـ التي جعلها فيصلا بين الكفر والإيمان ـ قائمة على انتصار الضعفاء على الأقوياء، ورؤية الأقلين للأكثرين قليلا، والأكثرين للأقلين كثيرا؛ لم يكن هذا وحده؛ بل رأى المسلمون والكافرون في هذه المعركة جنود الله تعالى من الملائكة جهارا تنكل بالكافرين تنكيلا، وتحصد عتاة المشركين وسراتهم حصدا؛ ولقد كان المؤمن يقصد الكافر بسيفه؛ فتطيح رأس الكافر قبل أن يصل سيف المؤمن إلى عنقه ﴿إذ يريكهم الله﴾ أي يريك الكفار ﴿في منامك قليلا﴾ فسررت واطمأننت لذلك، وأخبرت أصحابك فسروا واطمأنوا ﴿ولو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾ جبنتم ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي لترددتم بين الثبات والفرار ﴿ولكن الله سلم﴾ بما أراك في منامك؛ مما تقوى به قلوبكم، وتشتد به عزائمكم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بمكنونات القلوب وماخفي فيها ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم﴾ في القتال ﴿في أعينكم قليلا﴾ كما أراكهم في منامك ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ قلة تزيد عن قلتكم؛ ليطمعوا فيكم، ويقدموا على قتالكم، ولايحجموا عن حربكم؛ وكان ذلك قبل الالتحام؛ فلما التحم الفريقان أراهم إياكم مثليهم؛ قال تعالى «يرونهم مثليهم رأي العين»

أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ

ٱلنَّاسِ

﴿ولاتنازعوا﴾ تتنازعوا ﴿فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ أي تضعفوا وتذهب قوتكم، وتدول دولتكم ﴿ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾ طغيانا ﴿ورئاء الناس﴾ أي رياء وهم أهل مكة حين نفروا لحماية العير؛ فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم. فأبى أبوجهل، وقال: حتى نقدم بدراً، وننحر بها الجزور، ونشرب الخمور، وتعزف القيان؛ ونطعم العرب ـ فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم ـ فوافوها: فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان؛ فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم: بطرين، طربين، مرائين ﴿ويصدون﴾ يمنعون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ التي عملوها في معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿وقال﴾ لهم الشيطان؛ تقوية لقلوبهم ﴿لاغالب لكم اليوم

من الناس﴾ وقد ظهر لهم الشيطان على صورة سيد الناحية التي تم فيها القتال ﴿وإني جار﴾ أي مجير ﴿لكم فلما تراءت الفئتان﴾ تلاقى الجمعان ﴿نكص﴾ رجع الشيطان ﴿على عقبيه﴾ هارباً ﴿وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾ وذلك حين رأى إبليس اللعين، الملائكة المقربين؛ يضربون الكفار مع المسلمين؛ فقال «إني أرى» بعيني رأسي «مالا ترون» أنتم ﴿إني أخاف الله﴾ كذب اللعين في هذا القول؛ ولكنه قاله حينما رأى ألا حول له ولا قوة في هذا اليوم: فركن إلى الفرار، وولى الأدبار ﴿إذ يقول المنافقون﴾ وهم الذين أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفران ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ شرك ونفاق ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم؛ فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، إلى زهاء ألف! ثم قال تعالى رداً عليهم ﴿ومن يتوكل على الله﴾ يعتمد عليه، ويلجأ إليه ﴿فان الله﴾ ناصره ومعينه؛ لأنه تعالى ﴿عزيز﴾ غالب لا يغلب ﴿حكيم﴾ في صنعه (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ يقبضون أرواحهم بأمر ربهم؛ فلا ينزعونها برفق؛ بل ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ بمقامع من حديد؛ تعذيباً لهم ﴿و﴾ يقال لهم في الآخرة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ جزاء كفركم وعنادكم ﴿كدأب﴾ كشأن وعادة ﴿آل فرعون﴾ في كفرهم وعنادهم، وتعذيبهم بعد موتهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أهلكهم في الدنيا بسببها ﴿ذلك﴾ العذاب والانتقام ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ أي إنه لا يجوز في حكمته تعالى أن يسلب قوما نعمة أنعمها عليهم؛ إلا إذا استوجبوا سلبها بما ارتكبوه من إثم! ونعمته تعالى التي أنعمها على قريش: هي بعثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم؛ فلما غيروها بالإيذاء، والإخراج، والتكذيب، والمحاربة: غير الله تعالى نعمته عليهم باهلاكهم يوم بدر؛ كما فعل بالأمم الماضية قبلهم؛ ممن عصى وطغى وبغى!

ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ

فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ

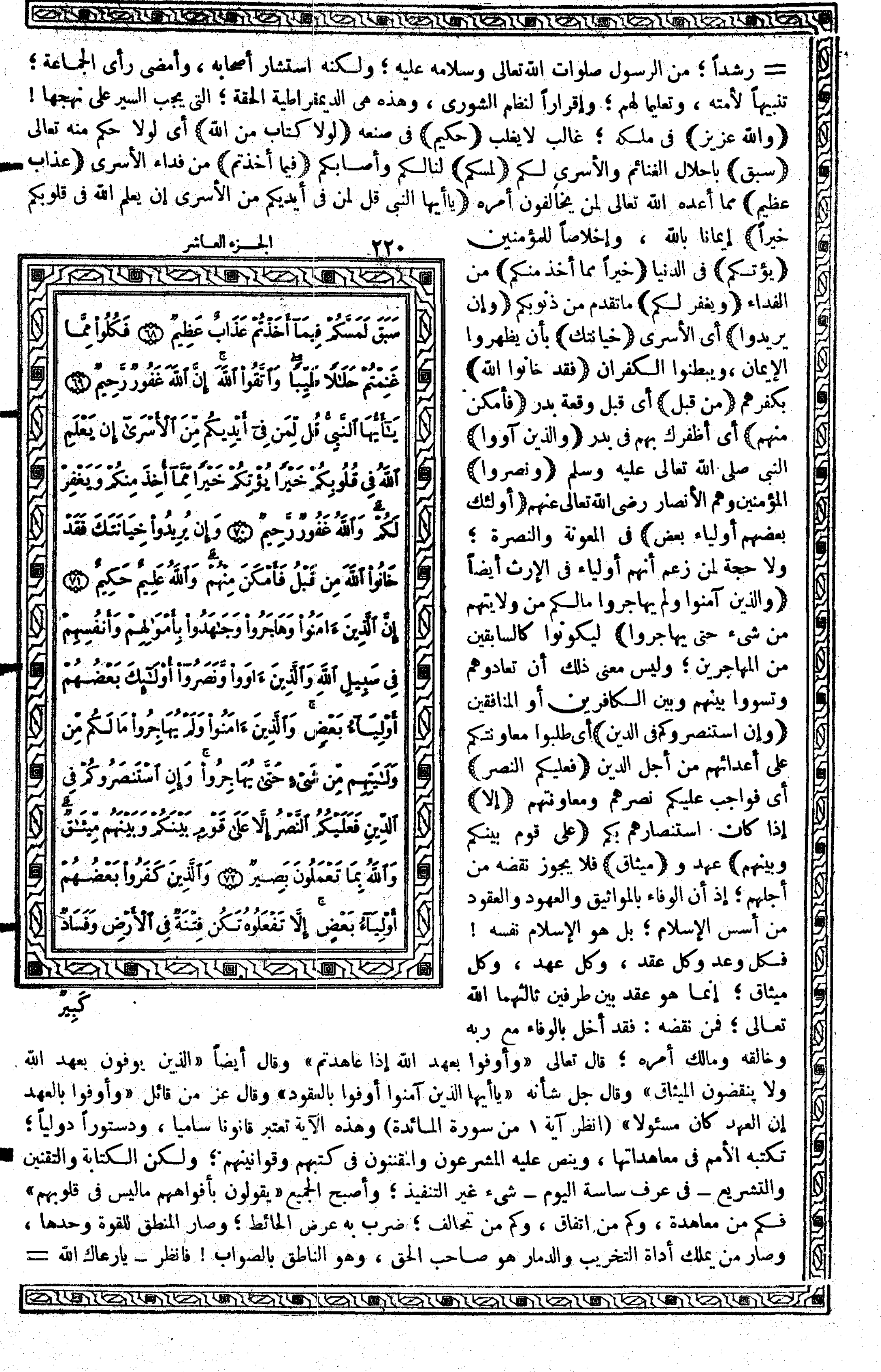
حَسْبَكَ

﴿إن شر الدواب عند الله﴾ الدواب: كل ما يدب على وجه الأرض؛ وأكثر ما يطلق على العجماوات، وقد نزل الله تعالى بالإنسان الكافر إلى مصاف الحيوان؛ بل هو - في الحقيقة - شر من الحيوان! ﴿فإما تثقفنهم﴾ فان تصادفتهم ﴿في الحرب فشرد بهم من خلفهم﴾ فاقتلهم شر قتلة، واضربهم الضربة القاضية؛ التي تجعل من وراءهم يفرون مشردين، ويتفرقون خائفين جزعين ﴿وإما﴾ وإن ﴿تخافن من قوم﴾ بينك وبينهم عهد ﴿خيانة﴾ للعهد، ونقضاً للمواثيق التي بينكما ﴿فانبذ إليهم﴾ أي اطرح إليهم عهدهم، وعرفهم أنك قد قابلت نقضهم للعهد، بنقضك له أيضاً ﴿على سواء﴾ لتكونوا مستوين في معرفة نقض العهد؛ وليكون ذلك بمثابة إعلان الحرب عليهم؛ فلا يؤخذون على غرة، ويكون ذلك منافياً لما عرف عن الإسلام والمسلمين من الفضائل والشمائل، وتوافر المروءة؛ حتى في عداوتهم! ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ ولو مع أعدائهم؛ فقد نال المسلمون بأخلاقهم - من أعدائهم - أكثر مما نالوه بسيوفهم؛ فتعالى المربي الأعظم! ﴿ولا يحسبن الذين كفروا﴾ أنهم ﴿سبقوا﴾ أي فاتوا الله تعالى، ونجوا من عقابه ﴿إنهم لا يعجزون﴾ أي لا يفوتونه؛ بل سيدركهم عقابه في الدنيا، وعذابه ومقته في الآخرة! ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ من عجب أن يعد لنا العدو السيف والسنان، ونعد له أطراف اللسان؛ وهيهات هيهات أن يكسب اللسان حقاً أكسبه السنان؛ وهاهي ذي تعاليم الرحمن، ومن هو أعلم بالإنسان من الإنسان؛ تقول «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» فليتنبه الغافل، وليتدبر العاقل! ﴿ومن رباط الخيل﴾ ربطها وحبسها للجهاد في سبيل الله تعالى. والرباط من الخيل: الخمس فما فوقها؛ وتجمع على «ربط» وبها قرأ الحسن وعمرو بن دينار وغيرهما ﴿ترهبون به﴾ تخوفون برباط الخيل ﴿عدو الله وعدوكم﴾ وهم اليهود وكفار مكة ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي وأعداء آخرين غير هؤلاء الأعداء؛ وهم المنافقون. وقيل: هم فارس والروم. وقيل: هم الجن؛ لقوله تعالى ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ وهو ينطبق على المنافقين أيضاً؛ لأنهم غير معلومين؛ وقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إن الجن لا تقرب داراً فيها فرس، وأنها تهرب من صهيل الخيل» ﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم﴾ للمسالمة وعدم الحرب ﴿فاجنح لها﴾ مل إليها؛ أي إلى السلم كما مالوا إليه ﴿وتوكل على الله﴾ وحده ﴿إنه هو السميع﴾ لقولك ﴿العليم﴾ بحالك (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ يمكروا ويغدروا بك

﴿فان حسبك الله﴾ كافيك ﴿يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾ التحريض: المبالغة فى الحث على الأمر ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون﴾ على مرضات ربهم وطاعته ، يجاهدون أعداء الله تعالى ابتغاء جنته ﴿يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ نتيجة العدد فى الفرضين واحدة؛ وهو أن الواحد من المؤمنين الصابرين؛ يغلب العشرة من الكافرين؛ وإنما كررها تعالى ليبين لنا أن زيادة العدد أو نقصانه لا يؤثران فى الغلبة: فسواء كان المجاهد واحداً أو ألفاً؛ فان الواحد يغلب العشرة، والألف يغلب العشرة الآلاف؛ مع اشتراط الصبر فى هذا، والكفر فى ذاك ﴿بأنهم﴾ أى تلك الغلبة بسبب أن الكافرين ﴿قوم لا يفقهون﴾ لأنهم يقاتلون بغير احتساب وطلب ثواب؛ فيقل ثباتهم، وتضعف عزيمتهم. وقد كان ذلك عند بدء الإسلام، وقلة معتنقيه، وكثرة أعدائه ومحاربيه؛ فلما نما الإسلام، وزاد المسلمون: خفف الله تعالى عنهم ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله﴾ بقوته ومعونته ﴿والله مع الصابرين﴾ بالعون والنصر، والإمداد ﴿ما كان لنبى﴾ ماصح وماجاز ﴿أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض﴾ الإثخان: كثرة القتل؛ وذلك حتى يذل الكفر باشاعة القتل فى أهله، ويعز الإسلام والمسلمين بالاستيلاء والقهر؛ ثم يكون بعد ذلك الأسر. وقد روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بسبعين أسيراً ـ فيهم العباس عمه وعقيل ـ فاستشار النبى أصحابه فيهم؛ فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه: قومك وأهلك، استبقهم لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك. وقال عمر رضى الله تعالى عنه: كذبوك وأخرجوك، فقدمهم واضرب أعناقهم؛ فان هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله قد أغناك

حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ

عن الفداء: مكن علياً من عقيل، وحمزة من العباس، ومكنى من فلان ـ لنسيب له ـ فلنضرب أعناقهم! فقال عليه الصلاة والسلام: مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم؛ حيث قال «ومن عصانى فانك غفور رحيم» ومثلك ياعمر كمثل نوح؛ حيث قال «رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم؛ فقالوا: بل نأخذ الفداء ـ فاستشهدوا بأحد ـ فلما أخذوا الفداء نزلت هذه الآية ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ أى متاعها؛ ويعنى به ماأخذ من فدية الأسرى ﴿والله يريد﴾ لكم ﴿الآخرة﴾ ومافيها من نعيم مقيم! وفى هذه القصة من احترام الشورى، والنزول على رأى الأغلبية مافيه؛ وليس من أحد أوسع حكمة، وأسد رأياً، وأهدى =



= رشداً ؛ من الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ ولـكنه استشار أصحابه ، وأمضى رأى الجماعة ؛ تنبيهاً لأمته ، وتعليما لهم ؛ وإقراراً لنظام الشورى ، وهذه هى الديمقراطية الحقة ؛ التى يجب السير على نهجها ! ﴿والله عزيز﴾ فى ملكه ؛ غالب لا يغلب ﴿حكيم﴾ فى صنعه ﴿لولا كتاب من الله﴾ أى لولا حكم منه تعالى ﴿سبق﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لـكم ﴿لمسكم﴾ لنالـكم وأصـابكم ﴿فيما أخذتم﴾ من فداء الأسرى ﴿عذاب عظيم﴾ مما أعده الله تعالى لمن يخالفون أمره ﴿يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً﴾ إيمانا بالله ، وإخلاصاً للمؤمنين ﴿يؤتـكم﴾ فى الدنيا ﴿خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء ﴿ويغفر لـكم﴾ ما تقدم من ذنوبكم ﴿وإن يريدوا﴾ أى الأسرى ﴿خيانتك﴾ بأن يظهروا الإيمان ، ويبطنوا الـكفران ﴿فقد خانوا الله﴾ بكفرهم ﴿من قبل﴾ أى قبل وقعة بدر ﴿فأمكن منهم﴾ أى أظفرك بهم فى بدر ﴿والذين آووا﴾ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ونصروا﴾ المؤمنين وهم الأنصار رضى الله تعالى عنهم ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ فى المعونة والنصرة ؛ ولا حجة لمن زعم أنهم أولياء فى الإرث أيضاً ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالـكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا﴾ ليكونوا كالسابقين من المهاجرين ؛ وليس معنى ذلك أن تعادوهم وتسووا بينهم وبين الـكافرين أو المنافقين ﴿وإن استنصروكم فى الدين﴾ أى طلبوا معاونتكم على أعدائهم من أجل الدين ﴿فعليكم النصر﴾ أى فواجب عليكم نصرهم ومعاونتهم ﴿إلا﴾ إذا كان استنصارهم بكم ﴿على قوم بينكم وبينهم﴾ عهد و ﴿ميثاق﴾ فلا يجوز نقضه من أجلهم ؛ إذ أن الوفاء بالمواثيق والعهود والعقود من أسس الإسلام ؛ بل هو الإسلام نفسه ! فـكل وعد وكل عقد ، وكل عهد ، وكل ميثاق ؛ إنما هو عقد بين طرفين ثالثهما الله تعالى ؛ فمن نقضه : فقد أخل بالوفاء مع ربه وخالقه ومالك أمره ؛ قال تعالى «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» وقال أيضاً «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق» وقال جل شأنه «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» وقال عز من قائل «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» (انظر آية ١ من سورة المائدة) وهذه الآية تعتبر قانونا ساميا ، ودستوراً دولياً ؛ تكتبه الأمم فى معاهداتها ، وينص عليه المشرعون والمقننون فى كتبهم وقوانينهم ؛ ولـكن الـكتابة والتقنين والتشريع ـ فى عرف ساسة اليوم ـ شىء غير التنفيذ ؛ وأصبح الجميع «يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم» فـكم من معاهدة ، وكم من اتفاق ، وكم من تحالف ؛ ضرب به عرض الحائط ؛ وصار المنطق للقوة وحدها ، وصار من يملك أداة التخريب والدمار هو صاحب الحق ، وهو الناطق بالصواب ! فانظر ـ يارعاك الله =

سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ

= وهداك - إلى تشريع مولاك: «وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر؛ إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق!» فتعالى الله الملك الحق؛ الهادى للرشاد والسداد ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ ظاهر الآية: إثبات موالاة الكافرين لبعضهم؛ وحقيقتها طلب كف المؤمنين عن موالاتهم، وإيجاب مباعدتهم ﴿إلا تفعلوه﴾ أى إن لم تفعلوا ما أمرت به من نظام الحرب، والإثخان فى الأرض قبل اتخاذ الأسرى، وولاية المهاجرين والمؤمنين، ونصرة من يستنصر من المسلمين - مع المحافظة على العهود والمواثيق - وعدم موالاة الكافرين؛ فإن لم تفعلوا ذلك ﴿تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير﴾ لأن ذلك مؤد إلى انهزامكم، واستيلاء العدو على بلادكم، وعدم الثقة فى عهودكم ومواثيقكم ﴿وأولوا الأرحام﴾ أى ذووا القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ فى البر، والإنفاق والإحسان. والرحم: وعاء الولد ومنبته. وأطلق على القرابات: لأنه أصلها وسببها.

كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّة
إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان
وآياتها ١٢٩ نزلت بعد المائدة

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ

(سورة التوبة)

﴿براءة﴾ اختلف فى التسمية فى ابتداء هذه السورة - كسائر سور القرآن الكريم - فعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم: أن بسم الله الرحمن الرحيم: أمان، وبراءة نزلت لرفع الأمان. وهو قول غير جائز - ولعله قد دس على الراوين - فالله جل شأنه: رحيم ورحمن؛ سواء أمر بالقتال، أو أمر بالسلم، أمر بالعذاب، أو أمر بالثواب! وقال بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: إن الأنفال وبراءة سورة واحدة؛ نزلت فى القتال. وهو قول خير من سابقه، ولا بأس به. و ﴿براءة﴾ أى تخلص وتبرؤ من المواثيق والعهود وهذا التبرؤ ﴿من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ أى عقدتم معهم مواثيق بعدم الاعتداء؛ فنقضوها ﴿فسيحوا﴾ فسيروا آمنين أيها المشركون. والسيح: السير على مهل ﴿أربعة أشهر﴾ وهى مدة الهدنة التى ضربها الله تعالى لهم للتوبة من الشرك ﴿واعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ أى غير فائتى عذابه وانتقامه بل سيدرككم بالأخذ والعقوبة ﴿وأذان﴾ إيذان وإعلام ﴿من الله ورسوله إلى الناس﴾ جميعاً: من عاهد منهم ومن لم يعاهد، ومن نقض عهده ومن لم ينقض ﴿يوم الحج الأكبر﴾ يوم عرفة

أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟

لَكُمْ

(أن الله برىء من المشركين) ومن عهودهم (ورسوله) برىء منهم أيضاً . ومن برئ منه الله تعالى فان رسوله برىء منه ، ومن برئ منه الرسول فان الله تعالى برىء منه (فان تبتم) أيها المشركون من كفركم ونقضكم للعهود (فهو خير لـكم) لأنكم ضمنتم الأمان فى الدنيا ، والأمن فى الآخرة ! (وإن توليتم) أعرضتم عن ذلك (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير فائتى عذابه (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً) مما عاهدوكم عليه (ولم يظاهروا) لم يعاونوا (عليكم أحدا) من أعدائـكم (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) التى ضربتموها فى العهد . يؤخذ من ذلك أنه كانت تعقد بين المؤمنين والمشركين معاهدات ومحالفات ، مؤقتة بمواقيت ؛ كما يفعل كبار ساسة العالم اليوم ؛ بغير فارق سوى أن هؤلاء ناقضون للعهد، صارمون للود ؛ وأولئك لعهدهم راعون ، ولأماناتهم حافظون ! (فاذا انسلخ) أى مضي (الأشهر الحرم) وهى ذى القعدة ، وذى الحجة والمحـرم (فاقتلوا المشركين) ناكثى العهد (حيث وجدتموهم) فى الحل أو الحرم ، وفى الأشهر الحرم ، أو غير الأشهر الحرم (وخذوهم) الأخذ : الانتقام والأسر (واحصروهم) حاصروهم ؛ حتى يضطروا إلى الإسلام ، أو الاستسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل طريق ؛ ترصدونهم به ، وترقبونهم فيه (فان تابوا) عن الشرك ، وآمنوا (وأقاموا الصلاة) فى أوقاتها (وآتوا الزكاة) المفروضة (فخلوا سبيلهم) أطلقوا سراحهم من الأسر ولا تتعرضوا لهم بأذى (وإن أحد من المشركين) الذين أمرت بقتالهم (استجارك) أى استجار بك ، وطلب منك الأمن (فأجره حتى يسمع كلام الله) ومن هنا نعلم أن الإسلام لم ينتشر بالشدة والقسوة ـ كما يزعم بعض أعدائه وشانئيه ـ وإنما انتشر وشاع بالحجة والاقناع وباللطف لا العنف ؛ ولم تـكن مهمة المسلمين النيل من الـكافرين ؛ بل إقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه ؛ وليس بعد ذلك مطعن لطاعن ، أو مغمز لغامز ؛ ممن طمس الله تعالى بصائرهم ، وجعلهم من حزب الشيطان فهو يدعوهم دائما إلى نار السعير ! (ثم أبلغه مأمنه) موضع أمنه ؛ وهو المـكان الذى يختاره لنفسه بنفسه . والمعنى : حافظ عليه حتى يصل إلى ديار قومه . وبعـد ذلك يجوز قتاله إذا بدت منه إذاية للمسلمين ، أو إضرار بمصالحهم (وكيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أى لا يجوز أن يكون لهم عهد ؛ لأنهم قوم لا أمان لهم (إلا الذين عاهدتم) منهم (عند المسجد الحرام) ولم ينكثوا بعهدهم (فما استقاموا لـكم) أى أقاموا على العهد

لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

﴿فاستقيموا لهم﴾ على الوفاء بعهدهم ﴿كيف﴾ تكرار للتأكيد؛ أى «كيف يكون للمشركين عهد» ﴿و﴾ هم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ أى إن يظفروا بكم ﴿لايرقبوا﴾ لا يراعوا ﴿فيكم إلا ولاذمة﴾ الإل: الحلف، والقرابة، والجوار، و «الذمة»: العهد ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ رياء ونفاقا ﴿وتأبى قلوبهم﴾ الإيمان ﴿اشتروا﴾ استبدلوا ﴿بآيات الله﴾ القرآن ﴿ثمناً قليلا﴾ هو اتباع الشهوات ﴿فصدوا﴾ منعوا ﴿عن سبيله﴾ دين الله القويم ﴿فان تابوا﴾ عن الشرك ﴿وأقاموا الصلاة﴾ فى أوقاتها ﴿وآتوا الزكاة﴾ المفروضة ﴿فاخوانكم فى الدين﴾ وأخوة الدين: تفضل أخوة النسب، وترتقى عنها فى السبب ﴿وإن نكثوا﴾ نقضوا ﴿أيمانهم من بعد عهدهم﴾ أى وإن نكثوا عهدهم الموثق بالأيمان ﴿وطعنوا فى دينكم﴾ القويم المستقيم؛ فهم من أئمة الفجرة الكفرة ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ رؤساءه؛ لأنه بقتل الرؤساء: يخضع المرءوسون ويذلوا ويستكينوا ﴿لعلهم ينتهون﴾ يرجعون عما هم فيه ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ نقضوها ﴿وهموا باخراج الرسول﴾ هموا باخراجه عليه الصلاة والسلام من مكة؛ حين تشاوروا بدار الندوة ﴿وهم بدأوكم﴾ بالقتال ﴿أول مرة﴾ ببدر؛ حين قالوا: لن ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه، وتغنينا القيان، وننحر الجزور، ونشرب الخمور ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ بالقتل والجراح ﴿ويخزهم﴾ يذلهم بالأسر والقهر.

﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ بالنصر على الكافرين ! ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ مما نالهم من أذى المشركين ﴿أم حسبتم﴾ أي هل ظننتم ﴿أن تتركوا﴾ بغير امتحان وابتلاء ﴿ولما يعلم الله﴾ لم يعلم حتى الآن ؛ بمعنى أنه تعالى لم يظهر مايعلم ؛ لأنه جل شأنه عالم بكل معلوم ، محيط بكل موجود ! أى لم يعلم ﴿الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله﴾ غيره ﴿ولارسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ من الولوج ؛ وهو الدخول . والمراد بها بطانة الرجل وخاصته ؛ أى لم يتخذوا من الكفار والمنافقين أصدقاء وخلصاء . قال تعالى «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ؛ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير» ﴿ما كان للمشركين﴾ لا يحق لهم ﴿أن يعمروا مساجد الله﴾ بأن يدخلوها؛ وقد كانوا يدخلون المسجدالحرام: حاجين أوطائفين ؛ بعد مانودى فيهم بالمنع عن المسجد الحرام بقوله تعالى «إنما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» وقد كانت فيهم السدانة ، والسقاية ، والرفادة ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ بعبادتهم للأصنام، وسجودهم لها ؛ مع معرفتهم وإقرارهم بأنها مخلوقة ﴿أولئك حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ الحسنة التى يعملونها فى الدنيا ؛ لأن الكفر محبط لسائر الأعمال ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ يدخلها ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ وخشيته تعالى: إحدى دعائم الإيمان ؛ التى لا يتم إلا بها ، ولا يقوم إلا عليها ؛ إذ كيف يكون مؤمناً بالله ، من لم يخش الله ؟ أو كيف يكون مؤمنا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب من يخشى مع الله غيره ؟ ولو تأملت بعين الاستبصار والاعتبار ؛ لوجدت أن كل الأعمال الموصلة إلى الجنة توصل إلى النار ــ إذا صحبتها خشية المخلوقين ، دون خشية رب العالمين ــ فكم مصيب يدخل النار؛ لخبث نيته ، وسوء طويته! وكم من مخطىء يدخل الجنة لصدق نيته ، ومزيد خشيته ! ومن هنا نعلم أن خشية الله تعالى هى الإيمان كله ، وأنها موصلة لخيرى الدارين ، وأنها طاعة من أجل الطاعات ، وأن خشية ماسوى الله تعالى معصية من أقبح المعاصى! ويندرج تحت ذلك سائر الطاعات ؛ فالجهاد: خشية لله تعالى ، والإحجام عنه : خشية من الأعداء «فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية» والإنفاق : خشية لله تعالى ، والإمساك : خشية من الإملاق والفقر «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا» وسائر العبادات ــ مالم يشبها رياء أو نفاق ــ فهى خشية من الله تعالى ؛ فاذا شابها شىء منهما فهى خشية لسواه ! ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد =

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَهَاجَرُوا۟

= الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله﴾ قيل: افتخر العباس بالسقاية، وشيبة بالعمارة، وعلى رضى الله تعالى عنه بالإسلام والجهاد؛ فصدق الله تعالى عليا؛ لأن ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ والمؤمن المهاجر: أعظم درجة من المؤمن الذى لم يهاجر ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ أصدقاء وخلصاء ﴿إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ وذلك لأن الكفر نهاية العداء، وغاية البغضاء! ﴿قل﴾ يا محمد للمتخلفين عن الهجرة معك ﴿إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ والتمتع بصحبتهم ﴿وأموال اقترفتموها﴾ اكتسبتموها؛ وتريدون المحافظة عليها ﴿وتجارة تخشون﴾ تركها، وتخافون ﴿كسادها ومساكن ترضونها﴾ وترتاحون فى الإقامة بها. إن كان ذلك ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا﴾ انتظروا ﴿حتى يأتى الله بأمره﴾ بعقوبته؛ يوم فتح مكة؛ و﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة﴾ بقدرته ومعونته؛ لا بقوتكم وكثرتكم؛ كوقعة بدر، وقريظة والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة. وقيل: إن المواطن التى نصر الله تعالى فيها الإسلام ثمانون موطنا ﴿ويوم حنين﴾ وهو واد بين مكة والطائف؛ دارت فيه رحى القتال بين المؤمنين والمشركين، وانتصر المشركون فترة من الزمن. والمعنى: «ويوم حنين» نصركم الله فيه أيضاً بعد أن أذاقكم مرارة الهزيمة؛ عقوبة على تقصيركم فى الاعتماد عليه، وإعجابكم بكثرتكم ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ وقلتم: لن نغلب اليوم عن قلة. وكانوا اثنى عشر ألفاً؛ والكافرون أربعة آلاف ﴿فلم تغن عنكم﴾ هذه الكثرة ﴿شيئاً﴾ فالنصر يأتى به الله لمن شاء أنى شاء؛ ليس تبعاً لكثرة أو لقلة!

وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ

شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ

يُضَـٰهِـُٔونَ .

﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فنادى الرسول عليه الصلاة والسلام فيهم : يامعشر الأنصار ، يامعشر المهاجرين ، ياأصحاب سورة البقرة ! فرجع المسلمون إليه ﴿وأنزل﴾ الله تعالى ﴿جنوداً لم تروها﴾ من الملائكة (انظر آية ٤٢ من سورة الأنفال) ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والأسر ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ إسلامه وهدايته من المشركين ، أو يتوب على من يشاء من المدبرين المنهزمين ؛ لأن الواجب على المجاهد ألا يولى العدو دبره . قال تعالى «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير» ﴿إنما المشركون نجس﴾ لخبث باطنهم ، وقذارة ظاهرهم؛ ولأنهم لايغتسلون ، ولا يتطهرون ، ولا يتجنبون النجاسات ؛ فهى دائما ملابسة لهم ! ﴿وإن خفتم عيلة﴾ فقراً ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ سميت جزية : لأنها جزاء على الكفر ﴿عن يد﴾ أى نقداً مقبوضة ؛ غير نسيئة ﴿وهم صاغرون﴾ أى تؤخذ منهم الجزية على الصغار ؛ وهو الذل والهوان ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ؛ وربما قال هذا القول الأوائل منهم ، أو قالوه فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ــ عناداً له ــ لما رأوه منه من تقديس الإله ، وتنزيهه عن الولد والوالد ، أو نزلت هذه الآية بسبب أن اليهود سمعوا مقالة النصارى بمثل ذلك ؛ فلم ينكروا عليهم ، أو يردعوهم . وخلاصة القول : إنه لا يوجد الآن بين اليهود من يقول «عزير ابن الله» فوجب أن نتأول ذلك بما قلناه . هذا ولو أنه من المعلوم أن اليهود يرتكبون ما هو أشد من نسبة الولد إلى الله !

﴿يضاهئون﴾ يشابهون بقولهم هذا ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ وهم الذين قالوا : الملائكة بنات الله . وقول المشركين: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الحق ؛ مع قيام الدلائل الواضحة على صدقه ! ﴿اتخذوا أحبارهم﴾ علماءهم ﴿ورهبانهم﴾ نساكهم ﴿أربابا من دون الله﴾ أى كالأرباب ؛ حيث أطاعوهم فى كل شىء . ومنه قوله تعالى «انفخوا حتى إذا جعله ناراً» أى كالنار . وقد كان الأحبار والرهبان يحلون لهم الحرام فيستحلونه ، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه ﴿والمسيح

يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ

ابن مريم﴾ عطف على «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم» أى اتخذوا المسيح ابن مريم رباً لهم ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه﴾ تنزه وتقدس عن الولد ، وعن الشبيه والنظير! ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ شرعه وبراهينه ، وأدلة توحيده ﴿ويأبى الله إلا أن يتم﴾ يظهر ﴿نوره﴾ دينه وشرعه ؛ ويعليه على سائر الأديان والشرائع ! ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى﴾ القرآن ﴿ودين الحق﴾ الإسلام ﴿ليظهره﴾ ليعليه ﴿على الدين كله﴾ على سائر الأديان المخالفة ﴿ويصدون﴾ يمنعون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ ولا يؤدون زكاتها ، ولا يتصدقون منها ﴿ولا ينفقونها فى سبيل الله﴾ ذهب أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه الى أن المسلم لا ينبغى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وليلته . والإجماع على غير ذلك ؛ ما دام مؤدياً حق الله تعالى فيه . وقد زعم بعضهم أنها نزلت فى أهل الكتاب فحسب ؛ وهو زعم باطل ﴿يوم يحمى عليها﴾ أى على الذهب والفضة ﴿فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وقد اختيرت الجباه والجنوب والظهور بالكى: لأن البخيل يرى الفقير قادما عليه فيقطب جبهته ، فاذا جاءه أعرض ونأى بجانبه ، فاذا طالبه باحسان ولاه ظهره ؛ فوجب أن يكوى بما بخل به على جبهته وجنبه وظهره ! وقد يكون المراد بذلك كى سائر الجسم ؛ فالجبهة تدل على الأمام ، والجنوب والظهور على باقى الجسم . وقد يقال : كيف يحمى على أوراق العملة المتداولة الآن إن كانت مكتنزة ؟ والجواب : إنه يحمى على ما يوازيها من الذهب والفضة ؛ فتكوى بها الجباه والجنوب والظهور ؛ وجميع ذلك على وجه التمثيل : فقد يحمى على أطنان كثيرة من الذهب والفضة ؛ فتصب على البخلاء صبا ؛ ويومئذ يتذكرون ما فعلوه فى دنياهم «وأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم» والمراد من الآية : أن الذهب والفضة اللذين هما موضع إعجابهم فى الدنيا واهتمامهم وحرصهم ؛ سيكونان فى الآخرة موضع ألمهم وتعذيبهم ! نعوذ به تعالى من غضبه وعذابه ! ﴿هذا ما كنزتم

لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴿٣٥﴾ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴿٣٦﴾ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ﴿٣٧﴾ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴿٣٨﴾ إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله

لأنفسكم﴾ أى يقال لهم: انكم لم تكنزوا خيراً لأنفسكم؛ بل كنزتم لها الشر المقيم، والعذاب الأليم! ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ أى جزاءه وعقوبته! ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله﴾ لوحه المحفوظ؛ الذى كتب فيه ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ كل ماهو كائن ﴿منها أربعة حرم﴾ يحرم القتال فيها؛ وهى ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ﴿ذلك﴾ أى تحريم هذه الشهور؛ هو ﴿الدين القيم﴾ المستقيم ﴿فلاتظلموا فيهن أنفسكم﴾ أى لاتظلموا أنفسكم فى الأشهر الحرم؛ بارتكاب المعاصى؛ فانها فيها أعظم إثماً، وأشد وزراً! وقيل: الضمير فى «فيهن» عائد على الأشهر كلها: الإثنى عشر. أما الأشهر الحرم فان الذنب فيهن أكبر، كما أن العمل الصالح والأجر فيهن أعظم. وقد اصطفى الله تعالى من خلقه صفايا: فاصطفى من الملائكة والناس رسلا، واصطفى من الكلام القرآن، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام الجمعة، واصطفى من الليالى ليلة القدر؛ فعظموا ماعظم الله تعالى واصطفاه: تفوزوا بجنته ورضاه! ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ أى مجتمعين غير مفترقين، مؤتلفين غير مختلفين ﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر﴾ النسىء: التأخير؛ وقد كانوا يؤخرون حرمة الأشهر الحرم لغيرها؛ طبقاً لأهوائهم ورغبتهم فى القتال ﴿ليواطئوا﴾ ليوافقوا ﴿عدة ما حرم الله﴾ وذلك بتحريم شهر حلال، مكان شهر حرام استحلوه؛ فكانوا يحرمون صفر عاماً - مكان المحرم - ويحرمون المحرم عاما؛ وذلك معنى قوله جل شأنه ﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ باحلالهم المحرم؛ الذى هو من الأشهر الحرم ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا﴾ أى اخرجوا للقتال ﴿فى سبيل الله اثاقلتم﴾ تثاقلتم وتباطأتم عن الجهاد ﴿إلى الأرض﴾ أى ملتم إلى القعود ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ أى أرضيتم بما فى الدنيا من متاع زائل، وراحة مؤقتة؛ عما فى الآخرة من نعيم مقيم، وسعادة دائمة! ﴿فما متاع الحياة الدنيا فى﴾ جنب متاع ﴿الآخرة﴾ ونعيمها الباقى الدائم ﴿إلا قليل﴾ حقير زائل ﴿إلا﴾ إن لم ﴿تنفروا﴾ تخرجوا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للجهاد ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ فى الدنيا؛ بالجدب والقحط ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ يطيعونه إذا أمر، ويخرجون معه إذا استنفر ﴿ولاتضروه شيئا﴾ أى ولا تضروا الله شيئا بترككم النفير وعصيانكم؛ لأنه تعالى ليس فى حاجة إليكم.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن

(إلا تنصروه فقد نصره الله) أى إن لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه سوى رجل واحد (ثانى اثنين) هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه (إذ هما فى الغار) والغار: نقب فى الجبل؛ وقد كانا فى غار بجبل ثور؛ وهو من جبال مكة المكرمة (إذ يقول) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لصاحبه) أبى بكر رضى الله تعالى عنه؛ حين رأى المشركين يجوبون الجبل بحثاً عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتلوه؛ فقال للنبى: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. فقال عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (لا تحزن إن الله معنا) بنصره وعونه وكلاءته (فأنزل الله سكينته) السكينة: الطمأنينة (وأيده بجنود لم تروها) ملائكة يحفظونه من أن يراه الكفار، ومن أن ينال منه أحدهم لو رآه (وجعل كلمة الذين كفروا) دعوتهم إلى الشرك (السفلى) المنحطة المغلوبة (وكلمة الله) دينه، والدعوة إلى توحيده (هى العليا) الظاهرة الغالبة (انفروا خفافا وثقالا) أى اخرجوا للقتال ركباناً ومشاة، أوشبابا وشيوخاً، أوأغنياء وفقراء (لو كان عرضاً قريبا) أى لو كان مادعوتهم إليه مغنما سهل المأخذ (وسفراً قاصداً) وسطاً، غير بعيد (لاتبعوك) جريا وراء منافعهم الدنيوية (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة الشاقة (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) بالكذب والنفاق، وتعريضها للعذاب الأليم! (عفا الله عنك) هو من ألطف العتاب! (لم أذنت لهم) فى التخلف عن الجهاد؟

من هذه الآية نعلم مكانة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه عند ربه، وعلو قدره، وسمو منزلته؛ فقد بشره مولاه جل شأنه بالعفو قبل أن يخبره بالذنب؛ ولأنه لو قال له معاتبا: لم أذنت لهم؟ لخيف عليه أن ينشق قلبه حزناً وكمداً!

(وارتابت قلوبهم) شكت فى صحة الدين (ولـكن كره الله انبعاثهم) كره نهوضهم للخروج للجهاد معك ؛ على ماهم عليه من شك ونفاق ؛ لايتوفر معهما الاقدام ، وصدق الدفاع (فثبطهم) الله عن الخروج ؛ أى كسلهم عنه (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدين) مع المرضى والنساء والشيوخ والصبيان ؛ الذين أقعدهم المرض والضعف والعجز والصغر ؛ وهؤلاء الشاكون المرتابون (لو خرجوا فيكم) للقتال (مازادوكم إلا خبالا) الخبال: النقصان ، والهلاك ، والعناء ، والـكل ؛ والمعنى : ما زادوكم إلا فساداً وتعويقاً (ولأوضعوا خلالـكم) لمشوا بينكم بالدس والنميمة ، وإفساد ذات البين (يبغونكم) يطلبون لـكم (الفتنة) الإفساد والعداوة ، أو يبغون لـكم الـكفر ، أو المراد بالفتنة : الدس والوقيعة ؛ لقوله تعالى (وفيكم سماعون لهم) أى مصدقون لما يقولونه ، أو «سماعون لهم» أى جواسيس من المنافقين: يسمعون أسراركم ، ويبلغونها لهم (لقدابتغوا) طلبوا وأرادوا لك (الفتنة من قبل) حين قدمت المدينة (وقلبوا لك الأمور) دبروا لك الحيل والمكائد لإبطال دينك (حتى جاء الحق) النصر الذى وعدك الله تعالى به (وظهر أمر الله) فشا دينه ، وسطع نوره (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود عن الجهاد (ولا تفتنى) أى لا توقعنى فى الفتنة ؛ وهى الإثم . قال تعالى رداً على قولهم (ألا فى الفتنة) الـكفر والعذاب والإثم (سقطوا) وقعوا ؛ بسبب ما قالوا . وما فعلوا ، وبسبب تخلفهم عن الجهاد (وإن جهنم لمحيطة بالـكافرين) لا ينجو منها أحد منهم (إن تصبك حسنة) نصر وغنيمة (تسؤهم) لأنهم لا يبتغون لك الخير ؛ لخبث باطنهم (وإن تصبك مصيبة) شدة وهزيمة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) من الحذر والتيقظ ؛ ولم نقع فيما وقعوا فيه (قل لن يصيبنا) من خير أو شر (إلا ما كتب) قدر وقضى (الله لنا) فلا دافع له ، ولا مناص من وقوعه

يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ

﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ومتولى أمورنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فى سائر أمورهم (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿قل هل تربصون بنا﴾ تنتظرون لنا ﴿إلا احدى الحسنيين﴾ النصر ، أو الشهادة ؛ وكلاهما حسن . بل الشهادة التى تتوقعونها لنا : أحسن وألذ من النصر ! ﴿ونحن نتربص بكم﴾ ننتظر لكم

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ

﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ بقارعة من السماء ؛ كقارعة عاد وثمود ﴿أو بأيدينا﴾ بأن نقتلكم ﴿قل أنفقوا﴾ فى طاعة الله تعالى ﴿طوعا﴾ بارادتكم ﴿أو كرها﴾ رغم أنوفكم ﴿لن يتقبل منكم﴾ ماتنفقونه ﴿إنكم كنتم قوما فاسقين﴾ كافرين ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله﴾ بنفاقهم ، ورغبتهم فى إيصال السوء إليك ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ لأنهم لا يبتغون من أدائها ثوابا ، ولا يخشون من تركها عقابا وإنما يقومون بها اتقاء للمؤمنين ، ومراءاة لهم ﴿فلا تعجبك أموالهم﴾ وكثرتها ﴿ولا أولادهم﴾ ولا تظن أن ذلك إنعام منا عليهم ، أو رضاء عن أعمالهم ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا﴾ بما يلقونه فى سبيل تحصيل الأموال والحرص عليها ، والكدر عند إنفاقها ، وبما يلقونه من عنت الأولاد ، ومرضهم وفقدهم ؛ فى حين أن المؤمن لا يحرص على الجمع ، ولا يألم للانفاق ؛ ويكتب له بكل أذى يلقاه حسنة ! ﴿وتزهق أنفسهم﴾ تخرج أرواحهم ؛ والزهوق : الخروج بصعوبة ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ جبناء ؛ يخافون القتل إذا هم أظهروا ما يبطنون ﴿لو يجدون ملجأ﴾ يلجأون إليه خوفا من القتال ﴿أو مغارات﴾ سراديب فى الجبال ﴿أومدخلا﴾ نفقاً ﴿وهم يجمحون﴾ يسرعون كالفرس الجموح الذى لا يرد ﴿ومنهم من يلمزك﴾ يعيبك ﴿فى الصدقات﴾ أى فى توزيعها . والمراد بالصدقات الزكاة المفروضة ؛ وقد كانت تجمع ، وتوزع بمعرفة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ أى إن رضاهم وسخطهم للدنيا ؛ لا للدين ، ولأنفسهم لا للمسلمين

وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تُنَبِّئُهُم

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أى بما آتاهم من الأموال والغنائم وطابت به نفوسهم ، من غير تطلع إلى ما أوتى غيرهم ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ كافينا ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ الذين يسألون الناس لأنهم لا يجدون ما ينفقون ﴿والمساكين﴾ الذين لا يسألون أحداً ؛ لأن عندهم ما يكفيهم فى الحال ؛ لكن يملك قوت يومه ، أو من لا يجد الكفاف ﴿والعاملين عليها﴾ الجباة الذين يحصلونها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ قوم من أشراف العرب ؛ كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يتألفهم ليسلموا ، أو هم كل من أسلم من اليهود أو النصارى ، أو غيرهم من المشركين : ليثبتوا على إيمانهم ؛ وقد كان ذلك فى صدر الإسلام ﴿وفى الرقاب﴾ أى المكاتبين . وهم الذين يكاتبون مواليهم بثمنهم؛ فاذا أدوه فهم أحرار . وقد أجاز الله تعالى عليهم الزكاة ؛ ليعانوا على تحرير أنفسهم ﴿والغارمين﴾ المثقلين بالديون ، أو الذين أصابهم اضطهاد وغرم فى سبيل الدين والوطن ؛ اللهم إلا من تداين فى سفاهة أو محرم ؛ فهو واجب المحاربة لا الإعانة ﴿وفى سبيل الله﴾ أى للقائمين بالجهاد ﴿وابن السبيل﴾ الذى انقطع به الطريق فى السفر ﴿فريضة من الله﴾ أى فرض الله تعالى الزكاة لهؤلاء الأصناف فرضاً ﴿ومنهم﴾ أى من هؤلاء الجبناء والمنافقين ﴿الذين يؤذون النبى﴾ بكلامهم ﴿ويقولون هو أذن﴾ أى سماع لما يقال له من الشر ﴿قل﴾ هو ﴿أذن خير﴾ أى سماع لكل خير ﴿لكم﴾ ولا يستمع للشر كما تزعمون ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد﴾ يجاوز الحد . والمقصود انه يحارب ويخالف ﴿الله ورسوله﴾ ولا يطيعهما ﴿يحذر﴾ يخاف ﴿المنافقون أن تنزل عليهم﴾ أى على المؤمنين ﴿سورة تنبئهم بما فى قلوبهم﴾ أى بما فى قلوب المنافقين من تبييت العداوة والشر ، والاستهزاء بالمؤمنين

تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى

﴿قل استهزئوا﴾ ماشئتم أن تستهزئوا ﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾ أى مظهر ماتخفونه وتحذرون ظهوره من النفاق ﴿ولئن سألتهم﴾ عن استهزائهم بك ، وبما أنزل إليك من القرآن ﴿ليقولن﴾ معتذرين عن استهزائهم ﴿إنما كنا نخوض﴾ فى الحديث ﴿ونلعب﴾ نلهو ونمزح ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ والاستهزاء والسخرية بالله ، أو بآياته ، أو بملائكته ، أو برسله ـ ولو على سبيل المزاح ـ كفر لايمحوه اعتذار ﴿لاتعتذروا﴾ وكيف يجدى الاعتذار ، و ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وكم ترى بعض المتظرفين الثقلاء يقذف بالنكتة الوقحة ، وبالمزحة السمجة ؛ ينال بها من دينه وخالقه ! ومن عجب أن نرى أناساً يضحكون لنكتة هذا الفاجر الكافر ؛ ولم يعلموا أنهم شركاء له فى فجوره وكفره ، قرناء له فى جهنم وبئس المصير ! نعوذ بالله الحليم ، من الاستهانة بقدره العظيم ، أو بكتابه الكريم أو برسله البررة ، أو بملائكته الخيرة ! ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ لحسن نيتها ، وصدق طويتها ، ورجوعها إلى محجة الصواب ﴿نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على كفرهم واستهزائهم ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن الإنفاق فى الطاعات ﴿نسوا الله﴾ تركوا طاعته ، ونسوا أجره الذى وعد به ؛ لأنه تعالى وعد المنفقين أجراً عظيما ؛ فقبضوا أيديهم ؛ فكانوا بذلك مكذبين لوعده ، ناسين لأجره ﴿فنسيهم﴾ تركهم من رحمته وفضله ؛ وجعلهم كالمنسيين ﴿هى حسبهم﴾ تكفيهم جزاء وعقابا ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ بنصيبهم من الدنيا ﴿وخضتم﴾ فى الباطل والطعن فى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفى الكتاب المنزل عليه ﴿كالذى خاضوا﴾ أى كالخوض الذى خاضوه

﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ بطلت أعمالهم الحسنة التي عملوها ﴿في الدنيا﴾ لأن الكفر محبط لسائر الأعمال ﴿والآخرة﴾ لأنه لا جزاء لها ﴿ألم يأتهم﴾ أي ألم يأت هؤلاء الخائضين ﴿نبأ الذين﴾ خاضوا ﴿من قبلهم قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم وأصحاب مدين﴾ قوم شعيب؛ عليهم الصلاة والسلام ﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط؛ والمراد بها أهلها ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ بالآيات الواضحات، والمعجزات الظاهرات؛ فاستهزأوا برسلهم؛ فعذبهم الله تعالى عذابا لم يعذبه أحداً من العالمين! ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بالعذاب الذي أنزله بهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر وارتكاب المعاصي، وتعريضها للعقاب. هذا حال الكافرين، والمنافقين، والخائضين؛ أما حال المؤمنين فقد أوضحه الله تعالى بقوله ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ أي هم لبعض أنصار وأعوان؛ لأنهم ﴿يأمرون بالمعروف﴾ بالإيمان، والاستقامة ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو كل ماينكره العرف والشرع ﴿ويقيمون الصلاة﴾ في أوقاتها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿ويطيعون الله﴾ فيما أمر به، ونهى عنه ﴿ورسوله﴾ فيما سنه لأمته من كريم الفعال، وحميد الخصال! ﴿أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾.

خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

ٱلْمَصِيرُ

يامعشر المؤمنين: لقد جاءكم البشير النذير، بقول الرحمن الرحيم «أولئك سيرحمهم الله» فأي شيء تبتغون فوق رحمته؟ وأي شيء تطلبون بعد جنته؟! ولم يجعل جل شأنه سبب الوصول إلى رحمته عسيراً شاقا؛ بل هو طلبة كل إنسان كامل، وبغية كل شخص عاقل! وقد وصف الله تعالى أولئك الذين اصطفاهم لجنته، واختصهم برحمته بقوله: «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فهل ترى أيها المؤمن العاقل أن النهي عن المعروف، والأمر بالمنكر؛ أولى وأجدر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟

ووصفهم تعالى أيضاً بإقامة الصلاة: «ويقيمون الصلاة» وإقامتها - كما تعلم - قيام بشكره تعالى على ماوهب من واسع العطاء، وأنعم من مزيد النعم؛ وابتهال إليه تعالى ليمن بالهداية إلى دينه القويم، وصراطه المستقيم!

ووصفهم جل شأنه بإيتاء الزكاة: «ويؤتون الزكاة» فهل ترى أيها المتقلب في نعمة الله، المتمتع بهباته وفيوضاته؛ أن تأكل كما تأكل الأنعام فلا تلتفت إلى من هم دونك من الأنام؛ وتذرهم يموتون عريا، =

= ويتضورون جوعا ؟ وهل هذا شأن بني الإنسان؛ الذين فضلهم ربهم على كثير ممن خلق تفضيلا ، وميزهم بالعقل الراجح ، والقلب الرحيم !

ووصفهم تعالى أيضا بأحسن مايوصف به العباد المقربون ؛ وهل يقرب الإنسان من ربه سوى طاعته ؟ «ويطيعون الله ورسوله» وهل تجب على العاقل طاعة الشيطان ، أم طاعة الرحمن ؟هل تجب طاعة من يدعوك إلى الجنة ، أم من يدعوك إلى النار ؟! إن الله تعالى قد ألبسك ثوب محبته ، ودعاك إلى جنته ، ووعدك بمزيد رحمته فهلم ـ يارعاك الله وهداك ـ إلى رحمة الله ! رحمنا الله تعالى وإياك ، ووهبنا مزيد رضوانه ووفقنا لما يؤهلنا إلى فيض إحسانه! ﴿ومساكن طيبة﴾ يطيب فيها العيش والإقامة ﴿فى جنات عدن﴾ «التى وعد الرحمن عباده» وهى من عدن فى المكان : إذا أقام فيه . والمعنى : جنات الإقامة ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أى أكبر من ذلك النعيم الموصوف ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ الذى لافوز بعده ! و «لمثل هذا فليعمل العاملون» ﴿ياأيها النبى جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ فى القتال والمحاجة ؛ فلا تأخذك بهم رأفة ولا رحمة ﴿يحلفون بالله ماقالوا﴾ قيل : نزلت فى الجلاس ابن سويد بن الصامت ؛ وقد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء ؛ على حمير لهم . فقال الجلاس : إن كان ماجاء به محمد حقا ؛ لنحن أشر من حميرنا هذه التى نحن عليها . فقال مصعب : أما والله ياعدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما قلت؛ فانى إن لاأفعل أخاف أن تصيبنى قارعة وأؤاخذ بخطيئتك فلما أتيا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ قال مصعب : يارسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال كذا وكذا . فقال للجلاس: أقلت الذى قال مصعب ؟ فحلف ما قال ؛ فنزلت «يحلفون بالله ما قالوا» ﴿وهموا﴾ بالفتك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿بما لم ينالوا﴾ لأن الله تعالى عصمه منهم ؛ قال تعالى «والله يعصمك من الناس» ﴿وما نقموا﴾ أى وما أنكروا ، وما عابوا ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ قيل : قتل مولى للجلاس ؛ فقضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له بديته ؛ فكانت سبباً فى غناه ﴿فان يتوبوا﴾ عن النفاق ، وعن كلمة الكفر ﴿يك خيراً لهم﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿وإن يتولوا﴾ يعرضوا ويصروا على النفاق ﴿يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا﴾ بالقتل ، والأسر ، والذل ﴿والآخرة﴾ بالنار وبئس القرار ! ﴿ومنهم﴾ أى من المنافقين ﴿من عاهد الله لئن آتانا من فضله﴾ رزقه وسعنه . قيل : هو ثعلبة بن حاطب ﴿فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم﴾ أى جعل عاقبتهم النفاق فى القلب ، وهو البخل لأن البخيل يخفى نعمة الله تعالى عليه =

ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ
وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟
إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ
خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾
* وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ
بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا
فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ
ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

= ولايبديها . ونفاق القلب : أسوأ مراتب النفاق ﴿ونجواهم﴾ ما يتناجون به فيما بينهم ؛ وهى المسارة ﴿يلمزون﴾ يعيبون ﴿المطوعين﴾ المتطوعين ، المتبرعين ﴿والذين لايجدون إلا جهدهم﴾ إلاطاقتهم ؛ فيقدمونه ﴿فيسخرون منهم﴾ أى فيسخر المنافقون من المتطوعين : إن أكثروا زعموا أنه رياء ، وإن أقلوا قالوا : إن الله غنى عن مثله . ﴿استغفر لهم أولا تستغفرلهم﴾ نزلت فى المنافقين وقيل : فى عبد الله بن أبى بن سلول حين صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جنازته ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ المقصود من العدد التكثير ، لا التحديد ؛ إذ لو استغفر لهم طول حياته ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ وهؤلاء هم أشقى الناس بلامراء : فقد حرموا من قبول استغفار من لو استغفر لعصاة الجن والإنس : لغفر لهم ! ﴿فرح المخلفون﴾ الذين تخلفوا عن الجهاد ﴿بمقعدهم﴾ أى بقعودهم ﴿خلاف رسول الله﴾ أى بعد ذهابه للجهاد ، أوقعدوا مخالفين له ﴿وقالوا﴾ لبعضهم ،أو قالوا للمسلمين ﴿لاتنفروا فى الحر﴾ أى لاتخرجوا للقتال فى الحر لئلا يؤذيكم ﴿قل نار جهنم أشد حرا﴾ فان كنتم تخشون الجهاد فى الحر الذى يطيقه ويتحمله كل مخلوق ـ والجهاد موصل إلى ظل الجنة الوارف ، ونعيمها الدائم ـ فكيف بنار جهنم الذى لايطيقه الصخر ، ويذوب من حره صم الجلاميد ؟! وهل الوصول إلى الجنة بطريق مشوب بالحر المحتمل أولى ، أم الوصول إلى الجحيم بطريق ممتلىء بالهواء العليل ، والجو الجميل ؟ ﴿فليضحكوا﴾ أى فليضحك هؤلاء القاعدون فى الدنيا ﴿قليلا﴾ حتى انتهاء آجالهم ـ وهو قليل وإن طال ـ ﴿وليبكوا﴾ فى الآخرة ﴿كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون﴾ فى الدنيا من البخل ، والنفاق ، وعيب الكرماء والسخرية منهم ، وتخلفهم عن الجهاد وكراهتهم له ﴿فان رجعك الله﴾ ردك من الجهاد ﴿إلى طائفة منهم﴾ أى من المنافقين ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ إلى غزوة أخرى ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ المتخلفين : من الشيوخ ، والصبيان والمرضى ، والنساء ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ نهى تعالى عن الصلاة على موتى الكفار ؛ وهى مفروضة على موتى المؤمنين ـ صالحين كانوا أو من أهل الكبائر ـ ما لم يكونوا من البغاة وأهل الضلالات ؛ إلا الشهيد ؛ فانه لايغسل ، ولايصلى عليه ؛ وذلك لأن الغسل لمحو النجاسات والقاذورات ؛ و الشهيد يبعث يوم القيامة بدمه ـ تشريفا له ، وإشادة بموقفه المجيد ـ والصلاة على الميت دعاء له بالأجر وغفران الذنب ؛ والشهيد مأجور مغفور !

أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ

إنما

وصلاة الجنازة: أربع تكبيرات ؛ يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب سراً ، ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى =

= عليه وسلم فى الثانية ، ثم يخلص الدعاء للميت بعد الثالثة ، ثم يكبر الرابعة ويقول : اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ؛ ثم يسلم . وليس فى صلاة الجنازة ركوع ولاسجود . ﴿وماتوا وهم فاسقون﴾ كافرون ﴿ولا تعجبك أموالهم﴾ وكثرتها ﴿وأولادهم﴾ وشدتها ﴿إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا﴾ يعذبهم بجمع

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ

الأموال والحرص عليها ، وبعقوق الأولاد وجوحهم ﴿وتزهق أنفسهم﴾ تخرج أرواحهم وهى كارهة ﴿استأذنك أولوا الطول﴾ ذوو الغنى ﴿وقالوا ذرنا﴾ دعنا واتركنا ﴿نكن مع القاعدين﴾ عن الجهاد ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ النساء ﴿وطبع﴾ غطى ﴿على قلوبهم﴾ بسبب كفرهم وجبنهم ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه﴾ لم يتخلفوا ، و﴿جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات﴾ منافع الدارين . وقيل: المراد بالخيرات النساء الحسان ؛ لقوله تعالى «فيهن خيرات حسان» ﴿أعد الله لهم جنات﴾ حدائق وبساتين ﴿وجاء المعذرون﴾ المعتذرون الذين انتحلوا الأعذار ، ليتخلفوا عن الجهاد ﴿ليؤذن لهم﴾ فى القعود . وقيل : المعتذرون بعذر حقيق يمنعهم من الجهاد ﴿وقعد﴾ عن الجهاد المشركون ﴿الذين كذبوا الله﴾ أى كذبوا عليه ؛ فادعوا الإيمان ونافقوا ؛ فلم يجاهدوا مع المجاهدين ، ولم يعتذروا مع المعتذرين ؛ وقرأ أبى «كذبوا الله» فلم يصدقوا وعده بأجر المجاهدين ؛ وما أعده لهم من خير عميم ، ونعيم مقيم ﴿ليس على الضعفاء﴾ حرج فى ترك الجهاد ﴿ولا على المرضى﴾ لأنهما سيكونان عبئاً ثقيلا على المجاهدين ﴿ولا على الذين لايجدون ماينفقون﴾ فى سبيل الله : من مال ، أو سلاح ، أو مركب ﴿حرج﴾ إثم فى التخلف ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ فى حال تخلفهم ؛ فلا يثبطون همم غيرهم ، ولا يقعدونهم عن الجهاد .

والنصح : إخلاص العمل من الغش ﴿ما على المحسنين﴾ لأعمالهم ؛ الذين نصحوا لله ورسوله ، ولم يمنعهم عن الجهاد إلا العذر الشديد ﴿من سبيل﴾ يدعو إلى مؤاخذتهم أو لومهم

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

الأعراب

﴿ولا على الذين﴾ رغبوا فى الجهاد رغبة صادقة، ولم يمنعهم عنه سوى أنهم ﴿إذا ما أتوك لتحملهم﴾ أى لتعطيهم مايركبون عليه للجهاد ﴿قلت﴾ لقلة ماعندك من المراكب؛ وكثرة المجاهدين الذين استنفدوا كل ماعندك من خيل وأبعرة أعددتها وجمعتها للجهاد؛ قلت لهم ﴿لا أجد ما أحملكم عليه﴾ وعند ذاك يظهر الأسى على وجوههم، والحسرة فى قلوبهم ـ لمزيد إيمانهم وإخلاصهم ـ و﴿تولوا﴾ انصرفوا ﴿وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون﴾ فى سبيل الله؛ فيشترون مايركبونه ـ لهم ولأمثالهم ممن منعهم عن الجهاد قلة المراكب ـ ﴿إنما السبيل﴾ الطريق للمؤاخذة والعقوبة ﴿على الذين يستأذنونك﴾ فى التخلف ﴿وهم أغنياء﴾ أقوياء يستطيعون الجهاد فى سبيله تعالى بالأنفس والأموال؛ لكنهم ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ النساء؛ لأنهم خلف الرجال فى البيوت ﴿وطبع﴾ غطى ﴿الله على قلوبهم﴾ بسبب نفاقهم ﴿فهم لا يعلمون﴾ ما ينفعهم فيوصلهم إلى الجنة، ومايضرهم فيلقى بهم فى الجحيم! هذا وقد طبع الله تعالى على قلوبهم؛ بعد أن أنزل عليهم آياته البينات، وأراهم معجزاته الظاهرات؛ فأبوا طريق الهدى والفلاح، واتبعوا طريق الشيطان؛ فكان لزاماً أن يطبع الله تعالى على قلوبهم، ويختم على أبصارهم «فهم لا يعلمون» ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾ أى رجعتم من الجهاد ﴿لتعرضوا عنهم﴾ فلا تعاتبوهم على تخلفهم وقعودهم ﴿فأعرضوا عنهم﴾ فلا تشيروا إلى تقصيرهم، ولا تعاتبوهم؛ وذلك لأن المعاتبة: تصفية للقلوب، وإبقاء للمودة؛ ألا ترى إلى وصفه تعالى لأهل النار: «فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون» ﴿إنهم رجس﴾ قذر لخبث باطنهم؛ فلا يطهرون بالعتاب والتوبيخ. والرجس: القذر المؤدى إلى العذاب والعقاب.

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

﴿الأعراب﴾ أهل البدو ﴿أشد كفراً ونفاقاً﴾ لجفائهم وقسوتهم، وغلظ طباعهم، وبعدهم عن العلم والعلماء ﴿وأجدر﴾ أحق وأولى ﴿ألا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾ من شرائعه وفرائضه وأدلة توحيده؛ لقصر نظرهم، وقلة تبصرهم ﴿ومن الأعراب من يتخذ ماينفق﴾ فى سبيل الله ﴿مغرماً﴾ غرامة وخسراناً؛ لأنه ينفقه رياء وخوفاً ﴿ويتربص﴾ ينتظر ﴿بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان: وهى أنكاده، وتقلباته، ومصائبه، وهزائمه ﴿عليهم دائرة السوء﴾ دعاء بنزول العذاب ـ الذى ينتظرونه لكم ـ بهم، وحلول الهلاك بساحتهم ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله﴾ إيماناً يقينياً ﴿واليوم الآخر﴾ وما فيه من ثواب وعقاب ﴿ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ تقربهم منه، وتدنيهم من رحمته ﴿وصلوات الرسول﴾ دعواته ﴿ألا إنها﴾ أى نفقاتهم، أو دعوات الرسول عليه الصلاة والسلام، واستغفاره لهم ﴿قربة﴾ تقربهم من الله تعالى ﴿سيدخلهم الله﴾ بسبب ذلك ﴿فى رحمته﴾ نعيمه ورضوانه وجنته ﴿والسابقون الأولون﴾ هم من شهد بدراً، أو بيعة الرضوان ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) ﴿وممن حولكم﴾ يا أهل المدينة ﴿من الأعراب منافقون﴾ كقبائل أشجع وأسلم وغفار ومزينة وجهينة ﴿ومن أهل المدينة﴾ منافقون أيضاً ﴿مردوا على النفاق﴾ أى لجوا واستمروا عليه ﴿لا تعلمهم﴾ لتسترهم ونفاقهم، وتظاهرهم بالإيمان ﴿سنعذبهم مرتين﴾ فى الدنيا: بالقتل والأسر والخزى والهوان، أو بالأمراض والفضيحة ﴿ثم يردون﴾ يوم القيامة

﴿وآخرون﴾ من المنافقين ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ بأن تابوا منها ، وأقلعوا عنها ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم﴾ بها من دنس الشح ، والبخل ، والإثم ﴿وتزكيهم﴾ تنمي أعمالهم وحسناتهم ﴿وصل عليهم﴾ ادع لهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ رحمة وسلام وطمأنينة ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ يغفرلهم ذنوبهم ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يتقبلها ، ويجزي عليها ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ لأنه تعالى مطلع على السرائر ﴿ورسوله﴾ بإطلاع الله تعالى له على أعمالكم؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم» ﴿والمؤمنون﴾ سيرون بفراستهم ما تنطوي عليه أفئدتكم ، وما تنطق به ألسنتكم وتخفيه قلوبكم ؛ فإن المؤمن يريه الله تعالى ببصيرته مالا يراه المنافق ببصره ! وقد جرت عادة الله تعالى على فضح المنافق وانكشاف أمره ؛ قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّهُمْ

﴿وستردون﴾ ترجعون يوم القيامة ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ ما خفي وما ظهر ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يجازيكم عليه ﴿وآخرون﴾ غير من ذكر من المتخلفين ﴿مرجون لأمر الله﴾ مؤخرون إلى أن يظهر أمر الله تعالى فيهم ﴿إما يعذبهم﴾ فلا يتوب عليهم ، ويموتون بلاتوبة ؛ ويعرضهم للعذاب الأكبر يوم القيامة ! ﴿وإما يتوب عليهم﴾ فيتوبون إلى ربهم ، ويحسنون أعمالهم ؛ قال تعالى : «ثم تاب عليهم ليتوبوا» ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه ؛ فيعلم من يستحق منهم العفو ، ممن لا يستحق ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ مضارة . اى بقصد الإضرار بالمؤمنين . وهم أناس من المنافقين . قيل : كانوا اثني عشر رجلا ، وقصدوا ببنائه الإضرار بالذين بنوا مسجد قباء ﴿وإرصادا﴾ إعداداً وترقباً ﴿لمن حارب الله ورسوله﴾ من الكفار والمنافقين ﴿وليحلفن إن أردنا﴾ ما أردناه ببناء هذا المسجد ﴿إلا الحسنى﴾ والتوسعة على المصلين .

إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ

﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ وهو مسجد قباء ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ وهو حافة الوادى المتصدع، المشرف على السقوط ﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة﴾ شكا ﴿فى قلوبهم إلا أن تقطع﴾ تتقطع ﴿قلوبهم﴾ بالموت؛ أو إلا أن يتوبوا ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ مثل تعالى إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله؛ بالشراء. عن الحسن رضى الله تعالى عنه: أنفساً هو خلقها، وأموالا هو رزقها!

ومر أعرابى بالرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقرؤها فقال: بيع والله مربح؛ لا نقيله ولا نستقيله؛ وخرج إلى الغزو فاستشهد ﴿يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون﴾ أى يقتل بعضهم بعض الكفار ﴿ويقتلون﴾ يقتل بعض الكفار بعضهم ﴿وعداً عليه حقا﴾ أى إن جزاء المؤمن على جهاده بالجنة: وعد من الله حق ﴿فى التوراة والإنجيل والقرآن﴾ ومن هنا يعلم أن فريضة الجهاد، ومقاومة الأعداء، وبذل النفس والمال فى سبيل إعلاء كلمة الله تعالى: كان من أقدم العصور التى نزل فيها تشريع إلهى، ودين سماوى؛ وأنه قد نص على أجر المجاهدين وثوابهم «فى التوراة والإنجيل» قبل أن ينزل به القرآن الكريم؛ الذى جاء مصدقاً لما تقدمه من الرسل والكتب ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ أى لا أحد أوفى منه تعالى! ﴿فاستبشروا﴾ أيها المجاهدون ﴿ببيعكم الذى بايعتم به﴾ الله ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ وأى فوز أعظم من التمتع بالجنة، والفوز برضا الله تعالى؟! «أصحاب الجنة هم الفائزون» ﴿التائبون﴾ عن المعاصى ﴿الحامدون﴾ لله تعالى فى كل حالة.

﴿السائحون﴾ المجاهدون ، أو الصائمون . وذلك لأن الصائم تصفو روحه ، وتضعف شهوته ، وتتجلى قريحته ،ويعتدل نظره ، ويقل هواه ؛ فيكون أقرب شبها بالملائكة ؛فيسيح فى ملكوت الله تعالى ، ويتفكر فى خلق السموات والأرض ؛ وقيل : هم طلبة العلم ؛ لأنهم يسيحون فى الأرض ابتغاء طلبه وتحصيله ؛ أو هم الجائلون بأفكارهم فى ملك ربهم وتوحيده ﴿والحافظون لحدود الله﴾ أحكامه ، والعمل بما فيها ، والحض عليها ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين هذا حالهم بالجنة ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا﴾ أى ما يجوز لهم ولا يحق ﴿أن يستغفروا﴾ يطلبوا من الله المغفرة ﴿للمشركين﴾ الذين يتخذون مع الله إلها آخر ﴿ولو كانوا أولى قربى﴾ أى ولو كان المشركون ذوى قرابة للنبى والذين آمنوا . قيل : نزلت حين استغفر صلى الله تعالى عليه وسلم لعمه أبى طالب ، واستغفر بعض المؤمنين لآبائهم المشركين ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ لأنهم ماتوا على الكفر ؛ وليس بعد الكفر ذنب . قال تعالى : «إن الله لا يغفر أن يشرك به» ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ حين استغفر له ﴿إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وهى قوله لأبيه حال حياته «سأستغفر لك ربى» والمعنى : انه لا يجوز لكم أيها المؤمنون المستغفرون للمشركين ؛ أن تحتجوا باستغفار إبراهيم لأبيه ؛ لأنه استغفر له عن موعدة وعدها إياه ، ولأنه لم يتبين له بعد أنه من أعداء الله ، وأنه من أصحاب الجحيم ! ﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ بإبائه الإيمان ، وموته على الكفر ﴿تبرأ منه﴾ وترك الاستغفار له ﴿إن ابراهيم لأواه﴾ كثير التأوه من خشية الله تعالى ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم﴾ وإنما يضل من أصر على الكفر «ويضل الله الظالمين» «كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب» ﴿لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار﴾ تاب عليهم : رزقهم الإنابة إلى أمره وطاعته ﴿الذين اتبعوه فى ساعة العسرة﴾ فى غزوة تبوك: كان للعشرة رجال البعير الواحد ، وكان زادهم التمر المدود ، والشعير المسوس ؛ وربما اقتسم اثنان منهم التمرة الواحدة

ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ

رءوف

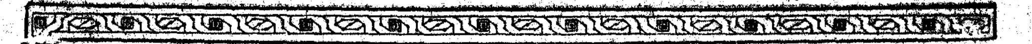
﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أى وتاب أيضاً على الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ؛ فلم يقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توبتهم ! وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية . وقيل «الذين خلفوا» أى تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم﴾ فلم يبق فيها أنس ولاسرور ، وذلك بسبب أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا لمقاطعتهم ؛ فكان أحدهم يفشى السلام لأقرب أقربائه فلايرد عليه ، وهجرتهم نساؤهم وأهلوهم ﴿وظنوا﴾ تيقنوا ﴿أن لاملجأ من الله إلا إليه﴾ فأكثروا من الابتهال والاستغفار ، إلى أن تاب عليهم العزيز الغفار ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم بما وسعت : لجأوا إلى اللطيف المنان، الرحيم الرحمن ؛ فتاب عليهم ليتوبوا ! فانظر ـ يارعاك الله وهداك ـ إلى رحمة مولاك ! يتوب عليك لتتوب «تاب عليهم ليتوبوا» ويحبك لتحبه «يحبهم ويحبونه» ويرضى عنك لترضى عنه «رضى الله عنهم ورضوا عنه» فاسأله أن يتوب عليك ، وأن يحبك ، وأن يرضى عنك! تاب الله علينا فيمن تاب ، وأحبنا فيمن أحب ، ورضى عنا فيمن رضى ! ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ أى ماصح وما جاز لهم أن يقعدوا عن طاعته ، ويتخلفوا عن الجهاد معه ﴿ولا يرغبوا﴾ لايضنوا ﴿بأنفسهم عن نفسه﴾ أى عما يصيب نفسه من أذى وغم ؛ بل يجب عليهم أن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأهليهم ، وأن يكونوا معه فى الضراء قبل السراء ، وفى الشدة قبل الرخاء ﴿وذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ﴾ عطش ﴿ولا نصب﴾ تعب ﴿ولامخمصة﴾ جوع ﴿ولا يطأون موطئاً﴾ أى لا يحتلون بلدا ، ولا يدوسون موضعاً ﴿يغيظ الكفار﴾ وطؤهم له ﴿ولا ينالون من عدو نيلا﴾ منالا . أى لا يقتلون منهم قتيلا ، أو يأسرون أسيراً ، أو يجرحون جريحاً ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ ينالون أجره ، ويكسبون ثوابه ﴿ولا يقطعون واديا﴾ أرضا ﴿إلا كتب لهم﴾ أجرهم وجزاؤهم ﴿وما كان المؤمنون﴾ ماصح ، وما جاز لهم ﴿لينفروا﴾ للحرب ، أو لطلب العلم ﴿كافة﴾ عامة ؛ ويتركوا أهلهم بلا عائل ، وأوطانهم بلا حافظ ؛ بل ينفر بعضهم للجهاد ، وبعضهم للتفقه فى الدين ، ويبقى باقيهم لحماية الذمار ، وحفظ الديار

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نفر من كل فرقة﴾ جماعة ﴿منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين﴾ يتعلموا ويتبصروا ﴿ولينذروا قومهم﴾ بما تعلموه وتفقهوا فيه ﴿لعلهم يحذرون﴾ الجهل فيتجنبونه ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ أى القريبين منكم ؛ لأنك لو قاتلت الأبعدين ؛ لم تأمن غدر الأقربين . وذلك النظام من أدق فنون القتال ؛ لتحمى ظهرك ممن يلونك من الأعداء ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ قسوة وشدة ؛ ليكونوا عبرة لمن بعدوا عنكم من الكفار ؛ وليتم أمر الله تعالى وإعلاء دينه ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ من القرآن ﴿فمنهم﴾ أى من المنافقين ﴿من يقول﴾ لأصحابه تعجباً ﴿أيكم زادته هذه﴾ السورة ﴿إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ بالله ؛ ويقيناً بوحدانيته، وتصديقاً برسوله ﴿وهم يستبشرون﴾ بما أعده الله تعالى لهم من ثواب وأجر ﴿وأما الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ الرجس : القذر . وهو كل عمل يؤدى إلى العذاب ؛ أى زادتهم كفراً على كفرهم ﴿أولا يرون﴾ أى أولا يرى هؤلاء المنافقون ﴿أنهم يفتنون﴾ يبتلون بالقحط والشدة ، والأمراض والأوجاع ؛ وهى كلها من الله تعالى ؛ امتحانا لخلقه ، وتأديباً لهم ﴿فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون﴾ عن نفاقهم وكفرهم ؛ رغم هذه الفتنة التى نبتليهم بها كل حين ؛ لنعرفهم قدرتنا ، ونشعرهم بقوتنا وقهرنا ؛ لكنهم لا يتعظون ، ولا يرجعون ﴿ولاهم يذكرون﴾ يتذكرون ﴿وإذا ما أنزلت﴾ على الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿سورة﴾ من القرآن ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ قائلين ﴿هل يراكم من أحد﴾ من المؤمنين ﴿ثم انصرفوا﴾ من مجلس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ معرضين عن سماع القرآن ﴿صرف الله قلوبهم﴾ بعد أن مهد لهم تعالى سبل الإيمان فأنكروها ، وأبان لهم دواعى الحق فتنكروا لها ، وأنزل عليهم آياته فانصرفوا عنها ؛ بعد كل ذلك «صرف الله قلوبهم» جزاء لهم على انصرافهم ؛ وهو كقوله تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» وقد يكون معنى قوله تعالى «صرف الله قلوبهم» دعاء عليهم ؛ كقوله «قاتلهم الله» هذا شأن الزائغين المنصرفين ؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؛ فأولئك «يهديهم ربهم بإيمانهم» ﴿لقد جاءكم﴾ أيها الناس ﴿رسول من أنفسكم﴾ أى من جنسكم ، وقرىء «من أنفَسكم» بفتح الفاء ؛ من النفاسة . أى من أشرفكم وأفضلكم ، أو أكثركم طاعة وتقربا إلى الله تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ شاق على نفسه ارتكابكم الإثم ، وتعرضكم للهلاك والتلف والخسران ؛ وهو من العنت ؛ أى المشقة والحرج ﴿حريص عليكم﴾ أى حريص على إيمانكم وهدايتكم ونجاتكم



رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

(١٠) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّة
إلا الآيات ٤٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فمدنية
وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فقل حسبي﴾ كافٍ ﴿الله﴾ وحده.

(ســورة يونس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ المحكم؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿أكان للناس عجباً﴾ استفهام للتقرير والتوبيخ؛ أي هل يجوز أن يعجب الناس ﴿أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ وإنما العجب كل العجب: إذا لم نوح أصلا، أو إذا أوحينا إلى رجل ليس منهم، أو إلى مخلوق ليس من جنسهم؛ فلا يسكنون إليه، أو يرتاحون لمخاطبته: كملك، أو جن، أو غيرهما ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق﴾ أي سابقة فضل؛ تستتبع الأجر الحسن، أو هي شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قال الكافرون إن هذا لساحر﴾ أي ما هذا النبي إلا ساحر ﴿مبين﴾ بين السحر واضحه ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به؛ وليس كاستواء المخلوقين؛ لأن الديان، يتقدس عن المكان، وتعالى المعبود عن الحدود ﴿يدبر الأمر﴾ بين الخلائق ﴿ذلكم﴾ الموصوف بهذه الصفات، المتسم بهذه السمات ﴿الله ربكم فاعبدوه﴾ وحده، ولا تشركوا به شيئاً

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ

فِيهَا

﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ فيجازى كل واحد بما عمل ﴿وعد الله حقا﴾ إنه لا يخلف الميعاد ﴿إنه يبدأ الخلق﴾ بالإنشاء ﴿ثم يعيده﴾ بالإحياء يوم القيامة ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ الحميم: الماء المغلى الشديد الحرارة ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء﴾ تضىء للكائنات ﴿والقمر نوراً﴾ ينير للموجودات ﴿وقدره﴾ أى قدر القمر من حيث سيره ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرين منزلا، لثمان وعشرين ليلة؛ ويستتر ليلة ـ إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوما ـ أو ليلتين ـ إذا كان ثلاثين يوما ﴿لتعلموا﴾ بواسطة الشمس والقمر، واختلاف الليل والنهار؛ أو بواسطة تلك المنازل ﴿عدد السنين والحساب﴾ حساب الشهور والأيام والأعوام ﴿ما خلق الله ذلك﴾ الكون، وما فيه من آيات بينات ﴿إلا بالحق﴾ إلا بالحكمة والصواب، وإظهار بدائع الصنع، ودلائل القدرة والعلم ﴿يفصل الآيات﴾ يبينها ويوضحها ﴿لقوم يعلمون﴾ يتدبرون، ويتوصلون بعلمهم إلى مافى الكون من أسرار ﴿إن فى اختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجىء، والاظلام والإنارة، والنقصان والزيادة ﴿وماخلق الله فى السموات والأرض﴾ من بدائع صنعه، وعجائب مخلوقاته؛ إن فى كل ذلك ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ الله؛ فيؤمنون به، ويتدبرون فى مصنوعاته! ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أى لا يؤمنون بالبعث (انظر مبحث «التعطيل» بآخر الكتاب) ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ سكنوا إليها، ولم يعملوا للآخرة ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ أى يهديهم مولاهم بسبب إيمانهم. لأنهم ليسوا كالذين انصرفوا فصرف قلوبهم، أو زاغوا فأزاغها! ﴿دعواهم فيها﴾ دعاؤهم فى الجنة

﴿سبحانك﴾ تقدست وتعاليت . (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿وآخر دعواهم﴾ نهاية مطلبهم ، أو خاتمة دعائهم ، أو آخر قولهم ؛ حينما تتحقق سعادتهم ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ «الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم﴾ أى لو يعجل الله للناس الشر ـ الذى استحقوه بارتكاب المعاصى والآثام ـ بقدر استعجالهم للخير ـ الذى يظنون أنهم استوجبوه بأعمالهم ـ لأهلكهم جميعاً ﴿فنذر﴾ نترك ﴿الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أى لا يؤمنون بالبعث ؛

فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ

ولا يرجون ثوابا ولا عقابا ! وإنكار الآخرة ومافيها من بعث وحساب ، وثواب وعقاب : يكون بلسان الحال ، كما يكون بلسان المقال : فرب مؤمن بالآخرة بلسانه ، وأعماله تبالغ فى تكذيبه! إذ أن الذى لايقوم بمافرضه الله تعالى عليه من عبادات : غير مؤمن بالآخرة ؛ ولو أقسم على إيمانه بها ؛ فان يمينه غموس(١) ، والذى يرتكب الموبقات ، ولا يخشى رب الأرض والسموات : غير مؤمن بالآخرة ؛ وإلا فكيف يكون مؤمنا بالآخرة من يخشى المخلوقين ، ولايخشى أحسن الخالقين ؟ ! كيف يكون مؤمناً بلقاء الله: من يخشى الناس كخشية الله أو أشد خشية !

إن من شرائط الإيمان بالآخرة أيها المؤمن : أن تخشى عقابها وتطمع فى ثوابها ، وأن تعلم أن ربك قد أحصى عليك عملك ، وأنه محاسبك ؛ فمجازيك عليه: إن كان خيراً فخير ، وإن كان شرا فشر ! ﴿فى طغيانهم يعمهون﴾ يترددون متحيرين ﴿وإذامس الإنسان الضر﴾ المرض ، أو الفاقة ﴿دعانا لجنبه﴾ مريضاً : لا يمكنه الحركة ﴿أو قاعداً﴾ متعباً : لا يمكنه القيام ﴿أو قائماً﴾ دائبا فى طلب الرزق فلا يجد ما يسد الرمق . أو المراد أنه يدعو ربه على كل حالة هو عليها . ومن المعلوم أن حالة الإنسان وهيأته لايعدوان ثلاث حالات: نائماً ، أو قاعداً ، أو قائماً ﴿فلما كشفنا عنه ضره﴾ الذى دعانا من أجله: شفينا مرضه ، ومحونا بؤسه ، وأزلنا فقره ﴿مر﴾ انصرف عنا ، أواستمر على كفره ﴿كأن لم﴾ يحتج إلينا ، ويفتقر إلى معونتنا ، ولم ﴿يدعنا إلى ضر مسه﴾ فكشفناه عنه ﴿كذلك زين للمسرفين﴾ الكافرين ﴿ولقد أهلكنا القرون﴾ الأمم ﴿لما ظلموا﴾ كفروا ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الآيات الدالات على صدق رسالاتهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم ؛ جزاء على كفرهم ﴿ثم جعلناكم =

---

(١) اليمين الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم ، ثم فى النار ؛ لكذبه .

= خلائف) خلفاء؛ تخلفونهم فى سكنى الأرض وعمارتها (لننظر كيف تعملون) أتكفرون ككفرهم؛ وتنصرفون عن الإيمان كانصرافهم أم تؤمنون شأن سائر العقلاء (قال الذين لايرجون لقاءنا) أى قال الذين لايؤمنون بالبعث، ولا بالجزاء

نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ

بَعْدِ

(قل لو شاء الله ماتلوته) أى لو شاء الله تعالى ماأرسلنى به إليكم، و«ماتلوته عليكم» (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به الله تعالى على لسانى (فقد لبثت فيكم عمراً) أى مكثت بينكم سنين طوالا؛ فلم أحدثكم بشىء من ذلك، حتى أوحى الله تعالى إلى به، وكلفنى بابلاغه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) اختلق قرآنا؛ كما تنسبون إلى (أو كذب بآياته) التى أنزلها؛ كما تفعلون أنتم الآن (ويعبدون من دون الله) غيره (مالا يضرهم) أى لا يستطيع إيصال الضرر إليهم (ولا ينفعهم) لايجلب لهم النفع؛ وذلك لأنه جماد لايعقل (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) تقرب بهم إليه (سبحانه) تنزه وتقدس عن أن يكون له شريك، أو أن يشفع عنده أحد إلا باذنه. (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (وما كان الناس إلا أمة واحدة) على دين واحد؛ هو الإسلام من لدن آدم إلى نوح عليهما السلام، أو المراد بالناس: نوح ومن نجا معه فى سفينته (فاختلفوا) فأرسل الله تعالى إليهم رسله وأنبياءه. وقيل: كانوا أمة واحدة على الكفر، فبعث الله النبيين لهدايتهم. أو المراد أنه يولد من يولد على الفطرة، ثم أبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه «فاختلفوا» عند بلوغهم (ولولا كلمة سبقت) هى تأخير الجزاء إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) لعجل عقابهم فى الدنيا (ويقولون لولا) هلا (أنزل عليه) أى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (آية) معجزة (من ربه) كعصا موسى، وناقة صالح، وأمثالهما (فقل إنما الغيب لله) لايعلمه سواه «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير» (فانتظروا) ما يفعله الله بى وبكم (إنى معكم من المنتظرين) لذلك (وإذا أذقنا الناس رحمة) رزقا وخيراً

بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ

﴿من بعد ضراء﴾ بؤس وجدب ﴿إذا لهم مكر فى آياتنا﴾ بأن دفعوها وأنكروها بالاستهزاء والتكذيب ﴿قل﴾ لهم ﴿الله أسرع﴾ منكم ﴿مكراً﴾ أى أسرع عقوبة لكم على مكركم ﴿إن رسلنا﴾ أى الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ أى يحصون فى صحف أعمالكم ما تقومون به من سوء وشر؛ فنجزيكم به، ونؤاخذكم عليه ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك﴾ السفن ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ شديدة الهبوب ﴿وظنوا﴾ تأكدوا ﴿أنهم أحيط بهم﴾ أى أهلكوا. وهو من إحاطة العدو المؤدية إلى الهلاك ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى مخلصين فى دعوته، صادقين فى محبته! ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض﴾ يفسدون فيها ﴿ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أى إنما إثم بغيكم واقع على أنفسكم ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أى تمتعوا متاع الحياة الدنيا؛ وليس لكم فى الآخرة من نصيب! ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ فنجازيكم عليه ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ صفتها فى زوالها وفنائها ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ أى اختلط بالماء ﴿نبات الأرض﴾ جميعاً؛ فأنبت ﴿مما يأكل الناس﴾ من الحبوب والثمار وغيرهما ﴿والأنعام﴾ أى ومما تأكل الأنعام؛ من الكلإ والتبن والشعير وغيره ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾ استكملت زينتها وبهجتها؛ بالثمار والأزهار، والنبات والأقوات ﴿وظن﴾ تيقن ﴿أهلها أنهم قادرون عليها﴾ أى متمكنون منها، مالكون لها

﴿أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً﴾ وذلك لأن الأمر ــ إذا أتى ــ يكون نهاراً فى بقعة من الأرض ، وليلا فى بقعة أخرى . والمقصود بأمر الله الذى يأتى ليلا أو نهاراً : الأمر بزوال الأرض والسموات ، وانقضاء الدنيا

أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟

إِلَى

﴿فجعلناها حصيداً﴾ خراباً يباباً ؛ كالأرض المحصودة ﴿كأن لم تغن﴾ كأن لم تسكن إطلاقا ﴿والله يدعو﴾ إلى الإيمان به ، والعمل الصالح ؛ وكلاهما موصل ﴿إلى دار السلام﴾ إلى الجنة ؛ لأنها ممتلئة أمناً وخيراً ، وسعادة وسلاماً ؛ ولأنها هى «دار السلام» «وتحيتهم فيها سلام» ويقال لهم «ادخلوها بسلام» والمنعم بها تعالى اسمه «السلام» ﴿للذين أحسنوا﴾ فى هذه الدنيا ﴿الحسنى﴾ الجنة ؛ جزاء لاحسانهم ﴿وزيادة﴾ هى مضاعفة حسناتهم إلى مالا نهاية له ! وقد ورد فى الحديث الشريف : أن الزيادة ؛ هى النظر إلى وجه الله تعالى ! ﴿ولا يرهق﴾ لا يغشى ﴿وجوههم قتر﴾ غبرة وسواد ؛ كشأن أهل النار ﴿ولا ذلة﴾ هوان وخزى ؛ كالذلة والمهانة التى تعترى أهل الجحيم ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ عملوها ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ أى بعقوبة تماثلها فى الجرم ﴿وترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة﴾ خزى وهوان وفضيحة ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ مانع ، وواق ؛ يمنع عنهم عذابه ، ويقيهم ناره! ﴿كأنما أغشيت﴾ غطيت ﴿وجوههم قطعاً من الليل مظلما﴾ أى صارت وجوههم سوداء كقطع الليـل المظلم ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ أى الزموا مكانكم لاتبرحوه؛ حتى تروا ما يحل بكم ﴿أنتم وشركاؤكم﴾ الذين كنتم تعبدونهم ﴿فزيلنا﴾ فرقنا وميزنا ﴿بينهم﴾ وبين المؤمنين . وهو كقوله تعـالى «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» ﴿هنالك﴾ أى فى ذلك اليوم ﴿تبلو﴾ من الابتلاء ، وقرىء «تتلو» من التلاوة ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ ما قدمت من عمل

﴿وردوا إلى الله مولاهم﴾ إلههم وسيدهم ﴿الحق﴾ الذى لا إله غيره، ولا سيد سواه، ولا شريك له! ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أى غابت عنهم آلهتهم التى كانوا يزعمونها؛ فلم تشفع لهم عند الله، ولم تمنع عنهم عذابه! ﴿قل من يرزقكم من السماء﴾ بإنزال المطر؛ المنبت للحب والثمر؛ وإن شاء تعالى منعه ﴿والأرض﴾ بإخراج النبات والأقوات؛ وإن شاء تعالى أجدبها؛ فتم عند ذاك جوعا وعطشا! ﴿أمن يملك السمع﴾ يملك خلقها، وإن شاء أصمها! ﴿والأبصار﴾ أنارها، وإن شاء أعماها! ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ المسلم من الكافر، والكافر من المسلم، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان ﴿ومن يدبر الأمر﴾ فى السماء والأرض؛ فينزل الماء، ويخرج النبات، وينشر الأقوات؛ ويهب لمن شاء البنين ولمن شاء البنات؛ بتدبير منظم حكيم «ذلك تقدير العزيز العليم» ﴿فأنى﴾ فكيف ﴿تصرفون﴾ عن الإيمان؛ وهذه دلائله وبراهينه ﴿كذلك حقت﴾ وجبت ﴿كلمة ربك﴾ عذابه ﴿على الذين فسقوا﴾ كفروا وتمردوا، وتجاوزوا الحد. وهى قوله تعالى «وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ﴿قل هل من شركائكم﴾ الذين تعبدونهم ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن عبادته؛ مع قيام هذه الأدلة؟! ﴿قل هل من شركائكم﴾ أى الأصنام التى تعبدونها ﴿أفمن يهدى إلى الحق﴾ وهو الله جل شأنه ﴿أحق﴾ وأجدر ﴿أن يتبع﴾ ويعبد ويطاع ﴿أمن لا يهدى﴾ يهتدى ﴿إلا أن يهدى﴾ أى لا يهتدى إلى مكانه إلا إن هداه غيره إليه. والمعنى: أفمن يهدى الناس إلى الحق ويهديهم إلى ما يصلحهم، ويهديهم إلى ما فيه خيرهم ـ وهو الله تعالى ـ أحق بالعبادة والاتباع أمن لا يستطيع هداية نفسه إلى مكانه ـ وهم الأصنام ـ إلا أن يحمله حامل؛ فيضعه حيث شاء؛ لا حيث تريد الأصنام؛ التى لا إرادة لها ﴿فما لكم﴾ ما الذى أصابكم، وماذا دهاكم وأتلف عقولكم؟! ﴿كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد؛ الذى لا يسنده عقل ولا منطق ﴿وما يتبع أكثرهم﴾ أى أكثر الكفار ﴿إلا ظنا﴾ حيث قلدوا آباءهم فى عبادة الأصنام؛ ولم يحكموا عقولهم!

إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ

شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى

ٱلْعُمْىَ

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى﴾ أى لا يجوز عقلا ، ولا يصح دراية أن يكون هذا القرآن مفترى . لأنه فوق طاقة البشر ﴿ولكن﴾ أنزل ﴿تصديق الذى بين يديه﴾ ما تقدمه من الكتب كالتوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وتفصيل الكتاب﴾ تبيين ما كتبه الله تعالى ، وأنزله على رسله ﴿لاريب﴾ لاشك ﴿فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾ (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) ﴿وادعوا من استطعتم﴾ استعينوا بمن شئتم ﴿من دون الله﴾ غيره : هل يمكنكم أن تأتوا بسورة من مثله «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ وهو القرآن الكريم ؛ والناس دائما أعداء لما جهلوا ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ لم يأتهم حتى الآن عاقبة ما فى القرآن من الوعد والوعيد ﴿ومنهم﴾ أى من أهل مكة ﴿من يؤمن به﴾ أى من سيؤمن بهذا القرآن . علم الله تعالى ذلك عنهم ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ أبد الدهر ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ وسيقتص منهم فى الدنيا والآخرة ! ﴿وإن كذبوك فقل لى عملى﴾ ثواب عملى ﴿ولكم عملكم﴾ إثمه وعقابه ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ إذا قرأت القرآن ، وإذا نصحت لهم بالإيمان ؛ لكنهم لا يستمعون لك سماع تدبر أو تبصر ﴿أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾ شبههم بالعمى : لتعاميهم عن الحق «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور»

الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ

﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ عندما يعاقبهم ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بارتكابهم المعاصي، وتعريض أنفسهم للعقاب ﴿ويوم يحشرهم﴾ يجمعهم يوم القيامة ﴿كأن لم يلبثوا﴾ كأن لم يمكثوا في الدنيا، أو في القبور ﴿إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضاً عند البعث: تعارف بغض وافتضاح؛ يقول هذا لذاك: أنت أضللتني، أنت أغويتني، أنت حملتني على الكفر. ويتبرأ بعضهم من بعض، ويسب بعضهم بعضاً! وليس التعارف تعارف حب ومودة، وتراحم وشفقة؛ كتعارف المحبين في الدنيا ﴿قد خسر﴾ يومئذ ﴿الذين كذبوا بلقاء الله﴾ وأنكروا البعث، والحساب، والجزاء (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب في الدنيا ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإلينا مرجعهم﴾ فننتقم منهم ﴿ثم الله شهيد﴾ مشاهد ومطلع ﴿ولكل أمة﴾ من الأمم ﴿رسول﴾ يهديهم إلى طريق السداد والرشاد ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ إليهم فكذبوه ﴿قضى بينهم بالقسط﴾ بالعدل فأهلكنا المكذبين، وأنجينا المؤمنين ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أي متى هذا العذاب الذي تهددنا به ﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً﴾ وبالتالي لا أعلم ما يريده الله تعالى بي ولا بكم ﴿إلا ما شاء الله﴾ أن يطلعني عليه لحكمة خاصة ﴿لكل أمة أجل﴾ موعد لتعذيبهم ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً﴾ ليلا ﴿أثم إذا ما وقع﴾ العذاب ﴿آمنتم به﴾ أي بالعذاب الواقع وقيل لكم ﴿آلآن﴾ تؤمنون «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»

كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ
عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾
* وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ
وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ
ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾
أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ
مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ
لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ
هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم
مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ

أَمۡ

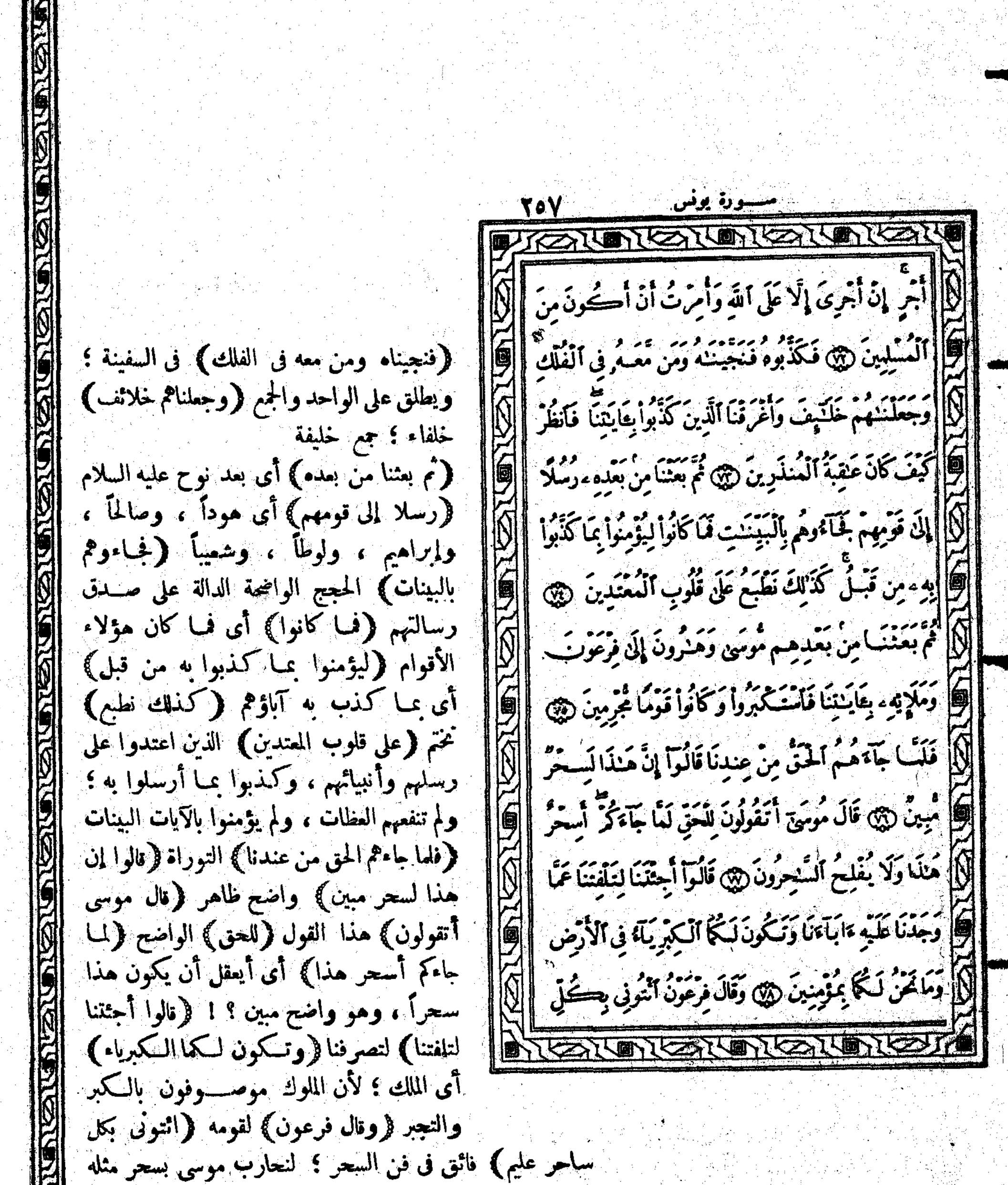
﴿وقد كنتم به﴾ أى بهـذا العذاب ﴿تستعجلون﴾ لتشكككم فى وقوعه ، وتكذيبكم لمن أنذر به ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ كفروا ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ العذاب الدائم ؛ نعوذ بالله تعالى من غضبه وعذابه ! (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) ﴿ويستنبئونك﴾ يستخبرونك ﴿أحق هو﴾ أى ما وعدتنا به من البعث والحساب والجزاء ﴿قل إى وربى﴾ نعم والله «إنه لحق مثل ما أنـكم تنطقون» ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بغالبين ، أو بفائتين العذاب الذى أعده الله تعالى لـكم ﴿ولو أن لـكل نفس ظلمت﴾ نفسها بالـكفر والمعاصى ، أو «ظلمت» غيرها بالبغى والعـدوان .. لو أن لها ﴿مافى الأرض﴾ جيعاً من مال ومتاع ﴿لافتدت به﴾ نفسها من عـذاب يومئذ ﴿وأسروا الندامة﴾ أظهروها ﴿لما رأوا العذاب﴾ وبدت الندامة على أسارير وجوههم؛ ومنه قولهم : أسر إليه المودة وبها . أى أظهرها له ﴿وقضى بينهم بالقسط﴾ بالعـدل ﴿ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ القرآن الـكريم ﴿وشفاء لما فى الصدور﴾ وأمراض الصـدور : أخطر من أمراض الجسوم ؛ لأن أمراض الصدور تؤدى إلى الجحيم ، وأمراض الجسوم تؤدى إلى النعيم ! ولا شفاء للصدر إلا بالقرآن ، ولا نجاة من النيران إلا به ! وشفاء الصدور : هو تخليصها من الشرور ، وإرشادها إلى ما فيه الحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ! ﴿قل بفضل الله﴾ عليهم ﴿وبرحمته﴾ لهم ﴿فبذلك﴾ الفضل والرحمة ﴿فليفرحوا﴾ لا بالمال والنشب ، والجاه والحسب . وقد ورد أن المراد بفضل الله فى هذه الآية : الإسلام . والمراد برحمته: القرآن . هذا وكل خير يصيب الإنسان: فرده إلى فضل الله تعالى وحده ، وكل بر وسعادة ونجاة : فرده إلى رحمته جل شأنه ! ففضله تعالى ورحمته هما الموصلان إلى خيرى الدنيا والآخرة! منحنا الله تعالى فضله ، ووهبنا رحمته؟ بفضله ورحمته ! ﴿هو﴾ أى فضل الله ورحمته ﴿خير مما يجمعون﴾ فى الدنيا من الأموال ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لـكم من رزق﴾ طيب حلال ﴿فجعلتم منه حراماً وحلالا﴾ كالبحيرة والسائبة (انظر آية ١٠٣ من سورة المائدة) ﴿قل آلله أذن لـكم﴾ فى تحريم ما حرمتم ، وتحليل ما أحللتم

أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

﴿أم على الله تفترون﴾ تكذبون عليه بنسبة ذلك إليه ﴿وما تكون فى شأن﴾ من الشئون، أو أمر من الأمور ﴿وما تتلو منه﴾ أى «ماتتلو» من أجل ذلك الشأن ﴿من قرآن ولا تعملون من عمل﴾ قل أو جل ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ مشاهدين ومراقبين لأعمالكم؛ نعلم ظواهركم وبواطنكم ﴿إذ تفيضون فيه﴾ تأخذون فى عمله ﴿وما يعزب﴾ وما يبعد، ولا يغيب ﴿عن ربك﴾ عن بصره وإرادته ومشيئته ﴿من مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ نملة صغيرة؛ تذروها الريح إذا هبت ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ؛ كتب فيه ما كان وماسيكون إلى يوم القيامة ﴿ألا إن أولياء الله﴾ خاصته وأحباءه ﴿لا خوف عليهم﴾ فى الدنيا ﴿ولا هم يحزنون﴾ فى الآخرة ﴿الذين آمنوا﴾ بالله تعالى وأحسنوا أعمالهم ﴿وكانوا يتقون﴾ الله، ويخشون غضبه وعذابه؛ فصدرت أعمالهم فى حدود ما رسمه الله تعالى لعباده وأراده لهم! فأولئك ﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا﴾ يبشرون وقت النزع؛ بأن يرى المحتضرمكانه من الجنة رأى العين؛ فيتهلل ويستبشر. وهذا مشاهد متواتر فى كل مؤمن معهود فيه التقوى، مشهود له بالصلاح ﴿وفى الآخرة﴾ «يستبشرون بنعمة من الله وفضل» ﴿لاتبديل لكلمات الله﴾ فأمره نافذ، ووعده محقق؛ جعلنا الله تعالى من المستبشرين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بمنه وفضله! ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ أى قول المشركين لك: «لست مرسلا» «إنما يعلمه بشر» وأمثال ذلك ﴿إن العزة﴾ القوة والغلبة ﴿لله جميعاً هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم؛ وسيجازيهم عليها؛ بعد أن ينصرك نصراً عزيزاً مؤزراً ﴿وما يتبع الذين يدعون﴾ يعبدون

﴿من دون الله﴾ غيره ﴿شركاء﴾ لله فى ملكه كما يزعمون ﴿إن يتبعون﴾ ما يتبعون ﴿إلا الظن﴾ الوهم والتخمين ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يختلقون ويفترون ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا﴾ لتستريحوا ﴿فيه والنهار مبصراً﴾ مضيئاً؛ تبصرون فيه ﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهو أحد صمد؛ لم يلد ولم يولد! ومن عجب أن هؤلاء الحمقى الجهال، ينسبون للعلى المتعال؛ ما ينزهون عنه رهبانهم؛ إذ أنهم لا يتزوجون ولا يلدون ﴿سبحانه﴾ تنزه وتقدس أن يكون له ولد! وكيف يكون له ولد؛ و﴿هو الغنى﴾ عن الولد، والوالد، والصاحبة؛ لأن الإنسان يحتاج للصاحبة: لتؤنسه وتخدمه. وللوالد: ليكلأه ويرعاه. وللولد: ليعينه ويستكثر به. والله تعالى ليس فى حاجة إلى مؤنس، أو كالىء، أو مدبر، أو راع، أو معين. إذ هو وحده مؤنس الكائنات، وكالؤهم، ومدبر مصالحهم، وراعيهم، ومعينهم! ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ ملكا وخلقاً وعبيداً ﴿إن عندكم﴾ ما عندكم ﴿من سلطان﴾ حجة ﴿بهذا﴾ الذى تقولونه ﴿قل إن الذين يفترون﴾ يختلقون ﴿على الله الكذب﴾ بنسبة الولد إليه ﴿متاع فى الدنيا﴾ أى ليس لهم إلا تمتع قليل فى الدنيا ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ فنحاسبهم حساباً عسيراً على ما عملوا فى دنياهم ﴿ياقوم إن كان كبر﴾ عظم وثقل ﴿عليكم مقامى﴾ إقامتى بينكم ﴿و﴾ شق عليكم ﴿تذكيرى﴾ وعظى لكم ﴿بآيات الله فعلى الله﴾ وحده ﴿توكلت﴾ أى اعتمدت عليه، واستعنت به. وليس أدل على صدق الإيمان، ومزيد الإيقان؛ من التوكل على الله تعالى. وقد قال نوح لقومه ما فى نفسه ليشعرهم أنه - وقد استعان بالله تعالى - لا يعبأ بكيدهم ولا بجمعهم، ولا يخشى من قوتهم وكثرة عددهم! لذلك جابههم بقوله ﴿فأجمعوا أمركم﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بى، وكيد تكيدونه لى ﴿وشركاءكم﴾ أى وادعوا شركاءكم لنصرتكم ﴿ثم لا يكن أمركم﴾ الذى تعزمون عليه ﴿عليكم غمة﴾ أى لا يكن مستوراً عليكم، بل واضحاً؛ تتمكنون منه، وتقدرون عليه؛ من غم الهلال: إذا استتر واحتجب. أو «لا يكن أمركم عليكم غمة» أى لا تكن نتيجة أمركم غما عليكم ﴿ثم اقضوا إلى﴾ امضوا فيما أردتموه من النيل منى! ﴿ولا تنظرون﴾ لا تمهلونى فانظر - ياهداك الله - إلى هذه القوة التى وهبها الله تعالى لنبيه نوح، والشجاعة التى بثها فى روحه وما كان ذلك إلا وليد اعتماده على ربه سبحانه وتعالى وتوكله عليه! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان الذى دعوتكم إليه، والتذكير الذى وعظتكم به ﴿فما سألتكم من أجر﴾ على ذلك

مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ



أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي الْفُلْكِ
وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ
هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ

﴿فنجيناه ومن معه فى الفلك﴾ فى السفينة ؛ ويطلق على الواحد والجمع ﴿وجعلناهم خلائف﴾ خلفاء ؛ جمع خليفة

﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أى بعد نوح عليه السلام ﴿رسلا إلى قومهم﴾ أى هوداً ، وصالحاً ، وإبراهيم ، ولوطاً ، وشعيباً ﴿فجاءوهم بالبينات﴾ الحجج الواضحة الدالة على صدق رسالتهم ﴿فما كانوا﴾ أى فما كان هؤلاء الأقوام ﴿ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أى بما كذب به آباؤهم ﴿كذلك نطبع﴾ نختم ﴿على قلوب المعتدين﴾ الذين اعتدوا على رسلهم وأنبيائهم ، وكذبوا بما أرسلوا به ؛ ولم تنفعهم العظات ، ولم يؤمنوا بالآيات البينات ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ التوراة ﴿قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ واضح ظاهر ﴿قال موسى أتقولون﴾ هذا القول ﴿للحق﴾ الواضح ﴿لما جاءكم أسحر هذا﴾ أى أيعقل أن يكون هذا سحراً ، وهو واضح مبين ؟ ! ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أى الملك ؛ لأن الملوك موصوفون بالكبر والتجبر ﴿وقال فرعون﴾ لقومه ﴿ائتونى بكل ساحر عليم﴾ فائق فى فن السحر ؛ لنحارب موسى بسحر مثله

سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ

فِرْعَوْنَ

﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ وذلك بعد أن قالوا له: «إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين» ﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قال موسى ماجئتم به السحر﴾ أى إن الذى جئتم به الآن هو السحر؛ لا ما اتهمتمونى به؛ و ﴿إن الله سيبطله﴾ لأن سنته تعالى فى خلقه: أنه ﴿لايصلح عمل المفسدين. ويحق الله الحق﴾ يظهره ويعليه ﴿بكلماته﴾ بأمره وقدرته ﴿فما آمن لموسى إلاذرية من قومه﴾ أى طائفة من أبناء قومه؛ أما كبارهم فاستكبروا وعتوا! وهذه الطائفة التى آمنت؛ إنما آمنت ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ أى رغم خوفهم من فرعون، وخوفهم من ملئهم؛ الذين هم أهلوهم وآباؤهم. أوعلى خوف من فرعون وشيعته ﴿أن يفتنهم﴾ أن يعذبهم ﴿وإن فرعون لعال﴾ متكبر جبار ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ المتجاوزين للحد: بكفره وادعائه الربوبية ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ وهو لا شك معيننا وناصرنا (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة﴾ أى موضع فتنة ﴿للقوم الظالمين﴾ بحيث يفتنوننا عن ديننا، ويضلوننا. والفاتن: المضل عن الحق. أو «فتنة» بمعنى عذابا. أى لا تجعلنا موضع عذابهم وانتقامهم ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ﴾ أى اتخذا. يقال: تبوأ المنزل: إذا نزله واتخذه سكناً ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أى مساجد تصلون فيها سراً؛ خوفا من أذى فرعون وملئه ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة﴾ فرشا وثيراً، وملبساً حسناً، ومسكناً فخماً، ومركباً فارهاً، وحلياً نفيسة ﴿وأموالا﴾ وفيرة

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ
لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا

﴿ليضلوا﴾ الناس ﴿عن سبيلك﴾ عن دينك الحق القويم ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أى أهلكها وأذهب آثارها ﴿واشدد على قلوبهم﴾ اطبع عليها؛ جزاء تمسكهم بكفرهم، واستهزائهم بنبيهم، وإيذائهم للمؤمنين ﴿فلا يؤمنوا﴾ لك ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ الذى تنزله بالمستهزئين، وتلحقه بالكافرين ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فلم يؤمن فرعون وقومه حتى أدركهم الغرق؛ فلم ينفعهم إيمانهم ﴿فاستقيما﴾ اثبتا على ما أنتما عليه من نشر الدعوة ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ صدق الإجابة، وحكمة الإمهال ﴿وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر﴾ جعلناهم يسلكونه ويتجاوزونه؛ بأن فرق الله تعالى الماء: فمر بنو إسرائيل على اليابسة. قال تعالى: «فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم» ﴿فأتبعهم﴾ لحقهم ﴿فرعون وجنوده بغياً﴾ منهم على المؤمنين ﴿وعدواً﴾ اعتداء وتطاولا وظلماً ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ ذهب بعضهم إلى أن فرعون قد آمن بقوله هذا؛ وأنه لا ينافى إيمانه ما جاء بعد ذلك فى القرآن الكريم ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ لأن ذلك القول من قول الملك الموكل بالعذاب؛ لا من قول الحكيم الخبير! وهذا القول يرده قول العزيز العليم «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن» وحضور الموت - المعنى فى هذه الآية - هو اليأس من الحياة؛ وقد قال فرعون ما قال وقت إطباق البحر عليه، ويأسه من النجاة. وسبب إهلاك فرعون بالاغراق: هو أنه ألجأ بنى إسرائيل إلى البحر ليغرقهم أو يقتلهم؛ فكان جزاؤه من جنس عمله. وتأمل - يارعاك الله - إلى قدرة الله؛ فقد جعل فى لحظة واحدة العزيز ذليلا، والذليل عزيزاً؛ إذ لم يكن أعز من فرعون وملئه، ولا أذل من موسى وقومه! (انظر آية ١٨ من سورة النساء) ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ بجسمك؛ بعد إزهاق روحك ﴿لتكون لمن خلفك﴾ أى لمن بعدك من الأمم ﴿آية﴾ عبرة لهم؛ وهاهى ذى جثته الآن تعرض فى دار الآثار المصرية. ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ الكافرين ﴿عن آياتنا لغافلون﴾ لا يتعظون بها «وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها» ﴿ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق﴾ أى أنزلناهم منزل تكريم: فى مصر والشام، أو الشام وبيت المقدس ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ الثمار وغيرها ﴿فما اختلفوا﴾ فى أمر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم؛ الذى بشر به كتابهم ﴿حتى جاءهم العلم﴾ القرآن

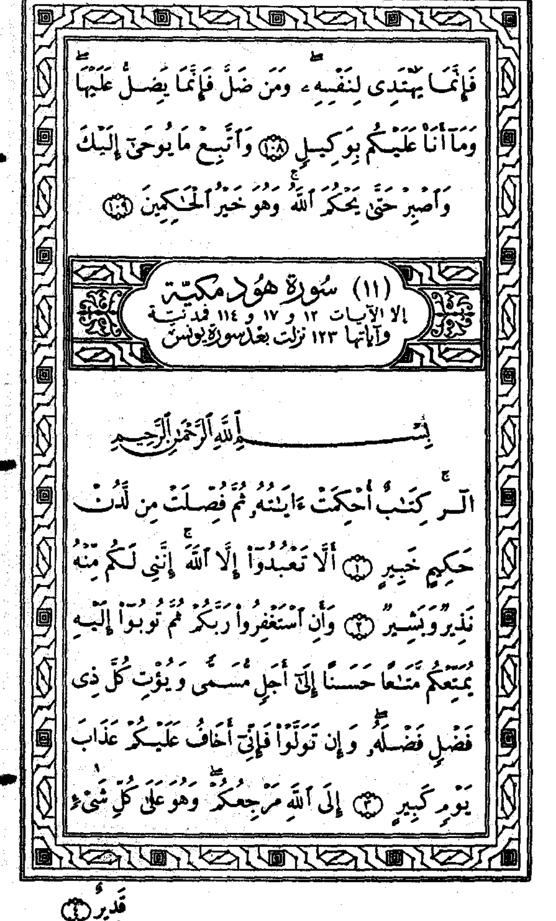
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي

الْأَيَـٰتُ

﴿فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾ من أن ذكرك قد ورد فى التوراة والإنجيل ﴿فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ المقصود بالكتاب: التوراة والإنجيل . قال صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت: «لا أشك ولا أسأل» ﴿لقد جاءك الحق﴾ القرآن ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين ﴿إن الذين حقت﴾ وجبت ﴿عليهم كلمة ربك﴾ بالعذاب ﴿فلولا﴾ فهلا ؛ وقرأ بها أبى وابن مسعود ﴿كانت قرية﴾ واحدة ؛ من القرى التى أهلكناها ﴿آمنت﴾ أى تاب أهلها عن الكفر ، وآمنوا بمحض إرادتهم ؛ قبل أن ينزل بواديهم العذاب ويحل بساحتهم؛ كما حل بساحة فرعون وملئه ﴿فنفعها إيمانها﴾ لأنها آمنت قبل اليأس من الحياة ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ بعد نزول العذاب بهم ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزى﴾ الذى كان سيحل بهم ﴿فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ وهو انقضاء آجالهم ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً﴾ ولكنه تعالى تركهم لمحض إرادتهم واختيارهم ؛ ليثيب الطائع ، ويعاقب العاصى ! فاذا كان ربك يامحمد لم يشأ أن يؤمن الناس قسراً وجبراً ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ليس عليك هداهم ، وما عليك إلا البلاغ المبين ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ بأمره وإرادته وتوفيقه! ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾ لا يتدبرون آيات الله تعالى ؛ فلا يؤمنون بها ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ من الدلالات القاطعة بوجود صانعها وبارئها ومدبرها ﴿وما تغنى﴾ ما تنفع .

ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ

﴿الآيات﴾ المبينة الواضحة ﴿والنذر﴾ الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ لا يفتحون أعينهم للآيات، ولا أسماعهم للعظات ﴿فهل ينتظرون﴾ بتكذيبك ومخالفتك ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا﴾ أي الذين مضوا من الأمم الذين كذبوا؛ فنزل بهم العذاب ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ غيره ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يميتكم باستيفاء آجالكم في الدنيا ﴿وأن أقم وجهك﴾ أي استقم واتجه بكليتك ﴿للدين﴾ الذي أمرت باتباعه؛ ولا تلتفت إلى ما عداه ﴿حنيفا﴾ مائلا إلى الإسلام ﴿ولا تدع﴾ لا تعبد ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿مالا ينفعك﴾ إن دعوته وعبدته ﴿ولا يضرك﴾ ان كفرته وتركته ﴿فان فعلت فانك إذاً من الظالمين﴾ الخطاب للرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ والمراد به أمته؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم: هو صاحب الدين الحنيف، الداعي إليه، الهادي له، وهو الآمر بالتوحيد، الحاث عليه، الناهي عن الشرك، المحطم له! وفقنا الله تعالى إلى حسن اتباعه، وحشرنا في زمرته؛ بفضله ورحمته! ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ مرض، وشدة ﴿فلا كاشف له﴾ أي لا كاشف لهذا الضر ﴿إلا هو﴾ وحده ﴿وإن يردك بخير﴾ عافية ويسر ﴿فلا راد لفضله يصيب به﴾ أي بالخير، أو بكل ما أراد من خير وشر ﴿من يشاء من عباده﴾ جزاء، أو ابتلاء ﴿قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق﴾ القرآن ـ الذي هو حق كله ـ ﴿من ربكم فمن اهتدى﴾ به



﴿فإنما يهتدى لنفسه﴾ لأن ثواب هدايته عائد إليها ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ لأن إثم ضلاله واقع عليها ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ فألزمكم بالإيمان، وأجبركم على الهدى.

(سورة هود)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿كتاب﴾ قرآن ﴿أحكمت آياته﴾ عما احتوته من عجيب النظم، وبليغ اللفظ، وبديع المعانى؛ لا خلل فيها ولا خطل ﴿ثم فصلت﴾ بينت بالأحكام، والمواعظ، والوعد، والوعيد، والثواب، والعقاب، والقصص ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم﴾ محكم للأمور ﴿خبير﴾ بكل ما كان وما يكون ﴿إننى لكم منه نذير﴾ بالعقاب ﴿وبشير﴾ بالثواب ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من الشرك والكبائر ﴿ثم توبوا إليه﴾ من ذنوبكم. وقدم تعالى الأمر بالاستغفار: لأن المغفرة هى الغرض، والتوبة هى السبب المؤدى إلى المغفرة! ﴿يمتعكم﴾ فى الدنيا ﴿متاعاً حسناً﴾ بسعة الرزق، ورغد العيش؛ فان لم يرزقهما التائب المستغفر رزق ماهو خير منهما: رزقه الله تعالى القناعة والرضا. قال الشافعى رضى الله تعالى عنه:

غنى بلا مال عن الناس كلهم   وليس الغنى إلا عن الشىء لا به

ورزقه الله تعالى أيضاً السرور والحبور؛ فتعالى الغنى المغنى، اللطيف الخبير! وهذا المتاع الحسن ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو انقضاء الأجل، وتحقيق الأمل؛ وكمال السعادة، وتمام السيادة، وتوفية الأجر الذى وعد به الكريم، وتفضل به على عباده المؤمنين التائبين! ﴿ويؤت كل ذى فضل فضله﴾ أى جزاء فضله ﴿وإن تولوا﴾ تتولوا وتعرضوا

﴿ألا إنهم﴾ وصف للمنافقين ﴿يثنون صدورهم﴾ أى يطوون قلوبهم على عداوة المؤمنين وبغضهم . أو المراد : ينصرفون ويعرضون عن سماع الحق ﴿ليستخفوا منه﴾ أى من الله ؛ ظنا منهم أنه تعالى لا يرى سرائرهم ، أو «ليستخفوا» من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ يتغطون بها ؛ كراهة استماع كلام الله تعالى . وهذا كقول نوح عليه الصلاة والسلام «جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم» والله تعالى ﴿يعلم مايسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ بما حوته القلوب ﴿ومامن دابة فى الأرض﴾

قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ

الدابة: كل مايدب على وجه الأرض ؛ من إنسان وحيوان وطائر ﴿إلا على الله رزقها﴾ تكفل به تعالى لكل ذى روح ؛ فانظر - يارعاك الله - كيف يرزق مولاك الطير فى الهواء ، والسمك فى الماء ، والدودة فى الصخرة الصماء! وانظر إلى رزقه للانسان ، رغم أنه دائب العصيان ، دائم الكفران ! فان الأسماك فى البحار لتكاد تلقى بنفسها بين يديه ؛ ليملأ بها شدقيه ! والطير يهجر أوطانه ، ويترك أخدانه ، وينتقل من بلد فيه نفأ ، وفى أرضه درج ؛ فيسبح فى الهواء آلاف الأميال ؛ ليلقى عصا الترحال ، على مائدة بنى الإنسان ؛ وبعد ذلك فان هذا الإنسان - بعد موته - يكون طعاما لغيره مما خلق الله تعالى من الدواب التى تكفل برزقها، وضمن حياتها حتى تنتهى آجالها . فأى نظام هذا الذى وضعه العلى القدير ، ونظمه الحكيم الخبير ؟! ﴿و﴾ هو بعد ذلك ﴿يعلم مستقرها﴾ أى مستقر كل دابة خلقها ﴿ومستودعها﴾ والمستقر : موضع القرار ؛ من سكان ، أو مسكن فى الأرض . والمستودع :مكانها فى الصلب والرحم ، أو مكانها فى الأرض حين تدفن بعد موتها ﴿كل﴾ من الدواب ، والرزق ، والمستقر ، والمستودع ﴿فى كتاب مبين﴾ بين وهو اللوح المحفوظ ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض﴾ وما فيهما ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملا﴾ فيجزى عليه الجزاء الأوفى ! ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت﴾ ومجزيون على أعمالكم ﴿ليقولن الذى كفروا إن هذا﴾ أى ما هذا القرآن المحتوى على ذكر البعث ﴿إلا سحر مبين﴾ بين السحر واضحه . وقرأ حمزة وعلى «ساحر» ويكون المراد به الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . والساحر : الكاذب المبطل ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة﴾ مدة من الزمن ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ أى مايمنع العذاب من النزول ؟ ﴿ألايوم يأتيهم﴾ العذاب ﴿ليس مصروفاً عنهم﴾ أى لايمنعه مانع ، ولا يدفعه دافع ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب ويقولون : «مايحبسه» ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ نعمة وفضلا ﴿ثم نزعناها منه﴾ امتحاناً له ﴿إنه ليئوس﴾ قنوط من رحمة الله تعالى ﴿كفور﴾ به ﴿ولئن أذقناه=

= نعماء﴾ غنى وسعة ﴿بعد ضراء﴾ فقر وشدة ﴿مسته ليقولن ذهب السيئات عنى﴾ أى انقطع الفقر والضيق ﴿إنه﴾ عندئذ ﴿لفرح﴾ فرح بطر وكبر؛ لا فرح نعمة وشكر ﴿فخور﴾ على الناس، متكبر عليهم، مستهين بهم ﴿إلا الذين صبروا﴾ على الضراء، وشكروا ربهم فى سائر حالاتهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ فى النعماء، ولم ينكروا أنعم الله تعالى عليهم، وفضله الواصل إليهم! ولا يخفى أن أولى الأعمال الصالحة وأولاها: البذل والصدقة ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ وذلك لأنهم كانوا يتلقون الوحى - عند نزوله - بالطعن والاستهزاء؛ فنزلت هذه الآية لفتاً لأنظارهم؛ وليعلموا أنهم مهما سخروا، ومهما استهزأوا؛ فان الله بالغ أمره، وإن رسوله مبلغ رسالته ﴿وضائق به صدرك﴾ كراهة استهزائهم، وكراهة ﴿أن يقولوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ يؤيده فى رسالته؟ قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم «ليس عليك هداهم» «إنك لا تهدى من أحببت» «لست عليهم بمسيطر» ﴿إنما أنت نذير﴾ منذر لهم بما أعددته للكافرين، من عذاب أليم ﴿أم يقولون افتراه﴾ اختلق القرآن ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) ﴿مفتريات﴾ مختلقات ﴿وادعوا من استطعتم﴾ لمعاونتكم ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿فان لم يستجيبوا لكم﴾ أى لم يجبكم من استعنتم بهم للاتيان بمثل هذا القرآن؛ وبان لكم عجزكم جميعاً عن الإتيان بمثله ﴿فاعلموا أنما أنزل﴾ هذا القرآن ﴿بعلم الله﴾ وارادته؛ لا باختلاق مختلق، ولا بافتراء مفتر ﴿وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ بعد ظهور هذه الدلالات والحجج القاطعة ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ ويرغب فى الحصول على المزيد من ملذاتها؛ ضارباً صفحاً عن الآخرة وما يوصل إليها من الإيمان وصالح الأعمال؛ فأولئك ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ أى نجزهم فى الدنيا على ما عملوه فيها من عمل صالح: كبر الوالدين، وحسن المعاملة، وأمثال ذلك ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ لا ينقصون شيئاً مما عملوه؛ فيجزون بمزيد من المال والصحة ﴿أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط﴾ بطل ﴿ما صنعوا فيها﴾ أى فى الدنيا؛ لأن أعمالهم لم يقصد بها وجه الله تعالى؛ بل قصد بها التفاخر والاستكثار ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ على برهان من الله، وحجة بينة عقلية: أن دين الإسلام حق! ﴿ويتلوه﴾ يتبعه ﴿شاهد منه﴾ أى من الله تعالى؛ يشهد بصدقه؛ وهو القرآن الكريم

ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن

قَبۡلِهِۦ

قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ التوراة ﴿إماماً﴾ الإمام: الجامع للخير، المقيم على الحق ﴿أولئك﴾ أى الذين هم على بينة من ربهم ﴿يؤمنون به﴾ أى بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ من الكفار؛ وسموا أحزاباً: لأنهم تحزبوا على معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فلا تك فى مرية﴾ شك ﴿ومن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن افترى﴾ اختلق ﴿ويقول الأشهاد﴾ أى الشهود؛ الذين شاهدوا كفرهم: من الملائكة والنبيين ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ بنسبة الولد والشريك إليه ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن دينه ﴿ويبغونها عوجا﴾ يصفونها بالاعوجاج، أو يتمنون أن تكون معوجة ﴿أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض﴾ فائتين أو غالبين ﴿وما كان لهم من دون الله﴾ غيره ﴿من أولياء﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى وينصرونهم؛ ولكنه تعالى أراد إنظارهم، وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ فيه ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ لما كانوا - لانصرافهم عن استماع الحق، وتعاميهم عنه - كمن لا يسمع ولا يرى: عبر عنهم بعدم استطاعة السمع والابصار ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ لأنهم أوقعوها فى العذاب الدائم، والنار المؤبدة ﴿وضل عنهم﴾ غاب ﴿ما كانوا يفترون﴾ يختلقون على الله تعالى من دعوى الشريك ﴿لا جرم﴾ لابد ولا محالة ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ لأن الإيمان بغير عمل صالح: لا يعتد به.

﴿وأخبتوا﴾ اطمأنوا ﴿إلى ربهم﴾ وانقطعوا إلى عبادته، ووثقوا بأجره وجزائه ورحمته ﴿مثل الفريقين﴾ المؤمنين والكافرين: فمثل الكافر ﴿كالأعمى والأصم﴾ لأنه لا يستفيد بما يرى، ولا بما يسمع ﴿والبصير والسميع﴾ وهو مثل المؤمن؛ لأنه رأى بديع صنع الله تعالى وملكوته؛ فأقر بوحدانيته. وسمع آياته؛ فآمن به ﴿هل يستويان مثلا﴾ وكيف يستوى الضدان؟ وقد اهتدى المؤمن بهدى الله، وآمن برسله وكتبه، وعمل بأمره، وانتهى بنهيه! كيف يستوى هذا ومن تعامى عن الحق، وركب رأسه، واتبع هواه، وأكب على دنياه! «هل يستويان مثلا» ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتذكرون بهذه الأمثلة ما يجب اتباعه وما لا يجب؟ وتعلمون الحق فتتبعونه! ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ في الدنيا؛ أو أريد به يوم القيامة؛ أو هما معاً ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي أسافلنا؛ وغاب عنهم أنهم هم الأسافل ولكن لا يعلمون. وقد يقصد بالأراذل: الفقراء ـ رغم أنهم أحباء الله تعالى وأسباب جنته ـ فبإكرامهم تستمطر الرحمات، وبالإحسان إليهم تجتلب البركات! وبإرضائهم يرضى الغني على عباده؛ فيهبهم رحمته، ويدخلهم جنته!

وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ

من

هذا والغنى من أهم أسباب البعد عن الله: إذا لم يكن مقروناً بالشكر والإنفاق؛ والفقر من أسباب القرب إلى الله: إذا كان مقروناً بالرضا والصبر؛ فإذا انعدما: كان الفقير مبعداً من الله تعالى؛ وبذلك يكون خاسراً لدنياه وآخرته! و«ذلك هو الخسران المبين» جعلنا الله تعالى من الشاكرين في النعماء، الصابرين في الضراء! ﴿بادي الرأي﴾ أي اتبعوك ابتداء من غير روية ولا تفكر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ فتستحقون به أن نتبعكم ﴿قال﴾ نوح ﴿ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة﴾ حجة واضحة ﴿من ربي وآتاني رحمة﴾ هداية ونبوة ﴿فعميت﴾ خفيت ﴿عليكم أنلزمكموها﴾ أي أنجبركم على قبولها واتباعها قسراً ﴿وياقوم لا أسألكم عليه﴾ أي على التبليغ ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ لفقرهم ﴿إنهم ملاقوا ربهم﴾ فآخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم.

مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ

﴿من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون﴾ أفلا تتذكرون وتتعظون بذلك! ﴿ولا أقول لكم عندى خزائن الله﴾ فأعطيكم وأغنيكم ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأخبركم به قبل وقوعه (انظر آية ٥٠ من سورة الأنعام) ﴿ولا أقول إنى ملك﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ولا أقول للذين تزدرى﴾ تحتقر ﴿أعينكم﴾ لضعفهم وفقرهم ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ لأنهم ضعفاء، أو لأنهم فقراء ﴿الله أعلم بما فى أنفسهم﴾ من إيمان وخير؛ فيثيبهم عليه خيراً وبرا! ﴿إنى إذا لمن الظالمين﴾ إذا قلت ذلك ﴿قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب. ويالها من حماقة وجهل (انظر آية ٣٢ من سورة الأنفال) ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين الله، وناجين من عذابه ﴿ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ يهلككم؛ من غوى الفصيل: إذا بشم وهلك. أو المعنى: إن كان الله يريد أن يضلكم ﴿أم يقولون افتراه﴾ أى اختلق محمد هذا القرآن ﴿قل إن افتريته فعلى إجرامى﴾ عقوبة إثمى وجرمى ﴿وأنا برىء مما تجرمون﴾ فى حقى؛ وتنسبونه إلىّ من الكذب والاختلاق ﴿فلا تبتئس﴾ فلا تحزن ولا تتأسف ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ بحفظنا ورعايتنا ﴿ووحينا﴾ بأمرنا ومعونتنا؛ ومانوحيه إليك من هيأتها وصفتها ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا﴾ لاتراجعنى، ولا تطلب منى العفو عنهم والمغفرة لهم؛ فإنهم قد استوجبوا العذاب بكفرهم؛ ولن تنفعهم شفاعة الشافعين!

ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ

وَيَٰسَمَآءُ

﴿قال إن تسخروا منا﴾ الآن ﴿فانا نسخر﴾ أى سنسخر ﴿منكم﴾ حين ننجو فى السفينة بأمر الله تعالى ؛ ويدركـكم الغرق ﴿فسوف تعلمون﴾ فى القيامة ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يفضحه ﴿ويحل﴾ ينزل ﴿عليه عذاب مقيم﴾ أى دائم ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ بالعذاب ؛ قلبنا الأوضاع ومحونا طبائع الأشياء : فجعلنا الماء يخرج من مصدر النار ، والأرض تمتنع عن شربه ﴿وفار التنور﴾ نبع الماء من التنور بغزارة ؛ و«التنور» هو مايصنع فيه الخبز ــ وقد صار مصدراً للماء ، بعد أن كان مصدرا للنار ــ من باب خرق العوائد ! ﴿قلنا﴾ لنوح ﴿احمل فيها﴾ أى فى السفينة ﴿من كل﴾ أى من كل نوع من الأنواع ، وجنس من أجناس المخلوقات ﴿زوجين﴾ ذكر وأنثى ؛ لحفظ النوع بعد الطوفان ﴿وأهلك﴾ أى واحمل أيضاً فى السفينة أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ بالإهلاك ؛ وهم زوجته وولده كنعان ؛ الذى ناداه أبوه لينجيه من الهلاك المحقق ﴿ونادى نوح ابنه﴾ وفى قراءة «ابنها» والضمير لامرأته ، وأنه كان ربيبه لا ابنه ﴿إلا من رحم﴾ أى إلا من رحمه الله تعالى بالإيمان ، والحمل فى السفينة .

فلما تم ما أراده الله تعالى ؛ من نفاذ أمره ، وهلاك أعدائه: أعاد طبائع الأشياء إلى ما كانت عليه ، وتولى حفظها ﴿وقيل يا أرض﴾ ارجعى سيرتك الأولى ، و ﴿ابلعى ماءك﴾ كطبيعتك التى أودعتها فيك

﴿ويا سماء أقلعى﴾ أمسكى عن المطر ﴿وغيض الماء﴾ نقص ونضب ﴿وقضى الأمر﴾ الذى أراده الله تعالى ﴿واستوت﴾ استقرت السفينة ﴿على الجودى﴾ جبل بأرض الجزيرة؛ قرب الموصل. وليس على جبال أرارات؛ كما يزعم الآن بعض المكتشفين ـ من أنهم رأوا هناك أجزاء من سفينة نوح عليه السلام ـ فما كل خشبة بسفينة، ولا كل سفينة بسفينة نوح ﴿وقيل بعداً﴾ أى هلاكا وسحقاً ﴿للقوم الظالمين﴾ الكافرين!

وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟

﴿ونادى نوح ربه﴾ مبتهلا إليه ﴿فقال رب إن ابنى﴾ الذى حال بينى وبينه الموج ﴿من أهلى وإن وعدك الحق﴾ وقد وعدتنى أن تنجى أهلى؛ فكيف بولدى؟ ﴿قال يانوح إنه ليس من أهلك﴾ إشارة إلى أن الكفر يبعد القرباء، والإيمان يقرب البعداء! ألا ترى إلى قوله تعالى «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» وقوله عز وجل «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض» وقوله جل شأنه «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» ولذا قال تعالى: «إنه ليس من أهلك» ﴿إنه عمل غير صالح﴾ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه كان ابن زنا؛ بدليل قوله تعالى «إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح» أى «إنه ليس من أهلك» أصلا؛ لأنه نتيجة عمل غير صالح. وقوله جل شأنه عن زوجتى نوح ولوط عليهما السلام «كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما» وقد أورد هذا المعنى ابن جرير الطبرى بأكثر من عشر طرق رواية؛ وقد حلف بعض التابعين أنه ليس بابنه.

واحتج على من قال ذلك بقوله تعالى: «ونادى نوح ابنه» وبأنه لا يجوز أن يحدث زنا فى بيت من بيوت النبوة؛ ولو أن الكفر حدث فى بيوتهم، ومن المقطوع به أن الزنا من الذنوب التى يقلع عنها، ويستغفر منها؛ وهو دون الكفر ﴿وإلا تغفر لى﴾ وإن لم تغفر لى ﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا﴾ انزل من السفينة. فقد زال الخوف، وحل الأمن، وطهرت البلاد من الفساد! ﴿وبركات﴾ خيرات ونعم ﴿عليك وعلى أمم ممن معك﴾ فى السفينة. أى من أولادهم وذرياتهم؛ وهم المؤمنون ﴿وأمم﴾ منهم سيكفرون بالله تعالى؛ فأولئك ﴿سنمتعهم﴾ فى الدنيا قليلا ﴿ثم يمسهم﴾ فى الآخرة ﴿منا عذاب أليم﴾ مؤلم دائم ﴿تلك﴾ القصة ﴿من أنباء الغيب﴾ الذى غاب عنك فهمه وعلمه ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ الوقت، أو من قبل إيحائى لك بها ﴿فاصبر﴾ يامحمد على أذى قومك؛ كما صبر نوح من قبلك على أذى قومه.

﴿يا قوم لا أسألكم عليه﴾ أى على التبليغ والإنذار ﴿أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرنى﴾ خلقنى ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ يؤخذ من هذه الآية: أن كثرة الاستغفار: تزيد فى الرزق، وتعين على الباه؛ بدليل قوله تعالى فى هذه الآية «ويزدكم قوة إلى قوتكم» وقوله جل شأنه: «ويمددكم بأموال وبنين» هذا غير الأجر الأخروى المستدل عليه بقوله تعالى «ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» وأقسم أنه ما اعترانى هم أو ضيق؛ ولجأت إلى الاستغفار: إلا وجدت من شدتى فرجا، ومن ضيقى مخرجا ﴿قالوا ياهود ما جئتنا ببينة﴾ برهان ومعجزة تدل على صدقك ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ أى أصابك بمكروه؛ فاختلط عقلك. فتحداهم هود عليه السلام، وتحدى آلهتهم ﴿قال إنى أشهد الله﴾ الإله الحق ﴿واشهدوا﴾ أنتم أيضاً ﴿أنى برىء مما تشركون﴾ مع الله فى العبادة؛ من آلهة لاتضر ولاتنفع ﴿فكيدونى جميعاً﴾ أنتم وآلهتكم التى تزعمون أنها مستنى بسوء ﴿ثم لاتنظرون﴾ لا تمهلونى.

انظر بربك كيف جابه هود بمفرده جمعهم، وكيف استهان بكثرة عددهم وعدتهم وكيف سفه آلهتهم؛ وما ذاك إلا لشدة إيمانه بربه، ويقينه بنصرته، وعظم ثقته بمرسله تعالى! وهى وحدها ـ لوتأملوها بعين الاعتبار ـ من أعظم البراهين الدالة على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام! ولو كان مبطلا: لمالأهم وداهنهم، وخطب ودهم؛ كما يفعل الدجالون المشعوذون ﴿إنى توكلت على الله ربى وربكم﴾ فهو وحده القادر على حفظى وكلاءتى (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿وما من دابة﴾ وهى كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطير ﴿إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أى مالك أمرها، وقاهرها؛ فلا تتحرك إلا بإرادته، ولا نفع ولا ضر يقع منها أو عليها إلا بمشيئته! وخص الناصية بالذكر: لأن من أخذ بناصيته: يكون فى غاية الذلة، ونهاية الاستكانة؛ ولذا كانوا يجزون ناصية المذنب إمعاناً فى إذلاله وتحقيره! والناصية: شعر مقدم الرأس ﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾ يقضى بين عباده بالحق؛ فيثيب المحسن على إحسانه، ويجازى العاصى على عصيانه ﴿فان تولوا﴾ تعرضوا عن الإيمان

ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ

شَىْءٍ

شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

﴿إن ربى على كل شىء حفيظ﴾ رقيب ﴿ولما جاء أمرنا﴾ بالعذاب ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ هداية وتوفيق : هديناهم للايمان ، ووفقناهم للطاعة ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾شديد ﴿وتلك عاد﴾ قوم هود ﴿جحدوا بآيات ربهم﴾ كذبوا بالمعجزات وأنكروها ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ كل عات متكبر ، معاند للحق ﴿وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة﴾ من الناس . واللعنة : الإبعاد والطرد ؛ المقترن بالسخط والغضب ﴿ويوم القيامة﴾تدركهم اللعنة أيضاً ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ يقال:أبعده الله بعداً : نحاه عن الخير ولعنه﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عماراً لها : تسكنون فيها ، وتتمتعون بخيراتها ﴿إن ربى قريب مجيب﴾ أى قريب الرحمة ، مجيب الدعاء ﴿قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً﴾ نرجو خيرك وعطفك وبرك ؛ فما بالك تنهانا عما نعبد ويعبد آباؤنا ؟ أوالمراد «مرجواً» ذا عقل راجح ، وذهن ثاقب ﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة﴾ نبوة وحكمة وهداية ﴿فما تزيدوننى غير تخسير﴾ أى ضلال ؛ لأن الضلال يعقبه الخسران . أو «فما تزيدوننى» بتكذيبكم ، والتمسك بآلهة آبائكم ؛ غير زيادة ضلالكم وخسرانكم

﴿ويٰقوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ معجزة دالة على صدق ﴿فذروها﴾ اتركوها ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ سريع حال ﴿فعقروها﴾ ذبحوها ، أو قتلوها ، وقيل : قطعوا قوائمها ؛ عقرها واحد منهم ؛ ورضوا جميعاً عن عمله ؛ لذا عبر تعالى بجميعهم . ومن هنا يعلم أن الراضى عن المعصية : شريك فى العصيان ، وأن العذاب كما يصيب العاصى بعصيانه ؛ فانه يصيب الطائع بتركه النهى عن العصيان ، قال تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» بل تصيب الذين ظلموا ، والذين لم يضربوا على أيديهم ليكفوا عن ظلمهم ﴿فقال﴾ لهم صالح ؛ بعد عقرهم للناقة ، واستهانتهم بأمر ربهم ﴿تمتعوا فى داركم﴾ بالأمن والسلامة ﴿ثلاثة أيام﴾ يحل بعدها عذاب الله تعالى بساحتكم ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ واقع لا محالة ! ﴿فلما جاء أمرنا﴾ بالعذاب ﴿نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ وهى توفيقهم للايمان ؛ الذى كان سبباً فى نجاتهم ﴿ومن خزى يومئذ﴾ وهو الخزى الذى لحق بالكافرين المعذبين؛ وأى خزى أخزى من غضب الله تعالى وعذابه ! ﴿إن ربك هو القوى﴾ القادر على نفاذ أمره ﴿العزيز﴾ القاهر ، الذى لا يغلب ﴿وأخذ الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿الصيحة﴾ صاح بهم جبريل عليه السلام ؛ فأهلكهم الله تعالى بصيحته ؛ والصيحة : تطلق على العذاب ، أو هى مقدمة لكل عذاب ﴿فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كأن لم يغنوا﴾ كأن لم يقيموا ﴿ألا بعداً لثمود﴾ أبعده الله بعداً : نحاه عن الخير وامنه ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾ ملائكتنا ﴿ابراهيم بالبشرى﴾ بشروه باسحق ويعقوب ﴿قالوا سلاماً﴾ أى سلموا عليه سلاما ؛ أو قالوا قولا طيباً يبعث على الأمن والراحة والسلام . قال تعالى «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ﴿قال سلام﴾ أى أمرى سلام ، ولا أريد غير السلام ﴿فما لبث﴾ أى فما مكث ﴿أن جاء﴾ حتى جاء ﴿بعجل حنيذ﴾ مشوى ؛ فوضعه أمامهم ليأكلوا منه ؛ فلم يتقدم أحد منهم للأكل ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ أى لا تمتد إلى العجل المشوى الذى قدمه لإكرامهم ؛ وقد كانوا جاءوه فى صورة بنى الإنسان ﴿نكرهم﴾ أنكرهم ، وتوهمهم أعداء لا أحباء ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ أضمر فى نفسه الخوف منهم ؛ وذلك لأنه كان من عادة العرب أنهم إذا عادوا إنساناً ، وأرادوه بسوء : لم يمسوا طعامه ؛ ولا يزال ذلك فيهم حتى الآن ﴿قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ بالعذاب ﴿وامرأته﴾ أى امرأة إبراهيم عليه السلام ﴿قائمة﴾ بخدمة الأضياف ، أو «قائمة» وراء الستر ؛ تستمع لما يدور بينهم وبين زوجها . والأول أولى : لكلام الملائكة لها ، وتبشيرهم إياها =

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ

يَٰوَيْلَتَىٰٓ

يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً

=(فضحكت) حاضت ؛ تمهيداً لما سيلقى عليها من البشارة (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) وقيل: «فضحكت» استبشاراً بما سمعته من إهلاك قوم لوط ، أو سروراً بزوال الخوف عن زوجها (قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز) ونسيت حيضها ؛ الذى هو من علامات الاستعداد للحمل (وهذا بعلى شيخاً) أى عجوزاً ؛ لا ينجب مثله الأبناء (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته ؛ وهو إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ! (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أهل بيت إبراهيم ، بيت النبوة (إنه حميد) محمود فى كل مايعمل (مجيد) كثير الخير والاحسان!

(فلما ذهب عن إبراهيم الروع) الخوف من الأضياف وعدم تناولهم طعامه ، وعلم أنهم رسل ربه جل شأنه ! (يجادلنا فى قوم لوط) وذلك إنه لما علم من ملائكة الرحمن أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط : مسه الفزع والانزعاج ؛ وقال لهم : أرأيتم لو كان فى قرية لوط خمسون مؤمناً أتهلكونها ؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا . قال : فثلاثون ؟ قالوا : لا . حتى بلغ العشرة ؛ قالوا : لا . قال : أرأيتم إن كان فيها مسلم واحد أتهلكونها ؟ قالوا : لا . قال : إن فيها لوطاً . قالوا : نحن أعلم بمن فيها ؛ لننجينه وأهله (إن إبراهيم لحليم أواه) كثير التأوه والخوف من الله تعالى (منيب) راجع إليه تعالى (ياإبراهيم أعرض عن هذا) الجدال (إنه قد جاء أمر ربك) باهلاك قوم لوط (وإنه آتيهم عذاب غيرمردود) بجدالك عنهم ، أو بشفاعتك لهم (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم) أى ساءه مجيؤهم (وضاق بهم ذرعاً) يقال : ضاق ذرعه بالأمر ؛ إذا لم يطقه ولم يتحمله (وقال هذا يوم عصيب) شديد الشر والمكاره ! وذلك لأنه ظن رسل ربه أضيافا ؛ وخاف إذاية قومه لهم (وجاءه قومه يهرعون) يسرعون (إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) وهى إتيان الذكران فى الأدبار ؛ ولقد انفرد بهذا الجرم من بنى الإنسان : من انحط عن مرتبة الحيوان ! وحد هذا الجرم : الإلقاء من حالق ، أو جبل شاهق ؛ ليكون عبرة لغيره ، ونكالا لمثله ! (قال) لوط لقومه (ياقوم هؤلاء بناتى) أى بنات أمته ـ لأن كل نبى أب لأمته ـ لأنه لايصح أن يتزوج الأشرار الأخيار ؛ فما بالك ببنات الأنبياء! (هن أطهر لكم) بالزواج (فاتقوا الله ولا تخزون) لا تفضحونى (أليس منكم رجل رشيد) عاقل ؛ يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر (قال لو أن لى بكم قوة) أستطيع أن أدفع أذاكم بها

(أو آوى إلى ركن شديد) عشيرة تنصرنى عليكم، وتقيني شروركم! وحين سمع ملائكة الله تعالى تحسر لوط على ضعفه وانقطاعه (قالوا) له (يالوط) لا تخش بأساً؛ وإن ركنك لشديد (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) أى لن يستطيعوا الوصول إليك؛ لأننا أرسلنا لإهلاكهم، وقطع أدبارهم (فأسر) الإسراء: السير ليلا (بقطع) طائفة (من الليل ولا يلتفت منكم أحد) وراءه؛ خشية أن يرى ماحل بالقوم فيذهله ذلك ويؤلمه ويأخذ بلبه! فانظر - يارعاك الله - إلى عذاب رؤيته عذاب! وقانا الله تعالى عذابه، وباعد بيننا وبين غضبه! (فلما جاء أمرنا) بالإهلاك (جعلنا عاليها سافلها) رفع جبريل عليه الصلاة والسلام قرى قوم لوط، حتى عنان السماء، ثم قلبها بمن فيها (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) من نار (منضود) متتابع (مسومة) معلمة. قيل: مكتوب على كل حجر منها اسم من يرجم به (ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير) أى فى سعة تغنيكم عن نقص الكيل والميزان (وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا) لا تنقصوا (ولا تعثوا) العثى: أشد الفساد (بقية الله خير لكم) أى ما أبقاه الله تعالى لكم من الحلال: خير مما تجمعونه من الحرام، والحسنات التى يبقى ثوابها عند الله: خير لكم من البقية التى تبقونها من الكيل والميزان! وهذا دستور من أعجب الدساتير: فكم قد رأينا من يطفف الميزان والمكيال: سعده فى زوال، وحاله من أسوإ الأحوال! ورأينا من يوفى الكيل والميزان: حاله دائماً فى رجحان، ويحوطه رضا الناس والرب فى كل مكان! (وما أنا عليكم بحفيظ) برقيب أراقبكم؛ ولكنه تعالى هو المراقب لكم، المنزل العقاب بكم!

أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا
جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ
قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟
ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ
بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ

أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ
فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ قولهم هذا إما أن يكون على سبيل التهكم والاستهزاء؛ وإما أن يكون بمعنى: كيف تقول ذلك وأنت المشتهر بالحلم والرشد ﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة﴾ برهان وحجة ﴿من ربى ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ النبوة والرسالة، أو «رزقاً حسناً» حلالا، لا نقص فيه ولا بخس ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه﴾ أى لاأريد بنهيكم هذا أن أسبقكم إلى شهواتكم وضلالاتكم التى أنهاكم عنها ﴿إن أريد﴾ ما أريد ﴿إلا الإصلاح﴾ لكم ﴿مااستطعت﴾ أى مدة استطاعتى وقدرتى على ذلك ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت﴾ فى سائر أمورى. (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿وإليه أنيب﴾ أرجع ﴿ويا قوم لا يجرمنكم﴾ لايكسبنكم ﴿شقاقى﴾ مخالفتى ﴿أن يصيبكم﴾ العذاب ﴿مثل ماأصاب قوم نوح﴾ وقد أهلكوا بالغرق ﴿أو قوم هود﴾ وقد أهلكوا بالريح العقيم ﴿أو قوم صالح﴾ وقد أهلكوا بالرجفة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ لقرب زمنهم من زمنكم، أو ديارهم من دياركم؛ وقد أهلكوا بالاستئصال، فجعل عالى قراهم سافلها، وأمطروا حجارة من سجيل! ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم﴾ بمن يؤمن به ﴿ودود﴾ كثير الود لمن والاه ﴿ولولا رهطك﴾ عشيرتك ﴿قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ أى اتخذتم الله وراء ظهوركم؛ فلم تتبعوا دينه، ولم تعبأوا بأوامره ونواهيه

مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ

ٱلَّتِي

﴿إن ربى بما تعملون محيط﴾ علماً فيجازيكم عليه ﴿وياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالكم وقدرتكم فى الإيذاء ﴿إنى عامل﴾ على مكانتى وقدرتى فى الإنذار والإصلاح ؛ حسب ما يؤتيني الله تعالى من النصرة والتأييد؛ و ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يفضحه ﴿ومن هو كاذب وارتقبوا﴾ انتظروا العذاب الموعود ﴿إنى معكم رقيب﴾ منتظر ومرتقب ﴿ولما جاء أمرنا﴾ بالعذاب ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام ؛ فهلكوا . والصيحة : تطلق على العذاب ، أو هى مقدمة لكل عذاب ﴿فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ كأن لم يقيموا فى ديارهم ﴿ألا بعداً لمدين﴾ يقال : أبعده الله تعالى ؛ أى نحاه عن الخير ، ولعنه وطرده ! ﴿كما بعدت ثمود﴾ كما لعنت وطردت وأهلكت ثمود من قبل ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ بالمعجزات الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وسلطان مبين﴾ معجزة بينة قاهرة ؛ ولعله أريد بها العصا ؛ لأنها أظهر معجزات موسى عليه السلام ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ بذى رشد ؛ انما هو غى ، ومحض ضلال ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ يتقدمهم ﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ الورد: مكان الشرب ، أو هو الموضع المقصود ﴿وأتبعوا فى هذه﴾ الدنيا ﴿لعنة ويوم القيامة﴾ أى يلعنون فى الدنيا ، ويلعنون فى الآخرة أيضاً ﴿بئس الرفد المرفود﴾ الرفد : العطاء . أى بئس العطاء المعطى لهم ! ﴿ذلك﴾ القصص ﴿من أنباء القرى﴾ التى كفرت بخالقها وبالمرسل إليها ﴿نقصه عليك﴾ يامحمد ؛ تسلية لك ﴿منها﴾ أى من هذه القرى ﴿قائم﴾ باق حتى الآن ﴿وحصيد﴾ فان قد اندرس وامحى ﴿وما ظلمناهم﴾ بتعذيبهم وإهلاكهم ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر ، وتعريضها للعذاب والهلاك فى الدنيا ، والعذاب المقيم الدائم فى الآخرة ﴿فما أغنت﴾ فما دفعت ، ولا منعت ﴿عنهم﴾ العذاب والهلاك ﴿آلهتهم التى يدعون﴾ يعبدونها

(لما جاء أمر ربك) بالعذاب (وما زادوهم غير تتبيب) هلاك وتخسير (وكذلك أخذ ربك) عذابه (إذا أخذ القرى) بالعذاب (إن فى ذلك) القصص الذى قصصناه عليك من أخبار الأمم الهالكة (لآية) لعبرة وعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) وما أعده الله تعالى فيها (ذلك يوم) يوم القيامة (مجموع له الناس) جميعا: مؤمنهم وكافرهم (وذلك يوم مشهود) أى يشهده كل المخلوقات، لا يغيب عنه أحد (وما نؤخره إلا لأجل) وقت (معدود) معلوم عند ربك (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم نفس إلا باذنه) لا يشفع أحد إلا باذنه تعالى «من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه» (فمنهم) أى من أهل الموقف (شقى) معذب فى النار (وسعيد) ومنهم سعيد: منعم فى الجنة! (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير: خروج النفس بشدة. والشهيق: رد النفس بشدة أيضا. وقيل: رده بضعف شديد كالحشرجة. وهو إشارة إلى أنهم يكونون فى شدة الكرب والضيق (خالدين فيها) أى فى النار (مادامت السموات والأرض) أى مدة بقائهما؛ وهو على عادة العرب عند إخبارهم عن دوام الشىء وتأبيده؛ كقولهم: لا آتيك ما غاب ليل وطلع نهار. فأخبر تعالى أنهم باقون فى النار والعذاب أبد الآبدين، ودهر الداهرين! (إلا ما شاء ربك) أن ينجيه من الخلود فى النار، أو بالانتقال من النار إلى الزمهرير (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها) أبداً (إلا ما شاء ربك) من إقامة بعض عصاة المؤمنين فى النار قبل دخولهم الجنة (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع (فلا تك فى مرية) شك (مما يعبد هؤلاء) أى

ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ

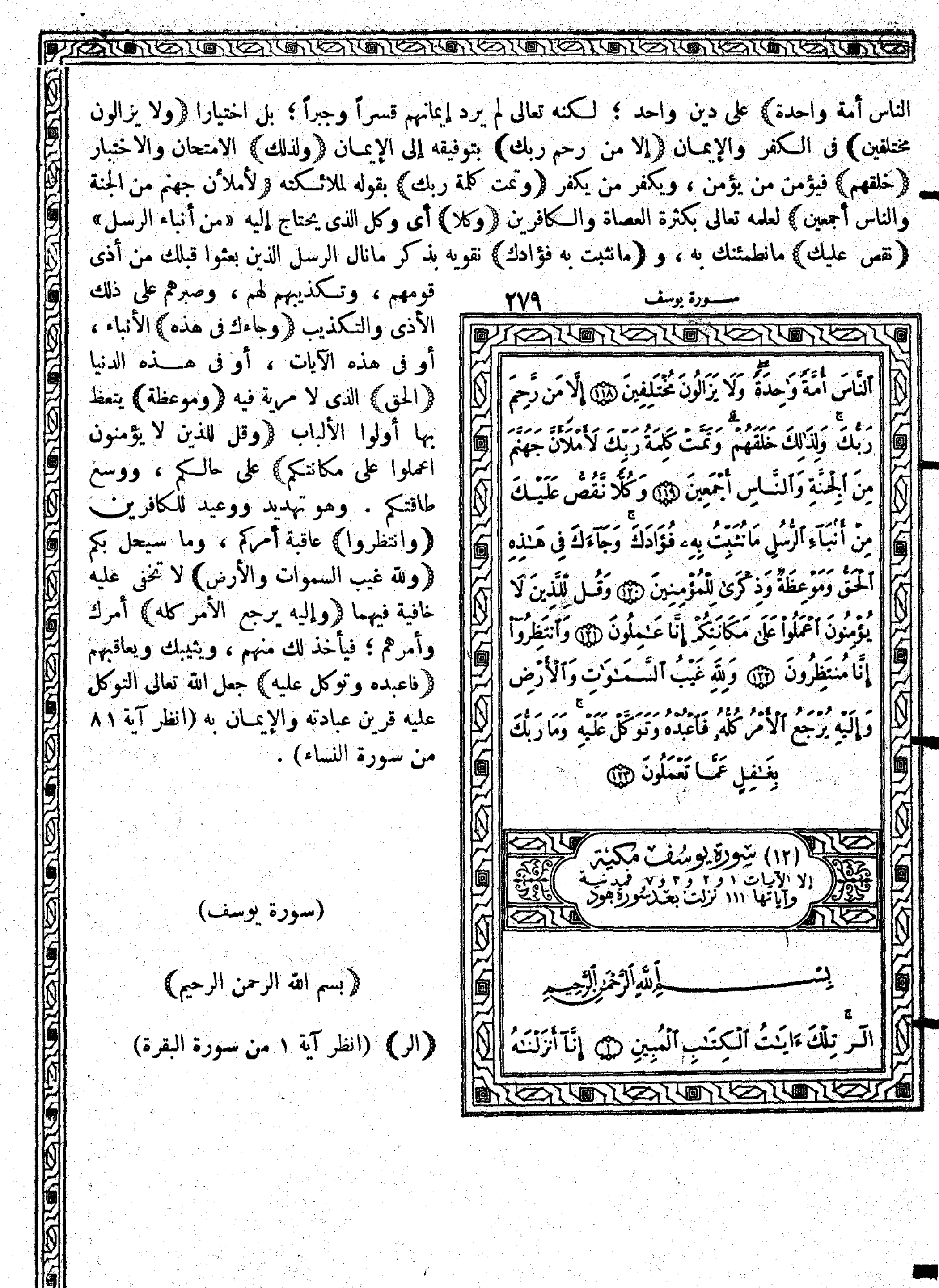
قل يا محمد لكل من شك فى عبادة هؤلاء المشركين: «لا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء» فلم يأمرهم الله تعالى بها، ولم ينزل عليهم سلطاناً بشأنها (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى انهم إنما عبدوها كما كان آباؤهم يعبدونها. وقيل: هو نهى للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم؛ والمقصود به أمته: تثبيتاً لهم، وتقوية لإيمانهم (وإنا لموفوهم نصيبهم) من العذاب، أو من الرزق؛ فلا تستعجل إهلاكهم

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ تصديقاً وتكذيباً؛ كما اختلف فى القرآن المنزل عليك ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب ﴿لقضى بينهم﴾ فى الدنيا؛ ولنزل العذاب بكل مكذب وقت تكذيبه ﴿وإنهم﴾ أى المكذبين بالقرآن ﴿لفى شك منه﴾ أى من القرآن، أو من العذاب ﴿وإن كلا﴾ من المصدقين والمكذبين؛ من سائر الأمم السابقة واللاحقة ﴿لما﴾ إلا ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ أى جزاءها يوم القيامة ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ بظواهرها وبواطنها ﴿فاستقم كما أمرت﴾ أى داوم على العمل بأمر ربك، والدعوة إليه ﴿ولا تطغوا﴾ تتجاوزوا حدود الله ﴿إنه بما تعملون﴾ من خير أو شر ﴿بصير﴾ فيثيبكم على الخير، ويؤاخذكم على الشر ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ لا تميلوا إليهم بصحبة، أو ود، أو مداهنة، أو تأييد، أو بإبداء أى مظهر من مظاهر الرضا عن أعمالهم؛ فكل ذلك إثم منهى عنه، معاقب عليه ﴿فتمسكم﴾ تصيبكم؛ كقوله تعالى «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو» ﴿وما لكم من دون الله﴾ غيره ﴿من أولياء﴾ أحباء ونصراء ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار﴾ غدوة وعشية؛ والمراد جميع النهار: الصبح، والظهر، والعصر ﴿وزلفاً من الليل﴾ أى ساعات منه؛ قريبة من النهار؛ وهى المغرب والعشاء.

نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ

ٱلنَّاسَ

ولما كان الإنسان فى هذه الحياة ــ مهما ارتقى واتقى ــ معرضاً لارتكاب صغائر الآثام والذنوب؛ خاصة فى وقتنا هذا الذى اختلط فيه الحرام والحلال، وسار فيه النساء متبرجات، كاسيات عاريات، مائلات مميلات. فقد يفرط منه ما ينافى الدين القويم، والخلق المستقيم؛ فإذا ما تكررت هذه الصغائر: انقلبت إلى كبائر ــ بالتكرار والإصرار ــ وفى هذه الحال يكون فى مسيس الحاجة إلى ما يخفف عنه عبء الذنوب، ويرفع عن كاهله أثقال المعاصى؛ وهنا يتدخل القرآن الكريم بمبضعه الكافى الشافى؛ فيجتث آثار العصيان، ويجعل مكانها الغفران! يقول الحكيم العليم، الغفور القدير ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ فهل من متذكر، وهل من معتبر؟! (انظر آية ١٧ من سورة التغابن) ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كان من القرون﴾ الأمم ﴿من قبلكم أولوا بقية﴾ أى أصحاب دين وفضل؛ قال تعالى: «بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين» ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ هم الذين نهوا عن الفساد فى الأرض؛ فنجوا من الهلاك ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ يقال: أترفته النعمة: إذا أطغته ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾ منه لها ﴿وأهلها مصلحون﴾ بل يهلكها بذنوب أهلها وفجورهم وطغيانهم ﴿ولو شاء ربك لجعل



الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد ؛ لكنه تعالى لم يرد إيمانهم قسراً وجبراً ؛ بل اختيارا ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ فى الكفر والإيمان ﴿إلا من رحم ربك﴾ بتوفيقه إلى الإيمان ﴿ولذلك﴾ الامتحان والاختبار ﴿خلقهم﴾ فيؤمن من يؤمن ، ويكفر من يكفر ﴿وتمت كلمة ربك﴾ بقوله لملائكته ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ لعلمه تعالى بكثرة العصاة والكافرين ﴿وكلا﴾ أى وكل الذى يحتاج إليه «من أنباء الرسل» ﴿نقص عليك﴾ مانطمئنك به ، و ﴿ماتثبت به فؤادك﴾ نقويه بذكر مانال الرسل الذين بعثوا قبلك من أذى قومهم ، وتكذيبهم لهم ، وصبرهم على ذلك الأذى والتكذيب ﴿وجاءك فى هذه﴾ الأنباء ، أو فى هذه الآيات ، أو فى هذه الدنيا ﴿الحق﴾ الذى لا مرية فيه ﴿وموعظة﴾ يتعظ بها أولوا الألباب ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم ، ووسع طاقتكم . وهو تهديد ووعيد للكافرين ﴿وانتظروا﴾ عاقبة أمركم ، وما سيحل بكم ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ لا تخفى عليه خافية فيهما ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ أمرك وأمرهم ؛ فيأخذ لك منهم ، ويثيبك ويعاقبهم ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ جعل الله تعالى التوكل عليه قرين عبادته والإيمان به (انظر آية ٨١ من سورة النساء) .

(سورة يوسف)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة)

النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سورة يوسف مكية
إلا الآيات ١ و٢ و٣ و٧ فمدنية
وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ أوثقه وأصدقه ﴿وإن كنت من قبله﴾ أى قبل نزول القرآن عليك ﴿لمن الغافلين﴾ عن هذا القصص وعن هذا الهدى ! وقد شرع تعالى فى ذكر بعض هذا القصص ؛ قال تعالى ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ يعقوب ﴿يا أبت إنى رأيت﴾ فى المنام ﴿أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾ فطن يعقوب أن لابنه يوسف شأناً كبيراً ﴿قال﴾ له ﴿يابنى لاتقصص رؤياك﴾ هذه ﴿على إخوتك﴾ فتدركهم الغيرة منك ، والحقد عليك ، والحسد لك ﴿فيكيدوا لك﴾ بالدس والوقيعة والإذاية ﴿كيداً﴾ كبيراً ﴿إن الشيطان للانسان عدو مبين﴾ بين العداوة لسائر بنى الإنسان ؛ فلا يفتأ يوقع العداوة بين الخلان ، والبغضاء بين الإخوان ﴿وكذلك﴾ كما أكرمك ربك وأعزك بهذه الرؤيا المحققة ﴿يجتبيك﴾ يختارك ويصطفيك ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أحاديث الأمم الغابرة ، والكتب السابقة ، واستنباط الحقيقة ، وتحرى أدلة التوحيد ؛ وهذا جميعه من إرهاصات النبوة ومقدماتها . وقيل: «تأويل الأحاديث» تعبير الرؤيا ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة ؛ وجميع ذلك من تأويل رؤيته التى رآها ﴿وعلى آل يعقوب﴾ أولاده ﴿كما أتمها على أبويك﴾ جديك ؛ لأن إبراهيم : أبو إسحاق ، وإسحاق: أبو يعقوب والد يوسف عليهم الصلاة والسلام . وإتمام النعمة المقصود فى هذه الآية : هو النبوة ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات﴾ عظات ﴿للسائلين﴾ الذين يتحرون ما فى القصص من عبر ، وما فى السير من عظات .

هذا وفى قصص القرآن الكريم ما فيه من بليغ الحكم ، وروائع السير ، ولفت الأنظار إلى ما فيه الاعتبار والاستبصار ! وفى قصة يوسف عليه السلام — وما كان من شأنه وشأن إخوته — آيات للمتوسمين ! ﴿إذ قالوا﴾ أى قال بعض إخوة يوسف للبعض الآخر ﴿ليوسف وأخوه﴾ الشقيق بنيامين ﴿أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ جماعة قوية ﴿إن أبانا لفى ضلال﴾ خطإ ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ بعيدة . قالوا ذلك القول حين رأوا استئثار أخويهما بحب أبيهما ، وتفضيله لهما عليهم جميعا ؛ فى حين أنهم يرون أنفسهم أجدر بذلك الحب ، وأولى بهذا التفضيل ؛ لأنهم الرجال الأشداء الأقوياء!

ووجه العظة : أنه يجب على الآباء عدم إيثار بعض الأبناء على بعض فى الحب والقرب ؛ ففى ذلك إيغار الصدور ، وإشاعة البغضاء ؛ وداعية لوقوع بنى الإنسان ، بين براثن الشيطان

قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

لَكُمْ

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ
الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ
الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ

﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ بأن يقبل عليكم، ولا يلتفت إلى غيركم ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب﴾ قعر البئر الخرب؛ الذى حفر ولم يبن بعد ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ السائرين ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾ ذهب بعض القراء إلى أن لفظ «تأمنا» يجب فيه الإشمام. والإشمام هذا ـ كما يزعمون ـ هو أن يشير الإنسان بشفتيه كأنه ينطق بضمة بحيث لا يظهر أثر ذلك فى النطق. وهو قول هراء لا يجب التعويل عليه بحال؛ انظر ـ إن شئت المزيد ـ كتابنا «الفرقان» ﴿وإنا له لناصحون﴾ أى قائمون بمصالحه ﴿قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به﴾ لأنى لا أطيق فراقه. وقد زاد ذلك من حنقهم على يوسف، وأسروها فى أنفسهم ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ وقد لقنهم بذلك الحجة التى يحتجون بها من حيث لا يشعر ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ جماعة قوية ﴿إنا إذاً لخاسرون﴾ لأن الذئب إذا قدر على أكل أحدنا من بيننا؛ فهو على أكل مواشينا وأغنامنا أقدر. فأذن لهم بأخذ يوسف ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾ عزموا أمرهم على ما اتفقوا عليه؛ وهو ﴿أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه﴾ أى أوحينا إلى يوسف ـ بعد أن ألقوه فى الجب ـ وحى إلهام. وقيل: نزل إليه جبريل عليه السلام قائلا له ﴿لتنبئنهم﴾ لتخبرنهم فى مستقبل الأيام ﴿بأمرهم هذا﴾ الذى صنعوه معك ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ يتباكون ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ نتسابق فى الجرى أو الرمى ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ثيابنا وطعامنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لمقالتنا ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ أى مكذوب؛ ليس بدم يوسف كما زعموا

(قال بل سولت) زينت وسهلت (لكم أنفسكم أمراً) سيئاً اقترفتموه (فصبر جميل) على فراق يوسف. والصبر الجميل: مالا شكوى فيه إلى الخلق (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ماتصفون) ماتذكرون من أمر يوسف (وجاءت سيارة) رفقة سائرون (فأرسلوا واردهم) الذى يبحث لهم عن الماء، ويرده ليستقى لهم ويدلهم عليه. فوجد الجب (فأدلى دلوه) فيه؛ فتعلق يوسف فى الدلو (قال) الوارد لما رأى يوسف فى الدلو (يابشرى هذا غلام) وذهب به إلى صحبه؛ ففرحوا به (وأسروه بضاعة) أى أخفوه فى متاعهم ليتاجروا فيه كالبضاعة (وشروه) أى باعوه. يقال: شراه يشريه: إذا ملكه، أو باعه؛ كاشتراه (بثمن بخس) قليل حقير (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه) أى أكرمى مقامه عندنا (وكذلك) إشارة إلى إنجاء يوسف، وعطف قلب الذى اشتراه عليه (مكنا ليوسف فى الأرض) جعلنا له مكانة فيها، وسلطاناً عليها (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) تصديقاً لقول أبيه يعقوب: «ويعلمك من تأويل الأحاديث» (والله غالب على أمره) أى على أمر نفسه؛ لا يعجزه شىء أراده؛ وإنما يقول له: كن؛ فيكون! ويحتمل أن يعود الضمير إلى يوسف عليه السلام؛ أى والله غالب على أمر يوسف؛ يحوطه بعنايته وكلاءته وحفظه! (ولكن أكثر الناس لايعلمون) ذلك (ولما بلغ) يوسف (أشده) كمال قوته وشدته؛ وهو من ثمانى عشرة إلى ثلاثين، وهو أيضاً بلوغ الحلم. أو هو إلى الأربعين: حيث تكون النبوة؛ بدليل قوله تعالى (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقهاً فى الدين (وكذلك) مثل ما آتينا يوسف من الحكمة والعلم (نجزى المحسنين) الذين يحسنون أعمالهم كما أحسن يوسف، ويعفون أنفسهم كما أعف! (وراودته التى هو فى بيتها) امرأة العزيز. والمراودة: الإرادة برفق ولين (وغلقت الأبواب) عليه معها (وقالت هيت لك) أى هلم؛ فلما رأى منها مارأى (قال معاذ الله) أن أخون من أكرمنى وآوانى (إنه ربى) أى سيدى ومالكى، والمقصود به عزيز مصر، أو أراد به الله تعالى (أحسن مثواى) أحسن إقامتى؛ فلا أخونه فى أهله، وإذا كان المراد به الله تعالى: كان معنى «أحسن مثواى» أى أحسن إقامتى فى هذه الدنيا؛ إذ أنجانى من الهلاك المحقق، وأكرمنى بحب مخلوقاته لى وعطفهم على؛ فلا أعصيه بأقبح مايعصى به!

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

وَلَقَدْ

﴿ولقد همت به﴾ همت بامساكه وضمه ﴿وهم بها﴾ المراد بهمه عليه السلام: ميل الطبع البشرى، ومنازعة الشهوة الفطرية؛ لا القصد الاختيارى. وهذا الهم مما يصح أن يكتب له به حسنة، لا أن تحسب عليه سيئة. وقد جاء فى الحديث القدسى عن رب العزة: «إذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة» وقد تخبط كثير من المفسرين فى تأويل هذا بما يتنافى وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ وبرهان ربه: عصمته من الوقوع فيما يقع فيه عامة البشر. ولما كان البرهان: هو الدليل؛ كان برهان الله تعالى:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

دليل وجوده وقدرته؛ فأثبت الله تعالى قدرته بمنعه، وأثبت وجوده بالحيلولة بينه وبين الوقوع فى الخطيئة! أرانا الله تعالى برهانه، وعصمنا بقدرته، وحال بيننا وبين معصيته، وهدانا برحمته! ﴿كذلك﴾ أى أريناه برهان وجودنا ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ الخيانة والزنا ﴿واستبقا الباب﴾ جرى يوسف منها، وجرت وراءه لتمسكه؛ فأدركت ثيابه ﴿وقدت﴾ شقت ﴿قميصه من دبر﴾ من خلف ﴿وألفيا﴾ وجدا ﴿سيدها﴾ زوجها ﴿لدى الباب﴾ عند الباب؛ حينما أراد أن يفتحه هربا منها. فلما رأت زوجها أسقط فى يدها، وحاولت الدفاع عن نفسها أمامه ﴿قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ «ما» نافية؛ أى ليس له إلا أن يسجن. فلما رأى يوسف ماأحاطته به الآثمة من إثم؛ شرع فى الدفاع المشروع عن نفسه ﴿قال﴾ إنى لم أراودها؛ بل ﴿هى﴾ التى ﴿راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها﴾ قيل: تكلم صبي من أهلها، وكان فى المهد، وقيل: هو ابن عم لها؛ كان وزيراً للملك، ومستشاراً له؛ قال ﴿إن كان قميصه قد﴾ شق ﴿من قبل﴾ من أمام ﴿فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر﴾ من خلف ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾ وهو مما يؤكد كذبها وصدقه: التفت إليها و﴿قال﴾ لها ﴿إنه﴾ أى الذى حصل من المراودة، واتهام البرىء ﴿من كيدكن﴾ أيها النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾ ثم التفت إلى يوسف، وقال له ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ الأمر الذى حدث فلا تذكره لأحد. ثم التفت إلى امرأته قائلا ﴿واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ وبذلك وضح أنه استقر فى ذهن العزيز - بعد أن رأى بنفسه ما رأى، وسمع ماسمع - براءة يوسف وخطيئة امرأته. وكان أقل ما يجب عليه وقتذاك: أن يحول بين لقائها به، ورؤيتها له: لكنه لم يفعل؛ ليتم الله تعالى ما أراده بيوسف، وما أراده له؛ فسارت بذكر قصته مع امرأة العزيز الركبان، وتناقلوا حديثهما فى كل مكان ﴿وقال نسوة فى المدينة﴾ باللذل والعار ﴿امرأة العزيز تراود فتاها﴾ خادمها ومملوكها ﴿عن نفسه﴾ لتنال غرضها منه ﴿قد شغفها =

حباً﴾ أى مس حبه شغاف قلبها . وشغاف القلب : غلافه ، أو حجابه ، أو حبته ، أو سويداؤه ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ بقولهن ؛ وسمى حديثهن مكراً : لأنه تم فى خفية ؛ كما يخفى الماكرمكره ﴿أرسلت إليهن﴾ تدعوهن لمجلسها ﴿وأعتدت﴾ أعدت ﴿لهن متكأ﴾ مجلساً للطعام ؛ أعدت فيه ما يتكأ عليه من الوسائد والنمارق ، أو أعدت لهن فاكهة يتكأ عليها عند قطعها ؛ كالأترج مثلا ﴿وآتت كل واحدة منهن سكيناًوقالت﴾ ليوسف ﴿اخرج عليهن﴾ فخرج ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ أعظمنه . وقيل : أكبرن : أى حضن، والهاء للسكت ؛ وهو تأويل ليس بشيء ﴿وقطعن أيديهن﴾ من شدةذهولهن مما رأينه من جمال يوسف عليه السلام وصباحة وجهه ؛ لم يشعرن بالسكاكين وقد جرحت أيديهن ﴿وقلن حاش لله﴾ تنزيهاً لله ؛ وهو لفظ خاص به تعالى : فلا يقال : حاش لك .بل حاشاك ، وحاشا لك ﴿ما هذا بشرا﴾ كسائر البشر ﴿إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلا ملك كريم﴾ وصفنه بالملكية ؛ لأنه من المعلوم ألا شيء أجل من الملك ، ولا شيء أقبح من الشيطان ﴿قالت فذلكن﴾ أى فهذا هو ﴿الذى لمتننى فيه ولقد راودته﴾ من الإرادة ؛ أى طلبته بنفسى لنفسى ﴿فاستعصم﴾ امتنع ، وتحصن بالعصمة ، ومنع نفسه من أن أناله ﴿وليكونن من الصاغرين﴾ الذليلين . ووجه العظة مما مضى من هذه القصة : أنه لا يجوز لعاقل أن يضم فى بيته شابا ممتلئاً قوة وفتوة وجمالا ؛ ويدعه مع امرأته تجتاحها عواصف الشهوة ، وتهتاجها أعاصير الخطيئة ، ويدع للشيطان بينهما مجالا وأى مجال ! بل الواجب أن يلتزم حدود الدين الحنيف ، وأوامر الخالق جل شأنه «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن» (انظر مبحث التبرج والسفور بآخر الكتاب) ﴿وإلا تصرف﴾ وإن لم تصرف ﴿عني كيدهن أصب﴾ أمل ﴿إليهن وأكن من الجاهلين﴾ المذنبين ﴿فاستجاب له ربه﴾ أجاب دعوته ، وصرف عنه كيدهن ﴿إنه هو السميع﴾ لمن يدعوه ﴿العليم﴾ بحال خلقه ﴿ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات﴾ الدالة على براءته مما نسب إليه ، وألصق به ﴿ليسجننه حتى حين﴾ أى إلى أن ينقطع كلام الناس ، وينسون ماحصل بينه وبين امرأة العزيز ؛ وأدخل يوسف السجن ، مع من أدخل من العصاة والمجرمين ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما﴾ بعد فترة من الزمن قضوها فى السجن ﴿إنى أرانى﴾ أى أرى نفسى فى المنام ﴿أعصر خمراً﴾ أى أعصر عنباً ، فيصير خمراً

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ

فَوْقَ

فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا

﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ في منامكما كالعنب والخبز الذى رأيتماه ﴿ألا نبأتكما﴾ أخبرتكما ﴿بتأويله﴾ بما يؤول إليه رؤية ذلك. ﴿قبل أن يأتيكما﴾ تأويله. وقد يكون المعنى: «ترزقانه» أى تطعمانه «إلا نبأتكما بتأويله» أى بما يؤول إليه ذلك الطعام من عناصر وأخلاط. وأن يكون يوسف عليه السلام قد منحه الله تعالى ـ من جملة مامنحه ـ علم خواص الأغذية ﴿ذلكما﴾ العلم الذى ذكرته ﴿مما علمنى ربى﴾ وأفاضه على ﴿إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ لا يؤمنون بالبعث. قال تعالى «واتقوا الله ويعلمكم الله» قيل: إن يوسف عليه السلام علم مكروه الإجابة على أحدهما؛ فحاول أن يتكلم فى موضوع آخر ليصرفهما عما طلباه من تأويل رؤياهما! فلم يدعاه بل ألحا عليه؛ فعدل أيضاً عن إجابتهما قائلا ﴿ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فلم يدعاه حتى يعبر لهما ما رأياه؛ فلم يستطع مخالفتهما. وقد تدرج عليه السلام فى دعوتهم وإلزامهم الحجة؛ بأن بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة المتعددة، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها: لا تستحق الألوهية والعبادة، ثم نص على ما هو الحق القويم، والدين المستقيم؛ الذى لا يقبل العقل غيره، ولا يرتضى العلم سواه؛ ثم شرع فى إجابتهما؛ فقال ﴿ياصاحبي السجن﴾ أى ياصاحبي فى السجن ﴿أما أحدكما﴾ الذى رأى فى منامه أنه يعصر خمراً ﴿فيسقى ربه﴾ أى سيده ﴿خمراً﴾ فى اليقظة؛ أى سيكون من خاصته الذين أعدهم لسقياه

وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا

﴿وأما الآخر﴾ الذى رأى فى منامه أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ﴿فيصلب﴾ فى اليقظة ﴿فتأكل الطير من رأسه﴾ وكأنه عليه السلام قد تألم من ذكر ما يؤلم؛ فقال آسفاً ﴿قضى الأمر الذى فيه تستفتيان﴾ والذى حاولت جاهداً أن أستقيل من الإجابة عليه، فلم تمكنانى ﴿وقال الذى ظن﴾ تأكد ﴿أنه ناج منهما﴾ وهو الساقى؛ قال له ﴿اذكرنى عند ربك﴾ أى اذكرنى عند سيدك الملك حين تلقاه ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ أى أنسى الشيطان يوسف من أن يطلب من ربه الخلاص من السجن؛ ولجأ ـ ناسياً ـ إلى العبدالعاجز الفانى؛ فكان جزاءه أن لبث ﴿فى السجن بضع سنين﴾ البضع: بين الثلاث إلى التسع ﴿وقال الملك﴾ لجلسائه ﴿إنى أرى﴾ أى رأيت فى المنام ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ أى مهازيل ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أى تخليط فى الرؤيا؛ وهو مالا تأويل له؛ لصدوره عن فساد المعدة وأبخرةالطعام ﴿وقال الذى نجا منهما﴾ وهو الساقى: تذكر يوسف وتأويله للرؤيا ﴿وادكر بعد أمة﴾ أى تذكر بعد مدة طويلة قول يوسف له: «اذكرنى عند ربك» وقرأ ابن عباس «وادكر بعد أمه» والأمه: النسيان ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ أى أدلكم على من يؤول هذا المنام لكم ﴿فأرسلون﴾ أى أرسلونى إلى السجن لأحضره لكم. فأرسلوه فقال ليوسف ﴿يوسف أيها الصديق﴾ الكثير الصدق، الدائم عليه ﴿لعلى أرجع إلى الناس﴾ فأخبرهم بماتذكرمن تأويل هذه الرؤيا ﴿لعلهم يعلمون﴾ ما ينفعهم من تأويلها، أو لعلهم يعلمون فضلك وعلمك؛ فيخرجونك مما أنت فيه من الضيق ﴿قال﴾ تأويل ذلك: أنكم ﴿تزرعون سبع سنين دأبا﴾ أى دائبين متوالين ﴿فما حصدتم﴾ لطعم من الأرض ﴿فذروه﴾ اتركوه ﴿فى سنبله﴾ بغير دراس؛ ليحفظ ولا يتطرق إليه التلف. وبذلك يعلمنا الله تعالى فى هذه القصة: الطريقة المثلى لتخزين الحبوب والمحاصيل لحفظها؛ إذ أن تركها بغير نزع سنابلها: أحفظ لها من التلف والفساد؛ وذلك بعكس منزوعة السنابل التى قد يدب فيها الفساد فى عام واحد أوعامين

مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ

﴿إلا قليلا مما تأكلون﴾ أى إلا ما تحتاجون لأكله فادرسوه وانزعوه من سنابله ﴿سبع شداد﴾ أى سبع سنين تقحطون فيها؛ فلا تخرج الأرض نباتاً ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أى ما خزنتموه فى السنين السبع التى زرعتموها دأبا ﴿تحصنون﴾ تدخرونه لتزرعوا؛ لأن فى استبقاء البذر: تحصين للأقوات؛ وإلا إذا أكلنا الجميع فماذا نزرع؟ ﴿فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ أى ينزل لهم الغيث، ويرزقون مايعصر من الثمار؛ كالعنب، والزيتون، وغيرهما. وقيل: «يعصرون» ينجون؛ من العصرة: وهى المنجاة. ومنه العصر: وهو الملجأ ﴿قال ما خطبكن﴾ أى أرسل إليهن الملك، وقال لهن: ما شأنكن ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ هل وجدتن منه ميلا إليكن؛ كالميل الذى بدا منكن إليه؟ ﴿قلن حاش لله﴾ تعجباً من خلق إنسان كامل عفيف مثله ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ قط ﴿قالت امرأة العزيز﴾ التى كان يوسف فى بيتها، وراودته عن نفسه، واتهمته بإرادة السوء بها؛ لما رأت قول النسوة: «حاش لله ما علمنا عليه من سوء» جاشت فى صدرها عوامل الحب الدفين، مع الاكبار، ورغبت فى الصدق الصراح؛ بعد أن ناءت بحمل الكذب المبين، طوال هذه السنين: قالت ﴿الآن حصحص الحق﴾ وضح وظهر ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ فى دفاعه عن نفسه ﴿ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب﴾ أى لم أخن يوسف فى غيبته، بعد أن خنته فى حضوره؛ حين جابهته بقولى لزوجى «ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً» ﴿وأن الله لا يهدى كيد الخائنين﴾ لا يسدد عملهم ﴿وما أبرئ نفسى﴾ فأقول: إنى لم أراوده ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم﴾ الذى أراه: أن جميع ذلك تتمة لكلام امرأة العزيز؛ لأن يوسف لم يأت بعد من السجن؛ ولقول الملك بعد ذلك «ائتونى به أستخلصه لنفسى» وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه من كلام يوسف عليه السلام؛ وزينوا ذلك بأقاويل تتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ منها: أنه حين قال «ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب» همس جبريل فى أذنه قائلا: ولاحين حللت تكة سراويلك وهممت بها؟ فقال «وما أبرئ نفسى» وهو قول ظاهر القبح، بادى البطلان! ومن عجب أن أمهات كتب التفسير تذكر هذا القول وأمثاله، وتنسبه إلى فضلاء الصحابة، وجلة التابعين؛ وهم براء من هذا الهراء! وذهب بعضهم إلى أنه من كلام العزيز: أى لم أتحامل عليه وأخنه فى غيبته؛ بل جازيته على أمانته، وملكته رقاب الناس وأموالهم ﴿وقال الملك﴾ حين وضح له علم يوسف، ورسوخ قدمه وفضله، وبراءته مما نسب إليه ﴿ائتونى به أستخلصه لنفسى﴾ أى أجعله من خلصائى وأصفيائى ﴿فلما﴾ =

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

قَالَ

= جاءوا بيوسف من السجن ، و ﴿كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ذو مكانة تؤتمن على كل شيء ﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلنى على خزائن الأرض﴾ أى وزيراً للمالية ، أو وزيراً للتموين ﴿إنى حفيظ﴾ ذو محافظة على الأموال ﴿عليم﴾ بادارتها وتنميتها . وقيل : «حفيظ عليم» أى كاتب حاسب ﴿وكذلك﴾ كما أنعمنا عليه بالعلم ، والصدق ، والنبوة ، والنجاة من السجن ، والخلاص من كيد الشيطان ، والقرب إلى قلب الملك ؛ مثل هذا الإنعام والتفضل ﴿مكنا ليوسف فى الأرض﴾ جعلنا له مكانة فيها ، وقدرة عليها . قيل : استخلفه الملك على مصر ؛ فسار موكبه فى طرقاتها ؛ فرأته امرأة العزيز ؛ فبكت وقالت : الحمد لله الذى صير الملوك عبيداً بالمعصية ، والعبيد ملوكا بالطاعة ! وقال بعضهم : إنه تزوجها بعد ذلك . والقول الراجح : إنه لم يتزوجها ، بل تزوج راعيل زوجة الطفير ، وولدت له غلامان ﴿يتبوأ﴾ ينزل ويسكن ﴿منها حيث يشاء﴾ فقد ملك أموالها وأقواتها ؛ واحتاج كل من فيها إليه ، وليست به حاجة إلى أحد ﴿نصيب برحمتنا﴾ بعطائنا وأنعمنا فى الدنيا ﴿من نشاء﴾ من عبادنا ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ فيها ؛ بل نرزقهم منها جزاء إحسانهم ﴿ولأجر الآخرة خير﴾ من أجر الدنيا وجزائها ﴿للذين آمنوا﴾ بربهم ﴿وكانوا يتقون﴾ الله فى أعمالهم ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ عدا بنيامين أخاه الشقيق ؛ وهم الذين تآمروا على يوسف ، وألقوه فى غيابة الجب ؛ جاءوا ــ كما جاء غيرهم ــ ليأخذوا حاجتهم من القوت الذى حفظه يوسف فى خزائنه ، لسنى القحط ــ تأويلا لرؤيا الملك ــ ﴿فعرفهم وهم له منكرون﴾ أى لم يعرفوه ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أعطاهم حاجتهم من الأقوات التى جاءوا من أجلها ؛ قيل : أعطى كل واحد منهم حمل بعير . وقد كان هاجه الشوق إلى أخيه ؛ وأراد أن يحتال على مجيئه ﴿قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم﴾ لأعطيه مثل ما أعطيتكم ﴿ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين﴾ المضيفين ، المكرمين ﴿فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى﴾ أى فلا أعطيكم طعاماً بعد ذلك ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ سنتحايل عليه فى الإتيان به إليك ﴿وقال لفتيانه﴾ لغلمانه ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ التى جاءوا بها ثمناً للطعام ؛ دسوها ﴿فى رحالهم﴾ خفية من حيث لا يشعرون ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا﴾ رجعوا ﴿إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ إلينا بها وبأخيهم ؛ قيل : كان محرماً فى شريعتهم أخذ شيء من غير ثمن له ، أو «لعلهم يرجعون» لأخذ حمل بعير لأخيهم كما أخذوا ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ لمن لم يحضر معنا ﴿فأرسل معانا أخانا﴾ بنيامين ﴿نكتل﴾ له ؛ كما اكتلنا لأنفسنا ، وقرىء «يكتل»

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ

﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ ففجعتمونى فيه ﴿فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾ يرحم ضعفى وذلتى، وحسرتى على مهجتى؛ فيحفظ لى ولدى، ويرده إلى ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم﴾ التى أمر يوسف بدسها فى رحالهم ﴿ردت إليهم﴾ فعجبوا من ذلك، و ﴿قالوا ياأبانا ما نبغى﴾ أى أى شىء نطلب بعد ذلك؟ ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ تفضلا وكرماً. أو «ما» نافية؛ أى لا نبغى شيئاً منك؛ بل تكفينا بضاعتنا هذه التى ردت إلينا ﴿ونمير أهلنا﴾ من الميرة؛ أى نجلب لهم الطعام ﴿ونحفظ أخانا﴾ فى رحلتنا هذه ﴿ونزداد كيل بعير﴾ أى حمل بعير لأخينا بنيامين ﴿ذلك كيل يسير﴾ على الملك؛ لا يبخل به علينا؛ وقد رأينا من كرمه وسخائه ما رأينا! ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله﴾ عهداً وقسما ﴿لتأتننى به إلا أن يحاط بكم﴾ أى إلا أن يحيط بكم العدو، ويصير ليس فى إمكانكم النجاة به ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ حلفوا له على ذلك ﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾ رقيب مطلع ﴿وقال﴾ موصياً لهم ﴿يابنى لا تدخلوا﴾ المدينة ﴿من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ قيل: كانت وصية يعقوب: خشية من العين. والذى أراه أنه خشى أن يصيبهم مكروه مجتمعين؛ فيحل بهم جميعا. وقيل: خشية أن يراهم الملك مجتمعين ويرى عددهم، واستواء أجسامهم، وقوتهم؛ فيبطش بهم: حسداً لهم، أو خوفاً منهم ﴿وما أغنى عنكم من الله من شىء﴾ لا أدفع عنكم شيئا أراده الله تعالى بكم.

﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ ضمه إليه، وأجلسه بجواره، و﴿قال﴾ له ﴿إنى أنا أخوك فلا تبتئس﴾ فلا تحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ أى بما عمل إخوتك معنا ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾ هى ما يسقى به؛ وكانت من ذهب ﴿فى رحل أخيه﴾ بنيامين ﴿ثم أذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿أيتها العير﴾ العير: الإبل. أى يا أهل هذه القافلة، يا أصحاب هذه الإبل ﴿إنكم لسارقون﴾ فدهش إخوة يوسف من توجيه هذه التهمة لهم على رؤس الأشهاد؛ وهم منها براء ﴿قالوا و﴾ قد ﴿أقبلوا عليهم﴾ أى على النادين بالسرقة؛ متسائلين ﴿ماذا تفقدون﴾ وما الذى سرق منكم؟ ﴿قالوا نفقد صواع﴾ صاع ﴿الملك﴾ والصاع: مكيال يكال به. والمراد بالصواع هنا: الكأس الذى يشرب فيه؛ لأنه سمى فى الآية المتقدمة بالسقاية «جعل السقاية فى رحل أخيه» ﴿ولمن جاء به﴾ أى بالصواع المسروق ﴿حمل بعير﴾ مكافأة له على ضبط السارق ﴿وأنا به زعيم﴾ كفيل بأداء حمل البعير ﴿قالوا تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين﴾ وما جاء بنا إلا طلب القوت ﴿قالوا فما جزاؤه﴾ أى فما جزاء السارق ﴿إن كنتم كاذبين﴾ فى قولكم، وكان السارق من بينكم ﴿قالوا جزاؤه من وجد﴾ المسروق ﴿فى رحله فهو جزاؤه﴾ أى فهو عبد رق جزاء سرقته. وكان فى شريعتهم استرقاق السارق ﴿فبدأ﴾ يوسف ﴿بأوعيتهم﴾ أى بتفتيشها ﴿قبل وعاء أخيه﴾ وذلك تمويهاً لهم، وتغطية عليهم؛ ليشعرهم بحقيقة ما يسفر عنه وعاء أخيه ﴿ثم استخرجها﴾ أى استخرج السقاية ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أى علمناه ذلك الكيد؛ الذى استطاع به أن يأخذ أخاه، وليكون هذا سبباً فى اجتماعه بأبويه.

لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ

أَخٞ لَّهُۥ

ومن هذا يؤخذ جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة بالحيل؛ ولو أدى ذلك إلى الكذب؛ ما توافرت المنفعة، بغير أن يترتب عليها إضرار بأحد، و﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه﴾ رقيقاً بسبب سرقة لم يرتكبها ﴿فى دين الملك﴾ سلطانه وعادته وحكمه ﴿قالوا إن يسرق﴾ أخانا هذا

أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى

﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنون يوسف عليه السلام ؛ وكان قد سرق فى صغره صنما من ذهب لجده أبى أمه ؛ فكسره ﴿فأسرها﴾ أخفى هذه القالة ﴿يوسف فى نفسه﴾ ولم يظهر التضجر والتألم . ويجوز أن يكون المعنى : فأسر يوسف فى نفسه قوله ﴿أنتم شر مكاناً﴾ لسرقتكم إياى من أبيكم ، وظلمكم الذى ظلمتموه لى وله ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ بما تقولون ، أو بما تكذبون ﴿فلما استيأسوا﴾ يئسوا من قبول مطلبهم ﴿خلصوا نجيا﴾ انفردوا متناجين فيما بينهم ﴿ومن قبل مافرطتم فى يوسف﴾ أى ألم تعلموا تفريطكم فى يوسف من قبله ؛ فكيف تفرطون فى أخيه أيضاً ﴿فلن أبرح﴾ لن أفارق ﴿الأرض﴾ أرض مصر ﴿حتى يأذن لى أبى﴾ فى الرجوع ؛ راضياً عنى ، غير غاضب على ! ﴿أو يحكم الله لى﴾ بخلاص أخى بنيامين ، وعودته معنا ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق﴾ وأخذ بجريرته ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ أى بما تيقنا ؛ لأنا رأينا بأعيننا صاع الملك وهم يستخرجونه من رحله ﴿وما كنا للغيب﴾ لما غاب عن أعيننا وأذهاننا ﴿حافظين﴾ أى إن ماذكره هو الظاهر لنا ؛ المشاهد لأعيننا ؛ ولا نعلم مافى الغيب : هل هو السارق للصواع حقيقة ، أم أنه دس عليه ؟ ﴿واسأل القرية﴾ أى أهل القرية ﴿والعير﴾ الإبل ؛ والمقصود : واسأل أهل القافلة ﴿التى أقبلنا فيها﴾ فقد رأوا بأعينهم ما رأينا بأعيننا . فذهبوا إلى أبيهم فقالوا له مارسمه لهم أخوهم ﴿قال بل سولت﴾ زينت وسهلت ﴿لكم أنفسكم أمراً﴾ فعلتموه ببنيامين ، كما فعلتم بيوسف أخيه من قبل

﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يوسف وأخويه : بنيامين ، والذى قال «لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى» ﴿إنه هو العليم﴾ بحالى ﴿الحكيم﴾ فى صنعه ! ﴿وتولى عنهم﴾ انصرف وأعرض ﴿وقال يا أسفا﴾ الأسف : شدة الحزن ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ وكثرة البكاء ﴿فهو كظيم﴾ ممتلىء غيظاً وكربا وغما ، ويكتم جميع ذلك فى نفسه ﴿قالوا تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿تفتأ﴾ أى لا تفتأ ، ولا تزال ﴿تذكر يوسف﴾ دائماً وتذكر فقده ﴿حتى تكون حرضاً﴾ الحرض : الذى أذابه الهم والمرض ، وأشرف على الهلاك وقد قلت فى وصف الدنيا :

فكم لفرقتها أشقى على تلف
صب بها مولع فى حبها حرض

﴿قال إنما أشكو بثى﴾ حالى المؤلم ﴿وحزنى إلى الله﴾ وحده ؛ فهو القادر على الذهاب به ، أو بأسبابه ﴿وأعلم من الله مالا تعلمون﴾ من صحة رؤيا يوسف وتحققها ، واطمئنانى بأن الله تعالى سيجمعنى به ؛ عاجلا أو آجلا ﴿يابنى اذهبوا فتحسسوا﴾ تجسسوا . والتحسس : فى الخير ، والتجسس : فى الشر . وقيل : إذا تجسس لنفسه ؛ يقال له : تحسس ، وإذا تجسس لغيره يقال له : تجسس ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ من رحمته وفرجه ! فذهبوا إلى مصر ﴿فلما دخلوا عليه﴾ أى على يوسف ﴿قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ الشدة والجوع ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ رديئة ، أو قليلة ﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾ بالزيادة ، أو برد أخينا . فأراد يوسف أن يكشف لهم عن حقيقته ، وأن يعاتبهم على ما فعلوه عتاباً رقيقاً ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾ إذ تآمرتم عليه ، وألقيتموه فى غيابة الجب ، وزعمتم أن الذئب قد أكله ﴿وأخيه﴾ وما فعلتم بأخيه بنيامين ؛ إذ صدقتم أنه سرق ، وأشعتم ذلك ؛ وقلتم «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» فلما رأوا فعله ، وسمعوا كلامه : علموا أنه أخوهم ؛ فقالوا ﴿أئنك لأنت يوسف قال﴾ نعم ﴿أنا يوسف وهذا أخى﴾ بنيامين ﴿قد من الله علينا﴾ بانجائى من الهلاك المحقق ، وتملكى دماء الناس وأموالهم ، وبتبرئة أخى من السرقة ، واجتماعه بى

اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن

يَتَّقِ

﴿إنه من يتق﴾ الله ، ويعمل لآخرته ﴿ويصبر﴾ على الطاعات ، وعن المعاصي ، وعلى المكاره ﴿فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ بل يجزيهم على صبرهم وإحسانهم خير الجزاء ! ﴿قالوا تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لقد آثرك الله﴾ أى فضلك ﴿علينا وإن كنا لخاطئين . قال لا تثريب عليكم﴾ لا لوم ، ولا تقريع ، ولا عتب ﴿اليوم يغفر الله لكم﴾ لإنابتكم ، وندمكم على ما قدمتم ، واعترافكم بخطئكم ؛ وقال لهم ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾ ألهمه الله تعالى أن قميصه إذا ألقي على وجه أبيه؛ يرتد بصره إليه بقدرته تعالى! وقد أبى أخوهم يهوذا إلا أن يحمل القميص بنفسه ؛ وقال : أنا حملت إليه قميص يوسف بدم كذب فأحزنته وأمرضته وأعميته ، وأنا الذى أحمل إليه القميص الآن لأسره وأشفيه ! وقيل : إن هذا القميص : كان قميص إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ الذى نجا به من النار ، وأنه قد نسج من حرير الجنة ، وأن ريح الجنة لايقع على مريض أو مبتلى إلا عوفى . وهذا الكلام فيه نظر ؛ فلو صدقنا أنه كان قميصاً لإبراهيم ، وآمنا أن ريح الجنة لا يقع على مريض أو مبتلى إلا عوفى ؛ فأين لنا بحرير الجنة الذى نسج منه القميص ؟ وأين لنا بريح الجنة الذى يشفى كل مبتلى أو مريض؟ وهو كلام لايعدو أن يكون من تخريف القصاص المولعين بكل غريب ، الناشرين لكل عجيب ! فكم من كلام لاتستسيغه الأفهام ، وكم من منقول لايوافق العقول ؛ وكتب التفسير ملأى بكل غريب وسقيم ؛ فليحذره العاقل الحكيم ! ﴿وأتونى بأهلكم أجمعين﴾ لأستمتع برؤيتهم ، وأهنأ بقربهم ﴿ولما فصلت العير﴾ أى خرجت من مصر ، وانفصلت عن عمرانها ﴿قال أبوهم﴾ يعقوب لجلسائه ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ تنسبون إلى التخريف . وهو من الفند ، أى الخرف ﴿قالوا تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿إنك لفى ضلالك القديم﴾ خطئك القديم ؛ من حب يوسف ، وأملك فى حياته ولقائه ؛ وقد أجمعوا على هلاكه وموته ﴿فلما أن جاء البشير﴾ يهودا بقميص يوسف ﴿ألقاه على وجهه﴾ أى ألقى قميص يوسف على وجه أبيه ﴿فارتد﴾ عاد ﴿بصيراً﴾ كما كان ﴿قال﴾ يعقوب ﴿ألم أقل لكم إنى أعلم من الله﴾ ومن كرمه وفضله ﴿مالا تعلمون﴾ وحينئذ أدرك إخوة يوسف مبلغ ما ارتكبوه فى حق أبيهم ، ومدى الإيذاء الذى ألحقوه به ، وخافوا غضب الله تعالى عليهم ، وبطشه بهم ! ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ فيما فعلناه ﴿قال سوف استغفر لكم ربي﴾ أطلب لكم الغفران منه ﴿إنه هو الغفور﴾ لكل مذنب ﴿الرحيم﴾ بكل تائب ! ولما أبلغوا أباهم رغبة يوسف فى اللحاق به : توجهوا جميعاً نحو مصر ولما استشعر يوسف بقدومهم : استقبلهم فى خارج =

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾

= العمران ودخلوا على يوسف ﴿فلما دخلوا﴾ عليه ﴿آوى﴾ ضم ﴿إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ روى أن يعقوب حين لقى يوسف : قال له : السلام عليك يامذهب الأحزان . فرد يوسف على أبيه السلام ؛ وقال : ياأبت تبكى على حتى يذهب بصرك ، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا ؟ ! قال بلى ولـكن خشيت أن يسلب دينك ؛ فيحال بينى وبينك ! ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أجلسهما بجواره على السرير ﴿وخروا له سجداً﴾ أى خروا لأجله سجداً لله ، أو الضمير لله تعالى ، أوالسجود كان ليوسف عليه السلام ؛ وكان تحية عندهم ، أو كان على هيئة الانحناء

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم

بِٱللَّهِ

﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ أفسد وحرش ﴿إن ربى لطيف لما يشاء﴾ أى رفيق بعباده ؛ يسبب لهم مصالحهم من حيث لايعلمون ، ويرفعهم من ناحية المكاره التى تلحقهم ! إذ لولا تآمر إخوة يوسف عليه : لما ألقى فى الجب ، ولولا إلقاءه فى الجب : ما أخذه السيارة ، ولولاأخذ السيارة له وزهدهم فيه: لماباعوه لحاكم مصر ، ولولا بيعه كالعبيد : لما راودته سيدة القصر عن نفسه ، ولولا هذه المراودة : لما دخل السجن ، ولولا دخوله السجن : لما اختلط بصاحبي السجن ، ولولا تأويله لهما ما رأياه فى منامهما : لما اتصل أمره بالملك ، ولولا اتصال أمره بالملك : لما خرج من السجن ، ولما ولى على خزائن الأرض !

وهكذا أراد ربك أن يرفعه من طريق الضعة ، ويغنيه من طريق الفقر ، ويسعده من طريق الشقاء ! فقد كان الأقرب أن يموت محطما مهشما عند إلقائه فى الجب ، أو أن يموت جوعا وعطشاً لو ترك ، أو تتخذه السيارة خادماً ؛ فيعيش طوال حياته ذليلا مهاناً ! ولـكنه تعالى «لطيف لما يشاء» ﴿إنه هو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ فى صنعه ! وهنا يحس يوسف بمبلغ فضل الله تعالى عليه ، ومدى لطفه به ؛ فيقول مناجياً ربه ، شاكراً نعماءه ﴿رب قد آتيتنى من الملك﴾ ما آتيتنى ﴿وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾ ما علمتنى ﴿فاطر﴾ خالق ﴿أنت وليي﴾ ناصرى ، ومتولى أمورى فى الدنيا والآخرة ﴿ذلك﴾ الذى ذكرناه لك ، وقصصناه عليك يامحمد ﴿من أنباء الغيب﴾ أخبار ما غاب عنك ، ولم يصل إلى علمك ﴿نوحيه إليك﴾ ليـكون دليلا على صدقك ، وبرهانا على نبوتك ﴿وما كنت لديهم﴾ أى لم تـكن لدى إخوة يوسف ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ عزموا عزماً أكيداً على الـكيد ليوسف ﴿وهم يمكرون﴾ أى لم تحضرهم وقتذاك ؛ فتعلم ما دار بينهم ؛ فيكون ذلك مثاراً للشبهة فيك ، والتهمة لك ؛ وإنما علمت ذلك عن طريق الوحى ! ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت﴾ على إيمانهم ﴿بمؤمنين﴾ إلا أن يشاء الله ! ﴿وما تسألهم عليه﴾ أى على القرآن ﴿من أجر إن هو﴾ ماهو ﴿إلا ذكر﴾ =

= عظة ﴿للعالمين﴾ الناس جميعاً ﴿وكأين﴾ وكم ﴿من آية﴾ دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته ﴿يمرون عليها﴾ يشاهدونها بأعينهم وألبابهم ﴿وهم عنها معرضون﴾ أى معرضون عن دلالتها على خالقها ! إذ أن كل شيء فى هذا الكون يشهد للمولى تعالى بالوجود والقدرة والحكمة والعظمة ! وليس الجبل بعظمته وضخامته بأكثر دلالة على وجوده تعالى من الحصاة الملقاة فى الفلاة ، وليس الغزال المستحسن بأدل على قدرته تعالى ووجوده من الخنزير المستهجن ؛ بل إن النار والثلج ـ مع تفاوتهما واختلافهما فى الطبائع ـ فإنهما لم يختلفا فى جهة البرهان على وجود مبدعهما ومودع خواصهما ! ﴿ومايؤمن أكثرهم بالله﴾ ما يقرون بوجوده «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله» ﴿إلا وهم مشركون﴾ به غيره : يعبدون الأصنام ؛ ويقولون : «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿قل هذه سبيلى﴾ طريقى ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾ حجة واضحة ﴿وسبحان الله﴾ تنزيها له تعالى عما يقولون ، وعما يعبدون ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ من الرسل ﴿إلا رجالا﴾ ليس من بينهم امرأة ، ولاجنى ، ولاملك ؛ وهو رد على القائلين «لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً» وهؤلاء الرجال ﴿نوحى إليهم من أهل القرى﴾ أى من أهل المدائن ؛ ولم يرسل الله تعالى رسولا من أهل البادية ؛ لجفائهم وغلبة القسوة على طباعهم ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ يئسوا من إيمان قومهم ؛ أو يئسوا من النصر على أقوامهم ﴿وظنوا﴾ أى استيقن قومهم ﴿أنهم قد كذبوا﴾ أى أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر ، أو ما وعدوا به من نزول العذاب بالمكذبين ؛ وقرىء «كذبوا» بالتثقيل ؛ أى وتأكد الرسل أنهم قد كذبوا من قومهم تكذيباً لا إيمان بعده . وقال بعضهم : إن المعنى : وظن الرسل أن الله أخلفهم ما وعدهم به ؛ وهو كفر لا يجوز نسبته إلى عامة المؤمنين فما بالك بخاصتهم ، وما بالك بالرسل ؛ الذين هم صفوة عباد الله وخيرته من خليقته ! ومن عجب أنهم ينسبون هذا التأويل إلى حبر الأمة وترجمان القرآن : ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ! والأعجب من ذلك أنهم يزعمون أن السامع ناقش ابن عباس فى ذلك القول ؛ فقال له : ألم يكونوا بشراً ؟ وتلا قوله تعالى «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب» فاحذر ـ هداك الله وعافاك ـ من هذه الدسائس فهى كثر ! ﴿جاءهم نصرنا﴾ أى جاء الرسل نصرنا ﴿فنجى من نشاء﴾ وهم المؤمنون ﴿ولا يرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ الكافرين ﴿لقد كان فى =

بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

= قصصهم﴾ أي قصص الرسل ، الذين قصصناهم عليك ﴿عبرة﴾ عظة ؛ وهكذا سائر قصص القرآن ﴿ما كان﴾ القرآن ﴿حديثا يفترى﴾ يختلق ؛ كما زعموا أنك اختلقته ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ أي مصدقا لما تقدمه من الكتب ﴿وتفصيل كل شىء﴾ تحتاجون إليه فى معاشكم ومعادكم

(١٣) سورة الرعد مدنية
وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ

(سورة الرعد)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المر﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود ! ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿يدبر الأمر﴾ وياله من مدبر حكيم ، وخالق عليم ! ترى الشىء فيهولك مظهره ، ويسوؤك مخبره ، ولو نظرت إليه نظر العاقل البصير ، والناقد الخبير ؛ لوجدت الخير كل الخير فيما وقع ؛ فنعم المدبر العظيم ، والخالق الكريم ! ﴿يفصل الآيات﴾ يبين لكم دلائل قدرته ، ومظاهر ربوبيته ﴿وهو الذى مد الأرض﴾ بسطها رأى العين ، وجعلها سهلة ذلولا ﴿وجعل فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي صنفين : حلو وحامض ، ورطب ويابس ، وأبيض وأسود ، وأحمر وأصفر ، وكبير وصغير ، وغير ذلك ﴿يغشى﴾ يغطى ﴿الليل النهار﴾ بظلمته ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿وفى الأرض قطع متجاورات﴾ يريد سبحانه وتعالى أن فى الأرض قطعاً متجاورة ومتماثلة: تسقى بماء واحد ؛ فتنتج هذه الحامض ، وهذه الحلو ، وتلك الرطب ، والأخرى اليابس ؛ إلى غير ذلك مما لا يحصره بيان ، ولا يعوزه برهان ﴿وجنات﴾ بساتين

﴿من أعناب وزرع ونخيل﴾ (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) ﴿صنوان﴾ جمع صنو؛ وهو المثل: وهى النخلات، والنخلتان؛ يجمعهن أصل واحد، وقد يراد به: الشجر المتماثل، وغير المتماثل ﴿يسقى بماء واحد﴾ ولكنه ينتج ثمراً مختلفاً، وطعوماً متباينة ﴿ونفضل بعضها على بعض فى الأكل﴾ فى الثمر؛ إذ ليس التمر كالعنب، أو الخوخ كالتفاح، أو التوت كالرمان أو الكمثرى كالمشمش ﴿وإن تعجب﴾ يامحمد من شيء ﴿فعجب قولهم أئذا كنا ترابا﴾ فى قبورنا ﴿أئنا لفى خلق جديد﴾ أى أنبعث بعد ذلك فى خلق جديد كما

مِنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن

كنا قبل موتنا؟ ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ ذلك بأنهم سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ أى مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين؛ أفلا يتعظون بها؟ ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس﴾ متى تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى ربهم ﴿على ظلمهم﴾ أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب. قيل: إنها أرجى آية فى كتاب الله تعالى! ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن ظلم نفسه بالذنب، ولم يقلع عنه، أو يتب منه. أو شديد العقاب للكافرين ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ ذكراً كان أو أنثى، شقياً أو سعيداً، بليداً أو رشيداً، مليحاً أو قبيحاً، طويلا أو قصيراً ﴿وما تغيض الأرحام﴾ أى وما تنقص؛ وذلك بالقاء الجنين قبل تمامه ﴿وما تزداد﴾ بزيادة عدد الولد؛ فقد تلد الأنثى واحداً، أواثنين، أوثلاثاً، أوأربعاً ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ بقدر وحكمة؛ حيث تتوفر المصلحة، وتعم المنفعة؛ فترى الكون لا يضيق بساكنيه، ولا ينقطع رزقه تعالى عمن خلقه! «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» وتتجلى حكمة الحكيم العليم فى حفظ التوازن بين تعداد السكان وحاجاتهم؛ فترى دائماً عقب الحروب، والجوائح، والكوارث والطواعين: تزداد نسبة المواليد عنها أيام السلام، والأمن، والدعة. وترى أيضاً نسبة الذكورة والأنوثة لاتكاد تتفاوت إلا بالقدر الذى أبيح من أجله تعدد الزوجات.

وترى الطفل حين يولد: يدر له الثدى لبناً خاثرا؛ يسمى اللبأ. وهو خلو من المواد الغذائية؛ مع احتوائه على مواد ملينة؛ تساعد على تنظيف أمعاء الطفل، وإعداده للتغذى؛ وبعد ذلك يتطور اللبن: كما وكيفاً؛ وتزداد قيمته الغذائية بازدياد الطفل ونموه؛ فكلما كبر سنه: ازدادت المواد الغذائية تبعاً لحاجته إليها: فتطغى المواد الدهنية والسكرية، على المواد الزلالية والملحية؛ كل هذا والمرضع هى هى لم تتغير، وغذاءها هو هو لم يتطور؛ ولكنه «صنع الله الذى أتقن كل شيء».

=

= وترى شجر البوادى فى فصل الشتاء ، وتوفر الرطوبة والأمطار : مجدبا قاحلا ؛ وفى فصل الصيف مع وجود الحرارة المحرقة ، وقلة المياه ، وانعدام الأمطار ؛ تراه مزدهراً يانعاً مكسواً بالورق ، فائضاً بالخضرة ؛ وما ذاك إلا ليستظل به من حرارة الشمس من ألهبته أشعتها وأحرقته نيرانها ؛ مع أن الطبيعة تقتضى وجود الخضرة حيث يتوفر الماء والرطوبة ، ووجود القحل حيث توجد الحرارة وتقل الأمطار ؛ فسبحان من «كل شىء عنده بمقدار» . وترى فاكهة الشتاء لاتصلح للصيف ، وفاكهة الصيف لا تصلح للشتاء ! ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ماغاب ، وماشوهد ﴿سواء منكم من أسر القول﴾ أخفاه عن الأسماع ﴿ومن جهر به﴾ لأنه تعالى عالم السر والنجوى ، و «يعلم السر وأخفى» ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ متوار عن الأنظار فى ظلمة الليل ؛ بمعصية الله تعالى ﴿و﴾ من هو ﴿سارب بالنهار﴾ ذاهب فى سربه ؛ أى فى طريقه ؛ يعصى ربه جهراً فى ضوء النهار . لا يخفى على الله تعالى منهم شىء ﴿له معقبات﴾ ملائكة تعتقب فى المحافظة عليه ؛ وكتابة سيئاته وحسناته ﴿من بين يديه﴾ أمامه ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ أى من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظ حسناته وسيئاته ﴿إن الله لايغير مابقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ من الطاعات ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ يلى أمرهم ، ويدفع عنهم عذاب الله تعالى الذى أراده بهم ﴿هو الذى يريكم البرق خوفاوطمعاً﴾ خوفا من عذابه ، وطمعاً فى رحمته : خوفا من نزول الصواعق ، وطمعاً فى نزول المطر ﴿وهم يجادلون فى الله﴾ فى وجوده وقدرته: وينكرون إرساله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم، وينكرون قدرته على بعث الخلائق وإعادتهم ﴿وهو شديد المحال﴾ أى شديد الكيد والقوة ﴿له دعوة الحق﴾ أى إن دعوته تعالى إلى معرفته ، وإلى اتباع دينه ؛ ملابسة للحق ، مجانبة للباطل ﴿والذين يدعون﴾ يعبدونهم ﴿من دونه﴾ غيره ﴿لايستجيبون لهم بشىء﴾ لا يجيبونهم إلى شىء يطلبونه منهم ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾ أى إلا كاستجابة الماء لمن يبسط كفيه له ﴿ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ لأن الماء لا يعقل ولا يسمع ، ولا يحس . أو كمن يبسط كفيه ليحمل بهما الماء ليشرب ؛ فلا يستجيب له الماء ، ولا تحمله كفاه إليه بسبب بسطهما ﴿وما دعاء الكافرين﴾ عبادتهم ﴿إلا فى ضلال﴾ ضياع لا منفعة فيه ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا﴾ بالدليل والحجة والبرهان ﴿وكرها﴾ بالسيف والقتال ﴿وظلالهم﴾ أى ويسجد له تعالى ظلال كل من فى السموات والأرض ﴿بالغدو والآصال﴾ قيل : يسجد له تعالى ظل كل شىء قبل طلوع الشمس ، وفى العشى كذلك

جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ

(قل أفاتخذتم من دونه) غيره (أولياء) أصناماً تعبدونها وتخاصون لها (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن ، أو الصنم الذى لا يرى ولا يسمع ، والله السميع البصير ! (أم هل تستوى الظلمات) الكفر والجهل (والنور) الإيمان والعلم . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (فتشابه الخلق عليهم) خلق

وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

الله تعالى ، وخلق شركائه الذين أشركوهم معه تعالى فى العبادة (أنزل من السماء ماءاً فسالت أودية بقدرها) بمقدارها ؛ الذى علم الله تعالى أنه صالح لها ، وغير ضار بها (فاحتمل السيل زبداً) وهو ماعلا على وجه الماء من الرغوة والأقذار (رابياً) منتفخاً مرتفعاً على وجه السيل (ومما يوقدون عليه فى النار) كالذهب والفضة (ابتغاء) مبتغين صنع (حلية أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص وأمثالها ؛ مما يتخذ منه الأوانى، ويتمتع به فى السفر والحضر (زبد مثله) أى خبث لا ينتفع به ؛ كالزبد الذى فوق الماء (كذلك) أى مثل هذه الأمثال (يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب أمثالا لها (فأما الزبد) الذى هو مثل للباطل (فيذهب جفاء) باطلا ، ملقى به (وأما ماينفع الناس) من الماء النقى ، والجواهر ، والمعادن الخالصة الصافية ؛ وهى مثل للحق (فيمكث فى الأرض) يمكث الماء الصافى: فتسقى منه الأناسى والأنعام ، وتسقى منه الأرض ؛ فتجود بالبركات والخيرات . ويمكث المعدن النقى : فتصنع منه الحلى ، والأوعية ، والآنية ، والآلات النافعة (للذين استجابوا لربهم) وآمنوا به ، وصدقوا رسله ، وعملوا بما فى كتبه ؛ فأولئك لهم (الحسنى) الجنة (والذين) كفروا به تعالى ، و (لم يستجيبوا له) وعصوا رسله ؛ فأولئك (لو أن لهم مافى الأرض جميعاً) من مال وعقار (ومثله معه) أضعافا مضاعفة (لافتدوا به) أنفسهم يوم القيامة من عذاب الجحيم ! ويومئذ لايقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ! (أولئك لهم سوء الحساب) يأخذهم تعالى بذنوبهم جميعها فلا يغفر منها شيئاً (وبئس المهاد) بئس الفراش

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك﴾ القرآن ويعتقد أنه ﴿الحق كمن هو أعمى﴾ عن الحق ؛ وهو الكافر ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ أصحاب العقول ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ الذى واثقوا به الناس (انظر آيتى ١ من سورة المائدة و ٧٢ من سورة الأنفال) ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الأرحام ، والقرابات ، وغيرها ﴿ويخشون ربهم﴾ يخافون غضبه وعقابه ؛ فلا تصدر أعمالهم إلا بما رضيه

* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ
عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ

وأمر به ، ولا تنعقد نياتهم إلا عما يحب ﴿والذين صبروا﴾ على الطاعات ، وعن المعاصى ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلباً لمرضاته تعالى ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أدوها فى أوقاتها ﴿وأنفقوا﴾ فى وجوه الخير والبر ﴿مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ هذا وفضل الصدقة دائماً يكون فى السر؛ حتى لا تعلم شماله مافعلت يمينه ؛ بعداً عن التظاهر ، وبراءة من الرياء ؛ ويستحب فيها العلن : إذا قصد به اقتداء الغير ؛ وترويضه على الإنفاق . وقيل : يستحب السر فى الصدقة ؛ والجهر فى الفريضة ﴿ويدرأون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ بأن يقابلوا الجهل بالعلم ، والحمق بالحلم ، والأذى بالصبر ، والظلم بالعفو ، والقطع بالوصل ! ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ العاقبة المحمودة للدنيا فى الدار الآخرة ؛ وهى ﴿جنات عدن﴾ أى جنات الإقامة ؛ من عدن بالمكان : إذا أقام فيه ﴿والذين ينقضون عهد الله﴾ يتركون أوامره ويغفلون فرائضه ، وينتهكون محارمه ﴿من بعد ميثاقه﴾ الذى واثقهم به ؛ وهو العقل الذى وهبه لهم . والوفاء به : عدم الخروج عن جادة الحكمة والصواب ! أو هو قوله تعالى «ألست بربكم قالوا بلى» (أنظر آية ١٧٢ من سورة الأعراف) ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من صلة الرحم ، والإحسان للفقراء ، وما شاكل ذلك من الأمور التى تميز بها

وَفَرِحُواْ

الإنسان عن الحيوان ؛ فاذا ما قطعها : كان الحيوان أفضل منه وأعز وأكرم ! ﴿ويفسدون فى الأرض﴾ بالكفر والعصيان ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ البعد والطرد من رحمة الله تعالى ﴿ولهم سوء الدار﴾ سوء العاقبة فى الآخرة : جهنم يصلونها وبئس المصير ! ﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ ويضيق على من يشاء . يعطى بغير حساب ، ويمنع بغير أسباب ؛ فقد يوسع على من يكره ، ويضيق على من يحب ؛ ويبتلى بالشر والخير ؛ ليعلم الصابرين منهم والشاكرين

﴿وفرحوا﴾ أى فرح الذين بسط الله تعالى لهم الرزق : فرح بطر ؛ لافرح غبطة وشكر . أو وفرح الكفار ﴿بالحياة الدنيا﴾ وما نالوه فيها ، وما اكتسبوه منها ﴿وما الحياة الدنيا فى الآخرة﴾ أى بجانب ما فى الآخرة من نعيم مقيم ، وهناء دائم ﴿إلا متاع﴾ شىء يتمتع به فترة من الزمن؛ ومآله إلى الفناء ﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه﴾ أى على محمد ﴿آية﴾ معجزة ﴿من ربه﴾ كما أنزل على من سبقه من الأنبياء ؛ كعصا موسى ، وناقة صالح ، وأشباههما ؛ وتناسوا آية الرسول العظمى ، ومعجزته الكبرى : القرآن الكريم الموحى إليه به بأمر ربه ، والمحفوظ أبد الدهر بعنايته وقدرته !

وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله ؛ لتمسكه بالكفر ، وإصراره على الظلم «ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء» ﴿ويهدى إليه من أناب﴾ من رجع إليه بقلبه . فالإنابه سابقة للهداية ؛ فكانت الهداية أجراً لها . كما أن الظلم سابق للاضلال ؛ فكان الإضلال عقوبة عليه ﴿ألا بذكر الله﴾ بطاعته ومرضاته ﴿تطمئن القلوب﴾ تهدأ وترتاح إلى ثوابه ﴿طوبى لهم﴾ الطوبى : الخير ، والحسنى وقيل : إنه اسم للجنة بالهندية ﴿وحسن مآب﴾ حسن مرجع ﴿قد خلت﴾ قد مضت ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل﴾ إن ما تكفرون به ﴿هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ فى أمورى كلها (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أى لوصح أن قرآنا يسير الجبال ويصدع الأرض ، وتسمعه الموتى : لكان هو هذا القرآن ؛ لكونه غاية فى الإنذار ، ونهاية فى التذكير ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ يدخل من يشاء فى رحمته ، وينعم على من يشاء بجنته ، ويصطفى من يشاء لرسالته ! ﴿أفلم ييأس﴾ يعلم ؛ وهى لغة قوم من النخع ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ بطريق الإلهام أو الإلزام ، والقسر والجبر ؛ ولكنه تعالى تركهم لاختيارهم واختبارهم «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أى بسبب كفرهم ﴿قارعة﴾ داهية تفجؤهم ، وسميت «قارعة» لأنها تقرع القلب بأهوالها ؛ ولذا سميت القيامة بالقارعة ﴿أو تحل﴾ الداهية ﴿قريباً من دارهم﴾ فيفزعون منها ، ويتطاير عليهم شررها ، ويلحقهم شرورها ؛ فلا يتعظون بها

﴿حتى يأتى وعد الله﴾ موتهم ، أو القيامة ؛ فتحل حينئذ بالكافرين قارعة القوارع ، وداهية الدواهى ! ﴿فأمليت﴾ أمهلت . والإملاء : طول العمر ، مع رغد العيش ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿أفمن هو قائم﴾ رقيب ﴿على كل نفس بما كسبت﴾ بما عملت فيجزيها عليه ؛ إن خيرا فخير ، وإن شراً فشر ! ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ فى العبادة ﴿قل سموهم﴾ أى عرفوهم لنا ﴿أم بظاهر من القول﴾ أى بباطل منه ، أو هو الكلام يلقى على عواهنه ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ كيدهم للإسلام «زين لهم الشيطان أعمالهم» فكادوا للمؤمنين ﴿وصدوا عن السبيل﴾ منعوا عن دينه تعالى ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ قال تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بالقتل ، والأسر ، وأنواع المحن ! ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ وأقسى من عذاب الدنيا ﴿وما لهم من الله من واق﴾ يقيهم غضبه ويمنع عنهم عذابه ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون﴾ أى صفتها : أنها ﴿تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ أى ثمرها مستديم ؛ لا ينقطع بإبان[1] ، ولا يمتنع بأوان ﴿وظلها﴾ باق ؛ لا ينسخ بالشمس كظل الدنيا ﴿تلك﴾ الجنة ؛ وحالها كما وصفنا ﴿عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ والنار عذابها دائم، كدوام نعيم الجنة ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ من مؤمنى اليهود والنصارى ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ من القرآن ؛ لأن تصديقه نزل فى كتبهم ﴿ومن الأحزاب﴾ المشركين ؛ الذين تحزبوا على النبى والمؤمنين بالمعاداة والمناهضة ﴿من ينكر بعضه﴾ أى بعض القرآن . قال تعالى «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» ﴿قل﴾ لهؤلاء المنكرين ﴿إنما أمرت﴾ فى هذا القرآن الذى أنكرتموه ﴿أن أعبد الله﴾ وحده ﴿ولا أشرك به﴾ أحداً غيره ؛ فانكاركم للقرآن : إنكار للتوحيد

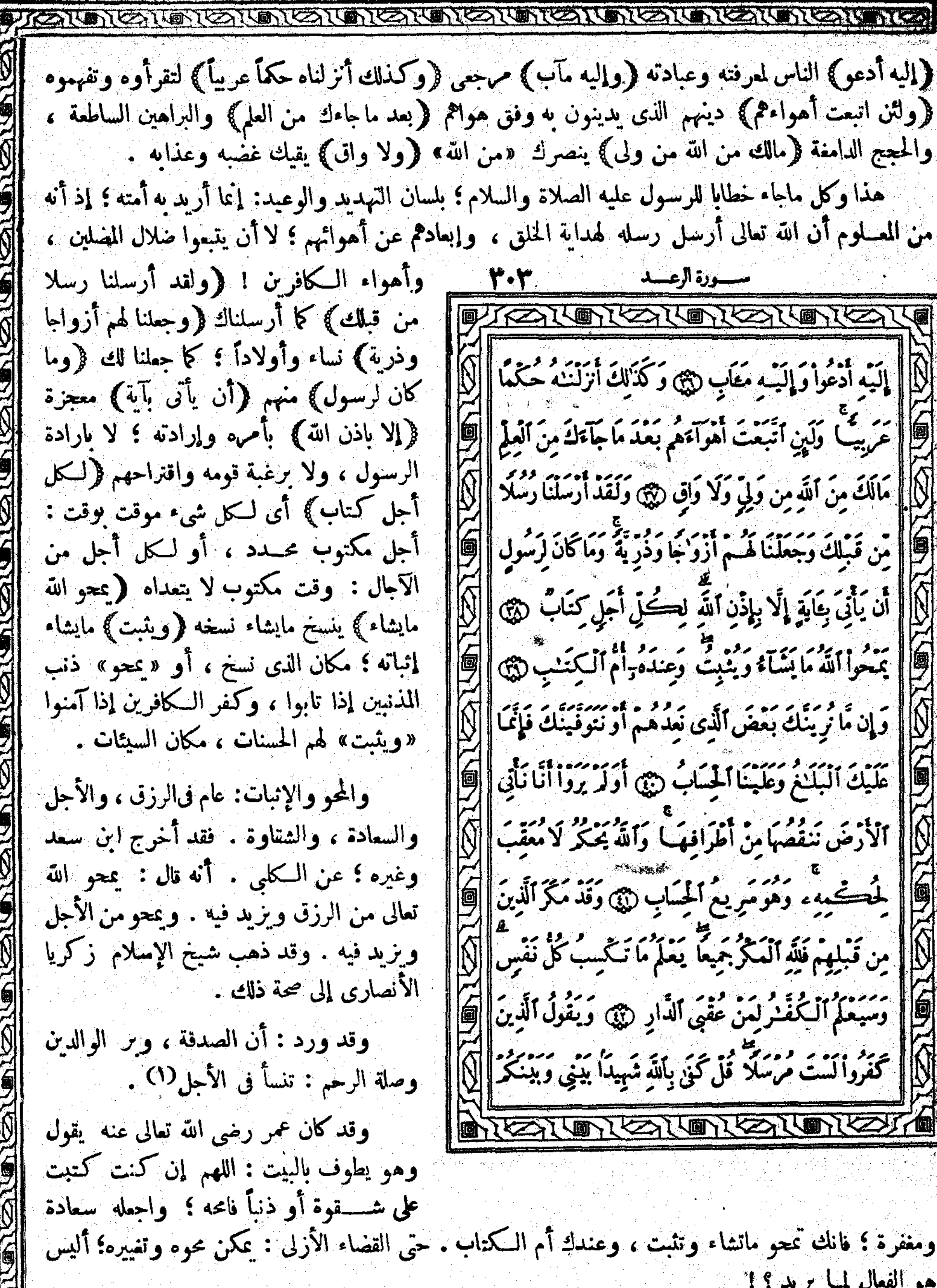
حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ * مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ

إِلَيْهِ

(١) إبان الشىء ـ بكسر الهمز ، وتشديد الباء ـ وقته . وإبان الفاكهة : أوانها .

﴿إليه أدعو﴾ الناس لمعرفته وعبادته ﴿وإليه مآب﴾ مرجعى ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ لتقرأوه وتفهموه ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ دينهم الذى يدينون به وفق هواهم ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ والبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة ﴿مالك من الله من ولى﴾ ينصرك «من الله» ﴿ولا واق﴾ يقيك غضبه وعذابه .

هذا وكل ماجاء خطاباً للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بلسان التهديد والوعيد: إنما أريد به أمته ؛ إذ أنه من المعلوم أن الله تعالى أرسل رسله لهداية الخلق ، وإبعادهم عن أهوائهم ؛ لا أن يتبعوا ضلال المضلين ، وأهواء الكافرين ! ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك﴾ كما أرسلناك ﴿وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ نساء وأولاداً ؛ كما جعلنا لك ﴿وما كان لرسول﴾ منهم ﴿أن يأتى بآية﴾ معجزة ﴿إلا بإذن الله﴾ بأمره وإرادته ؛ لا بإرادة الرسول ، ولا برغبة قومه واقتراحهم ﴿لكل أجل كتاب﴾ أى لكل شىء موقت بوقت : أجل مكتوب محدد ، أو لكل أجل من الآجال : وقت مكتوب لا يتعداه ﴿يمحو الله مايشاء﴾ ينسخ مايشاء نسخه ﴿ويثبت﴾ مايشاء إثباته ؛ مكان الذى نسخ ، أو «يمحو» ذنب المذنبين إذا تابوا ، وكفر الكافرين إذا آمنوا «ويثبت» لهم الحسنات ، مكان السيئات .



إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ
مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ
وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ

والمحو والإثبات: عام فى الرزق ، والأجل والسعادة ، والشقاوة . فقد أخرج ابن سعد وغيره ؛ عن الكلبى . أنه قال : يمحو الله تعالى من الرزق ويزيد فيه . ويمحو من الأجل ويزيد فيه . وقد ذهب شيخ الإسلام زكريا الأنصارى إلى صحة ذلك .

وقد ورد : أن الصدقة ، وبر الوالدين وصلة الرحم : تنسأ فى الأجل(١) .

وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه يقول وهو يطوف بالبيت : اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فامحه ؛ واجعله سعادة ومغفرة ؛ فإنك تمحو ماتشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب . حتى القضاء الأزلى : يمكن محوه وتغييره؛ أليس هو الفعال لما يريد ؟ !

وليس أدل على المحو والإثبات : مما جاء عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه فى القنوت ؛ فإن فيه : «وقنى شر ما قضيت» ولا ينقلب الشر خيراً ؛ إلا بمحوه وتغييره ، وإثبات الخير مكانه .

ولولا جواز المحو والتبديل ، وإمكانه : لأصبح الدعاء لغواً ، لا طائل وراءه ؛ وقد قال تعالى =

(١) تنسأ فى الأجل : أى تؤخره . والمعنى : أنها تطيل العمر .

= «ادعونى أستجب لكم» وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله تعالى يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أصله الذى لا يتغير؛ وهو علم الله تعالى الأزلى اللدنى؛ الذى لا يدركه محو، ولا تبديل، ولا تغيير (انظر آية ٢٢ من سورة البروج) ﴿وإما نرينك﴾ وإن نريك ﴿بعض الذى نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أى ليس عليك إلا إبلاغهم بما أرسلت به ﴿وعلينا الحساب﴾ مجازاتهم بما فعلوا حينما يصيرون إلينا ﴿أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ أى أرض الكفار؛ ننقصها بامتلاك المسلمين لها وفتحها، أو المراد بالنقص: خرابها، وهلاك علمائها وفقهائها، وخيارها وسادتها. والأطراف لغة: الكرماء والأخيار ﴿والله يحكم﴾ بما يشاء ﴿لا معقب لحكمه﴾ لا راد لحكمه ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ المكر: الكيد أى مكر الأمم المتقدمة؛ فكفروا برسلهم، وكادوا لهم؛ كما كفر بك قومك، وكادوا لك ﴿فلله المكر جميعاً﴾ فيجازى الماكرين على مكرهم، ويرد كيد الكائدين فى نحورهم ﴿يعلم ماتكسب كل نفس﴾ من خير أو شر؛ فيجزيها عليه ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ أى العاقبة المحمودة فى الآخرة ﴿قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم﴾ بما أظهره من الأدلة والبراهين والآيات، على صدق رسالتى ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أى علماء أهل الكتاب الذين أسلموا؛ لأن صفة الرسول عليه الصلاة والسلام ونعته جاء فى كتبهم (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) وقيل: المراد بمن عنده علم الكتاب: الله تعالى. وقيل: هو جبريل عليه السلام.

وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

(١٤) سورة ابراهيم مكية

إلا آيتى ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان
وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

وَلَقَدْ

(سورة إبراهيم)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ هو القرآن الكريم ﴿لتخرج﴾ به ﴿الناس من الظلمات إلى النور﴾ من الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿بإذن ربهم﴾ بأمره وإرادته وتوفيقه ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ الويل: حلول الشر، وقيل: إنه واد فى جهنم ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا﴾ يختارونها ويفضلونها ﴿على الآخرة﴾ فيتمسكون بزخرف الدنيا ومتاعها الفانى الزائل، ولا يؤمنون بما فى الآخرة من ثواب وعقاب ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن الإسلام ﴿ويبغونها عوجا﴾ معوجة ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ أى إنه لا يجوز إرسال رسول أعجمى لأمة عربية، كما لا يجوز إرسال رسول عربى لأمة =



= أعجمية ؛ لذا وجبت ترجمة القرآن لسائر اللغات (انظر توفية هذا البحث بكتابنا «الفرقان») ﴿فيضل الله﴾ من يشاء إضلاله ؛ بعد أن يزجى له الآيات البينات ، ويضرب له الأمثال والعظات ، ويسوق له المعجزات والدلالات ؛ حتى إذا ما استمرأ عصيانه ، ولج فى طغيانه : وكله إلى شيطانه ؛ فأضله وزاد فى إضلاله ! قال تعالى «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

﴿وذكرهم بأيام الله﴾ أى أنذرهم بوقائعه التى وقعت للأمم الكافرة قبلهم ، أو ذكرهم بأيام نعمه عليهم ؛ من تظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك من النعم التى لاتحصى ﴿إن فى ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات﴾ دلالات ﴿لكل صبار﴾ كثير الصبر على الطاعة وعن المعصية ﴿شكور﴾ كثير الشكر لربه على ما أولاه ! ﴿يسومونكم﴾ من سامه خسفا : إذا أولاه ظلما وذلا ﴿سوء العذاب﴾ أسوأه وأقبحه وأشده ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يستبقونهن وقيل: يفعلون بهن مايخل بالحياء ﴿وفى ذلكم بلاء﴾ محنة ﴿وإذ تأذن﴾ أعلم . وهى أيضا بمعنى «قال» وبها قرأ ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ براً وخيراً ﴿ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾ عبر تعالى عن عدم الشكر بالكفر ؛ لما فيهما من أوجه الشبه : فالكافر منكر للإله ، وهذا منكر لنعم الإله ؛ فكلاهما فى الكفر سواء ! وحقا إن من يعرف الإله وينكر نعمه ؛ لأشد كفراً ممن لايعرفه أصلا ! جعلنا الله تعالى من عباده الشاكرين ! ﴿فان الله لغنى﴾ عن سائر خلقه ﴿حميد﴾ محمود فى صنعه بهم ﴿وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالآيات الظاهرات ، والحجج الواضحات ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾ أى عضوا أناملهم من شدة الغيظ . وقيل : ردوا أيديهم فى أفواه الرسل ؛ ليمنعوهم من الكلام

* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ

كُلُّ

(قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبدعهما (ويؤخركم) بلا حساب ولا عقاب (إلى أجل مسمى) وهو انتهاء آجالكم ، أو إلى قيام الساعة (تريدون أن تصدونا) تمنعونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة واضحة ؛ تتسلط على عقولنا ؛ فتلزمنا بتصديقكم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالإيمان والنبوة (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) فى سائر أمورهم (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وما لنا ألا نتوكل على الله) وأى عذر لنا فى ألا نتوكل عليه ؟! ومن التوكل: الشكر عند العطاء ، والصبر عند البلاء (وقد هدانا سبلنا) هدى كلا منا طريقه المستقيم ؛ الذى ارتضاه لنفسه ، واختاره الله تعالى له (فأوحى إليهم ربهم) أى أوحى إلى الرسل (لنهلكن الظالمين) الكافرين الطاغين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أى أرض الظالمين وديارهم . وقد ورد «من آذى جاره ، ورثه الله داره» (ذلك) النصر على الأعداء ، وإيراث الأرض (لمن خاف مقامى) أى خاف قيامه بين يدى للحساب يوم القيامة ، أو «خاف» قيامى عليه ، ومراقبتى له ؛ قال تعالى «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» (وخاف وعيد) أى خاف عذابى الذى أوعدت به فى القرآن (واستفتحوا) أى طلب المؤمنون النصر من الله تعالى (وخاب) ذل وخسر

﴿كل جبار عنيد﴾ متكبر ، مجانب للحق ﴿من ورائه﴾ أى بعد انقضاء حياته ﴿جهنم﴾ يصلاها ﴿ويسقى﴾ فيها ﴿من ماء صديد﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار من القيح والدم ! ﴿يتجرعه﴾ يبتلعه ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يزدرده لرداءته وقبحه ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أى يأتيه أنواع العذاب المقتضية للهلاك ، المفضية للموت ؛ ولـكن الله تعالى يمد فى حياته ؛ ليزيد فى تألمه وتحسره ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾

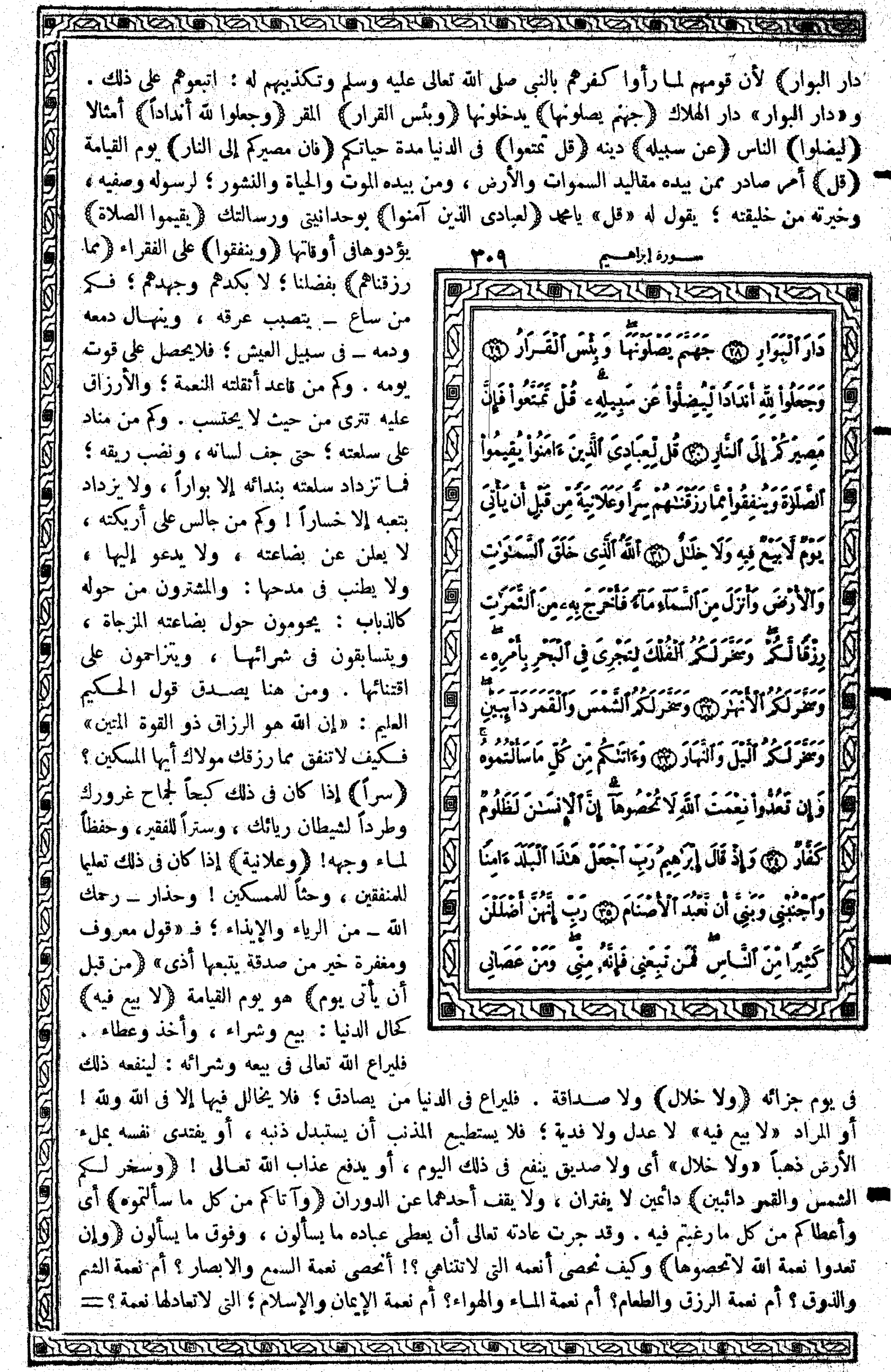
كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم

أى صفة الأعمال الصالحة ؛ التى يعملها الذين كفروا بربهم ؛ كالصدقة ، وحسن الجوار ، وصلة الرحم ؛ فهذه الأعمال صفتها ﴿كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف﴾ أى يوم شديد هبوب الريح ، وكل مائل عن غرضه ؛ فهو «عاصف» قال تعالى «وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» وذلك بالنسبة لأجر الآخرة ، أما فى الدنيا فيجزون على أعمالهم هـذه فيها «ولا يظلم ربك أحدا» ﴿لا يقدرون مما كسبوا﴾ عملوا فى الدنيا ﴿على شىء﴾ أى لا يقدرون على نيل ثوابه فى الآخرة ﴿ذلك هو الضـلال البعيد﴾ العذاب والهلاك الـكبير ﴿وبرزوا لله﴾ أى ظهرت الخلائق ﴿جميعاً﴾ وبرزت لله تعالى من قبورها ﴿فقال الضعفاء﴾ الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ السادة والرؤساء ﴿إنا كنا لـكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا﴾ دافعون عنا ﴿من عذاب الله من شىء قالوا﴾ أى الرؤساء المتبوعون ﴿لو هدانا الله﴾ إلى الإيمـان ﴿لهديناكم﴾ إليه ، أو «لو هدانا» لما ندفع به عذابه «لهديناكم» إليه . وفاتهم أنه تعالى هداهم للإيمان فأبوا ، وأرشدهم سواء السبيل فعصوا ! قال تعالى «وهديناه النجدين» وقال جل شأنه «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» ﴿سواء علينا﴾ الآن ﴿أجزعنا﴾ الجزع : ضد الصبر ﴿أم صبرنا﴾ على مانحن فيه من العذاب ﴿ما لنا من محيص﴾ منجى ومهرب ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر﴾ أى فرغ من الحساب ، ودخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ بأن قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى دخل النار ؛ فوفى بما وعد ؛ وها قد دخلتم النار بعصيانكم ، ودخل أهل الجنة الجنة بطاعتهم ﴿ووعدتـكم﴾ بأن لا بعث ، ولا حساب ، ولاجزاء ﴿فأخلفتكم﴾ كذبتكم ﴿وما كان لى عليكم من سلطان﴾ تسلط وقوة ؛ حتى ألزمكم بالعصيان ، وأكرهكم على الـكفر

﴿إلا أن دعوتكم﴾ للكفر والعصيان ﴿فاستجبتم لى﴾ أجبتم ندائى ؛ بغير تعقل أو روية ﴿فلا تلومونى﴾ الآن ﴿ولوموا أنفسكم﴾ على تغفلكم وعدم حرصكم ﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم . أى بمجيب صراخكم ﴿إنى كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ أى باشراككم إياى مع الله فى الطاعة والعبادة ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة﴾ هى كلمة التوحيد، أو هى كل كلمة طيبة يقولها الإنسان لأخيه الإنسان ؛ فتهدئ من روعه ، وتزيد فى حبه ! قال تعالى : «وقولوا للناس حسناً» فهذه الكلمة الطيبة ينميها الله تعالى ويعلى أجرها وجزاءها ﴿كشجرة طيبة﴾ أى طيبة الظل والثمر . قيل : هى النخلة . والمقصود بها : كل شجرة وارفة الظلال ، مفعمة الثمار ﴿تؤتى أكلها كل حين﴾ أى تجود بثمرها لآكله فى كل وقت . وهو مثل للكلمة الطيبة ومانتنجة من طيب الأثر ، ويانع الثمر ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هى كلمة الكفر ، أو كل كلمة رديئة بذيئة ؛ تترك أثراً سيئاً فى النفوس ، وضغناً كامناً فى القلوب ﴿كشجرة خبيثة﴾ منظرها كريه ، وطعمها ردىء . قيل : هى الحنظل . وقصد بها كل شجرة سيئة المنظر والمخبر ﴿اجتثت﴾ استؤصلت ﴿ما لها من قرار﴾ ثبات ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ كلمة التوحيد ﴿فى الحياة الدنيا﴾ بأن ينطقه الله تعالى بها عند موته ، وعند سؤاله فى القبر ﴿وفى الآخرة﴾ بأن يشهد بها وقت الحساب ، فينجو من العقاب ﴿ويضل الله الظالمين﴾ الكافرين ؛ فالكفر سابق على الإضلال «وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم» وإنما يضلهم بعد إصرارهم على الكفران وتمرغهم فى أوحال العصيان ، ورفضهم الحجج والدلالات ، والآيات البينات ! قال تعالى «إن الذين لايؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ أى كفروا بالنعمة ولم يشكروا عليها : فقد خلقهم تعالى ليؤمنوا به : فأنكروا وجوده ، وأصحهم ليطيعوه : فعبدوا غيره ، وأفاض عليهم من نعمائه ليشكروه : فكفروا به ! وبذلك بدلوا أنعمه تعالى عليهم كفراً به ! وقيل : المراد بالنعمة فى هذه الآية : الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وأكرم به من نعمة ما أعظمها وأجلها ! يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿وأحلوا قومهم

مِن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ

دَارَ



دار البوار﴾ لأن قومهم لما رأوا كفرهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبهم له : اتبعوهم على ذلك . و «دار البوار» دار الهلاك ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿وبئس القرار﴾ المقر ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ أمثالا ﴿ليضلوا﴾ الناس ﴿عن سبيله﴾ دينه ﴿قل تمتعوا﴾ فى الدنيا مدة حياتكم ﴿فان مصيركم إلى النار﴾ يوم القيامة ﴿قل﴾ أمر صادر ممن بيده مقاليد السموات والأرض ، ومن بيده الموت والحياة والنشور ؛ لرسوله وصفيه ، وخيرته من خليقته ؛ يقول له «قل» يامحمد ﴿لعبادى الذين آمنوا﴾ بوحدانيتى ورسالتك ﴿يقيموا الصلاة﴾

دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي

يؤدوها فى أوقاتها ﴿وينفقوا﴾ على الفقراء ﴿مما رزقناهم﴾ بفضلنا ؛ لا بكدهم وجهدهم ؛ فكم من ساع ـ يتصبب عرقه ، وينهال دمعه ودمه ـ فى سبيل العيش ؛ فلايحصل على قوت يومه . وكم من قاعد أثقلته النعمة ؛ والأرزاق عليه تترى من حيث لا يحتسب . وكم من مناد على سلعته ؛ حتى جف لسانه ، ونضب ريقه ؛ فما تزداد سلعته بندائه إلا بواراً ، ولا يزداد بتعبه إلا خساراً ! وكم من جالس على أريكته ، لا يعلن عن بضاعته ، ولا يدعو إليها ، ولا يطنب فى مدحها : والمشترون من حوله كالذباب : يحومون حول بضاعته المزجاة ، ويتسابقون فى شرائها ، ويتزاحمون على اقتنائها . ومن هنا يصدق قول الحكيم العليم : «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» فكيف لاتنفق مما رزقك مولاك أيها المسكين ؟ ﴿سراً﴾ إذا كان فى ذلك كبحاً لجماح غرورك وطرداً لشيطان ريائك ، وستراً للفقير ، وحفظاً لماء وجهه ؛ ﴿وعلانية﴾ إذا كان فى ذلك تعليما للمنفقين ، وحثاً للممسكين ! وحذار ـ رحمك الله ـ من الرياء والإيذاء ؛ فـ «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى» ﴿من قبل أن يأتى يوم﴾ هو يوم القيامة ﴿لا بيع فيه﴾ كحال الدنيا : بيع وشراء ، وأخذ وعطاء . فليراع الله تعالى فى بيعه وشرائه : لينفعه ذلك فى يوم جزائه ﴿ولا خلال﴾ ولا صداقة . فليراع فى الدنيا من يصادق ؛ فلا يخالل فيها إلا فى الله ولله ! أو المراد «لا بيع فيه» لا عدل ولا فدية ؛ فلا يستطيع المذنب أن يستبدل ذنبه ، أو يفتدى نفسه بملء الأرض ذهباً «ولا خلال» أى ولا صديق ينفع فى ذلك اليوم ، أو يدفع عذاب الله تعالى ! ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ دائمين لا يفتران ، ولا يقف أحدهما عن الدوران ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ أى وأعطاكم من كل ما رغبتم فيه . وقد جرت عادته تعالى أن يعطى عباده ما يسألون ، وفوق ما يسألون ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ وكيف نحصى أنعمه التى لاتتناهى ؟! أنحصى نعمة السمع والابصار ؟ أم نعمة الشم والذوق ؟ أم نعمة الرزق والطعام؟ أم نعمة الماء والهواء؟ أم نعمة الإيمان والإسلام ؛ التى لاتعادلها نعمة ؟

= حقا إن الإنسان لو حاول الإحصاء والحصر: لضاق ذرعا؛ ولما وسعه إلا أن يقول: «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» ﴿إن الانسان لظلوم﴾ كثير الظلم لنفسه؛ لعدم شكر ربه على أنعمه! ﴿كفار﴾ كثير الكفر، قليل الشكر! جاء في الحديث القدسي «أخلق فيعبد غيري، وأرزق فيشكر غيري» ﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ البلد: مكة؛ زادها الله تعالى شرفا وأمنا! ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ وقد استجاب الله تعالى لابراهيم دعوته: فلم يعبد أحد من ولده صنما قط! ﴿رب إنهن﴾ أي الأصنام ﴿أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني﴾ منهم ﴿فإنه مني﴾ أي شأنه كشأني. وذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية» ﴿ومن عصاني﴾ فلم يؤمن بك، ولم يستجب لدعوتك. ﴿فإنك غفور﴾ لذنوب المذنبين؛ بفضلك! ﴿رحيم﴾ بعبادك تغفر لمن تشاء منهم، وتعفو عمن تشاء! قال نبي الله عيسى ابن مريم صلوات الله تعالى وسلامه عليهما: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» ﴿رب إني أسكنت من ذريتي﴾ زوجه هاجر وولدها اسماعيل ﴿بواد غير ذي زرع﴾ مكة شرفها الله تعالى ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ لو قال عليه الصلاة والسلام: فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم؛ بغير «من» لما بقي على ظهر الأرض إنسان إلا وذهب إليهم بقلبه ولبه! (انظر آية ٦٠ من سورة غافر) ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ وقد استجاب الله تعالى لابراهيم دعاءه؛ فجلبت لهم الثمار من سائر الأقطار؛ وقد لا يتذوقها جانيها قبل أن يتذوقوها هم؛ فانظر يا أخي حكمة الحكيم العليم! وبعد أن دعا ابراهيم ربه بما شاء: ختم دعاءه بحمده على نعمائه ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر﴾ بعد أن يئست من القوة والولد «وهب لي» ﴿اسمعيل﴾ جد نبينا عليهم الصلاة والسلام ﴿واسحق﴾ بعد اسماعيل ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ لمن دعاه مؤمناً به، موقنا بإجابته! ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أيضاً اجعلهم مقيمي الصلاة. وهي خير دعوة يدعوها المؤمن؛ فلا أحب له، ولا أنفع، ولا أصلح من أن يكون مقيما للصلاة هو وذريته ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ من آداب الدعاء: أن يدعو الانسان ربه بقبول دعائه، وأن يكون متيقناً بالإجابة؛ وإلا فهو شاك في قدرة ربه القادر على كل شيء! ﴿ولا تحسبن﴾ يا محمد أن ﴿الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ لسكوته عليهم، وإغفاله لهم ﴿إنما يؤخرهم﴾ في التعذيب والانتقام ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ شخص بصره: إذا فتح عينيه من غير أن يطرف؛ وهذا لشدة ذهولهم ورعبهم ﴿مهطعين﴾ مادي أعناقهم، أو مسرعين ﴿مقنعي رؤسهم﴾ رافعيها =

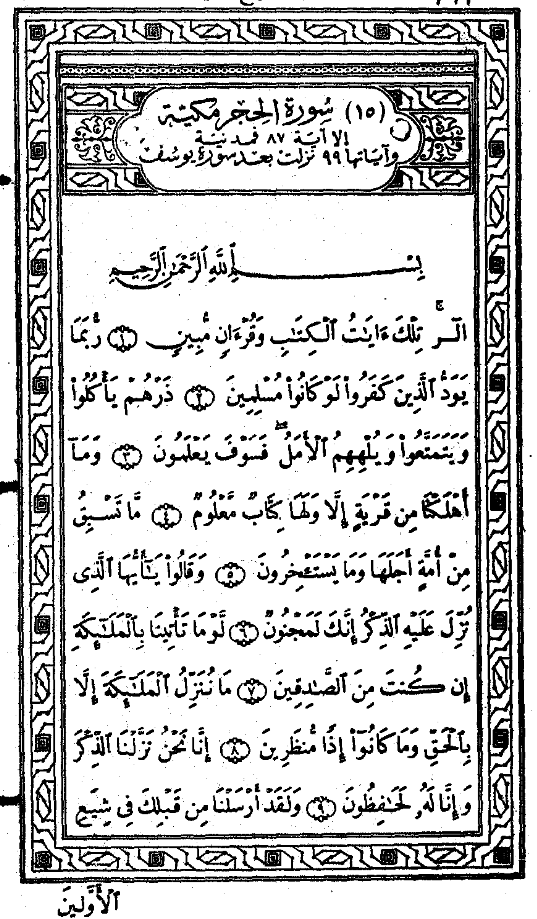
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ

الَّذِينَ

= ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ لا يغمضون أعينهم : لشدة مايرون من الهول ! ﴿وأفئدتهم﴾ قلوبهم ﴿هواء﴾ خالية من التفكير لكثرة فزعهم ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿ربنا أخرنا﴾ أى ردنا إلى الدنيا وأمهلنا ﴿إلى أجل قريب نجب دعوتك﴾ التى دعوتنا إليها ، فلم نستجب لها ﴿ونتبع الرسل﴾ الذين أرسلتهم لنا فكذبناهم ؛ فتقول لهم ملائكة الرحمن ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ أى حلفتم أنكم إذا متم:

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

لا تزالون عن تلك الحالة ، ولا تنتقلون إلى دار أخرى ، وحياة أخرى . وذلك كقوله تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت» (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم﴾ أى هو عالم بما يخفونه من الشر ، وما يضمرونه من السوء والأذى للمؤمنين ؛ فيجازيهم عليه ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ أى وإن كان مكرهم شديداً عظيما ؛ تبلغ قوته أن تزول منه الجبال ؛ فان الله تعالى قادر على إبطاله ومحوه ، ومقابلته بمكر هو أشد وأقوى منه «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» وقيل : «وإن» بمعنى ما ؛ أى وما كان مكرهم لضعفه وهوانه «لتزول منه الجبال» وقرأ أبى وابن مسعود وغيرهما «وإن كاد» ومعنى هذه القراءة : لقد عظم مكرهم حتى كادت الجبال أن تزول منه ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ ما وعدهم به من النصر ، ونزول العذاب بالمكذبين ﴿إن الله عزيز﴾ قوى ، غالب ﴿ذو انتقام﴾ ممن عاداه ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد﴾ أى مسلسلين فى الأغلال ؛ وقد قرنت أيديهم إلى أرجلهم ، أو قرن كل مجرم مع نظيره وشبيهه فى الكفر والإجرام ؛ كما يفعل بمجرمى أهل الدنيا ﴿سرابيلهم﴾ ملابسهم ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ تعلوها وتغطيها ﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ ماعملت فى الدنيا ﴿إن الله سريع الحساب﴾ يحاسب الخلائق جميعاً فى أسرع من لمح البصر ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بلاغ للناس ولينذروا به﴾ أى أنزل لتبليغهم أوامر ربهم وموجدهم ، وإنذارهم بغضبه على من يخالفه ، وعقابه لمن يكفر به ! ﴿وليذكر﴾ ليتذكر به ﴿أولوا الألباب﴾ ذووا العقول .



(١٥) سُورَةُ الحِجْرِ مَكِّيَّة
إلا آية ٨٧ فمدنية
وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ

ٱلْأَوَّلِينَ

(ســورة الحجر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر﴾ (انظر آية ١ من ســورة البقرة) ﴿ربما﴾ بتخفيف الباء وتشديدها؛ وقرىء بهما ﴿يود﴾ يتمنى ﴿الذين كفروا﴾ حين يروا العذاب يوم القيامة ﴿لو كانوا مسلمين﴾ أى لو كانوا أسلموا فى الدنيا، ونجوا من هول هذا العذاب ﴿ذرهم﴾ دعهم واتركهم ﴿يأكلوا﴾ كما تأكل الأنعام ﴿ويتمتعوا﴾ بدنياهم الفانية ﴿ويلههم﴾ يشغلهم عن الإيمان بربهم، وعن الاهتمام بآخرتهم ﴿الأمل﴾ فى طول الحياة، وجمع المال ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد ووعيد؛ أى سوف يعلمون مايحل بهم فى الآخرة؛ من عذاب أليم مقيم! ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ من القرى الظالمة ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ أجل محدود لإهلاكها ﴿ماتسبق من أمة أجلها﴾ الذى حدد لهلاكها ﴿وما يستأخرون﴾ عنه؛ بل ينزل بها الدمار فى الوقت الذى حدده الله لها ﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر﴾ القرآن ﴿إنك لمجنون﴾ يعنون بذلك سيد العقلاء محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿لوما﴾ هلا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ فنراهم عياناً؛ يشهدون بصدقك، وأن القرآن قد نزل عليك من عند الله. أو هلا تأتينا بالملائكة بالعذاب على تكذيبنا لك؟ قال تعالى رداً عليهم ﴿ماننزل الملائكة إلا بالحق﴾ أى إلا بالعذاب الحق؛ الذى يستحقونه ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ أى وما كانوا عند نزول الملائكة ـ إذا أنزلناهم بالعذاب ـ مؤخرين؛ بل يحل بهم بغتة ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ طول العمر، وأبد الدهر؛ لا يعتريه تغيير أو تبديل، ولا يشوبه تصحيف أو تحريف، ولا تدركه زيادة أو نقصان ﴿ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين﴾ أى فى فرق المتقدمين

﴿كذلك نسلكه﴾ ندخله ؛ أى القرآن ، لا الكفران كما ذهب إليه أكثر المفسرين (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿فى قلوب المجرمين﴾ الكافرين ﴿لا يؤمنون به وقد خلت﴾ مضت ﴿سنة الأولين﴾ أى سنة الله تعالى فيهم ، وعادته معهم ؛ من تعذيبهم بتكذيبهم ، واستئصالهم بطغيانهم ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء﴾ يرونه بأعينهم ﴿فظلوا فيه﴾ أى فى هذا الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون ﴿لقالوا إنما سكرت﴾ حيرت ، أو حبست ﴿أبصارنا﴾ عن الإبصار ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجا﴾ هى منازل الكواكب السيارة؛

الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ

وهى اثنا عشر: الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت . والكواكب السيارة سبعة : المريخ : وله من البروج الحمل والعقرب . والزهرة : ولها الثور والميزان . وعطارد : وله الجوزاء والسنبلة. والقمر: وله السرطان . والشمس: ولها الأسد . والمشترى: وله القوس والحوت . وزحل : وله الجدى والدلو ﴿وحفظناها﴾ أى حفظنا السموات ﴿من كل شيطان رجيم﴾ مرجوم ، أو ملعون ﴿إلا من استرق السمع﴾ من هؤلاء الشياطين ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ شعلة من نار ؛ تحرق كل ما تمسه كالصاعقة ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت ﴿وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾ بميزان الحكمة : كتناسب العناصر فى الخضر والفاكهة وغيرهما ؛ مما يحير العقول ، ويدهش الأفكار ! أو «موزون» بميزان التقدير ؛ فلا يزيد على حاجة الخلق ولا ينقص «وما ننزله إلا بقدر معلوم» أو «وأنبتنا فيها» أى فى الجبال «من كل شىء موزون» مما يوزن من المعادن : كالذهب ، والفضة ، والنحاس ، والرصاص ، وماشاكل ذلك ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أى أسباب العيش : من المطعومات والمشروبات ﴿ومن لستم له برازقين﴾ أى وجعلنا لكم من العيال ، والمماليك ، والأنعام ؛ من لستم له برازقين؛ لأننا نخلق طعامهم وشرابهم لا أنتم ﴿وإن من شىء﴾ وما من شىء : قل أوجل ، دق أو رق ﴿إلا عندنا خزائنه﴾ التى ننفق منها ﴿وما ننزله﴾ للخلق ﴿إلا بقدر معلوم﴾ حسب حاجتهم إليه ، وحسب مشيئتنا وإرادتنا بالتوسعة على البعض ، والتضييق على الآخرين . وقد يوسع الله تعالى على العاصين ، ويضيق على المتقين ؛ لحكمة يعلمها ، وغرض يريد إمضاءه : ابتلاء لبعض خلقه ، وإملاء لآخرين «وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ أى حوامل بالسحاب ؛ لأنها تحمله فى جوفها ، ولأن الرياح تلقح النبات والأشجار ؛ فتنقل من ذكرها لأنثاها «فتبارك الله أحسن الخالقين» !

نُحْيِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ أى قد أحطنا بالخلق علماً من لدن آدم إلى قيام الساعة ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال﴾ طين يابس؛ تسمع له صلصلة إذا ضرب عليه ﴿من حمإ﴾ طين أسود ﴿مسنون﴾ متغير منتن ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ هى نار لادخان لها؛ تنفذ من المسام، وتسرى مع الريح ﴿فاذا سويته﴾ أتممت خلقته ﴿فقعوا له ساجدين﴾ ذهب الأكثرون إلى أنه سجود تحية بالانحناء فحسب؛ ويأبى ذلك قوله تعالى «فقعوا» لأنه أمر بالوقوع متلبسين بالسجود، وذهب بعضهم إلى أنه امتحان للملائكة، واختبار لطاعتهم؛ لأنهم ـ بلاشك ـ نوع أرقى من النوع الإنسانى؛ وليثبت تعالى للملإ حسن طاعتهم، ومزيد انقيادهم؛ وأنهم «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» (انظر آية ٢٢ من سورة التكوير) ﴿قال﴾ الله تعالى مخاطباً إبليس اللعين؛ ليقطع الشك باليقين أمام سائر المخلوقين؛ قال ﴿يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ الذين سجدوا إطاعة لأمرى، وتنفيذا لقضائى! فابتدأ اللعين، فى مجادلة رب العالمين، وأحكم الحاكمين! ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر﴾ أقل مرتبة منى؛ إذ ﴿خلقته من صلصال﴾ طين يابس؛ تسمع له صلصلة إذا ضرب عليه ﴿من حمإ مسنون﴾ طين أسود متغير؛ وقد خلقتنى من نار؛ والنار أفضل من الطين! ﴿قال﴾ تعالى ﴿فاخرج منها﴾ أى من الجنة؛ فلست أهلا للبقاء فى النعيم ﴿فانك رجيم﴾ مطرود ﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ يوم الجزاء: يوم القيامة ﴿قال رب فأنظرنى﴾ أخرنى وأمهلنى ﴿قال فانك من المنظرين﴾ المؤخرين

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يوم القيامة . من هنا نعلم أن الله تعالى قد يستجيب للظالم ـ لحكمة قدرها وعلمها ـ امتحاناً به لغيره ، وابتلاءاً لبعض مخلوقاته ﴿قال رب بما أغويتني﴾ لقن اللعين حجة لأوليائه الملاعين ؛ وهى

ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا

أن الإغواء جاءه من أحكم الحاكمين؛ فقال لربه: بحق إغوائك لى ؛ فى حين أن ربه لم يغوه ؛ وإنما غوى هو بنفسه ، وأغوى غيره ! وقد جرت سنة الله تعالى فى خليقته أن يضل الضالين، ويهدى المهتدين «قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا» «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم» ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿هذا صراط على مستقيم. إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ أى هذا طريق مستقيم ، على أن أراعيه : وهو ألا يكون لك قوة ولا تسلط على عبادى المخلصين ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ الكافرين «الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ أى إن جهنم لموعد لمن اتبعك ﴿لها سبعة أبواب لكل باب﴾ من الأبواب السبعة ﴿منهم﴾ أى من الكافرين الغاوين ﴿جزء مقسوم﴾ نصيب مقسم على هذه الأبواب . قيل : إن هذه الأبواب لدركات جهنم ، وهى مرتبة فوق بعضها ؛ وفى أعلاها عصاة هذه الأمة ، وفى أسفلها المنافقين «إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار» ﴿إن المتقين فى جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ ماء جار يرى بالعين ؛ ويقال لهم ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ من كل سوء وعناء ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ تعب ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ﴿نبىء عبادى أنى أنا الغفور﴾ للتائبين المستغفرين ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين الطائعين ! ﴿وأن عذابى﴾ للكافرين والعاصين ﴿هو العذاب الأليم﴾ المؤلم ﴿ونبئهم﴾ أخبر قومك يا محمد ﴿عن ضيف ابراهيم﴾ من الملائكة ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال﴾ بعد أن رد عليهم السلام ﴿إنا منكم وجلون﴾ خائفون وذلك لأنه رآهم لا يأكلون من طعامه الذى قدمه إليهم ﴿قالوا لا توجل﴾ لا تخف

نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

ضَيْفِي

﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾ ذى علم كثير؛ وهو اسحق عليه السلام ﴿قال أبشرتمونى﴾ بالغلام ﴿على أن مسنى الكبر﴾ أى بعد أن كبرت، ولم أعد صالحاً لإنجاب الولد ﴿فبم تبشرون﴾ بعد ذلك ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أى بما سيقع حتما، ويكون حقاً ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين ﴿قال﴾ معاذ الله أن أقنط من وعده ورحمته ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ ولست منهم ﴿قال فما خطبكم﴾ ما شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾ ولأى شىء جئتم ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ قوم لوط؛ لننزل عليهم العذاب بأمر رب العالمين ﴿إلا آل لوط﴾ أهله من المؤمنين، ومن آمن به من قومه ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ من العـذاب ﴿إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ الباقين فى العذاب ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ من الملائكة الذين بشروا ابراهيم بغلام عليم ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أى لا أعرفكم؛ وقد أنكرهم لوط: لأنه رآهم فى زى نظيف لايتفق وحال المسافر؛ وليسوا ممن يعرف من أهل قريته ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أى بالعـذاب الذى كان قومك يشكون فى مجيئه ﴿فأسر﴾ أى سر ليلا ﴿بقطع من الليل﴾ بطائفة من الليل، أو ببقية منه، أو بجنح الليل ﴿واتبع أدبارهم﴾ أى امش خلف المؤمنين من أهلك وقومك ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ خلفه؛ لئـلا يرى ما ينزل بقومك من العـذاب؛ الذى يخلع القلب، ويطيح باللب ﴿وقضينا إليه﴾ أوحينا إليه ﴿ذلك الأمر﴾ الذى ذكرناه؛ وهو ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ أى مستأصلون عن آخرهم صباحا؛ لأن الدابر: آخر كل شىء وأصـله ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ بمجىء الملائكة عند لوط؛ طمعاً فى ارتكاب الفـاحشة معهم؛ ظناً منهم أنهم من عامة الناس أمثالهم؛ وقد دخلوا على لوط بأكمل شكل، وأجمل صورة ﴿قال﴾ لوط لقومه ــ لما رأى إقبالهم إليه ــ وعلم نواياهم السيئة ﴿إن هؤلاء ضيفى﴾ ضيوفى

﴿فلا تفضحون﴾ معهم ﴿واتقوا الله﴾ خافوه ، واخشوا عقابه ﴿ولا تخزون﴾ الخزى : الذل والهوان ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أى عن الاختلاط بالناس ، وتسميم أفكارهم بما تزعمه من الرسالة ، وما تدعو إليه من الإيمان بإلهك ؟ ﴿قال هؤلاء بناتى﴾ أى بنات أمته ؛ لأن كل نبى يعتبر أباً لقومه ؛ وإلا فليس بجائز أن تزوج بنات أصلح الصالحين ، لأفسق الفاسقين ﴿لعمرك﴾ أى وحقك ﴿إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ أى فى ضلالهم يتخبطون . لقد تجلى الإله على مصطفاه ، وأقسم الجليل بالخليل ، وشرف الكريم عبده العظيم ، وأفاض النعم على نبيه الأكرم ؛ فأظهر للملإ قدره، وأعلا فى الآفاق شأنه ؛ وحلف بحياته! عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما خلق الله ، وما ذرأ ، وما برأ ؛ نفساً أكرم عليه تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت أن الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره : قال الله تعالى ذكره «لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون» ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ الصيحة: العذاب. وقيل: صاح بهم جبريل عليه السلام حين بدأ بتعذيبهم . والصيحة : مقدمة لكل عذاب ﴿مشرقين﴾ وقت شروق الشمس ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قيل : حمل جبريل عليه السلام قريتهم إلى أن قاربوا الأفلاك ، وسمعوا تسبيح الأملاك؛ وجعل عاليها سافلها ؛ بأمر ربه المنتقم الجبار ! أعاذنا الله تعالى من غضبه عنه ، وعافانا من عذابه بكرمه! ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ السجيل ، والسجين : المكتوب فى السجل ؛ أى وأمطرنا عليهم حجارة مكتوب عليهم أن يعذبوا بها ؛ قال تعالى «وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم» أى مكتوب . وقيل : سجيل وسجين : اسم واد فى جهنم ؛ أى وأمطرنا عليهم حجارة من جهنم: إذا لم يصبهم جرمها؛ أحرقتهم حرارتها ﴿إن فى ذلك﴾ العذاب الذى أنزلناه بقوم لوط ، وبغيرهم من المكذبين ﴿لآيات﴾ لعبر وعظات ﴿للمتوسمين﴾ للمتأملين، والمتفكرين ﴿وإنها﴾ أى قرى قوم لوط ، وما فيها من آثار تعذيبهم واستئصالهم ﴿لبسبيل﴾ طريق ﴿مقيم﴾ باق لم يندرس ؛ وهى مدينة سدوم ، أو سذوم . وقيل : عاموراء ؛ وهما قريتان من قرى قوم لوط ﴿إن فى ذلك﴾ الابقاء على هذه القرى إلى الآن، على حالها البادى للعيان ﴿لآية﴾ عبرة وعظة ﴿للمؤمنين﴾ الصادقين فى الإيمان ﴿وإن كان أصحاب الأيكة﴾ الأيكة : الغيضة ؛ وهى مجتمع الشجر . قيل : إنهم قوم شعيب عليه السلام ﴿لظالمين﴾ لكافرين ﴿فانتقمنا منهم﴾ أهلكناهم ؛ لما كذبوا شعيباً ﴿وإنهما﴾ أى قرى قوم لوط ، والأيكة ﴿لبإمام مبين﴾ طريق واضح ؛ لمن يريد أن يراهما ويتعظ بما حل بأهلهما ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ ثمود : قوم صالح عليه السلام ؛ و «الحجر» واد بين المدينة والشام ؛ عند وادى القرى ، =

ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾
قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن
كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ

ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ
ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ
مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾
كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ
عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ
نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

= أو بين مكة وتبوك ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ الصيحة : العذاب ؛ أو هي مقدمة لكل عذاب . وقيل: صرخ فيهم الملك المأمور باهلاكهم صباحا ﴿فما أغنى عنهم﴾ فما دفع عنهم العذاب ﴿ما كانوا يكسبون﴾ ما كانوا يعملونه : من جمع للأموال ، وبناء للقصور والحصون ﴿فاصفح﴾ يامحمد عن قومك ﴿الصفح الجميل﴾ أي الصفح الذي لا يبقى أثراً في القلوب ! لقد أقام الله تعالى عليهم الحجة التي لا تدحض ، والبرهان الذي لا يدفع : فأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بملاينتهم وملاطفتهم ، والصفح عنهم صفحاً جميلا ؛ يلين من شكيمتهم ، ويسلس من قيادهم . وبعد ذلك أمره بهجرهم هجراً رفيقاً رقيقاً «واهجرهم هجراً جميلا» فأفاد ذلك بعض من هدى الله تعالى ، وكتب له السعادة والسيادة ، ولم يفد مع الآخرين ؛ فكانوا كالعضو الفاسد المريض ؛ الذي لا يسلم الجسم إلا ببتره ، ولا يبرأ إلا بقطعه ! فأنزل تعالى على رسول «فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم» ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ وهي — على القول الراجح — الفاتحة ؛ لأنها سبع آيات ، ولأنها تثنى في كل ركعة من الصلاة . وقيل : هي السبع الطوال: البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال والتوبة معاً ؛ وذلك لأنه قد ثنى فيها الأمثال ، والخبر ، والعبر ، والفرائض ، والحدود ، والقضاء ، والقصص ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أي لا تطمح بعينيك إلى ما آتينا أصنافا من الكفار ؛ من متاع الدنيا ، ونعيمها الزائل ، وتراثها الفاني ! ﴿ولاتحزن عليهم﴾ أي لا تحزن لعدم إيمانهم ﴿واخفض جناحك﴾ تواضع ، وألن جانبك ﴿للمؤمنين﴾ أمر الله تعالى رسوله الكريم — وهو سيد الخلق وخيرهم — بأن يتواضع ويلين جانبه للمؤمنين ؛ وأي مؤمن — وإن سما وعلا — فهو دون الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه رتبة ؛ فكيف بنا معشر المؤمنين ونحن نتعالى على من هم أعلا منا دينا ، وأرق منا مرتبة ، وأسمى منا تقى وورعاً ! وقد فسدت المقاييس ، وانخرمت المعايير وأصبحت الأقدار ، تقاس بالدرهم والدينار ! فأي درك هذا الذي هوينا إليه ؟ ! وأي إثم هذا الذي وقعنا فيه ؟! قال تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ولم يقل تعالى : إن أكرمكم عندي أغناكم ، أو أجملكم ، أو أقواكم ! فاعلم — هداك الله — أن أقدار الناس لا تقاس إلا بمقياس الدين والورع ، لا الحرص والطمع ! (انظر آية ٢٢ من سورة الروم) ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ أي كما أنزلنا من البلاء والعذاب على المقتسمين . قيل : هم جماعة من المشركين . وقيل : هم أهل الكتاب ؛ لأنهم قسموا القرآن ، وقالوا بصحة ما يوافق كتبهم ، وكذبوا باقيه ! ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ =

= أى أعضاء وأجزاء ، وأقوال متفرقة : شعر ، سحر ، كهانة ، اختلاق ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أى فامض فى تنفيذ ما أمرتك به ؛ واجهر بما أنزلته عليك من القرآن ، وأعلن كلمة التوحيد ، وشق باطلهم بحقك ! ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ أى منعنا عنك شرهم وأذاهم ؛ بأن أهلكناهم ، وقطعنا دابرهم ! ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ فيك ، وفى الله ﴿فسبح بحمد ربك﴾ قدسه واحمده على ما أفاء عليك من نعم ﴿واعبد ربك﴾ داوم على عبادته ﴿حتى يأتيك اليقين﴾ الموت : المتيقن وقوعه .

(١٦) سورة النحل مكية
الا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية
وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

(سورة النحل)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أتى أمر الله﴾ بمعنى سيأتى ؛ وعبر تعالى بالمضى : لتيقن وقوعه ؛ وهو البعث والنشور والحساب ﴿فلا تستعجلوه﴾ وتقولوا : متى ؟ وأين؟ وأيان؟ ﴿سبحانه﴾ تقدس وتنزه (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحى ﴿من أمره﴾ بإرادته ﴿على من يشاء من عباده﴾ الذين اصطفاهم لنبوته ، واختارهم لرسالته ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ منى (انظر آية ٢١ من الذاريات) ﴿فاذا هو خصيم مبين﴾ خصم شديد الخصومة لمن خلقه ورزقه ! ﴿والأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿خلقها لكم فيها دفء﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها ؛ تصنعون كساء ، ورداء ، وغطاء ﴿و﴾ لكم فيها ﴿منافع﴾ تنتفعون بركوبها ، وتشربون من ألبانها ﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ من الإراحة ؛ أى حين تردونها فى العشى من مسارحها ومراعيها ؛ إلى مراحها ومنازلها التى تأوى إليها ﴿وحين تسرحون﴾ بها ، وتخرجونها من مراحها إلى مرعاها فى الصباح ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد﴾ بعيد ﴿لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ بجهدها ومشقتها

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا

لَعَلَّكُمْ

﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ من وسائل النقل والركوب : كالقاطرات ، والسيارات ، والطائرات ، وغيرها ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أى وعليه تعالى هداية الطريق المستقيم ﴿ومنها جائر﴾ أى ومن هذه السبل ما هو مائل عن الاستقامة ﴿ولوشاء لهداكم أجمعين﴾ قسراً وجبراً ؛ ولكنه تعالى أراد أن تهتدوا بالحجة والبرهان ! ﴿فيه تسيمون﴾ أى من الشجر تأكلون ؛ وهو من سامت الماشية : إذا رعت ﴿ينبت لكم به﴾ أى بالماء النازل من السماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) ﴿إن فى ذلك﴾ الإنزال ، والإنبات ﴿لآية﴾ دالة على قدرة الخالق ووحدانيته وعظمته ! ﴿لقوم يتفكرون﴾ أى لهم عقول يفكرون بها فى الأسباب ومسبباتها ، والخالق تعالى ومخلوقاته ! ﴿وماذرأ لكم﴾ ماخلق لكم ﴿فى الأرض﴾ من الحيوان ، والنبات ، وغيره ﴿مختلفا ألوانه﴾ كالأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والأسود ، والأبيض . ويجوز أن يكون معنى «مختلفا ألوانه» أى متعدداً أصنافه وأشكاله ﴿وتستخرجوا منه﴾ أى من البحر ﴿حلية تلبسونها﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك مواخر﴾ أى جوارى فى البحر ؛ تمخر الماء : أى تشقه ﴿ولتبتغوا﴾ لتطلبوا بواسطة هذه الفلك ﴿من فضله﴾ من رزقه تعالى ؛ بالانتقال للاتجار من بلد إلى بلد ﴿وألقى فى الأرض رواسى﴾ جبالا ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ أى لئلا تميد الأرض بكم وتضطرب ﴿وسبلا﴾ طرقاً تسيرون فيها .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا
نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ
إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ
رَبُّكُمْ قَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ
عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن

﴿وعلامات﴾ تستدلون بها ـ فى سيركم ـ على الطرقات ؛ كالجبال ، والوديان ، والأنهار ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ إلى الطرق ، وإلى الجهات ، وإلى القبلة ﴿أفمن يخلق﴾ جميع ذلك ، ويديره ، ويدبره ، ويحفظه ، ويكلؤه ؛ وهو الله الكبير المتعال ! ﴿كمن لا يخلق﴾ شيئاً أصلا ؛ بل يفتقر إلى خالق يخلقه ، وموجد يوجده ؛ وهو الصنم الذى تعبدونه ! ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتذكرون ذلك ؛ فتؤمنوا بالله الخالق البارئ المصور ! ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ عليكم ﴿لا تحصوها﴾ وكيف تحصى أنعمه تعالى ؛ وهى لا يحدها حد ، ولا يحصيها عد ؛ ويكفينا من أنعمه تعالى : واسع رحمته ؛ ومزيد مغفرته ! ﴿إن الله لغفور﴾ لكم ﴿رحيم﴾ بكم ! قال الحسن رضى الله تعالى عنه : إن لله فى كل عضو نعمة ؛ فيستعين بها الإنسان على المعصية . اللهم لاتجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك ؛ وهب لنا لساناً ذاكراً ، وقلبا خاشعاً ، وجوارح لاتعمل إلا فى طاعتك ؛ وجنبنا معصيتك ، وأدخلنا جنتك ؛ بمنك ورحمتك ! (انظر آية ٣٤ من سورة إبراهيم) ﴿والذين يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿لايخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أرأيت إلى الصنم: هل يستطيع أن يوجد بنفسه؛ من غير موجد له ؟ ! ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أى لا يعلمون فى أى وقت يبعث عبدتهم ﴿فالذين لايؤمنون بالآخرة﴾ وما فيها من بعث وحساب ، ونعيم وعذاب ﴿قلوبهم منكرة﴾ جاحدة : لاتقبل الوعظ ، ولا ينفع معها النصح ؛ لأنهم أصروا على عدم الاستماع ، ولأن الذى لايؤمن بالآخرة : لا يرجو ثوابا ، ولا يخشى عقاباً ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الاستماع والانتفاع ﴿لاجرم﴾ أى لابد ولامحالة أن يؤول حالهم إلى ما آل إليه ، وأن تنكر قلوبهم الوعظ ، وتأبى الرشاد ، وأن يستكبروا عن الإيمان ؛ و ﴿أن الله يعلم مايسرون﴾ فى قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم وجوارحهم ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ على محمد ﴿قالوا أساطير﴾ أباطيل وأكاذيب ﴿الأولين﴾ الأمم الماضية ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ ذنوبهم ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ أى وليحملوا أوزاراً أخرى مع أوزارهم ؛ وهى أوزار الناس الذين تسببوا فى إضلالهم ﴿بغير علم﴾ ممن ضلوا بسببهم بأنهم ضلال ﴿ألا ساء مايزرون﴾ أى بئس مايحملونه من ذنوبهم وآثامهم ، وذنوب وآثام غيرهم ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ كفروا مثل كفرهم ، وأضلوا مثل إضلالهم ﴿فأتى الله بنيانهم﴾ قوضه وخربه ﴿من القواعد﴾ من الأساس ؛ حتى لاتقوم له قائمة بعد ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ أى وهم تحته فهلكوا . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الكلام على حقيقته ؛ وأن المراد به نمرود بن كنعان ـ الذى حاج إبراهيم فى ربه ـ أو جباراً آخر من جبابرة =

=النبط(١) أو بختنصر ، أو هامان . والذى أراه أن الله تعالى شبه هلاك الأمم المتقدمة واستئصالهم : بمن أقاموا فى بيت انهارت أسسه ؛ فخر عليهم سقفه ﴿وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ ولا يتوقعون !

ويصح أن يكون الكلام على حقيقته ؛ إذا أطلق على الأمم المتقدمة : كقرى قوم لوط . قال تعالى فى وصف تعذيبهم «فجعلنا عاليها سافلها» وذلك بأن أتى قواعدها ؛ بأن زلزل أرضهازلزالا عنيفاً ، ورفعها بما فيها ومن فيها ؛ وجعل عاليها سافلها : فصارت سماؤها أرضاً ، وأرضها سقفاً «فخر عليهم السقف من فوقهم» ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يذلهم ﴿ويقول أين شركائى﴾ الذين كنتم تشركونهم معى فى العبادة ، و ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أى تعادون وتخاصمون المؤمنين ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ هم الملائكة ، أو الأنبياء ، أو المؤمنون ﴿إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين ، الذين تتوفاهم الملائكة﴾ الموكلون بقبض الأرواح ؛ حال كونهم ﴿ظالمى أنفسهم﴾ بالكفر والعصيان ، وتعريضها للعقاب ﴿فألقوا السلم﴾ استسلموا ؛ على خلاف عادتهم فى الدنيا من العناد والمكابرة ؛ وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ أنكروا السوء يوم القيامة ؛ وقد انغمسوا فيه طوال حياتهم ؛ فتقول لهم الملائكة ﴿بلى﴾ قد كنتم تعملون السوء وتنشرونه ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ فمجازيكم عليه ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ بئس المقام مقامهم ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا﴾ أنزل ﴿خيراً﴾ وصدقا ! وسموا ما أنزله الله تعالى «خيراً» لأنه قد تسبب لهم فى خيرى الدنيا والآخرة ! فبعث فيهم الطمأنينة فى الدنيا ، وهدوء النفس ، وسعادة الروح ! وذلك بما أمدهم به من إخوة إنسانية ، ومن مكارم أخلاق ، ومن تضحية بمصالح الفرد فى سبيل المجتمع ، ومن حب للخير ، وحث على الإحسان والبذل ! كما أن القرآن الكريم قد تسبب أيضاً فى دخول الجنان ، ورضا الرحمن ! وهما الأجر الذى أعده الله تعالى لمن اتبع قرآنه ، وأطاع نبيه ! ﴿للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير﴾ مما يناله الإنسان فى الدنيا ﴿ولنعم دار المتقين﴾ الذين يخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ! ﴿جنات عدن﴾ جنات الإقامة ؛ من عدن فى المكان : إذا أقام فيه ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ بقبض أرواحهم ﴿طيبين﴾ مؤمنين ، طاهرين من الكفر ﴿يقولون﴾ أى يقول الملائكة لهم عند الموت ﴿سلام عليكم﴾ وقد ورد أنهم يقولون للمؤمن قبل قبض روحه : ربك يقرئك السلام ؛ فتنفرج =

فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ

يَنظُرُونَ

(١) النبط ؛ بفتح الباء : جيل من الناس ينزلون بالبطائح بين العراقين «الكوفة والبصرة» .

= أساريره ، ويضيء وجهه بالابتسام ؛ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادخلوا الجنة﴾ أو تقول لهم الملائكة ذلك عند الموت ؛ لأن المؤمن وقتذاك يرى مقعده من الجنة ﴿بما كنتم تعملون . هل ينظرون﴾ أي ماينتظر الكفار ﴿الا أن تأتيهم الملائكة﴾ لقبض أرواحهم بالعنف والشدة ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بالعذاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم، وتعريضها للعقاب ﴿فأصابهم﴾ أي فالذي أصابهم هو ﴿سيئات ماعملوا﴾ أي جزاؤها ﴿وحاق بهم﴾ نزل وأحاط

يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا

﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ عبث يقولونه ، وباطل يزعمونه: فقد أرسل الله تعالى رسله ، وأمرهم بتبليغ دينه الذي ارتضاه لعباده ، وخلق لهم العقل الذي به يفهمون ماينفعهم فيتبعونه ، ويدركون مايضرهم فيجتنبونه «وهديناه النجدين» وبعد ذلك قال تعالى «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» فهل بعد ذلك عذر لمعتذر ؟ وهل بعد هذا قول لقائل «لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء» ﴿ولا حرمنا﴾ البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامى . وقولهم هذا يحمل بين طياته الاستهزاء ، والتحدى ، والسخرية ؛ وإلا فهو إيمان مشوب بعصيان ؛ لأنه اعتراف بالله تعالى وقد عبدوا غيره ، وإقرار بمشيئته وقد أنكروا وجوده ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ مثل فعلهم ، واحتجوا بمثل احتجاجهم ، وتناسوا كسبهم لكفرهم ومعاصيهم ، وأن جميع ذلك قد كان بمحض اختيارهم ؛ بعد أن أنذرتهم رسلهم مغبة أعمالهم ، وحذرتهم غضب ربهم وعقابه ! ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ لإقامة الحجة عليهم ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ الشيطان ؛ أو هو كل رأس في الكفر والضلال ، أو هو كل مايؤدى إلى الطغيان ﴿فمنهم من هدى الله﴾ إلى الإيمان ﴿ومنهم من حقت﴾ وجبت ﴿عليه الضلالة﴾ باصراره على الكفر ، واستكباره عن الإيمان ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ أي نهاية طاقتهم في الأيمان ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ أي لا يحييه ثانية للحساب والجزاء (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب)

عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

لَرَءُوفٌ

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ هو تقريب للأذهان؛ والحقيقة أنه تعالى لو أراد شيئاً لكان؛ بغير حاجة للفظ «كن» ﴿لنبوئنهم﴾ لنسكننهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ أي لنبوئنهم تبوئة حسنة؛ وهي سكنى المدينة المنورة؛ على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام! وأي تبوئة حسنة أفضل من أن ينزل الإنسان بين من يحب، وأن يعيش بين الأطهار الأخيار! ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل؛ عمن أرسلنا من قبل محمد ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ بمن أرسلنا من قبل: من رسل؛ ليسوا بالملائكة، بل رجالا من البشر نوحي إليهم؛ كما أوحينا إلى رسولكم محمد ﴿بالبينات﴾ الحجج الواضحات ﴿والزبر﴾ الكتب ﴿وأنزلنا إليك﴾ يا محمد ﴿الذكر﴾ القرآن؛ كما أنزلنا على من قبلك من الرسل ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ فيه: من الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، وغير ذلك ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ أي مكروا بالسيئات. والمكر: الاحتيال والخديعة؛ وقد يقصد بهم الذين يعلنون بالإيمان؛ وليسوا بمؤمنين، ويتباهون بالطاعة؛ وليسوا بطائعين، ويتظاهرون بالعبادة؛ وليسوا بعابدين! أفأمن هؤلاء ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما خسفها بقارون ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي من حيث لا يتوقعون؛ كما فعل بأصحاب الظلة. وقد أمطرتهم السحابة ناراً؛ عند توقعهم الماء والرخاء! ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في ذهابهم ومجيئهم، وسفرهم للتجارة ﴿فما هم بمعجزين﴾ الله، أو فائتين العذاب الذي يريد إنزاله بهم ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أي حال كونهم خائفين مترقبين متوقعين العذاب

لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۩ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ

﴿فان ربكم لرءوف﴾ بالناس ﴿رحيم﴾ بهم؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة؛ بل ويعفو عن كثير من ذنوبهم، ويملى لهم علهم يرجعوا عن غيهم وبغيهم ﴿أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء﴾ قائم: كجبل وشجرة، ونحوهما؛ مماله ظل متحرك ﴿يتفيأ ظلاله﴾ يرجع من موضع إلى موضع؛ تبعاً لسير الشمس؛ فهو فى أول النهار ـ عند طلوع الشمس ـ على حال، وفى وسطه ـ عند الزوال ـ على حال، وفى آخر النهار ـ عند الغروب ـ على حال أخرى مغايرة ﴿عن اليمين والشمائل﴾ أى عن جانبيهما؛ بالغدو والآصال ﴿سجداً لله﴾ تسجد له صباحا ومساءاً: عند شروق الشمس وعند غروبها. وقيل: ظل كل شيء: سجوده؛ يسجد ظل المؤمن طوعا، ويسجد ظل الكافر كرهاً ﴿وهم داخرون﴾ صاغرون، مطيعون ﴿ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض من دابة﴾ وهى كل مايدب دبيباً ﴿والملائكة﴾ وهم أهل الملإ الأعلى، وأعيان المخلوقات؛ يسجدون أيضاً ﴿وهم لايستكبرون﴾ عن عبادة ربهم؛ كما يستكبر بعض حثالة البشر عن عبادته تعالى ﴿وله الدين واصباً﴾ أى واجباً ثابتاً دائماً ﴿وما بكم من نعمة﴾ أىّ نعمة: صغرت أو كبرت، قلت أو جلت ﴿فمن الله﴾ هو وحده مصدرها وهو وحده ـ جل شأنه ـ مبدعها ومنشئها، والمتفضل بها! أليس هو المتفضل بحسن الخلق وسعة الرزق؟ وصحة الجسم، وبرء السقم!؟ ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ المرض، أوالفقر ﴿فاليه﴾ وحده لا إلى غيره ﴿تجأرون﴾ تتضرعون. والجؤار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ﴿ويجعلون لما لا يعلمون﴾ من الأصنام؛ أى لا يعلمون أنها آلهة ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ من الأنعام والحرث «فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا» ﴿تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لتسألن﴾ يوم القيامة ﴿عما كنتم تفترون﴾ على الله؛ بنسبة الشريك إليه

﴿ويجعلون لله البنات﴾ كانوا يقولون : إن الملائكة بنات الله . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! ﴿سبحانه﴾ تقدس وتنزه (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿ولهم ما يشتهون﴾ أى «يجعلون لله البنات» ويتمنون لأنفسهم الذكران الذين يشتهونهم ؛ ﴿و﴾ ذلك لأنهم ﴿إذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ ولدت له ﴿ظل﴾ صار وبقى ﴿وجهه مسوداً﴾ من الحزن والغم الذى اعتراه ﴿وهو كظيم﴾ مملوء حنقاً وغيظاً ﴿يتوارى من القوم﴾ خجلا ﴿من سوء ما بشر به﴾ مما لا يريده ولا يرغب فيه . ومن عجب أن هذا شأن بعض الجهال والسفهاء فى هذه الأيام ؛ وقد تكون الأنثى خيراً من الذكر عاقبة ؛ وأتقى وأنجب ؛ ومايرسل ربك الإناث إلا بقدر ، ولا يرسل الذكران إلا بسبب «ذلك تقدير العزيز العليم» الذى «كل شىء عنده بمقدار» ﴿أيمسكه على هون﴾ أى أيمسك ذلك المولود الأنثى على ذل وهوان ﴿أم يدسه فى التراب﴾ وهو الوأد . وقد كانوا يدفنونهن أحياء ؛ خشية ما يتوهمونه من عار وفقر غير محققين (انظر آية ٨ من سورة التكوير) ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ أى ساء هذا الحكم الذى يحكمونه ، على شىء لا يعلمونه ! وهم بفعلهم هذا لا يؤمنون بالآخرة ؛ ولو آمنوا بها : ما فعلوا فعلتهم هذه ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أى صفة السوء: وهو الجهل ، والكفر ! (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) ﴿ولله المثل الأعلى﴾ الصفة العليا ، والمثل الكاملة ؛ التى لا يتصف بها المخلوقون : فاتصافه تعالى بالعلم والكرم ؛ ليس كاتصاف سائر البشر بهما ؛ إذ أن علم البشر وكرمهم محدودان . وعلمه تعالى وكرمه لا يحد . واتصافه جل شأنه بالكبرياء والجبروت ؛ ليس ككبرياء البشر وجبروتهم ؛ إذ أن تكبرهم وتجبرهم مذموم مؤاخذ عليه ، وكبرياؤه تعالى وجبروته : لازمة من لوازم ربوبيته ووحدانيته ، فاذا ما استطاع إنسان أن يفهم الكمال الإلهى حق الفهم : إزداد بالله معرفة ، ومنه قربا ! والتعرف إليه تعالى يحتاج إلى استعداد مخصوص : فكلما ازداد تمسك العارف بالله بأهداب الفضائل الإنسانية ؛ التى أمر بها الشرع ، وحث عليها الدين : نما حبه لله ، وأحبه الله !

لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً

وإنه مما لا شك فيه أن الإنسان الكريم : أحسن فهما ، وأصدق عبادة ، وأرق قلباً من البخيل . وكذلك الإنسان الرحيم : أشد خوفاً لله من القاسى . والصبور : أكثر إيماناً من الأحمق النافد الصبر . والعالم : أشد معرفة من الجاهل .

وهكذا كلما ازداد الإنسان تعلقاً بالفضائل والمثل العليا : كان أكثر محبة لله ، وأكبر معرفة به ، =

= وأشد قربا منه ! وأمكنه بواسطة هـذه الطاقات والإمكانيات أن يتذوق الحب الإلهى ! ويستشعر ما أعده الله تعالى له من نعيم مقيم ؛ فيظل طوال حياته سعيداً بإيمانه ، سعيداً بقربه ، سعيداً بحبه ! لأنه علم علم اليقين : أن «لله المثل الأعلى» وأنه جل شأنه : الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القادر المقتدر ، الجبار المتكبر ، الخالق الرازق ، المعطى المانع ، الخافض الرافع ؛ الذى لا إله إلا هو ﴿وهو العزيز﴾ فى ملكه ، الغالب الذى لايغلب ﴿الحكيم﴾ فى خلقه ؛ المدبر لأمورهم ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ بكفرهم ، وفسقهم ،

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

وعدوانهم ﴿ماترك عليها من دابة﴾ وهى كل مايدب على الأرض : من إنسان ، وحيوان ، وغيرهما ﴿ولـكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ وهو انتهاء آجالهم ﴿فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة﴾ المراد بالساعة هنا : أى زمن ؛ طال أو قصر ﴿ولا يستقدمون﴾ ساعة ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وتصف ألسنتهم الـكذب﴾ تقوله وتشيعه ؛ يزعمون ﴿أن لهم الحسنى﴾ الجنة . ومن ذلك قولهم «ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى» ﴿لا جرم﴾ لابد ولا محالة ﴿أن لهم النار﴾ لا الجنة كما يزعمون ﴿وأنهم مفرطون﴾ مهملون يوم القيامة ؛ لايعبأ بهم ، متروكون من رحمة الله تعالى ومغفرته ! قال تعالى «اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا» ﴿تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لقد أرسلنا﴾ رسـلنا ﴿إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ كفرهم ؛ فلم يؤمنوا برسلهم ، كما لم يؤمن قومك بك ﴿فهو وليهم اليوم﴾ أى متولى أمورهم فى الدنيا : يسوق لهم فيها ما يشتهونه . أو المراد باليوم : يوم القيامة ؛ أى هو متولى أمورهم فيه ؛ ولما كان الشيطان عاجزاً عن إنجاء نفسه فيه ؛ فهو عن إنجاء غيره أعجز ﴿فأحيا به الأرض﴾ بالإنبات ﴿بعد موتها﴾ بالجدب ﴿وإن لـكم فى الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لعبرة﴾ لعظة واعتبار ﴿نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث﴾ وهو مايحتويه الـكرش ﴿ودم﴾ وهو ما يجرى فى العروق ﴿لبناً خالصاً﴾ من الشوائب ؛ لم يختلط بالفرث ، ولم يؤثر فيه الدم ﴿سائغاً للشاربين﴾ سهل المرور فى حلوقهم ؛ لا يغص به شاربه أبداً ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ (انظر آية ١٦٦ من سورة البقرة) ﴿تتخذون منه سكراً﴾ خمراً ؛ نزلت قبل تحريمها . وقيل : السكر : الخل . ﴿ورزقا حسناً﴾ كالبلح المجفف ، والزبيب ، وما شا كلهما . والمعنى : لقد أنعم الله تعالى عليكم بثمرات النخيل والأعناب ؛ فاتخذتم منه ماحرم الله عليكم ـ اعتداء منكم ـ وطعمتم منه حلالا طيباً ؛ فـكيف تقلبون أنعم الله تعالى عليكم نقما ، وتستبدلون شكره كفراً ؟! ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ وحى إلهام ؛ أى ألهمه ﴿ومما يعرشون﴾ =

= أى ومما تبنيه الناس من الخلايا؛ لأن العرش: يطلق على عش الطائر ﴿فاسلكى سبل﴾ طرق ﴿ربك﴾ التى رسمها لك، وألهمك باتباعها ﴿ذللا﴾ سهلة مذللة ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ هو العسل ﴿مختلف ألوانه﴾ اختلافاً كثيراً؛ يرجع إلى عوامل عدة؛ منها: نوع النحل، وما يطعمه من رحيق الأزهار والفاكهة، وزمن الإنتاج، وغير ذلك ﴿فيه شفاء للناس﴾ فقد ثبت بالتجربة أنه دواء نافع، وعلاج ناجع لكثير من الأدواء الفتاكة؛ ويفسده شرب الماء عقبه. وقد أثبت الطب الحديث: أن العسل يحوى مقداراً كبيراً من الجلوكوز. والجلوكوز هذا قد أصبح سلاحا للطبيب فى كثير من الحالات؛ والعسل: شفاء فعال للضعف العام، والتسمم، وأمراض الكبد، والاضطرابات المعوية، والالتهاب الرئوى، والذبحة الصدرية، وسائر أنواع الحميات، واحتقان المخ، وضعف القلب، والحصبة؛ وغير ذلك من الأمراض المستعصية؛ فسبحان من أودع فيه كل هذه الخواص، ونبهنا للانتفاع بها (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أردئه؛ وهو الكبر، المؤدى إلى الهرم والخرف ﴿لكى لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ أى لينسى ما علمه، أو لعدم استطاعته الفهم: لتهوله. قال عكرمة: من قرأ القرآن: لم يصر بهذه الحالة ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق﴾ فجعل منكم الأغنياء والفقراء، والسادة والعبيد ﴿فما الذين فضلوا﴾ وهم السادة ﴿برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ أى ليسوا برازقى عبيدهم ومواليهم ﴿فهم فيه سواء﴾ أى فالسادة ومواليهم فى الرزق سواء؛ لأن الله تعالى هو الرزاق للجميع: يرزق السيد برزق عبيده! وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطعم خادمه مما يطعم، ويلبسه مما يلبس، ويقول: «فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء» ﴿أفبنعمة الله﴾ وفضله عليهم ﴿يجحدون﴾ ينكرونها، فيتوهمون أنهم رازقوا عبيدهم ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ الحفدة: أبناء الأبناء. وقيل: هم الأصهار، وقيل: هم بنو الزوجة: من رجل آخر ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أى بالأصنام، وبأنها تشفع لهم ﴿وبنعمة الله﴾ الإسلام ﴿هم يكفرون﴾ أو بأنعمه المتوالية عليهم فى كل وقت وحين ﴿ضرب الله مثلا﴾ له وللأصنام، أو للمؤمن والكافر ﴿عبداً مملوكا﴾ حقيراً ﴿لا يقدر على شىء﴾ لا يملك شيئاً، ولا يستطيع التصرف فى شىء ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ حلالا طيباً ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ أو هو مثل للبخيل ـ عبد المال وأسيره ومملوكه ـ والكريم المنفق ﴿وضرب الله مثلا﴾ آخر؛ للمؤمن والكافر، أوله تعالى وللأصنام ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ أخرس: لاينطق =

عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وهو

= ﴿لا يقدر على شيء﴾ فلا ينطق بكلمة التوحيد ، أو لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ﴿وهو كل﴾ عالة ﴿على مولاه﴾ على سيده ﴿أينما يوجهه﴾ سيده لقضاء مصلحة ، أو لدفع ضرر عن نفسه ﴿لا يأت بخير﴾ يعود عليه ﴿هل يستوى﴾ هذا الأبكم العاجز العالة ﴿هو ومن﴾ يرى ويسمع وينطق ، و ﴿يأمر﴾ الناس ﴿بالعدل﴾ وينهاهم عن المنكر ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ طريق سوى ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾

وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا

كطرفة العين ﴿أو هو أقرب﴾ من ذلك ؛ لأن أمر الساعة يكون بلفظ «كن» ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ فعلمكم كل ما تحتاجون إليه «علم الإنسان مالم يعلم» ﴿وجعل لكم السمع﴾ الذى تسمعون به؛ ولا تعلمون كنهه ﴿والأبصار﴾ التى تبصرون بها ؛ ولاتدرون ماهيتها ﴿والأفئدة﴾ القلوب التى تفقهون بها ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله تعالى على أنعمه التى لاتعد ، ولا تحد ﴿ما يمسكهن﴾ فى الهواء أن يقعن على الأرض ﴿إلا الله﴾ فهو تعالى مسخر الهواء الذى يسبح فيه الطير ، وهو الذى ألهمه وعلمه كيف يقبض أجنحته ويبسطها ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ موضع سكون وراحة ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ هى الخيام والقباب والمظلات ﴿تستخفونها﴾ تحملونها بسهولة لخفتها ﴿يوم ظعنكم﴾ سفركم ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً﴾ هو متاع البيت ﴿ومتاعا﴾ كل ما يتمتع به ؛ كالبسط ، والأكسية ، وشبههما ﴿إلى حين﴾ تبلى ، أو إلى حين تموتون ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا﴾ من البيوت والشجر ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ الكن : ما يستر؛ من كهف وغار ونحوهما ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ ثياباً؛ واحدها سربال : كسراويل وسروال ﴿تقيكم الحر﴾ نبه تعالى إلى أن اللباس ؛ كما أنه يمنع أذى البرد : فانه يمنع أذى الحر أيضاً ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ وهى الدروع والزرد من الحديد ؛ ترد عنكم سلاح عدوكم ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان

عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ

بِٱلْعَدْلِ

﴿فإنما عليك البلاغ﴾ إبلاغ ما أنزلته عليك إليهم ﴿المبين﴾ الواضح؛ المذهب لكل شك، الدافع لكل ريب! ﴿يعرفون نعمة الله﴾ محمداً عليه الصلاة والسلام؛ لأنه وارد فى كتبهم، بشرت به أنبياؤهم ﴿ثم ينكرونها﴾ بتكذيبه، وعدم الإيمان به. أو «يعرفون نعمة الله» التى عددها وبينها فى هذه السورة وغيرها من السور «ثم ينكرونها» بترك الشكر عليها، أو يعرفونها فى الشدة، وينكرونها فى الرخاء، أو يعرفونها بقلوبهم، ويجحدونها بألسنتهم؛ ونظيره قوله تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً﴾ يوم القيامة: وهو نبيها؛ يشهد لها أو عليها ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ فى الكلام أو الاعتذار ﴿ولاهم يستعتبون﴾ أى ولايعاتبون؛ لأن العتاب لا يكون إلا بين الأحباء؛ وهو نعمة حرم الله تعالى على الكافرين نيلها! ﴿ولا هم ينظرون﴾ لايمهلون ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ الذين كانوا يعبدونهم: من الشياطين والأصنام وغيرها ﴿فألقوا إليهم القول﴾ أى قال المعبودون للعابدين ﴿إنكم لكاذبون﴾ ينطقهم الله تعالى «الذى أنطق كل شىء» زيادة فى خزى المشركين وفضيحتهم وهوانهم ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ أى استسلموا لحكمه: العابد والمعبود ﴿وضل عنهم﴾ غاب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الأرباب التى كانوا لها عابدين ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ منعوا الناس عن دينه ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم﴾ هو نبيهم ﴿وجئنا بك﴾ يامحمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ على قومك، أو على جميع المخلوقات ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء﴾ بياناً لكل مايحتاجون إليه فى معاشهم ومعادهم. ونظيره قوله تعالى «مافرطنا فى الكتاب من شىء»

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) والعدل: يتناول القول، والفعل، والإشارة؛ بل يتناول كل المعاملات في شتى صورها. والعدل: جماع الفضائل كلها؛ فمن جعل العدل ديدنه: أحاطه الحب من كل جانب، وصار في عداد الأبرار، الأخيار، الأطهار! قال تعالى «اعدلوا هو أقرب للتقوى».

ولما كان العدل قرين الإحسان، والإحسان: هو صلب العدل وأساسه؛ أمر الله تعالى به أيضاً فقال «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» والإحسان: يشمل كل خير يصل إلى الإنسان والحيوان، وهو أيضاً يشمل الأقوال والأفعال.

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ

ولما كان العدل والإحسان لا يتمان إلا بصلة ذي القربى قال تعالى (وإيتاء ذي القربى) وهو صلة الرحم، أو هو كل قريب منك: في النسب، أو الجوار؛ ووصلهم: بأن يبر فقيرهم، ويزور غنيهم، ويعود مريضهم، ويشيع موتاهم، متحبباً إليهم لذاتهم وقربهم؛ لا لمالهم وجاههم!

لما أمر الله تعالى بالعدل والإحسان وبر الأقرباء؛ نهى عن أضداد هذه الصفات؛ فقال جل شأنه (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) والفحشاء: كل قبيح من قول أو فعل، أو هو الزنا «والمنكر» كل ما ينكره الشرع والعرف والذوق السليم؛ وهو شامل لجميع المعاصي، والرذائل، والدناءات؛ «والبغي» الظلم، والكبر، والاعتداء؛ وهو إجمالا تجاوز الحد (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الناس؛ سمى الله تعالى العهود، والعقود، والمواثيق: عهوداً معه جل شأنه. (انظر آيتي ١ من سورة المائدة، و٧٢ من سورة الأنفال) (ولا تنقضوا الأيمان) أي لا تحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها (بعد توكيدها) بعد إبرامها مع الغير، وبعد أن ترتبت لذلك الغير حقوق والتزامات في أعناقكم (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شاهداً ورقيباً، أو متكفلا بالوفاء؛ حيث حلفتم به (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي كالمرأة التي أفسدت غزلها من بعد أن تعبت فيه وأحكمته (أنكاثاً) أنقاضاً. وهو ما ينكث فتله: أي يحل نسجه (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) أي خديعة وفساداً، وتغريراً بالمحلوف له؛ ليطمئن إليكم؛ وأنتم مضمرون له الغدر وترك الوفاء. والدخل: ما يدخل في الشيء فيفسده؛ لأنه ليس منه (أن تكون أمة هي أربى) أنمى وأكثر وأقوى (من أمة) فتنقضون العهود، وتحنثون في الأيمان: مرضاة للأمة الأقوى (إنما يبلوكم الله به) يختبركم بالوفاء بالعهد والأيمان (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) بطريق القسر والجبر (ولكن يضل) الله تعالى (من يشاء) إضلاله؛ بعد أن يعرض=

= عليه الإيمان فيأباه ، ويسلكه فى قلبه فيرفضه ، ويسوق له الدليل تلو الدليل على ألوهيته ووحدانيته ؛ فيزداد تمسكا بما كان عليه آباؤه وأجداده ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم﴾ كرره تعالى للتأكيد . أى لا تجعلوها للغش والخداع ﴿فتزل قدم﴾ أى تزل أقدام الحالفين عن محجة الصواب . وعن طريق الإسلام ، الذى رسمه الله تعالى للأنام ﴿بعد ثبوتها﴾ استقامتها وهدايتها ﴿وتذوقوا السوء﴾ هو فى الدنيا ما يلقاه الكاذب من ازدراء الناس له ، وكراهتهم لقياه ومعاملته ، وانصرافهم عن صحبته ﴿بما صددتم عن سبيل الله﴾ أى بصدكم عن الوفاء بالعهد والعقد ، أو بصدكم الناس عن الوفاء لاقتدائهم بكم ، واتباعهم سنتكم ﴿ولكم﴾ فى الآخرة ﴿عذاب عظيم﴾ شديد أليم ﴿ولا تشتروا﴾ لاتستبدلوا ﴿بعهد الله﴾ أوامره ونواهيه ، أو ما عاقدتم الناس عليه ﴿ثمناً قليلا﴾ بأن تنقضوه من أجل قليل المال ؛ الذى تأكلونه سحتاً وحراماً ! وهو قليل - وإن كثر - لانعدام بركته ، وكثرة إثمه ﴿إن ما عند الله﴾ من الثواب والأجر ﴿هو خير لكم﴾ من الدنيا ومافيها ﴿ما عندكم﴾ من مال - حلال أو حرام - كثير أو قليل ﴿ينفد﴾ يفنى ؛ لأن مآله إلى الزوال ؛ ولو من أيديكم لأيدى غيركم ﴿وما عند الله باق﴾ دائم ، لا يزول ولا ينقطع ﴿ولنجزين الذين صبروا﴾ على الطاعات ، وعن المعاصى ، وعلى الوفاء بالعهود والعقود ، وصبروا على ما أصابهم من المحن . لنجزينهم ﴿أجرهم﴾ ثوابهم على ذلك فى الدنيا بالحب والود والذكر الحسن ، وفى الآخرة بالنعيم المقيم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أى إن جزاءهم سيكون خيراً من عملهم وأحسن منه ؛ ولابدع فهوجزاء الملك الكريم الرحيم ! ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ فى الدنيا . والمراد بطيب الحياة: هدوء البال ، وانشراح الصدر ! (انظر آية ١٢٤ من سورة طه) ﴿ولنجزينهم﴾ فى الآخرة ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أى جزاء خيراً مما عملوا ! ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أى أردت قراءته ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وهودليل على وجوب الاستعاذة قبل القراءة ؛ وذهب الأكثرون إلى أنها غير واجبة ، بل مندوبة . ودليل الوجوب أقوى : فقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : أن جبريل عليه الصلاة والسلام أقرأها له «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعيذ قبل القراءة فى الصلاة ؛ وعلى ذلك كثير من الصحابة والتابعين ﴿إنه ليس له سلطان﴾ قدرة وتسلط ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ فى سائر أمورهم ﴿إنما سلطانه﴾ تسلطه وإغواؤه ﴿على الذين يتولونه﴾ يطيعونه فيما يوسوس إليهم به ؛ مما يخالف ماجاء به الرسل . يقال : توليته ؛ إذا أطعته ، وتوليت عنه ؛ =

اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَٰذَا

= إذا أعرضت ﴿والذين هم به مشركون﴾ أى بربهم ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ أى شريعة مكان أخرى ؛ أو حكماً مكان آخر ، أو نسخنا آية ، وأنزلنا غيرها مكانها ؛ لمصلحة العباد ﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾ مختلق ؛ بدليل إتيانك بشريعة أو حكم ؛ غير ما عرفنا من الشرائع والأحكام ، أو آية غير ما جئت به من الآيات ﴿قل نزله﴾ أى نزل هذا القرآن الذى تنكرونه ، وتنسبون إلىّ افتراءه ﴿روح القدس﴾ جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ بما فيه من الحجج الظاهرات ، والآيات البينات ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه﴾ أى إنما يعلم محمداً القرآن ﴿بشر﴾ زعموا ـ لعنهم الله تعالى ـ أن غلام الفاكه بن المغيرة ـ وكان نصرانياً وأسلم ـ كان يعلم محمداً ما يقوله للناس زاعماً أنه قرآن منزل من عند الله ! فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿لسان الذى يلحدون إليه﴾ أى يميلون بالقول إليه ويقصدونه بزعمهم ﴿أعجمى﴾ لا يكاد يبين ﴿وهـذا﴾ القرآن ﴿لسان عربى مبين﴾ واضح فصيح ؛ فكيف يعلمه أعجمى؟ ! ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ حججه وبراهينه ، أو المراد : قرآنه ﴿لا يهديهم الله﴾ سبيل الرشاد فى الدنيا ؛ بل يضلهم ولا يوفقهم لإصابة الحق عقوبة لهم (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿إنما يفترى الكذب﴾ أى ليس محمد بمفتر ولا كاذب ؛ وإنما المفترون هم ﴿الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ ويقولون «إنما يعلمه بشر» ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ بمقالتهم هذه ، وافترائهم هذا ! ﴿إلا من أكره﴾ على الكفر : بالسيف والبغى ؛ فله أن يتظاهر به : اتقاء الموت والعذاب ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ لا يعتريه أدنى شك أو ارتياب ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ وطابت به نفسه ، واتسع له صدره ﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ بالغ الإيلام ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بأنهم استحبوا الحياة الدنيا﴾ اختاروها

وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ

وفضلوها ﴿على الآخرة﴾ وما فيها من نعيم مقيم ! ﴿أولئك الذين طبع الله﴾ غطى وختم ﴿على قلوبهم﴾ فلا يفهمون الحق ﴿وسمعهم﴾ فلا يسمعون النصح ﴿وأبصارهم﴾ فلا يبصرون الهدى ﴿لا جرم﴾ لا بد ولا محالة ﴿أنهم فى الآخرة هم الخاسرون﴾ لأنهم لم يعملوا لها ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا﴾ مع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ﴿من بعد ما فتنوا﴾ أوذوا وعذبوا ﴿ثم جاهدوا﴾ المشركين ﴿وصبروا﴾ على الطاعة ، وعن المعصية ﴿إن ربك من بعدها﴾ أى بعد هذه الأعمال الصالحات ، أو بعد الفتنة ﴿لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم ﴿يوم تأتى كل نفس﴾ يوم القيامة

(تجادل) تحاج (عن نفسها) لايهمها غيرها ؛ يوم «لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً» (وتوفى كل نفس ما عملت) أى تعطى جزاء أعمالها (وضرب الله مثلا قرية) هى مكة المكرمة؛ والمراد أهلها (كانت آمنة مطمئنة) من أن يغير عليها أحد ، أو يعلن العداء لأهلها (يأتيها رزقها رغداً) واسعاً . قال تعالى «يجبى إليه ثمرات كل

يُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

وَعَلَى

شىء» (فكفرت بأنعم الله) أى لم تشكره على ما آتاها من خير ، وماوهبها الله من رزق (انظر آية ٧من سورة ابراهيم) (فأذاقها الله) أى أذاق أهلها (لباس الجوع) دعا عليهم الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فابتلاهم الله تعالى بالقحط سبع سنين ؛ حتى أكلوا العظام والجيف (و) أذاقها الله تعالى أيضاً لباس (الخوف) فكانت سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تطيف بهم ليلا ونهاراً . ووصف الله تعالى الجوع والخوف باللباس :لأنهما خالطا أجسامهم مخالطة اللباس (بما كانوا يصنعون) أى بسبب ما صنعوا من المعاصى . وقيل : هـذا المثل مضروب لكل قرية هذه صفتها ، وتلك حالها ! وذهب بعضهم إلى أن المراد بالقرية : المدينة المنورة ؛ وليس بشىء (ولقد جاءهم رسول منهم) هو خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام (إنما حرم) الله (عليكم الميتة والدم) المسفوح (وما أهل لغير الله به) أى ماذبح على النصب ، وما ذكر اسم غير الله تعالى عليه (فمن اضطر) إلى تناول شىء من هـذه المحرمات ؛ خشية هلاك محقق (غيرباغ) على المسلمين (ولا عاد) معتد عليهم . أو «غير باغ» فى أكلها ؛ بأن يأكلها مستطيباً لها ، متلذذاً تناولها « ولا عاد » باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ؛ بل يتناول منها ما يسد رمقه ، ويمنع تلفه (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أى لما تصف من الكذب (هذا حلال) وهو ليس بحلال (وهذا حرام) لما ليس بحرام (متاع قليل) فى الدنيا لهؤلاء الكاذبين المفترين (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم .

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن

﴿وعلى الذين هادوا﴾ اليهود ﴿حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ فى قوله تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر» (انظر آية ١٤٦ من سورة الأنعام) ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ بجهل ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ السوء الذى عملوه بجهلهم ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم ؛ فلم يقعوا فيما وقعوا فيه من قبل ﴿إن ربك من بعدها﴾ أى من بعد توبتهم ﴿لغفور﴾ لذنوبهم ﴿رحيم﴾ بهم ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ إماماً ؛ والأمة: الرجل الجامع للخير والفضائل ﴿قانتاً﴾ مطيعاً عابداً ﴿حنيفاً﴾ مائلاإلى الإسلام ﴿شاكراً لأنعمه﴾ أى مقدراً لأنعم الله تعالى عليه . وأولى هذه الأنعم : الإسلام ﴿اجتباه﴾ اختاره مولاه واصطفاه ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ طريق قويم ؛ وهو الإسلام ﴿وآتيناه فى الدنيا حسنة﴾ النبوة ، والثناء الحسن ، والذرية المباركة ــ وناهيك بمن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نسله ــ وآتاه الله تعالى أيضاً تخليد اسمه والصلاة عليه فى كل صلاة ؛ مقروناً اسمه باسم سيد الخلق عليهما الصلاة والسلام ﴿ثم أوحينا إليك﴾ يامحمد ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ وذلك لأنها أصل الملة الحنيفية ﴿إنما جعل السبت﴾ أى فرض تعظيم يوم السبت ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ روى أن موسى عليه السلام طلب من بنى إسرائيل أن يفردوا يوماً للعبادة ، وأن يكون ذلك اليوم يوم الجمعة ؛ فأبى أكثرهم إلا يوم السبت ، وارتضى الأقلون بيوم الجمعة ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ دينه ﴿بالحكمة﴾ القرآن ﴿والموعظة الحسنة﴾ القول الرفيق الرقيق ، الذى ينفذ فى القلوب ، ويحبب إلى النفوس ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ أى بالرفق واللين ؛ وإذا كان الكفار يجادلون بالرفق واللين ؛ فما بالك بالمؤمنين الموحدين ؟!

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ليس معنى ذلك أن من قتل ابنى جاز لى أن أقتل ابنه ، ومن قتل

ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

(١٧) سورة الإسراء مكية

إلا الآيات ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧ ومن آية ٧٣ الى غاية آية ٨٠ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا

أبى جاز لى أن أقتل أباه ، ومن سمم إبلى جاز لى أن أسمم إبله ؛ بل المراد: معاقبة الآثم نفسه بمثل إثمه ؛ فان قتل : قتل . وإن ألحق بالغير غرماً : غرم بغرم مماثل لما ألحقه بالآخرين ﴿ولئن صبرتم﴾ عن الإنتقام والمعاقبة ﴿لهو خير للصابرين﴾ فى الدنيا بترك الحزازات ، ومنع الثأر والبغضاء الكامنة فى النفوس ؛ وفى الآخرة بما أعده الله تعالى للصابرين من جزيل الأجر ، وواسع المغفرة ! ﴿واصبر﴾ يا محمد على أذى قومك ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ بمعونته وتوفيقه .

﴿سورة الإسراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبحان﴾ تنزيه له تعالى من كل نقص ؛ ولا يجوز أن ينزه به غيره من المخلوقين ؛ وهى كلمة تدل على نهاية التنزية ، وغاية التقديس؛ وهى من السبح : بمعنى الذهاب والإبعاد . أى أنزه الله تعالى عن النقائص ، وأبعده عن صفات المخلوقين، وأجله عما وصفه به الكافرون، وافتراه عليه المكذبون الضالون ! ﴿الذى أسرى﴾ الإسراء : السير ليلا ﴿بعبده﴾ قال تعالى «بعبده» ولم يقل بنبيه ، أو برسوله ؛ لأن صفة العبودية : هى غاية الغايات ، وأشرف النعوت والصفات ؛ يبتغيها العارفون ، ويتمناها المخلصون ! ﴿الى المسجد الأقصى﴾ بيت المقدس؛ وقد كان التوجه إليه فى الصلاة قبل تحويل القبلة ﴿الذى باركنا حوله﴾ يريد بركات الدين والدنيا ؛ لأنه كان مهبط الوحى ، ومتعبد الأنبياء عليهم السلام ﴿إنه﴾ أى النبى صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿هو السميع﴾ لأوامرى ، المبلغ لها ، العامل بها ﴿البصير﴾ المتبصر فى ملكوتى ، المعتبر بآياتى ، المتدبر فى عظمتى وجبروتى ! أو الضمير عائد لله تعالى ؛ فهو جل شأنه سميع لكل المسموعات ، بصير بكل المبصرات ! ويأخذ بالرأى الأول المتصوفة ؛ أما أرباب الكلام فلا يرون إلا القول الثانى

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ إليهم وحياً مقضيناً أوحياً ﴿في الـكتاب﴾ التوراة ﴿لتفسدن فى الأرض﴾ بالمعاصى ﴿مرتين﴾ أولاهما : قتل زكرياء . وحبس أرمياء عليهما السلام ، والأخرى : قتل يحيي ، وقصد قتل عيسى عليهما السلام ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾ تبغون بغياً عظيما ؛ وأى بغى أشد من قتل خيرة خلق الله تعالى ، والداعين إلى دينه الحق ؟! ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ أولى مرتى الفساد ؛ المشار إليهما بقوله تعالى «لتفسدن فى الأرض مرتين» ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ هم أهل بابل[1] ؛ وكان عليهم بختنصر[2] . وقيل : جالوت

وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ
وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ

﴿أولى بأس شديد﴾ ذوى قوة وبطش . قيل : فى المرة الأولى جاءت جند من فارس متنكرون ؛ يتجسسون أخبارهم ، ويعلمون مواطن ضعفهم ؛ لذا قال تعالى ﴿فجاسوا﴾ أى تجسسوا ، والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء ، والتردد خلال الدور والبيوت فى الغارة ﴿ثم رددنا لكم الـكرة عليهم﴾ أعدنا لكم القوة والغلبة ؛ حين تبتم وأنبتم . قيل : كان ذلك بقتل داود جالوت ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عشيرة وعدداً ﴿إن أحسنتم﴾ أعمالكم ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ لأن ثواب احسانكم عائد إليها ﴿وإن أسأتم فلها﴾ أى فلأنفسكم عقوبة إساءتكم ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد المرة الآخرة فى الفساد الذى تقومون به فى الأرض ؛ وكان ذلك بقتل يحيي بن زكرياء عليهما السلام ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ أى بعثناهم «ليسوءوا وجوهكم» وإساءة الوجه : ظهور الحزن والأسى عليه . والمراد : ليحزنوكم بالقتل والأسر والسبي . وقد يراد بـ«وجوهكم» : أشرافكم وساداتكم ؛ وهو أبلغ فى الهوان والإذلال ﴿وليدخلوا المسجد﴾ بيت المقدس : دخلوه فاتحين مخربوه ﴿كما دخلوه﴾ وخربوه ﴿أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ أى يهلكوا كل شيء استولوا عليه ﴿وإن عدتم﴾ إلى الـكفران والعصيان ﴿عدنا﴾ إلى العقوبة والإذلال ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ من التضييق والحصر . أى محبساً وسجناً ، أو فراشاً يتقلبون عليه ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم﴾ أى للطريقة التى هى أصوب وأعدل

---

(١) بابل : موضع بالعراق ؛ إليه ينسب السحر والسحرة .

(٢) بختنصر : ملك البابليين «عام ٦٠٧ قبل الميلاد» نزع بلاد الموصل ، وهاجم الإسرائيليين ، وأخذ منهم أقاليم سوريا ، وأخذ من فلسطين الجزية ، وبعد ذلك أسر من اليهود خلقاً كثيراً منهم جماعة من رؤسائهم وأحبارهم ، ونهب بيت المقدس .



﴿أعتدنا﴾ أعددنا وهيأنا ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير﴾ أى يطلب النفع العاجل وإن قل ؛ بالضرر الآجل وإن جل ! أو يدعو على نفسه وأهله إذا حل به ضجر ؛ كما يدعو بالخير ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ دالتين على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿فمحونا آية الليل﴾ طمسنا نورها بالظلام ؛ وفى هذا الطمس آية دالة على وجوده تعالى ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أى يبصر بها وفيها ﴿لتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿فضلا من ربكم﴾ رزقا بالسعى فيه والعمل والاتجار ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ لأنه لو لم يكن ليل ونهار : لما عرفت الأيام ، وأحصيت الأعوام ﴿وكل شىء﴾ تحتاجون إليه فى معايشكم ﴿فصلناه تفصيلا﴾ بيناه تبييناً ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ طائر الانسان : عمله الذى عمله فى دنياه من خير أو شر ؛ أى ان جزاء عمله ملازم له ملازمة القلادة للعنق ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا﴾ قد كتب فيه سائر ما عمل فى دنياه «أحصاه الله ونسوه» ﴿يلقاه منشورا﴾ مبسوطا مقروءاً مذاعا ؛ يقال : نشر الخبر : إذا أذاعه ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه﴾ لأن ثواب هدايته عائد إليها ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ لأن إثم ضلاله واقع عليها ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لا تحمل نفس إثم نفس أخرى ﴿وما كنا معذبين﴾ أحداً من الناس ﴿حتى نبعث﴾ إليهم ﴿رسولا﴾ يبين لهم مايجب عليهم ، وأن يكون الرسول بلسان المرسل إليهم ؛ ليستطيع أن يبين لهم «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم» وعلى هذا فواجب الأمة الإسلامية تبليغ القرآن الكريم لسائر الأمم ، وترجمته لمن لا يتكلمون بالعربية . ولهذا البحث مزيد بيان فانظره إن شئت فى كتابنا « الفرقان » ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أى أهل قرية ؛ بسبب انصرافهم عن الطاعات ، وانغماسهم فى الشهوات ﴿أمرنا مترفيها﴾ من الأمر ؛ الذى هو ضد النهى .

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ
عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ
اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ
كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ

عِبَادِهِ

أى أمرنا أغنياءها وكبراءها بالطاعة ؛ فلم يمتثلوا لأمرنا ، ولم يستجيبوا لأرادتنا ﴿ففسقوا فيها﴾ فخرجوا عن أمرنا ، وعصوا رسلنا ، وكذبوا بآياتنا ! أو المراد بالفسق: الزنا . وقرىء «أمرنا» من التأمير . أى جعلنا مترفيها أمراء فيها ﴿فحق عليها القول﴾ وجب العذاب على أهل القرية جميعهم . وجب على من عصى وفسق : لعصيانه وفسقه ، ووجب على الباقين : لعدم منعهم العاصى عن عصيانه ، وعدم ضربهم على أيدى الفسقة ! قال تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : من أولى واجبات المؤمنين ! ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أى دمرنا القرية التى فشا فيها الفساد والسفاد ، وعم فيها العصيان والطغيان ! وتدميرها يكون بتدمير أهلها ؛ وذلك بأن يسلط الله تعالى عايهم الأدواء والآفات ، =

= ويفشي فيهم الأمراض والعاهات ! ولا يخفى أن الزنا مصدر من مصادر الأمراض الفتاكة المتلفة ، وقد اقتضت حكمة الحكيم العليم بأن تكون عاقبة الزنا : فقراً مدقعاً ، وهلاكا محققاً : فهو السبب الأوحد لمرض الزهري ؛ الذي يصيب الأجسام ، وينخر في العظام ، ويجعل القوى هزيلا ، والعزيز ذليلا ! ولا يقتصر هذا المرض اللعين على الفاسق فحسب ؛ بل يصاحب بنيه وذراريه ، وخلطائه وجلسائه ، وخلطاء خلطائه ، وجلساء جلسائه ؛ إلى مالا نهاية له ؛ فتنحط بذلك قوى الأمة ، ويضعف إنتاجها ونتاجها ؛ حتى يعصف بزهرة

عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ

الشباب ؛ فيشوه خلقهم ، كما شوه خلقهم : فتهلك القرية بسبب انحلال قوى بينها وضعفهم واستكانتهم ؛ وعدم استطاعتهم مجاراة الحياة في تجارة ، أو صناعة ، أو زراعة فيحل بواديهم الدمار والبوار ؛ وهذا - ولا شك - إحدى العقوبات التي ينزلها الله تعالى في الدنيا بمن غضب عليه ! أعاذنا الله تعالى من غضبه وعقابه ؛ بمنه وفضله !

هذا ولا يجوز بحال فهم الآية بظاهر سياقها : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » فحاش لله أن يريد الهلاك لأناس قبل ارتكابهم الإثم ، واستحقاقهم الهلاك ! وكيف يستطيع عبد أن يمتنع عن إرادة مولاه ، وإرادته مشيئة كائنة ؟ ! « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وحاش أن يأمر تعالى بالفسق وهو الناهي عنه ، المتوعد عليه ! وإلا لو قلنا : إنه تعالى أراد الفسق ، وأمر الفاسق به ؛ فلماذا يتوعده ؟ وعلام يعاقبه ويؤاخذه ؟ ! وهل من العدل - يا ذوي العقول - أن يأمر عبيده بالعصيان ، ويهلكهم على تنفيذ أمره ؟ ! فتعالى الله عن إرادة الفسق ، أو الأمر به ، وجل عن الظلم ؛ وهو القائل : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ولا يعذب الله تعالى أحداً من خلقه قبل أن ينذره ويحذره « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ينهى عن الفسق ، ويتوعد عليه ؛ لا أن يأمر به ، ويرغب فيه ! هذا وقد عجز بعضهم عن فهم هذه الآية وأمثالها ؛ فأطاح ذلك بألبابهم ومعتقداتهم ؛ فساروا على غير هدى ، وسقطوا في مهاوي الردى ! فتفهم ما قلناه وتدبره ؛ هديت وكفيت ! ﴿وكم أهلكنا من القرون﴾ أي وكثيراً ما أهلكنا من الأمم ﴿من كان يريد العاجلة﴾ الدنيا ﴿عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد﴾ أي آتينا من نشاء ممن يرغبون في الدنيا ما نشاء إعطاءه له ؛ لا مايريده هو لنفسه ؛ فكم قد رأينا منصرفاً عن الآخرة ، مقبلا على الدنيا ، وقد خسر كليهما : لا مال في يديه ، ولا صحة في جسمه ، ولا ولد يسنده في كبره وعوزه ؛ ورأينا آخر يماثله في كفره ، ويشاكله في عقيدته ؛ وقد آتاه الله تعالى من دنياه =

إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ
رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ
كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

وَلَا

= ما أراد ، بل وزاد ؛ وذلك كله بتصريف الحكيم العليم يعطى من يشاء ما شاء ، ويمنع من يشاء عما يشاء ؛ وقد يعطي من يبغض ، ويمنع من يحب ؛ لحكمة علمها ، ومشيئة قدرها ! ﴿ثم جعلنا له﴾ أى جعلنا فى الآخرة لمن أراد العاجلة ﴿جهنم يصلاها﴾ يدخلها ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ أى عمل الأعمال الصالحة الموصلة لها ﴿وهو مؤمن﴾ شرط الله تعالى إيمانه؛ فقد يعمل الكافر أعمالا صالحة ؛ لايبتغى بها دنيا ؛ ولكنها مردودة عليه لكفره ، معجل له ثوابها فى دنياه عدلا من ربه ! ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء﴾ أى نعطى كلا من المطيع والعاصى تفضلا منا وإحساناً ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ ممنوعا من أحد من خلقه ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ فى الرزق والجاه ، والصحة والقوة ؛ وقد يكون الفاضل أدنى رتبة من المفضول ؛ ولكن لا عبرة فى التفضيل فى الدنيا ، وإنما الاعتداد والعبرة بالتفضيل فى الآخرة ﴿وللآخرة أكبر درجات﴾ أعظم من درجات الدنيا ﴿وأكبر﴾ وأعظم ﴿تفضيلا﴾ فينبغى الاعتناء والتمسك بالأعمال الموصلة إليها ﴿وقضى ربك﴾ أمر وألزم وأوجب ﴿ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ أردف تعالى عبادته بالإحسان إلى الوالدين : لأنه سبحانه هو المؤثر فى وجود الإنسان على الحقيقة ، والوالدان هما المؤثران فى وجوده ـ بحسب العرف الظاهر ـ وأيضاًفان الله تعالى لا يمل من الإنعام على عبده ؛ ولو أتى بأعظم الجرائم ، وأكبر الآثام ، وكذا الوالدان لايملان الإنعام على ولدهما وإكرامه ؛ ولوكان مسيئاً لهما غاية الإساءة ! فليتأمل ذلك العاق لأبويه ، وليبادر بالإحسان إليهما ؛ ليحظى بالغفران ! وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أن الوالدين لم ينجبا ولدهما رغبة فى إيجاده ، وإنما هو ثمرة لشهوة اشتهياها وأراداها بمحض اختيارهما ؛ فلا فضل لهما عليه ، ولا منة أسدياها إليه . وقد فات هؤلاء الفجار أن الله تعالى جعل مصدر الولد الاشتهاء واللذة : لحكمة حفظ الأنواع وبقائها ؛ وناهيك بما يتحمله الوالدان بعد ذلك فى سبيل تربية بنيهما وتنشئتهم وما يبذلانه من متاعب فى سبيل راحتهم : فطالما سهراليناموا ، وشقيا ليسعدوا ! وطالما أنفقا من مالهما فى سبيل اطعامهم ، وطالما بذلا النفس والنفيس فى سبيل تمريضهم والمحافظة عليهم ! أليس كل ذلك موجب لإكرامهما وإعزازهما ، وطلب الرحمة لهما ! ؟ فليتأمل ذلك كل عاق لوالديه ، وليبادر إلى إدراك ما فاته من الإحسان إليهما ؛ قبل أن ينقطع حبل حياتهما فيخسر الدنيا والآخرة !

وقد ورد أن الله تعالى لا ينظر يوم القيامة لمن عق والديه ! ﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ خص تعالى =



= الـكبر ؛ لأنه مبعث الضعف والحاجة ، ومظنة الملل والاستثقال ﴿فلا تقل لهما أف﴾ وهى أدنى كلمة تقال فى التضجر . وقد ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «لو علم ربك دون أف لنهى عنه» ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أى ألن جانبك ، وكن ذليلا فى معاملتهما ـ مهما كنت عزيزاً ـ حباً فيهما ، ورحمة بهما ؛ فقد أذللتهما فى صغرك وأتعبتهما وأشقيتهما ؛ وقد أحباك كل الحب ورحماك كل الرحمة! فـكن لهما محباً ، وبهما رحيما ؛ ليحبك الرحمن ، ويرحمك الرحيم! ﴿للأوابين﴾ الراجعين إلى الله تعالى

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا

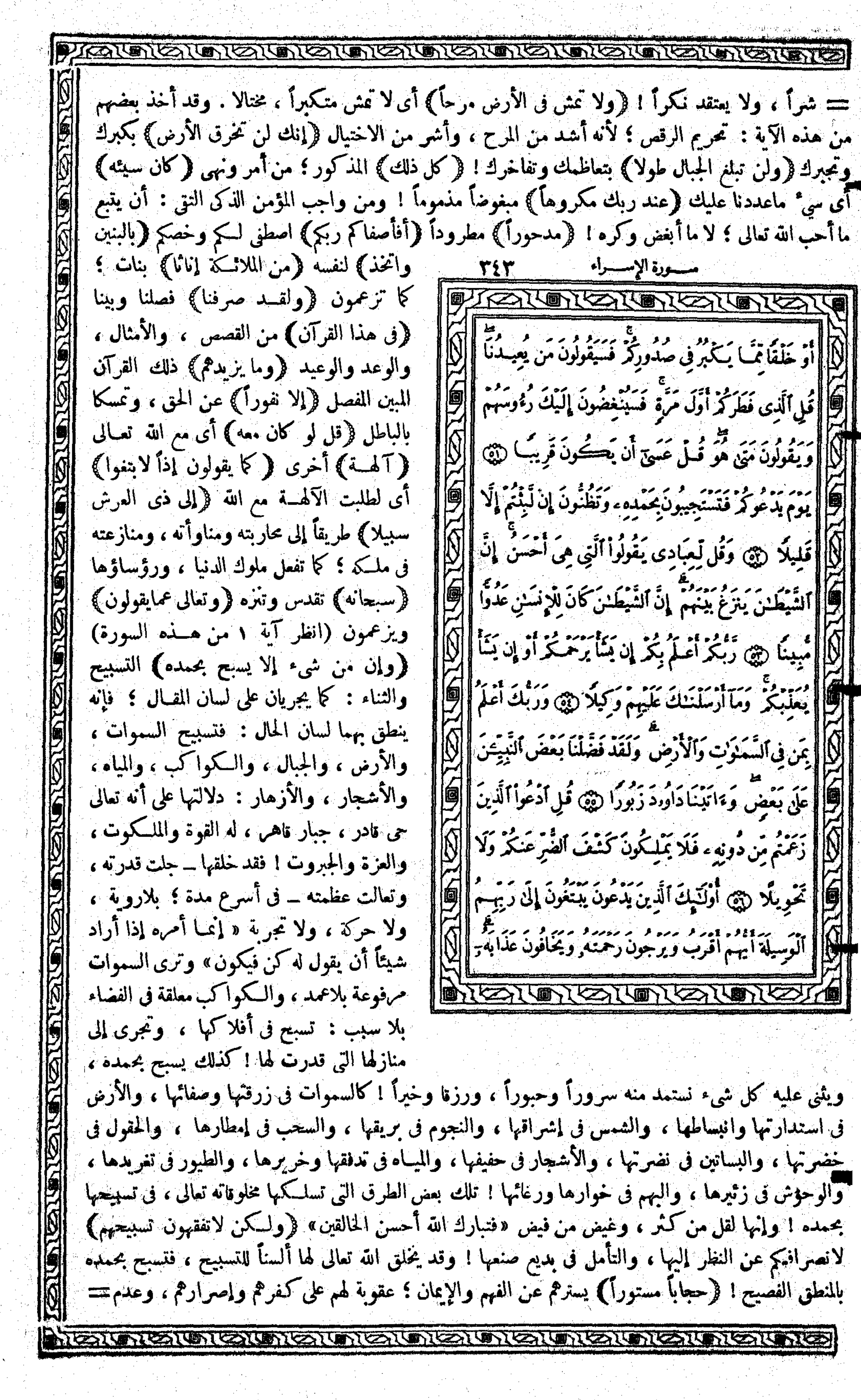
﴿وآت ذا القربى حقه﴾ بعد أن أمر الله تعالى عباده بعبادته ، وبالإحسان إلى الوالدين والتذلل لهما : أردف بذوى القربى ، ووجوب إيفائهم حقوقهم التى جعلها فى أعناقنا ؛ فأمرنا بإيتائها لهم . ومن هذه الآية يعلم أن للأقرباء حقوقا أقلها : معاونة فقرائهم ، وزيارة أغنيائهم ، ومواساة ضعفائهم . وبعد أن أمرنا تعالى ببر الوالدين والأقرباء ؛ ولبعضهم من الحقوق مايستأهل البر والعطف والمساعدة ؛ بعد ذلك عرفنا تعالى أن لـكل محتاج ـ قريب كان أو بعيد ـ حقا واجب الأداء والوفاء ؛ قال تعالى ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ وهو المسافر الذى انقطع به الطريق ! واعلم ـ هديت وكفيت ـ أن هذا الحق الذى أمر به الله تعالى غير فريضة الزكاة ؛ فاحرص على ذلك حرصك على دينك ! ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ بالإنفاق فى غير طاعة الله تعالى ؛ فلو أنفق سائر ماله فى الخير والصدقة: ما كان من المبذرين ! إذ أنه لا خير فى السرف ، ولا سرف فى الخير ! ولا يعقل أن يكون البار بالمساكين ، من إخوان الشياطين ! ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ وقد خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه من سائر ماله فى سبيل الله تعالى ؛ فكان ذلك إحدى محامده ! ﴿وإماتعرض عنهم﴾ أى عمن ذكر ؛ لضيق ذات يدك ، وفقر به الله امتحنك ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ أى طلباً لرزق يأتيك ؛ فتوفى به ماعليك : مما أمرك الله تعالى به ، وألزمك بأدائه .

ومن عجب أن نرى فى زماننا بعض من أفاء الله تعالى عليهم بالمـال الـكثير ، والرزق الوفير ؛ وقد بدلوا نعمة الله كفراً ؛ وجزوا والديهم عقوقاً وخذلاناً ، وأقربائهم ذلا وحرمانا ، ومسا كينهم قهراً ونهراً ؛ فى حين أنهم فى سعة من العيش ؛ يسرفون فى ملذاتهم وشهواتهم بغير حساب ! بينا نجد فقيراً مدقعاً : يتعثر فى أسماله ، ولا يكاد يفى بحاجة عياله ؛ إذا به يقتطع من قوته فيعطى الأبوين والأقرباء ، ولا ينسى المسا كين والفقراء ! وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء ! والله يجزى العاملين ، ويتولى الصالحين ! ﴿فقل لهم قولا ميسوراً﴾ سمحاً سهلا : بأن تعدهم بالإعطاء ، عند حلول العطاء ، وبأن توسع عليهم عندما يغدق المولى =

= عليك ! وبذلك يكون رفقك سبباً فى رزقك ، وسخاؤك سبباً فى رخائك ! ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أى لا تكن بخيلا ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ فتكن من المسرفين ! ﴿فتقعد ملوماً﴾ مستوجباً للوم : من نفسك ، ومن بنى جنسك ﴿محسوراً﴾ متحسراً ﴿إن ربك يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿ويقدر﴾ يضيق ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ فقر ﴿خطئاً﴾ إثماً وخطأ ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ اعلم ـ هداك الله تعالى ـ أن قربان الزنا غير إتيانه ، وقرع الباب غير ولوجه . وقد أريد بقربانه: غشيان مواضعه ، وتعريض النفس له ؛ من إطالة النظر ، وإشغال الفكر ، وإشباع الغرائز : قال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» فإذا ما صان الإنسان نفسه ، وكف بصره : تجنب مواضع الزلل! ولا يخفى ما فى الزنا من فسادللأنساب ، وقطع للأرحام ؛ وما يترتب عليه من فتك الأمراض الخبيثة بالنفوس ؛ وهو من الذنوب التى جاء ذمها وتقبيحها والزجر عليها فى سائر الأديان ؛ والدليل على فحش هـذا الجرم وشناعته : قسوة عقابه ، وشدة جزائه ؛ فقد جعل الشارع الحكيم عقوبة الزنا : الرجم بالحجارة للمحصن «المتزوج» وجلد مائة لغير المحصن «الأعزب» (انظر آيتى ١٦ من هذه السورة ، و ٢ من سورة النور) ﴿وساء سبيلا﴾ أى بئس هذا الطريق طريقاً ﴿ومن قتل مظلوماً﴾ بغير ذنب يستحق عليه القتل ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ لوارثه المطالب بدمه ﴿سلطاناً﴾ تسلطاً على القاتل وحده ﴿فلا يسرف فى القتل﴾ بأن يقتل غير القاتل ، أو يقتل بعد أخذه الدية ﴿إنه كان منصوراً﴾ بكلمة الله تعالى وأمره ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ كأن ينميه ويستثمره ، ولا يأخذ الوصى منه شيئاً إلا بمقدار ما يأكل ـ إذا كان فقيراً ـ بشرط عدم الإخلال برأس المال ﴿حتى يبلغ أشده﴾ أى قوته : وهو ما بين ثمانى عشرة إلى ثلاثين سنة ﴿وأوفوا بالعهد﴾ الذى تعاهدون الناس عليه ، والميثاق الذى تواثقونهم به ﴿إن العهد كان مسئولا﴾ عنه . وقيل : يسأل العهد نفسه ؛ تبكيتاً لناقضه ، وتقريعا له ! (انظر آيتى ١ من سورة المائدة ، و ٧٢ من سورة الأنفال) ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ الميزان ﴿ذلك خير﴾ فى الدنيا : بحب الناس لكم ، وإقبالهم عليكم . وفى الآخرة : برضا الرب عنكم ، وإحسانه إليكم ﴿وأحسن تأويلا﴾ أى أحسن مآلا وعاقبة ﴿ولا تقف﴾ ولا تتتبع ﴿ماليس لك به علم﴾ كأن تقول : سمعت ؛ وأنت لم تسمع ، ورأيت ؛ وأنت لم تر ؛ وعلمت ؛ وأنت لم تعلم ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ الفؤاد : القلب ؛ وأريد به العقل ﴿كل أولئك كان عنه﴾ الإنسان ﴿مسئولا﴾ فيجب على العاقل الحكيم ألا يسمع إلا خيراً ، وألا يرى محرماً ، وألا يفكر =

لَّا بْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

أَوْ خَلْقًا



أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ

= شراً ، ولا يعتقد نكراً ! ﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً﴾ أى لا تمش متكبراً ، مختالا . وقد أخذ بعضهم من هذه الآية : تحريم الرقص ؛ لأنه أشد من المرح ، وأشر من الاختيال ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بكبرك وتجبرك ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ بتعاظمك وتفاخرك ! ﴿كل ذلك﴾ المذكور ؛ من أمر ونهى ﴿كان سيئه﴾ أى سيئ ماعددنا عليك ﴿عند ربك مكروهاً﴾ مبغوضاً مذموماً ! ومن واجب المؤمن الذكى التقى : أن يتبع ما أحب الله تعالى ؛ لا ما أبغض وكره ! ﴿مدحوراً﴾ مطروداً ﴿أفأصفاكم ربكم﴾ اصطفى لكم وخصكم ﴿بالبنين واتخذ﴾ لنفسه ﴿من الملائكة إناثا﴾ بنات ؛ كما تزعمون ﴿ولقد صرفنا﴾ فصلنا وبينا ﴿فى هذا القرآن﴾ من القصص ، والأمثال ، والوعد والوعيد ﴿وما يزيدهم﴾ ذلك القرآن المبين المفصل ﴿إلا نفوراً﴾ عن الحق ، وتمسكا بالباطل ﴿قل لو كان معه﴾ أى مع الله تعالى ﴿آلهة﴾ أخرى ﴿كما يقولون إذاً لابتغوا﴾ أى لطلبت الآلهة مع الله ﴿إلى ذى العرش سبيلا﴾ طريقاً إلى محاربته ومناوأته ، ومنازعته فى ملكه ؛ كما تفعل ملوك الدنيا ، ورؤساؤها ﴿سبحانه﴾ تقدس وتنزه ﴿وتعالى عمايقولون﴾ ويزعمون (انظر آية ١ من هذه السورة) ﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾ التسبيح والثناء : كما يجريان على لسان المقال ؛ فإنه ينطق بهما لسان الحال : فتسبيح السموات ، والأرض ، والجبال ، والكواكب ، والمياه ، والأشجار ، والأزهار : دلالتها على أنه تعالى حى قادر ، جبار قاهر ، له القوة والملكوت ، والعزة والجبروت ! فقد خلقها – جلت قدرته ، وتعالت عظمته – فى أسرع مدة ؛ بلاروية ، ولا حركة ، ولا تجربة « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وترى السموات مرفوعة بلاعمد ، والكواكب معلقة فى الفضاء بلا سبب : تسبح فى أفلاكها ، وتجرى إلى منازلها التى قدرت لها ! كذلك يسبح بحمده ، ويثنى عليه كل شىء نستمد منه سروراً وحبوراً ، ورزقا وخيراً ! كالسموات فى زرقتها وصفائها ، والأرض فى استدارتها وانبساطها ، والشمس فى إشراقها ، والنجوم فى بريقها ، والسحب فى إمطارها ، والحقول فى خضرتها ، والبساتين فى نضرتها ، والأشجار فى حفيفها ، والمياه فى تدفقها وخريرها ، والطيور فى تغريدها ، والوحوش فى زئيرها ، والبهم فى خوارها ورغائها ! تلك بعض الطرق التى تسلكها مخلوقاته تعالى ، فى تسبيحها بحمده ! وإنها لقل من كثر ، وغيض من فيض «فتبارك الله أحسن الخالقين» ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾ لانصرافكم عن النظر إليها ، والتأمل فى بديع صنعها ! وقد يخلق الله تعالى لها ألسناً للتسبيح ، فتسبح بحمده بالمنطق الفصيح ! ﴿حجاباً مستوراً﴾ يسترهم عن الفهم والإيمان ؛ عقوبة لهم على كفرهم وإصرارهم ، وعدم =

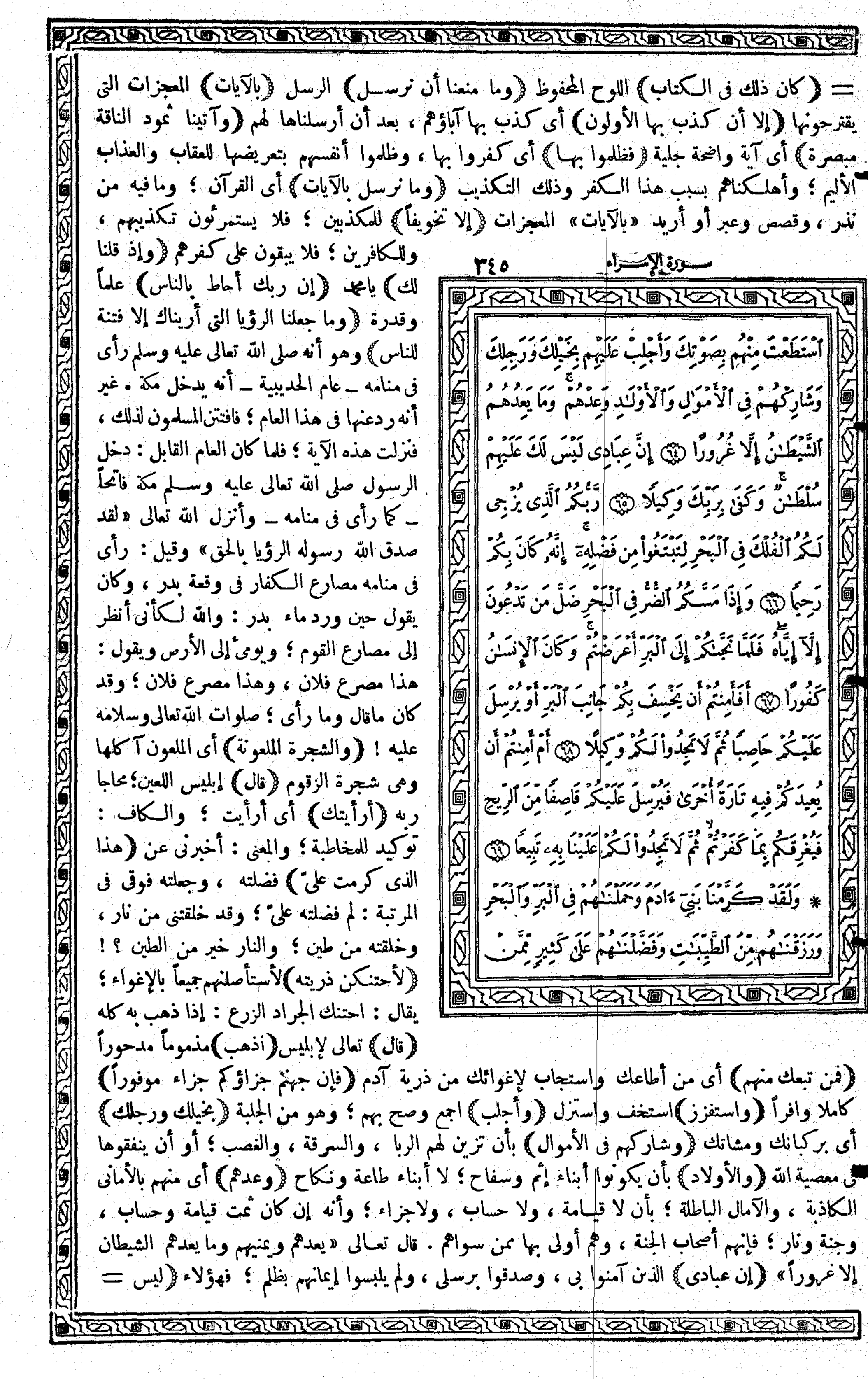
= إيمانهم بالآخرة ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية وحجباً ﴿وفى آذانهم وقراً﴾ صمماً ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أى يستمعون لك حالة كونهم متناجين ، والمعنى : انهم يستمعون إليك سراً ؛ متجسسين عليك ، غير ظاهرين لك . أو انهم يتناجون مع بعضهم حينما تتكلم ﴿إذ يقول الظالمون﴾ الكافرون للمؤمنين ﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً﴾ أى مجنونا ، به مس من السحر ! ومن أعجب العجب أن بعض المفسرين يقول فى تأويل بعض الآيات : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قد سحر ، مستندين فى هذا التأويل



إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ
اسْتَطَعْتَ

الفاسد إلى إفك روته اليهود ؛ فتناقله ضعاف العقول ، وصغار الأحلام ؛ فليحذر العاقل من الوقوع فى مثل ذلك الإفك ! ﴿وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ حطاما ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً﴾ أى لو كنتم حجارة أو حديداً ، ولم تكونوا عظاما ورفاتا ؛ فسيعيدكم الله تعالى كما كنتم فى الدنيا ﴿فطركم﴾ خلقكم ﴿فسينغضون إليك رؤسهم﴾ أى يحركونها مستهزئين ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ فى الدنيا ، أو فى القبور ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ يفسد ويغرى ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ كتابا ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة مع الله تعالى ﴿فلا يملكون كشف الضر﴾ إذا نزل بكم ﴿ولا تحويلا﴾ أى ولا يملكون تحويل الضر عنكم الى غيركم ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يعبدون ؛ أى يعبدهم العباد من دون الله : كالملائكة ، وعيسى ، وعزير . وقرأ ابن مسعود «تدعون» أى هؤلاء الأرباب الذين تعبدونهم ؛ هم عباد أمثالكم ﴿يبتغون﴾ بعبادتهم وطاعتهم ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ التى تقربهم إليه؛ ولايدرون ﴿أيهم أقرب ويرجون رحمته﴾ يطلبون ويأملون رضاءه عنهم ، ومغفرته لهم ! ﴿ويخافون عذابه﴾ أن ينزل بهم ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ أى يخاف منه ويحذر . والرجاء والخوف : مرتبتان ؛ متلازمتان ، والجمع بينهما : هو المثل الأعلى ، والتوسط فيهما : هو غاية الكمال ؛ فإذا زاد الخوف : ذهب بالحب ؛ وهو لب العبادة وجوهرها ! وإذا زاد الرجاء : ذهب بالأدب والوقار ؛ وهما صلب المعرفة !

وكما أن الكرم : وسط بين التبذير والبخل . والشجاعة : وسط بين التهور والجبن ؛ كذلك يكون كمال الإيمان : فى التوسط بين الخوف والرجاء ! ﴿وإن من قرية﴾ وما من قرية ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أى مخربوها ، أو مهلكو أهلها بالموت ؛ إن كانت مؤمنة ، وبالعذاب ؛ إن كانت ظالمة ، وبالأمراض والأوصاب ؛ إن كانت فاسقة ﴿أو معذبوها عذابا شديداً﴾ بالقتل ، والأسر ، والذل . أو يكون المعنى : «وإن من قرية» ظالمة «إلا نحن مهلكوها» قال تعالى «وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون» =



ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ

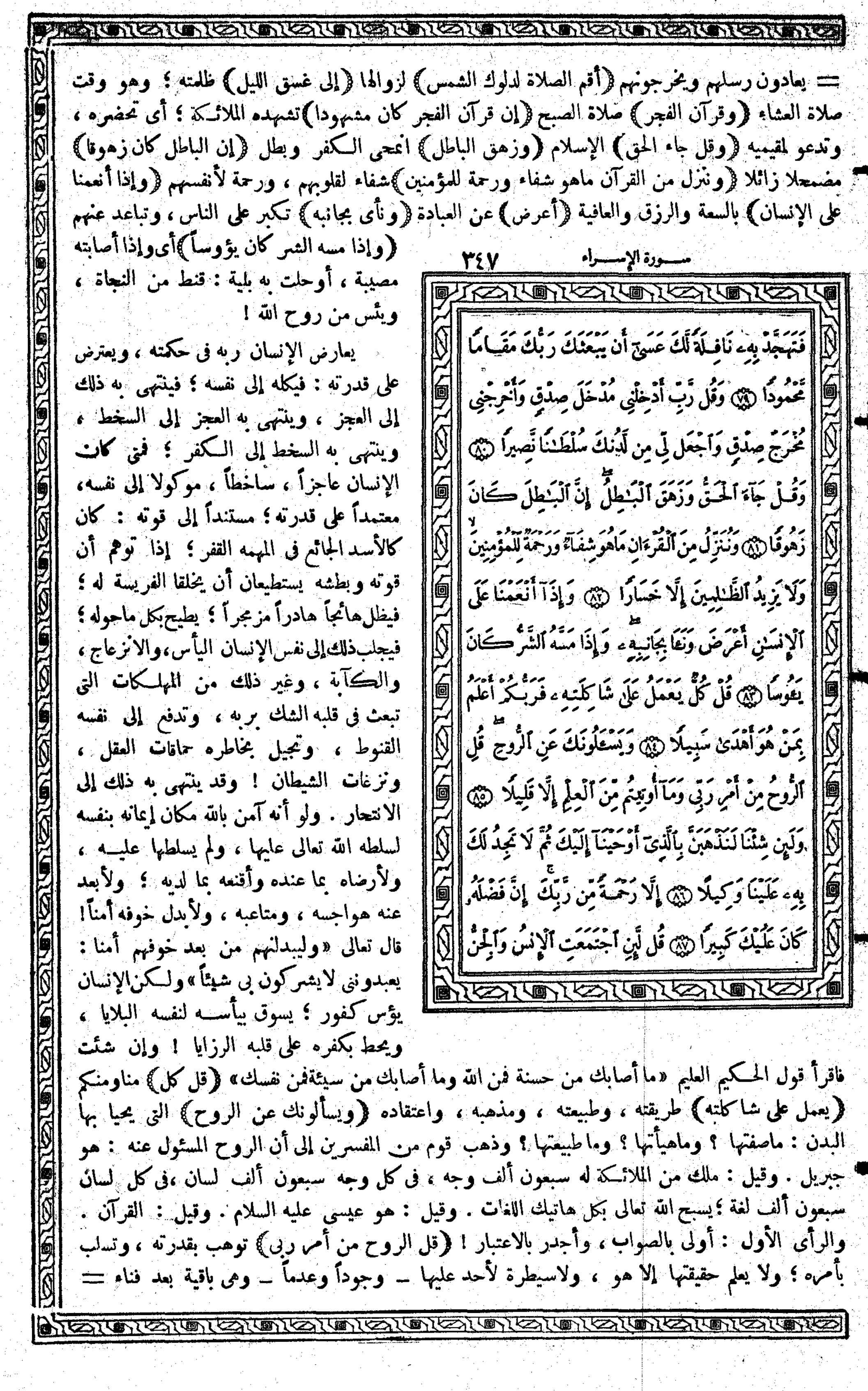
= ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿وما منعنا أن نرسل﴾ الرسل ﴿بالآيات﴾ المعجزات التى يقترحونها ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ أى كذب بها آباؤهم ، بعد أن أرسلناها لهم ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أى آية واضحة جلية ﴿فظلموا بها﴾ أى كفروا بها ، وظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب والعذاب الأليم ؛ وأهلكناهم بسبب هذا الكفر وذلك التكذيب ﴿وما نرسل بالآيات﴾ أى القرآن ؛ وما فيه من نذر ، وقصص وعبر أو أريد «بالآيات» المعجزات ﴿إلا تخويفاً﴾ للمكذبين ؛ فلا يستمرئون تكذيبهم ، وللكافرين ؛ فلا يبقون على كفرهم ﴿وإذ قلنا لك﴾ يامحمد ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ علماً وقدرة ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾ وهو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى منامه ـ عام الحديبية ـ أنه يدخل مكة . غير أنه ردعنها فى هذا العام ؛ فافتتن المسلمون لذلك ، فنزلت هذه الآية ؛ فلما كان العام القابل : دخل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مكة فاتحاً ـ كما رأى فى منامه ـ وأنزل الله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» وقيل : رأى فى منامه مصارع الكفار فى وقعة بدر ، وكان يقول حين ورد ماء بدر : والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ؛ ويومئ إلى الأرض ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ؛ وقد كان ماقال وما رأى ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! ﴿والشجرة الملعونة﴾ أى الملعون آكلها وهى شجرة الزقوم ﴿قال﴾ إبليس اللعين؛ محاجا ربه ﴿أرأيتك﴾ أى أرأيت ؛ والكاف : توكيد للمخاطبة ؛ والمعنى : أخبرنى عن ﴿هذا الذى كرمت علىّ﴾ فضلته ، وجعلته فوقى فى المرتبة : لم فضلته علىّ ؛ وقد خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ؛ والنار خير من الطين ؟ ! ﴿لأحتنكن ذريته﴾ لأستأصلنهم جميعاً بالإغواء ؛ يقال : احتنك الجراد الزرع : إذا ذهب به كله ﴿قال﴾ تعالى لإبليس ﴿اذهب﴾ مذموماً مدحوراً ﴿فمن تبعك منهم﴾ أى من أطاعك واستجاب لإغوائك من ذرية آدم ﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ كاملا وافراً ﴿واستفزز﴾ استخف واستزل ﴿وأجلب﴾ اجمع وصح بهم ؛ وهو من الجلبة ﴿بخيلك ورجلك﴾ أى بركبانك ومشاتك ﴿وشاركهم فى الأموال﴾ بأن تزين لهم الربا ، والسرقة ، والغصب ؛ أو أن ينفقوها فى معصية الله ﴿والأولاد﴾ بأن يكونوا أبناء إثم وسفاح ؛ لا أبناء طاعة ونكاح ﴿وعدهم﴾ أى منهم بالأمانى الكاذبة ، والآمال الباطلة ؛ بأن لا قيامة ، ولا حساب ، ولاجزاء ؛ وأنه إن كان ثمت قيامة وحساب ، وجنة ونار ؛ فإنهم أصحاب الجنة ، وهم أولى بها ممن سواهم . قال تعالى «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً» ﴿إن عبادى﴾ الذين آمنوا بى ، وصدقوا برسلى ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ؛ فهؤلاء ﴿ليس =



خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ

فَتَهَجَّدْ

= لك عليهم سلطان﴾ تسلط وقوة ﴿ربكم الذي يزجي﴾ يسوق ويسير ﴿لكم الفلك﴾ السفن ﴿لتبتغوا من فضله﴾ لتطلبوا الرزق بطريق التجارة، والتنقل في البلاد ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾ أي غاب من تستغيثون به فيغيثكم، إلا الله تعالى فهو وحده حاضر لا يغيب «وهو معكم أينما كنتم» فادعوه مخلصين له الدين: ينجيكم مما تخافون، ويخلصكم مما تحذرون! ﴿فلما نجاكم﴾ من الضر الذي لحقكم، والموت الذي أحاط بكم ﴿أعرضتم﴾ عن عبادته، ونسيتم ما أسبغ عليكم من نعمته ﴿أفأمنتم﴾ وقد نجوتم من البحر إلى اليابسة ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ بأن يزلزل الأرض ويدكها ويخسفها بكم؛ كما فعل بمن سبقكم من المكذبين: كقارون ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ الحاصب: الريح الشديدة التي ترمي بالحصباء؛ وهي الحصى ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ أي في البحر ﴿تارة أخرى﴾ مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم﴾ فيه ﴿قاصفاً من الريح﴾ وهي الريح التي تكسر الفلك والشجر ﴿تبيعاً﴾ مطالباً ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ برئيسهم وهو نبيهم؛ فيقال: يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ الفتيل: مثل للحقارة والصغر. وهو قشرة النواة، أو كل ما يفتل بالأصابع؛ مما يدق عن الحس ﴿ومن كان في هذه﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ عن الحق: أريد به عمى القلوب لا العيون «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن النجاة؛ كالأعمى حينما يتعثر فيما يلقاه ﴿وإن كادوا﴾ قاربوا ﴿ليفتنونك﴾ يزيلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من القرآن. قيل عن هذه الفتنة: إن قريشاً منعت الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه من الطواف بالبيت، واستلام الحجر الأسود: حتى يلم بآلهتهم؛ فحدث الرسول نفسه في ذلك: فنزلت عقاباً له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما هجست به نفسه! ونزل قوله تعالى ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على ما أنت عليه من الحق ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا﴾ لأنه قال في نفسه: وما عليّ أن ألم بآلهتهم بعد أن يدعوني أستلم الحجر؛ والله يعلم أني لها كاره مبغض! وقيل: إنهم طلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام الكف عن ذم آلهتهم ﴿إذاً﴾ لو فعلت ما طلبوه ﴿لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي لعذبناك عذاباً مضاعفاً في الحياة، وبعد الممات! وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يركن إليهم؛ وإنما ورد هذا على سبيل التهديد للكفار، ولمن تحدثه نفسه بالركون إلى الكافرين ـ كما يفعل مسلمو اليوم ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ ليزعجونك ويفزعونك ﴿وإذاً﴾ إذا أخرجوك من أرضك ﴿لا يلبثون خلافك﴾ خلفك وبعدك ﴿إلا قليلا﴾ ثم يهلكهم الله ﴿سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أي هذه سنتنا وطريقتنا: أن نهلك من =



فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ

= يعادون رسلهم ويخرجونهم ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ لزوالها ﴿إلى غسق الليل﴾ ظلمته؛ وهو وقت صلاة العشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ تشهده الملائكة؛ أى تحضره، وتدعو لمقيميه ﴿وقل جاء الحق﴾ الإسلام ﴿وزهق الباطل﴾ انمحى الكفر وبطل ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾ مضمحلا زائلا ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ شفاء لقلوبهم، ورحمة لأنفسهم ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ بالسعة والرزق والعافية ﴿أعرض﴾ عن العبادة ﴿ونأى بجانبه﴾ تكبر على الناس، وتباعد عنهم ﴿وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ أى وإذا أصابته مصيبة، أوحلت به بلية: قنط من النجاة، ويئس من روح الله!

يعارض الإنسان ربه فى حكمته، ويعترض على قدرته: فيكله إلى نفسه؛ فينتهى به ذلك إلى العجز، وينتهى به العجز إلى السخط، وينتهى به السخط إلى الكفر؛ فتى كان الإنسان عاجزاً، ساخطاً، موكولا إلى نفسه، معتمداً على قدرته؛ مستنداً إلى قوته: كان كالأسد الجائع فى المهمه القفر؛ إذا توهم أن قوته وبطشه يستطيعان أن يخلقا الفريسة له؛ فيظل هائجاً هادراً مزمجراً؛ يطيح بكل ماحوله؛ فيجلب ذلك إلى نفس الإنسان اليأس، والانزعاج، والكآبة، وغير ذلك من المهلكات التى تبعث فى قلبه الشك بربه، وتدفع إلى نفسه القنوط، وتجيل بخاطره حماقات العقل، ونزغات الشيطان! وقد ينتهى به ذلك إلى الانتحار. ولو أنه آمن بالله مكان إيمانه بنفسه لسلطه الله تعالى عليها، ولم يسلطها عليه، ولأرضاه بما عنده وأقنعه بما لديه؛ ولأبعد عنه هواجسه، ومتاعبه، ولأبدل خوفه أمناً! قال تعالى «وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا: يعبدوننى لايشركون بى شيئاً» ولكن الإنسان يؤس كفور؛ يسوق بيأسه لنفسه البلايا، ويحط بكفره على قلبه الرزايا! وإن شئت فاقرأ قول الحكيم العليم «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» ﴿قل كل﴾ منا ومنكم ﴿يعمل على شاكلته﴾ طريقته، وطبيعته، ومذهبه، واعتقاده ﴿ويسألونك عن الروح﴾ التى يحيا بها البدن: ماصفتها؟ وماهيأتها؟ وما طبيعتها؟ وذهب قوم من المفسرين إلى أن الروح المسئول عنه: هو جبريل. وقيل: ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، فى كل وجه سبعون ألف لسان، فى كل لسان سبعون ألف لغة؛ يسبح الله تعالى بكل هاتيك اللغات. وقيل: هو عيسى عليه السلام. وقيل: القرآن. والرأى الأول: أولى بالصواب، وأجدر بالاعتبار! ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ توهب بقدرته، وتسلب بأمره؛ ولا يعلم حقيقتها إلا هو، ولاسيطرة لأحد عليها ـ وجوداً وعدماً ـ وهى باقية بعد فناء =

= الأجساد ، حتى يوم المعاد ؛ فيعيد الله تعالى لكل جسد روحه ؛ ليحاسبها على ما اكتسبت فى دنياها : فيعذب الكافر العاصى ، ويثيب المؤمن الطائع ! وقيل : إن اليهود أوعزوا لقريش أن تسأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ثلاثة أشياء : عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وعن الروح ؛ وقالوا لهم : إن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة: فهو نبى . فلما سألوه أخبرهم عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وقال عن الروح «قل الروح من أمر ربى» وقوله تعالى «قل الروح من أمر ربى» دليل على عجز الإنسان عجزاً تاماً عن معرفة حقيقتها وكنهها ؛ فليس لإنسان أن يزعم أن الروح - ولو كانت روح حيوان - هى تحت أمره ، وأنه يستطيع - باذاعة شىء من الموسيقى - أن يحضر من الأرواح ماشاء وأن يستخدمها فيما شاء ، ويسألها عما يشاء ! وقد دأب ناس - عافاهم الله - على اللعب بعقول البسطاء وألبابهم ؛ باشاعة هذه الخرافات ، وبث هذه الترهات والخزعبلات ؛ وقد حضرت كثيراً من مجالسهم ؛ فما ازددت إلا تكذيباً لهم ، وتسفيهاً لأعمالهم ! وأمر هؤلاء لا يعدو أن يكون من عبث الشيطان بهم ؛ إذ أنه - لعنه الله تعالى - يستطيع أن يتشكل بمن شاء من مخلوقاته تعالى ؛ عدا أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ؛ فيظهر الشيطان أو أحد أعوانه على صورة الإنسان المراد تحضير روحه ويخاطبهم بما يحلو لهم أن يسمعوه . أما الروح - ولو أنها موجودة ، وباقية أبد الآبدين - فإنه لا سلطان لأحد عليها من المخلوقين ، ولاتدين إلا لرب العالمين ! ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك﴾ من القرآن ؛ بأن ننزعه من الصدور ، ونمحوه من الصحف ؛ وسيكون ذلك قبيل القيامة ؛ وهو من أشراط الساعة ﴿إلا رحمة من ربك﴾ أى إن إبقاءه وعدم إذهابه «رحمة من ربك» ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ معيناً ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا وأوضحنا ﴿من كل مثل﴾ يصح به الاعتبار والاستبصار ؛ كالأوامر ، والنواهى ، والترغيب ، والترهيب ، وذكر الثواب والعقاب ، وأقاصيص المتقدمين وأخبارهم ﴿كسفاً﴾ قطعاً ﴿قبيلا﴾ جماعة ؛ مقابلة وعياناً ﴿من زخرف﴾ ذهب ﴿قل سبحان ربى﴾ تنزه وتقدس عن أن يأتى بأمرى ، أو بأمركم (انظر آية ١ من هذه السورة) ﴿قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون﴾ مثلكم ﴿مطمئنين﴾ قارين : يطمئنون لمن فى الأرض ، ويطمئن من فى الأرض إليهم

عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا

بَيْنِى

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ

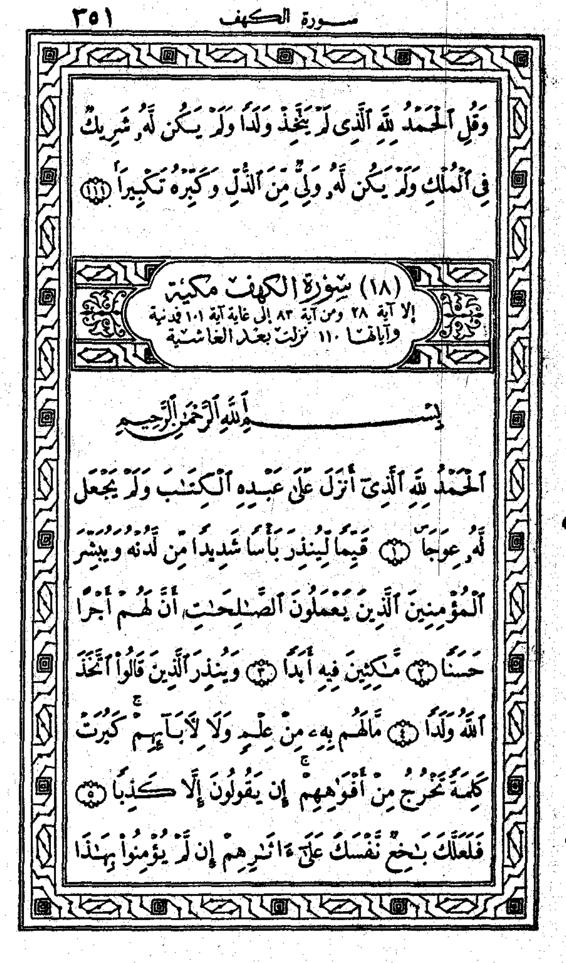
﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء﴾ نصراء يهدونهم ﴿من دونه﴾ من غيره ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ تجرهم الزبانية من أرجلهم «على وجوههم» ﴿عمياً وبكماً وصما﴾ عموا حين دخلوا النار لشدة سوادها، وانقطع كلامهم حين قيل لهم «اخسأوا فيها ولاتكلمون» وذهب الزفير والشهيق والصراخ بسمعهم فلم يسمعوا شيئاً ﴿كلما خبت﴾ انطفأ لهيبها ﴿ورفاتاً﴾ حطاماً ﴿وجعل لهم أجلا﴾ لموتهم وبعثهم؛ هم مواقعوه ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ من الرزق، والمطر، وسائر النعم ﴿إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ مخافة الفقر والعدم ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ بخيلا مقتراً ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ واضحات: وهي اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين أو البحر، ونقص الثمرات. وقد ورد فى الحديث الشريف أنها «لاتشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولاتسرقوا، ولاتسحروا، ولا تمشوا ببرىء إلى سلطان فيقتله، ولاتأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف» ﴿فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ مجنوناً؛ مغلوبا على عقلك

﴿بصائر﴾ أى عبراً بينات واضحات ﴿مثبوراً﴾ مصروفا عن الخير ، أو هالكا ، أو مطروداً ﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم﴾ أى أن يخرج موسى وقومه من الأرض . يقال : استفزه ؛ إذا أخرجه من داره وأزعجه ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ أى جميعاً ؛ ملتفين ، ومختلطين ؛ فنجزى من أحسن بالحسنى ، ومن أساء بالسوأى ﴿وقرآنا فرقناه﴾ أى فصلناه ، أو فرقنا فيه بين الحق والباطل ، أو نزلناه مفرقا ؛ فى عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين ﴿على مكث﴾ على تؤدة وبيان وتمهل ؛ ليتفهموه ﴿قل آمنوا به أو لاتؤمنوا﴾ تهديد شديد ! ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أى قبل نزول القرآن ؛ وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إذا يتلى عليهم يخرون﴾ ساجدين ﴿للأذقان﴾ أى على وجوههم ﴿ويقولون﴾ حال سجودهم ﴿سبحان ربنا﴾ تنزه ربنا وتعالى وتقدس ! وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول فى سجوده ، وركوعه «سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفرلى» (انظر آية ١ من هـذه السورة) ﴿إن كان وعد ربنا﴾ بإرسال محمد ، وبإنزال القرآن عليه ﴿لمفعولا﴾ لحاصلا لا محالة ﴿ويزيدهم﴾ الاستماع إلى القرآن ﴿خشوعا﴾ خضوعاو تواضعاً لله تعالى ﴿فله﴾ جل شأنه ﴿الأسماء الحسنى﴾ التى تقتضى أفضل الأوصاف ، وأشرف المعانى ، وأسمى الصفات! وأسماؤه تعالى لايحصيها عد ، ولا يحدها حد ؛ وقد ورد فى الحديث الشريف «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً ؛ كلهن فى القرآن ، من أحصاهن دخل الجنة» وليس المراد بإحصائها حفظها فحسب ؛ بل الإيمان بها كلها ، والوثوق بمدلولاتها ؛ وهى : «الله لا إله إلا هو . الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس. السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارىٔ . المصور . الغفار. القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين . الولى . الحميد . المحصى . المبدئ . المعيد . المحيي . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالى . المتعالى . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع . الباقى . الوارث . الرشيد . الصبور ! (انظر آية ١٨٠ من سورة الأعراف) ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ =

مَا أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا
مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ
ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ
لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ
إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ
رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ
ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

وَقُلِ

= أى بقراءتك فيها؛ لئلا يسمعك المشركون فيسبوك ، ويسبوا القرآن ، ومن أنزله ﴿ولا تخافت بها﴾ أى لاتسر بها؛ فلا يسمعك من يقتدى بك . قيل : إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يسر قراءته كلها ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه يجهر بها كلها؛ فقيل لهما فى ذلك؛ فقال أبو بكر: إنما أناجى ربى ، وهو يعلم حاجتى إليه ! وقال عمر : أنا أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان ! فلما نزلت هذه الآية؛ قيل لأبى بكر : ارفع قليلا . وقيل لعمر : اخفض قليلا . وقد يقول قائل: مادامت علة الجهر والإسرار : هو الخوف من أذى



وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

(١٨) سورة الكهف مكية
إلا آية ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية
وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا

الكافرين والمشركين؛ وقد كف الله تعالى أذاهم ، وأذهب قوتهم ـ والعلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً ـ فما لنا لا نجهر فى صلاتنا كلها؟ والجواب على ذلك: إن الأعمال التعبدية؛ لايجوز فيها الاجتهاد ، بل يتبع فيها آثار الرسول عليه الصلاة والسلام؛ القائل «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وعن عائشة رضى الله تعالى عنها : أن المراد بالصلاة فى هذه الآية : الدعاء ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً﴾ كما يزعم الكافرون ﴿ولم يكن له شريك فى الملك﴾ كما يزعم المشركون ﴿ولم يكن له ولى من الذل﴾ أى لم يذل؛ فيحتاج إلى ناصر بسبب ضعفه؛ بل هو ولى الصالحين ، وناصر المؤمنين !

(سورة الكهف)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله﴾ مستوجب الحمد ﴿الذى أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ اختلافا ، أو تناقضاً ﴿قيما﴾ مستقيما ﴿لينذر بأساً شديداً﴾ ليحذر عذابا أليما ﴿من لدنه﴾ من عنده تعالى ﴿كبرت﴾ عظمت فى الافتراء والكفر ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ قاتلها غماً وحزناً ﴿على آثارهم﴾ بعد توليهم عنك ، وامتناعهم عن الإيمان بك ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ القرآن

﴿أسفا﴾ حزناً وكمداً ﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾ من أشجار وحفيف ورقها ، وأزهار وأريج نشرها ، وثمار ولذيذ طعمها ، وأنهار وساسبيل مائها ، وبحار وعظيم موجها ، وجبال وشامخ بنيانها ، ورمال وبديع ألوانها ؛ وغير ذلك مما يدهش العقول ، ويحير الألباب! كل ذلك خلقه المبدع الحكيم ﴿زينة لها﴾ أى للدنيا ؛

الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وَإِذِ

ليستمتع به أهلها ﴿لنبلوهم﴾ نختبرهم ﴿أيهم أحسن عملا﴾ بالزهد فى الدنيا ، وعدم الإقبال عليها ، والرغبة فى الآخرة ، والحرص على كل ما يوصل إليها ﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ أى ما على الأرض من زينة ﴿صعيداً جرزاً﴾ يابساً لاينبت . والأرض الجرز: التى لا نبات عليها ، ولا بنيان ؛ كأن ما عليها قد اجتث ﴿أم حسبت﴾ يامحمد ﴿أن أصحاب الكهف﴾ وهو الغار الواسع فى الجبل ﴿والرقيم﴾ لوح مكتوب عليه أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم ، ولعله كتاب مرقوم ؛ أنزل لهم لتعليمهم الشرائع . وقيل : إنه اسم كلبهم . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما أدرى ما الرقيم ؛ أكتاب هو أم بنيان ؟ ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ أى لا تحسب أن العجب فى قصة أصحاب الكهف ؛ وإنما العجب كل العجب فيما خلقناه من سموات وأرضين ، وما جعلناه على الأرض زينة لها ولمن فيها ! ﴿وهيء لنا من أمرنا رشداً﴾ توفيقاً للرشاد والسداد ﴿فضربنا على آذانهم﴾ أى أنمناهم إنامة ثقيلة ؛ لا تنبههم الأصوات ﴿سنين عدداً﴾ كناية عن التكثير ؛ أى سنين كثيرة معدودة ؛ وذلك لأن القليل يعلم من غير عد ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم من نومهم ؛ كما نبعث أهل القبور من موتهم ﴿لنعلم أى الحزبين﴾ المختلفين فى مدة لبثهم ﴿أحصى﴾ أضبط ﴿لما لبثوا أمداً﴾ مدة وغاية ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ قويناها على تحمل المكروه فى نصرة الدين ﴿إذ قاموا﴾ بين قومهم ، وأمام ملكهم ؛ وقد عكفوا جميعاً على عبادة الأصنام ﴿فقالوا﴾ مجاهدين ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ لن نؤمن بغيره ، و﴿لن ندعو من دونه إلهاً﴾ آخر ﴿لقد قلنا إذاً﴾ إذا دعونا من دونه ﴿شططاً﴾ قولا ذا شطط ؛ أى بعيداً عن الحق ﴿لولا﴾ هلا ﴿بسلطان بين﴾ بحجة ظاهرة على صحة عبادتهم لها

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ خطاب لأهل الكهف ؛ أى وإذ جانبتم هؤلاء الكفار ﴿وما يعبدون﴾ أى واعتزلتم الذى يعبدونه من الآلهة ﴿إلا الله﴾ سوى الله . وقرأ ابن مسعود «وما يعبدون من دون الله» وعلى ذلك مصحفه ؛ وذهب قتادة إلى أنه تفسيرها ﴿فأووا﴾ الجأوا ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يبسطها لكم ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً﴾ وهو ما ينتفع به ؛ من بناء ، وغذاء ، وكساء ﴿تزاور﴾ تميل ﴿تقرضهم﴾ تقطعهم ؛ أى تتركهم وتعدل عنهم ﴿وهم فى فجوة منه﴾ متسع من الكهف . والفجوة : الفرجة ﴿ذلك﴾ أى ميل الشمس وتركها لمكانهم ؛ مع مخالفة ذلك للنظام الكونى ﴿من آيات الله﴾ الدالة على وجوده وقدرته ﴿فلن تجد له ولياً﴾ يلى أمره ، ويقوم بمعونته ﴿مرشداً﴾ له إلى الهدى وطريق الصواب ﴿وتحسبهم﴾ إذا رأيتهم ﴿أيقاظاً﴾ منتبهين ؛ لأن أعينهم منفتحة ﴿وهم رقود﴾ نيام ﴿ونقلبهم﴾ أثناء نومهم ﴿ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ؛ وقد يكون التقليب بواسطة ملك يأمره الله تعالى به ، أو بفعلهم هم - بتوفيق من الله تعالى - كما يفعل النائم حال نومه ؛ ولذا يحسبهم الرائى أيقاظاً ؛ لتقلبهم وانفتاح أعينهم ﴿بالوصيد﴾ عتبة الكهف . والباب الموصد : المغلق ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾ لما حفهم الله تعالى به من الهيبة ، وأحاطهم به من العظمة ؛ وقد منعهم الله تعالى من الناس بالرعب : لئلا يقربوا منهم ، ويعبثوا بهم ؛ فصاروا بحيث لا يستطيع أحد قربهم أو الدنو منهم . أما من قال : إن الفرار منهم والرعب بسبب طول شعورهم وأظفارهم ؛ فليس بشىء : لأنهم حين استيقظوا قال بعضهم لبعض «لبثنا يوماً أو بعض يوم» ﴿وكذلك بعثناهم﴾ أيقظناهم من نومهم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ ليسأل بعضهم بعضاً ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ الورق : الفضة . والمراد بها : النقود التى كانت متداولة بينهم ﴿فلينظر أيها أزكى﴾ أحل وأطيب ﴿وليتلطف﴾ فى دخول المدينة ، وشراء الطعام

﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يطلعوا عليكم ، ويعلموا مكانكم ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أطلعنا عليهم ﴿ليعلموا أن وعد الله حق﴾ أى ليعلم الناس أن وعد الله تعالى بالبعث حق : لأن القادر على بعث أهل الكهف ـ بعد نومهم ثلاثمائة عام ـ قادر على بعث الخلق بعد مماتهم. وبعث الناس يوم القيامة سيكون بأجسادهم ؛ وقد أقام الله تعالى الدليل على ذلك بإحياء حمار عزير : قال تعالى له «وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً» (انظر آية ٢٥٩ من سورة البقرة) ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أى يتنازع المؤمنون والكفار فى شأنهم ؛ فقال الكفار : نبنى فوقهم بيعة ، وقال المسلمون ؛ وكانوا كثرة غالبة ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ واتخذوه فعلا فوق كهفهم ؛ وفى هذا الدليل القاطع على جواز اتخاذ المساجد فوق القبور ـ خلافا لما يقول به بعض الغلاة ـ ولا يدفع ذلك ما رواه أبو داود والترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ؛ قال : «لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج» فهو حديث ـ إن صح ـ يجب تأويله بالنهى عن السجود إلى القبور ، أو الصلاة عليها ؛ يدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» وذلك لأن الحديث لا يدفع صريح القرآن : «لنتخذن عليهم مسجداً» وعلة النهى فى الحديث : أن اتخاذ القبور مساجد قد يؤدى إلى عبادة من فيها ؛ كما اتخذت الأصنام من قبل ﴿سيقولون﴾ أى يقول المختلفون فى شأن أهل الكهف وعدتهم ؛ وذلك فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿رجماً بالغيب﴾ الرجم بالغيب : القول بالظن ؛ وهو دليل على بطلان السابق ، وصحة اللاحق ؛ وهو قوله تعالى ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ ولم يقدح فيه بشىء ﴿فلا تمار﴾ فلا تجادل ﴿فيهم إلا مراء ظاهراً﴾ إلا جدالا فى حدود ما ظهر لك مما أنزلناه عليك ﴿ولا تستفت فيهم﴾ أى فى شأن أهل الكهف ﴿منهم﴾ أى من اليهود وغيرهم من المشركين ﴿ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك﴾ الشىء ﴿غداً﴾ أى فيما يستقبل من الزمان ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أن تفعله ؛ فوجب إذاً الاستثناء ؛ لأنك إن قلت : إنى فاعل كذا . ولم تفعل ؛ كنت كاذبا . أما إن استثنيت وقلت : لأفعلن كذا إن شاء الله ؛ ولم يقدرك الله تعالى على فعله : كنت صادقا ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أى اذكره إذا نسيته فعصيته ، واستغفره وتب إليه ! والعصيان لا يكون إلا عند نسيان الله تعالى ﴿وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً﴾ أى أحسن عملا ، وأقرب منفعة وهداية ﴿ولبثوا﴾ مكثوا

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً
ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ

مِائَةٍ

﴿فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ قال بعضهم : إن مدة لبثهم فى الكهف «ثلاثمائة سنين» شمسية «وازدادوا تسعاً» وهى السنين القمرية؛ لأنها تزيد ثلاث سنين فى كل مائة عام . وهو قول فيه الكثير من التكلف ، ويتنافى مع لغة العرب ــ التى جاء بها القرآن ــ قال الشاعر :

كانوا ثمانين وازدادوا ثمانية

يعنى أنهم ثمانية وثمانون؛ ولا يعقل أن يكون مقصد الشاعر : أنهم ثمانون بالحساب الشمسى ، وثمانية وثمانون بالحساب القمرى ! والذى أراه ــ من صريح لفظ القرآن الكريم ــ أن أصحاب الكهف مكثوا فى كهفهم «ثلاثمائة سنين» ثم بعثهم الله تعالى «وكذلك بعثناهم» وكان ما كان من أمرهم ــ الذى قصه الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام ــ ثم أنامهم الله تسع سنين؛ يدل عليه قوله تعالى «وازدادوا تسعاً» ثم أماتهم بعد ذلك ، وتم بناء المسجد فوقهم . وقيل : إنهم أحياء فى نومهم حتى ينفخ فى الصور؛ والله تعالى أعلم. ﴿أبصر به وأسمع﴾ وهى صيغة تعجب؛ أى ما أبصره تعالى بكل موجود ، وما أسمعه لكل مسموع ! ﴿لا مبدل لكلماته﴾ التى ذكرها فى كتابه الكريم : فقد وعد تعالى بحفظه من التبديل والتغيير، وبالتالى فإن مافيه من قصص، وعبر ، وترغيب ، وترهيب ، كله حق ، وكله واقع لا محالة ! ﴿ولن تجد من دونه﴾ غيره ﴿ملتحدا﴾ ملجأ﴿واصبر نفسك﴾احبسها ﴿بالغداة﴾ صباحا﴿والعشى﴾ مساء﴿يريدون﴾ بعبادتهم ﴿وجهه﴾ أى لا يريدون بطاعتهم الدنيا ــ مع حاجتهم إليها ــ بل يريدون عبادته تعالى ورضاءه !﴿ولا تعد عيناك﴾ لا تجاوز ، ولا تنصرف ﴿عنهم﴾ عن هؤلاء الطائعين؛ ولو كانوا من المعدمين ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ أى لا تصرف وجهك عن الفقراء ــ الذين لا يجدون ما يأكلون ، أو يلبسون ، أو يركبون ــ إلى الأغنياء الذين طعموا أحسن الطعام ، ولبسوا فاخر الثياب ، وركبوا فاره المركب؛ وجميع ذلك من زينة الحياة الدنيا . أما فى الآخرة فقد يعرى الكاسى ، ويكسى العارى ، ويركب الماشى ، ويحفى الراكب ! ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ عقوبة له ، وانتقاما منه؛ لاتباعه هواه ، وعصيانه مولاه ! ﴿واتبع هواه﴾ (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) ﴿وكان أمره فرطاً﴾ مجاوزاً عن الحق ، ومسرفا فى العصيان والكفر ﴿وقل الحق﴾ الإسلام والقرآن ﴿من ربكم فمن شاء﴾ منكم ﴿فليؤمن﴾ باختياره ﴿ومن شاء فليكفر﴾ بارادته؛ فقد خير الله تعالى الإنسان ، بين الكفر والإيمان؛ بعد أن بين له عاقبة الإيمان ، ومغبة الكفران ! ﴿إنا أعتدنا﴾ هيأنا =

مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

= وأعددنا (للظالمين) الكافرين (ناراً أحاط بهم سرادقها) أى تحيط بهم يوم القيامة إحاطة السرادق بمن فيه من الجموع ويقال للدخان، إذا ارتفع وأحاط بالمكان: سرادق (وإن يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) وهو المعدن المذاب، أو القطران، أو عكر الزيت (وساءت مرتفقاً) المرتفق: المتكأ، وهو ما يستند إليه بمرفق اليد: كالمخدة، ونحوها. والمعنى: انعدام الراحة فيها. أو هو كل ماينتفع به، وليس فى جهنم ما ينتفع به إطلاقا؛ وإنما سيقت للمقابلة مع قوله تعالى عن الجنة «وحسنت مرتفقاً» كما سيأتى

أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ

رَبِّى

(جنات عدن) جنات الإقامة؛ من عدن بالمكان: إذا أقام فيه (سندس) ما رق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه (الأرائك) السرر (واضرب لهم) يا محمد (مثلا) للكافر والمؤمن، أو لمن يغتر بالدنيا ويترك الآخرة وراء ظهره، ومن يرغب فى الآخرة ولا يحرص على الدنيا؛ فمثلهما كمثل (رجلين جعلنا لأحدهما) وهو المقبل على الدنيا، المنصرف عن الآخرة (جنتين) بستانين (من أعناب وحففناهما بنخل) والبستان إذا أحيط بالنخيل: ضم إلى حسن المخبر؛ جمال المنظر (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (كلتا الجنتين آتت أكلها) أعطت ثمرها كاملا (ولم تظلم منه شيئاً) أى لم تنقص من ثمارها شيئاً: أينعت كأحسن ما يكون الينع، وأثمرت كأحسن ما يكون الثمار! (وفجرنا خلالها نهراً) إمعاناً فى حسنهما وزيادة فى خصوبتهما (وكان له) أى لصاحب الجنتين (ثمر) مال وافر مثمر؛ مما حازه من جنتيه فى سابق أيامه (فقال لصاحبه) المقبل على الآخرة، المنصرف عن الدنيا (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أى وأعظم عشيرة. والنفر: الرهط؛ وهو ما دون العشرة. وترك صاحبه (ودخل جنته) دخل أحد بستانيه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر، وعدم الشكر وبالغرور والكبر؛ وحين رأى كثرة ثماره، وجريان أنهاره، وأوحى إليه الشيطان أن توافر المال والماء: موجب لتوافر المحصول والثراء! و (قال) فى نفسه (ما أظن أن تبيد هذه) الجنة (أبداً وما أظن الساعة قائمة) كما يزعمون (ولئن) كانت قائمة، و (رددت إلى ربى لأجدن) عنده (خيراً منها) أى خيراً من جنتى هذه (منقلباً) مرجعاً وعاقبة؛ وذلك كقول نظائره من الكافرين «وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى» (قال له صاحبه) المؤمن؛ رداً على ما قاله: كيف تقول ماقلت؟ وكيف تنكر البعث والقيامة؟ (أكفرت بالذى خلقك) أى خلق آدم ــ وهو أصل البشرية ــ خلقه الله تعالى (من تراب ثم) خلق أبناءه جميعاً (من نطفة) منى (ثم سواك رجلا) سميعاً، بصيراً، عاقلا (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (لكنا) أصلها =

رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ
قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾
أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ
أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ
ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ

= «لكن أنا» ﴿هو الله ربى﴾ أى أناشأنى أن أقول: «الله ربى» ﴿ولا أشرك بربى أحداً﴾ ولا أكفر بنعمته تعالى؛ كما كفرت أنت! ﴿ولولا﴾ وهلا ﴿إذ دخلت جنتك قلت﴾ عند إعجابك بها، وسرورك من منظرها ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ ولم تقل «ما أظن أن تبيد هذه أبداً» إنك ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً﴾ فى هذه الدنيا الفانية ﴿فعسى ربى أن يؤتين﴾ فى الآخرة الباقية ﴿خيراً من جنتك﴾ التى تعجب بها وتفخر ﴿ويرسل عليها حسباناً﴾ والحسبان أيضاً: العذاب؛ وهو يشمل كل آفة تنزل من السماء؛ فتهلك الزرع ﴿فتصبح﴾ جنتك الزاهية الزاهرة، المثمرة الناضرة ﴿صعيداً زلقاً﴾ أرضاً جرداء ملساء؛ لا تثبت عليها قدم ﴿أو يصبح ماؤها﴾ الذى يتوقف عليه إثمارها وازدهارها ﴿غوراً﴾ غائراً: أى ذاهباً فى الأرض ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ وكيف يطلب مالاوجود له أصلا؟! وقد حقق الله تعالى ماقاله المؤمن فى جنة الكافر: فأنزل الله من السماء ماأتلفها وأخواها! ﴿وأحيط بثمره﴾ هو كناية عن إهلاك الثمار عن آخرها ﴿فأصبح﴾ الكافر ﴿يقلب كفيه﴾ يضرب إحداهما على الأخرى؛ ندماً وتحسراً ﴿على ماأنفق فيها﴾ أى فى الجنة: من جهد، ووقت، ومال ﴿ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحداً﴾ بعد أن علم أن كفره كان سبباً لما حل به من المصائب ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ فيمنعون عنه مانزل به، ويحولون دون ماأراده الله تعالى به من خزى وخسران! ﴿وما كان منتصرا. هنالك﴾ عند حلول انتقام العزيز الجبار ﴿الولاية﴾ السلطان، والملك، والقدرة والنصرة ﴿لله الحق﴾ لا لغيره! أو «هنالك» يوم القيامة؛ عند معاقبة العاصين، وإثابة الطائعين ﴿هو خير ثواباً﴾ أى خير من يثيب على الإيمان والطاعة ﴿وخير عقباً﴾ أى عاقبة للمؤمنين ﴿واضرب لهم﴾ يامحمد ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ وحسنها وبهجتها؛ مع سرعة زوالها وانقضائها ﴿كماء أنزلناه من السماء﴾ بيسر وسهولة ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ أى شرب منه، ونما وازدهر بسببه؛ غير أنه ذبل بعد ذلك ﴿فأصبح هشيما﴾ يابساً متكسراً ﴿تذروه الرياح﴾ تنسفه وتطيره ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ فبهما الغنى والسعة، واليسر والعون - فى هذه الدنيا المحتقرة - فلا تجعلوا المال مأربكم، والبنين مطلبكم: تجمعون المال وتنسون المآل، وتخصون بنيكم بالخير، وتغفلون الغير؛ مع أن الله تعالى قد وعد منفقا خلفاً، وأوعد ممسكا تلفاً!

ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ

يَقُولُ

﴿والباقيات الصالحات﴾ أعمال الخير والبر ﴿خير عند ربك ثوابا﴾ وأجراً؛ من الدنيا وما فيها، ومن فيها ﴿وخير أملا﴾ أى أفضل أملا من ذى المال والبنين، بغير عمل صالح ﴿ويوم نسير الجبال﴾ فى الجو، أو نذهب بها؛ بأن نجعلها هباء منثوراً ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة؛ لا يسترها شىء مما كان عليها؛ من الجبال والأشجار ﴿وحشرناهم﴾ أى جمعنا الخلائق فى المحشر للحساب ﴿فلم نغادر﴾ لم نترك ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ أى مصطفين؛ بحيث لا يخفى أحد منهم، أو يستتر بغيره؛ ويقال لهم وقت عرضهم ﴿لقد﴾ بعثناكم بعد موتكم، وأعدناكم بعد بلاء أجسادكم؛ وها أنتم أولاء ﴿جئتمونا﴾ بأجسادكم وأرواحكم ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ وقد ذكرنا لكم ذلك - على لسان رسلنا - فكذبتم وعصيتم و ﴿زعمتم ألن نجعل لكم موعداً﴾ نحاسبكم فيه ﴿ووضع الكتاب﴾ الذى فيه أعمال الخلائق؛ منذ ولادتهم حتى موتهم ﴿فترى المجرمين﴾ الكافرين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من أعمال سيئة عملوها، وجرائم بغيضة ارتكبوها ﴿لا يغادر﴾ لا يترك ﴿ووجدوا ما عملوا﴾ فى الدنيا ﴿حاضراً﴾ مثبتاً فى الصحف، واضحاً. أو وجدوا جزاء ما عملوا معداً لهم ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ خرج عن طاعته ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء﴾ ومن ذرية إبليس اللعين: من يوسوس فى الصلاة، ومن يحض على الزنا، ومن يأكل مع من لم يسم الله، ومن يزعج عند المصيبة ويحض على عدم الصبر! إلى ما لا نهاية له من الإضلال والإفساد ﴿وهم لكم عدو﴾ ألا ترون أنهم ينصبون لكم الأحابيل، ويزينون لكم الأباطيل! ﴿بئس للظالمين﴾ الكافرين ﴿بدلا﴾ أن يستبدلوا طاعة الله تعالى ورسله؛ بطاعة إبليس وذريته! ﴿ما أشهدتهم﴾ أى ما أشهدت إبليس وذريته ﴿خلق السموات والأرض﴾ وما استعنت بهم ﴿ولا﴾ أشهدتهم ﴿خلق أنفسهم﴾ أى ولم أشهد بعضهم خلق بعض؛ بل خلقت الجميع بإرادتى وقدرتى؛ ولم أستعن بأحد منهم: فكيف تطيعونهم وتتبعونهم ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أى أعوانا أعتضد بهم وأستعين ﴿ويوم يقول﴾ الله تعالى

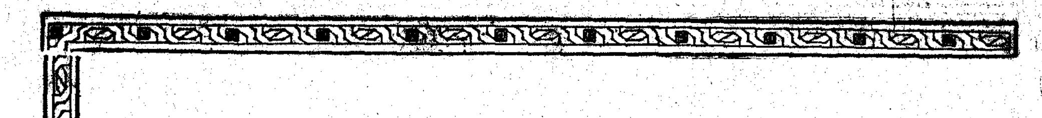
﴿نادوا شركائى﴾ الذين أشركتموهم معى فى العبادة ﴿فدعوهم﴾ فنادوهم، أواستغاثوا بهم ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ وكيف يجيب من لا يجد له مستجيب؟ أو كيف يغيث من ليس له مغيث؟! ﴿وجعلنا بينهم﴾ أى بين العابدين والمعبودين ﴿موبقاً﴾ مهلكا؛ وهو جهنم: يهلكون فيها جميعاً. وقيل «موبقاً» حاجزاً بينهم وبين من عبدوا؛ من الملائكة، وعزير، وعيسى؛ إذ أنهم فى أعالى الجنات، وعابديهم فى أحط الدركات! ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ تيقنوا وتأكدوا؛ والظن يأتى فى القرآن الكريم دائماً بمعنى اليقين؛ ما لم تدل قرينة السياق على خلافه؛ كقوله تعالى «إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» ﴿مواقعوها﴾ مخالطوها وواقعون فيها ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا ﴿من كل مثل﴾ ضربناه للناس: تقريباً لأفهامهم، وكل عظة تسلك فى قلوبهم، وكل حجة تدخل فى عقولهم: ليتذكروا، ويتعظوا، وينزجروا، وينيبوا ﴿وكان الإنسان أكثر شىء جدلا﴾ أى أكثر مراء، وخصومة: لا يرجع عن باطله، ولا يثوب إلى رشده! ولعل المراد بالإنسان: الكافر فحسب؛ فقد وصفه الله تعالى بالجدال فى غير موضع من كتابه الكريم: «وجادلوا بالباطل» «ويجادل الذين كفروا بالباطل» «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم» ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أى أىّ مانع يمنع الناس عن الإيمان؛ بعد نزول القرآن؟! ولا حجة لمن ألحد بزعمه أن الله تعالى منعهم عن الإيمان، وصرفهم عن الإيقان؛ بل وسلك فى قلوبهم الكفران؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ أى إن المانع لهم من الإيمان: بالغ جهلهم، ومزيد حمقهم؛ وطلبهم معاينة الهلاك الذى حل بأمثالهم من الأمم السابقة؛ كقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ مقابلة وعيانا ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ من آمن بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من كفر بالنار ﴿ليدحضوا﴾ يبطلوا ﴿واتخذوا آياتى﴾ القرآن ﴿وما أنذروا﴾ به من الحساب والعذاب ﴿هزواً﴾ سخرية ﴿ومن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ المنذرة له بسوء المنقلب ﴿ونسى ما قدمت يداه﴾ من كفر وعصيان؛ فلم يرجع عن كفره، ولم يتب من عصيانه ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أن يفهموا هذا القرآن: عقوبة لهم. قال تعالى «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون» ﴿و﴾ جعلنا ﴿فى آذانهم وقراً﴾ صمماً أن يسمعوه ﴿و﴾ ذلك لأنهم ﴿إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ كفراً منهم وعناداً

يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ

لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ

إِنَّكَ

﴿لو يؤاخذهم﴾ الله ﴿بما كسبوا﴾ عملوا من سيئات ﴿لعجل لهم العذاب﴾ فى الدنيا ﴿بل لهم موعد﴾ يعذبون فيه: وهو يوم القيامة ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ ملجأ ﴿وتلك القرى﴾ أى أهلها: كقرى عاد، وثمود، وقوم لوط، وغيرهم ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ لما كفروا؛ كما كفر هؤلاء ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ لإهلاكهم ﴿موعداً﴾ وهو إقامة الحجة عليهم، واليأس من إيمانهم ﴿وإذ قال موسى﴾ ابن عمران ﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون؛ وكان تابعاً له يخدمه، ويتلقى منه العلم ﴿لا أبرح﴾ أى لا أزال سائراً ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ ملتقى بحر فارس والروم؛ مما يلى المشرق ﴿أو أمضى حقباً﴾ زمانا طويلا ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أى بين البحرين ﴿نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سرباً﴾ يعنى دخل فى الماء واستتر به؛ والمراد أن الحوت اتخذ سربا فى البحر لطريقه. والسرب: الشق الطويل ﴿فلما جاوزا﴾ أى جاوز موسى وفتاه ذلك المكان ــ الذى تسرب فيه الحوت من حيث لا يدريان ــ وسارا فى طريقهما المرسوم، وبلغ منهما الجوع مبلغه؛ وحل وقت الغداء من اليوم الثانى لتسرب الحوت ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾ والغداء: ما يؤكل فى الغدوة؛ وهى أول النهار؛ وليس كما يتوهمه الأكثرون من أنه وقت الظهيرة ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ تعبا، ومشقة، وجوعا ﴿قال﴾ له فتاه ﴿أرأيت﴾ أى أتذكر ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ لنستريح عليها؛ عند مجمع البحرين ﴿فإنى﴾ عند ذاك ﴿نسيت الحوت﴾ أى نسيت أن أتفقده ﴿أن أذكره﴾ أن أتذكره وأحتفظ به ﴿قال﴾ له موسى ﴿ذلك﴾ الذى حدث ﴿ما كنا نبغ﴾ هو الذى كنا نطلبه ﴿فارتدا﴾ رجعا ﴿على آثارهما﴾ من حيث جاءا ﴿قصصا﴾ يتتبعان طريقهما الذى أتيا منه ﴿فوجدا﴾ عند الصخرة: التى استراحا عليها، ونسيا الحوت عندها ﴿عبداً من عبادنا﴾ هو الخضر عليه السلام ﴿آتيناه رحمة﴾ الرحمة: الوحى، والنبوة؛ يدل عليه قوله تعالى «أهم يقسمون رحمة ربك» وقوله تعالى فى نهاية هذه القصة؛ على لسان الخضر عليه السلام «وما فعلته عن أمرى» أى إنما فعلت ما فعلت بوحى من الله تعالى. وأكثر المفسرين على أنها ــ فى هذه الآية التى نحن بصددها ــ الولاية، وكشف الحجب؛ والذى أراه ويقتضيه السياق: أنها النبوة قولا واحداً: إذ لا يعقل أن يوجد فى زمن أى نبى من هو أعلم وأحكم منه: لأن النبى ــ فى كل زمان ــ خيرة الله تعالى من أهل ذلك الزمان ﴿رشداً﴾ أى صوابا أسترشد به



إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا

﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً﴾ أى على مالم تعلم حقيقة خبره

﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ عظيما منكراً

﴿ولا ترهقنى﴾ تكلفنى ﴿من أمرى عسراً﴾ مشقة ؛ بل عاملنى بالعفو واليسر

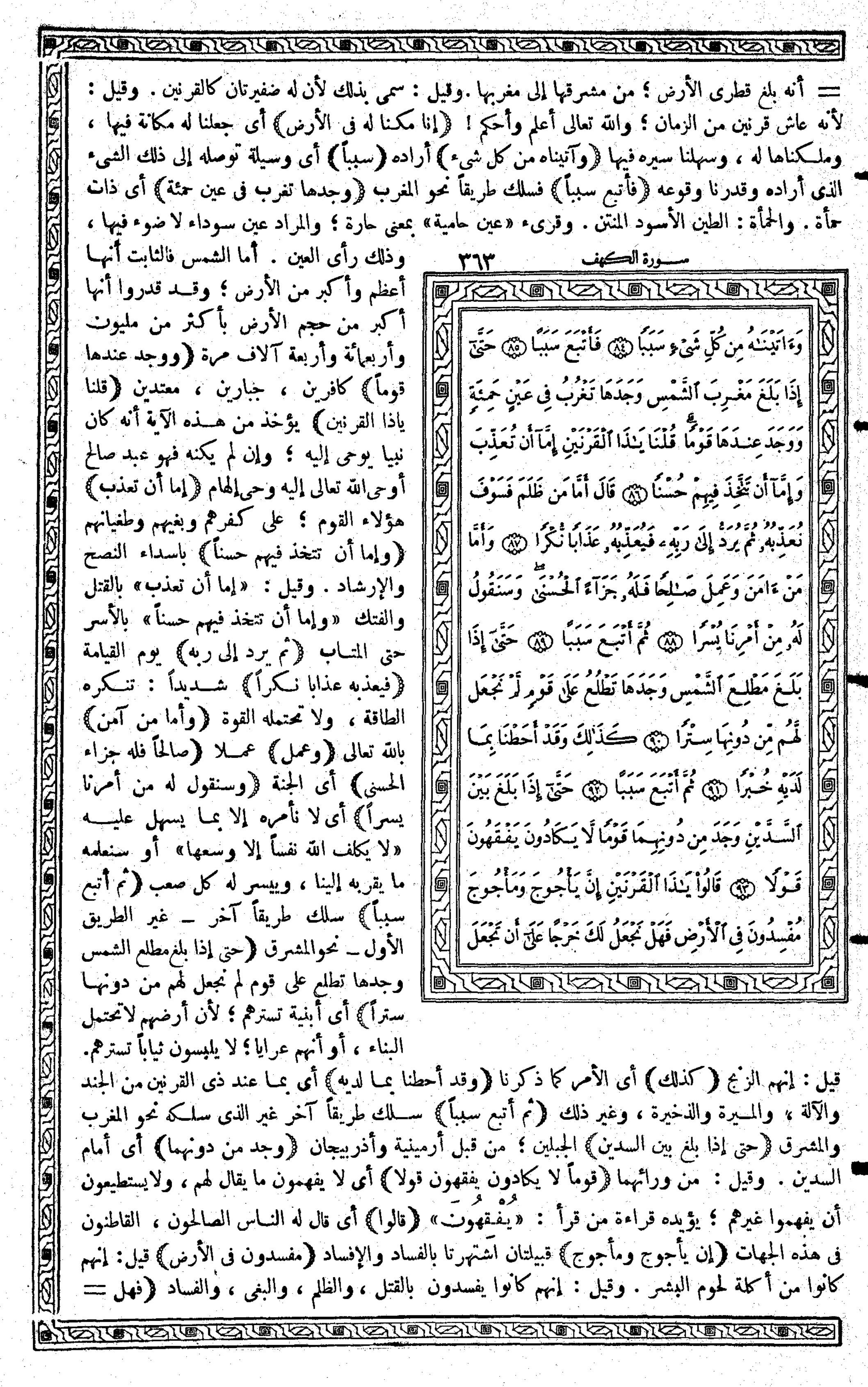
﴿قال أقتلت نفساً زكية﴾ طاهرة ، بريئة من الذنب ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ عظيما منكراً

﴿قد بلغت من لدنى عذراً﴾ أى قد قام عذرك فى مطالبتى بعدم مصاحبتك ؛ كما قطعت على نفسى ﴿استطعما أهلها﴾ طلبا منهم أن يطعماهما على سبيل الضيافة

﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ لبخل فاش فيهم . والبخل من أحط الصفات المذمومة ؛ خاصة إذا كان بالطعام لقوم جياع قد طلبوه بأنفسهم ! والبخـل : يمحو سائر الحسنات ، كما أن السخاء يمحو السيئات ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه﴾ أى جداراً آيلا للسقوط فبناه . من هنا يعلم أن الإحسان يجب على المحسن ؛ لمن أحسن أو أساء ، وأنه يبذل من غير مقابل ! ومن عجب أنا نرى النفوس الشريرة تقابل الإحسان بالإساءة ، وتجزى الخير بالشر ! ﴿قال﴾ موسى للخضر عليهما السلام ﴿لو شئت لاتخذت عليه﴾ أى على بناء الجدار ﴿أجراً﴾ نطعم به ؛ لأنهم أبوا مجاملتنا بقليل الطعام ؛ فكيف نجاملهم بهـذا العمل الـكبير الخطـير ! ؟ ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ والمسكين : أحسن حالا من الفقير ؛ لأن الفقير: هو الذى لايجد القوت ، والمسكين: الذى يجد الكفاف ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى «أما السفينة فكانت لمساكين» فوصفهم تعالى بالمسكنة ؛ مع أنهم يملكون سفينة تؤجر للركوب والحمل ؟ وقال قوم بأن المسكين أشد بؤساً من الفقير . والقول الذى قلناه أولى ؛ يظاهره المعقول والمنقول ؛ وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ من الفقر ، وكان يقول «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً» ويستحيل عقلا أن يتعوذ عليه الصلاة والسلام من الفقر ؛ ثم يسأل ما هو أسوأ حالا منه . وقد قيده تعالى بقوله «أو مسكيناً ذا متربة» أى ذا فقر ﴿وكان وراءهم﴾ أى فى طلبهم . وقيـل : «وراءهم» أى أمامهم فى سيرهم ﴿فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ إذا عاش . وبلغ مبلغ الرجال ؛ لأن الله تعالى علم عنه ذلك ، وأمرني بما هنالك ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ من الأبناء الصلحاء ﴿خيراً منه زكاة﴾ أى إيماناً وصلاحا وتقى ﴿وأقرب رحماً﴾ أى رحمة بوالديه ، وبراً بهما ! فانظر يارعاك الله ، إلى حكمة الله : لقد فرح الأبوان بابنهما حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ؛ ولو بقي لخسرا بسببه الدنيا والآخرة ! فارض هداك الله ، بقضاء الله ؛ فإن قضاءه للمؤمن فيما يكره ؛ خـير له من قضائه فيما يحب ! ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ يؤخذ من هذا : أن صلاح الآباء ، ينفع الأبناء ؛ حتى قيام الساعة ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أى رشدهما . وبلوغ الأشد : اكتمال القوة ؛ وهو ما بين ثمـانى عشرة ؛ إلى ثلاثين سنة ﴿وما فعلته عن أمرى﴾ وإنما فعلته بوحى من ربى ؛ وهذا أيضاً دليل على نبوة الخضر عليه السلام ؛ كما قدمنا ﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾ قيل : إنه الاسكندر الأكبر الرومى المقدونى . وقيل : إنه غيره . وذهب قوم إلى أنه نبى ، أو رجل صالح ؛ أرسله الله تعالى لإحداث أحداث كونية ، روحية ؛ وقد مدحه الله تعالى فى القرآن . وسبب تسميته بذى القرنين: =

أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ

وَءَاتَيْنَٰهُ



وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ

= أنه بلغ قطرى الأرض ؛ من مشرقها إلى مغربها . وقيل : سمى بذلك لأن له ضفيرتان كالقرنين . وقيل : لأنه عاش قرنين من الزمان ؛ والله تعالى أعلم وأحكم ! ﴿إنا مكنا له فى الأرض﴾ أى جعلنا له مكانة فيها ، وملكناها له ، وسهلنا سيره فيها ﴿وآتيناه من كل شيء﴾ أراده ﴿سبباً﴾ أى وسيلة توصله إلى ذلك الشيء الذى أراده وقدرنا وقوعه ﴿فأتبع سبباً﴾ فسلك طريقاً نحو المغرب ﴿وجدها تغرب فى عين حمئة﴾ أى ذات حمأة . والحمأة : الطين الأسود المنتن . وقرىء «عين حامية» بمعنى حارة ؛ والمراد عين سوداء لا ضوء فيها ، وذلك رأى العين . أما الشمس فالثابت أنها أعظم وأكبر من الأرض ؛ وقد قدروا أنها أكبر من حجم الأرض بأكثر من مليون وأربعمائة وأربعة آلاف مرة ﴿ووجد عندها قوماً﴾ كافرين ، جبارين ، معتدين ﴿قلنا ياذا القرنين﴾ يؤخذ من هذه الآية أنه كان نبيا يوحى إليه ؛ وإن لم يكنه فهو عبد صالح أوحى الله تعالى إليه وحى إلهام ﴿إما أن تعذب﴾ هؤلاء القوم ؛ على كفرهم وبغيهم وطغيانهم ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ باسداء النصح والإرشاد . وقيل : «إما أن تعذب» بالقتل والفتك «وإما أن تتخذ فيهم حسناً» بالأسر حتى المتاب ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ يوم القيامة ﴿فيعذبه عذابا نكراً﴾ شديداً : تنكره الطاقة ، ولا تحتمله القوة ﴿وأما من آمن﴾ بالله تعالى ﴿وعمل﴾ عملا ﴿صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ أى الجنة ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أى لا نأمره إلا بما يسهل عليه «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» أو سنعلمه ما يقربه إلينا ، وييسر له كل صعب ﴿ثم أتبع سبباً﴾ سلك طريقاً آخر ــ غير الطريق الأول ــ نحو المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ أى أبنية تسترهم ؛ لأن أرضهم لا تحتمل البناء ، أو أنهم عرايا ؛ لا يلبسون ثياباً تسترهم. قيل : إنهم الزنج ﴿كذلك﴾ أى الأمر كما ذكرنا ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ أى بما عند ذى القرنين من الجند والآلة ، والميرة والذخيرة ، وغير ذلك ﴿ثم أتبع سبباً﴾ سلك طريقاً آخر غير الذى سلكه نحو المغرب والمشرق ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ الجبلين ؛ من قبل أرمينية وأذربيجان ﴿وجد من دونهما﴾ أى أمام السدين . وقيل : من ورائهما ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولا﴾ أى لا يفهمون ما يقال لهم ، ولا يستطيعون أن يفهموا غيرهم ؛ يؤيده قراءة من قرأ : «يُفْقِهُونَ» ﴿قالوا﴾ أى قال له الناس الصالحون ، القاطنون فى هذه الجهات ﴿إن يأجوج ومأجوج﴾ قبيلتان اشتهرتا بالفساد والإفساد ﴿مفسدون فى الأرض﴾ قيل: إنهم كانوا من أكلة لحوم البشر . وقيل : إنهم كانوا يفسدون بالقتل ، والظلم ، والبغى ، والفساد ﴿فهل =

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ
فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي
زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا
حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا اسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي
مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

الَّذِينَ

= نجعل لك خرجا﴾ جعلا ، وفى قراءة «خراجا» ﴿قال ما مكنى فيه ربى﴾ أى ما جعلنى متمكناً فيه : من القوة ، والحيلة ، والمال والعتاد ﴿خير﴾ مما تعرضونه على من الخراج ﴿فأعينونى بقوة﴾ أى بقوتكم البدنية ، ومعونتكم الجسمانية ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ جداراً ، وحاجزاً حصيناً ﴿آتونى زبر الحديد﴾ وهى القطع الكبيرة من الحديد ﴿حتى إذا ساوى﴾ بذلك الحديد ﴿بين الصدفين﴾ جانبى الجبلين ؛ وسد الفرجة التى بين السدين ، والتى يتسرب منها يأجوج ومأجوج إلى الذين لجأوا إلى الإسكندر ، واستصرخوا به ؛ وقد سدها بقطع كبيرة متفرقة من الحديد ، ووضع حول القطع ناراً ؛ ثم ﴿قال انفخوا﴾ على النار ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ أى صهر الحديد وجعله كالنار ﴿قال آتونى أفرغ عليه قطراً﴾ نحاساً مذابا بين ثنايا قطع الحديد ﴿فما اسطاعوا﴾ أى فما استطاع يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوا السد ؛ لمزيد ارتفاعه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ لعظمه وصلابته ؛ فلما أتم السد ﴿قال هـذا﴾ أى القدرة على بناء هذا السد وإتمامه ﴿رحمة من ربى﴾ بالعباد والبلاد؛ إذ كف بالسد أذى يأجوج ومأجوج عنهم ﴿فإذا جاء وعد ربى﴾ بالقيامة ، وخروجهم قبيلها ﴿جعله دكاء﴾ أى هدمه وحطمه وأزاله وجعله مستويا بالأرض ﴿وتركنا بعضهم يومئذ﴾ أى يوم خروجهم ﴿يموج فى بعض﴾ يختلطون ويضطربون لكثرتهم ﴿ونفخ فى الصور﴾ القرن : ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام ، بأمر ربه تعالى ﴿فجمعناهم﴾ أى الخلائق أجمعين ، فى مكان واحد ﴿الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى﴾ أى عن القرآن ؛ فهم عمى لايهتدون به ! ﴿وكانوا لايستطيعون سمعاً﴾ «صم بكم عمى فهم لايرجعون» ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى﴾ من الملائكة ، وعيسى ، وعزير ﴿من دونى أولياء﴾ يوالونهم بالعبادة ؛ مع مساواتهم لهم فى الحاجة والعجز ﴿إنا أعتدنا﴾ هيأنا وأعددنا ﴿جهنم للكافرين نزلا﴾ النزل : المكان المعد لنزول الضيف وإكرامه ، أى ان نهاية إكرامهم : أن تكون جهنم نزلا لهم !

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ كتبه ﴿ولقائه﴾ أي وكفروا أيضاً بالبعث والحساب ، والثواب والعقاب ﴿فحبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ الصالحة ، التي عملوها في الدنيا ﴿فلا نقيم لهم﴾ ولا لأعمالهم ﴿يوم القيامة وزنا﴾ بل نتركهم في نهاية الذلة ، وغاية المهانة ؛ غير ما أعددناه لهم من عذاب أليم ، وشر مقيم ! ﴿حولا﴾ تحولا ﴿قل لو كان البحر﴾ بمائه الكثير الوفير ﴿مداداً﴾ المداد : الذي يكتب به ﴿لكلمات ربي﴾ الدالة على عظمته وربوبيته ، وعلمه وحكمته ﴿لنفد البحر﴾ فرغ ماؤه في الكتابة ﴿قبل أن تنفد﴾ تنتهي ﴿كلمات ربي ولو جئنا بمثله﴾ بمثل البحر ﴿مدداً﴾ لنفد أيضاً ذلك المدد ، قبل أن تنفد كلمات الله تعالى ! وهو تصوير لقدرته تعالى ، ومزيد سلطانه ! وليس المراد حقيقة الكلام ؛ من مداد وأقلام ؛ إذ أن كلماته تعالى ــ في تكوينها ــ لا هجائية ؛ بل إرادية ، فالمخلوقات الربانية ؛ والمبدعات الإلهية : إن هي إلا كلمات بليغة ؛ ينطق بها لسان الحال ، بما هو أفصح من لسان المقال . وإن لله تعالى كتابين دالين على وجوده وشهوده ؛ يقوم كلاهما بالهداية إليه ، والتعريف به: أحدهما : كتابا مخلوقا ؛ وهو الكون وما فيه من عجائب تجل عن الحصر ، وغرائب تعز عن الوصف . وثانيهما : كتابا قديماً محدثاً منزلا : وهو القرآن ؛ وفيه ما فيه من لآلئ المعاني ، وينابيع الحكم ، وبليغ الكلم ! (انظر آية ٢٧ من سورة لقمان)

(١٩) سُورَةُ مَريَمَ مَكيَّة
إلا آيتى ٥٨ و٧١ فمدنيتان
وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ اسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ

(ســورة مريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أى إن فى هذه السورة: ذكر رحمة ربك لعبده زكريا (إذ نادى ربه نداءً خفياً) سراً: لم يسمعه سوى مولاه! (قال رب إنى وهن العظم منى) ضعف لشيخوختى وكبر سنى (ولم أكن بدعائك رب شقياً) أى كنت سعيداً بإجابة دعائى فيما مضى؛ فلا تخيب رجائى فيما يأتى (وإنى خفت الموالى) الذين يلوننى فى النسب (من ورائى) من بعدى. وخوفه منهم: إهمالهم للدين، وعدم تمسكهم به، وتضييعهم له؛ كما ضيعته بنو إسرائيل فى غيبة موسى، وبعد وفاته (وكانت امرأتى عاقراً) عقيما لا تلد؛ لكبر سنها (فهب لى من لدنك) من عندك (ولياً) يلى أمرى من بعدى، ويدعو الناس لمعرفتك وعبادتك (يرثنى ويرث من آل يعقوب) أى يرث ما أوتيناه من علم، ودين، وحكمة (واجعله رب رضياً) أى مرضياً عندك فى دينه، ومرضياً عند الناس فى خلقه! (لم نجعل له من قبل سمياً) أى لم نجعل له نظيراً. وقيل: لم نجعل مسمى بيحيى قبله (قال رب أنى) كيف (وكانت امرأتى عاقراً) عقيما لاتلد (وقد بلغت من الكبر عتياً) من عتا: إذا يبس. أى بلغت نهاية السن. قيل: كان عمره وقتذاك مائة وعشرين سنة

﴿قال رب اجعل لى آية﴾ علامة على ذلك ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ أى بأيامها . وقد كانوا يتقربون إلى الله تعالى بالصوم عن الطعام والكلام ، والتفرغ للعبادة ؛ ولا يزال ـ ولن يزال ـ

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ

الصيام والتفرغ للعبادة من موجبات إجابة الدعاء ، وتحقق الرجاء ! ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ وهو موضع الصلاة ﴿فأوحى﴾ أشار وأومأ ﴿إليهم أن سبحوا﴾ انقطعوا لعبادة الله تعالى وذكره ﴿بكرة وعشياً﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿يايحيي خذ الكتاب بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ أى آتيناه الرشاد والسداد ؛ اللذين يؤهلانه لأن يحكم بين الناس . قيل : كان وهو ابن ثلاث سنين يدعوه الصبيان للعب معهم ؛ فيقول : ما للعب خلقت ﴿وحناناً﴾ أى وآتيناه ﴿من لدنا﴾ حناناً ؛ وهو الرأفة ، والشفقة ، والمحبة ﴿وزكاة﴾ طهارة ، وبركة ﴿واذكر فى الكتاب مريم﴾ ابنة عمران ﴿إذ انتبذت﴾ اعتزلت وانفردت ﴿من أهلها مكاناً شرقياً﴾ قيل : حاضت ؛ فاعتزلت المحراب ، وذهبت قبل المشرق ﴿فاتخذت من دونهم﴾ ناحيتهم ﴿حجابا﴾ ستراً يسترها عن الناس . قيل : لتغتسل من حيضتها ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشراً﴾ أى كالبشر . والملائكة : أجسام نورانية ؛ تتشكل ـ بأمر الله تعالى ـ كيف شاءت ﴿سويا﴾ أى مستوى الخلقة ؛ فلا هو بالكسيح ، ولا الأعمى ؛ بل حسن الوجه ، مستوى الجسم ﴿قالت﴾ مريم ؛ لما رأته معترضاً طريقها ﴿أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أى إن كنت ممن يتقى الله ويخافه ، ويخشى غضبه وعذابه : فلا تتعرض لى بسوء ! ﴿قال﴾ جبريل : لا تخافى يامريم ، ولا تخشى سوءاً ﴿إنما أنا رسول ربك﴾ إليك ﴿لأهب لك﴾ بأمره وقدرته ﴿غلاما زكيا﴾ طاهراً مباركا ! وقرئ «ليهب لك» أى ربك ﴿قالت أنى﴾ كيف ﴿يكون لى غلام و﴾ أنا عذراء ﴿لم يمسسنى بشر﴾ بتزوج

(ولم أك بغياً) زانية (قال كذلك قال ربك هو علىّ هين) وقوله قضاء وأمر. قيل: لما رأى يوسف النجار مظاهر الحمل على مريم ــ وقد كان لا يشك فى طهرها وصلاحها ــ سألها قائلا: هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت مريم: نعم. قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم؛ ألم تعلم بأن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع ــ يوم خلقه ابتداء ــ من غير بذر؟ والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر! أولم تعلم أن الله تعالى بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر؛ بعد ماخلق كل واحد منهما وحده؟! أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء؛ ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟! أولم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وزوجه من غير أنثى ولا ذكر؟! قال يوسف: بلى! ووقع فى نفسه أن الذى بها شىء من الله تبارك وتعالى! (ولنجعله آية) علامة للناس؛ دالة على قدرتنا، وتصديقاً لرسالته (ورحمة منا) بهم؛ لأنه أرسل لهدايتهم ولإرشادهم (فحملته) حملت بعيسى عليه السلام؛ بعد أن نفخ جبريل فى جيب درعها (فانتبذت) اعتزلت (به) بحملها (مكاناً قصياً) بعيداً. قيل: كانت مدة الحمل ساعة واحدة (فأجاءها) ألجأها (المخاض) وجع الولادة (إلى جذع النخلة) أصلها. قيل: كانت يابسة غير مثمرة (قالت) حين رأت ما يجر عليها ذلك من الفضيحة (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) لا يذكرنى أحد بخير أو بشر! وهنا ظهرت آية الله تعالى، ونزل عيسى عليه الصلاة والسلام للوجود؛ ليكون شاهداً على قدرته تعالى، هاديا إلى دينه، مبشراً بخاتم رسله! (فناداها) عيسى (من تحتها ألا تحزنى) ففزعت مريم وأجابته: وكيف لا أحزن وأنت معى؟ لا ذات زوج فأقول: من زوجى؛ ولا مملوكة فأقول: من سيدى! فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام. وقيل المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام (قد جعل ربك تحتك سريا) سيداً كريماً. وقيل: نهر ماء؛ كان منقطعاً وأجراه الله تعالى إرهاصاً لولادة عيسى عليه السلام (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) ولو شاء ربك لأنزل الرطب من غير هز الجذع؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شىء سبباً. والرطب من أفضل الأغذية والأدوية للوالدات (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (فإما ترين من البشر أحداً) أى فإن رأيت آدميا (فقولى) لمن ترينه، ويسألك عن هذا الغلام (إنى نذرت للرحمن صوماً) صمتاً (فلن أكلم اليوم إنسيا) بعد ذلك وكان صومهم عن الطعام والكلام (قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا) عجيباً عظيما؛ وقد أرادوا بذلك الزنا؛ =

بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ

وَجَعَلَنِى

= لأن الولد من الزنا : كالشيء المفترى ؛ قال تعالى «ولا يأتين ببهتان يفترينه» أريد به الولد ؛ يقصد إلحاقه بالزوج وليس منه ﴿يأأخت هرون﴾ فى العفة ، والصلاح ، والتقى . وكان رجلا مشهوراً بالدين ، مشهوداً له بالطهر ، منقطعاً إلى عبادة الله تعالى . وقيل : قصد به هرون أخو موسى عليهما السلام ﴿ما كان أبوك امرأ سوء﴾ أى ما كان زانياً : فتطلعين مثله ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ زانية ﴿فأشارت إليه﴾ أى إلى عيسى : أن كلموه هو ولا تكلمونى ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً﴾ المهد: فراش الطفل . وبينما هم فى جدالهم

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ

مع مريم ؛ إذا بعيسى يرد عليهم ﴿قال إنى عبد الله آتانى الكتاب﴾ الإنجيل ، وقال: «آتانى الكتاب» وهو لم يؤته بعد ؛ بمعنى سيؤتينى: وذلك لتحقق الإيتاء ؛ ولأن الله تعالى قضى أزلا بنزول الكتاب عليه ، واختياره للنبوة ﴿وجعلنى نبياً﴾ أى سيجعلنى . وقال بعضهم : إن الله تعالى آتاه الكتاب ، وجعله نبياً فى هذه السن ؛ كما علم آدم الأسماء كلها وهو لم يعد طور التكوين بعد ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ أى القول الحق : إنه عيسى ابن مريم ؛ لا ابن الله كما زعم الكافرون ؛ ﴿الذى فيه يمترون﴾ يختلفون ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ كما يزعمون ﴿سبحانه﴾ تنزه وتقدس عما يقولون ! (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿إذا قضى أمراً﴾ أراده ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ من غير تعب ، ولا نصب ، ولا مثال سبق ! ﴿هذا صراط مستقيم﴾ طريق قويم ؛ مؤد إلى الجنة ! ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ أى ما أسمعهم ، وما أبصرهم فى الآخرة ؛ رغم تصامهم فى الدنيا عن سماع آيات الله تعالى ، وتعاميهم عن رؤية الحق ، والنظر إلى حجج الله تعالى الدالة على وحدانيته وقدرته ؛ ويقولون فى الآخرة «ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون» ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ يوم القيامة : يتحسر فيه الكافر على كفره ، والظالم على ظلمه ، والمسيء على إساءته ﴿إذ قضى الأمر﴾ بدخولهم النار ﴿وهم فى غفلة﴾ عن ذلك فى الدنيا ﴿واذكر فى الكتاب﴾ القرآن ﴿إبراهيم﴾ جد رسولنا عليهما الصلاة والسلام ، ورأس الملة الحنيفية

إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

موسى

﴿إنه كان صديقاً﴾ مبالغا فى الصدق ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر﴾ من الأصنام؛ وتدع الخالق الرازق، السميع البصير! ﴿فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ طريقاً مستوياً مستقيما؛ موصلا للسعادة الأبدية

﴿قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم﴾ أى أتاركها ومنصرف عنها؟ يقال: رغب فى الشيء: إذا أراده. ورغب عنه: إذا لم يرده ﴿واهجرنى ملياً﴾ أى دهراً طويلا

﴿إنه كان بى حفياً﴾ مكرما ﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾ أى وما تعبدون من الأصنام ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿وأدعو ربى﴾ أعبده ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً﴾ أى عسى ألا أشقى بعبادة ربى، كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام ﴿فلما اعتزلهم﴾ فارقهم، وترك معاشرتهم ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ النبوة، والمال، والولد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ وهو الثناء الطيب، والذكر الحسن من جميع أهل الأديان

مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩
* فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

﴿واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾ خلصه الله تعالى من دنس الشرك ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أى من جانب الجبل الذى يلى يمين موسى؛ قائلين له «ياموسى إنى أنا الله رب العالمين» ﴿وقربناه نجياً﴾ مناجياً لنا؛ أى مكلما؛ والمناجاة: المسارّة ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ يحثهم عليها. أثنى الله تعالى عليه بأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة؛ فيجب على كل مؤمن أن يأمر بهما أهله وأقرباءه، وخلانه، وجيرانه، وأصدقاءه وأحباءه؛ ليفوز بالقرب، من حضرة الرب! ﴿إنه كان صديقاً﴾ مبالغاً فى الصدق ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ فى الدنيا: بتشريفه بالنبوة، وإعزازه بالصدق! وقيل: رفع بعد موته إلى السماء، أو إلى الجنة ﴿وإسرائيل﴾ هو يعقوب عليه السلام ﴿واجتبينا﴾ اخترنا ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾ هذه الآية من المغيبات التى انفرد بها القرآن الكريم: فها هو ذا الخلف الذى أضاع الصلاة، واتبع الشهوات: تقوم إلى الصلاة فلا ترى سوى مستهزئ بك، ضاحك عليك، ساخر من فعلك! وهو يرتكب فى نفس الوقت من المناكير والشهوات؛ ما يتعفف عن إتيانه أحط المخلوقات، وأحقر الكائنات؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله! ﴿فسوف يلقون غياً﴾ عذابا شديداً، أو يلقون شراً وخيبة؛ وعاقبتهم العذاب الشديد! ﴿إلا من تاب﴾ عن إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات ﴿وآمن﴾ إيمانا صحيحاً ﴿وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ من ثواب أعمالهم

شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ

عَلَىٰ

﴿جنات عدن﴾ أى جنات الإقامة ؛ من عدن فى المكان : إذا أقام فيه ﴿لايسمعون فيها لغواً﴾ كما يسمعون فى الدنيا . واللغو : فحش القول ، والباطل من الكلام الذى لا فائدة فيه ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أى صباحا ومساء . والمعنى : أن رزقهم فى الجنة دائم أبداً لا ينقطع ؛ والجنة ليس فيها نهار وليل ؛ بل هى ضوء ونور دائمان ﴿وما نتنزل﴾ أى ما ننزل ﴿إلا بأمر ربك﴾ لنا بالنزول ، وليس النزول وفقاً لإرادتنا ومشيئتنا . أو لا ننزل إلا حاملين أمر ربك لك . وهـذا من قول جبريل عليه الصلاة والسلام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين استوحش له ، وطلب منه الإكثار من زيارته ، أو هو من قول المتقين عند دخولهم الجنة . أى ما ننزل الجنة بعملنا ؛ بل بأمر ربنا وفضله ! ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ داوم عليها ﴿هل تعلم له سميا﴾ شبيها فى القـدرة ، والقوة ، والرحمة ! ﴿ويقول الإنسان﴾ الكافر، المنكر للبعث ﴿أئذا ما مت﴾ وصار جسمى عظاما نخرة ، ورفاتاً مبعثرة ﴿لسوف أخرج﴾ من قبرى ﴿حيا﴾ كما كنت فى الدنيا ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾ أى نجمعهم يوم القيامة مع الشياطين الذين أطاعوهم ، واتبعوا إضلالهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ جاثين باركين على الركب ؛ وهو نهاية الإذلال ! ﴿ثم لننزعن﴾ لنخرجن ﴿من كل شيعة﴾ أمة وجماعة ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ أى أشد جرأة على الله تعالى ، وانتهاكا لحرماته ﴿أولى بها﴾ أحق بجهنم ﴿صليا﴾ دخولا ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ المراد بالورود : الدخول ؛ فتكون على المؤمنين برداً وسلاما ؛ كما كانت على ابراهيم !

﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ نتركهم في النار باركين على ركبهم . وقيل : المراد بالورود : دخول الكافر فيها ؛ ومرور المؤمن عليها ؛ ليؤمن بالعذاب الأليم : من آمن بالنعيم المقيم ! ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين﴾ نحن أم أنتم ﴿خير مقاماً﴾ إقامة في الدنيا ﴿وأحسن ندياً﴾ بمعنى النادى ؛ وهو مجتمع القوم : يتحدثون فيه ويتسامرون . أى نحن كنا أحسن حالا منكم ! قال تعالى رداً عليهم وعلى أمثالهم ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿هم احسن﴾ من هؤلاء المكذبين المتعالين ﴿أثاثاً﴾ مالا

عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ

ومتاعا ﴿ورئيا﴾ منظراً وهيأة ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿من كان في الضلالة﴾ منغمساً فيها ، مستمرئاً لها . و«الضلالة» الكفر ﴿فليمدد له الرحمن﴾ في كفره ، وفي عمره ، وفي رزقه ، وفي ولده ، وفي ماله ﴿مدا﴾ طويلا في الدنيا ؛ يستدرجه به (انظر آية ٢٤ من سورة ص) ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ ما أوعدهم به رسولهم ﴿إما العذاب﴾ في الدنيا : بالقتل ، والأسر ، والقحط ﴿وإما الساعة﴾ القيامة ؛ المشتملة على جهنم المعدة لهم ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من هو شر مكاناً﴾ أهم أم المؤمنون ؟ ﴿وأضعف جنداً﴾ وجندهم الشياطين ، وجند المؤمنين الملائكة المكرمون ﴿والباقيات الصالحات﴾ الطاعات ؛ يبقى ثوابها لصاحبها ﴿وخير مرداً﴾ خير مرجعاً وعاقبة ﴿وقال لأوتين مالا وولداً﴾ معتمداً على فنه وقوته ؛ ولم يعتمد على ربه ومشيئته ﴿أطلع الغيب﴾ أى هل اطلع على الغيب ؛ فعلم أنه سيؤتى المال والولد ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ بأن يؤتيه كل ما يريد ﴿كلا﴾ أى لن يؤتى المال والولد كما زعم : معانداً ربه . و«كلا» لم تجيء في النصف الأول من القرآن الكريم ، وجاءت في ثلاثة وثلاثين موضعاً في النصف الأخير منه ؛ وهذه أولاها . وهي تجيء بمعنيين : أحدهما : حقاً ؛ ويكون متعلقاً بما بعده . وثانيهما : بمعنى : لا ؛ ويكون متعلقاً بما قبله . وقد تحتمل المعنيين معاً في بعض المواضع : كهذا الموضع الذى نحن بصدده ؛ فيجوز أن يكون المعنى : لا ، لم يطلع على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً . ويجوز أن يكون المعنى : حقا ﴿سنكتب ما يقول﴾ لنعاقبه عليه . والمعنى الأول أوضح ، وأجدر بالاتباع . وقال الفراء : «كلا» حرف رد ؛ فكأنها نعم ، ولا ؛ في الاكتفاء ، وإن جعلتها صلة لما بعدها : لم تقف عليها ؛ كقوله تعالى «كلا والقمر» وقال الأكثرون : لا يوقف على «كلا» في جميع القرآن ؛ لأنها جواب ؛ والفائدة تقع فيما بعدها ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ نزيده عذابا فوق العذاب ﴿ونرثه ما يقول﴾ أى نورثه جزاء ما قاله من الكبر والكفر ، أو نسلبه يوم القيامة ما آتيناه في الدنيا من مال وولد ﴿ويأتينا =

= فرداً﴾ منفرداً ، بغير مال ، ولا ولد ، ولا معين ﴿واتخذوا من دون الله﴾ غيره

ءالهة ليكونوا لهم عزا ﴿٨١﴾ كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا ﴿٨٢﴾ ألم تر أنا أرسلنا الشيطين
على الكفرين تؤزهم أزا ﴿٨٣﴾ فلا تعجل عليهم إنما
نعد لهم عدا ﴿٨٤﴾ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن
وفدا ﴿٨٥﴾ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴿٨٦﴾
لا يملكون الشفعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴿٨٧﴾
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴿٨٨﴾ لقد جئتم شيئا إدا ﴿٨٩﴾
تكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا ﴿٩٠﴾ أن دعوا للرحمن ولدا ﴿٩١﴾ وما ينبغي
للرحمن أن يتخذ ولدا ﴿٩٢﴾ إن كل من في السموت
والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدا ﴿٩٣﴾ لقد أحصىهم
وعدهم عدا ﴿٩٤﴾ وكلهم ءاتيه يوم القيمة فردا ﴿٩٥﴾
إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت سيجعل لهم الرحمن
ودا ﴿٩٦﴾

﴿آلهة ليكونوا لهم عزاً﴾ يعتزون بهم ، ويشفعون لهم عند ربهم ﴿كلا﴾ لن تتحقق أمانيهم ؛ بل ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أى ستكفر هذه الآلهة بمن عبدها ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ يوم القيامة ؛ إذ يتبرأون منهم ومن عبادتهم ﴿تؤزهم أزاً﴾ تغريهم إغراء ، وتهيجهم تهييجاً ؛ لأن الأزيز : شدة الغليان ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ أى نعد لهم ذنوبهم ؛ لنعاقبهم عليها ﴿وفداً﴾ جماعة: ركباناً ﴿ورداً﴾ جمع وارد ؛ وهو الماشي العطشان ، الباحث عن الماء ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ بطاعته وإيمانه ؛ فاستوجب رحمته ونعمته ! ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾ أى عظيما منكراً ﴿يتفطرن﴾ يتشققن

﴿فرداً﴾ منفرداً ؛ لا أهل معه ، ولا مال ، ولا ولد
﴿سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ مودة فى قلوب العباد : يحبهم الله تعالى ، ويحببهم إلى الناس

وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

(٢٠) سورة طه مكية
إلا آيتى ١٣٠ و ١٣١ فمدنيتان
وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ

﴿فإنما يسرناه﴾ أى القرآن ﴿بلسانك﴾ العربى : لتستطيع تبليغه وتفهيمه ﴿وتنذر﴾ تخوف ﴿قوماً لداً﴾ شديدى الخصومة ؛ من اللدد : وهو التخاصم ، والجدال بالباطل ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أمة ﴿هل تحس﴾ تجد ﴿أو تسمع لهم ركزاً﴾ صوتاً ؛ ولو خفياً .

(سورة طه)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

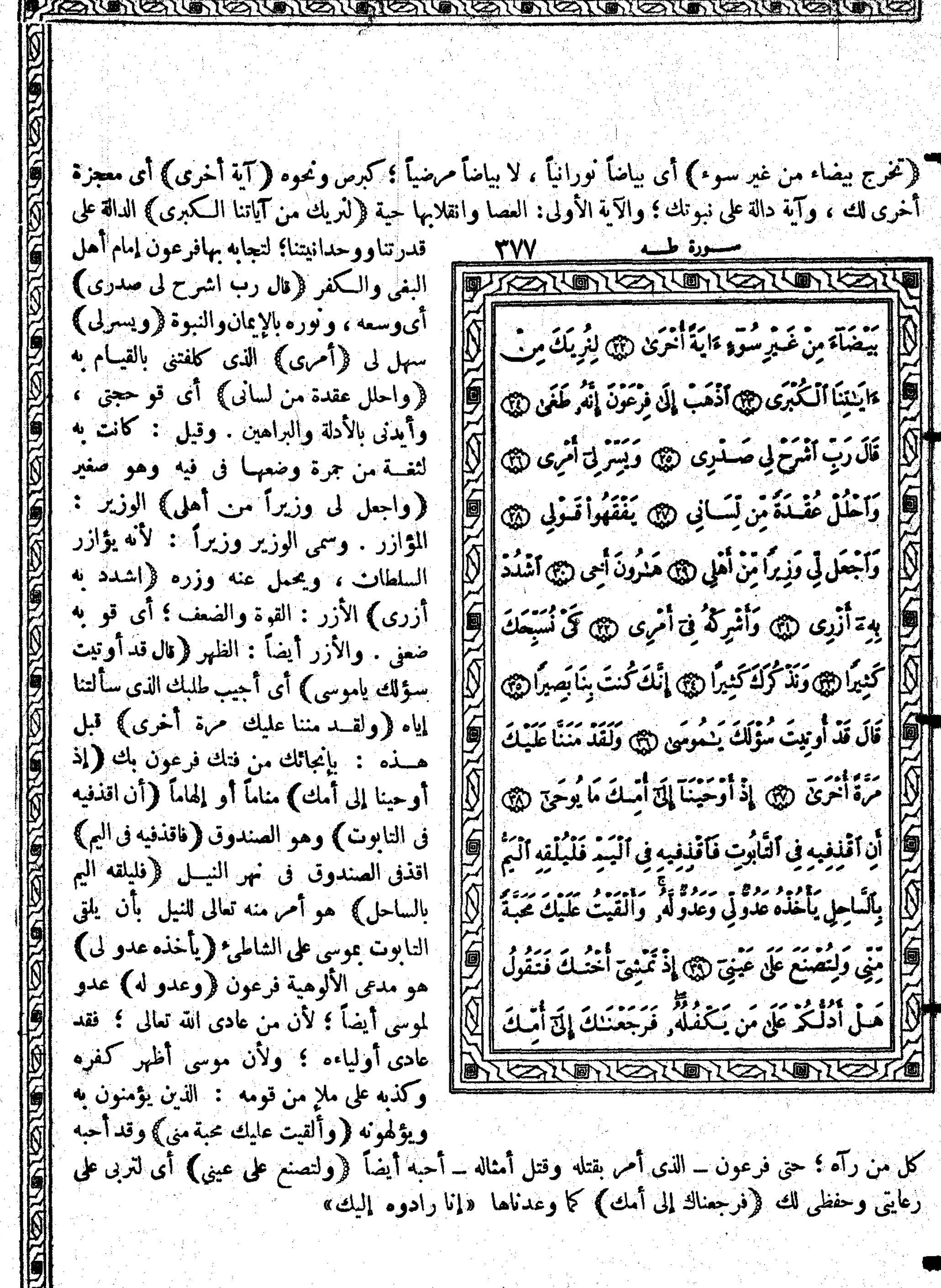
﴿طه﴾ هو اسم من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم . وقيل : بمعنى : يارجل . وقيل : ياحبيبى ؛ بلغة عك . وقيل : هو بمعنى : طأها ؛ أى طإ الأرض يامحمد . وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم ـ لكثرة قيامه بالليل ـ يرفع رجلا ويحط أخرى ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أى لتتعب نفسك فى العبادة ، ولتذهبها حسرات إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ استواء يليق به ؛ لا كاستواء المخلوقين : لأن الديان ، يتقدس عن المكان ؛ وتعالى المعبود ، عن الحدود ! ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ أى يعلم السر ، وما هو أخفى منه ؛ وهو الذى يخطر بالبال ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ لفظاً ومعنى (انظر آيتى ١٨٠ من سورة الأعراف ، و١١٠ من سورة الإسراء)

حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ

بَيْضَآءَ

﴿فقال لأهله﴾ أي لامرأته؛ وهي ابنة شعيب عليهما السلام ﴿إني آنست﴾ أي أبصرت ﴿ناراً لعلي آتيكم منها بقبس﴾ القبس: قطعة من النار ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أناساً يهدونني الطريق ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى موسى النار ﴿نودي ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس﴾ المطهر ﴿طوى﴾ اسم للوادي؛ وهو بالشام ﴿وأنا اخترتك﴾ من بين سائر خلقي؛ لحمل رسالتي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ أي لما أوحي به إليك ﴿إنني أنا الله﴾ فاعلم أنه ﴿لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ وحدي ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي لتذكرني فيها، أو لأذكرك في عليين إذا أقمتها، أو إذا نسيتها وتذكرت فصل؛ قال سيد الخلق عليه الصلاة والسلام: «من نام عن صلاة أو نسيها؛ فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله عز وجل يقول: وأقم الصلاة لذكري» ﴿إن الساعة﴾ القيامة ﴿آتية﴾ لا ريب فيها ﴿أكاد أخفيها﴾ من نفسي؛ وقد أخفاها الله تعالى عن رسله، وأنبيائه؛ بل عن ملائكته المقربين؛ وفيهم من يقوم بالنفخ في الصور، وطي السماء، وتسيير الجبال، وتسجير البحار، وتسعير الجحيم، ولإزلاف الجنة ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي لا يصرفنك عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ من الكفرة الفجرة ﴿واتبع هواه﴾ أطاع نفسه وشيطانه (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) ﴿فتردى﴾ فتهلك ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ ضع كفك اليمنى تحت إبطك الأيسر؛ مكان الجناح

﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أى بياضاً نورانياً ، لا بياضاً مرضياً ؛ كبرص ونحوه ﴿آية أخرى﴾ أى معجزة أخرى لك ، وآية دالة على نبوتك ؛ والآية الأولى: العصا وانقلابها حية ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ الدالة على

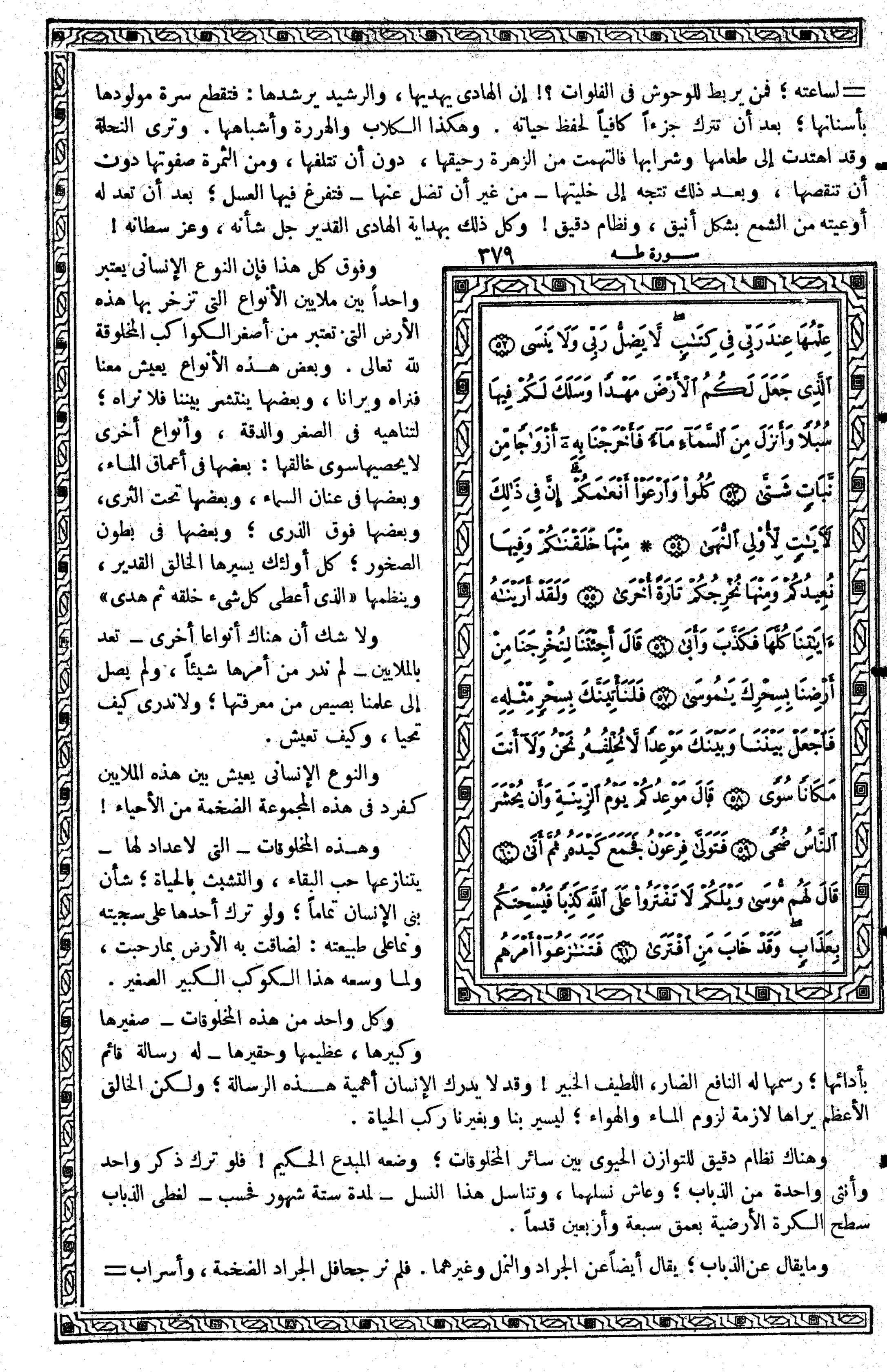


بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى (٢٣) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى (٢٥) وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى (٢٦) وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى (٢٧) يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى (٢٨) وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى (٢٩) هَٰرُونَ أَخِى (٣٠) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى (٣٢) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ (٣٩) إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ

قدرتنا ووحدانيتنا؛ لتجابه بها فرعون إمام أهل البغى والكفر ﴿قال رب اشرح لى صدرى﴾ أى وسعه ، ونوره بالإيمان والنبوة ﴿ويسر لى﴾ سهل لى ﴿أمرى﴾ الذى كلفتنى بالقيام به ﴿واحلل عقدة من لسانى﴾ أى قو حجتى ، وأيدنى بالأدلة والبراهين . وقيل : كانت به لثغة من جمرة وضعها فى فيه وهو صغير ﴿واجعل لى وزيراً من أهلى﴾ الوزير : المؤازر . وسمى الوزير وزيراً : لأنه يؤازر السلطان ، ويحمل عنه وزره ﴿اشدد به أزرى﴾ الأزر : القوة والضعف ؛ أى قو به ضعفى . والأزر أيضاً : الظهر ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾ أى أجيب طلبك الذى سألتنا إياه ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ قبل هذه : بإنجائك من فتك فرعون بك ﴿إذ أوحينا إلى أمك﴾ مناماً أو إلهاماً ﴿أن اقذفيه فى التابوت﴾ وهو الصندوق ﴿فاقذفيه فى اليم﴾ اقذف الصندوق فى نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ هو أمر منه تعالى للنيل بأن يلقى التابوت بموسى على الشاطئ ﴿يأخذه عدو لى﴾ هو مدعى الألوهية فرعون ﴿وعدو له﴾ عدو لموسى أيضاً ؛ لأن من عادى الله تعالى ؛ فقد عادى أولياءه ؛ ولأن موسى أظهر كفره وكذبه على ملإ من قومه : الذين يؤمنون به ويؤلهونه ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾ وقد أحبه كل من رآه ؛ حتى فرعون ـ الذى أمر بقتله وقتل أمثاله ـ أحبه أيضاً ﴿ولتصنع على عينى﴾ أى لتربى على رعايتى وحفظى لك ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ كما وعدناها «إنا رادوه إليك»

﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم﴾ (انظر آية ١٥ من سورة القصص) و«الغم»: القصاص. وقيل: «الغم»: القتل ﴿وفتناك فتونا﴾ أى ابتليناك ابتلاء، واختبرناك اختباراً. أو هو بمعنى: محصناك تمحيصاً؛ لتكون أهلا لمحبتنا ورسالتنا. من فتن الذهب: إذا امتحنه بالنار، وخلصه من الشوائب ﴿ثم جئت على قدر﴾ على تقدير منى، وموعد ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ اصطفيتك واخترتك لرسالتى ﴿ولا تنيا﴾ لا تقصرا ﴿فقولا له قولا ليناً﴾ لطيفاً. أنظر ـ أيها اللبيب الأريب ـ كيف يعلم الله تعالى عباده حسن الخلق، وكمال الأدب: يرسل موسى وهرون عليهما السلام ـ وهما أزكى المقربين، فى ذلك الحين ـ إلى فرعون اللعين ـ وهو شر الأشرار، وأفجر الفجار ـ ويقول لهما: «فقولا له قولا ليناً» وانظر الآن حينما يلقاك أحد المتنطعين؛ ويحب أن يتظاهر بأنه أول الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر؛ فيبدأ بنسبة الكفر إليك ـ وهو إلى الكفر أقرب ـ ويصفك بأحط الصفات، وأرذل السمات ـ وهو المبغوض عند الله، المرذول عند الناس ـ فما ضر هؤلاء لو تخلقوا بأخلاق الله، واتبعوا هداه؛ وقالوا للناس حسناً، ونصحوا عباد الله لوجه الله! ولكنهم والعياذ بالله «يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا» تلى قوله تعالى «فقولا له قولا ليناً» عند يحيى بن معاذ: فبكى، وقال: هذا رفقك بمن يقول: أنا إله؛ فكيف بمن قال: أنت الإله! وهذا رفقك بمن قال: أنا ربكم الأعلى؛ فكيف بمن قال: سبحان ربى الأعلى! ﴿فأرسل معنا بنى إسرائيل﴾ أى أطلقهم من الاستعباد والاسترقاق ﴿قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه﴾ أى أعطى كل مخلوق مايحتاج إليه فى أحواله المعيشية، وما يناسبه من الهيئة والانسجام. أو أعطى خلقه كل شىء يحتاجون له، ويفتقرون إليه ﴿ثم هدى﴾ أى بعد أن أعطى كل شىء خلقه: هداه لما يصلحه؛ فترى الإنسان يخرج إلى هذه الدنيا لايدرى من أمورها شيئاً؛ فيلهم العلوم، والمعارف، والفنون، ويدرك من خواص الأشياء وطبائعها الشىء الكثير؛ مما لا يستطيع إدراكه ومعرفة كنهه بقوته الفطرية؛ وإن شئت فتأمل الحاكى «الفونوغراف» والمذياع «الراديو» والتليفزيون، واللاسلكى، والكهرباء، وما شاكل ذلك من القوى التى ساق الله تعالى معرفتها إلى البشر بطريق المصادفة حيناً، والإلهام أحياناً؛ بل منها مالا يدرك مداه، ولا تعرف حقيقته؛ حتى لصانعيه ومستخدميه! وترى الحيوان الأعجم حين يولد: يعرف أن رجليه معدتان لحمله؛ فيقوم عليهما واقفاً، وأن فمه معد للأكل؛ فيتناول به طعامه. ومن عجب أنه يعرف الطريق إلى ثدى أمه بغير مرشد ولاهاد! وترى كل مولود يولد؛ إذا لم تربط سرته: مات =

كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ



= لساعته ؛ فمن يربط للوحوش فى الفلوات ؟! إن الهادى يهديها ، والرشيد يرشدها : فتقطع سرة مولودها بأسنانها ؛ بعد أن تترك جزءاً كافياً لحفظ حياته . وهكذا الكلاب والهررة وأشباهها . وترى النحلة وقد اهتدت إلى طعامها وشرابها فالتهمت من الزهرة رحيقها ، دون أن تتلفها ، ومن الثمرة صفوتها دون أن تنقصها ، وبعد ذلك تتجه إلى خليتها ــ من غير أن تضل عنها ــ فتفرغ فيها العسل ؛ بعد أن تعد له أوعيته من الشمع بشكل أنيق ، ونظام دقيق ! وكل ذلك بهداية الهادى القدير جل شأنه ، وعز سلطانه !

عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوا أَمْرَهُم

وفوق كل هذا فإن النوع الإنسانى يعتبر واحداً بين ملايين الأنواع التى تزخر بها هذه الأرض التى تعتبر من أصغر الكواكب المخلوقة لله تعالى . وبعض هذه الأنواع يعيش معنا فنراه ويرانا ، وبعضها ينتشر بيننا فلا نراه ؛ لتناهيه فى الصغر والدقة ، وأنواع أخرى لا يحصيها سوى خالقها : بعضها فى أعماق الماء ، وبعضها فى عنان السماء ، وبعضها تحت الثرى ، وبعضها فوق الذرى ؛ وبعضها فى بطون الصخور ؛ كل أولئك يسيرها الخالق القدير ، وينظمها «الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى»

ولا شك أن هناك أنواعا أخرى ــ تعد بالملايين ــ لم ندر من أمرها شيئاً ، ولم يصل إلى علمنا بصيص من معرفتها ؛ ولا ندرى كيف تحيا ، وكيف تعيش .

والنوع الإنسانى يعيش بين هذه الملايين كفرد فى هذه المجموعة الضخمة من الأحياء !

وهذه المخلوقات ــ التى لا أعداد لها ــ يتنازعها حب البقاء ، والتشبث بالحياة ؛ شأن بنى الإنسان تماماً ؛ ولو ترك أحدها على سجيته وتماعلى طبيعته : لضاقت به الأرض بما رحبت ، ولما وسعه هذا الكوكب الكبير الصغير .

وكل واحد من هذه المخلوقات ــ صغيرها وكبيرها ، عظيمها وحقيرها ــ له رسالة قائم بأدائها ؛ رسمها له النافع الضار ، اللطيف الخبير ! وقد لا يدرك الإنسان أهمية هذه الرسالة ؛ ولكن الخالق الأعظم يراها لازمة لزوم الماء والهواء ؛ ليسير بنا وبغيرنا ركب الحياة .

وهناك نظام دقيق للتوازن الحيوى بين سائر المخلوقات ؛ وضعه المبدع الحكيم ! فلو ترك ذكر واحد وأنثى واحدة من الذباب ؛ وعاش نسلهما ، وتناسل هذا النسل ــ لمدة ستة شهور فحسب ــ لغطى الذباب سطح الكرة الأرضية بعمق سبعة وأربعين قدماً .

ومايقال عن الذباب ؛ يقال أيضاً عن الجراد والنمل وغيرهما . فلم نر جحافل الجراد الضخمة ، وأسراب =

= النمل العظيمة، أوجيوش الذباب الجرارة؛ غطت مساحة الكرة الأرضية وزاحمت بنى الإنسان فى مكانه منها!

وذلك لأن الله تعالى قد أعد لكل شىء عدته؛ حتى تتوازن سائر الأحياء بعضها مع البعض؛ دون أن يطغى نوع على الآخر؛ فتفسد بذلك أسباب العمران!

ويأتى دور الإنسان - الذى يعتبر نفسه بحق سيداً على المخلوقات الأرضية - فيحاول بشتى الوسائل إبادة كل ما يعترضه من هذه الكائنات؛ فلا يكاد يبيد نوعا من الأنواع؛ إلا ويفاجأ بأنواع أخرى من سلالته؛ يضيفها الإنساق إلى قائمة ما يصارع؛ حتى تكاثرت عليه الأعداء، وعز الداء. فمن بكتريا وفيروسات، إلى طحالب وفطريات، إلى هوام وحشرات، إلى كواسر وحيوانات، إلى مالا حد له من المخلوقات؛ التى أخرجها مبدع الأرض والسموات!

ولكل نوع من هذه الأنواع أعداء - غير بنى الإنسان - خاصة به، أوجدها الله تعالى لتحفظ توازنه، وتحد من تكاثره؛ فللجراد أعداء، وللنمل والذباب والبعوض أعداء، وللجرذان والحيات والعقارب أعداء؛ وإذا لم توجد هذه الأعداء، أو قل شرها: لكان النوع نفسه عدواً لنفسه؛ فإذا تكاثر الجراد مثلا وزاد عن الحد المرسوم: قل الغذاء؛ فيتصارع النوع فيما بينه، ويقتل بعضه بعضاً؛ بل ويأكل بعضه بعضاً. ومايقال عن الجراد يقال عن الهوام والحشرات، والبكتريا والفيروسات.

حتى النباتات: يسرى عليها قانون التوازن الذى يسرى على سائر المخلوقات: فاذا ناءت بعض الأشجار بحملها: تخلصت من بعض أزهارها وثمارها، وتخففت من ثقلها؛ خشية أن يتلف بعضها البعض، أوتهلك الشجرة نفسها.

بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ

وهذا القانون السماوى: ملموس مشاهد فى كل الأوقات، وسائر الحالات؛ فتجد مثلا دودة القطن؛ وقد عاثت به فساداً حتى أهلكته وأتلفته؛ فلم نسمع يوماً ما أن هذا العيث، أو ذلك الفساد؛ كان سبباً فى عرى الإنسان، ونقصان ما اختصه الله به من نعمة الستر واللباس؛ بل هو فى ظاهره فساد وإفساد، وفى باطنه وحقيقته: نظام عجيب، وتوازن دقيق!

وهكذا الإنسان: تحل به الرزايا، وتحيط به البلايا؛ وتجتاحه الأوبئة والطواعين، وتنيخ عليه الحروب بكلكلها؛ وهو بين كل ذلك متضجر متململ؛ لا يدرى أن جميع ذلك يسير بحكمة الحكيم العليم؛ الذى قدر كل شىء، وأعطى كل شىء حقه وخلقه؛ فتعالى المبدع الحكيم! (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) =

= ﴿مهداً﴾ فراشاً ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ طرقا ﴿أزواجا﴾ أصنافا ﴿من نبات شتى﴾ مختلفة ومتنوعة ﴿إن فى ذلك﴾ أى إن فى جعل الأرض مهاداً، وشق الطرق فيها والعلامات، وإنزال الماء من السماء، وإخراج النبات من الأرض؛ لأكلكم ورعى أنعامكم؛ إن فى جميع ذلك ﴿لآيات﴾ دالات على وجود الخالق الحكيم المبدع ﴿لأولى النهى﴾ ذوى العقول ﴿منها﴾ أى من الأرض ﴿خلقناكم﴾ خلقنا أصلكم آدم عليه السلام من تراب ﴿وفيها نعيدكم﴾ بعد الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ عند البعث ﴿تارة﴾ مرة ﴿ولقد

ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

أريناه﴾ أى أرينا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ الدالة على صدق موسى، وصحة رسالته ﴿فكذب﴾ بها ﴿وأبى﴾ أن يؤمن ﴿قال﴾ فرعون لموسى ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك﴾ سمى عدو الله المعجزة سحراً؛ وشتان بين المعجزة والسحر! ﴿مكانا سوى﴾ مستويا؛ ليرانا سائر من يحضرنا؛ ويشهدوا دلائل صدقنا وكذبك! وقد توهم عدو الله أنه منتصر على حق موسى بباطله، وعلى آياته بسحره ﴿قال﴾ موسى؛ وهو مطمئن إلى حجته، واثق بمعونة ربه ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ هو يوم العيد؛ لأنهم يتزينون فيه ﴿وأن يحشر﴾ يجتمع ﴿الناس ضحى﴾ أول النهار؛ وقد اختار موسى هذا اليوم: لتكون فضيحة فرعون أكبر، وخزيه أعظم؛ أمام ملإ كبير من شيعته وعبدته ﴿فتولى فرعون﴾ انصرف وأعرض عن موسى: ليعد عدته، ويأخذ أهبته ﴿فجمع كيده﴾ أى جمع سحرته الذين ظن أنهم يستطيعون كيد موسى ﴿قال لهم موسى ويلكم﴾ أى جعل الله تعالى الويل والعذاب لكم ﴿فيسحتكم﴾ يهلككم ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ قال بعض السحرة للبعض الآخر: إن كان موسى ساحراً: غلبناه. وإن كان أمره من السماء: غلبنا! ﴿وأسروا النجوى﴾ أى تشاوروا فى السر متناجين. قال بعضهم: ما هذا بقول ساحر ﴿قالوا﴾ أى قال فرعون وشيعته للسحرة الذين جمعهم، أو قال السحرة لبعضهم ﴿إن هذان﴾ يقصدون موسى وهرون ﴿لساحران﴾ أى ما هذان إلا ساحران ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أى بعبادتكم الحسنة ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ أى أحكموا أمركم واستعدوا لعدوكم ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ مجتمعين متساندين: ليحصل لموسى وهرون الرعب، ويدب فى نفسيهما الخوف ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ غلب وفاز. فجاءوا صفاً كما أمرهم فرعون، و﴿قالوا ياموسى إما أن تلقى﴾ سحرك، أو عصاك؛ وذلك لأنهم كانوا قد سمعوا بها ﴿قال بل ألقوا﴾ أنتم أولا. فألقوا ما معهم من الحبال والعصى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها﴾ حيات ﴿تسعى﴾ تمشى وتتحرك ﴿فأوجس﴾ أحس ﴿فى نفسه خيفة موسى﴾ أى لم يبد عليه الخوف؛ بل كان =

قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا

لَهُۥ

= إحساسا كامناً فى نفسه ﴿قلنا﴾ لموسى عن طريق الوحى ﴿لا تخف﴾ مما تراه ﴿إنك أنت الأعلى﴾ الغالب الفائز ﴿وألق ما فى يمينك﴾ عصاك ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ بسحره ؛ فألقى موسى عصاه فابتلعت حبالهم وعصيهم ! وحين رأى السحرة ما حل بسحرهم ؛ علموا أن ما صنعه موسى ليس من نوع السحر الذى يمارسونه ؛ بل هو من المعجزات الظاهرات ؛ التى لا يستطيع مخلوق الإتيان بها ، بغير معونة من الخالق ﴿فألقى السحرة سجداً﴾ بدافع من إيمانهم واقتناعهم ؛ وبدافع خفى من مولاهم وهاديهم وخالقهم ؛ ليرى فرعون فساد عمله ، وضعف عماله ؛ ورفع جل شأنه السحرة من مصاف الكفار الفجار ، إلى مصاف المؤمنين الأبرار ! ﴿قالوا آمنا برب هرون وموسى﴾ وكفرنا بفرعون ﴿قال﴾ فرعون للسحرة ؛ حين رأى هزيمته المنكرة ، وأحس بتصدع أركانه ، وانهيار بنيانه ! قال لهم ﴿آمنتم له﴾ استفهام ؛ أى أآمنتم لموسى ﴿قبل أن آذن لكم﴾ بالإيمان ﴿إنه لكبيركم﴾ أى إن موسى رئيسكم فى السحر ، وهو ﴿الذى علمكم السحر﴾ من قبل ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أى اليد اليمنى ، والرجل اليسرى ، أو العكس ﴿ولتعلمن أينا﴾ أنا وموسى ، أو أنا ورب موسى ﴿أشد عذاباً﴾ أى أشد تعذيباً لكم ﴿وأبقى﴾ وأدوم ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ لن نختارك ، أو نفضلك ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ بعد الذى شاهدناه من الحجج الظاهرات؛ الدالات على صدق موسى وكذبك، وقدرة إلهه وعجزك ﴿والذى فطرنا﴾ خلقنا . أى و«لن نؤثرك» أيها الفاسق الكافر على «الذى فطرنا» أو هو قسم : أى «لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات» وحق الذى فطرنا ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ فافعل ما أنت فاعل ﴿إنما تقضى﴾ قضاءك الظالم فى ﴿هذه الحياة الدنيا﴾ الفانية ؛ أما الآخرة الباقية فلا سبيل لك عليها ؛ وسيقضى لنا الله تعالى فيها بنعيمه الأوفر ، ورضوانه الأكبر ؛ حيث يقضى عليك بالجحيم والعذاب الأليم ! ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أى ليغفر لنا ذنوبنا التى ارتكبناها حال جهلنا وكفرنا ، والسحر الذى أكرهتنا على إتيانه ﴿لا يموت فيها﴾ فيرتاح ﴿ولا يحيا﴾ حياة تنفعه وتفيده ﴿جنات عدن﴾ جنات الإقامة ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ تطهر من الشرك والذنوب ﴿أسر بعبادى﴾ أى سر بهم ليلا ﴿فاضرب لهم﴾ بعصاك ﴿فى البحر﴾ يجعل الله تعالى مكان ضربك بالعصا ﴿طريقاً يبساً﴾ يابساً فى وسط الماء ؛ تستقر عليه الرجل عند المشى ﴿لا تخاف دركا﴾ لا تخشى إدراكا من عدوك ﴿فأتبعهم فرعون﴾ سار فى إثرهم ؛ فى هذا الطريق اليابس ؛ الذى جعله الله تعالى آية لموسى ، وعذابا لفرعون ﴿فغشيهم﴾ أصابهم وغطاهم ﴿من اليم﴾ البحر ﴿ما غشيهم﴾ أى =

لَهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ

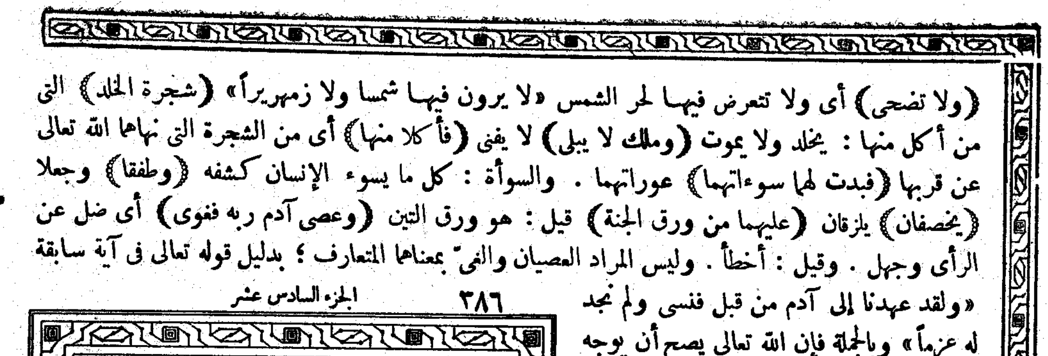
= غشيهم الأمر العظيم ، والخطر الداهم الذى غشيهم ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ هما الترنجبين والسمانى . أو هو كل ما يمن به من أطايب الرزق ، وما يتسلى به من المـأكول والفاكهة ؛ وقلنا لهم ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أى من الرزق الحلال الطيب الذى رزقنا كموه (انظر آيتى ١٧٢ من البقرة ، و ٥٨ من الأعراف) ﴿ولا تطغوا فيه﴾ لا تكفروا بالنعمة ، ولا تدخلوا فيما طعمتم الشبهات ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ سقط فى العذاب ﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ أى إن من شرائط الغفران : التوبة ، والإيمان ، والعمل الصالح ، والاهتداء ! ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ أى أى شىء حملك على أن تسبقهم ، وتدعهم عرضة للأهواء ! وقد كان موسى عليه الصلاة والسلام أقام هرون على بنى إسرائيل ؛ على أن يسير بهم فى إثره ﴿قال هم أولاء على أثرى﴾ أى هاهم سائرون خلفى ، أو هم منتظرون عودتى إليهم بأوامرك ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ طالباً لمرضاتك ، مشتاقاً لملاقاتك ﴿قال﴾ تعالى ﴿فإنا قد فتنا قومك﴾ اختبرناهم وامتحناهم ﴿من بعدك﴾ بعد فراقك لهم ﴿وأضلهم السامرى﴾ هو موسى بن ظفر : كان منافقاً ؛ وقد أضلهم بدعوتهم إلى عبادة العجل ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أى حزيناً ؛ والأسف : الحزن ، والغضب . قال تعالى «فلما آسفونا» أى أغضبونا ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ بقدرتنا ، أو بأمرنا ﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أى أثقالا من الذهب والفضة ﴿فقذفناها﴾ طرحناها فى النار ﴿فكذلك ألقى السامرى﴾ الحلى التى معه ؛ كما ألقينا ﴿فأخرج لهم عجلا﴾ أى صنع لهم السامرى عجلا من ذهب ﴿له خوار﴾ صوت كصوت البقر . قيل: صنع به ثقوباً وفتحات ؛ إذا دخلها الهواء : صار له صوت كالخوار . وقيل : دبت فى العجل الحياة ؛ بسبب قبضة التراب التى أخذها السامرى من أثر جبريل عليه الصلاة والسلام وألقاها على العجل الذهبى ﴿فقالوا﴾ أى السامرى وأصحابه لقوم موسى ﴿فنسى﴾ أى فنسى السامرى ما كان عليه من إظهار الإيمان . أو المراد : هذا العجل هو إلهكم وإله موسى ؛ فنسيه موسى هنا ، وذهب يطلبه عند الطور ، أو نسى أن يخبركم به ﴿أفلا يرون﴾ عبدة هذا العجل ﴿ألا يرجع﴾ أنه لا يرجع ﴿إليهم قولا﴾ لايرد عليهم جوابا ﴿ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم إنما فتنتم به﴾ أى ابتليتم وأضللتم بالعجل ﴿قالوا لن نبرح﴾ أى لن نزال ﴿عليه عاكفين﴾ مقيمين ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ فلما رجع موسى ، ورأى ماحل بهم: اتجه إلى أخيه هرون ؛ الذى استخلفه عليهم حال غيبته ؛ و﴿قال﴾ له ﴿ياهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ عن سبيل الله ، وعبدوا مالا يعبد =

= ﴿ألا تتبعن﴾ أى أن تتبعني ، و «لا» زائدة ؛ مثل قوله تعالى «ما منعك ألا تسجد» والمراد بالاتباع : اتباع سنته وطريقته ؛ فى محاربتهم والإنكار عليهم ، أو المراد : تركه لهم فى ضلالهم واتباع موسى ﴿قال يابن أم﴾ لما رأى هرون ثورة موسى ، وشدة غضبه ، ومزيد تأسفه على ما حدث : ذكره بمركز الحنان ، ومنبع الشفقة ، وأساس الحب ؛ قائلا «يابن أم» لاتغضب على ، و﴿لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى﴾ فانى لم أخطئ ، ولم أقصد بما فعلت سوى الخير والصواب ﴿إنى خشيت﴾ إن اتبعتك بمن أقام على الإيمان ولم يعبد العجل ، أوحاربت المشركين بالمؤمنين ﴿أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل﴾ وجعلتهم أعداء وشيعاً ﴿ولم ترقب قولى﴾ لم تحفظ وصيتى ، ولم تنتظر أمرى . وقد قال له عند ذهابه لموعد ربه «اخلفنى فى قومى وأصلح» وعندئذ «سكت عن موسى الغضب» والتفت إلى موسى السامرى ﴿قال فما خطبك ياسامرى﴾ أى ماشأنك ؟ وما حقيقة أمرك ؟ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ أى رأيت مالم يروه . قيل : رأى جبريل عليه الصلاة والسلام على فرسه ؛ فزينت له نفسه أن يأخذ من أثره ؛ وهو معنى قوله تعالى ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ قيل : أخذ قبضة من التراب الذى تحت حافر فرسه ﴿فنبذتها﴾ ألقيتها على العجل المصاغ من ذهب ﴿وكذلك سولت﴾ زينت ﴿لى نفسى﴾ فتحول غضب موسى عن هرون البرىء ؛ إلى المجرم موسى السامرى ﴿قال فاذهب﴾ من أمامى ، ولا ترينى وجهك ﴿فان لك فى الحياة أن تقول لامساس﴾ أى إنه أصيب – بدعاء موسى عليه: عقوبة له – بأمراض خبيثة فتاكة معدية ؛ جعلت الناس تهرب من مسه ؛ فإذا مسه إنسان: حم ، وأصيب بالأمراض التى ابتلى بها . وقيل : إنه جن وجعل ينادى ويقول : لا مساس ، لا مساس . وقيل : أمر موسى بنى إسرائيل بمقاطعته : فلا يكلمه منهم إنسان ، ولا يعامله ، ولا يقربه ﴿وإن لك موعداً﴾ للعذاب الأليم ﴿لن تخلفه﴾ يوم القيامة ﴿وانظر إلى إلهك﴾ العجل ﴿الذى ظلت﴾ ظللت وداومت ﴿عليه عاكفاً﴾ على عبادته مقيما ﴿لنحرقنه﴾ لنذيبنه بالنار ﴿ثم لننسفنه فى اليم﴾ البحر ﴿إنما إلهكم﴾ الحق : هو ﴿الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علماً﴾ أى وسع علمه كل شىء «يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم» ﴿كذلك﴾ أى كما قصصنا عليك يامحمد من نبإ موسى وفرعون ﴿نقص عليك من أنباء ماقد سبق﴾ من الأمم ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك وأنزلنا عليك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكراً﴾ قرآناً ﴿من أعرض عنه﴾ عن هذا القرآن ؛ فلم يؤمن به ﴿فانه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ إثماً عظيما ، وحملا ثقيلا ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ =

ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ

= القرن ؛ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر ربه ﴿ونحشر المجرمين﴾ الكافرين ﴿يومئذ زرقاً﴾ أى سوداً . وقيل : عمياً . وليس بمستبعد أن يكون ذلك كما تفعله العامة والسوقة من تلطيخ وجوههم بالصبغ الأزرق عند حلول المصائب ، وتوالى الكوارث ؛ وأى كارثة أعم من ورودهم النار ؟ وأى مصيبة أطم من غضب الملك الجبار ؟ ! أما ما ورد من أن الزرقة تكون فى عيونهم ؛ فيأباه وصف ما هم فيه من خزى وعار وذلة وعذاب وقبح ؛ فقد تكون زرقة العيون مدحاً لا قدحاً ؛ فكيف يوصف بها أقبح الناس حالا ومآلا ؟ ! ﴿يتخافتون﴾ يتهامسون ﴿بينهم﴾ قائلين لبعضهم ﴿إن لبثتم﴾ ما لبثتم فى الدنيا ، أو ما لبثتم فى القبور ﴿إلا عشراً﴾ من الليالى بأيامها . وذلك أنهم لهول مايرون فى القيامة : يظنون أنهم ما لبثوا فى الدنيا سوى عشراً وقولهم «إن لبثتم إلا عشراً» لم يكن صادراً عن جنون منهم ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أى أعقلهم وأذكاهم ، وأذكرهم وأفهمهم ؛ يقول ـ لشدة ما يرى ، وهول ما يكابد ويعاين ـ ﴿إن لبثتم﴾ فى الدنيا ﴿إلا يوما﴾ واحداً ؛ يستقلون أيام الدنيا ـ على ما نالوا فيها من شهوات وملذات ـ وقد فعلوا فيها ما فعلوا ، وارتكبوا فيها ما ارتكبوا ؛ مما أوردهم هذا المورد ، وأوقفهم هذا الموقف ﴿قاعا﴾ منبسطا ﴿صفصفاً﴾ مستويا ﴿ولا أمتاً﴾ أى ولاارتفاعا ﴿يومئذ يتبعون الداعى﴾ الملك الذى يدعوهم إلى المحشر : هلموا إلى عرض الرحمن ! فهم اليوم يتبعون مكرهين داعى الرحمن للعذاب ، وبالأمس لم يستجيبوا لداعى النجاة والثواب ﴿لا عوج له﴾ أى لا مناص من إجابة الداعى واتباعه ، أو «لاعوج» لدعائه ﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن﴾ أن يشفع : من النبيين ، والملائكة ، والصالحين . وقيل : «إلا من أذن له الرحمن» أن يشفع فيه . (انظر آية ٢٥٥ من سورة البقرة) ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ ما يؤول إليه حالهم وأمرهم فى الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ وما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا ﴿وعنت﴾ خضعت وذلت ﴿الوجوه للحى القيوم﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إنه الاسم الأعظم ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ من ارتكب إثما ﴿ولا هضما﴾ ولا جوراً ﴿أو يحدث لهم﴾ القرآن ﴿ذكراً﴾ تذكيراً بما حدث للسابقين من المكذبين ﴿ولاتعجل بالقرآن﴾ أى بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ أى من قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من إبلاغه إليك ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ أوحينا إليه ، وأوصيناه ألا يأكل من الشجرة ﴿فنسى﴾ وأكل منها ﴿ولم نجد له عزماً﴾ صبراً وحزماً ، وثباتا على التزام الأمر ﴿فلا يخرجنكما﴾ أى لا تستمعا إليه ؛ فيخرجكما من الجنة بسبب وسوسته

ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ



﴿ولا تضحى﴾ أى ولا تتعرض فيها لحر الشمس «لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً» ﴿شجرة الخلد﴾ التى من أكل منها: يخلد ولا يموت ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يفنى ﴿فأكلا منها﴾ أى من الشجرة التى نهاهما الله تعالى عن قربها ﴿فبدت لهما سوءاتهما﴾ عوراتهما. والسوأة: كل ما يسوء الإنسان كشفه ﴿وطفقا﴾ وجعلا ﴿يخصفان﴾ يلزقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ قيل: هو ورق التين ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أى ضل عن الرأى وجهل. وقيل: أخطأ. وليس المراد العصيان والغى بمعناها المتعارف؛ بدليل قوله تعالى فى آية سابقة «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً» وبالجملة فإن الله تعالى يصح أن يوجه لأوليائه، وأنبيائه وأصفيائه؛ ما لا يصح أن نوجهه نحن لهم؛ كما أن الملك يخاطب وزراءه بلهجة الآمر، والزاجر؛ وهو ما لا يجوز أن يخاطبهم به سائر أفراد الرعية؛ وليس لكائن من كان أن يقول: إن آدم عاص، أو غاو؛ فمثل هذا القول كفر، أو هو بالكفر أشبه! ﴿ثم اجتباه ربه﴾ اختاره ﴿فتاب عليه﴾ غفر له ﴿وهدى﴾ هداه إلى الطريق الموصل إليه! (انظر آية ٢٣ من سورة الأعراف) ﴿قال اهبطا منها﴾ أى من الجنة ﴿جميعاً﴾ أنت وحواء، وما اشتملتما عليه من الذرية، أو «اهبطا» أنت وإبليس ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أى بعض ذريتكم، للبعض الآخر عدو، أو «بعضكم» إبليس وذريته «لبعض» أنت وذريتك ﴿فإما يأتينكم﴾ فإن يأتكم ﴿منى هدى﴾ كتاب، وشريعة ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل﴾ فى الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ فى الآخرة؛ وهو جزاء من الله، لمن اتبع هداه! ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ كتبى المنزلة ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ شديدة، ولو كان فى يسر، ضيقة ولو كان فى وسع! وذلك لأن الله تعالى جعل مع الإيمان: القناعة، والتسليم، والاطمئنان، والرضا، والتوكل؛

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

أَفَلَمْ

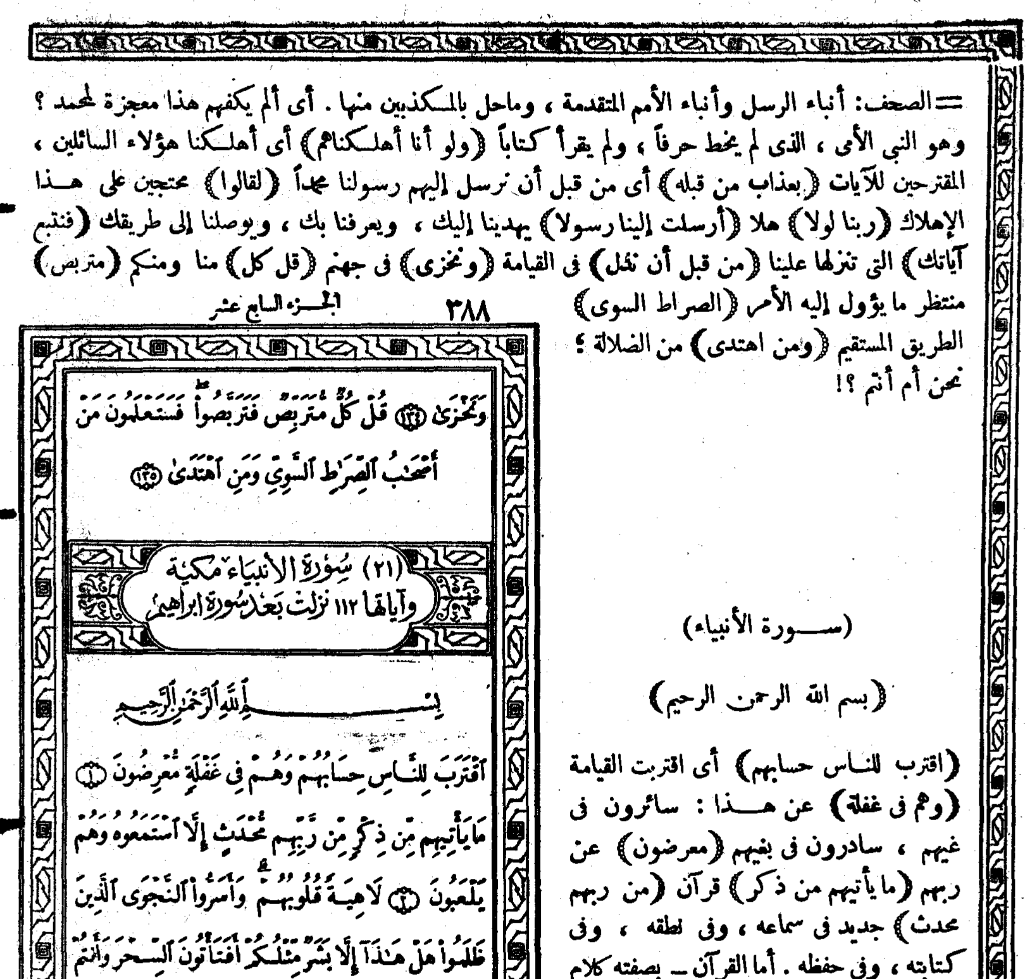
فالمؤمن مسرور دائماً فى سائر حالاته، راض عن مولاه، مطمئن لعاقبته: عيشه رغيد؛ ولو لم ينل سوى الخبز قفاراً، وقلبه سعيد؛ ولو انسابت عليه الهموم أنهاراً! ويصدق عليه دائماً قول ربه تعالى: «فلنحيينه حياة طيبة» كما جعل تعالى مع الكفر والإعراض عن الله: الحرص، والشح، وعدم الرضا، وانشغال البال، والطمع، والجشع؛ فالكافر دائماً طالب الزيادة؛ ولو أوتى مال قارون، قابض اليد؛ ولو انصب عليه المال انصباباً، كاره لمن حوله؛ ولو بذلوا النفوس فى طاعته؛ فعيشه ضنك شديد، وحياته كرب دائم، وحزن قائم؛ وحق عليه قول ربه جل شأنه: «فإن له معيشة ضنكا» وقيل المعيشة الضنك: عذاب القبر. وقيل: هى جهنم؛ ويدفع هذا المعنى قوله تعالى «ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» مما يدل على أن ما تقدم يكون =

=في الدنيا أو في القبر؛ أعاذنا الله تعالى من غضبه بمنه ورحمته! ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ عن الحجة، أو أعمى البصر: تتقاذفه الأرجل في المحشر ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي تنسى من النعيم والرحمة؛ كما نسيت آياتنا، وتركت العمل بها ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ أشرك، أو جاوز الحد في العصيان ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ الأمم ﴿يمشون في مساكنهم﴾ أي أفلم يتبين لهم، أو أفلم يرشدهم ويدلهم إهلاك من مضى قبلهم من القرون؛ وقد رأوا مساكنهم ومشوا فيها: فيهتدوا إلى طريق الحق والصدق؛ بأن

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ

يؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: «أفلم يهد لهم» أي الله تعالى؛ يدل عليه قراءة بعضهم «أفلم نهد لهم» ﴿إن في ذلك﴾ المذكور، أو ذلك المشي في مساكن الأمم السابقة المكذبة؛ ورؤية ما حل بها من هلاك وتدمير! إن في جميع ذلك ﴿لآيات﴾ لعبراً وتذكيراً ﴿لأولي النهى﴾ لذوي العقول ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب عن المكذبين من أمتك إلى يوم القيامة ﴿لكان لزاما﴾ أي لكان العذاب لازماً، ولزاماً عليهم؛ وقت ارتكابهم الآثام في الدنيا ﴿وسبح بحمد ربك﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس: ﴿قبل طلوع الشمس﴾ صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ ساعاته ﴿فسبح﴾ فصل. والمراد بها صلاتا المغرب والعشاء ﴿وأطراف النهار﴾ صلاة الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس والزوال: طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني من النهار. وقيل: المراد بالآية: صلاة التطوع. والذي أراه: أنه ذكر الله تعالى، وتسبيحه، وتمجيده؛ في كل وقت وحين: قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وآناء الليل، وأطراف النهار؛ فقد اشتملت هذه الأوقات سائر النهار والليل ﴿لعلك﴾ بمواظبتك على العبادة، وتمسكك بمرضاة الله تعالى ﴿ترضى﴾ أي يثيبك الله تعالى حتى ترضى. وقرىء «لعلك ترضى» بضم التاء؛ أو لعلك تعطى ما يرضيك ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أصنافا من الكفار ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها بالنبات والأقوات، والثمار والأشجار ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لا تطل النظر والتفكر إلى ما متعنا به أصنافا من الكفار بأنهم لا يستحقونه؛ فإنه فتنة لهم؛ ليحق عليهم العذاب ﴿ورزق ربك﴾ نعيمه في الآخرة ﴿خير﴾ مما تراه في الدنيا ﴿وأبقى﴾ لأنه دائم لا يفنى ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ أي داوم على أدائها، والأمر بها ﴿وقالوا﴾ أي قال المشركون ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتينا بآية من ربه﴾ معجزة مما يقترحونه. قال تعالى؛ رداً على قولهم ﴿أولم يأتهم﴾ في هذا القرآن ﴿بينة﴾ بيان ﴿ما في الصحف الأولى﴾ كالإنجيل، والتوراة، والزبور، وغيرها؛ مما أنزله الله تعالى. وبيان ما في هذه =

=الصحف: أنباء الرسل وأنباء الأمم المتقدمة، وماحل بالمكذبين منها. أى ألم يكفهم هذا معجزة لمحمد؟ وهو النبي الأمى، الذى لم يخط حرفاً، ولم يقرأ كتاباً ﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ أى أهلكنا هؤلاء السائلين، المقترحين للآيات ﴿بعذاب من قبله﴾ أى من قبل أن نرسل إليهم رسولنا محمداً ﴿لقالوا﴾ محتجين على هذا الإهلاك ﴿ربنا لولا﴾ هلا ﴿أرسلت إلينا رسولا﴾ يهدينا إليك، ويعرفنا بك، ويوصلنا إلى طريقك ﴿فنتبع آياتك﴾ التى تنزلها علينا ﴿من قبل أن نذل﴾ فى القيامة ﴿ونخزى﴾ فى جهنم ﴿قل كل﴾ منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿الصراط السوى﴾ الطريق المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة؟ نحن أم أنتم؟!



وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

(٢١) سورة الأنبياء مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

مَا آمَنَتْ

(سورة الأنبياء)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اقترب للناس حسابهم﴾ أى اقتربت القيامة ﴿وهم فى غفلة﴾ عن هذا: سائرون فى غيهم، سادرون فى بغيهم ﴿معرضون﴾ عن ربهم ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ قرآن ﴿من ربهم محدث﴾ جديد فى سماعه، وفى نطقه، وفى كتابته، وفى حفظه. أما القرآن ـ بصفته كلام الرحمن ـ فهو صفة قائمة بذات منزله وقائله تعالى! قال البوصيرى رحمه الله تعالى فى بردته:

آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم

﴿لاهية قلوبهم﴾ غافلة عن معناه ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أى تكلم الكفار فيما بينهم متناجين سراً؛ قائلين ﴿هل هذا﴾ يعنون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿أفتأتون السحر﴾ أى أتتبعون السحر الذى يأتى به؟ ﴿بل قالوا﴾ على الوحى الذى أوحينا به لمحمد ﴿أضغاث﴾ أخلاط ﴿أحلام﴾ أى رؤيا مختلطة لاتعبر: لكونها نتجت من فساد المعدة، وأبخرة الطعام. وقالوا أيضاً ﴿بل افتراه﴾ أى اختلق القرآن واخترعه. وقالوا أيضاً ﴿بل هو شاعر﴾ يقول القرآن من بديهته؛ كما تقول الشعراء الشعر من بداهتهم ﴿فليأتنا بآية﴾ معجزة ﴿كما أرسل﴾ الرسل ﴿الأولون﴾ كموسى وعيسى وغيرهما؛ فرد الله تعالى عليهم بقوله

مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ

﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ كقوم صالح ، وقوم موسى ؛ فإنهم لم يؤمنوا رغم المعجزات والآيات ؛ فعاقبناهم بالإهلاك ﴿أفهم يؤمنون﴾ أى أفيؤمن قومك ؟ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا﴾ مثلك ﴿نوحى إليهم﴾ مثل ما أوحينا إليك ؛ وهذا رد على قولهم «هل هذا إلا بشر مثلكم» ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا ﴿وماجعلناهم﴾ أى وما جعلنا الأنبياء ﴿جسداً لا يأكلون الطعام﴾ بل إنهم بشر أمثالكم : يأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ﴿وما كانوا خالدين﴾ فى الدنيا ؛ بل يموتون كسائر البشر ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ الذى وعدناهم بإنجائهم ، وإهلاك المكذبين ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ من عبادنا المؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المتجاوزين الحد بالكفر والتكذيب ، وارتكاب المعاصى ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا﴾ هو القرآن الكريم ﴿فيه ذكركم﴾ أى شرفكم وعلوكم ؛ وذلك كقوله جل شأنه «وإنه لذكر لك ولقومك» ﴿وكم قصمنا﴾ أهلكنا . والقصم : الكسر ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ شعروا بنزول عذابنا ﴿إذا هم منها﴾ أى من القرية النازل بها العذاب ﴿يركضون﴾ يهربون مسرعين ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم﴾ أى «لا تركضوا» وارجعوا إلى نعيمكم الذى كنتم فيه ﴿لعلكم تسألون﴾ أى لعله أن يطلب منكم الإيمان ثانية . وهو توبيخ وتقريع لهم ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ أى كالزرع المحصود ﴿خامدين﴾ ميتين ؛ وهو من خمود النار : أى انطفائها

مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾

لَا يَسْبِقُونَهُۥ

﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿فيدمغه﴾ فيذهبه ﴿فإذا هو زاهق﴾ مضمحل ذاهب ﴿ولكم الويل﴾ العذاب ﴿مما تصفون﴾ به الله تعالى؛ من الزوجة، أو الولد، أو الشريك ﴿ومن عنده﴾ من الملائكة ﴿ولا يستحسرون﴾ لايتعبون، ولا يعيون ﴿يسبحون الليل والنهار لايفترون﴾ أي إن تسبيحهم متصل دائم؛ لاتتخلله فترة، ولا يشوبه ملل. والفتور: السكون بعد الحدة، واللين بعد الشدة ﴿ينشرون﴾ يحيون الموتى ﴿فسبحان الله﴾ تقدس وتنزه من أن يكون له شريك! ﴿لايسأل عما يفعل﴾ لأنه تعالى صاحب الملك، وخالقه، ومدبره! وقد جرت العادة أن يسأل الكبير الصغير؛ ولا أكبر من الله! والجليل الذليل؛ ولا أجل منه تعالى! ﴿وهم يسألون﴾ لأنهم محط الأخطاء، ومناط التكاليف! فلاحجة لأحد على الله، وله تعالى الحجة القائمة على كل أحد «قل فلله الحجة البالغة» (انظر آية ١٤٩ من سورة الأنعام) ﴿هذا﴾ القرآن ﴿ذكر من معي﴾ أي إن القرآن ذكر أمتي، وسبيلها إلى التوحيد ﴿وذكر من قبلي﴾ من الأمم السابقة؛ وفي هذا أن القرآن الكريم فيه ما في التوراة والإنجيل وسائر الكتب السابقة؛ مما يحتاجه المرسل إليهم لهدايتهم، والتعرف إلى ربهم؛ وليس في القرآن، ولا في أحد هذه الكتب تعدد الآلهة؛ بل كلها يجمع على أنه لا إله إلا الله وحده، لا إله غيره، وأنه فرد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد! فمن أين جاءهم مايقولونه، ومايزعمونه! ﴿وقالوا اتخذ الرحمن﴾ من الملائكة ﴿ولداً﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له، وتقديساً عن اتخاذ الولد ﴿بل﴾ الملائكة ﴿عباد مكرمون﴾ مطيعون له عابدون

لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ
خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن
دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾
وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا
مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن
قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ
ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ الذى يريدونه؛ بل هم ﴿بأمره﴾ الذى يريده ﴿يعملون﴾ لا يعملون سواه ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ ما سيحدث منهم ولهم ﴿وما خلفهم﴾ ما مضى من أمرهم وأعمالهم ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ خائفون ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ سداً ملتئمتين ﴿ففتقناهما﴾ شققنا السماء بالمطر، والأرض بالنبات؛ نظيره قوله تعالى «والسماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع» أو شق السماء والأرض فجعل كلا منهما سبعاً، وزعم بعض الفلاسفة: أن قطعة انفصلت من الشمس - بعوامل طبيعية - فكانت أرضنا هذه؛ وهو قول لا دليل عليه غير ما زعموا؛ ومن عجب أن شايعهم بعض المحدثين فى هذه المقالة؛ التى ماأريد بها غير نفى وجود الله تعالى وقدرته على صنع هذه الأرض؛ وأنها لم تكن إلا بمحض الصدفة؛ كما أن الإنسان أيضا كان بمحض الصدفة والتطور. وهوقول خبيث، له خبء؛ ما أريد به وجه العلم؛ بل أريد به نشر الكفر، وفشو الإلحاد؛ فاحذر - هديت وكفيت - دس الملحدين ووسوسة الشياطين! ﴿وجعلنا من الماء﴾ أى بواسطته وسببه ﴿كل شىء حى﴾ جماداً كان أو نباتاً، حيواناً أو إنساناً ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى﴾ جبالا ثوابت ﴿أن تميد بهم﴾ أى خشية أن تميل الأرض وتتحرك بمن عليها ﴿وجعلنا فيها فجاجا﴾ مسالك ﴿سبلا﴾ طرقا ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ من الوقوع، ومن عبث الشياطين ﴿وهم عن آياتها﴾ أى آيات السماء ومافيها من شموس ومجرات، وكواكب وأنجم، وبروج ومنازل ﴿وهو الذى خلق الليل﴾ لتسكنوا فيه ﴿والنهار﴾ لتعملوا فيه، وتبتغوا من فضله ﴿و﴾ خلق ﴿الشمس﴾ سراجا وهاجا، لمنفعة الإنسان والحيوان، والثمار والنبات ﴿و﴾ خلق ﴿القمر﴾ نوراً وضياء؛ ليهتدى به الناس إلى حساب الأشهر والسنين ﴿كل﴾ منها ﴿فى فلك يسبحون﴾ يسيرون فى الهواء؛ كالسابح فى الماء ﴿ونبلوكم﴾ نختبركم ﴿بالشر﴾ الفقر، والمرض، والبؤس ﴿والخير﴾ الغنى، والصحة، والسعادة. وهذا الابتلاء بالشر والخير ﴿فتنة﴾ لكم؛ لننظر أتصبرون على الشر، وتشكرون على الخير؛ أم تكفرون فى أحدهما أو كليهما

تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ

عَلَيۡهِمُ

﴿وإلينا ترجعون﴾ يوم القيامة ؛ فنأجركم على الشكر والصبر ، ونؤاخذكم على اليأس والكفر ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ أى قالوا : أهذا الذى يذكر آلهتكم بسوء ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ يتعجبون من ذكرك لآلهتهم بالسوء ؛ وهى لاتعقل ، ولا تنفع ، ولاتضر ؛ ويكفرون بالرحمن ـ عند ذكره ـ وهو الخالق الرازق ، النافع الضار ، السميع العليم ! ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ أى إن الإنسان لكثرة تعجله ؛ كأنه خلق من عجل . وقيل : المراد بالإنسان : آدم عليه السلام ؛ وأنه أراد أن يثب قبل أن تبلغ الروح رجليه : تعجلا إلى ثمار الجنة . وقيل : «خلق الإنسان من عجل» أى من تعجيل فى خلق الله تعالى إياه . والمراد بذلك : أن هذا الإنسان العجيب الخلقة ، المحكم الصنع : لم يحتج إلى وقت فى خلقته وصنعه ؛ بل خلقه الله تعالى على عجل : بغير روية ، ولا مثال ! ﴿سأريكم آياتى﴾ الدالة على قدرتى ووحدانيتى ﴿فلا تستعجلون﴾ بإنزال العذاب الموعود ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالقيامة والثواب والعقاب ﴿حين لا يكفون﴾ وقت لا يمنعون ويدفعون ﴿بل تأتيهم﴾ الساعة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿فتبهتهم﴾ تدهشهم وتحيرهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون ﴿فحاق﴾ فنزل ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أى جزاءه وعقابه ﴿قل من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿من الرحمن﴾ من عذابه وبطشه إن أراد تعذيبكم والبطش بكم ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ يجارون ؛ كما يجير الصاحب صاحبه ﴿بل متعنا هؤلاء﴾ المكذبين لك ﴿و﴾ متعنا ﴿آباءهم﴾ بما أسبغناه عليهم من سعة ورزق وفير

﴿حتى طال عليهم العمر﴾ في النعمة ؛ وظنوا أنهم جديرون بها ، وأنها لا تزول عنهم ؛ فاغتروا بذلك ، وانصرفوا عن الإيمان ، وأعرضوا عن تدبر الحجج والآيات ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ أي أرض الكفار ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتمليك المسلمين لها ﴿أفهم الغالبون﴾ أم أنت ؛ وقد أظهرك الله تعالى عليهم ، وأعزك وأذلهم ! ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ الذي هو من قبل الله تعالى ؛ لا من قبل نفسي ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ شبههم في عدم استماعهم للنصح : بالصم الذين لا يسمعون أصلا ، ولا يستجيبون للنذر «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون» ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب﴾ النفحة : القدر الضئيل ؛ كنفحة العطر ، أو كما ينفح إنسان إنساناً بقدر من ماله ﴿ونضع الموازين القسط﴾ أي الموازين العدل . وقدذهب الأكثرون إلى أن لكل عبد ميزاناً توزن به أعماله ، أوهو ميزان واحد لسائر الخلائق . والذي يبدو أنه ليس ثمت ميزان ؛ وإنما أريد بالميزان : العدل . يؤيده لفظ الآية ، وقوله تعالى «والوزن يومئذ الحق» ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ أي إن كان العمل وزن حبة من خردل أتينا بها وحاسبنا عليها . وحبة الخردل : مثل يضرب للقلة : لصغر هذه الحبة وخفة وزنها ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان﴾ التوراة ؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ؛ وسمي القرآن فرقاناً لذلك . وقد يكون «الفرقان» بمعنى النصر على الأعداء ؛ بدليل قوله تعالى «وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» يعني يوم بدر ؛ فيكون المعنى : ولقد آتينا موسى وهرون النصر على الأعداء ،

عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ

وتكون التوراة هي المعنية بقوله تعالى ﴿وضياء وذكراً للمتقين﴾ وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرأ «ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء» بغير واو ؛ وهي قراءة مخالفة للمصحف الإمام ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ فيما بينهم وبين أنفسهم ؛ لأنهم يعلمون تمام العلم بأنه تعالى مطلع على خوافيهم ؛ كاطلاعه على ظواهرهم ﴿مشفقون﴾ خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ هو القرآن الكريم ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ هداه وتوفيقه ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾ الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ على عبادتها مواظبون

فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾

﴿فطرهن﴾ خلقهن ﴿وتالله﴾ قسم ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أحطمها؛ قال ذلك في نفسه ـ بعد مجادلة قومه ـ وقد حطمها فعلا ﴿فجعلهم جذاذاً﴾ مكسرين فتاتاً ﴿إلا كبيراً لهم﴾ أي صنما كبيراً ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ أي على مرأى منهم ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ وأشار إلى الصنم الكبير الذي تركه من غير تحطيم. وقيل: إنه كنى بأصبعه ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ أراد عليه الصلاة والسلام أن يريهم مبلغ حمقهم وجهلهم، وأنهم يعبدون ما لا ينطقون: يعبدون من هو أقل من عابديه درجات؛ فتبارك القائل «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا» ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي فكروا تفكير الراجع عن رأيه، المتبصر في حجة خصمه، المؤيد لها ﴿فقالوا﴾ لأنفسهم ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ بعبادتكم الأصنام؛ لا إبراهيم الذي حطمها! ﴿ثم نكسوا على رؤسهم﴾ أي انقلبوا وعادوا إلى كفرهم؛ بعد ومضة الإيمان التي أظهرها الله تعالى لهم، وسلكها في قلوبهم: فبعد أن رجعوا إلى أنفسهم «فقالوا إنكم أنتم الظالمون» تغلبت أنفسهم الشريرة عليهم، وسيطر عليهم إبليس بتزيينه؛ وقالوا لإبراهيم ﴿لقد علمت ماهؤلاء﴾ الأصنام ﴿ينطقون﴾ ونسوا أنهم بوصفهم هذا لآلهتهم: نزلوا بها إلى مرتبة أدنى من مراتبهم؛ بل أدنى من مرتبة العجماوات؛ وذلك لأن البهائم تنطق؛ وهؤلاء لا ينطقون. والبهائم تنفع وتضر؛ وهؤلاء لاينفعون ولا يضرون ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾ بل لا يستطيع نفع نفسه، ولا دفع الضر عنها: فقد استطاع إبراهيم بيده أن يوصل الضرر لسائرهم. وجعلهم جذاذاً!

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ

﴿أف لكم﴾ أى قبحاً لكم ؛ وهى كلمة تضجر وتكره ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ بعد أن أقام عليهم الدليل القاطع ، والبرهان الساطع ؛ على فساد عباداتهم ، وسخف معتقداتهم ؛ يقولون هذا القول ! ولا بدع فالنار مثوى لهم ! وقد أوقدوا ناراً عظيمة ؛ بلغ من عنفها وشدتها : أن أحرقت الطير فى جو السماء ؛ ووضعوا إبراهيم فى منجنيق ، وقذفوا به وسط هذه النار ؛ التى تذيب صلد الأحجار ؛ وهنا تتجلى قدرة الجبار ، ويثبت أنه وحده النافع الضار ! هنا يقيم القهار الدليل على وجوده لأعدائه ، وعلى حفظه وكلاءته لأوليائه : فيقلب طبائع الأشياء ، ويخص ما شاء بما شاء ؛ كيف لا وهو ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ! ﴿قلنا يانار﴾ يامن طبعتك على الإحراق ﴿كونى برداً وسلاماً على﴾ عبدى ورسولى ﴿إبراهيم﴾ وأبدى القوى المتين : سره المكنون ؛ وأن أمره بين الكاف والنون : فصارت النار المحرقة ، كالرياض المونقة! ﴿وأرادوا به كيداً﴾ إيذاء باحراقه بالنار ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ فى الدنيا والآخرة . قيل: سلط الله تعالى عليهم البعوض فأهلكهم ، وشرب دماءهم ، ودخلت واحدة منه فى منخر رئيسهم النمرود : فصار يضرب رأسه بالحائط ، ويأمر رعيته بضرب رأسه ؛ حتى ينزف دماً ؛ فلا يستريح ، ولا يقر له قرار ؛ حتى هلك بعد أن أذاقه الله تعالى الهوان والعذاب الأليم ! ﴿إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾ وهى الشام ؛ وقد باركها الله تعالى بنزول أكثر الأنبياء بها ، وبكثرة الأنهار ، والأشجار ، والثمار ﴿ووهبنا له﴾ أى لإبراهيم ﴿إسحق ويعقوب نافلة﴾ أى زيادة على ما سأل : لأنه سأل ولداً ، فأعطى اثنين ﴿ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث﴾ هو إتيان الذكران ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل﴾ دعا بقوله «رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً» وقوله «أنى مغلوب فانتصر» ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ، وانتصرنا له باستئصال الكافرين من قومه ﴿فنجيناه وأهله﴾ الذين آمنوا معه

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى﴾ مسألة ﴿الحرث﴾ الزرع ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ أى رعت؛ فجاء صاحب الحرث يحتكم إلى داود: فحكم لصاحب الحرث بالغنم، ولصاحب الغنم بالحرث. وذلك لأنه رأى أن قيمة الحرث - قبل رعى الغنم - تساوى سائر الغنم؛ والقاعدة أن الجانى يعوض المضرور بقدر ضرره. فلما سمع سليمان حكم أبيه داود؛ راجعه قائلا: الرأى أن يخدم صاحب الغنم الحرث حتى ينمو الزرع كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الغنم؛ فيستفيد من أصوافها وألبانها حتى يتسلم حرثه مزروعا كما كان؛ فيرد لصاحب الغنم غنمه. فوافقه داود على هذا الحكم؛ ودعا له

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ

عِندِنَا

﴿ففهمناها سليمان﴾ أى فهمناه حقيقة القضية، وحسن الحكومة. وذلك لأن حكم سليمان طابت به نفس الخصمين، وعاد لكليهما ماله كاملا غير منقوص. ومن هنا نعلم أنه لم يوفق موفق إلا بهدى من الله تعالى، ولايحكم حاكم بعدل إلا بإرشاد منه تعالى ووحى. فكم رأينا ذكياً أخطأ، وغبيا أصاب! ﴿وكلا﴾ من داود وسليمان ﴿آتينا حكماً﴾ نبوة ﴿وعلماً﴾ تبصرة بأمور الدين والدنيا. وقد أراد الله تعالى أن يرينا قدر داود عليه السلام، وأن حكمه - ولو أنه خالف الأولى - لم يغض من شأنه، أو ينقص من قدره. فقد حكم فى حدود العدل الذى ارتآه؛ فلما وجد حكماً أقرب إلى العدل، وأدنى من المصلحة: أقره وأمضاه؛ لذلك كان أهلا لما اختصه الله تعالى به، واختاره له؛ فقد سبحت الجبال معه والطير؛ بتوفيق من الله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ يسبحن معه أيضاً: إكراما له، وإعزازاً! قال تعالى: «وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ كان يصنع الدروع، وقد ألان الله تعالى له الحديد ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ أى لتمنعكم فى الحرب من عدوكم ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾ أى شديدة الهبوب؛ قال تعالى «تجرى بأمره رخاء حيث أصاب» أى تسير الريح معه كما يشاء: عاصفة شديدة، أو هادئة لينة ﴿تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها﴾ هى الشام؛ وكانت إقامته بها ﴿ومن الشياطين﴾ أى سخرنا له من الشياطين؛ وهى طائفة من الجن. والشيطان: كل عات متمرد؛ من جن أو إنس، أو دابة؛ وأطلق على إبليس: لأنه رأس العتاة والمتمردين! ﴿من يغوص له﴾ فى البحر؛ فيستخرجون له من لآلئها، وجواهرها، وغرائبها ﴿ويعملون عملا﴾ أعمالا ﴿دون ذلك﴾ أى غير ذلك: من بناء القصور والحصون، والتماثيل والمحاريب، وغير ذلك ﴿وكنا لهم﴾ أى للجن ﴿حافظين﴾ لأعمالهم؛ من أن يفسدوها بعد إتمامها كشأنهم؛ والمراد أنه تعالى سلطانه قائم عليهم، وإرادته نافذة فيهم! =

=﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ الضر الذى مسه : هو ذهاب ماله ، وموت أبنائه ، ومرض أصابه . أما ما يرويه بعض المفسرين من أن الضر : هو مرض أتلف لحمه ، وأذاب جسمه ، وجعل الدود يتناثر منه : فهو من أقاصيص اليهود ، باطل مردود : لأن الأنبياء عليهم السلام لا يصح أن يصابوا بأمراض تشمئز منها النفوس ، وتوجب النفرة منهم ! وقد يكون الضر هو المرض ؛ ولكن ليس كما حكموا ووصفوا ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ أى وهبنا له ضعف ما فقده من الأولاد

عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى
رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ
مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾
وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا
وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ

﴿وإدريس﴾ وهو من الأنبياء عليهم السلام ؛ وهو اسم أعجمى ، وليس مشتقاً من الدراسة كما توهم بعضهم . قيل : اسمه أخنوخ ﴿وذا الكفل﴾ زعم بعضهم أنه بوذا : رئيس الملة البوذية ؛ وقد تطرف أتباع بوذا من طاعته إلى عبادته ؛ وعملوا له أصناماً لا تعد ؛ دانوا بعبادتها ، والخضوع لها ؛ وما أشبههم بأصحاب عيسى : دعاهم إلى الله ؛ فزعموا أنه هو الله ! ونفى عنه الولد ؛ فقالوا : أنت المولود والولد ! وقيل: سمى بذى الكفل : لأنه كان متكفلا بطاعة الله تعالى وعبادته ، أو لأنه تكفل لملك زمانه بالجنة إن أسلم. وقيل: إنه زكريا ؛ لأنه تكفل بمريم عليهما السلام . وهذا الرأى بعيد : لذكر زكريا عليه السلام بعد ذلك . والله تعالى أعلم بخلقه وأحكم ! ﴿كل﴾ ممن ذكرنا من الأنبياء ﴿من الصابرين﴾ على طاعة الله تعالى وعن معاصيه ، وعلى ما يصيبهم فى الحياة الدنيا من أحداث ، وآلام ، ومتاعب! ﴿وذا النون﴾ النون : الحوت . أى وصاحب الحوت : وهو يونس بن متى عليه السلام ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ قومه ، منصرفا عنهم ؛ بغير إذن من مرسله تعالى ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أى تأكد أنا لن نضيق عليه ؛ لقربه منا ، واصطفائنا له . ولكنا أمرنا الحوت بالتقامه ﴿فنادى﴾ نادانا ﴿فى الظلمات﴾ جمع ظلمة : وهى ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت﴾ يعبد ويقصد ﴿سبحانك﴾ تعاليت وتنزهت ﴿إنى كنت من الظالمين﴾ ما دعا داع بدعاء يونس عليه السلام : إلا فرج الله همه ، ودفع كربه ، وأنجاه من كل بلية ! كيف لا ؟ والله تعالى يقول ﴿فاستجبنا له﴾ أجبنا دعاءه ونداءه ﴿ونجيناه من الغم﴾ الذى كان فيه ؛ ولم يكن غمه قاصراً على التقام الحوت فحسب ؛ بل كان جل همه وغمه: مظنة غضب الله تعالى عليه ! وقد ألهمه الله تعالى هذه الكلمات ، لينجيه مما نزل به من الكرب والضيق ! ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ نلهمهم مايوصلهم إلينا ، ونوفقهم إلى مايقربهم منا ﴿رب لاتذرنى فرداً﴾ أى لا تتركنى وحيداً بغير ولد يرثنى ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ جعلناها صالحة للحمل بعد عقمها ، أو صالحة الخلق بعد سوئها =

=(ويدعوننا رغباً) رغبة فى رحمتنا (ورهباً) رهبة من عذابنا (والتى أحصنت فرجها) حفظته من الزنا: وهى مريم عليها السلام (فنفخنا فيها من روحنا) أمر تعالى جبريل عليه السلام فنفخ فى جيب درعها، فحملت بعيسى عليه الصلاة والسلام (وجعلناها وابنها آية) دلالة واضحة على قدرتنا (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى فرقوا أمر دينهم، واختلفوا فيما بينهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) لأن الصالحات بغير إيمان: لا اعتبار لها، ولا اعتداد بها (فلا كفران لسعيه) أى فلا جحود لعمله؛ بل نثيبه عليه (وحرام على قرية أهلكناها) أى ممتنع على أهل قرية أهلكناهم (أنهم لا يرجعون) أى لا يعادون إلينا يوم القيامة؛ للحساب والجزاء؛ لأن عذابهم فى الدنيا لا يعفيهم من عذاب الآخرة الموعود!

كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى

بين تعالى أن من يعمل من الصالحات وهو مؤمن: فلا كفران لسعيه؛ وأن له الحظ الأوفر، والنعيم الأكبر! وأعقب ذلك بأن الكفار الذين عذبهم فى الدنيا، وأهلكهم بذنوبهم: لابد من إرجاعهم وإعادتهم فى الآخرة لمحاسبتهم على ما أتوه، ومعاقبتهم على ما جنوه أو أنهم «لا يرجعون» إلى الدنيا كما طلبوا فى قولهم «رب ارجعون» «فارجعنا نعمل صالحاً» (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) يفتح السد الذى أقامه ذو القرنين بيننا وبينهم؛ وذلك قبيل يوم القيامة (وهم من كل حدب) مرتفع من الأرض. وقرئ «جدث» وهو القبر (ينسلون) يسرعون (واقترب الوعد الحق) يوم القيامة (فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) مرتفعة الأجفان؛ لاتكاد تطرف من هول ماهم فيه (إنكم) أيها الكافرون (وماتعبدون من دون الله) غيره من الأصنام (حصب) حطب (أنتم لها واردون) فيها داخلون. لما نزلت هذه الآية: فرح المشركون، وضجوا بالضحك؛ وقالوا: لقد عبد النصارى عيسى، وعبد اليهود عزيراً، وعبد بعض العرب الملائكة: فعيسى وعزير والملائكة فى النار. فنزل قوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون» ولو فطن هؤلاء المعاندون إلى دقة التعبير فى قوله تعالى «إنكم وما تعبدون» ولم يقل: ومن تعبدون؛ ومن المعلوم لغة أن «ما» لما لا يعقل، وأن «من» لا تطلق إلا على العقلاء (لو كان هؤلاء) الأصنام (آلهة) كما زعمتم (ما وردوها) ما دخلوا جهنم (لهم فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) وهم الذين وعدوا بالعفو والمغفرة؛ لما قدموه من إيمان صادق، وعمل صالح (لا يسمعون حسيسها) صوتها (لايحزنهم الفزع الأكبر) الذى يعم سائر العصاة والمشركين؛ مما يرونه من مظاهر الشدة والبطش والقسوة (وتتلقاهم الملائكة) مرحبين بهم، قائلين لهم (هذا يومكم=

=الذى كنتم توعدون﴾ به فى الدنيا ﴿يوم نطوى السماء كطى السجل﴾ الكاتب . وقيل : «السجل» اسم ملك يطوى كتب الأعمال ﴿ولقد كتبنا فى الزبور﴾ الكتاب الذى أنزل على داود عليه السلام ﴿من بعد الذكر﴾ التذكير بالله تعالى ﴿أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ المراد بالأرض : الجنة ؛ وذلك كقوله تعالى «وقالوا الحمد لله الذى أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين» ﴿إن فى هذا لبلاغاً﴾

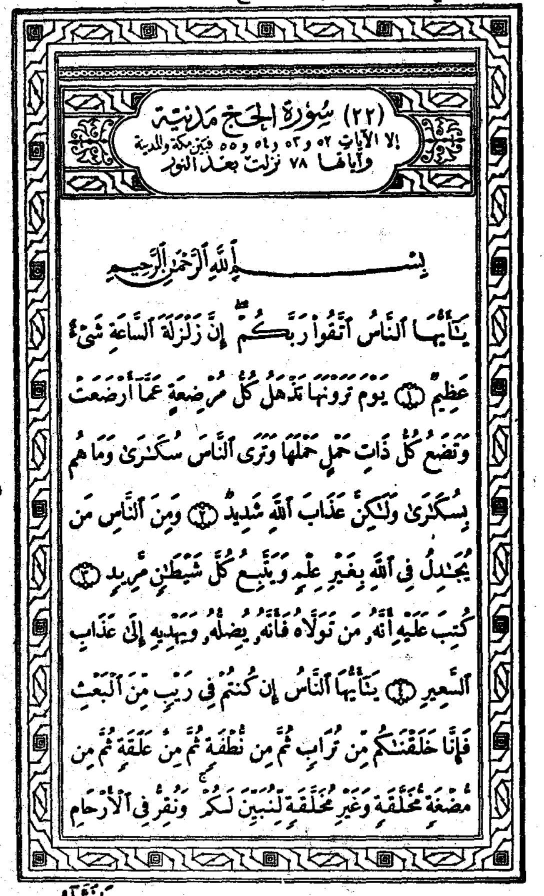
ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

لتبليغاً كافياً مفهماً ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد ﴿إلا رحمة للعالمين﴾ أى رحمة للجن والإنس ، والوحش والطير ؛ رحمة للمؤمنين : بإنجائهم يوم الدين ، ورحمة للكافرين: بإنجائهم فى الدنيا من نزول العذاب ؛ الذى كان يلحق بمكذبى الأمم السابقة ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا ﴿فقل آذنتكم﴾ أى أعلمتكم ﴿على سواء﴾ أى مستوين كلكم فى هذا الإعلام ، أو أعلمتكم أنى على سواء . أى على عدل واستقامة رأى ، أو «آذنتكم» بالحرب ؛ لا سلم بيننا: إما الإيمان وإما القتل ! ﴿وإن أدرى﴾ وما أدرى ﴿أقريب ما توعدون﴾ به من العذاب ، أو «ما توعدون» به من القيامة ﴿لعله فتنة﴾ أى لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا اختبار لكم ﴿ومتاع﴾ تمتع ﴿إلى حين﴾ انقضاء آجالكم ﴿وربنا الرحمن المستعان﴾ المطلوب منه المعونة والنصر ﴿على ما تصفون﴾ به أنفسكم ؛ من القوة والشجاعة ، والانتصار على المؤمنين ؛ أو «المستعان» الذى نستعين به «على ماتصفون» به الله تعالى ؛ من الولد والشريك ؛ فنقضى على هذه الفرية ؛ بالقضاء على مروجيها ومعتقديها !

(سـورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يأيها الناس اتقوا ربكم﴾ خافوه ، واحذروا غضبه وبأسه ، واخشوا يوما ترجعون فيه إليه ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ الزلزلة : الإزعاج ، والإفزاع . أى اتقوا ربكم لأن زلزلة الساعة شيء مهول ! ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ أى تغفل عنه ؛



مع أن الطبيعة البشرية : تقتضى تمام الحرص من جانب الأم على وليدها ، وتقتضى كامل الشفقة به ، والحدب عليه ؛ فيذهب جميع ذلك لشدة ما تلقاه فى هذا اليوم من الهول ، وما تجده من الرعب ! ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أى تطرح كل حبلى ما فى بطنها ؛ لشدة ما ترى من الفزع ﴿وترى الناس سكارى﴾ أى كالسكارى ؛ فى عدم الوعى ، وفى الخلط ، وفى التعثر ، وفى الذهول ﴿وماهم بسكارى﴾ حقيقة ؛ ولكنه هول القيامة ! ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ عات متمرد ؛ مستمر فى الشر ؛ مستمرئ له ﴿كتب عليه﴾ أى قضى على هذا الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ أى اتبعه ، واتخذه إماماً له ومعيناً ﴿فإنه﴾ أى الشيطان ﴿يضله﴾ عن طريق الحق ، ويرديه فى الباطل ﴿ويهديه﴾ يوجهه ﴿إلى عذاب السعير﴾ إلى ما يوصله إلى جهنم وبئس المصير ! وهذا كقوله تعالى «فاهدوهم إلى صراط الجحيم» ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب﴾ شك ﴿من البعث﴾ يوم القيامة ﴿فإنا خلقناكم﴾ أى خلقنا أصلكم آدم ﴿من تراب﴾ أى إن كنتم شاكين فى البعث ، وكيف أننا نعيدكم بعد فنائكم ؛ فانظروا فى بدء خلقكم : إذ خلقناكم من تراب ، ولم تكونوا شيئاً ؛ فكيف لا نستطيع إعادتكم كما أنتم الآن ؟ ! ﴿ثم من نطفة﴾ منى ﴿ثم من علقة﴾ ذهب المفسرون إلى أن المراد بها : قطعة دم جامدة ! والذى أراه أن المراد بالعلقة : واحد الحيوانات المنوية ، التى يتخلق منها الجنين بأمر الله تعالى ؛ وتجمع على «علق» قال تعالى «خلق الإنسان من علق» ﴿ثم من مضغة﴾ قطعة لحم صغيرة ؛ قدر ما يمضغ فى الفم ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ أى تامة الخلقة ، وغير تامتها ﴿ونقر فى الأرحام مانشاء﴾ أى نثبت فى الأرحام ما نشاء ثبوته ؛ وما لم نشأ إبقاءه : أسقطته الأرحام . فليس كل من حملت أنتجت

﴿إلى أجل مسمى﴾ هو وقت استيفاء الجنين مدته فى الرحم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ كمال قوتكم ؛ وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أردئه ؛ وهو الكبر المؤدى إلى الهرم والخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ أى لينسى ما عرفه ، ويجهل ما علمه ؛ لذهاب عقله ، ومزيد كبره «ومن نعمره ننكسه فى الخلق» قال عكرمة : من قرأ القرآن : لم يصر إلى هذه الحالة نفعنا الله تعالى بكتابه ، وكتبنا من أحبابه ، وشفعه فينا ، وجعله حجة لنا لا علينا ! ﴿وترى الأرض هامدة﴾ ساكنة يابسة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾ بالمطر ، أو بالسقيا من ماء المطر نفسه ـ المنساب فى الأنهار والآبار ـ وذلك بعد وضع البذر ﴿اهتزت﴾ تحركت لطلوع النبات ﴿وربت﴾ انتفخت وارتفعت ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ من كل صنف حسن ، سار للناظرين ! ﴿ذلك﴾ المذكور : من قدرة الله تعالى على إنشاء الإنسان أصلا من ترابه ، ثم من نطفة ؛ ثم تطور النطفة إلى علقة ، ثم مضغة ؛ ثم إخراجه طفلا ، ثم إنهاء أجله على الصورة التى يريدها الله تعالى له ـ صغيراً ، أو كبيراً ، أو بالغاً أرذل العمر ـ ثم قدرته جل شأنه ، وعلا سلطانه ؛ على إنزال الماء من السماء على الأرض اليابسة ، واهتزازها ، وانشقاقها عن أصناف النبات : البهيج المنظر والمخبر ؛ كل «ذلك» يدل دلالة قاطعة على أنه تعالى ﴿هو الحق وأنه﴾ كما أنشأ الخلق ابتداء ، وأماتهم ﴿يحي الموتى﴾ ويبعثها يوم القيامة للحساب والجزاء ؛ فتعالى الله الخالق ما يريد ، الفاعل ما يشاء ! ﴿ثانى عطفه﴾ أى لاوياً عنقه : كبراً وخيلاء ، أو معرضاً عن ذكر الله تعالى ﴿وأن الله﴾ فى إحيائه وإماتته ، ومحاسبته ومعاقبته ﴿ليس بظلام للعبيد﴾ ولكن العبيد «كانوا أنفسهم يظلمون» ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ على طرف ؛ أى يعبد الله شاكا فى وجوده ، أو شاكا فى إحيائه ، أو شاكا فى جزائه ﴿فإن أصابه خير﴾ غنى وصحة ﴿اطمأن به﴾ وسكن إليه ﴿وإن أصابته فتنة﴾ شر وبلاء وفقر

مَا نَشَاءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ

(انقلب على وجهه) رجع إلى كفره: يائساً من رحمة الله تعالى؛ وبذلك يكون قد (خسر الدنيا) بفوات ما أمله فيها، وأراده منها (و) خسر (الآخرة) لأن الله تعالى لم يعدها إلا للمتقين؛ و (ذلك) الخسران (هو الخسران المبين) الواضح؛ الذى لا خسران بعده (يدعو) أى يعبد (من دون الله) غيره (ذلك هو الضلال البعيد) الكبير (يدعو لمن ضره) أى يدعو من ضره؛ واللام زائدة (أقرب من نفعه) أى يعبد من دون الله من يحتمل وصول الضرر منه، ولا يستطيع إيصال النفع. أو يطلب رفع ما نزل به؛ ممن لا قدرة له على دفعه عن نفسه (لبئس المولى) أى بئس الرب، وبئس السيد؛ ذلك الذى لا يضر ولا ينفع! (ولبئس العشير) أى بئس القريب والصاحب؛ و «العشير» من المعاشرة (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله عليه الصلاة والسلام. أو المراد: من كان قد يئس من روح الله، وقنط من رحمته، وظن أنه تعالى لن ينصره: فليختنق! وجاء على لسان العرب «ينصره» بمعنى يرزقه (فليمدد بسبب) بحبل (إلى السماء) أى إلى السقف؛ لأن كل ما علاك: فهو سماء (ليقطع) أى ثم ليختنق! (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى «هل يذهبن كيده» لنفسه بالاختناق؛ الأمر الذى يغيظه: وهو ظنه بأن الله تعالى لن يرزقه، أو بأن الله تعالى لن ينصر رسوله؛ وقد نصره فى الدنيا: بنصره، ورفعة شأنه، وإعلاء دينه؛ وفى الآخرة: بالمقام المشهود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى! (وكذلك أنزلناه) أى القرآن (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدى من يريد) هدايته، أو من يريد أن يهتدى (والذين هادوا) اليهود (والصابئين) قوم زعموا أنهم على دين نوح عليه السلام، أوهم كل من صبأ: أى خرج من دين إلى دين آخر (والمجوس) عبدة النار (ألم تر أن الله يسجد له) كل (من فى السموات) من أملاك (ومن فى الأرض) من إنس وجن

عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ
مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ
أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

وَٱلشَّمْسُ

﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ كل هؤلاء يسجد لله تعالى . أي يطيعه ، ويخضع لأوامره . أو هو سجود على الحقيقة : يتمثل في ظل هذه الأشياء «وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» ﴿وكثير من الناس﴾ أي ويسجد له كثير من الناس؛ وهم المؤمنون ﴿وكثير من الناس﴾ ﴿حق عليه العذاب﴾ أي وجب عليه؛ لكفره ، وفسوقه عن أمر ربه ﴿ومن يهن الله﴾ يشقه بالكفر ﴿فما له من مكرم﴾ أي ليس له من مسعد يرتفع به إلى مصاف المؤمنين ، ويدفع عنه ما كتبه عليه أحكم الحاكمين !

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

وإنما يهن الله تعالى من استوجب الشقاء والمهانة ، وارتضى لنفسه خسة الكفر ، وذلة الجهل ؛ وأبى رفعة الإيمان ، وعزة العلم !

هذا ولا يعقل أصلا أن المولى الكريم يهين من لا ذنب له ، ولا إثم عليه ؛ بعد أن رفعه وكرمه «ولقد كرمنا بني آدم» وقد اعتاد أكثر المفسرين - سامحهم الله تعالى - على أن يذهبوا في مثل هذه المعاني مذاهب شتى؛ يأباها العدل السماوي ، وتنبو عنها الحكمة الإلهية ؛ ويتسترون وراء معان فخمة ضخمة ؛ هي في الواقع عين الحقيقة ، ولب الشريعة . وإلا فمن ذا الذي ينكر أنه تعالى يفعل ما يريد ؟ ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ أو أن الأمر أمره ، والخلق خلقه ؟ وأن الجميع ملك له وعبيد ؟ إن من ينكر هذا أو بعضه ؛ فإنه واقع في الكفر لامحالة: لأنه قد أنكر مالا يصح الإيمان إلا به ! إنما الذي ننكره ، ونحارب من أجله ، ونلقى الله تعالى عليه : أنه تعالى «ليس بظلام للعبيد» وأنه جل شأنه لا يظلم الناس ، ولكن الناس «كانوا أنفسهم يظلمون» فإذا أهان الله تعالى عبداً ؛ فإنما يعاقبه بهذه الإهانة على ظلم نفسه ؛ بالرضا بالكفر ، والركون إليه ! قال تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» .

لذا أتبع الله تعالى ذلك بذكر خصومة المؤمنين والكافرين ، وما يؤول إليه حال كل منهم . قال تعالى ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ المؤمنون خصم ، والكافرون خصم ﴿فالذين كفروا﴾ بمحض اختيارهم ؛ وليس بدافع خفي من الله تعالى؛ تنهار أمامه قوتهم ، وتمحى حياله إرادتهم ! وهل يستطيع مخلوق أن يدفع إرادة الخالق تعالى ؟ أو أن يخرج عما أكرهه عليه ، واضطره إليه ؟ ! ﴿قطعت﴾ أي سويت وأعدت ﴿لهم ثياب من نار﴾ وهو تشبيه لإحاطة النار بهم من كل جانب : إحاطة الثوب بلابسه ﴿يصب من فوق رؤسهم الحميم﴾ وهو الماء البالغ نهاية الحرارة . عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لو سقطت نقطة واحدة منه على جبال الدنيا لأذابتها ! ﴿يصهر به﴾ أي يذاب بالحميم ﴿ما في بطونهم﴾ من أحشاء ، وأمعاء وقلوب ، وكلى ، وأكباد ! وخص ما في بطونهم : =



= ليظهر مبلغ ما يحيق بهم من آلام لا توصف : فإن الإنسان لا يحتمل أدنى ألم - مهما قل - يلم بما فى بطنه ؛ فما بالك - عافانى الله تعالى وإياك - بالحميم فى الجحيم ؛ يصب فوق الرؤس ؛ فيصهر ما فى البطون ! ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ تضرب بها رؤسهم ! والمقامع : جمع مقمعة ؛ وهى عمود من حديد ؛ يضرب به رأس الفيل ليستكين ويحد من هيجانه . وهى مشتقة من القمع ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أى من النار ﴿من غم﴾ حزن شديد ، وهم بالغ نالهم ﴿أعيدوا فيها﴾ بالضرب بالمقامع ﴿و﴾ يقال لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾

لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ
بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ
مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ
وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾
لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ
ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ
وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ
وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ

أَوْ تَهْوِى

بما قدمتم ﴿إن الله يدخل﴾ بفضله ﴿الذين آمنوا﴾ به وبكتبه ورسله ﴿وعملوا الصالحات جنات﴾ بساتين : لا آخر لعظمها ، ولا حد لبهجتها ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ أى هدوا فى الدنيا إلى القول الطيب ؛ الذى وصلهم إلى هذه الدرجة من النعيم : وهو لا إله إلا الله ! ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أى إلى طريق الله ، الموصل إليه ؛ وهو الإيمان ! ﴿إن الذين كفروا ويصدون﴾ يمنعون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿سواء العاكف فيه﴾ المقيم ﴿والباد﴾ غير المقيم ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ أى ومن يهم فيه بمعصية ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ جاء فى اللغة : ألحد فى الحرم : إذا احتكر الطعام . وقيل ؛ الإلحاد : الحلف الكاذب، أو هو منع الناس عن عمارة المسجد الحرام .وقرئ «ومن يرد» بفتح الياء : من الورود

هذا ولم يؤاخذ الله تعالى أحداً من خلقه على الهم بالمعصية ما لم يرتكبها ، ولابالشروع فيها ما لم يأتها ؛ إلا فى المسجد الحرام : فإن من يهم فيه بالذنب : كمن يقترفه ! وذلك لأن الإنسان يجب عليه أن يكون فى الحرم طاهر الجسم ، نقى القلب ، صافى السريرة ، خالصا بكليته لله ، طامعاً فى مغفرته ، مشفقاً من غضبه ! وإن من ينتهك حرمة الملك بمعصيته فى حماه ، وداخل بيته : أجرأ على المعصية ممن يرتكبها بعيداً عنه ! وحقاً إن من تهجس نفسه بالسوء ؛ وهو فى داخل الحرم الآمن : لجدير بالجحيم ، والعذاب الأليم ! ﴿وإذ بوأنا﴾ هيأنا ﴿وطهر بيتى﴾ من الأصنام والأوثان والرجس ﴿وأذن﴾ ناد ﴿فى الناس بالحج يأتوك رجالا﴾ أى مشاة على أرجلهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ أى ركباناً . والضامر : البعير ، أو الفرس المهزول ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ من كل طريق بعيد ﴿ليشهدوا﴾ يحضروا ﴿منافع لهم﴾ بالتجارة ، والتعرف بالناس من شتى الأقطار . وفى هذا من المنافع الاجتماعية ما فيه ؛ وقد اهتم الشارع الحكيم باجتماع الناس وتآلفهم ، وتبادلهم الأخوة الدينية ، والمحبة الخالصة ! فشرع صلاة الجماعة : ليختلط أهل الحى الواحد ، وشرع الجمعة: ليجتمع أهل البلدة ، وشرع الحج: ليجتمع أهل الأقطار والأمصار ؛ =

= ليتعارفوا، ويتحابوا، ويتبادلوا الآراء العامة؛ التي تعود بالنفع على الأمة الإسلامية في سائر أقطار المعمورة! ﴿وأطعموا البائس﴾ الذي أصابه بؤس وشدة ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ التفث في المناسك: قص الأظافر والشارب، وحلق الرأس والعانة، ورمى الجمار، ونحر البدن، وأشباه ذلك. والتفث في اللغة: الوسخ. أي وليزيلوا وسخهم ﴿وليوفوا نذورهم﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وليطوفوا﴾ يطوفوا طواف الإفاضة؛ الذي هو من واجبات الحج ﴿بالبيت العتيق﴾ القديم؛ وهو البيت الحرام. وسمى بالعتيق: لأنه أول بيت وضع

أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ
شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم
مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ
وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن
يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ
كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ

للناس. قال تعالى «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا» ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ يجتنب مالا يحل انتهاكه ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع — إلا ما ذكيتم — وما ذبح على النصب» ﴿فاجتنبوا الرجس﴾ القذر. وهو كل ما يستوجب العقاب والعذاب ﴿من الأوثان﴾ الأصنام ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ شهادة الزور. وقول الزور: من أكبر الكبائر، وهو من الموبقات المهلكات! وما فشا الزور في قوم: إلا وحل بهم الخراب والدمار! ﴿حنفاء لله﴾ مسلمين ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير﴾ أي فكأنما سقط من السماء فتخطفته الطير، ومزقته كل ممزق ﴿أو تهوى به الريح﴾ تسقطه وتلقيه ﴿في مكان سحيق﴾ بعيد. أي إنه لاترجى له نجاة في الحالتين ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ الشعائر: جمع شعيرة؛ وهي أعمال الحج، وكل شيء فعل تقربا إلى الله تعالى! وتعظيمها: اختيار البدن حسنة سمينة ﴿فإنها﴾ أي تعظيم الشعائر، والقيام بها على أكمل وجه، وأجمل صفة ﴿من تقوى القلوب﴾ وهي أرقى مراتب التقوى! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره الشريف ﴿ثم محلها﴾ أي مكان وجوب نحرها. والضمير للأنعام ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي موضع قربان؛ وهو مكان الذبح ﴿المخبتين﴾ المطمئنين بذكر الله تعالى، المطيعين له، المتواضعين ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ خافت ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البأساء والضراء ﴿والبدن﴾ جمع بدنة؛ وهي من الإبل والبقر: كالأضحية من الغنم ﴿صواف﴾ أي قائمات قد صفت أيديهن وأرجلهن ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي سقطت على الأرض بعد نحرها ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾ وهو الراضي بما عنده، وبما يعطى؛ من غير مسألة. أو هو السائل ﴿والمعتر﴾ وهو الذي يريك نفسه ولا يسأل ﴿لن ينال الله﴾ أي لن يصل إليه ﴿لحومها ولا دماؤها﴾ فقد استمتعتم بها أكلا وبذلا ﴿ولكن يناله﴾ يصل إليه =

= ﴿التقوى منكم﴾ أى إنه تعالى لن يصل إليه ، ولن يقبل من ذلك إلا ماأريد به وجهه جل شأنه ؛ فذلك وحده هو المقبول المجزى عليه ! أما ماأريد به التظاهر والتفاخر والرياء والاستعلاء : فهو مردود على فاعله موزور عليه غير مأجور ! ﴿إن الله لايحب كل خوان كفور﴾ شديد الخيانة والكفر ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أى أذن للمؤمنين الذين يقاتلون : أن يقاتلوا من يقاتلونهم ؛ وذلك ﴿بأنهم ظلموا﴾ وقوتلوا ابتداء واعتداء ؛ وهم ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ مكة ؛ ظلماً وعدواناً ﴿بغير حق إلا أن يقولوا﴾ أى أخرجوا بغير ماسبب ؛ سوى قولهم ﴿ربنا الله﴾ وحده ، لا إله غيره ، ولانعبد سواه !

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ

قَرْيَةٍ

بعد أن بين تعالى مساوىء القتال الظالم، الغير المتكافىء ، والقائم على الإثم والضلال : عرفنا أن الحروب والقتال : ليست شراً كلها؛ بل منها مايقوم بسبب مشروع : يؤجر المرء ويثاب عليه . قال تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ أى لولا ماشرعه تعالى لأنبيائه والمؤمنين من عباده ؛ من قتال أعدائه : أعداء الدين ؛ لشاعت الفوضى ، وعمت الإباحية ؛ و﴿لهدمت صوامع﴾ جمع صومعة ؛ وهى مكان العبادة . وهى للنصارى كالخلوة عند متعبدى المسلمين ﴿و﴾ لهدمت ﴿بيع﴾ وهى كنائس النصارى ﴿وصلوات﴾ كنائس اليهود ﴿ومساجد﴾ المسلمين . وكلها معابد : واجب العناية بها ، والاحترام لها ؛ وذلك لأنها جميعاً ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ بالعبادة ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أى من ينصر دينه ، ويدفع عن أوليائه ؛ لأنه تعالى لا يحتاج إلى نصرة أحد ، والكل مفتقر إلى نصرته !

وهذه الآية الكريمة خاصة بالحروب ، وحاجة الكون إليها ، وأنها ضرورة من ضرورات الحياة ، ولازمة من لوازم العمران . (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) ﴿الذين إن مكناهم فى الأرض﴾ أى جعلنا لهم مكانة فيها وسلطاناً ﴿وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وأصحاب مدين﴾ قوم شعيب ﴿فأمليت للكافرين﴾ أمهلتهم ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب والاستئصال ﴿فكيف كان نكير﴾ إنكارى عليهم ما فعلوه ، وتغييرى؛ حيث أبدلتهم مكان الأمن خوفاً ، ومكان الراحة تعباً ، ومكان النعم نقماً ﴿فكأين من قرية﴾ فكم من قرية

﴿أهلكناها وهى ظالمة﴾ أى أهلكناها بسبب كفرها ﴿وبئر معطلة﴾ أى وكم من بئر متروكة لا ينتفع بها ؛ بسبب هلاك أهلها وإفنائهم ﴿و﴾ كم من ﴿قصر﴾ عظيم ﴿مشيد﴾ رفيع طويل متين ﴿وكأين من قرية﴾ وكم من قرية ﴿أمليت لها﴾ أمهلتها ﴿وهى ظالمة﴾ كافرة . والمراد بالقرية فيما تقدم : أهلها ﴿ثم أخذتها﴾ بالعذاب والاستئصال ﴿وإلى المصير﴾ المرجع ؛ فأعاقب الكفار أشد العقاب ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ فى القرآن: بالطعن فيه ، وفيمن نزل عليه ؛ بقولهم: سحر وساحر ، وشعر وشاعر ﴿معاجزين﴾ أى طالبين

قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ

عجزنا ، ومناوئين لنا ، أو ينسبون العجز للنبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾ تمنى : قرأ . أى إذا قرأ ألقى الشيطان فى قراءته : ليشوش أذهان السامعين ، ويبعث فى نفوسهم الشكوك والريب . قيل: كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ سورة «والنجم» فلما بلغ قوله تعالى «ومناة الثالثة الأخرى» تكلم الشيطان بقوله : تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى . فوقع عند بعضهم أن ذلك من قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد كان الشيطان فى ذلك الحين يتكلم ويسمع كلامه بالآذان ، وقد قال يوم أحد «لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم»

والذى أراه فى معنى هذه الآية: أن يكون التمنى على ظاهره . أى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى» لأمته الإيمان «ألقى الشيطان فى» سبيل «أمنيته» العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان﴾ يمحوه ويذهبه من قلوب أوليائه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ بأن يجعلها مقبولة لدى من سبقت لهم الحسنى ، وحازوا المقام الأسنى ! أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين فباطل مردود؛ لا يستسيغه عقل مؤمن ، ولا يقبله قلب سليم ! وهو زعمهم بأن الرسول الكريم - الذى لا ينطق عن الهوى - نطق بلسانه ؛ حين بلغ «ومناة الثالثة الأخرى» قائلا : تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى . هذه القالة التى لا ينطق بها مؤمن فضلا عن سيد المؤمنين ؛ الذى هدانا لتوحيد رب العالمين ! وقد استدلوا على قولهم الباطل بأحاديث واضحة البطلان ، بادية الخسران ! وقد نبه إلى ذلك بعض فضلاء الأمة : قال ابن اسحق فى حديث الغرانيق : هو من وضع الزنادقة . وقال أبو بكر بن العربى : إن جميع ما ورد فى هذه القصة لا أصل له . وقال القاضى عياض : إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه أحد بسند متصل سليم ؛ وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ؛ المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم !

(ليجعل) الله (ما يلقي الشيطان) في صدور بني الإنسان (فتنة) محنة وابتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أي ويجعله أيضاً فتنة للقاسية قلوبهم؛ التي لا تلين لذكر الله تعالى (وإن الظالمين) الكافرين (لفي شقاق بعيد) خلاف كبير! ألا ترى إلى الأمم الغربية - وقد يكونوا أبناء دين واحد - وقد ساد بينهم الشقاق، وفشت بينهم الشحناء والبغضاء، وشمر كل ساعده للنزال والقتال، وأعدوا لبعضهم ما أعدوا: من ضروب الأسلحة المهلكة المدمرة؛ فصدق عليهم قوله تعالى «وإن الظالمين لفي شقاق بعيد» فهم طول العمر، وأبد الدهر؛ في شقاق وأي شقاق! (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله تعالى، وبدينه وآياته (أنه) أي القرآن الكريم (فتخبت) فتطمئن (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) في شك من القرآن (حتى تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) وسمي عقيما: لأنه لا يوم بعده. وقيل: هو يوم بدر؛ وهو عقيم: لأنه لامثل له في عظمه: لأن الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلت فيه، أو لأن الكفار لم ينظروا فيه إلى الليل؛ بل قتلوا قبل المساء؛ فصار يوماً لا ليلة له؛ فكان عقيما! وأول الأقوال أولى: لقوله تعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) فيما كانوا فيه يختلفون (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد (أو ماتوا) ميتة طبيعية (ليرزقنهم الله رزقاً حسناً) في الجنة (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي اقتص لنفسه. وليس المراد بذلك المجانسة في العقوبة على إطلاقها؛ فمن قتل ولدي: لم يجز لي أن أقتل ولده؛ لأن ولده لم يرتكب ما يؤثم عليه، ومن سمم ماشيتي: لم يجز لي أن أسمم ماشيته؛ لأنها عجماء لم تذنب. ولايصح الاقتصاص منها - لو أذنبت - قيل: نزلت في جماعة من المشركين مثلوا بقتلى المسلمين يوم أحد؛ فعاقبهم المسلمون بالتمثيل بقتلاهم. ومعنى الآية: من جازى الظالم بمثل ظلمه (ثم بغى عليه) أي بغى على المعاقب، الآخذ بحقه

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ

لَيَنْصُرَنَّهُ

لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ

﴿لينصرنه الله﴾ على من بغى عليه ﴿ذلك﴾ النصر المستمد من الله تعالى ؛ لأنه وحده القادر القاهر ، العفو الغفور ؛ ومن قدرته تعالى أنه ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ أى يدخل كلاهما فى الآخر ؛ بأن ينقص هذا ويزيد ذاك ؛ وهذا مشاهد ملموس فى الصيف والشتاء ؛ وهما آيتان دالتان على قدرته تعالى ووحدانيته ﴿ما يدعون﴾ ما يعبدون ﴿من دونه﴾ غيره ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض﴾ من أشجار وأنهار، ودواب وأطيار ، وغير ذلك مما ينتفع به ﴿والفلك﴾ السفن ﴿تجرى فى البحر بأمره﴾ بإذنه ومعونته وقدرته ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ بأمره ومشيئته ؛ يوم القيامة «يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب» «يوم تمور السماء موراً» ﴿وهو الذى أحياكم﴾ بالإنشاء من العدم ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم التى قدرها لكم ﴿ثم يحييكم﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿إن الإنسان لكفور﴾ بالله ، أو كفور بأنعمه ! ﴿لكل أمة جعلنا منسكا﴾ شريعة ودينا ﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به

هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ
لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا
قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن
يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا
لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

مَا قَدَرُوا۟

﴿وإن جادلوك﴾ فيما أنزل إليك ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ من سوء ؛ فيجازيكم عليه ﴿إن ذلك﴾ المذكور ؛ من إنزال الماء من السماء ، وازدهار الأرض بالنماء ، وتسخيره تعالى للفلك تجرى بكم على الماء ، وإمساكه جل شأنه للسماء ، وإنشائه لمن يشاء ، وإماتته بعد الإحياء ، وإحيائه بعد الفناء ، وإحاطة علمه تعالى بما فى الأرض وما فى السماء . كل ذلك ﴿فى كتاب﴾ مكتوب فى اللوح المحفوظ ، ومعلوم له تعالى قبل حدوثه ﴿ويعبدون من دون الله﴾ غيره ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ حجة أو برهاناً ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات واضحات ؛ لا لبس فيها ولا إبهام ﴿تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر﴾ الإنكار لها ، والكفر بها ؛ وذلك بما يبدو عليهم من الانقباض والعبوس والكراهة ﴿يكادون يسطون﴾ يبطشون ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أى بالمؤمنين الذين يتلون عليهم القرآن ﴿قل أفأنبئكم﴾ أيها الكافرون المكذبون ﴿بشر من ذلكم﴾ التكذيب، وإيذاء المؤمنين ﴿النار وعدها الله﴾ أمثالكم من ﴿الذين كفروا وبئس المصير﴾ أو يكون المعنى : «قل أفأنبئكم» أيها المؤمنون «بشر من ذلكم» أى هل أخبركم بما هو شر من بطش هؤلاء الكفار ، وإنكارهم لما جئتم به من الحق «النار وعدها الله» أمثالهم من «الذين كفروا» ﴿إن الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره من الآلهة . والمقصود بها الأصنام ﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ اختار الله تعالى الذباب فى التمثيل ـ ولو أنه أكبر من البعوض ـ لأن الذباب أحقر المخلوقات وأخسها ، وأبغضها وأقذرها ! والمعنى : ياأيها الكافرون ، ياأحقر المخلوقين: كيف تعبدون من دون الله ما لا يستطيع أن يخلق ذباباً ﴿ولو اجتمعوا له﴾ أى ولو اجتمع هؤلاء الآلهة ، وصار بعضهم لبعض ظهيراً ! ولم يقف عجزهم عند عدم استطاعة خلقة الذباب فحسب ؛ بل ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه﴾ أى لو سلب الذباب آلهتهم ـ التى يعبدونها ـ شيئاً من الطيب الذى كانوا يضمخونها به ؛ لم تستطع تلك الآلهة استرجاعه منه ـ رغم ضعفه وحقارته ـ هذا وقد يتوهم أن الذباب من الأشياء المخلوقة عبثاً ـ بل التى يفضل عدمها على وجودها ـ لما تنقله من مكروبات ، وما تحمله من جراثيم ـ لكنك لو علمت أنه يستوى فى نظر الحاكم : الجلاد الذى يطيح بالرقاب ، والغواص المعد للإنقاذ ؛ إذ كل منهما يفعل ما أمر به : لهان الأمر . وأيضاً فإن الذباب ـ فضلا عن حمله للمكروبات ـ فإنه خلق لإذلال المتكبرين والجبابرة : وذلك لأن الذبابة كما تقف على القمامة والقاذورات : فإنها تقف على أنف أعتى الجبابرة ، وأعظم الأكاسرة ! حيث لا يملك دفعها ، ولا يستطيع منعها ؛ وأن النمروذ ـ على تكبره =

= وجبروته ـ سلط الله تعالى عليه بعوضة أهلكته؛ إذلالا له، واستخفافاً بأمره، وتحقيراً لشأنه؛ فتعالى الله الملك الحق، الجبار المتكبر! ﴿ضعف الطالب﴾ الذباب ﴿والمطلوب﴾ الأصنام التي يعبدونها. أو «الطالب» العابد الكافر: لعجزه عن حماية آلهته من الذباب «والمطلوب» الصنم المعبود: لعجزه عن حماية نفسه

مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ما عرفوه حق معرفته؛ حيث جعلوا الأصنام شركاء له ﴿الله يصطفي﴾ يختار ﴿من الملائكة رسلا﴾ لرسله ﴿و﴾ يصطفي ﴿من الناس﴾ رسلا لخليقته ﴿إن الله سميع﴾ لأقوال عباده ﴿بصير﴾ بأعمالهم. كيف لا وهو تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ ما سيعملونه لاحقاً ﴿وما خلفهم﴾ ما عملوه سابقاً ﴿وإلى الله﴾ وحده ﴿ترجع الأمور﴾ فيقضي فيها بما شاء، ويحكم بما أراد! ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ في حياتكم الدنيا، وتفوزون بنعيم الآخرة ﴿وجاهدوا في الله﴾ في سبيل إقامة دينه، ونشر تعاليمه؛ الموصلة لخيري الدارين ﴿حق جهاده﴾ باستفراغ جهدكم وطاقتكم. ويدخل في ذلك: جهاد النفس، ومحاربة الشيطان:

وجاهد النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم ﴿حرج﴾ ضيق ﴿واعتصموا بالله﴾ الجأوا إليه واحتموا بفضله وعنايته، وثقوا به!

(سورة المؤمنون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الفلاح: هو الظفر بالمطلوب، والنجاة من المرهوب! ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ اللغو: كل كلام ساقط؛ حقه أن يلغى: كالكذب، والسب، والهزل ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ يحفظونها من الزنا، ومن كل ما يشين ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الإماء؛ اللاتى تخلفن نتيجة جهاد الكافرين؛ فى سبيل إعلاء الدين! وليس كما يفعل بعض من لا خلاق لهم ولا دين: من الاتجار فيهن؛ تحت ستار إحلال الله تعالى له؛ وليس الأمر كما يقولون ويفعلون؛ بل هو من أكبر الكبائر: فلم يحل الله تعالى استعباد النفوس؛ إلا إذا طغت وتجبرت ـ بعد كفرها ـ وجاهرت المؤمنين بالعداء؛ فلا يصلحها حينذاك إلاقطع الرؤس، وهلاك النفوس، وسلب الأموال، وسبى العيال، واستعباد النساء والرجال! وهذا هو ملك اليمين، الذى شرعه رب العالمين؛ وأحله ونظمه؛ وأمر تعالى ـ فيما أمر ـ بإعزازه بعد الذل، وإكرامه بعد الهوان، وإطلاقه بعد التملك! ونهى جل شأنه ـ فيما نهى ـ عن إذلاله وامتهانه، وجعل تخليصه وإعتاقه إحدى القربات إليه!

أما الآن ـ وليس ثمة حرب ولا قتال ـ فكيف يتملك الناس رقاب الأحرار؛ ويستحلون فروجهن بغير ما أمر الله؛ إنه الزنا ورب الكعبة! بل هو الفسق، والفجور، والظلم! وإلا فبماذا نسمى استعباد الأحرار المسلمين، واستحلال النساء بغير كلمة الله؟! ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أى طلب غير ما أحله الله تعالى من زواج مشروع، وتملك مشروع ﴿فأولئك هم العادون﴾ المعتدون؛ المستوجبون للحد ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ فلا ينقضون عهداً، ولا يغمطون وداً! (انظر آية ١ من سورة المائدة) ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ أى يؤدونها فى أوقاتها ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ وهو أعلى الجنان ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة﴾ خلاصة. والسلالة: ما انسل من الشىء. والسليل، والسليلة: الولد والبنت

(٢٣) سُورَةُ المُؤْمِنُونَ مَكِّيَّة وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

من

مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ

﴿من طين﴾ وهو آدم عليه السلام ؛ أصل البشر ﴿ثم جعلناه﴾ أى جعلنا سائر الإنسان من ولد آدم ﴿نطفة﴾ منياً ﴿فى قرار مكين﴾ مستقر حصين فى صلب الرجل ؛ أو هو الرحم ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ هى واحدة الحيوانات الصغيرة التى توجد بالمنى ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ قطعة لحم صغيرة ؛ قدر ما يمضغ ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أى إنساناً كاملا ، ناطقاً ، سميعاً ، بصيراً ، عاقلا ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ الخلق والإنشاء ﴿لميتون﴾ وعائدون إلى التراب الذى خلقتم منه ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ فنحاسبكم على ما قدمتم لأنفسكم ؛ فمن عمل خيراً أثيب عليه ، ومن عمل سوءاً عوقب به ! ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سموات ؛ جمع طريقة ؛ لأنها طرق الملائكة . وسميت أيضاً «طرائق» لأن بعضها فوق بعض ؛ والعرب تسمى كل شىء فوق شىء : طريقة ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ بتقدير حسب طلبكم له ، وحاجتكم إليه ؛ فلا هو بالمحرق ، ولا هو بالمغرق ؛ اللهم إلا إذا كان عذاباً وعقاباً ! ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فيحل الجدب مكان الخصب ﴿فأنشأنا به جنات﴾ بساتين ﴿من نخيل وأعناب﴾ (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) ﴿لكم فيها﴾ أى فى هذه الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ متنوعة ؛ لا يعلم مداها سوى خالقها ! ﴿وشجرة﴾ هى شجرة الزيتون ﴿تخرج من طور سيناء﴾ جبل فلسطين ﴿تنبت بالدهن﴾ أى بالزيتون المحتوى على الدهن ؛ وهو الزيت ﴿وصبغ للآكلين﴾ إدام يأتدمون به ﴿وإن لكم فى الأنعام﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿لعبرة﴾ لعظة وتذكيراً بقدر الله تعالى ، ومزيد أنعمه ﴿نسقيكم مما فى بطونها﴾ من الألبان ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ بأصوافها وأوبارها : للفرش ، واللبس ، وما شا كل ذلك ﴿وعليها وعلى الفلك﴾ السفن

(تحملون) فى حلكم وترحالكم (يريد أن يتفضل عليكم) أى يترأس ويتملك (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) برسالته إلينا (ماسمعنا بهذا) الذى يدعونا إليه نوح : من التوحيد ، وترك آلهتنا التى نعبدها (إن هو إلا رجل به جنة) جنون (فتربصوا) انتظروا (حتى حين) أى إلى أن يموت (قال) نوح (رب انصرنى) عليهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينة بمعونتنا وتحت حفظنا ورعايتنا . و «الفلك» يطلق على الواحد والجمع (ووحينا) أى وبإرشادنا (فإذا جاء أمرنا) بإهلاك الكافرين (وفار التنور) أى وفار الماء فى التنور ـ الذى يخبز فيه ـ فكان الغرق، من موضع الحرق! وقيل: المعنى : أن سفينة نوح عليه السلام سارت بالبخار ، كما تسير سفن اليوم فى البحار . وهذا معنى قوله تعالى «وفار التنور» وهو قول غريب مريب : تعلق به وبأمثاله بعض المتأخرين ؛ رغم مخالفته للأقوال الصريحة ، والأحاديث الصحيحة ! وما اخترعت مثل هذه المعانى إلا لنفى قدرة الله تعالى على إيجاد الماء من النار ، وبالتالى نفى وجوده تعالى وقدرته على خلق الخوارق ، وقلب الحقائق ! (فاسلك فيها) أى فأدخل فى السفينة (من كل) من أنواع المخلوقات وأجناسها (زوجين اثنين) ذكر وأنثى ؛ لحفظ الأنواع وبقائها . قيل : لم يحمل نوح فى سفينته إلا كل مايلد ويبيض ؛ أما أمثال البق والذباب والدود ؛ فقد أخرجها الله تعالى ـ بعد ذلك ـ من الطين (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى ولا تسألنى المغفرة للكافرين (فإذا استويت) أى علوت وتمكنت وجلست (أنت ومن معك) من المؤمنين (على الفلك) السفينة التى صنعتها بأمرى (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) أى أنزلنى إنزالا مباركا أو أنزلنى موضعا مباركا (إن فى ذلك) المذكور من أمر السفينة ، وإنجاء نوح والمؤمنين ، وإهلاك الكافرين

تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى
مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

لَأٓيَٰتٍ

لَآيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً

﴿لآيات﴾ دلالات على كمال قدرته تعالى، ومزيد فضله؛ وأنه جل شأنه ينصر دائماً أنبياءه، ويهلك أعداءهم وأعداءه ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ مصيبين بعض الأنبياء والمؤمنين، أو مصيبين بعض الأقوام المكذبة؛ فقد أصبنا قوم نوح ببلاء عظيم، وعذاب شديد أو «لمبتلين» لمختبرين الأمم السابقة بإرسال الرسل؛ لنعلم - علم ظهور - المطيع من العاصي وقد يكون المعنى «إن فى ذلك» القصص؛ الذى قصصناه عليك يا محمد من أمر نوح وغيره من الأنبياء «لآيات» دالة على صدق رسالتك «وإن كنا لمبتلين» أى لمختبرين بذلك أمتك: لنعلم من يصدق بنبوتك، ومن يكفر بما جئت به ﴿قرناً﴾ قوما ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هو هود. وقيل: صالح. وقيل: شعيب. عليهم السلام؛ وذلك لأن أممهم هم ممن أخذوا بالصيحة، وهؤلاء أهلكوا بها؛ قال تعالى فى آخر قصتهم «فأخذتهم الصيحة بالحق» ﴿وأترفناهم﴾ نعمناهم ﴿إنكم إذاً﴾ أى إذا أطعتم هذا النبى، الذى هو بشر مثلكم «إنكم إذاً» ﴿لخاسرون﴾ أى ليست لكم عقول ﴿أيعدكم أنكم إذا متم﴾ ودفنتم، وبليت أجسامكم ﴿وكنتم﴾ وصرتم ﴿ترابا وعظاما﴾ فى قبوركم ﴿أنكم مخرجون﴾ منها، ومبعوثون أحياء للحساب والعقاب ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ أى بعد بعداً كبيراً ما يعدكم به؛ من أنكم تحيون بعد ماتموتون، وتبعثون بعد ماتدفنون، وتحاسبون على أعمالكم فتعذبون؛ فهيهات هيهات لما يتوهمون! ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا﴾ وحدها، ولا حياة بعدها ﴿نموت ونحيا﴾ قد يتوهم أن إقرارهم بالحياة بعد الموت: إقرار منهم بالبعث بعد أن كذبوا به؛ ولكنهم إنما أرادوا «ونحيا» بحياة أبنائنا؛ أو لعلهم كانوا ممن يقول بتناسخ الأرواح، وبعثها فى أجساد أخرى، أو يكون فى الكلام تقديم وتأخير - كعادة العرب فى كلامهم - أى نحيا ونموت (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صاح عليهم جبريل عليه السلام فأهلكهم. والصيحة: العذاب؛ أو هى مقدمة لكل عذاب ﴿فجعلناهم غثاء﴾ الغثاء: ما حمله السيل من بقايا العيدان وورق الشجر اليابس

فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ

زُبُرًا

﴿فبعداً﴾ فهلاكا ﴿ثم أنشأنا﴾ خلقنا ﴿قروناً﴾ أمماً ﴿آخرين ماتسبق من أمة أجلها﴾ أى ماتسبق أمة الوقت المؤقت لإهلاكها . وهو كقوله تعالى «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون» ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ أى تتتابع : واحداً بعد واحد ؛ بفترة بينهما ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ فى الإهلاك ؛ ماداموا تابعين بعضاً فى الكفر والتكذيب ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أى عبراً يتحدث الناس بها؛ ولا يقال «أحاديث» إلا فى الشر ؛ قال تعالى «فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق» ﴿وسلطان مبين﴾ وحجة ظاهرة ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان ﴿وكانوا قوما عالين﴾ مستكبرين ، ظالمين ، قاهرين لغيرهم ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ مطيعون خاضعون ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ معجزة دالة على قدرتنا : إذ ولدته ـ عليه السلام ـ بغير زوج ، وولد بغير أب ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ مكان مرتفع ؛ وهو بيت المقدس ﴿ذات قرار﴾ أى أرض مستوية يستقر فيها ساكنها ﴿ومعين﴾ ماء جار ؛ وسمى معيناً : لرؤيته بالعين ﴿ياأيها الرسل﴾ هو خطاب وجه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ وأريد به أممهم ﴿كلوا من الطيبات﴾ الحلال ﴿واعملوا صالحاً﴾ وهم عليهم الصلاة والسلام لا يأكلون إلا أطيب الطيب ، وأحل الحلال ؛ ولا يعملون إلا أصلح الأعمال ؛ وذلك بفطرتهم واكتسابهم ! ﴿إنى بما تعملون عليم﴾ فجازيكم عليه ﴿وإن هذه أمتكم﴾ خطاب لسائر الرسل ﴿أمة واحدة﴾ وهذا يدل على أن الأمم الإسلامية ـ فى شتى أنحاء المعمورة ـ يجب أن تكون قلباً واحداً ، ويداً واحدة ، وأمة واحدة : فى تشريعها ، ومقاصدها ، وأغراضها ، وتوحيدها ؛ فالكل يؤمن بإله واحد : يدينون له بالطاعة والعبودية ، والكل مصدق بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والكل معترف بالبعث والإحياء ، والحساب والجزاء ! ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أى تفرقوا فى أمر دينهم ، وفى أمور دنياهم

زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ

﴿زبراً﴾ كتباً ألفوها، وضلالات وضعوها، وخرافات ابتدعوها! أو أريد بالزبر: الكتب المنزلة إليهم؛ كالتوراة والإنجيل والزبور: تمسك كل فريق بكتابه؛ بعد أن شوهه، ومسخ مافيه. أو «زبراً» بمعنى قطعاً؛ أى تفرقوا فى أمر دينهم؛ فصاروا يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض ﴿فذرهم فى غمرتهم﴾ فدعهم فى غفلتهم وضلالتهم ﴿حتى حين﴾ أى إلى حين انتهاء آجالهم ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين﴾ أى أيظن هؤلاء الكفار أن إمدادنا لهم، وتوسعتنا عليهم بالأموال والبنين ﴿نسارع لهم فى الخيرات﴾ التى يبتغونها ويطلبونها؛ حباً لهم، ورغبة فى إرضائهم؟ لا ﴿بل لا يشعرون﴾ أن ذلك استدراج لهم فى الدنيا؛ لنعاقبهم على ما فعلوا عقوبة كاملة يوم القيامة! ﴿مشفقون﴾ خائفون ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أى الذين يعطون الصدقات وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم. وقرأت عائشة وكثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «والذين يأتون ما أتوا» أى يرتكبون ما ارتكبوا من الذنوب «وقلوبهم وجلة» خائفة من عاقبة ما ارتكبوا ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أى لأنهم إلى ربهم راجعون فيعاقبهم على ما أتوه، أو يعاقبهم على المنع، أو على الرياء ﴿أولئك﴾ المذكورون: هم الذين ﴿يسارعون فى الخيرات﴾ وأى مسارعة فى الخير أكثر من وجل القلب؛ عند اقتراف الذنب؟! أو عند استقلال العطاء، رغبة فى الجزاء! ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ وهو اللوح المحفوظ: سطرت فيه أعمال العباد ﴿بل قلوبهم فى غمرة﴾ فى جهالة ﴿مترفيهم﴾ متنعميهم ﴿يجأرون﴾ يصرخون مستغيثين

عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

﴿على أعقابكم تنكصون﴾ أى ترجعون القهقرى . والمعنى : تعرضون عن الحق ﴿مستكبرين﴾ أى متكبرين على المسلمين ﴿به﴾ أى بالحرم : زاعمين أنكم أهله وسادته وحماته . أو «مستكبرين به» أى بالقرآن : تستكبرون عن سماعه والتصديق به ، وتطغون على المؤمنين ﴿سامراً﴾ أى جماعة تتسامرون ﴿تهجرون﴾ أى تقولون فى سمركم الهجر ؛ وهو القول الفاحش من الطعن فى القرآن ، وسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿أم جاءهم﴾ من الشريعة والأحكام ﴿مالم يأت آباءهم الأولين﴾ أو المراد «أم جاءهم» أمان من العذاب ؛ وهو «مالم يأت آباءهم الأولين» أو «أم» بمعنى: بل ﴿أم يقولون به جنة﴾ جنون ﴿ولو اتبع الحق﴾ القرآن ﴿أهواءهم﴾ بأن ينزل بما تهوى أنفسهم؛ من حل المحرمات ، وعبادة الأصنام ، وتعدد الآلهة ، والقول ببنوة عيسى لله . تعالى الله عما يقولون ويريدون علوا كبيراً ! ولو نزل القرآن بما أرادوا ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ قال تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» ﴿بل آتيناهم بذكرهم﴾ أى بالقرآن الذى فيه شرفهم وفخرهم قال تعالى «وإنه لذكر لك ولقومك» والذكر: الشرف ، والعز ، والسؤدد . أو «آتيناهم» بالقرآن؛ الذى فيه ذكرهم ، وذكر أعمالهم ؛ وما يترتب عليها من ثواب ، أو عقاب ﴿أم تسألهم خرجا﴾ أجراً ؛ من الخراج : وهو الإتاوة ﴿فخراج ربك﴾ رزقه الذى يجريه عليك من غير منع ولا قطع ؛ فذلك ﴿خير﴾ منهم ومما يملكون ﴿لناكبون﴾ لعادلون ومائلون ﴿ولو رحمناهم﴾ كشأننا دائماً مع عبادنا ﴿وكشفنا مابهم من ضر﴾ جوع وفقر . وقد كانوا قحطوا بمكة سبع سنين ؛ حتى أكلوا الجيف ! ﴿للجوا﴾ تمادوا واستمروا ﴿فى طغيانهم﴾ ضلالهم ﴿يعمهون﴾ يترددون متحيرين ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ بالجوع ، والقحط الشديد ﴿فما استكانوا﴾ فما خضعوا ﴿وما يتضرعون﴾ يتذللون بالدعاء إلى ربهم ؛ ليكشف مابهم ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ بالقتل ، والأسر ، والسبى ، والذل ؛ وكان ذلك يوم بدر . وقيل : يوم فتح مكة ﴿إذا هم فيه﴾ أى فى ذلك العذاب

﴿مبلسون﴾ آيسون من كل خير ﴿وهو﴾ جل شأنه ﴿الذى أنشأ لكم السمع﴾ الذى به تسمعون ﴿والأبصار﴾ التى بها تبصرون ﴿والأفئدة﴾ التى بها تعقلون ؛ فما لكم لاتسمعون النصح ، ولاتبصرون الحق ، ولا تعقلون الهدى ! و ﴿قليلا ما تشكرون﴾ أى لا تشكرون البتة ! ﴿وهو الذى ذرأكم﴾ خلقكم ﴿وإليه تحشرون﴾

مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

يوم القيامة ؛ فيؤاخذكم بما كنتم تعملون فى الدنيا ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ بالزيادة والنقصان ؛ وذلك بفعله سبحانه وتعالى ؛ ليقيم بنفسه الدليل على وجوده ! ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ أى أنكروا البعث مثل إنكارهم ؛ وذلك لأن الأولين ﴿قالوا أئذا متنا وكنا﴾ صرنا فى قبورنا ﴿تراباً وعظاماً﴾ نخرة ﴿أئنا لمبعوثون﴾ لمعادون إلى الحياة ؟ لا نظن حدوث ذلك ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ البعث ﴿من قبل إن هذا﴾ الوعد ﴿إلا أساطير﴾ أكاذيب وأباطيل ﴿الأولين﴾ المتقدمين ﴿قل﴾ يامحمد لهؤلاء المكذبين ، واسألهم ﴿لمن الأرض﴾ من خلقها ، ومن يملكها ﴿ومن فيها﴾ من المخلوقات؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها ﴿سيقولون لله قل﴾ ما دام الله هو مالكها ؛ فما بالكم لا تؤمنون به ؟ ! وما دام الله هو خالقها «ومن فيها» فكيف لايستطيع إعادتها بمن فيها ؟! ﴿أفلاتذكرون﴾ أفلا تتذكرون ذلك فتؤمنون ﴿قل﴾ لهم أيضاً مبالغة فى إقامة الحجة عليهم ﴿من رب السموات السبع﴾ وما فيهن من أفلاك ، ومن بهن من أملاك ﴿ورب العرش﴾ الملك ﴿العظيم﴾ الذى لا يحد ، ولا يوصف ؟ ﴿سيقولون لله﴾ وقرأ أبو عمرو «سيقولون الله» وهى القراءة المثلى ؛ لملاءمتها للسياق ﴿قل أفلا تتقون﴾ من هذا شأنه ، وهذا سلطانه ؟ ! ﴿قل من بيده﴾ وتحت أمره وتصرفه ﴿ملكوت﴾ ملك ﴿كل شىء وهو يجير﴾ من استجار به ؛ فيحميه مما يؤذيه ، ويدفع عنه ما يخشاه ﴿ولا يجار عليه﴾ أى ولا يستطيع أحد أن يمنع السوء عمن أراد الله تعالى إنزاله به ﴿سيقولون لله﴾ وقرأ أبو عمرو أيضاً «سيقولون الله» وهو أنسب للمقام ؛ كما قدمنا ﴿قل فأنى تسحرون﴾ أى فكيف تخدعون ، وتصرفون عن الحق الواضح الظاهر ؟ !

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

وَمَن

﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ كما تقول النصارى ببنوة عيسى! ﴿وما كان معه من إله﴾ يشركه فى ملكه؛ كما يقول المشركون ﴿إذاً﴾ أى لو كان معه إله ﴿لذهب كل إله﴾ من الآلهة ﴿بما خلق﴾ وانفرد بإدارته، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا﴾ تعالى وتكبر ﴿بعضهم على بعض﴾ كفعل ملوك الدنيا؛ وشأنهم دائماً التنازع والمغالبة والتعاظم ﴿سبحان الله﴾ تعالى وتقدس ﴿عما يصفون﴾ من الكفر ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ السر والعلانية ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون﴾ أى إن كان ولابد أن تريني ما تعدهم من العذاب ﴿فلا تجعلنى فى القوم الظالمين﴾ الكافرين؛ لئلا ينالنى ما ينالهم من العذاب ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾ أى ادفع أذى الكفار وإساءتهم بطريقة حسنة لينة؛ لا عنف فيها. قيل: نسخ ذلك بالأمر بالقتال: فيجب موادعة الكافرين، ما دمنا على محاربتهم غير قادرين. وقد ورد هذا بلفظه ومعناه فى مكان آخر من الذكر الحكيم؛ وهو خاص بدفع المؤمنين. (انظر آية ٣٤ من سورة فصلت) ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ نزغاتهم ووساوسهم ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أى أن يحضرونى فى أمورى وعباداتى: فيفسدون دينى ودنياى، أو أن يحضرونى عند الموت: فيفسدون آخرتى! ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أى جاء أحد الكافرين ﴿قال رب ارجعون﴾ أى أرجعنى إلى الدنيا، وأعدنى إلى الحياة ﴿لعلى أعمل﴾ عملا ﴿صالحاً فيما تركت﴾ فيما خلفت ورائى من مال، أو فيما عملته من عمل سىء! قيل: يقول ذلك الكفار، والبخلاء عند موتهم؛ وقد أجابهم الله تعالى على طلبهم الرجوع بقوله ﴿كلا﴾ لا رجوع ﴿إنها﴾ أى إن قول الكافر «رب ارجعون» ﴿كلمة هو قائلها﴾ لا أثر لها، ولا فائدة فيها ﴿ومن ورائهم﴾ أمامهم إلى يوم القيامة ﴿برزخ﴾ حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ﴿فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ «يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه؛ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»! ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالنعيم. الناجون من الجحيم!

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ

(تلفح وجوههم) تحرقها (كالحون) عابسون منقبضون ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿قالوا غلبت علينا شقوتنا﴾ أي تغلبت علينا أهواؤنا وشهواتنا. وسميت شقوة: لأنها مؤدية إليها. وذهب قوم ـ غفر الله تعالى لهم ـ إلى أن المعنى: غلب علينا ما كتب علينا من الشقاء؛ في حين أنه لم يكتب عليهم سوى ما علم أنهم يفعلونه بمحض اختيارهم؛ فليسوا مغلوبين ولا مضطرين ﴿قال اخسأوا فيها﴾ أي ابعدوا في النار أذلاء! يقال: خسأ الكلب: طرده ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ أي سخرتم منهم، واستهزأتم بهم ﴿حتى أنسوكم ذكرى﴾ لانشغالكم بالاستهزاء بهم عن تذكرى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ إذا ذكروني وعبدوني ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ أي بصبرهم على إذايتكم ﴿أنهم هم الفائزون﴾ بنعيمي ﴿قال﴾ الملك المكلف بسؤالهم ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ قيل: السائل لهم مالك عليه السلام: خازن النار ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا؛ لما نالهم في الآخرة من العذاب الأليم، ولما استعجلوه في الدنيا من ملذات ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم﴾ في الدنيا ﴿عبثاً﴾ وأنكم تعيشون في الأرض فساداً ولا تصلحون، وتعبدون من الأصنام والأوثان ما تشاءون، وتذرون ربكم أحسن الخالقين ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ فنحاسبكم على ما جنيتم، ونؤاخذكم على ما كسبتم! قال تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» ﴿فتعالى الله﴾ تنزه وتقدس

﴿الملك الحق﴾ الذى ﴿لا إله إلا هو﴾ ولامعبود سواه ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان﴾ لاحجة ﴿له به﴾ تقوم على صحة ألوهيته، وصدق ربوبيته ﴿فإنما حسابه﴾ أى عقوبة كفره، ومحاسبته عليه ﴿عند ربه﴾ فى جهنم وبئس المصير!

(ســـورة النور)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ مَدَنِيَّة وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

وَالزَّانِيَةُ

﴿وفرضناها﴾ أى فرضنا أحكامها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ ظاهرات واضحات ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ قدم تعالى ذكر الزانية على الزانى: لأنها منشأ الجناية، ومبدأ الغواية! فلو لم تطمع الزانى بلين كلامها، وتفتح له المجال بإشراق ابتسامها؛ وتخرجه عن طوره بإظهار محاسنها، وإبداء مفاتنها؛ وتمكنه - مع كل ذلك - بالاختلاء بها من غير محرم؛ لاثالث لهما سوى الشيطان! لولا ذلك لما اعتدى أحد على حرمتها، وأهدر كرامتها، وسلبها عزها وفخرها؛ وأخرجها من عداد العفائف الحـرائر، إلى مصاف الزانيات الفواجر! وجلد المائة: حكم غير المحصن «الأعزب» أما المحصن «المتزوج» فحده الرجم بالحجارة حتى الموت! ومنهم من قال: يجلد المحصن والمحصنة مائة جلدة؛ ثم يرجم؛ على خلاف فى ذلك. والاتفاق والإجماع على جلد غير المحصن، ورجم المحصن فحسب؛ وهل بعـد الموت والتنكيل عبرة لمعتبر؟! (انظر آية ١٠٦ من سورة البقرة).

ويالها من عدالة ظاهرة، وحكمة باهرة: ينتهك المسلم حرمة أخيه المسلم؛ فلا يجد قانوناً يردعه، ولا تشريعاً يمنعه؛ وذلك لأن القوانين الوضعية - فى شتى بلدان العالم - قد أجمعت على ترك الزانى بلا رادع، ولا وازع؛ حتى تفشت بسبب ذلك الأمراض الخبيثة، وفتكت بالأجسام، وأطالت الأسقام؛ وماذاك إلا لعدم تمسكنا بديننا الحنيف، وانصرافنا عن قانوننا السماوى؛ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه! (انظر آية ٣٢ من سورة الإسراء) ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أى لا تأخذكم بهما شفقة حين ترون تألمهما من الجلد؛ فتجلدوهما جلداً هيناً ليناً - فما هكذا أراد الله؛ فى تأديب عباده العصاة - بل الواجب شرعاً أن يجلدا بمنتهى الحزم والغلظة؛ ليكونا عبرة لغيرهما، ونكالا لأمثالهما! وكيف تأخذ الإنسان المسلم رأفة بمن لم تأخذه رأفة بأخيه المسلم؛ فانتهك حرمته، واستباح عرضه؟! بل انتهك حرمات الله تعالى، وطرح أوامره، ولم يعبأ بما أوعد به من عقاب! وكيف تأخذ الإنسان المسلم =

= رأفة ﴿فى دين الله﴾ وقد أمره بالجلد؛ وهو تعالى أحكم الحكماء، وأرحم الرحماء؛ ولأن الرحمة بالجانى: تحمل معنى عدم الرحمة بالمجنى عليه؛ سواء كان زوجاً، أو أباً، أو أخاً! ﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾ جماعة ﴿من المؤمنين﴾ زيادة فى فضيحتهما، والاعتبار بهما! هذا ويجب أن يتقى فى الجلد الوجه والمقاتل؛ والأصوب أن يكون الجلد على الظهر؛ بلا حائل من الملبس يحول دون العذاب المفروض ﴿الزانى لا ينكح﴾ لا يتزوج ﴿إلا زانية أو مشركة﴾ أى ان الواجب ألا تزوج المسلمات العفيفات للزانى الفاجر، بل له أن يتزوج زانية مثله، أو مشركة تليق بشاكلته.

وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ

﴿والزانية لا ينكحها﴾ لا يتزوجها ﴿إلا زان أو مشرك﴾ أى يجب ألا يتزوج الحر العفيف زانية فاجرة! وقد قال بعض الفقهاء بوجوب التفريق بين العفيفة إذا تزوجت بزان؛ لأنه غير كفء لها ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أى يقذفون العفائف المسلمات: بأن يرموهن بالزنا كيداً وظلماً! ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ بعد أن ثبت فسقهم وزورهم؛ هذا ولا تقبل شهادتهم ـ ولو بعد توبتهم ـ للتأبيد الوارد فى الآية «أبداً» أما قوله تعالى ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ فهو استثناء من قوله تعالى «وأولئك هم الفاسقون» ولا يعمل الاستثناء فيما قبل ذلك؛ وإلا لتناول الجلد أيضا؛ وهو حد من حدود الله تعالى؛ لا يسقط بالتوبة ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ وذلك بأن يقول أربع مرات: أشهد بالله أنى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتى ﴿والخامسة﴾ أى يقول فى الخامسة: علىّ لعنة الله تعالى إن كنت من الكاذبين ﴿ويدرؤ﴾ يدفع ﴿عنها العذاب﴾ الرجم الذى استحق عليها بشهادة زوجها ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ بأن تقول أربع مرات: أشهد بالله أن زوجى لمن الكاذبين. وتقول فى الخامسة: وعلىّ غضب الله تعالى إن كان من الصادقين! وباللعان هذا تحصل الفرقة الأبدية بين الزوجين: فلا يحل أحدهما للآخر أبد الدهر؛ فلا يجتمعان. ولا يتوارثان. وكيف يمسكها وهى بغى؟ أو كيف ترضى به وقد رماها بأقبح ما ترمى به امرأة، وأسوأ ماينسب إلى حليلة؟! ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ الإفك: أسوأ الكذب؛ وقد كذبوا على أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها، ورموها بما هى منه براء!

﴿والذى تولى كبره﴾ أى تحمل معظم الإثم، وخاض أكثر الخوض. والكبر: الإثم الكبير ومعظم الشىء. وقرئ «كبره» بضم الكاف. والمقصود به عبد الله ابن أبى بن سلول؛ وقيل: حسان بن ثابت. ولكنه رضى الله تعالى عنه كذب ما أشيع عنه بقصيدة عصماء نفى بها ما أشيع وأذيع، وأثنى على عائشة رضى الله تعالى عنها بما هى أهل له! قال فيها:

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ

حصان (١) رزان (٢) ما تزن (٣) بريبة
وتصبح غرثى (٤) من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً
نبى الهدى والمكرمات الفواضل

مهذبة قد طيب الله خيمها (٥)
وطهرها من كل شين وباطل

﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه﴾ أى إذ سمعتم الإفك ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات﴾ الذين سمعوا الإفك ﴿بأنفسهم﴾ أى بالمفترى عليها؛ لأن جميع المؤمنين: كالنفس الواحدة ﴿وقالوا هذا﴾ الذى سمعناه ﴿إفك مبين﴾ كذب واضح؛ والإفك: أسوأ الكذب ﴿لولا جاءوا عليه﴾ أى هلا جاء العصبة على هذا الإفك؛ وهو قذف صريح ﴿بأربعة شهداء﴾ يشهدون على صدق ما زعموا ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لكم ﴿فى الدنيا﴾ بتأخير العقوبة ﴿و﴾ فى ﴿الآخرة﴾ بالغفران لمن تاب ﴿لمسكم﴾ أيها العصبة ﴿فيما أفضتم﴾ فيما خضتم ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أى تتلقونه؛ يؤيده قراءة من قرأ «تتلقونه» والمعنى: «تتلقونه» بأسماعكم؛ فتذيعونه «بألسنتكم» فور سماعه؛ فكأنما تلقيتموه بألسنتكم؛ لا بأسماعكم؛ لسرعة إذاعته. وقرئ «تلقونه» بكسر اللام؛ من الولق: وهو الاستمرار فى الكذب ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ وفى هذا دليل قاطع على النهى عن التكلم فى الجنايات بالسماع؛ بل يجب أن يكون التكلم عن بينة واضحة، وعن رؤية مثبتة؛ فليست دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم؛ بمثل هذا القدر من الهوان! ﴿وتحسبونه﴾ أى تحسبون هذا الرمى =

---

(١) امرأة حصان: عفيفة، أو متزوجة. (٢) رجل رزين: وقور. وامرأة رزان: وقورة.
(٣) لا تزن: يقال: أزننته بكذا: إذا اتهمته به. والمعنى: لا تتهم بريبة.
(٤) غرثى: جائعة. وغرثى الوشاح: خميصة البطن، دقيقة الخصر. (٥) الخيم: السجية والطبيعة.

= والقذف ﴿هيناً﴾ سهلا ﴿وهو عند الله عظيم﴾ مستوجب للحد والمقت! ﴿ولولا﴾ وهلا ﴿إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا﴾ مايصح ولايجوز لنا ﴿أن نتكلم بهذا﴾ أن نتهم أحداً ظلماً ؛ بغير دليل ولا بينة ﴿سبحانك﴾ يا ألله ؛ تنزهت وتعاليت عن كل قبيح ﴿هذا بهتان﴾ زور وباطل ﴿عظيم﴾ كبير ﴿يعظكم الله﴾ ينهاكم ﴿أن تعودوا لمثله﴾ أن تقعوا فيما وقعتم فيه ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أن تذيع ظلماً وزوراً وبهتاناً ﴿فى الذين آمنوا﴾ وليس معنى ذلك أن يتستر الإنسان على ماظهر من الفواحش وبدا للعيان ؛ فذلك واجب المنع

يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

بكل لسان ، والمحاربة بكل سنان ؛ وهو يدخل فى باب تغيير المنكر؛ الذى هو إحدى مراتب الإيمان ! وهذا بعيد كل البعد عمن يتسقط النبأ ، فيذيعه على الملأ ؛ فأولئك ﴿لهم عذاب أليم فى الدنيا﴾ بالجلد ، والخزى ، وسقوط العدالة ، وعدم قبول الشهادة ! ﴿والآخرة﴾ بغضب الرحيم ، وبالعذاب الأليم ! ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾ اللعين ﴿فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ وكل صديق سوء أمر بمنكر ، وزين معصية : فهو فى حكم الشيطان ؛ بل هو شر منه ؛ ويجب اجتنابه والابتعاد عنه ! ﴿مازكى﴾ ما طهر ﴿ولكن الله يزكى من يشاء﴾ يطهر من أراد من دنس الفحش ، وذل العصيان ! ﴿ولا يأتل﴾ ولا يقصر . وقرأ أبو جعفر «ولا يتأل» أى ولا يحلف ﴿أولوا الفضل منكم والسعة﴾ الغنى ﴿أن يؤتوا أولى القربى والمساكين﴾ أى لايقصر ، ولا يحلف هؤلاء ألا يؤتوا الفقراء من أموالهم ؛ لذنب جنوه ، أو إثم ارتكبوه . قيل : نزلت هذه الآية حينما أقسم كثير من الصحابة — ومنهم أبوبكر — رضى الله تعالى عنهم ؛ ألا يعطوا بعض من خاض فى الإفك من الفقراء الذين كانوا يعطونهم . فلما نزل قوله تعالى ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ قال أبو بكر : بلى ؛ أنا أحب أن يغفر الله لى ! وأعاد ما كان يجريه على الفقراء الذين جاءوا بالإفك . وقد أراد الله تعالى أن يحفز السامع إلى ملازمة الصفح والعفو ؛ بقوله «ألا تحبون أن يغفر الله لكم» أى حيث إنكم تحبون الغفران ، وتطلبونه من الديان ؛ فلم لا تغفرون للاخوان ، وتصفحون عما كان ؟ ! وفى قصة الإفك ، وما أعقبها : دليل على وجوب إعطاء الفقير ولو عصى ، والمسكين ولو أثم ! إذ أن مقياس العطاء : الحاجة ؛ فاذا ما استوى فيها التقى والشقى : وجب تقديم الأول على الثانى

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى يوفيهم جزاءهم الذى يستحقونه على أفعالهم ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ أى إن الخبيثات لا يرغب فيهن إلا الخبيثون . والآية مبنية على قوله تعالى «الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة» لأن الخبيثات والخبيثين: هم الزوانى ﴿والطيبات للطيبين﴾ وهم العفائف ؛ فلا يجوز أن يتزوج عفيف إلا عفيفة مثله ، ولا أن تتزوج عفيفة إلا عفيفاً مثلها.

أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ

وهـذه هى سنة النفوس الفاضلة ، والخلق الـكامل ! هذا ولم تخرج أوامره تعالى ، وإرشاداته لخلقه عن أسمى الأخلاق التى تصبو إليها الإنسانية ، وتنتظم بها الأسر : فلا يختلط الخبيث بالطيب ، ولا يدنس العفيف نفسه بمخالطة البغى ، ولا تنزل العفيفة إلى درك الزانى الفاجر ! ﴿أولئك﴾ الطيبون والطيبات ﴿مبرأون مما يقولون﴾ أى مما يقوله فيهم الخبيثون والخبيثات ، الوالغون فى الأعراض ، الطاعنون فى الـكرامات ! ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ يعلمنا ربنا سبحانه وتعالى آداب الزيارة ، وكيف أننا لانلج بيتاً قبل أن نستأذن أهله فى دخوله ، ونأنس بهم ، ويأنسوا بنا . وانظر ـ يامن تتوهم أن الحضارة والرقة تأخذها عن الغربيين ـ إلى أى حد يعلمنا ربنا تعالى ، وإلى أى مدى يؤدبنا قرآنه الـكريم ، وكتابه الحكيم ؟ فيحسن تأديبنا وتربيتنا ! ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ من أهلها تستأذنونه وتستأنسون به ﴿فلا تدخلوها﴾ وسواء كانت البيوت مفتوحة الأبواب ، أو مغلقتها ؛ فقد أغلقها الله تعالى بتحريم دخولها ؛ وجعل مفتاحها الإذن من قاطنها ، أو مالـكها ؛ و ﴿ليس عليكم جناح﴾ إثم ؛ فى ﴿أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ أى غير معدة للسكن الخاص ﴿فيها متاع لـكم﴾ وهو كل مايتمتع به: من إيواء ، واتقاء حر أو برد أوهى البيوت المستعملة لخزن البضائع وماشاكلها ويجوز أن يدخل فى عموم ذلك الفنادق﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ أى لايتطلعوا بأبصارهم إلى النساء ؛ لأن البصر رائد القلب ؛ بل هو بريد الزنا ؛ بل هو مجلبة لانطماس القلب وغضب الرب ! فانظر ـ كفاك الله كيد نفسك وشيطانك ـ أين تضع بصرك ! قال الشاعر :

وطرفك إن أرسلته لك رائداً لقلبـك يوماً : أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر!

خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

﴿ولا يبدين زينتهن﴾ المراد بالزينة: مواضعها كالجيد، والمعصم، والساق، وماشاكلها، أو المراد نفس التزين: كالاكتحال، وتخضيب الكفين، ووضع المساحيق على الوجه، وتلوين الشفتين، وما أشبه ذلك ﴿إلا ماظهر منها﴾ أى إلا المقدار الذى لايمكن إخفاؤه: كالوجه والكفين؛ بغير زينة، ولاخضاب ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أى وليضعن مايتلفعن به على صدورهن؛ والجيب: فتحة الثوب مما يلى العنق؛ ومنه قوله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام «وأدخل يدك فى جيبك» ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الخفية؛ وهى ما عدا الوجه والكفين، أو هو كل ما يستحب رؤيته من المرأة، وما يجذب أبصار الرجال إليها؛ فكل ذلك حرام إبداؤه ﴿إلا لبعولتهن﴾ أزواجهن؛ الذين تملكوهن بكلمة الله! ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدى زينتها إلا لبعلها الذى أحلها الله تعالى له، أو لمحرم ممن ذكرهم الله جل شأنه فى هذه الآية. وقد ذهب كثير من العلماء إلى حرمة كشف الوجه ـ إذا خيفت الفتنة ـ وذلك لأن الزينة منها ما هو خلق: كالوجه، وما هو كسبى: كالثياب، والحلى، والكحل، والمساحيق، والأصباغ ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ من الإماء دون العبيد؛ ولو كانوا خصياناً ﴿أو التابعين﴾ كالخدم، أو الفقراء؛ الذين يتبعونكم لأجل إطعامهم والتصدق عليهم؛ بشرط أن يكونوا من ﴿غير أولى الإربة﴾ وهم الذين ليس لهم مأرب فى النساء: كالشيوخ الصلحاء، والمجبوبين؛ ومن شابههما ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ أى ليسمع صوت الخلخال

﴿وأنكحوا﴾ زوجوا ﴿الأيامى﴾ جمع أيم؛ وهى من ليست بذات زوج: بكراً كانت، أو ثيبا؛ ويطلق الأيم على الذكر والأنثى ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ أى المسلمين من العبيد والإماء ﴿وليستعفف الذين لايجدون نكاحا﴾ أى لايستطيعون الزواج لفقرهم؛ والاستعفاف: الابتعاد عن الزنا، ومواطنه، وأسبابه، ومقدماته؛ ومدافعة الرغبة بالصوم؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من استطاع الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإن الصوم له وجاء»

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ

لَهُ

﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يطلبون المكاتبة : وهم العبيد يكاتبون مواليهم على أداء شيء معلوم ؛ يتحررون بعد أدائه ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ بناتكم ، أو إمائكم ، أو من تقومون بأمورهن مقام الولى والكفيل ﴿على البغاء﴾ الزنا ؛ بتركهن بدون تزويج ﴿إن أردن تحصناً﴾ تعففاً ؛ بالزواج الحلال الطيب ! هذا وقد دأب أكثر الناس اليوم على التباطىء فى تزويج بناتهم تباطؤاً أدى إلى الوقوع فى الموبقات ؛ بحجة عدم صلاحية طالب الزواج تارة ، وبالتغالى فى المهور تارة أخرى ؛ مما يؤدى إلى الانصراف عن الفتيات ، والرغبة عنهن ، مكان الرغبة فيهن ! وفى هذا ما فيه من الانحراف ، عن الاستعفاف ؛ فليبادر من يتق الله تعالى إلى تزويج بناته ؛ متى وجد الكفء لهن ، الراغب فيهن ، الحافظ لأعراضهن !

وقيل: إنهم كانوا يكرهونهن على البغاء ، لاجتلاب الرخاء ؛ كما يفعل بعض من أعمى الله تعالى بصائرهم ، وطمس على قلوبهم ؛ وساقهم الشيطان إلى مهاوى الضلال ، ومهامه الرذيلة ! ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور﴾ لهن ﴿رحيم﴾ بهن ﴿من الذين خلوا﴾ مضوا ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أى منورهما ، والهادى فيهما إلى الطريق القويم ، والصراط المستقيم !

ولما كان النور : هو الذى يرشد الإنسان إلى مواطن الضرر والخطر ، ويهديه إلى طرق الأمن والسلامة ؛ ولولاه لتردى الإنسان فى مهاوى البيداء ، ومهامه الصحراء !

ولما كان الله تعالى هو الهادى إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ؛ كان وصفه جل شأنه بالنور: هو الجامع لصفاته العلية ، الموضح لحاجة الكل إليه ، واعتمادهم عليه ! ولا فليس بعد النور الإلهى سوى دياجير الظلمات ، المبعدة عن الرحمات والجنات ! فتمسك ــ يارعاك الله ــ بنور الله : يهدك سبل الرشاد والسداد «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ وهى الكوة غير النافذة فى الجدار ﴿الزجاجة كأنها﴾ فى صفائها وبريقها ﴿كوكب درى﴾ مضىء ؛ نسبة إلى الدر الذى يضىء لشدة لمعانه ﴿يوقد﴾ ذلك الكوكب الدرى ﴿من شجرة مباركة﴾ أى ليست كسائر الشجر؛ بل «من شجرة» بورك فيها وعليها ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أى بينهما ؛ فلا يتمكن منها حر ولا برد يضرانها ﴿يكاد زيتها﴾ لشدة صفائه ﴿يضىء﴾ بنفسه ﴿نور على نور﴾ ضوء الزيت ، وضوء النار . أو هو نور الله تعالى ــ وهو هدايته للمؤمن ــ على نور المؤمن ــ وهو اهتداؤه بنفسه إلى خالقه ، واختياره للإيمان . وانصرافه عن داعى الشيطان ــ وهو النور الذى يبدؤه المؤمن باختياره ؛ فيذكيه مولاه تفضلا وتكريماً منه تعالى لمن أكرم =

= نفسه ، وسما بروحه ؛ فينبثق النور من القلب ؛ فتشتعل جذوة الإيمان ، وتبعث الأعضاء على الانقياد والعبادة ؛ فيصير الإنسان الترابى نورانياً : يأمر الأقدار فتطيعه ، ويقسم فيبر الله قسمه ، ويرغب فينقاد إليه كل شيء طوعاً وكرهاً بإذن الحنان المنان ، الرحيم الرحمن ! ﴿يهدى الله لنوره﴾ أى للإيمان به ﴿فى بيوت﴾ هى المساجد ، أو هو كل بيت يقيم أهله الصلاة فيه ، ويذكرون اسمه تعالى ويسبحونه ويقدسونه ! وهذه البيوت : هى محط نور الله تعالى ، ومبعث هدايته ورحمته ، والطريق إلى رضائه وجنته ؛ وفيها المشكاة ، ومنها ينبعث نور المصباح ! ﴿بالغدو والآصال﴾ أى فى الصباح والمساء ﴿يخافون يوماً﴾ هو يوم القيامة ﴿تتقلب﴾ تضطرب ﴿فيه القلوب﴾ من شدة الخوف والرعب ، والتردد بين الهلاك والنجاة ﴿و﴾ تتقلب فيه أيضاً ﴿الأبصار﴾ حيرى بين الجنة والنار ﴿والله يرزق من يشاء﴾ من فضله فى الدنيا ، ومن نعيمه فى الآخرة ﴿بغير حساب﴾ بلا حد ، وبلا مقابل ؛ فقد يرزق بالقناطير ، جزاء للنزر اليسير ، وقد يدخل الجنات ، جزاء لصدق الطويات ؛ فتعالى المعطى المانع ، الضار النافع ! ﴿والذين كفروا أعمالهم﴾ الصالحة ؛ التى عملوها فى الدنيا ـ كصلة الرحم ، وحسن المعاملة ، والصدقة ، وأشباه ذلك ـ فإنها تصير يوم القيامة ﴿كسراب بقيعة﴾ وهو شعاع يرى فى الفلاة فى وسط النهار ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ فيهرع إليه لشدة ظمئه ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ مما أراده : لا ماء ، ولا رى ﴿ووجد الله عنده﴾ أى عند عمله ؛ الذى هو كالسراب ، والذى هو فى مسيس الحاجة إلى أقل الجزاء عليه ؛ وفاته أنه قد جوزى على إحسانه فى دنياه ؛ تفضلا وعدلا من الله ! فإذا ما طمع فى الجزاء عليه يوم القيامة «وجد الله عنده» ﴿فوفاه حسابه﴾ من العذاب ؛ جزاء فسقه وكفره ﴿أو كظلمات﴾

لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

أى إن أعمال الكفار «كسراب بقيعة ، أو كظلمات» ﴿فى بحر لجى﴾ عميق ، بعيد الغور ، كثير الماء ﴿يغشاه﴾ أى يغطى هذا البحر العميق ﴿موج من فوقه﴾ أى من فوق هذا الموج ﴿موج﴾ آخر ﴿من فوقه﴾ أى من فوق هذا الموج ؛ الذى هو فوق الموج الأول ﴿سحاب﴾ غيم ؛ فتجتمع من هذه الظلمات ، والبحر ، والأمواج المتراكبة المتكاثرة ، والغيوم المتكاثفة ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج﴾ الناظر ، أو الواقع فى هذا البحر ﴿يده لم يكد يراها﴾ لما أحاط به من الظلمات !

وهو مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار ؛ فثل أعمالهم بالظلمات ؛ لأنها كلها مبنية على الخطإ والزيغ والفساد ، ومثل اضطراب قلوبهم ، وعدم استقرارها ، وتغشيتها بالحيرة والضلالة : بالبحر اللجى =

= المتلاطم بالأمواج ؛ إلى غير مقصد ، وعلى غير هداية ، ومثل جهلهم الذى غطى على عقولهم ، وران على قلوبهم: بالسحاب ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ يسترشد به فى الملمات ، ويهتدى به فى الظلمات ﴿فما له من نور﴾ يوصله إلى الأمن والنجاة والسلامة ! ﴿ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض﴾ من ملك وإنس وجن ﴿والطير صافات﴾ باسطات أجنحتهن بين السموات والأرض ؛ فصار التسبيح شاملا لما فى السموات والأرض وما بينهما ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ أى قد علم الله تعالى صلاتهم وتسبيحهم ، أو « كل قد علم » كيف يصلى ، وكيف يسبح . (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) ﴿ألم تر أن الله يزجى﴾ يسوق ﴿سحابا ثم يؤلف بينه﴾ يضم بعضه إلى بعض ؛ بعد أن كان متفرقا ﴿ثم يجعله ركاما﴾ متراكما ؛ بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ المطر . وقيل : البرق ﴿يخرج من خلاله﴾ أى من ثنايا السحاب ﴿فيصيب به﴾ أى بالبرد النازل من السماء ﴿من يشاء﴾ معاقبته : فيتلف به زرعه ، ويهلك ضرعه ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى لمعان برق ذلك السحاب المزجى المتراكم ﴿يذهب بالأبصار﴾ يعميها فلاترى شيئاً ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ يأتى بأحدهما مكان الآخر ، أو ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ أى من نطفة ؛ وذلك لأنها سائلة ، وأغلبها ماء . والدابة : كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان ، أوحيوان أو طير ، ونحوه . والدابة إجمالا : كل مخلوق تدب فيه الحياة . حتى الطير فإنه يخلق من البيضة ؛ والبيضة محتوية على ماء الذكر حتما ؛ وإلا فهى غير معدة للإنتاج . وبذلك اقتضت حكمة الحكيم ! ﴿فنهم﴾ أى من الدواب ﴿من يمشى على بطنه﴾ كالثعبان ﴿ومنهم من يمشى على رجلين﴾ كالإنسان ، والطائر ﴿ومنهم من يمشى على أربع﴾ كالأنعام والحيوان ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ كما شاء ﴿إن الله على كل شىء﴾ أراده ﴿قدير﴾ على إيجاده ؛ وإنما هى أسباب سببها ، وأمور رتبها ؛ وقد خلق تعالى كل شىء إبتداء من غير ماء ولانطفة ، وسيعيده انتهاء من غير سبب ؛ فتعالى الخالق ، وجل المبدع المصور ! ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ حجج واضحات : هى آيات القرآن الكريم ﴿والله يهدى من يشاء إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ هو طريق الإسلام ؛ الموصل إلى الجنة ! ﴿ويقولون﴾ أى يقول المنافقون ﴿ثم يتولى﴾ يعرض ﴿ليحكم بينهم﴾ فيما عرض لهم من خلاف

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عن هذه الحكومة يأبونها لأن الحق قد جانبهم، والصواب قد باعدهم؛ ولأن الرسول لا يقول إلا حقاً، ولا ينطق إلا صدقاً ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أى فى جانبهم ﴿يأتوا إليه﴾ أى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لعلمهم أنه سيحكم لهم؛ ما دام الحق معهم ﴿مذعنين﴾ طائعين مسرعين ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ المراد بالمرض: الرغبة فى اغتيال الحقوق؛ أو المراد به الكفر ﴿أم ارتابوا﴾ شكوا فى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم ونبوته ﴿أم يخافون أن يحيف﴾ يجور ويظلم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ الكافرون ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ أى الواجب على من يتصف بالإيمان ﴿وأقسموا بالله﴾ أى أقسم المنافقون ﴿جهد أيمانهم﴾ غايتها ونهايتها ﴿لئن أمرتهم﴾ بالخروج للجهاد ﴿ليخرجن﴾ معك ﴿قل لهم﴾ حينما يقسمون لك، ويجهدون أنفسهم فى خداعك ﴿لا تقسموا طاعة معروفة﴾ أى إن مبلغ طاعتكم وانقيادكم معروف لنا أيها المنافقون، وقد أطلعنا الله تعالى على ما فى قلوبكم ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ من طاعة باللسان، ومخالفة بالجنان ﴿فإن تولوا﴾ تتولوا؛ أى فإن تعرضوا ﴿فإنما عليه ما حمل﴾ من التبليغ إليكم؛ وقد بلغ ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من وجوب الإيمان والطاعة؛ وقد كفرتم وعصيتم ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض﴾ وهو أمر ظاهر: فقد تم للمؤمنين فتح فارس والروم، ودانت لهم البلاد والعباد ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ يعنى بنى إسرائيل: أهلك الله تعالى الجبابرة بمصر والشام؛ وأورثهم أرضهم وديارهم



(وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وأى تمكين أكثر من أن شاع الإسلام وذاع ، وملأ الأراضى والبقاع ، ولم تبق بقعة على وجه الأرض تخلو من الإسلام والمسلمين ؛ رغم محاربة الكافرين ، ومعاداة المضلين ! (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) فقد كان السائر فى الجاهلية لا يستطيع أن يمشى بضع خطوات ؛ مطمئناً على نفسه ، أو ماله ؛ فجاء الإسلام فأحل الوئام مكان الخصام ، والوفاق مكان الشقاق ، والحب مكان الكراهية ، والعطف والحنان مكان البغض والحقد ! (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) الخارجون على ربهم (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أى لا تقدر على مؤاخذتهم والنيل منهم (ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء) أى لا يجوز أن يدخل عليكم خدمكم ، ولا أطفالكم ؛ بدون استئذان فى هذه الأوقات الثلاثة: وهى قبل صلاة الفجر ؛ لأنه وقت طرح ثياب النوم واستبدالها بغيرها، وحين تخلعون ثيابكم لتناموا ظهراً ؛ لأنه وقت القائلة وتخفيف الثياب ، ومن بعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت التجرد من الثياب (ثلاث عورات لكم) أى هــذه الأوقات المذكورة «ثلاث عورات لكم» لأنكم تحتاجون فيها إلى خلع الثياب ؛ وبذلك يبدو منكم ما تحرصون على ستره ، وتكرهون أن يراه أحد من الناس وقيل : أصل العورة من العار ؛ وذلك لما يلحق فى ظهورها من العار والمذمة (انظر آية ٨ من سورة النساء) (ليس عليكم) جناح فى ترك دخول خدمكم عليكم بغير استئذان ؛ فى غير هذه الأوقات الثلاثة (ولا) حرج (عليهم) فى دخولهم عليكم . وهذا الحكم قبل أن تكون للبيوت أبواب أو ستور ؛ أما عند وجود الأبواب أو الستر ؛ فالإذن واجب فى كل الأوقات ، وسائر الحالات (طوافون عليكم بعضكم على بعض) يعنى الخدم يطوفون عليكم بحوائج البيت ، وتطوفون عليهم بطلب ما يلزمكم (فليستأذنوا) أى فى كل الأوقات (كما استأذن الذين) بلغوا الحلم (من قبلهم) وهم الذين تناولتهم الأحكام السابقة

الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿٥٥﴾ وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴿٥٦﴾ لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴿٥٧﴾ يأيها الذين ءامنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمنكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرت من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورت لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوفون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الأيت والله عليم حكيم ﴿٥٨﴾ وإذا بلغ الأطفل منكم الحلم فليستئذنوا كما استئذن الذين من قبلهم كذلك

﴿والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا﴾ وهن اللائى قعـدن عن الحيض والولد لـكبرهن . وهم لذلك لا يطمعون فى الزواج ولا يطلبونه ؛ بعد أن بلغن ما بلغن ﴿غير متبرجات﴾ التبرج : إظهار ما خفى من

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟

الزينة ﴿وأن يستعففن﴾ عن التبرج والتزين ﴿خير لهن﴾ فى الدنيا ؛ لأنه موجب للاكبار والاحترام ، و «خير لهن» فى الآخرة ؛ لأنه مدعاة لرضا الرب سبحانه وتعالى ! ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أى بيوت أبنائكم ؛ لأن بيت الإنسان لا يحتاج إلى إذن ورفع حرج . ولأنه تعالى لم يذكر بيت الأبناء ؛ وهو أولى البيوت بالأكل منه ؛ وعبر تعالى عنها بلفظ «بيوتكم» لأن بيت الابن ليس كبيت الإنسان فحسب ؛ بل هو بيته فعلا ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «أنت ومالك لأبيك» ﴿أو ماملكتم مفاتحه﴾ أى خزنتموه لغيركم ، وكنتم وكلاء على إدارته ؛ كناظرى الزراعات ، ومديرى المطاعم ، وأشباههم . ويجب ـ فى هـذه الحال ـ أن يكون المالك عالما بذلك . وقيل : إن هذا خاص بمن يقوم بعمله من غير أجر ﴿أو صديقكم﴾ أى ليس عليكم جناح فى أن تأكلوا من بيوت من ذكر؛ ولو بغير حضورهم . هذا وقد يرتاح الإنسان فى الأكل من بيت صديقه ؛ أكثر من راحته فى الأكل من بيت نفسه ! فكم من حبيب ، أعز من القريب ؛ وكم من أخ لك لم تلده أمك ! و ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ مجتمعين ﴿أو أشتاتا﴾ متفرقين ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ بأن تقولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؛ فإن الملائكة ترد عليكم . هذا إذا لم يكن بها إنسان ﴿إنما المؤمنون﴾ حقاً : هم ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ أى أمر هام يحتاج للاجتماع : كخطبة الجمعة ، ودراسة الدين والقرآن



مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾

(٢٥) سُورَةُ الفُرقَانِ مكية
إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية
وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

﴿تجعلوا دعاء الرسول﴾ أى نداءه ﴿كدعاء بعضكم بعضا﴾ بأن تقولوا : يامحمد . بل قولوا : يانبى الله ، يارسول الله ! ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ أى يخرجون مستخفين متسترين ؛ يلوذ بعضهم ببعض ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أى يخالفون أمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو أمره جل شأنه ﴿أن تصيبهم﴾ بسبب هذه المخالفة ﴿فتنة﴾ عذاب ، أو زلازل وأهوال ، أو سلطان جائر ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ «قد» للتحقيق ؛ أى قد علم ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من خير فيثيبهم عليه ، ومن شر فيأخذهم به .

(سورة الفرقان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك﴾ تعالى وتقدس وتنزه ! أو هو من البركة ، وهى الخير كل الخير ! ﴿الذى نزل الفرقان﴾ القرآن ؛ وسمى فرقاناً : لأنه يفرق بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﴿ليكون للعالمين﴾ الجن والإنس ؛ و «العالمين» جمع العالم . والعالم : الخلق كله

﴿ولم يتخذ ولداً﴾ كما تزعم النصارى ﴿ولم يكن له شريك فى الملك﴾ كما زعم المشركون ﴿وخلق كل شىء فقدره تقديراً﴾ بحيث لا يزيد عن الحاجة ، ولا ينقص عنها (انظر آية ٥٠ من سورة طه) ﴿واتخذوا من دونه

نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾

آلهة﴾ هى الأصنام ﴿ولا نشوراً﴾ أى بعثاً للأموات ؛ وهذه جميعها يملكها مبدع الأرض والسموات ؛ فهو تعالى وحده خالق الخلق ومالكهم ، وهو جل شأنه القادر على إيقاع الضر ، وإيصال النفع ، وإحداث الموت والحياة والنشور ﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ اختلقه محمد ﴿وأعانه عليه﴾ ساعده على اختلاقه ﴿قوم آخرون﴾ زعم المشركون أن بعض من آمن بمحمد من اليهود كانوا يعاونونه فى اختلاق القرآن ﴿فقد جاءوا﴾ بقولهم هذا ﴿ظلماً وزوراً﴾ كفراً وكذبا ؛ إذ كيف يؤمن به قوم يعلمون علم اليقين كذبه وافتراءه ؟ ! وكيف يعقل أن هذا القرآن المعجز من صنع البشر، ومن جنس كلامهم ؟! (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) ﴿وقالوا أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ المتقدمين ﴿اكتتبها﴾ طلب من غيره كتابتها له ﴿فهى تملى﴾ تقرأ ﴿عليه بكرة وأصيلا﴾ أول النهار وآخره . أى صبحاً ومساء ﴿قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض﴾ أى الذى يعلم ما خفى فيهما . ولما كان القرآن الكريم حاوياً لكثير من المغيبات ؛ التى يستحيل على البشر علمها ؛ كان ذلك دليلا على نزوله من لدن عالم السر والنجوى! ﴿وقالوا﴾ من جهلهم وغبائهم ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ كما نأكل ﴿ويمشى فى الأسواق﴾ طلباً للمعايش؛ كما نمشى ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل إليه ملك﴾ من السماء ﴿فيكون معه نذيراً﴾ يصدقه فيما يبلغه عن ربه ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ يغنيه عن المشى فى الأسواق ، ويجعله من الأغنياء الذين ينظر إليهم بعين الإكبار والاعتبار ﴿أو تكون له جنة﴾ بستان ﴿وقال الظالمون﴾ الكافرون ﴿إن﴾ ﴿تتبعون إلا رجلا مسحوراً﴾ مخدوعا ، مغلوبا على عقله

(انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) فوصفوك بالمسحور، والمحتاج إلى مال ينفقه، وإلى ملك يؤيده؛ وهذه الأمثال التي ضربوها، والأكاذيب التي اخترعوها؛ ما أرادوا بها إلا التوصل إلى تكذيبك، والحط من شأنك (فضلوا) عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الإيمان؛ وكيف يهديهم الله تعالى وقد ضلوا وأضلوا! (وأعتدنا) أعددنا وهيأنا (سمعوا لها تغيظاً) غلياناً؛ كما يغلي صدر الغضب المغيظ (وزفيراً) صوتاً شديداً. أو المعنى: رأوا لها تغيظاً، وسمعوا لها زفيراً؛ لأن التغيظ لا يسمع؛ أو هو وصف لخزنتها (وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً) أي إذا ألقوا في مكان ضيق منها؛ وجهنم تضيق على واردها - رغم سعتها، وقولها «هل من مزيد» - ليكون ذلك الضيق من جملة العقاب الواقع بهم (مقرنين) مسلسلين في الأغلال؛ قرنت أيديهم وأرجلهم (دعوا هنالك ثبوراً) أي هلاكا؛ كقول المصاب: وامصيبتاه؛ فيقال لهم (لاتدعو اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً) لأن الهلاك قد أحاط بكم من كل جانب (قل) للمشركين يا محمد - بعد وصف ما أعده الله تعالى لهم من عذاب أليم - (أذلك) العذاب (خير) لمن يحل به (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) بها، وأعدها الله تعالى لهم (كانت لهم جزاء) ثواباً على أعمالهم (ومصيراً) مرجعاً؛ يصيرون إليه؛ فضلا من ربهم ورضواناً! (كان) ذلك الجزاء (وعداً) وعده الله تعالى عباده المتقون (مسئولا) يسأله من وعد به: «ربنا وآتنا ما وعدتنا» ويسأله الملائكة «ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم» (ويوم يحشرهم) أي يحشر المشركين (وما يعبدون) من الأصنام، أو من الملائكة، والإنس والجن (فيقول) تعالى للمعبودين (قالوا) أي الأصنام؛ ينطقها الله الذي أنطق كل شيء. أو المراد بما يعبدون: مايعقل: كالملائكة، وعيسى، وعزير (سبحانك) تعاليت وتقدست عما قالوا، وما فعلوا (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ما كان ينبغي لنا) ونحن المعبودون لهم (أن نتخذ من دونك أولياء) نواليهم ونركن إليهم؛ فكيف نضلهم، ونطلب منهم أن يعبدونا من دونك؟ (ولكن متعتهم وآباءهم) بسعة الرزق، وطول العمر

انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ



(حتى نسوا الذكر) تركوا شكر نعمتك؛ حتى استوجبوا نقمتك (وكانوا قوماً بوراً) هلكى؛ أو هو كالأرض البور: الفاسدة التى لا تجود بالنبات (فقد كذبوكم) أى كذبتكم الآلهة التى تزعمونها، وتبرأت منكم (فما تستطيعون صرفا) دفعاً للعذاب عنكم (ولا نصراً) ولا أحداً ينصركم على الله، ويمنعكم عذابه الذى قضاه لكم (ومن يظلم) يشرك (ليأكلون الطعام) كما تأكل (ويمشون فى الأسواق) كما تمشى؛

نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ

فلست بدعاً من الرسل؛ بل أنت واحد منهم (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى بلية: ابتلى الفقير بالغنى، والمريض بالصحيح، والوضيع بالشريف؛ فيقول الفقير: مالى لا أكون غنياً؟! ويقول المريض: مالى لا أكون صحيحاً؟! ويقول الوضيع: مالى لا أكون شريفاً؟! وذلك الابتلاء لينظر تعالى (أتصبرون) على ما ابتليتم به، أم تكفرون؟ (وكان ربك بصيراً) بعباده، عالما بما سيؤول إليه أمرهم وحالهم (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يؤمنون بالآخرة (لولا) هلا (وعتوا) طغوا (يوم يرون الملائكة) يوم القيامة؛ لأنهم لا يرونهم إلا يومها؛ ويومذاك (لا بشرى يومئذ للمجرمين) الكافرين؛ بل لهم العذاب والخزى والحرمان! ولا تكون البشرى إلا لصالحى المؤمنين (ويقولون) أى يقول الملائكة (حجراً محجوراً) أى حراماً محرماً أن يبشر أو يدخل الجنة؛ إلا من قال: لا إله إلا الله، وقام بحقها. وقيل: هو من قول الكافرين؛ بمعنى: عوذاً معاذاً؛ يستعيذون من الملائكة الذين يدفعونهم إلى جهنم، ويدعونهم إلى نارها (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) أى إنا لا نقيم لحسنات الكفار وزناً يوم القيامة (وأحسن مقيلا) أى منزلا؛ وهو المكان الذى يقال فيه؛ أى ينام وقت القيلولة؛ وهى منتصف النهار (ويوم تشقق السماء) تتشقق (بالغمام) قيل: تتشقق السماء عن غمام أبيض؛ وهو المعنى بقوله تعالى «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام» (ونزل الملائكة) من أمكنتها وسماواتها (تنزيلا) بأمر ربها (الملك يومئذ الحق) أى الملك الحقيق؛ الذى فيه الرفع والخفض، والإعزاز والإذلال؛ وليس كملك الدنيا وملوكها؛ الذين لا حول لهم ولا طول (ويوم يعض الظالم على يديه) ألما وحسرة وندما

عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا

﴿يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا﴾ وفلاناً: هو الشيطان الموسوس: إنسياً كان أو جنياً ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ صرفني عن القرآن وما فيه من عظات، وآيات بينات ﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي متروكا؛ والمراد ترك أحكامه، أو ترك تلاوته والاتعاظ به. وقيل: اتخذوه محلا للهجر والسخرية. والهجر: فحش القول ﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ لنتأكد أنه منزل من عند ربه؟ قال تعالى رداً عليهم ﴿كذلك﴾ أنزلناه مفرقا منجما ﴿لنثبت به فؤادك﴾ نقوى قلبك بحفظه واستيعابه، وفهمه ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أي بيناه تبييناً، ونزلناه بتمهل وتؤدة ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ يريدون به تكذيبك وإبطال أمرك ﴿إلا جئناك بالحق﴾ الدامغ لباطلهم ﴿وأحسن تفسيراً﴾ بياناً للأمور؛ وقد وصفهم الله تعالى بقوله ﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾ يجرون عليها؛ وفي هذا منتهى الإذلال والتعذيب ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة. وقد شرع الله تعالى في تسلية رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام؛ بسرد تكذيب الأمم السابقة لرسلهم ـ كما كذبه قومه ـ وما حل بأقوامهم من تعذيب وتدمير! ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم فرعون وقومه من القبط؛ فذهبا إليهم برسالة ربهم وكتابه؛ فكذبوهما وآذوهما ومن آمن بهما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكا

لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾

﴿وجعلناهم للناس آية﴾ عظة وعبرة ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا وهيأنا ﴿وعاداً﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وأصحاب الرس﴾ الرس : البئر غير مطوية ؛ وقد كانوا حولها وقت نزول العذاب فانهارت بهم ؛ ولذا تسموا باسمها . وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿وقروناً﴾ أمماً ﴿وتبرنا تتبيراً﴾ أهلكنا إهلاكا ؛ من التبر : وهو الكسر والإهلاك ﴿ولقد أتوا﴾ أى من كفار مكة ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ السوء : العذاب ؛ وهى قرية سذوم : أعظم قرى قوم لوط ؛ وقيل : سدوم . وقد أهلكها الله تعالى وأمطرها حجارة . وقد كانت قريش تمر بها فى تجاراتهم إلى الشام ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ أى لا يؤمنون بالبعث ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ دمنا وبقينا على عبادتها ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أى نسى مولاه ، واتبع هواه ، وانقاد له فى كل الأمور. قيل: كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر ؛ فإذا مر بحجر أحسن منه: عبده وترك الأول (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ بسط الظل الظاهر للعيان ؛ ليتمتع به كل إنسان ﴿ولوشاء لجعله ساكناً﴾ مستقراً لا تنسخه شمس . أو المراد بسكونه : منع الشمس من الطلوع ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ أى على تحرك الظل ؛ إذ أن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها ؛ فلولا الشمس ما عرف الظل

ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

﴿ثم قبضناه﴾ أى قبضنا الظل الممدود ﴿قبضاً يسيراً﴾ خفياً بطيئاً؛ بطلوع الشمس، أو بزوالها؛ حيث يقبض الظل ويتقلص، ويحل محله الإظلام التام ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباساً﴾ أى ساتراً كاللباس ﴿والنوم سباتاً﴾ أى راحة. وقيل: موتاً: لأنه الموت الأصغر. قال تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ أى ينشر فيه الخلق لطلب المعايش، أو هو كالبعث من الموت ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته﴾ أى أرسل الرياح لتبشر الناس بالمطر وسمى المطر رحمة: لأن به حياة النفس، والأرض، والنبات، والحيوان ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ جدبا؛ لا نبات فيها ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ إبلا وبقراً وغنما ﴿وأناسى﴾ جمع إنسان أو جمع إنسى ﴿ولقد صرفناه﴾ بيناه؛ والمراد به القرآن الكريم؛ وقيل: المراد به الماء؛ وليس بشىء؛ وقد جاء ذكر القرآن فى صدر السورة «تبارك الذى نزل الفرقان» وقوله «لقد أضلنى عن الذكر» القرآن «بعد إذ جاءنى» وقوله تعالى ﴿وجاهدهم به﴾ أى بالقرآن ـ لا بالماء ـ والجهاد به: الأمر بالعمل بما فيه، والقتال عليه ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾ جعلهما متلاصقين مختلطين ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزاً ﴿وحجراً محجوراً﴾ حائلا يمنع أحدهما عن الآخر ﴿وهو الذى خلق من الماء﴾ المنى ﴿بشراً﴾ إنساناً ﴿فجعله نسباً وصهراً﴾ بأن يتزوج، ويزوج؛ فيناسب، ويصاهر؛ وبذلك ينتج وينجب من يناسب ويصاهر أيضاً؛ فلا تنقطع البشرية ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أى معيناً عليه أعداءه؛ من شياطين الإنس والجن

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ أى على التبليغ ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾ أى لا أطلب أجراً لى على التبليغ ؛ إلا من شاء أن يتخذ طريقاً لمرضات ربه ؛ فينفق من ماله ، ويتصدق مما آتاه الله ! ﴿وسبح بحمده﴾ هو قولك : سبحان الله ، والحمد لله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم !» ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ عليما بها ؛ فيجازيهم عليها ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ استواء يليق به ؛ وليس

وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود ! ﴿فاسأل به﴾ أى عنه ؛ والباء تكون بمعنى عن ؛ إذا اقتضى السياق ذلك . ونظيره قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع» أى عن عذاب . ومعنى «فاسأل به» أى اسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض ، والاستواء على العرش ﴿خبيراً﴾ أى خبيراً بذلك ؛ وهو الله تعالى «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» وقال بعض الأجلاء: «فاسأل به خبيراً» أى اسأل عن الرحمن «خبيراً» وهم مؤمنوا أهل الكتاب ؛ وقد ورد اسم الرحمن فى كتبهم ؛ وقد كان المشركون أنكروا على الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك الاسم الكريم عند نزول قوله تعالى «قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» وقد وصف الله تعالى ما حدث منهم بقوله جل شأنه ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا﴾ مستنكرين ﴿وما الرحمن﴾ ألست تزعم أن ما تدعونا إليه إلهاً واحداً ؟ ! ﴿أنسجد لما تأمرنا وزادهم﴾ ذكر الرحمن ﴿نفوراً﴾ على نفورهم ، وكفراً على كفرهم ﴿تبارك﴾ تعالى وتنزه وتقدس الله ﴿الذى جعل فى السماء بروجا﴾ وهى اثنا عشر (انظر آية ١٦ من سورة الحجر) ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يضيؤها ؛ وهو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾ ينير الأرض عند طلوعه ، ويهدى السائرين والمسافرين .

هذا وقد ولع أقوام باكتشاف القمر ؛ ولم تقف أطماعهم عند حد النظر ؛ بل أرادوا أن يلجوه ، ويسبروا غوره ، ويعرفوا ما وراءه . وزعم بعضهم أنه سيرسل صاروخا يفجر به جزءاً من القمر ؛ ليكون هذا التفجير طريقاً إلى اكتشافه . وما رأينا فيما رأينا ، ولا سمعنا فيما سمعنا حمقاً يعدل هذا الحمق ، ولا جهلا يوازى هذا الجهل ! فإنا لو افترضنا جدلا أن الوصول إلى القمر بالطريق التى يرسمونها ، ومن اليسر بالدرجة التى يتوهمونها ؛ فهل من الحكمة ، وهل من السداد أن يحطم الإنسان مايريد أن يكتشفه وينتفع به ؟ !

وماذا يكون الحال لو ثبت أن فى هذه الكواكب سكاناً عقلاء ، وأن هؤلاء السكان قد بلغوا =

=من العلم مابلغنا ، وأنهم قد رغبوا فيما رغبنا فيه ؟ من اكتشاف بعض الكواكب القريبة منهم ـ كالأرض مثلا ـ فإذا بنا نفاجأ يوماً ما بصاروخ موجه إلى الأرض من القمر ،أو سكان الزهرة ، أو المريخ ؟ وإذا بنا فى لحظة من اللحظات وقد طاحت القارة الأمريكية ، أو الأوروبية ، أو غيرهما من القارات ؟ فى سبيل استكشاف سكان بعض الكواكب للكوكب الأرضى ؟

أليس فى هذا من الحمق والخرق ما يكفى لأن نغل يد من يقول بذلك ويعمل فى سبيله ، وأن نلقى به فى غياهب البيمارستانات ؟ حتى يرتد إليه عقله ، ويثوب إليه رشده !

وإذا سرنا وراء السائرين ، وقلنا مع القائلين : بأن الإنسان سيبلغ القمر لا محالة ، وأنه سيسكنه ويستعمره فى بضع سنين ؟ فما الفائدة التى تعود على بنى الإنسان من سكنى القمر أو سكنى بعض الكواكب ؟ ولنفترض أننا قد وصلنا إليه الآن فعـلا ؟ فهل يصلح لسكنانا ؟ وإذا افترضنا صلاحيته للسكنى ؟ فهل تقف مطامع الإنسان عند هذا الحد ، أو يشمر عن ساعد الجد ؟ فيسعى للوصول إلى الزهرة فالمريخ ـ وقد طمع من الآن فى ولوجهما ، وبدأ فى قياس أبعادهما ، وطريق الوصول إليهما ـ وها نحن أولاء قد وصلنا إلى القمر وسكناه ، وإلى المريخ فاستعمرناه ، وإلى الزهرة فأسكناه ؟ فهل تقف المطامع إلى هذا الحد ؟ أم تتصاعد إلى عطارد ، فالمشترى ، فزحل ؟ !

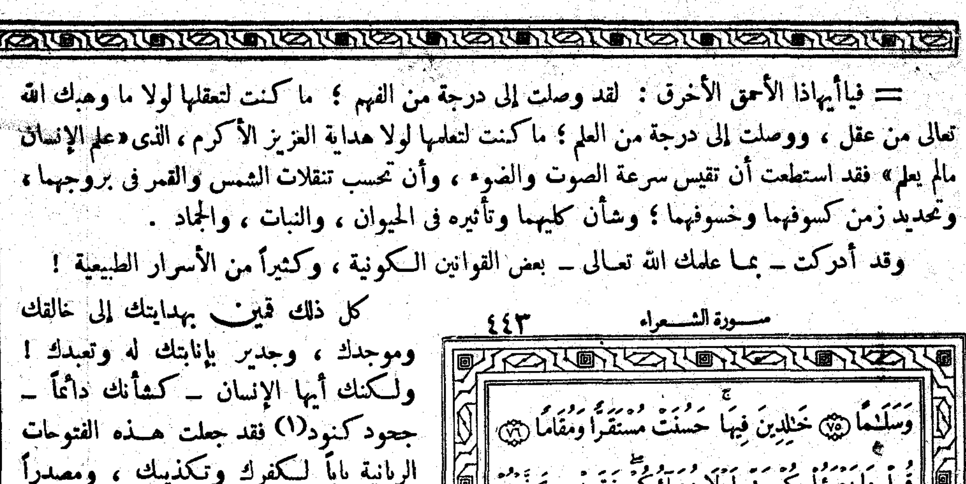
وآخر المطاف قد يفكر الإنسان فى ولوج الشمس ؟ ليسبر غورها ، ويكشف لثامها ؟ ولم لا : ألم يتغلب على سائر الأجواء ، ويتملك الأرض والسماء ؟ ! فإن كانت الشمس قطعة من النيران ؟ فإنه يستطيع حتما مكافحتها بما أوتى من حذق وعلم ؟ فليأخذ كل صاعد إلى الشمس آلة صغيرة مما أعد لإطفاء الحرائق ؟ فيعيش فى النيران ، كما يعيش المنعم فى الجنات !

إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾

وإذا ملك الإنسان الكواكب واستعمرها ـ كما يزعم ـ فهل يقف عند ذلك ؟ أم يقلب ناظريه إلى العرش والكرسى ، وإلى الملك اللانهائى ؟ فيطمع فى معرفة حدوده وأركانه ونجومه ؟ وكيف نشأ الكون ؟ وكيف بدأ ؟ وكيف صنع ؟ ومن هو هذا الصانع ؟ وأين هو ؟ هـلم إلى لقائه ؟ بل إلى محاربته ! ألم ننكر وجوده ؟ ألم نكفر بحقيقته ؟ ألم نقل : لا إله إلا المادة ، ولا خالق إلا الطبيعة ، ولا رازق إلا السعى ، وأن المخلوقات إنما خلقت من لا شىء ، والموجودات وجدت من غير شىء ؟ وها هو الكون قد جبناه ، والملكوت قد حصرناه ؟ فأين يوجد ما تزعمون أنه الله ؟ ! =

= فيأيهاذا الأحمق الأخرق : لقد وصلت إلى درجة من الفهم ؛ ما كنت لتعقلها لولا ما وهبك الله تعالى من عقل ، ووصلت إلى درجة من العلم ؛ ما كنت لتعلمها لولا هداية العزيز الأكرم ، الذى «علم الإنسان مالم يعلم» فقد استطعت أن تقيس سرعة الصوت والضوء ، وأن تحسب تنقلات الشمس والقمر فى بروجهما ، وتحديد زمن كسوفهما وخسوفهما ؛ وشأن كليهما وتأثيره فى الحيوان ، والنبات ، والجماد .

وقد أدركت ـ بما علمك الله تعالى ـ بعض القوانين الكونية ، وكثيراً من الأسرار الطبيعية !



وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّة

إلا آية ١٩٧ ومن ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية
وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا

كل ذلك قمين بهدايتك إلى خالقك وموجدك ، وجدير بإنابتك له وتعبدك ! ولكنك أيها الإنسان ـ كشأنك دائماً ـ جحود كنود(١) فقد جعلت هذه الفتوحات الربانية باباً لكفرك وتكذيبك ، ومصدراً لإلحادك وعنادك ؛ ولم تقل : جل الصانع ، وتبارك الخالق ! بل قلت : ما أجمل الطبيعة وأبدعها ! أليست هى مصدر الكون ، وأصل الحياة ؟ وما الكون إلا وليد الصدفة ، وما الإنسان إلا وليد الطبيعة !

فيأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ؛ الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ركبك ! اعلم أن الذى أدركته وملكته واستعمرته : لايعدل قطرة من بحر ملك ربك الزاخر ، وأن ماعلمته من الكواكب ، وما أدركته من صفاتها ومقوماتها ؛ إن هو إلا ذرة فى مجموعة من النجوم ـ لاتستطيع أن تحصيها ولو أضفت إلى عمرك أعمار النسور ، وأضفيت على نفسك قوى الجبابرة والعمالقة ـ وهذه النجوم مجتمعة ـ ماعرفت منها ومالم تعرف ـ إن هى إلا ذرة فى مجموعة أخرى ؛ لا يحيط بها العلم ، ولا يدركها الوهم ؛ وهكذا هكذا بغير انتهاء !

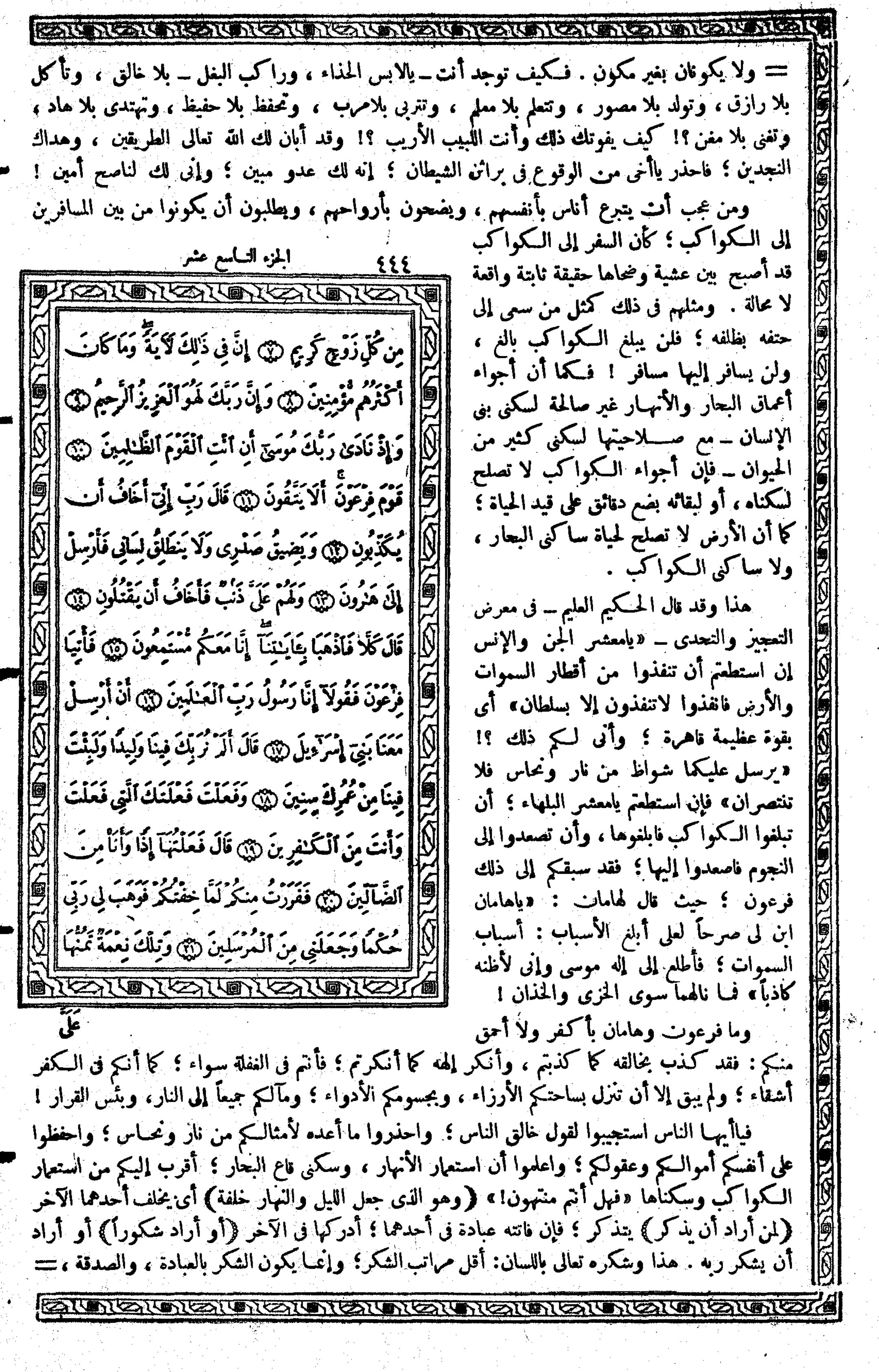
واعلم أنك ـ وقد استويت خلقاً ، وأوتيت علماً وفهماً ، وسلطك الله تعالى على ما هو أكبرمنك جسما ، وأشد مراساً ؛ من مخلوقاته ـ لو سلط عليك قليلا من النمل لأهلكك ، أو ريحاً من الرمل لأفنتك ! وهاهو الميكروب الذى عرفته ، وبما آتاك الله تعالى من علم اكتشفته : لو سلطه الله تعالى عليك لجعلك كالعصف المأكول ؛ كما فعل بأصحاب الفيل !

فيأخى فى الإنسانية ، وعدوى فى اللادينية : ثب إلى رشدك ، وقف عند حدك ، والزم أدبك ؛ واعلم أن نفسك ليست بأخس من النعل ، ولا بأحقر من الحديدة فى حافر البغل ؛ وهما لايوجدان بغير موجد ، =

---

(١) الكنود : الكافر بالنعمة ، الجاحد لها .

= ولا يكونان بغير مكون . فكيف توجد أنت ـ يالابس الحذاء ، وراكب البغل ـ بلا خالق ، وتأكل بلا رازق ، وتولد بلا مصور ، وتتعلم بلا معلم ، وتتربى بلا مرب ، وتحفظ بلا حفيظ ، وتهتدى بلا هاد ، وتغنى بلا مغن ؟! كيف يفوتك ذلك وأنت اللبيب الأريب ؟! وقد أبان لك الله تعالى الطريقين ، وهداك النجدين ؛ فاحذر ياأخى من الوقوع فى براثن الشيطان ؛ إنه لك عدو مبين ؛ وإنى لك لناصح أمين !



مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾
وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ
فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ
وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

عَلَيَّ

ومن عجب أن يتبرع أناس بأنفسهم ، ويضحون بأرواحهم ، ويطلبون أن يكونوا من بين المسافرين إلى الكواكب ؛ كأن السفر إلى الكواكب قد أصبح بين عشية وضحاها حقيقة ثابتة واقعة لا محالة . ومثلهم فى ذلك كمثل من سعى إلى حتفه بظلفه ؛ فلن يبلغ الكواكب بالغ ، ولن يسافر إليها مسافر ! فكما أن أجواء أعماق البحار والأنهار غير صالحة لسكنى بنى الإنسان ـ مع صلاحيتها لسكنى كثير من الحيوان ـ فإن أجواء الكواكب لا تصلح لسكناه ، أو لبقائه بضع دقائق على قيد الحياة ؛ كما أن الأرض لا تصلح لحياة ساكنى البحار ، ولا ساكنى الكواكب .

هذا وقد قال الحكيم العليم ـ فى معرض التعجيز والتحدى ـ «يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان» أى بقوة عظيمة قاهرة ؛ وأنى لكم ذلك ؟! «يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران» فإن استطعتم يامعشر البلهاء ؛ أن تبلغوا الكواكب فابلغوها ، وأن تصعدوا إلى النجوم فاصعدوا إليها ؛ فقد سبقكم إلى ذلك فرعون ؛ حيث قال لهامان : «ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب : أسباب السموات ؛ فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً» فما نالهما سوى الخزى والخذلان !

وما فرعون وهامان بأكفر ولا أحمق منكم : فقد كذب بخالقه كما كذبتم ، وأنكر إلهه كما أنكرتم ؛ فأنتم فى الغفلة سواء ؛ كما أنكم فى الكفر أشقاء ؛ ولم يبق إلا أن تنزل بساحتكم الأرزاء ، وبجسومكم الأدواء ؛ ومآلكم جميعاً إلى النار ، وبئس القرار !

فيأيها الناس استجيبوا لقول خالق الناس ؛ واحذروا ما أعده لأمثالكم من نار ونحاس ؛ واحفظوا على أنفسكم أموالكم وعقولكم ؛ واعلموا أن استعمار الأنهار ، وسكنى قاع البحار ؛ أقرب إليكم من استعمار الكواكب وسكناها «فهل أنتم منتهون!» ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ أى يخلف أحدهما الآخر ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ يتذكر ؛ فإن فاتته عبادة فى أحدهما ؛ أدركها فى الآخر ﴿أو أراد شكوراً﴾ أو أراد أن يشكر ربه . هذا وشكره تعالى باللسان: أقل مراتب الشكر؛ وإنما يكون الشكر بالعبادة ، والصدقة ، =

= والصيام ، والقيام ! (انظر آية ١٥٢ من سورة البقرة) ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ أى متواضعين ، هينين ؛ بدون كبر ، ولا مرح ، ولا بطر ! ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بسفههم: قابلوه بحلمهم ؛ و ﴿قالوا سلاما﴾ أى قالوا قولا يسلمون به من الإثم الذى وقع فيه الجاهلون ﴿إن عذابها كان غراما﴾ أى هلاكا لازماً ، ومغرماً لا كسب فيه ﴿والذين إذا أنفقوا﴾ نفقة على أنفسهم وعيالهم ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ أما إذا كان الإنفاق فى الصدقات ؛ فيستحب الإسراف فيه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لاسرف فى الخير»

عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ

﴿وكان بين ذلك قواما﴾ أى عدلا بين الإسراف والتقتير ؛ وكفى بالمرء سرفا : أى يذيل نفسه كل ما تبتغيه ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ أى جزاء الإثم . وأى إثم أشد من الإسراف، والشرك ، وقتل النفس ، وارتكاب الزنا ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ أى يخلد فى العذاب خلوداً أبدياً لا انقضاء له ! (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) ﴿إلا من تاب﴾ عن الإسراف ، والعصيان ، والقتل ؛ قبل أن يدركه الموت وأسبابه ﴿وآمن﴾ بالله إيماناً يقينياً ﴿وعمل عملا﴾ (صالحاً) وذلك لأن الإيمان لايتم إلابالعمل الصالح! بعد أن بين الله تعالى الموبقات المهلكات، وذكر جزاءها ؛ وهو الخلود فى النار : ذكر إثماً من أكبر الآثام وأشدها : وهو شهادة الزور ﴿والذين يشهدون الزور﴾ ولا يخفى مافى شهادة الزور من ضياع للحقوق ، واتلاف للأموال ، وإفساد للضمائر ؛ إلى غير ذلك من إهدار للدماء ، وفشو للجرائم ! وشهادة الزور : من أكبر الكبائر! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس ـ وقال: ألا وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور !» كررها ثلاثا ؛ لمزيد قبحها ، وفادح شرها ! هذا وقد كان قدماء المصريين يحكمون على شاهد الزور بالقتل ﴿وإذا مروا باللغو﴾ أى بالفحش ، وكل ماينبغى أن يلغى ويطرح . والمعنى : وإذا مروا بأهل اللغو ﴿مروا كراماً﴾ أى معرضين عنهم ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ أى قرىء القرآن ، أو ذكروا بما فيه ﴿لم يخروا عليها صما وعمياناً﴾ أى بل يسمعونها ، ويتبصرون فيها ؛ ليعملوا بها ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ بأن يكونوا طائعين لك ولنا ، مشفقين منك وعلينا . وقرة العين : هدوؤها واستقرارها بالاطمئنان ؛ أو هو من القر : وهو البرد ؛ لأن دمع السرور : بارد ، ودمع الحزن : ساخن . ولذا يقال فى الدعاء : أقر الله عينك ، وأسخن عين عدوك! ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ أى قدوة يقتدى بنا فى الخير ﴿أولئك﴾الموصوفون بما ذكر ﴿يجزون﴾ =

= على صنيعهم وقولهم هـذا (الغرفة) هى واحدة الغرفات؛ وهى أعالى الجنات؛ ومنه قوله تعالى «وهم فى الغرفات آمنون» وقيل: الغرفة: الدرجة العليا (بماصبروا) أى جزاء صبرهم على الطاعات، وعن المعاصى (قل) يامحمد لـكفار مكة (مايعبأ) مايكترث (بكم ربى لولا دعاؤكم) له فى الملمات والشدائد؛ فيكشفها عنكم: إثباتاً لألوهيته وربوبيته؛ وتسجيلا لعدولـكم عن الإيمـان إلى الشرك، وكفركم بربكم؛ بعد إنجائكم وإغاثتكم؛ قال تعالى «فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون» (فقد كذبتم) بالقرآن والرسول (فسوف يكون لزاماً) أى سوف يكون تـكذيبكم هذا لزاماً لـكم؛ تجزون به، وتعاقبون عليه! أو سوف يكون العذاب ملازماً لـكم!

(سـورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) (انظر آية ١ من سـورة البقرة) (لعلك باخع نفسك) أى قاتلها حزناً وغماً (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أى إن نشأ إيمـانهم قسراً: ننزل عليهم من السماء برهاناً وحجة، ومعجزة ظاهرة (فظلت أعناقهم لهـا خاضعين) أى فتظل رؤساؤهم ومقدموهم، أو جماعاتهم لهـا منقادين. وجاء فى اللغة: العنق: بمعنى الرئيس، أو الجماعة (وما يأتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن محدث) جديد بالنسبة إليهم؛ قديم بالنسبة لمنزله تعالى:

آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم

(فقد كذبوا) بربهم وآياته ورسله (فسيأتيهم أنباء) عواقب (من كل زوج) صنف من الثمـار والأزهار، والمطعوم والمشموم (كريم) حسن نفيس (إن فى ذلك) الإنبات (لآية) دالة على وحدانيته تعالى، وكمال قدرته (ويضيق صدرى) من تـكذيبهم لى (ولاينطلق لسانى) فى محاجتهم. قيل: كانت به لثغة تمنعه من الانطلاق فى الـكلام (فأرسل إلى) أخى (هرون) أى اجعله معى رسولا إلى فرعون وقومه (ولهم على ذنب) هو قتله للقبطى (انظر آية ١٥ من سورة القصص) (قال) تعالى (كلا) لا تخافا (فاذهبا بآياتنا) بحججنا الدالة على صدقكما ووحدانيتنا (قال) فرعون لموسى؛ حين قال له «إنا رسول رب العالمين، أن أرسل معنا بنى إسرائيل» (ألم نربك فينـا وليداً) أراد فرعون أن يذكر موسى بتفضله عليه بالتربية؛ ولم يعلم اللعين أن الله تعالى هو ربه ومربيه (وفعلت فعلتك التى فعلت) المراد بالفعلة: قتله القبطى (وأنت من الـكافرين) بتربيتى لك، ونعمتى عليـك (قال فعلتها إذاً) أى حينئذ =

بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ

أن

= ﴿وأنا من الضالين﴾ أى لم أكن بعثت ، ولم تأتنى الرسالة بعد ﴿فوهب لى ربى حكماً﴾ أى علماً غزيراً ؛ أستطيع بواسطته الحكم على الأشياء حكماً صحيحاً ﴿وتلك﴾ القالة التى تقولها ؛ من أنك ربيتنى وليداً ، وأبقيتنى بينكم سنين من عمرى ﴿نعمة﴾ حقيقية ﴿تمنها على﴾ ولكن ماقيمتها بعد ﴿أن عبدت بنى إسرائيل﴾ وأذللتهم ؛ وفى ذلك إذلال لى أيضاً ؛ لأن كرامة النوع الإنسانى لا تتجزأ ﴿قال﴾ موسى لفرعون ﴿أو لو جئتك بشىء مبين﴾ بمعجزة ظاهرة بينة ﴿قال﴾ فرعون ﴿فأت به﴾ أى بهذا الشىء المبين ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿فألقى﴾ موسى ﴿عصاه﴾ التى كان ممسكا بها فى يده يتوكأ عليها ﴿فإذا هى ثعبان مبين﴾ ضخم عظيم ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا هى بيضاء للناظرين﴾ تسطع نوراً يغشى الأبصار ؛ وليس بياضاً كبياض البرص ﴿قال﴾ فرعون ﴿للملإ﴾ الذين ﴿حوله﴾ من شيعته ، المؤمنين بربوبيته ﴿إن هذا﴾ يعنى موسى عليه السلام ﴿أرجه وأخاه﴾ أن أرجئهما وأخرهما ﴿وابعث فى المدائن حاشرين﴾ جامعين ﴿لجمع السحرة لميقات﴾ لوقت ﴿يوم معلوم﴾ هو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً﴾ عندك ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لموسى ﴿قال لهم موسى﴾ أى قال للسحرة ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ من السحر ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم﴾ فخيل إلى موسى أنها حيات تسعى ﴿وقالوا﴾ حينما ألقوا ما ألقوا ﴿بعزة فرعون﴾ مولانا وإلهنا ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ما يأفكون﴾ ما يزورون من تخييل الحبال والعصى أنها حيات . فلما رأى السحرة ما فعله موسى بسحرهم ، وعلموا أن ما جاء به ليس بسحر ؛ لأن السحر : تبقى معداته وأدواته ، ولا تمحى ؛ وقد لقفت عصاه حبالهم وعصيهم ، ولم يبق أثر لها ﴿فألقى السحرة﴾ على وجوههم ﴿ساجدين﴾ لرب موسى وهارون ؛ بعد أن كانوا يقولون «بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون»

أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

وأصبح من يستعين بهم فرعون : عوناً عليه ، لاعوناً له ؛ فأسقط فى يد اللعين ، وحل به الخزى والعار فى عقر داره ، وبين أهله وأنصاره . وحينئذ ﴿قال﴾ مخاطباً سحرته ﴿ءامنتم له﴾ أى هل آمنتم لموسى ﴿قبل أن آذن لكم﴾ بالإيمان ﴿إنه﴾ أى موسى ﴿لكبيركم الذى علمكم السحر﴾ أراد أن يوهم قومه أن سحر موسى من جنس سحر السحرة ؛ كيف لا : وقد أحال موسى عصاه حية ؛ كما أحالوا حبالهم وعصيهم حيات . وفاته أن السحرة ـ وهم أدرى الناس وأعلمهم بالسحر ـ قد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر ؛ وإنما هو من صنع فاطر الأرض والسموات ! ﴿قالوا لا ضير﴾ لا ضرر ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون إليه ؛ فيجزينا على ماتفعل بنا خير الجزاء ! لقد آمن السحرة إيماناً صحيحاً يقينياً ، ووثقوا بالبعث والحساب ، =

= والثواب والعقاب؛ يدل على ذلك قولهم (إنا نطمع) بإيماننا وإنابتنا (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) التي ارتكبناها حال كفرنا (أن) أي بأن (كنا أول المؤمنين) من شيعتك (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) أي سر بهم ليلا (إنكم متبعون) سيتبعكم فرعون وجنوده؛ بقصد إهلاككم والقضاء عليكم (فأرسل فرعون في المدائن) التابعة له (حاشرين) جامعين لقوات جيشه؛ قائلا لهم (إن هؤلاء) يقصد موسى ومن آمن معه (لشرذمة) طائفة قليلة (وإنهم لنا لغائظون) اعترف عدو الله بالخزي والذلة؛ وأن المؤمنين قليلون؛ غير أنهم له غائظون! وسيرى يوم القيامة الذل الأكبر، والخزي الأعظم، والغيظ الأعم؛ حين يقدم قومه يوم القيامة؛ فيوردهم النار، وبئس الورد المورود! (وإنا لجميع حاذرون) متيقظون (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) أنهار جارية؛ ظاهرة للعيان (وكنوز ومقام كريم) المقصود بها أرض مصر؛ ولا يخفى ما اكتشف فيها حتى الآن من الكنوز الزاخرة التي خلفتها الفراعنة. والمراد بالمقام الكريم: الدور الرفيعة، والقصور المشيدة؛ التي كانوا يقيمون فيها، ويمرحون في جنباتها (وأورثناها بني إسرائيل) أي ملكنا بني إسرائيل مصر وما فيها من «جنات وعيون وكنوز ومقام كريم» بعد إغراق فرعون وقومه (فأتبعوهم مشرقين) أي وقت شروق الشمس أو توجهوا جهة المشرق (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل فريق منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا حتما فرعون وأصحابه، ويقضون علينا (قال) موسى؛ مطمئنا لوعد ربه بإنجائه (كلا إن معي ربي) بعونه وإرشاده (سيهدين) إلى ما ينجيني. وحين وثق موسى بربه، وتأكد من نصرته ومعونته: أمده الله تعالى بالقوى التي لا تقاوم، وبالنصر المؤزر الذي لا يدافع؛ وأوحى ربه إليه (أن اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) الماء عن الأرض اليابسة (فكان كل فرق كالطود) كالجبل (وأزلفنا) قربنا (ثم) هناك (الآخرين) فرعون وقومه (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بعبورهم على الأرض؛ بعد انحسار الماء عنها (ثم أغرقنا الآخرين) لأنهم تبعوا موسى في الطريق الذي سار فيه؛ فأمر الله تعالى البحر فأطبق عليهم؛ فأغرقهم عن آخرهم (إن في ذلك) الإنجاء والإهلاك (لآية) لعبرة لمن يعتبر (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أي على عبادتها مداومين (فإنهم) أي الأصنام التي تعبدونها (عدو لي) لا أعبدهم مثلكم، ولا أواليهم (إلا رب العالمين) فإني أعبده؛ لأنه خالقي ومالكي ورازقي؛ وهو السميع العليم. النافع الضار! (والذي أطمع) أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) يوم الجزاء؛ =

الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

يوم

= وهو يوم القيامة . واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : تواضع منهم لربهم ، وتعليم لأممهم ؛ أو هو لذنوب سلفت منهم قبل اختيارهم ، واضطلاعهم بمهام الرسالة ؛ وخطاياهم - إن صح أن لهم خطايا - لا تعدو الصغائر المعفو عنها ؛ إذ أنهم عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكبائر حتما ! ﴿رب هب لى حكماً﴾ علماً يقيني الخطأ والزلل ﴿وألحقنى بالصالحين﴾ بمن تقدمني من الأنبياء ﴿واجعل لى لسان صدق﴾ أى ثناء وذكراً حسناً ﴿فى الآخرين﴾ فيمن يأتى بعدى إلى يوم القيامة ! وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، وجعل له ذكراً حسناً إلى يوم الدين : فلا يصلى مصل إلا إذا صلى عليه فى صلاته ، ولا يؤمن مؤمن إلا إذا آمن بنبوته واعترف بفضله ، وأثنى عليه الثناء كله : اللهم صل على سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم فى العالمين ، إنك حميد مجيد ! ﴿ولا تخزنى﴾ لا تفضحنى ﴿يوم يبعثون﴾ فيا عجبا: إبراهيم خليل الله تعالى ونبيه - بل قدوة أنبيائه - وصاحب الملة الحنيفية : يدعو ربه ويسأله ألا يفضحه يوم القيامة ! ونحن وحالنا كما لا يخفى : إيمان قاصر ، وعمل فاجر ، ورياء ونفاق ، وخصومات وشقاق ؛ ونظن أن لنا يوم البعث القدر الأعلى ، والقدح المعلى ! فالجأ أيها المسكين إلى ربك بالدعاء واجأر إليه بالرجاء ؛ عسى أن يكتبك فى عداد الناجين ، الفائزين ، المقبولين ! ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك ، والنفاق ، والحقد «سليم» بالإيمان ؛ لأن قلب الكافر والمنافق : مريض ؛ لقوله تعالى «فى قلوبهم مرض» ﴿وأزلفت الجنة﴾ قربت ، وهيئت ، وأعدت ﴿وبرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للغاوين﴾ الكافرين ، الهالكين ﴿فكبكبوا فيها﴾ طرح بعضهم على بعض فى الجحيم ﴿هم والغاوون﴾ أى كبكب الآلهة - وهى الأصنام - «والغاوون» وهم الكافرون

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾

﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ وهم أتباعه ، ومن أطاعه ؛ من الجن والإنس ﴿تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿إن كنا﴾ فى الدنيا ﴿لفى ضلال مبين﴾ ظاهر ، بين ﴿إذ نسويكم﴾ أيها الشياطين ؛ فى الطاعة والعبادة ﴿برب العالمين﴾ الذى ينفع ويضر ، ويحيى ويميت ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أى لو أن لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ الناجين ﴿إن فى ذلك﴾ المذكور ؛ من مجادلة إبراهيم لأبيه وقومه ، وذكر ما أعده الله تعالى للمؤمنين ؛ من نعيم مقيم ، وللكافرين من عذاب أليم ؛ إن فى ذكر ذلك جميعه ﴿لآية﴾ عظة وعبرة

وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾

وَمَآ

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ السفلة والرعاع ﴿قال وما علمى بما كانوا يعملون﴾ أى لست أعلم بما كانوا يعملون؛ وغاية علمى أنهم آمنوا وكفرتم، وصدقوا وكذبتم، وأطاعوا وعصيتم، واهتدوا وضللتم؛ وهذه هى ظواهرهم؛ وليس لى أن أطلع على سرائرهم ﴿إن﴾ ما ﴿حسابهم إلا على ربى﴾ فهو عالم السر وأخفى ﴿لو تشعرون﴾ لو تعلمون ﴿لتكونن من المرجومين﴾ المقتولين بالحجارة ﴿فافتح بينى وبينهم﴾ أى احكم بينى وبينهم حكماً. وحكمه جل شأنه: عدل كله، وصواب كله! فكأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه طلب إهلاك الكافرين، وإنجاء المؤمنين ﴿فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ عبر القرآن الكريم بصيغة الجمع «المرسلين» لأن مكذب الرسول الواحد: مكذب لسائر من تقدمه من الرسل

وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

﴿وما أسألكم عليه﴾ أى على التبليغ ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ كانوا يبنون بكل مكان مرتفع برجا يجلسون فيه ، ويسخرون بمن يمر بهم من المؤمنين ﴿وتتخذون مصانع﴾ قصوراً ، أوحصوناً ﴿وإذا بطشتم﴾ بضرب أو قتل ﴿بطشتم جبارين﴾ من غير رأفة ولا رحمة ﴿واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون﴾ أنعم عليكم بالنعم الظاهرة ؛ التى تحسونها وتعلمونها ؛ وفسرها تعالى بقوله ﴿أمدكم بأنعام﴾ تركبون عليها ، وتأكلون من لحومها ، وتشربون من ألبانها ، وتكتسون من أوبارها وأشعارها ﴿وبنين﴾ أى وأمدكم ببنين يعاونونكم ، وتقر بهم أعينكم ﴿وجنات﴾ بساتين ؛ تمرحون فيها ، وتنعمون بفاكهتها ﴿وعيون﴾ أنهار جارية ؛ تراها العين ﴿إنى أخاف عليكم﴾ إن بقيتم على حالكم من الكفر ، والظلم ، والبطش ﴿عذاب يوم عظيم﴾ فى الدنيا بالاستئصال ، وفى الآخرة بالعذاب الأليم المقيم! ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فإنا لا نتبعك ، ولا نستمع لوعظك ﴿إن هذا﴾ ما هذا الذى نحن فيه ﴿إلا خلق الأولين﴾ عادة الأولين وطبعهم «نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أو المعنى : ما هذا الذى تقوله ، وتأمرنا به ؛ إلا أكاذيب الأولين واختلاقهم ؛ يؤيده قراءة من قرأ «خلق الأولين» ﴿فكذبوه﴾ أى فأصروا على تكذيبه ﴿فأهلكناهم﴾ بالريح ؛ قال تعالى «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية» ﴿إن فى ذلك﴾ الإهلاك ﴿لآية﴾ عظة وعبرة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ فكانوا من الهالكين ؛ ولم يؤمن بهود إلا قليل ؛ أنجاهم الله معه ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ لأن تكذيبهم لرسولهم صالح : تكذيب لمن سبقه من المرسلين ﴿إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ الله ، وتخشون بأسه ؛ فتؤمنون به ﴿وما أسألكم عليه﴾ أى على التبليغ

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾

﴿أتتركون فيما ههنا﴾ أى فى الدنيا ، وفيما أنتم فيه ﴿آمنين﴾ من السوء والعذاب ؟ وقد كانوا معمرين ؛ يدل عليه قوله تعالى «واستعمركم فيها» ﴿فى جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار ﴿وزروع﴾ وهو كل مايزرع ﴿ونخل طلعها﴾ ثمرها ﴿هضيم﴾ لين ؛ كالرطب ، أوهش نضيج ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ نشطين حاذقين ؛ ومن قرأ «فرهين» أراد بطرين متكبرين ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ الكافرين ﴿الذين يفسدون فى الأرض﴾ بالمعاصى ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ الذين غلب على عقلهم السحر ؛ والمراد به : نسبته عليه السلام إلى الجنون ﴿فائت بآية﴾ معجزة تدل على صدقك ﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ نصيب من الماء للشرب ﴿فعقروها﴾ ذبحوها . عقرها واحد منهم ؛ ونسب العقر لجميعهم : لأنهم رضوا عن فعله ؛ فكان جزاؤهم كجزائه ﴿فأخذهم العذاب﴾ بالرجفة ، أو الصيحة ؛ التى طغت عليهم ؛ فأهلكوا جميعاً . قال تعالى «فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية»



وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

﴿أتأتون الذكران﴾ اللواط ﴿وتذرون﴾ تتركون ﴿عادون﴾ معتدون؛ بانتهاكم حرمات الله تعالى، وإتيانكم مالا يحل!

هذا وحكم اللواط: كحكم الزنا؛ ألا ترى أن الله تعالى وصف اللائطين هنا بالعدوان «بل أنتم قوم عادون» ووصف الزانين بقوله «فأولئك هم العادون» فوجب أن يقام الحد على اللائط؛ كما يقام على الزاني. وذهب قوم إلى وجوب إلقائه من حالق! (انظر آية ٧ من سورة المؤمنون) ﴿لتكونن من المخرجين﴾ المطرودين ﴿قال إني لعملكم﴾ لفسقكم ﴿من القالين﴾ المبغضين ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ الباقين في العذاب؛ وهي امرأته: أهلكها الله تعالى فيمن أهلك ﴿ثم دمرنا﴾ أهلكنا ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ أمطرهم الله تعالى حجارة. قيل: إن جبريل عليه الصلاة والسلام خسف الأرض بقرية قوم لوط، وجعل عاليها سافلها، وأمطر من كان منهم خارج القرية بالحجارة ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يغلب؛ المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بعباده وأوليائه؛ فلا يحملهم مالا طاقة لهم به؛ ولا يؤاخذهم بذنوب غيرهم! ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ هم قوم شعيب عليه السلام؛ و«الأيكة»: الغيضة؛ وهي مجتمع الشجر

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ الذين ينقصون الناس حقوقهم ، أو الذين خسروا أنفسهم وآخرتهم ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ الميزان ﴿ولا تبخسوا﴾ لا تنقصوا ﴿ولا تعثوا﴾ العثى: أشد الفساد ﴿والجبلة﴾ الخليقة ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ الذين اختلط عقلهم ، وغلب عليهم السحر ﴿فأسقط علينا كسفاً﴾ قطعا ﴿من السماء﴾ وهذا كقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ هي سحابة أظلتهم؛ بعد أن عذبوا بالحر الشديد سبعة أيام ؛ فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها ، طامعين في بردها ومائها ؛ فأمطرتهم ناراً: فاحترقوا عن آخرهم . قيل : كان لمدين ستة ملوك ؛ يسمون : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ؛ وقد وضعت العرب الكتابة العربية على عدد حروفهم ؛ بعد زيادة ستة أحرف ؛ جمعوها في ثخذ ، ضظغ . وكان رئيسهم : كلمن. هلكوا جميعاً ـ فيمن هلك ـ يوم الظلة ؛ وقد رثت ابنة كلمن أباها بقولها :

* أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين ﴿١٨٤﴾ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿١٨٥﴾ وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين ﴿١٨٦﴾ فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ﴿١٨٧﴾ قال ربي أعلم بما تعملون ﴿١٨٨﴾ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿١٨٩﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٩٠﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٩١﴾ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴿١٩٢﴾ نزل به الروح الأمين ﴿١٩٣﴾ على قلبك لتكون من المنذرين ﴿١٩٤﴾ بلسان عربي مبين ﴿١٩٥﴾ وإنه لفي زبر الأولين ﴿١٩٦﴾ أو لم يكن لهم

ءاية

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ حتف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحله

﴿وإنه﴾ أي القرآن الذي يكذبون به ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ العالمين : جمع العالم ، والعالم : الخلق كله ؛ من إنس وجن ، وطير ووحش ﴿نزل به الروح الأمين﴾ جبريل عليه السلام : أمين وحي الله ! ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ كتبهم . أي إن القرآن ثابت مذكور في الكتب السماوية المتقدمة ﴿أولم يكن لهم آية﴾ علامة على صدقك

﴿أن يعلمه﴾ يعلم هذا القرآن ، ويعلم أنه منزل من لدن ربك ﴿علماء بنى إسرائيل﴾ الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام : كعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، وأضرابهما ؛ وقد صاروا من علماء المسلمين . وقد قال قائل : ما من أمة إلا وعلماؤها شرارها ؛ إلا هـذه الأمة المحمدية : فإن علماءها خيارها !

فلينظر علماء الأمة الإسلامية اليوم إلى هذا القول ، وليدبروه ، وليجتهدوا أن يكونوا مصداقاً له . قال الصادق المصدوق ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة ؛ فيلقى فى النار ؛ فتندلق أقتاب بطنه ؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع إليه أهل النار ؛ فيقولون : يافلان ، مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ؛ قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه» وفى رواية : «أول أهل النار دخولا : عالم يلقى فى النار . . . الحديث» ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ جمع أعجم ؛ وهو الحيوان ؛ لأنه لاينطق . وقيل : هو جمع أعجمى . وهو الذى لا يفصح وإن كان عربياً . وقرأ الحسن «الأعجميين» جمع أعجمى ؛ وهو الذى لا ينطق العربية ﴿كذلك سلكناه﴾ أى القرآن : أدخلناه ﴿فى قلوب المجرمين﴾ الكافرين : سلكناه فى قلوبهم ؛ بحيث يعقلونه ـ إذا أرادوا ـ أليس يعقل كل مافيه ؟ ! ويتفهمونه ـ إذا رغبوا ـ أليس معلوماً ، وواضحاً مفهوماً ؟ ! وذلك لأن تكذيبهم به ـ بعد دخوله فى قلوبهم ـ أعظم كفراً ، وأشد وزراً ؛ من تكذيبهم لشىء لم يعلموه ، ولم يفهموه ، ولم يطرق لهم قلباً ، أو يقرع لهم لباً ؛ فإن المكذب بالحق بعد معرفته له : شر من المكذب لما لا يفقه ، ولا يعرف . وقد سلكه الله تعالى فى قلوبهم : إلزاماً لهم ، وحجة عليهم ! لكنهم استكبروا استكباراً ، وأصروا على كفرهم إصراراً : فلم يؤمنوا بما سلكه الله تعالى فى قلوبهم ، ويسره على أفهامهم . ونظيره قوله تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً» وقوله جل شأنه ؛ خطاباً للكفار «سيريكم آياته فتعرفونها» وقوله عز سلطانه «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون» وقوله عز وجل «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» وقول الحكيم المتعال «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة» وقوله تعالى «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» ﴿لايؤمنون به حتى يروا﴾ بأعينهم ﴿العذاب الأليم﴾ الذى وعدوا به فى الدنيا ، أو يوم القيامة ؛ فحينئذ يعلمون أنه الحق من ربهم ؛ حيث لا يجدى إيمانهم ، ولا تنفع توبتهم !

وقد ذهب جل المفسرين ـ إن لم يكن كلهم ـ إلى أن المقصود بذلك : أن الله تعالى يسلك التكذيب=

أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

= فى قلوب الكافرين؛ ليمنعهم من الإيمان. وهو قول بادى البطلان، ظاهر الخسران؛ يتنافى مع العدل المطلوب من بنى الإنسان؛ فما ظنك بالرحيم الرحمن! أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين!

هذا ويؤيد ما ذهبنا إليه - وخالفنا المفسرين فيه - قوله جل شأنه فى ختام هذا القول: «وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون، ذكرى وما كنا ظالمين!» إذ كيف يرسل تعالى المنذرين؛ وقد سلك تكذيبهم فى قلوب الكافرين؟ وكيف ينفى الظلم عن نفسه؛ وما زعمه المفسرون هو الظلم المبين!

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سورة

وكيف يتفق قول المفسرين؛ وقول العزيز الحميد، فى كتابه المجيد «ولا يرضى لعباده الكفر» وكيف لا يرضاه؛ وقد سلكه فى قلوبهم، وأجراه فى دمائهم؟! وكيف يحول المولى سبحانه وتعالى بينهم وبين الإيمان؛ وهو جل شأنه القائل: «وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى»؟ وكيف يؤمنون، أو يهتدون؛ وقد حال بينهم وبين الإيمان والاهتداء؟ «وحيل بينهم وبين مايشتهون».

ونحن إذا ما وافقنا المفسرين فيما ذهبوا إليه: احتجنا إلى تعليل قولهم تعليلا مقبولا؛ بأن نقول. إن سلوك التكذيب فى قلوبهم: كان نتيجة لإصرارهم على الكفر، وتعاميهم عن الحق؛ رغم وضوح آيات الله تعالى، وتواتر معجزاته، وصدق رسالاته! وقد وصف الله تكذيبهم بأشنع ما يوصف به المكذبون - من جهل وعناد واستكبار - فقد بلغ تكذيبهم: أن لو قرأ القرآن عليهم من لا يدريه ولا يفهمه؛ بل ومن ليس فى عداد الآدميين؛ من الأعجمين «ما كانوا به مؤمنين» فكان سلوك التكذيب فى قلوبهم: عقوبة لهم على عنادهم؛ كقوله تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» فكانت الإزاغة عقوبة على الزيغ. وقوله جل شأنه «ويضل الله الظالمين» «وما يضل به إلا الفاسقين» فكان الظلم والفسق سابقان للاضلال! وبغير الذى قلنا لايستقيم المعنى الذى أراده الله، ولاتتوافر القدسية الواجبة فى حقه تعالى! فليتأمل هذا، وليعتبر به من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد! (انظر الآيات ٣٣ من سورة الرعد و٨ من سورة فاطر و١٨ من سورة الحج) (فيأتيهم) العذاب (بغتة) فجأة (منظرون) مؤجلون (ما كانوا يوعدون) به من العذاب (وماتنزلت به) أى بالقرآن (وأنذر) خوف يامحمد (عشيرتك الأقربين) قومك وآلك؛ لينذروا من حولهم؛ فيكثر المسلمون، وتعم الدعوة الإسلامية. قال تعالى «لأنذركم به ومن بلغ» أى ومن بلغه القرآن: ينذر به أيضاً (واخفض جناحك) ألن جانبك وتواضع (وتقلبك فى الساجدين) أى ويرى تعالى تقلبك فى الصلاة مع المصلين =

= ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ أى تتنزل بالوسوسة والإغواء والإفساد ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾ كذاب ، مرتكب للإثم . والمقصود : رؤساء الكفار والذين يزعمون معرفة الغيب ﴿يلقون السمع﴾ أى ان الشياطين تتسمع إلى الملإ الأعلى ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يقولون لأوليائهم مالا يسمعون . وأولياؤهم : هم « كل أفاك أثيم » يزيدون على إفك الشياطين إفكا ، ويزدادون على إثمهم إثماً ! ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ ليس المراد بالشعراء هنا : كل الشعراء . بل أريد الغاوون منهم ، والضالون : الذين يلوكون بألسنتهم أعراض الناس، ويتشدقون بالإثم والفجور، ويروجون للفسق والخمور ! أما من ارتقى منهم بشعره عن درك الفساد والإفساد ؛ فقد يكون من أئمة الأتقياء ، وخلاصة الفضلاء الأصفياء! وناهيك بأن منهم الامام البوصيرى ، وحسان بن ثابت : شاعر النبى ! والامام ابن الفارض ، والبرعى ؛ وغيرهم ممن وقفوا قرائحهم وأشعارهم على ذكر الرحمن الرحيم ، ومدح رسوله العظيم ، ووصف كتابه الكريم ! وهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ أى وانتصروا لأنفسهم ، أو لاخوانهم ، أو لدينهم ؛ من بعد ما ظلمهم الغير . ونظيره قوله تعالى «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» .

(٢٧) سُورَةُ النَّمْلِ مَكِّيَّة
وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ

(سورة النمل)

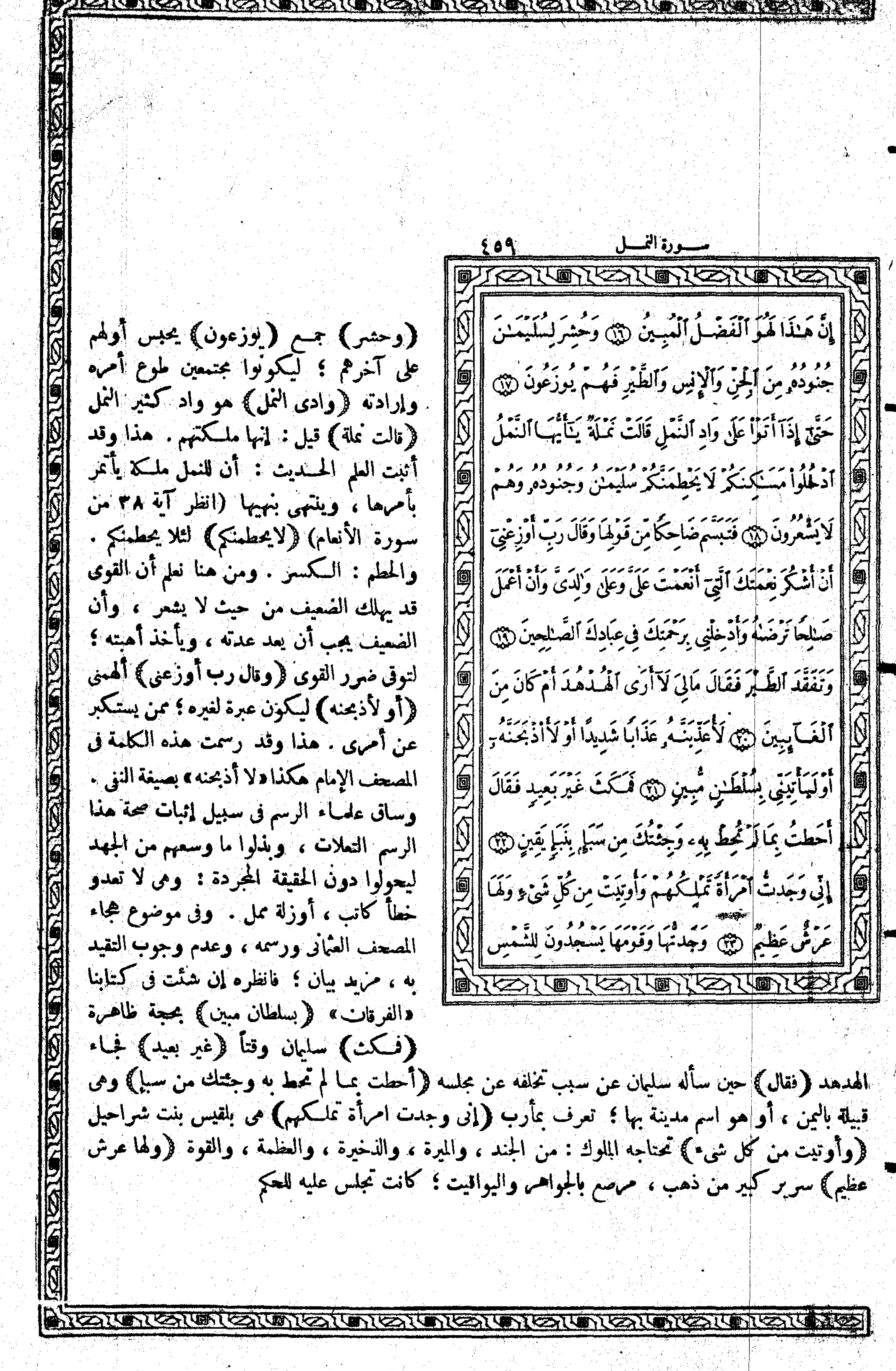
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طس﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ بالقيامة ، والحساب ، والجزاء ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ الفاسدة ؛ ليزدادوا كفراً على كفرهم ، وطغياناً على طغيانهم (انظر آية ١٢٢ من سورة الأنعام) ﴿يعمهون﴾ يترددون فى ضلالهم ﴿لهم سوء العذاب﴾ أسوؤه ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ لتتلقاه وتتلقنه ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم﴾ يحكم قوله وفعله وأمره ! ﴿عليم﴾ بمصالح الناس وحاجاتهم ! ﴿إذ قال موسى﴾ أى واذكر قصة موسى ؛ إذ قال ﴿لأهله﴾ امرأته ﴿إنى آنست﴾ أبصرت من بعيد ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ لأن النار الموقدة : دليل على وجود موقد لها ؛ تستقى منه الأخبار ، ويهتدى به إلى الطريق ، ويستطعم ﴿بشهاب﴾ شعلة مضيئة ﴿قبس﴾ القبس : كل ما يقتبس ؛ من جمر ، وجذوة ، ونحوهما ﴿لعلكم تصطلون﴾ تستدفئون من البرد ﴿فلما جاءها﴾ أى جاء موسى النار التى توهمها ﴿نودى﴾ من حيث لا يعلم من أين يأتيه النداء ، ولايعلم صفته ، ولا كنهه: نداء ولاصوت! ﴿أن﴾ بأن ﴿بورك﴾ بارك الله ﴿من فى النار﴾ من الملائكة

وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ

إِنَّ

﴿ومن حولها﴾ موسى . وهى تحية من الله تعالى لكليمه عليه الصلاة والسلام ﴿وسبحان الله﴾ تنزه وتقدس ! (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ونودى ﴿ياموسى إنه أنا الله العزيز﴾ القوى ، الغالب ، الذى لا يغلب ﴿الحكيم﴾ الذى يضع الأمور فى مواضعها ، ويعد لكل شىء عدته! ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كأنها جان﴾ حية ﴿ولى مدبراً﴾ أسرع راجعاً ﴿ولم يعقب﴾ لم يرجع ؛ فناداه ربه تعالى ﴿ياموسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون﴾ وكيف يخافون فى موطن الأمن والسلامة ؟ ! ﴿إلا من ظلم نفسه﴾ منهم بالزلل ﴿ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ كآدم ، ويونس ، وداود ، وسليمان ؛ عليهم السلام ! فإنهم يخافون ؛ رغم رضائى عنهم ، ومغفرتى لهم ، وتوبتى عليهم . وقيل : «إلا من ظلم» من غير الأنبياء ؛ لأن الأنبياء لا يظلمون ﴿وأدخل يدك فى جيبك﴾ الجيب : فتحة الثوب مما يلى العنق ﴿من غير سوء﴾ من غير مرض: كبرص ونحوه ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أى ظاهرة بينة ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أى أنكروها بألسنتهم؛ لشدة كفرهم وعنادهم ، واستيقنتها قلوبهم ؛ لما رأوه من صحتها ، وصدقها ، ووضوحها ! (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿وورث سليمان داود﴾ فى النبوة والعلم ؛ دون سائر أبنائه ﴿وأوتينا من كل شىء﴾ المراد به كثرة ما أوتى من الملك ، والعلم ، والنبوة



إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ
جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ
ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ

﴿وحشر﴾ جمع ﴿يوزعون﴾ يحبس أولهم على آخرهم؛ ليكونوا مجتمعين طوع أمره وإرادته ﴿وادى النمل﴾ هو واد كثير النمل ﴿قالت نملة﴾ قيل: إنها ملكتهم. هذا وقد أثبت العلم الحديث: أن للنمل ملكة يأتمر بأمرها، وينتهى بنهيها (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) ﴿لايحطمنكم﴾ لئلا يحطمنكم. والحطم: الكسر. ومن هنا نعلم أن القوى قد يهلك الضعيف من حيث لا يشعر، وأن الضعيف يجب أن يعد عدته، ويأخذ أهبته؛ لتوقى ضرر القوى ﴿وقال رب أوزعنى﴾ ألهمنى ﴿أو لأذبحنه﴾ ليكون عبرة لغيره؛ ممن يستكبر عن أمرى. هذا وقد رسمت هذه الكلمة فى المصحف الإمام هكذا «لا أذبحنه» بصيغة النفى. وساق علماء الرسم فى سبيل إثبات صحة هذا الرسم التعلات، وبذلوا ما وسعهم من الجهد ليحولوا دون الحقيقة المجردة؛ وهى لا تعدو خطأ كاتب، أوزلة ممل. وفى موضوع هجاء المصحف العثمانى ورسمه، وعدم وجوب التقيد به، مزيد بيان؛ فانظره إن شئت فى كتابنا «الفرقان» ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة ظاهرة ﴿فمكث﴾ سليمان وقتاً ﴿غير بعيد﴾ فجاء الهدهد ﴿فقال﴾ حين سأله سليمان عن سبب تخلفه عن مجلسه ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ﴾ وهى قبيلة باليمن، أو هو اسم مدينة بها؛ تعرف بمأرب ﴿إنى وجدت امرأة تملكهم﴾ هى بلقيس بنت شراحيل ﴿وأوتيت من كل شىء﴾ تحتاجه الملوك: من الجند، والميرة، والذخيرة، والعظمة، والقوة ﴿ولها عرش عظيم﴾ سرير كبير من ذهب، مرصع بالجواهر واليواقيت؛ كانت تجلس عليه للحكم

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ

أَذِلَّةً

﴿الخبء﴾ المخبوء، المستتر عن الأنظار ﴿فى السموات﴾ من الماء ﴿و﴾ فى ﴿الأرض﴾ من النبات والكنوز ﴿اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم﴾ وفى هذه القصة: تعليم لنا من الله تعالى باستخدام الطير فى حمل الرسائل، ولذا وفق الناس لاختيار الحمام الزاجل ﴿ثم تول﴾ انصرف ﴿عنهم﴾ وكن قريباً منهم؛ بحيث تراهم ولا يرونك ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ يجيبون على كتابى. فلما قرأت بلقيس خطاب سليمان: جمعت وجوه قومها، وأشرافهم، وقادتهم؛ و﴿قالت﴾ لهم ﴿يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم﴾ يؤخذ من هذا: أن بلقيس كانت تحكم قومها حكماً «ديموقراطيا» وأنه كان لها مجلس للشورى «برلمان» والقرآن لم يورد هذه القصة عبثاً؛ بل ليرشدنا إلى الطرق الدستورية، والنظم الشورية ﴿ألا تعلوا علي﴾ لا تتكبروا عن طاعتى ﴿وأتونى مسلمين﴾ مؤمنين منقادين ﴿ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ أى ما كنت ممضية أمراً حتى تحضرون. لم تأخذها العزة بالإثم، ولم تغرها سطوة سلطانها، وقوة جيشها، وإخلاص شعبها؛ لم يمنعها كل ذلك من استشارة رءوس دولتها، وكبراء مملكتها، ومناقشتهم؛ وقد تكون بلقيس أول امرأة فى التاريخ بمثل هذا الخلق، وبمثل هذا التدبير، وهذه الحكمة ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ فاتحين غازين ﴿أفسدوها﴾ بالقسوة والبطش ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ لقد نظرت بلقيس بثاقب رأيها، وعلمت أن الملوك الأقوياء؛ إذا احتلوا بلداً عنوة: أخذوا خيراتها، وأذلوا أهلها واستعبدوهم

﴿وكذلك يفعلون﴾ دائماً ﴿وإنى مرسلة إليهم بهدية﴾ امتحاناً لهم، ودرءاً لصولتهم؛ فعسى أن يكونوا طلاب مال؛ فتشغلهم هديتنا عن إيذائنا ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ من أخبارهم ﴿فلما جاء﴾ الرسل ﴿سليمان﴾ ورأى ما يحملون من هدايا، وأموال، وتحف، ونفائس؛ تفوق العد والحصر ﴿قال﴾ لرسل بلقيس ﴿أتمدونن بمال فما آتانى الله﴾ من الإسلام، والملك، والعلم، والنبوة ﴿خير مما آتاكم﴾ من المال وحده ﴿بل أنتم﴾ لا أنا ﴿بهديتكم تفرحون﴾ والتفت سليمان إلى رئيس وفد بلقيس قائلا له ﴿ارجع إليهم﴾ بهديتهم ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أى لا طاقة لهم على مقابلتهم ومقاتلتهم ﴿ولنخرجنهم منها﴾ أى من بلادهم ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ الصغار: شدة الذل. ثم التفت سليمان إلى خاصته ووزرائه؛ من الإنس والجن ﴿قال ياأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها﴾ الذى رآه الهدهد، ووصفه لى: «ولها عرش عظيم» ﴿مسلمين﴾ طائعين منقادين ﴿قال عفريت من الجن﴾ العفريت: هو القوى، الواسع الحيلة، النافذ الأمر، الشديد الدهاء. و«الجن» المستتر. من جنه الليل: إذا ستره. وجن الليل: ظلمته ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أى من مجلسك هذا ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب﴾ قيل: إنه ملك سخره الله تعالى لسليمان. وقيل: إنه جبريل عليه السلام. وقيل: هو وزيره آصف بن برخيا؛ وقد كان يعلم اسم الله الأعظم؛ الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى ﴿قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ أى قبل أن تغمض عينك؛ والمراد به: المبالغة فى قرب المدة ﴿ليبلونى﴾ ليختبرنى ﴿أأشكر﴾ على ما أنعم به على ﴿أم أكفر﴾ فأنسى ذلك، وأنسبه لنفسى ولجندى ﴿ومن كفر فإن ربى غنى﴾ عن شكر الشاكرين، وعبادة العابدين ﴿كريم﴾ فى عطائه؛ يتفضل على من يشكر، ومن يكفر! ﴿قال نكروا﴾ أى غيروا

أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ

﴿فلما جاءت﴾ بلقيس : أروها عرشها المستقر عند سليمان ؛ و ﴿قيل﴾ لها ﴿أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ لم تجزم بأنه هو : لغرابة وجوده فى ذلك الزمان والمكان ، ولاستحالة حدوث ذلك عقلا . وذهب بعض المحدثين إلى أنه لم يكن ثمت سوى رسم العرش ـ لا العرش نفسه ـ واستدلوا على ذلك : بقول سليمان لها : «أهكذا عرشك» وقولها «كأنه هو» وهذا الرأى يأباه سياق النظم الكريم ؛ لقوله تعالى «فلما رآه مستقراً عنده» وإلا فأين المعجزة الخارقة وأين الآية الظاهرة ؟ ! ﴿وأوتينا العلم﴾ هو من قول سليمان ؛ أى أوتينا العلم بأن الله تعالى على كل شىء قدير ﴿من قبلها﴾ أى من قبل هذه المرة ، أو «وأوتينا العلم» بمجيئها طائعة وإسلامها «من قبل» مجيئها ﴿وكنا مسلمين﴾ منقادين لأمر الله ، طائعين له ! ﴿وصدها﴾ منعها عن عبادة الله تعالى ﴿ما كانت﴾ أى الذى كانت ﴿تعبد من دون الله﴾ ويجوز أن يكون المعنى «وصدها» سليمان «ما كانت تعبد» عما كانت تعبد ﴿إنها﴾ أى لأنها ﴿كانت من قوم كافرين﴾ يعبدون الشمس والقمر ﴿قيل لها ادخلى الصرح﴾ وهو كل بناء عال ﴿فلما رأته﴾ أى رأت الصرح ؛ وقد صنعت أرضه من زجاج شفاف ﴿حسبته لجة﴾ ماءعظيما ﴿قال﴾ سليمان ﴿إنه صرح ممرد﴾ مملس ﴿من قوارير﴾ زجاج . فلما رأت هذه العظمة ، وهذه الأبهة ؛ التى أضفاهما الله تعالى على سليمان ، ورأت عرشها ؛ وقد جىء به إليه : علمت أن ذلك لايتوفر إلا لمن تسنده قوى خارقة من السماء ؛ و ﴿قالت رب إنى ظلمت نفسى﴾ بالشرك الذى كنت فيه ، وأقمت عليه ! ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ قيل :إن سليمان تزوجها بعد إسلامها. وقيل: زوجها لذى تبع ملك همدان ؛ ولم يثبت صحة شىء من ذلك ! ﴿قال﴾ لهم نبيهم صالح ﴿ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ تطلبون العذاب ﴿قبل الحسنة﴾ قبل طلب المغفرة . أو «لم تستعجلون» بالمعصية قبل الطاعة ﴿لولا﴾ هلا ﴿تستغفرون الله﴾ من ذنوبكم الماضية ﴿اطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ من المؤمنين ﴿قال طائركم﴾ شؤمكم ﴿عند الله﴾ ينزله بكم ؛ بسبب كفركم وتكذيبكم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر ، أو «تفتنون» تعذبون بسبب إصراركم على الكفر والعصيان ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط﴾ الرهط : مادون العشرة من الرجال. ﴿قالوا﴾ لبعضهم ﴿تقاسموا﴾ أى احلفوا ﴿بالله لنبيتنه﴾ لنقتلنه بياتاً ؛ أى ليلا

لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ

﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أى لولى دمه ﴿ما شهدنا﴾ ما رأينا ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ أى دبروا أمرهم باهلاك صالح وأهله ، ودبرنا أمراً بإهلاكهم ﴿أنا دمرناهم﴾ أهلكناهم ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ أى ساقطة ، أو خالية ﴿بما ظلموا﴾ أى بسبب ظلمهم وكفرهم وذلك معنى قولهم : إن الظلم يخرب الديار ! ﴿إن فى ذلك﴾ الإهلاك والتدمير ﴿لآية﴾ عظة وعبرة ﴿ولوطاً﴾ أى واذكر لوطا ﴿إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ اللواط ﴿وأنتم تبصرون﴾ أى تبصرون ماحل بالأمم السابقة من العذاب ؛ حين عصوا وكفروا بربهم . أو المراد : يبصر بعضكم بعضا ؛ عند إتيان هذه الفاحشة الذميمة! وذلك إمعانا منهم فى الفسوق ، وانهما كا فى المعصية ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ كان قولهم ذلك استهزاء ؛ كقوله تعالى «إنك لأنت الحليم الرشيد» أو أرادوا «يتطهرون» مما نعمل ﴿قدرناها من الغابرين﴾ أى قدرنا أنها من الباقين فى العذاب ؛ لإصرارها على الكفر، وتكذيب زوجها مع المكذبين ﴿آلله﴾ استفهام ؛ أى أألله ﴿خير﴾ عبادة ، وخير لمن يعبده ﴿أم ما يشركون﴾ به من الأصنام ﴿أم من خلق السموات﴾ وما فيها من كواكب وأفلاك ، ومن فيها من مخلوقات وأملاك

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ

أَيَّانَ

﴿و﴾ خلق ﴿الأرض﴾ ومافيهامن بحار وأنهار، وزروع وأشجار، وجبال ورمال، وإنسان وحيوان ﴿وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق﴾ بساتين ﴿ذات بهجة﴾ حسن ورونق ﴿ما كان لكم﴾ ما كان فى استطاعتكم ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ فما بالكم بثمرها؟ والمعنى: أذلك الإله ـ الموصوف بكل هذه الصفات ـ خير أم ما تعبدون من دونه؟ ويلكم! ﴿أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ يشركون بالله تعالى غيره ممن خلق، ويجعلونه له عدلا. والعدل: المثل والنظير ﴿قراراً﴾ للاستقرار عليها؛ ولا تميد بأهلها ﴿خلالها﴾ فيما بينها ﴿رواسى﴾ جبالا ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ بين العذب والملح: لا يختلط أحدهما بالآخر. والحجز: المنع ﴿ويكشف السوء﴾ الضر، أو الجور ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ أى سكانها؛ يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿بشراً بين يدى رحمته﴾ أى للبشارة قدام المطر. وسمى المطر رحمة: لأنه سبب فى حياة سائر الحيوان والنبات ﴿أم من يبدأ الخلق﴾ من غير مثال سبق ﴿ثم يعيده﴾ يوم القيامة؛ بلا تعب ولا نصب ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ بالنبات ﴿أإله مع الله﴾ فإن زعموا ـ بعد أن سقت لهم هذه الآيات البينات ـ أن هناك إلهاً مع الله ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ حجتكم ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ أى لا يعلم أحد ممن فيهما الغيب الذى انفرد الله تعالى بعلمه إلاهو. قيل: نزلت حين سأل المشركون الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عن وقت القيامة

﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ متى يبعثون من قبورهم . وقيـل : نزلت فى سائر الغيوب . ويؤخذ من هذه الآية أن في السموات سكاناً عقلاء ؛ لأن «من» لمن يعقل ، و «ما» لما لا يعقل . والآية دليل قاطع على نفى علم الغيب عن سائر المخلوقات ؛ حتى سكان السموات ! ومن عجب أن نرى من بيننا من يدعى علم الماضى والحاضر والمستقبل ! والأعجب أن نرى من يصدقه فى هذا الافتراء والزور والبهتان ! ومن ذهب إلى منجم أو عراف : فقد جحد بهـذه الآية ؛ بل كذب بالرسالة ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من ذهب إلى عراف ذهب ثلثا دينه» وفى حديث آخر «فقد كفر بما أنزل على محمد» وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها «من قال إن محمداً يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية ؛ والله تعالى يقول : قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله» .

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ

هذا وقد اعتاد كثير من الناس التردد على بعض العرافين وأرباب التنويم والتنجيم ؛ وكثير من هؤلاء يزعم علم الغيب ومعرفته ؛ ويقدم لك دليلا على صدقه : إنباءك بما فى يدك ـ مما يقع عليه بصرك ، ويدركه علمك ـ وهذا ليس من الغيب فى شىء ؛ بل يدخل تحت قراءة الأفكار . وقد جىء للحجاج بأحد العرافين ؛ فأمسك الحجاج فى يده حصيات ـ بعد أن علم عددها ـ وقال للعراف : كم فى يدى ؟ فذكره العراف ولم يخطىء . فأمسك الحجاج بحصيات أخر ـ لم يعدهن ـ وسأله عن عـددها ؛ فأخطأ . فسأله عن السبب ؟ فقال : إن الأولى قد أحصيتها أنت وعلمتها فخرجت عن حد الغيب ، والأخرى لم تحصها فكانت غيباً ؛ و «لايعـلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله» ﴿بل ادارك علمهم فى الآخرة﴾ أى تدارك وتكامل علمهم بها ؛ لوصول الرسل والنذر إليهم ، وتحقق الموعود به. وقيـل : المعنى : بل جهلوا علمها ، ولا علم عندهم من أمرها ﴿بل هم فى شك منها﴾ أى من وقوعها ﴿بل هم منها عمون﴾ عمى قلب وبصيرة ﴿أئنا لمخرجون﴾ من قبورنا أحياء ﴿لقد وعدنا هذا نحن﴾ على لسانك ﴿و﴾ وعد ﴿آباؤنا﴾ على لسان من سبقك من الرسل ﴿إن هذا﴾ ما هذا الذى تقوله من أمر البعث والحساب والجزاء ﴿إلا أساطير﴾ أكاذيب ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أى على عدم إيمانهم ﴿ولا تكن فى ضيق مما يمكرون﴾ ويكيدون لك ؛ فسننصرك عليهم ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ، أو بالقيامة ﴿ردف لكم﴾ قرب منكم ﴿بعض الذى تستعجلون﴾ وقد جاءهم بعض العذاب الموعود يوم بدر ، وباقيه سيأتيهم فى قبورهم ، ويوم القيامة عند بعثهم ﴿ما تكن﴾ تخفى ﴿وما من غائبة﴾ تغيب عن علمنا ، وعن تصورنا ﴿إلا فى كتاب﴾ مكتوب ؛ بمعنى أنه مقضى بها ، ومعلوم لدى ربك أمرها

﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ يوم القيامة ﴿فتوكل على الله﴾ وحده؛ ولا تخش أحداً ﴿إنك على الحق المبين﴾ الدين الواضح المنجي ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾ لما كانوا لا يعون ما يستمعون: شبهوا بالموتى؛ لأن حالهم كحالهم، وشبهوا أيضاً بالصم والعمى؛ لأنهم لاينتفعون بما يسمعون من الحق، ولا بما يرون من الآيات! ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع﴾ ماتسمع سماع قبول وتفهم ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون؛ لأنهم فتحوا أسماعهم لسماع القرآن، وقلوبهم لفهمه ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أي وقع الغضب، وحق العذاب: وحينئذ لا تقبل توبتهم، ولا يفيد استغفارهم. وقد أجمع أهل العلم على أن وقوع القول - المعنى في هذه الآية - لا يكون إلا عند انعدام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ كلاماً مفهوماً؛ وحينئذ لا يقبل استغفار مستغفر، ولا إيمان طالب. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» وقيل «تكلمهم» أي تجرحهم؛ تؤيده قراءة ابن عباس، والحسن، وغيرهما «تكلمهم» من الكلم؛ وهو الجرح.

أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ

فِى

وقد اختلفوا في هيئة الدابة، وصفتها، ووقت طلوعها، ومن أين تطلع؛ وتكلموا كلاماً أغرب من الخيال، وأشبه بالمحال؛ ولا حاجة بنا إلى إيراده لأنه بالأساطير أشبه. وقد قيل: إنها فصيل ناقة صالح. وقيل: إنها دابة لها لحية طويلة. وقيل: إنها إنسان كامل عاقل؛ يكلم الناس بالقول الصحيح، والكلام الفصيح، والمنطق البليغ، والحجة القاطعة. وتطلع الدابة - كيفما كان شكلها وصفتها - قبيل القيامة. وقيل: إنها تخرج من مكة؛ فلا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب: فتمسح على جبين المؤمن؛ فيصير وضيئاً منيراً، وتخطم الكافر والمنافق؛ فيكون وجهه كالحاً مسوداً! وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هل «تكلمهم» أو «تكلمهم»؟ فقال: هي والله تكلمهم، وتكلمهم: تكلم المؤمن، وتكلم الكافر والفاجر؛ وتقول لهم ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ وعلى قراءة الفتح يكون المعنى «بأن الناس» وبها قرأ ابن مسعود ﴿فوجاً﴾ جماعة ﴿يوزعون﴾ يحبس أولهم على آخرهم؛ حتى يجتمعوا؛ ثم يساقون إلى موضع الحساب ﴿ووقع القول﴾ حق العذاب ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ من السكون. وهو الهدوء، والراحة، والطمأنينة ﴿والنهار مبصراً﴾ مضيئاً؛ يبصر فيه الانسان كل شيء، ويتقن كل مصنوع

﴿إن فى ذلك لآيات﴾ لعظات وعبر ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ وهو القرن : ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام ، بأمر ربه تعالى ﴿إلا من شاء الله﴾ ألا يفزعه . وهم الشهداء : لأنهم «أحياء عند ربهم يرزقون» والفزع إنما يصل الى من حي ، والأنبياء : لأن لهم الشهادة مع النبوة . وقيل : هم الملائكة . ويدخل من جملة

فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ

هؤلاء : المؤمنون الذين عناهم الله تعالى بقوله «وهم من فزع يومئذ آمنون» ﴿وكل أتوه داخرين﴾ صاغرين منقادين ﴿جامدة﴾ واقفة لا تتحرك ﴿صنع الله الذى أتقن كل شيء﴾ فانظر ــ يارعاك الله ــ إلى النملة فى صغر جثتها ، ولطافة هيئتها : لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا يستدرك الفكر ! ولو تأملت ما فى بطنها من مجارى أكلها ، ومسالك أمعائها ، وما فى رأسها من أعين وآذان ، وأداة ذوق وشم ولمس . لو تأملت ذلك لقضيت من خلقها عجباً ، ولقيت من وصفها تعباً ! وهى مع هذا الضعف والصغر : تفكر فى رزقها ، وتنقل الحبة الى جحرها ، وتجمع فى رخائها لشدتها ، وفى حرها لبردها !

وانظر أيضاً إلى النحلة فى دقة خلقتها ، وجمال صنعتها ، وعظم منفعتها : تأكل من ثمار الأشجار ، وورق النبات والأزهار ، وتخرج لنا رحيقاً مختوماً بخاتم الكمال ، من صنع ذى الجلال ! ومنه تتخذ غذاء لذيذاً ، وشراباً صافياً ، ودواء شافياً . كل ذلك بتقدير العزيز الرحيم ، وتدبير الحكيم العليم ! «صنع الله الذى أتقن كل شيء» ﴿من جاء بالحسنة فله﴾ من الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ﴿خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ وبذلك يسلم المؤمنون المحسنون من أهوال القيامة ، وينجون من الفزع الأكبر ، ويكونون من المستثنين ، بقول أصدق القائلين «ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله» ﴿فكبت﴾ ألقيت ﴿هذه البلدة﴾ مكة شرفها الله تعالى ﴿حرمها﴾ جعلها حرماً آمناً ﴿سيريكم آياته﴾ فى أنفسكم ، وفى غيركم ، و«فى الآفاق» ﴿فتعرفونها﴾ تعلمونها علم اليقين «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله»

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

(٢٨) سُورَةُ القَصَصِ مَكِّيَّة
إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

أَرْضِعِيهِ

(ســـورة القصص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿طسم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿تتلو عليك من نبإ موسى﴾ خبره ﴿بالحق﴾ بالصدق الذي لا مرية فيه؛ لا كقصص القصاصين، وأساطير الأولين ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ طغى وتكبر، وجاوز الحق. و «فرعون»: لقب لملوك مصر السابقين. قيل: إن فرعون موسى: هو منفتاح الأول، ابن رمسيس الثاني ﴿وجعل أهلها شيعا﴾ أي فرقاً. وهذا شأن الملوك المستبدين: يفرقون بين الأمة، ويجعلونها شيعاً وأحزاباً ﴿ويستحيي نساءهم﴾ أي يترك البنات أحياء للخدمة، أو يفعل بهن ما يخل بالحياء ﴿ونريد أن نمن﴾ نتفضل وننعم ﴿على الذين استضعفوا في الأرض﴾ وظلموا، وغلبوا على أمرهم ﴿ونجعلهم أئمة﴾ يهتدى بهم في الخير، ويقتدى بهم في الدين ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ للحكم والملك؛ بعد فرعون ﴿ونمكن لهم﴾ نجعل لهم مكانة ﴿في الأرض﴾ أرض مصر والشام ﴿ونرى فرعون وهامان﴾ وزيره ومستشاره ﴿وجنودهما منهم﴾ أي من «الذين استضعفوا في الأرض» وعلى رأسهم موسى وهرون ﴿ما كانوا يحذرون﴾ أي ما كانوا يخافون ويتوقعون: وهو القتل، وذهاب الملك. وقد كان لفرعون منجم؛ رأى له أن سيكون موته وذهاب ملكه على يد طفل من بني إسرائيل. فأمر عدو الله بقتل كل ولد يولد من بني إسرائيل. وذلك معنى قوله تعالى «يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم» ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ وحي منام، أو إلهام. وقيل: وحي إعلام: بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام

﴿فألقيه فى اليم﴾ البحر ﴿ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ قد جمع الله تعالى فى هذه الآية بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين ! وقد وضعته فى صندوق وألقت به فى اليم ـ كما أوحى إليها ـ ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ وهم أعوانه وشيعته ﴿ليكون لهم﴾ فى عاقبة الأمر ﴿عدوا﴾ يسعى فى هلاكهم؛

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ

بسبب كفرهم ﴿وحزناً﴾ سبب حزن لهم ، وغم عليهم ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ لفرعون حين خشيت فتكه بموسى ؛ كما يفتك بسائر أبناء بنى إسرائيل ﴿قرة عين لى ولك﴾ أى سبب سرور وسعادة لنا ﴿عسى أن ينفعنا﴾ فى الخدمة ﴿أو نتخذه ولداً﴾ وكانت عاقراً لا تلد ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنه عليه السلام سيكون مصدر حزنهم وشقائهم؛ بل ومصدر فنائهم ! ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ من العقل والتفكير ؛ لفرط جزعها وهمها : حين سمعت بالتقاط آل فرعون له ﴿إن كادت لتبدى به﴾ أى لتظهر أمر موسى ، وأنه ابنها . قيل : إنها لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون ؛ كادت تصيح : واإبناه ! ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ سكناه بالصبر والطمأنينة ؛ وذكرناها بوعدنا السابق الصادق : «ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» وقد صدق الله تعالى وعده ، وأعز جنده ! ﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته قصيه﴾ أى اتبعى أثره ، وانظرى خبره ﴿عن جنب﴾ عن بعد . قال تعالى «والجار الجنب» أى البعيد ؛ ومنه الأجنبى . وقيل : عن جانب . أى من ناحية الجنب . وقيل : عن شوق ؛ وهى لغة لقبيلة من معد يقال لها جذام ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ جعلناه يرفض التقام ثدى المراضع اللاتى أحضروهن لإرضاعه ﴿فقالت﴾ لهم أخته ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه﴾ يقومون بكفالته ، وتربيته ، وإرضاعه ﴿لكم وهم له ناصحون﴾ حافظون محبون ﴿فرددناه إلى أمه﴾ كما وعدناها : «إنا رادوه إليك» ﴿كى تقر عينها﴾ بقربه ﴿ولا تحزن﴾ لفقده وفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ الذى وعدها إياه ﴿حق﴾ واقع لا محالة

﴿ولما بلغ﴾ موسى ﴿أشده واستوى﴾ أى بلغ نهاية القوة ، وتمام العقل والاعتدال ؛ وهو ما بين ثمانى عشرة إلى ثلاثين ، وهو أيضاً بلوغ الحلم ﴿آتيناه حكماً﴾ حكمة فى فهم الأمور ﴿وعلماً﴾ فقهاً فى الدين ؛ وذلك قبل أن يبعثه الله تعالى نبياً ﴿ودخل﴾ موسى ﴿المدينة﴾ مدينة فرعون ؛ وهى منف ، أو منفيس ؛ وهى مكان بلدتا البدرشين وميت رهينة ؛ بمحافظة الجيزة ، وكانت هذه المدينة عاصمة ملك فرعون ؛ وفيها قصوره ومعابده ﴿هذا من شيعته﴾ أتباعه وأنصاره ﴿وهذا من عدوه﴾ من أتباع فرعون ﴿فوكزه موسى﴾ ضربه بجمع كفه «لكمه» ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ أى إن هذا التسرع فى القتل من عمل الشيطان ووسوسته . ومن هنا نعلم أن التسرع فى الحكم على الأشياء : مضيع للتدبر والحكمة ، وموجب للأسى والندم ؛ وهو من عمل الشيطان وتحريضه ! وقد حدث ذلك لموسى قبل بعثته ؛ أما بعد النبوة : فالشيطان محجوب عن الأنبياء ، ممنوع من إغوائهم والوسوسة إليهم ؛ ألا ترى إلى قول الحكيم العليم « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» وقول اللعين «ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» ﴿قال رب إنى ظلمت نفسى﴾ بارتكاب القتل ﴿قال رب بما أنعمت على﴾ أى بحق إنعامك على بانجائى ، واصطفائى ﴿فلن أكون ظهيراً﴾ معيناً ﴿للمجرمين﴾ الكافرين ﴿فأصبح فى المدينة خائفاً﴾ أن يؤخذ فيمن قتله بالأمس ﴿يترقب﴾ يتوقع المكروه ﴿فإذا﴾ الرجل ﴿الذى استنصره﴾ طلب نصرته ومعونته ﴿بالأمس﴾ ونصره بقتل عدوه ﴿يستصرخه﴾ يستغيث به على رجل قبطى آخر يقاتله ﴿لغوى﴾ ضال ﴿مبين﴾ بين الضلال ؛ لما فعلته بالأمس ، وتفعله اليوم ﴿فلما أراد﴾ موسى ﴿أن يبطش بالذى هو عدو لهما﴾ أى عدو لموسى وللمستغيث به ﴿قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ القائل لذلك هو القبطى ؛ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القائل : هو الإسرائيلي – المستصرخ بموسى – لما رأى من غضب موسى عليه السلام ، وقوله له «إنك لغوى مبين» وهو لا يتفق وسياق النظم الكريم ! ولقوله بعد ذلك لموسى ﴿إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلا أن تكون جباراً فى الأرض﴾ وهذا القول لا يقوله إلا الأعداء الألداء ؛ خصوصاً والقتل السابق قد حصل دفاعاً عن الإسرائيلى ، وانتقاماً له

أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

﴿وجاء رجل﴾ مؤمن ﴿من أقصى المدينة﴾ آخرها ؛ بالنسبة لمكان موسى ﴿قال ياموسى إن الملأ﴾ قوم فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ يتشاورون فى أمرك ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ يتوقع لحوق أعدائه به ، أو «يترقب» نصرة الله تعالى له ﴿ولما توجه تلقاء﴾ ناحية ﴿مدين﴾ هى قرية شعيب

ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ

عليه السلام ؛ وهى خارجة عن حكم فرعون ﴿سواء السبيل﴾ أى الطريق الصحيح المستوى؛ الموصل للنجاة والخير ! ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ وكانت بئراً يستقون منها ﴿وجد عليه أمة﴾ جماعة ﴿ووجد من دونهم﴾ أى سواهم ؛ بعيداً عن الذين يستقون ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعان أغنامهما عن ورود الماء ﴿قال ما خطبكما﴾ ما شأنكما ؟ وما الذى دعاكما إلى الابتعاد عن الماء ؛ مع حاجتكما إليه ؟ ﴿قالتا لا نسقى﴾ ولا نزاحم ؛ لأن المزاحمة تقتضى الاختلاط بالرجال وملاحقتهم ، وهو أمر ينقص من قدر المرأة ، ويذهب بحيائها ؛ بل ننتظر فى مكاننا هذا البعيد عن الماء ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ أى حتى يرجع الرعاة بعد سقيهم ؛ وما ألجأنا إلى ذلك إلا انعدام وجود الرجال ، الذين يقومون بالأعمال فى أسرتنا ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقوى على السعى والسقى . فزاحم موسى ، وأخذ غنمهما ﴿فسقى لهما ثم﴾ حلت به متاعب الأسفار ، وأدركه تعب السعى والسقى ؛ فطلب الراحة لنفسه ؛ و ﴿تولى إلى الظل﴾ ليرتاح مما لاقاه من المشاق ؛ التى لايحتملها إلا الأنبياء ؛ وخواص الأولياء والأصفياء ! وأحس بالجوع الذى يذيب الجسد ، ويفرى الكبد ! ﴿فقال﴾ مخاطباً مولاه ؛ الذى خلقه فسواه ، وكلأه ورعاه! ﴿رب إنى لما أنزلت إلى من خير﴾ طعام ﴿فقير﴾ محتاج . وقد قال «لما أنزلت» ولم يقل : لما تنزل ؛ لتأكده من استجابة ربه له ولتحققه من نزول الخير إليه ﴿فلما جاءه﴾ أى جاء موسى شعيباً عليهما الصلاة والسلام ﴿وقص عليه القصص﴾ قصته مع فرعون ، وهروبه من مصر ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ بوصولك إلى «مدين» وهى ليست فى ملك فرعون ، وليست خاضعة لحكمه

ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾
۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن
جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ
فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ

إِنَّكَ

(قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين) يؤخذ من هذه الآية : أن العاقل الحكيم ، يخطب لبناته صاحب الخلق الكريم ، حيث لاتهمه المادة ؛ بل يهمه القوة على العمل والقدرة على الكسب ؛ لئلا يكون عالة على غيره (على أن تأجرنى) أن تكون أجيراً لى (ثمانى حجج) سنين (قال ذلك) الأمر (بينى وبينك أيما الأجلين) الثمان أو العشر (قضيت) مهراً لزوجتى (فلاعدوان على) أى فلا أكون معتديا ، أو لا يعتدى على بطلب الزيادة (فلما قضى موسى الأجل) الأكمل ، والأتم . وقيل : قضى عشراً وعشراً ؛ ومن أوفى فى الأداء ، من الأنبياء ؟ ! (وسار بأهله) بامرأته نحو مصر ؛ بعد أن قضى بمدين المدة المسقطة للجريمة ؛ وكانت تسقط بمضى عشر سنوات فى شريعة فرعون ؛ وهى جريمة قتل القبطى (آنس) أبصر (من جانب الطور) الجبل (أو جذوة) قطعة متقدة (تصطلون) تستدفئون (فلما أتاها) أتى موسى النار. وقيل: أتى الشجرة الآتى ذكرها (نودى من شاطىء) جانب (الوادى الأيمن) بالنسبة لموسى (من الشجرة) التى أوجدها الله تعالى فى هذا المكان ، البعيد عن العمران والسكان ، الخالى من الماء والنبات ؛ ونودى بكلام مقدس : لا تحيط به اللغات ، ولا تدركه الصفات ، ولا يشابه الحروف والأصوات ؛ ولا يشاكل النغمات والعبارات ؛ من لدن باسط الأرض ورافع السموات «نودى» (أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك) لأريك من بدائع قدرتى ، وعجيب صنعى . فألقاها فإذا بالحياة تدب فيها بأمر باعث الحياة ، وإذا بها تتثنى وتتلوى ؛ وقد زايلها الجمود الملصق بطبيعتها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية صغيرة كثيرة الحركة (ولى مدبراً) رجع مسرعاً من حيث أتى (ولم يعقب) لم يرجع

إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم

﴿اسلك﴾ أدخل ﴿يدك فى جيبك﴾ الجيب: فتحة الثوب مما يلى العنق ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أى من غير مرض: كبرص ونحوه؛ بل كضوء الشمس ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ أى من أجل الرهب؛ وهو الخوف. المعنى: اضمم يدك إلى صدرك: يذهب مابك من خوف وفرق من الحية؛ ولأن موسى خشى أن يضم يده إليه؛ لما رأى من إضاءتها وتغيرها ﴿فذانك﴾ أى تحرك العصا، وإضاءة اليد ﴿برهانان﴾ معجزتان ﴿من ربك﴾ لتذهب بهما ﴿إلى فرعون وملئه﴾ تأييداً لنبوتك، وتصديقاً لرسالتك ﴿ردءاً﴾ عوناً ﴿يصدقنى﴾ أى يكون ـ بسبب فصاحته، وطلاقة لسانه ـ سبباً فى تصديق ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ غلبة وتسلطاً على الأعداء ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بسوء ﴿بآياتنا﴾ التى نمدك بها ﴿أنتما ومن اتبعكما﴾ من المؤمنين ﴿الغالبون﴾ لأعداء الله ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا﴾ معجزاتنا ﴿بينات﴾ واضحات ظاهرات؛ لا ينكرها إلا من انطمست بصيرته، وعمى قلبه! ﴿قالوا﴾ أى فرعون وشيعته ﴿ما هذا﴾ الذى جئتنا به؛ من انقلاب العصا حية، وما انبعث من الضوء فى يدك؛ إن هذا ﴿إلا سحر مفترى﴾ مختلق ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذى تزعمه: من وجود إله واحد ﴿فى آبائنا الأولين﴾ المتقدمين ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ ولم يختلق، ولم يفتر ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أى العاقبة المحمودة يوم القيامة ﴿وقال فرعون﴾ لقومه؛ بعد أن أخرسه موسى بحججه ومعجزاته

مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

ءَايَٰتِنَا

﴿يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى﴾ وأراد أن يوهم قومه بأنه ذو بطش شديد وقوة، وأن إله موسى فى متناول يده، وغير بعيد عليه، وأن فى إمكانه الصعود إليه ومقابلته ومقاتلته؛ فقال لوزيره وشريكه فى الكفر ﴿فأوقد لى ياهامان على الطين﴾ ومراده من ذلك: صنع لبنات من الفخار؛ مما يتخذ للبناء ﴿فاجعل لى﴾ من هذه اللبنات ﴿صرحاً﴾ بناء عالياً ﴿لعلى أطلع﴾ أصعد وأنظر ﴿إلى إله موسى﴾ وأقف على حاله ﴿واستكبر﴾ اللعين، وتعالى عن الإيمان ﴿وظنوا﴾ تأكدوا ﴿أنهم إلينا لا يرجعون﴾ بالبعث يوم القيامة. ﴿فنبذناهم فى اليم﴾ طرحناهم فى البحر. قيل: إنه بحر القلزم؛ وهى بلدة على ساحل البحر الأحمر، بين مصر والحجاز ﴿وجعلناهم أئمة﴾ قادة ﴿يدعون﴾ الناس ﴿إلى﴾ الكفر؛ والكفر موصل إلى ﴿النار﴾ حتماً ﴿وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة﴾ طرداً، وإبعاداً، وهلاكا ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المطرودين المبعدين ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ الأمم المتقدمة؛ كقوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم ﴿بصائر﴾ أى الكتاب المنزل على موسى «بصائر» يتبصر بها فى شئون الدين والدنيا ﴿وما كنت﴾ يامحمد ﴿بجانب الغربى﴾ أى بجانب الجبل الغربى؛ الذى كان فيه ميقات موسى عليه السلام؛ حين كلمه ربه تعالى ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ المشاهدين لذلك ﴿قروناً﴾ أمماً ﴿وما كنت ثاوياً﴾ مقيماً ﴿فى أهل مدين﴾ قوم شعيب عليه السلام

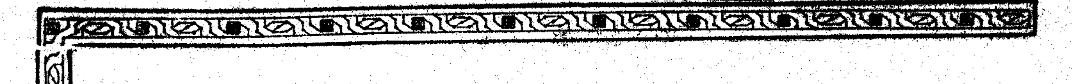
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ لك يا محمد بهذه القصص ، وهذه الأنباء ؛ التي تخفى عليك ؛ لولا أن أنزلناها إليك ؛ لتعلمهم بها : فتكون دليلا على صدقك ، وصحة رسالتك ! ﴿الطور﴾ الجبل ﴿إذ نادينا﴾ موسى ، وحملناه الرسالة ﴿ولكن﴾ أرسلناك لقومك ﴿رحمة من ربك لتنذر قوماً ماأتاهم من نذير﴾ نبي ينذرهم بطش ربهم وعقابه ، ويرغبهم فى رحمته وثوابه ! ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعاصى ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ هلا ﴿أرسلت إلينا رسولا﴾ يهدينا إلى معرفتك ، ويرشدنا إلى عبادتك؟ ! ﴿فنتبع آياتك﴾ المنزلة عليه﴿فلما جاءهم الحق﴾محمد عليه الصلاة والسلام ﴿قالوا لولا﴾ هلا ﴿أوتى﴾ من المعجزات ﴿مثل ما أوتى موسى﴾ ونسوا أنهم ـ من قبل ـ كفروا بموسى وحاربوه ، وسخروا بمعجزاته واستهزأوا بها ﴿قالوا سحران تظاهرا﴾ أى تعاونا . والمراد بهما : التوراة والقرآن ، أو هما موسى ومحمد ؛ على قراءة من قرأ «ساحران تظاهرا» ﴿وقالوا إنا بكل﴾ من التوراة والقرآن ، أو موسى ومحمد ﴿كافرون﴾ وقراءة «سحران» أصح وأوضح ؛ لقوله تعالى ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ أى أكثر هداية من التوراة والقرآن ﴿ومن أضل﴾ أى لا أحد أضل ﴿ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾ بل يزيدهم ضلالا على ضلالهم «ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) ﴿ولقد وصلنا﴾ أى أوصلنا ، وبينا ؛ ووصل الشيء : لأمه

الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

ٱلْقُرَىٰ

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى؛ وكتابهم: التوراة والإنجيل ﴿من قبله﴾ من قبل القرآن؛ والمراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب ﴿هم به﴾ أي بالقرآن ﴿يؤمنون . وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿إنا كنا من قبله﴾ أي قبل نزول القرآن ﴿مسلمين﴾ مؤمنين بالله؛ لاتباعنا ما نزل علينا من الكتاب ﴿أولئك يؤتون أجرهم﴾ ينالون جزاءهم وثوابهم ﴿مرتين بما صبروا﴾ على الطاعات، وعن المعاصي؛ ولإيمانهم أولا بكتابهم ورسولهم، وإيمانهم آخراً بالقرآن ومن أنزل إليه ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون بالطاعة المعصية، أو يدفعون الأذى بالعفو والحلم ﴿اللغو﴾ الباطل ﴿وقالوا لنا أعمالنا﴾ فنثاب عليها ﴿ولكم أعمالكم﴾ فتؤخذون بها ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ لانريد مصاحبتهم ومخالطتهم ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيزيدهم «والذين اهتدوا زادهم هدى» ﴿نتخطف من أرضنا﴾ أي يحاربنا الناس ويخرجوننا من أرضنا؛ وهذا قول باطل مردود عليه بقوله تعالى ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ يأمنون فيه من الإعتداء والقتل، والإغارة؛ الواقعة من بعض العرب على بعض ﴿يجبى إليه﴾ أي يجلب ويجمع ﴿رزقاً من لدنا﴾ من عندنا؛ لابجهد منهم، أو مشقة عليهم: يزرع غيرهم فيأكلون، وينسج فيلبسون! ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ أي تنكرت لما اختصها الله تعالى به من النعم؛ فلم تشكر عليها ﴿فتلك مساكنهم﴾ خالية خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ لما فيها من وحشة وخراب، وما يعروها من ظلمة واكتئاب ﴿إلا قليلا﴾ أي إلا سكنا قليلا: يحط بها المسافرون ـ للضرورة ـ يوماً أو بعض يوم



ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

﴿فى أمها رسولا﴾ أى يبعث فى عاصمتها، والقرية العظيمة فيها ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ كافرون ﴿وما عند الله﴾ فى الآخرة: من جنان، وفاكهة ورمان، وحور حسان ﴿خير وأبقى﴾ من متاع الدنيا الزائل، ومجدها الزائف ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾ بالنعيم الدائم فى الجنة ﴿فهو لاقيه﴾ حتماً؛ ومن أصدق وعداً من الله!؟ ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فشغله الحال، عن المآل، وأنساه التدبير، عن المصير ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ فى النار ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أى وجب عليهم العذاب ﴿أغوينا﴾ أضللنا ﴿تبرأنا إليك﴾ منهم ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أى ادعوا الأصنام التى أشركتموها مع الله تعالى فى العبادة؛ ليكشفوا عنكم مابكم من ضيق، وليدفعوا عنكم ماأنتم فيه من عذاب ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ وكيف يستجيب من لايجيب؟ أو كيف ينجى من العذاب من هو واقع فى العذاب؟! ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ أى خفيت ولم يدروا بماذا يجيبون

﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ خلقه ﴿ويختار﴾ ما يشاء اختياره ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أى ما كان لأحدهم أن يختار لنفسه؛ لأنه تعالى صاحب الملك، وخالقه، وحاكمه؛ وهو وحده صاحب الخيرة فيه! ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى؛ أى «ويختار» الذى فيه «الخيرة» لهم والمصلحة! وهذا واضح ملموس: فقد يختار الإنسان مايضره، ويساق رغم أنفه إلى مايسره! وهذه خيرته فى خليقته. وكما أنه تعالى اختار لماخلق؛ فقد خلق ما اختار: خلق تعالى أصنافا متعددة، وأجناساً شتى، وأمماً متباينة؛ حسبما تقتضيه المصلحة، وتستوجبه الحكمة: ملائكة وشياطين، وإنساً وجنا، ووحشاً وطيراً، وبحاراً وأنهاراً، وجبالا ووهاداً، وثماراً وأزهاراً؛ إلى مالا نهاية لحده، ولا حد لمنتهاه؛ وليس الطاوس الجميل بأكرم عليه تعالى من الغراب الذليل، ولا الهدهد بأعز لديه من الحدأة، ولا الحمل بأحب إليه من الذئب.

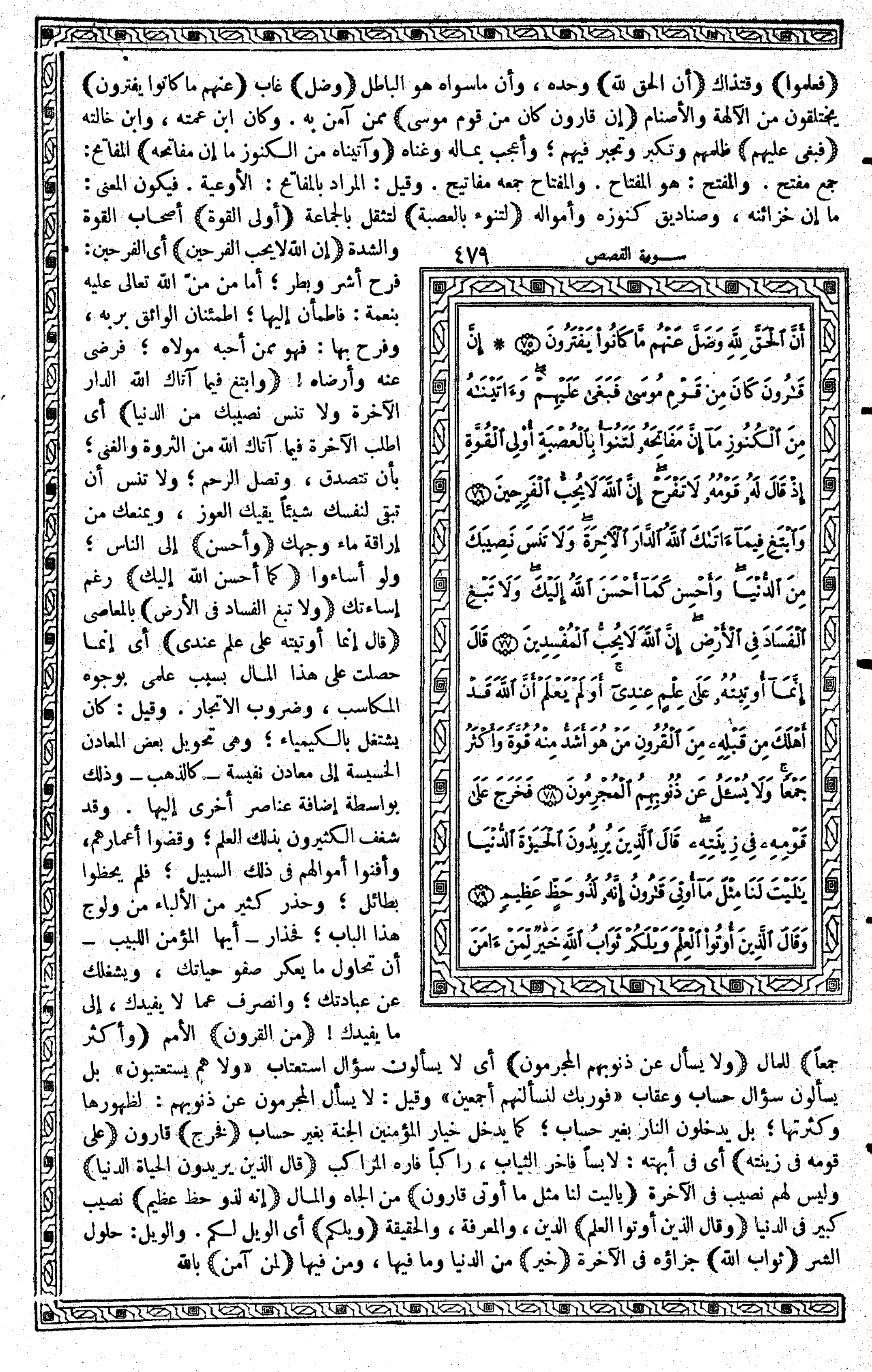
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟

أَنَّ

وكذلك خزنة النار ـ وهم من هم فى إنزال العذاب وإحلال النقمة ـ فإنهم ليسوا بدون خزنة الجنة؛ وهم من هم فى إسباغ السعادة وإحلال النعمة!

وكذلك ملك الموت ـ الذى يجلب الحزن ويأتى بالفناء ـ فإنه ليس بدون ملك الأرزاق الذى يأتى بالخصب والرخاء.

وجبريل الذى ينزل بالعذاب؛ ليس بدون ميكائيل الذى ينزل بالرحمة! فالكل مخلوق له تعالى، دال على وحدانيته. والكل مخلوق بإرادته ومشيئته، وتدبيره وحكمته! وهو وحده «يخلق ما يشاء ويختار» (انظر آية ١٠٥ من سورة يوسف) ﴿سبحان الله﴾ تنزه وتقدس ﴿وتعالى عما يشركون﴾ عن اشراكهم به غيره (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ ماتضمره وتخفيه قلوبهم ﴿له الحمد فى الأولى﴾ فى الدنيا ﴿و﴾ له الحمد فى ﴿الآخرة﴾ وهو قول المؤمنين الناجين يوم القيامة «الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن. الحمد لله الذى صدقنا وعده. الحمد لله رب العالمين» ﴿سرمداً﴾ دائماً ﴿تسكنون﴾ تستريحون وتنامون ﴿لتسكنوا فيه﴾ أى فى الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ فى النهار ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يشهد عليهم ولهم بما قالوا، وما فعلوا ﴿فقلنا﴾ للمشركين ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة معبوداتكم



﴿فعلموا﴾ وقتذاك ﴿أن الحق لله﴾ وحده ، وأن ماسواه هو الباطل ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ يختلقون من الآلهة والأصنام ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ ممن آمن به . وكان ابن عمته ، وابن خالته ﴿فبغى عليهم﴾ ظلمهم وتكبر وتجبر فيهم ؛ وأعجب بماله وغناه ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه﴾ المفاتح: جمع مفتح . والمفتح : هو المفتاح . والمفتاح جمعه مفاتيح . وقيل : المراد بالمفاتح : الأوعية . فيكون المعنى : ما إن خزائنه ، وصناديق كنوزه وأمواله ﴿لتنوء بالعصبة﴾ لتثقل بالجماعة ﴿أولى القوة﴾ أصحاب القوة

أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ
قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ
مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ
مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ

والشدة ﴿إن الله لايحب الفرحين﴾ أى الفرحين: فرح أشر وبطر ؛ أما من منّ الله تعالى عليه بنعمة : فاطمأن إليها ؛ اطمئنان الواثق بربه ، وفرح بها : فهو ممن أحبه مولاه ؛ فرضى عنه وأرضاه ! ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ أى اطلب الآخرة فيما آتاك الله من الثروة والغنى ؛ بأن تتصدق ، وتصل الرحم ؛ ولا تنس أن تبقى لنفسك شيئاً يقيك العوز ، ويمنعك من إراقة ماء وجهك ﴿وأحسن﴾ إلى الناس ؛ ولو أساءوا ﴿كما أحسن الله إليك﴾ رغم إساءتك ﴿ولا تبغ الفساد فى الأرض﴾ بالمعاصى ﴿قال إنما أوتيته على علم عندى﴾ أى إنما حصلت على هذا المال بسبب علمى بوجوه المكاسب ، وضروب الاتجار . وقيل : كان يشتغل بالكيمياء ؛ وهى تحويل بعض المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ـ كالذهب ـ وذلك بواسطة إضافة عناصر أخرى إليها . وقد شغف الكثيرون بذلك العلم ؛ وقضوا أعمارهم ، وأفنوا أموالهم فى ذلك السبيل ؛ فلم يحظوا بطائل ؛ وحذر كثير من الألباء من ولوج هذا الباب ؛ فحذار ـ أيها المؤمن اللبيب ـ أن تحاول ما يعكر صفو حياتك ، ويشغلك عن عبادتك ؛ وانصرف عما لا يفيدك ، إلى ما يفيدك ! ﴿من القرون﴾ الأمم ﴿وأكثر جمعاً﴾ للمال ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ أى لا يسألون سؤال استعتاب «ولا هم يستعتبون» بل يسألون سؤال حساب وعقاب «فوربك لنسألنهم أجمعين» وقيل : لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم : لظهورها وكثرتها ؛ بل يدخلون النار بغير حساب ؛ كما يدخل خيار المؤمنين الجنة بغير حساب ﴿فخرج﴾ قارون ﴿على قومه فى زينته﴾ أى فى أبهته : لابساً فاخر الثياب ، راكباً فاره المراكب ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ وليس لهم نصيب فى الآخرة ﴿ياليت لنا مثل ما أوتى قارون﴾ من الجاه والمال ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ نصيب كبير فى الدنيا ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ الدين ، والمعرفة ، والحقيقة ﴿ويلكم﴾ أى الويل لكم . والويل: حلول الشر ﴿ثواب الله﴾ جزاؤه فى الآخرة ﴿خير﴾ من الدنيا وما فيها ، ومن فيها ﴿لمن آمن﴾ بالله

(وعمل صالحاً) فى دنياه (ولا يلقاها) أى لا يؤتى الجنة ، ولا يدخلها ؛ أو لا يوفق للأعمال الصالحة (إلا الصابرون) على الطاعات ، وعن المعاصى (فخسفنا به) أى بقارون (وبداره) بما فيها من كنوز ، وأموال ؛ لم تغن عنه كثرتها ووفرتها ؛ وأهلكه الله تعالى ، وأذهب ماله ، وزينته ، وجاهه ؛ ولم يبق له فى الدنيا سوى الخزى واللعنة ، وفى الآخرة الجحيم والعذاب الإليم (فما كان له من فئة) جماعة ، أو عصابة (ينصرونه من دون الله) يمنعون عنه الهلاك الذى قدره له (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) وكانوا يقولون «ياليت لنا مثل ما أوتى قارون» أصبحوا يقولون (وى كأن الله) وى : كلمة يقولها النادم لأظهار ندمه (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) بإرادته (ويقدر) يقبض ويضيق عمن يشاء بحكمته ! وليس البسط دليلا على رضاه ، ولا القبض دليلا على سخطه (لولا أن من الله علينا) بالإيمان والصبر (لخسف بنا) الأرض ؛ كما خسف بقارون (وى كأنه لا يفلح الكافرون) الذين كفروا بأنعم الله ؛ فلم يشكروها . وقنطوا من زوال الشدة ؛ فلم يصبروا عليها (للذين لا يريدون علواً) بغياً وكبراً (ولا فساداً) بارتكاب المعاصى . لأن الطاعة والإحسان : هما الوضع الصحيح الذى يقتضيه النظام الكونى ، وتلتزمه الفطر السليمة . أما المعصية والإساءة : فهما خروج عن الطاعة ، وفساد للنظام . والمعصية : فساد «والله لايحب الفساد» والعاصى : مفسد «والله لا يحب المفسدين» (والعاقبة) فى الدنيا والآخرة (للمتقين) الذين «يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» (إلا ما كانوا يعملون) أى جزاءه وعقوبته (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أنزله إليك ، وكلفك بتبليغه والعمل به (لرادك إلى معاد) إلى عود . أى لمعيدك بعد الموت ، أو لرادك إلى مكة ؛ بعد أن أخرجوك منها . وكانت عودته ــ عليه الصلاة والسلام ــ يوم الفتح (وما كنت ترجو) تأمل قبل أن نهبك النبوة (أن يلقى إليك الكتاب) أن ينزل عليك القرآن (إلا رحمة من ربك) ولكن الله تعالى أنزله إليك : رحمة منه تعالى بك وبالناس !

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

ظَهِيرًا

﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أى معيناً لهم . والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ـ فى هذا وأمثاله ـ وهو أبعد المخلوقين عن مظاهرة الكافرين ! والمراد به أمته «لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» ﴿ولا يصدنك﴾ لايمنعونك ﴿عن آيات الله﴾ عن تبليغها ﴿كل شىء﴾ سواه تعالى ﴿هالك إلا وجهه﴾ أى إلا الأعمال الصالحة التى قصد بها وجهه تعالى ؛ فهى باقية : يثاب عليها ، ويسعد بها فى الدنيا وفى الآخرة ! أو «كل شىء هالك» إلا ذاته العلية ؛ فهى منزهة عن الهلاك والفناء ﴿له الحكم﴾ القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة !

ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(٢٩) سُورَةُ العنكبوت مكية

إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فمدنية
وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ

(سورة العنكبوت)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿وهم لايفتنون﴾ أى لايمتحنون ويختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم . وذلك بنقص الأموال، وموت الأولاد ، والقحط ، وغير ذلك . وكما يكون الامتحان والاختبار بالفقر ، والمرض ، والموت ، والجدب ؛ فإنه يكون أيضاً بالغنى والعافية . وكما يكون الابتلاء بالضراء ، يكون بالنعماء والسراء ، وقد فتن سليمان عليه السلام بكليهما . قال تعالى «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب» ﴿أن يسبقونا﴾ يفوتونا ؛ فلا نستطيع إدراكهم ومعاقبتهم

مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا

﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ ومثوبته فى الآخرة ﴿فإن أجل الله﴾ الذى أجله ووقته لهذا اليوم الموعود ﴿لآت﴾ لا ريب فيه ﴿وهو السميع﴾ لكل ما يقال ﴿العليم﴾ بكل ما يفعل؛ فيجازى عليه ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ أى لمنفعتها؛ لأن فى الجهاد: حماية الأهل والوطن، ودفع العدو الغاشم، وإعلاء الدين، ودخول الجنة ﴿لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ لنمحونها عنهم ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أى أمرناه بالإحسان إليهما (انظر آية ٢٣ من سورة الإسراء) ﴿وإن جاهداك لتشرك بى﴾ فى العبادة ﴿ماليس لك به علم﴾ فقد علمت أن المعبود بحق هو الله تعالى وحده ﴿فلا تطعهما﴾ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق! وهى الحالة الوحيدة التى يجوز فيها مخالفة الوالدين وعصيانهما؛ إذا هما أكرها ابنهما على الإشراك بالله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين﴾ أى لنحشرنهم مع الأولياء والأنبياء ﴿فإذا أوذى فى الله﴾ أى بسبب إيمانه بالله تعالى ﴿جعل فتنة الناس﴾ أى إذايتهم له ﴿كعذاب الله﴾ المتوقع للعصاة؛ فاضطر بسبب ضعف إيمانه، وفساد عقيدته؛ إلى الخوف من الناس، والتزلف إليهم ﴿أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين﴾ من إيمان، أو شرك، أو نفاق ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وليعلمن المنافقين﴾ الذين أظهروا الإيمان، وأبطنوا الغش والخداع

ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَا ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ

﴿اتبعوا سبيلنا﴾ ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ فى اتباعنا

﴿وليحملن﴾ القائلون «اتبعوا سبيلنا»

﴿أثقالهم﴾ أوزارهم ؛ بكفرهم ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ أى أوزاراً مع أوزارهم ؛ وهى ذنوب من اتبعهم واستن بسُنتهم السيئة ؛ من العصاة والكافرين (انظر آية ٢٩ من سورة المائدة)

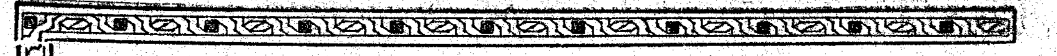
﴿وجعلناها آية﴾ أى وجعلنا السفينة علامة على قدرتنا ووحدانيتنا . أو وجعلنا هذه القصة عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتعظ

﴿أوثانا﴾ أصناماً ﴿وتخلقون﴾ أى تنحتون ﴿إفكا﴾ كذبا . والمعنى: إنما تعبدون أصناماً تنحتونها بأيديكم ﴿لا يملكون لكم رزقا﴾ أى لا يستطيعون رزقكم ، ولا أنفسهم يرزقون ﴿فابتغوا﴾ اطلبوا ﴿عند الله الرزق﴾ فهو وحده «الرزاق ذو القوة المتين» ﴿واعبدوه﴾ حق عبادته ﴿واشكروا له﴾ أنعمه عليكم ﴿إليه ترجعون﴾ فيجزيكم على شكركم «وسيجزى الله الشاكرين» ﴿أولم يروا﴾ رؤية روية وتفكر ﴿كيف يبدئ الله الخلق﴾ يبدأه من غير مثال سبق

ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ

إِلَىٰ

﴿ثم يعيده﴾ يوم القيامة كما بدأه «وهو أهون عليه» ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ أي يعيد الخلق مرة أخرى، ويبعثهم يوم القيامة؛ وحينئذ ﴿يعذب من يشاء﴾ تعذيبه؛ وهو من مات على الكفر، أو أصر على الفسق؛ ولم يؤمن بربه، أو يتب من ذنبه ﴿ويرحم من يشاء﴾ رحمته؛ ممن آمن به، وتاب عما فرط منه، وابتعد عن محارمه ﴿وإليه تقلبون﴾ ترجعون ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي بفائتين الله تعالى، وناجين من عذابه: مهما كنتم، وأين كنتم؛ فإنه مدرككم ﴿ومالكم من دون الله﴾ غيره ﴿من ولي﴾ يمنعكم منه ﴿ولا نصير﴾ ينصركم عليه ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ القرآن الكريم ﴿ولقائه﴾ أي كفروا بالبعث والقيامة ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ بهم؛ حين يرون العذاب «وتقطعت بهم الأسباب» ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي جواب قوم إبراهيم على دعوته لهم لعبادة الله تعالى، وترك عبادة الأوثان ﴿إن في ذلك﴾ الإنجاء من النار ﴿لآيات﴾ عبر ومعجزات؛ إذ جعل الله النار برداً وسلاماً عليه ﴿أوثاناً﴾ أصناما ﴿مودة بينكم﴾ أي جعلتم عبادة الأوثان سبباً للمودة فيما بينكم ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ يلعن الأتباع قادتهم ﴿فآمن له لوط﴾ أي آمن بإبراهيم، وصدق برسالته؛ وهو ابن أخيه ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ أي منتقل من جانبكم إلى طاعة الله تعالى. وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن القائل: هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ وأنه هاجر من سواد العراق إلى الشام. وقيل: إن القائل هو لوط عليه السلام



﴿ووهبنا له﴾ أى لإبراهيم ﴿اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته﴾ أى ذرية إبراهيم ﴿النبوة﴾ فكل الأنبياء بعد

إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ
أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟
ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ
لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾
وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

إبراهيم من ذريته ﴿والكتاب﴾ اسم جنس؛ بمعنى الكتب. أى وجعلنا نزول الكتب فى الأنبياء من ذريته أيضاً: كالتوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والزبور لداود ﴿وآتيناه أجره فى الدنيا﴾ وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان، وبين سائر الملل ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ وهى إتيان الذكران «اللواط» ﴿ماسبقكم بها﴾ أى بهذه الفاحشة؛ وقد كانوا ـ لعنهم الله تعالى ـ أول من ابتدعها، واقترفها ﴿وتقطعون السبيل﴾ الطريق؛ لأن كل من مر؛ كان عرضة لانتهاك عرضه ﴿فى ناديكم﴾ فى مجلسكم ومجتمعكم ﴿المنكر﴾ هو ما ينكره الشرع والعرف والذوق؛ وقد كانوا يفعلون الفاحشة ببعضهم نهاراً جهاراً ﴿ائتنا بعذاب الله﴾ الذى أوعدتنا بنزوله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تقوله ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ ملائكتنا إلى ﴿ابراهيم بالبشرى﴾ بالبشارة بالولد؛ أو بإهلاك أعدائه ﴿قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ قرية لوط عليه السلام ﴿قال﴾ إبراهيم لرسل ربه ﴿إن فيها﴾ أى إن فى القرية التى أمرتم بإهلاك أهلها ﴿لوطاً﴾ وهو جدير بالحفظ، قمين بالنجاة! ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها﴾ من الظالمين فنهلكهم، ومن المؤمنين فننجيهم؛ و﴿لننجينه وأهله﴾ وهم من آمن معه ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين فى العذاب ﴿سىء بهم﴾ ساءه مجيؤهم؛ خشية الفضيحة بسببهم ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ أى ضاق صدره من أجلهم؛ وقد كانوا حسان الوجوه؛ فخشى اعتداء قومه عليهم كعادتهم. فلما رأى الملائكة خوفه وحزنه: قاموا بتسليته

وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ

أَغْرَقْنَا

﴿وقالوا لاتخف﴾ من شيء ﴿ولا تحزن﴾ على شيء ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً﴾ عذابا ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ أي تركنا من القرية دلالة واضحة؛ على ما حل بها من الخراب والدمار؛ وهي آثارها وأطلالها البالية ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ يوم القيامة، وما فيه من أهوال ﴿ولا تعثوا﴾ العثي: أشد الفساد ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وعاداً﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ ماحل بهم من دمار واستئصال؛ وكانوا يرونها في أسفارهم نحو اليمن ﴿فصدهم عن السبيل﴾ منعهم عن الإيمان ﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي ذوي عقول وإدراك وتمييز؛ لكنهم لم يؤمنوا؛ فكان كفرهم أشد من كفر غيرهم؛ وذلك كقوله تعالى «وأضله الله على علم» ﴿وقارون﴾ من قوم موسى؛ وقد مضى ذكره في سورة القصص ﴿وهامان﴾ وزير فرعون ﴿بالبينات﴾ بالحجج الواضحات الظاهرات ﴿وما كانوا سابقين﴾ أي فائتين، وناجين من العذاب؛ بل أهلكناهم كما أهلكنا المكذبين والمستكبرين من قبلهم ومن بعدهم ﴿فكلا أخذنا﴾ أهلكنا ﴿بذنبه﴾ الذي ارتكبه بفعله واختياره ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ كقوم لوط؛ والحاصب: الريح ترمي بالحصباء؛ وهي الحصى الصغار ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كثمود وأهل مدين. والصيحة: العذاب؛ أوهي مقدمة لكل عذاب ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون

أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا الْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ الْكِتَٰبِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ

﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ ليعاقبهم بغير ذنب أتوه ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب الذنوب، وتعريضها للعقاب ﴿أولياء﴾ نصراء؛ والمقصود بها الأصنام ﴿وإن أوهن البيوت﴾ أضعفها ﴿إن الله يعلم مايدعون﴾ يعبدون ﴿من دونه﴾ غيره ﴿من شيء﴾ أي إنهم لايعبدون شيئاً يذكر بين الأشياء؛ وأن معبوداتهم: لاترتفع إلى درجة الوجود؛ فمابالك إذا قيست بالواجد لكل موجود! ﴿وتلك الأمثال﴾ العنكبوت، والبعوضة، وما شابههما ﴿نضربها﴾ نسوقها ﴿ومايعقلها﴾ مايفهمها ويتدبرها ﴿إلا العالمون﴾ المتدبرون ﴿لآية﴾ دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ عن الحسن رضي الله تعالى عنه: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر: فليست صلاته بصلاة! ﴿ولذكر الله أكبر﴾ المراد بالذكر: التذكر. أي ولتذكر الله تعالى وخشيته، والإسراع في مرضاته، والابتعاد عن محرماته: أكبر من سائر العبادات؛ إذ أن العبادات وسيلة لمعرفة الله تعالى وخشيته؛ واتباع أوامره، واجتناب نواهيه! وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ولذكر الله إياكم برحمته: أكبر من ذكركم إياه بطاعته! ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾ فيجازيكم عليه، ويؤاخذكم به ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بأن آذوكم وقاتلوكم؛ فأغلظوا عليهم، ونكلوا بهم ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا و﴾ الذي ﴿أنزل إليكم﴾ من الكتب

إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ

بِٱلْعَذَابِ

﴿وما كنت تتلو﴾ تقرأ ﴿من قبله﴾ أى قبل نزول القرآن ﴿من كتاب﴾ أى مكتوب ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ لأنك أمى : لا تقرأ ولا تكتب ؛ وهى معجزة لك ؛ دالة على صدقك . ولو كنت تكتب وتقرأ ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ أى لو كنت تتلو الكتب المتقدمة ـ قبل نزول القرآن ـ وتكتب بيمينك ما نزل عليك : لشك المبطلون فى رسالتك ، وحق لهم أن يشكوا وتتذاك . ولكنك أمى لم تقرأ كتاباً ، ولم تخط بيدك سطراً ؛ فلم إذن الشك والارتياب ؟ ! ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ بعد وضوحها ، وإحاطتها بسياج منيع يبعد بها عن الشبهات ﴿إلا الظالمون﴾ الكافرون ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾ أى هلا أنزل عليه آيات من ربه : مثل ناقة صالح ، وعصا موسى ، ومائدة عيسى؛ عليهم السلام ﴿أولم يكفهم من الآيات الدالة على صدقك ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أى أولم يكفهم من الآيات المعجزات: هذا القرآن الذى أنزلناه عليك «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك» لأنك أمى ؛ وهذا القرآن ـ الذى جئت به ـ أعجز الفصحاء والبلغاء ؛ وفيه رحمة ، وهدى ، وشفاء للمؤمنين ، وقد أحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ؛ ولم يستطيعوا ـ رغم قوة حجتهم ، وبلاغة عارضتهم ـ أن يأتوا بمثل سورة منه ؛ وهو معجزة المعجزات أبد الآبدين، ودهر الداهرين! ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ وهو كل معبود سوى الله تعالى «ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل» ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ بقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» ﴿ولولا أجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ ضربناه لنزول العذاب بهم ﴿لجاءهم العذاب﴾ حين استعجلوا به ﴿وليأتينهم بغتة﴾ فجأة

بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

﴿يوم يغشاهم﴾ يغطيهم ﴿ويقول﴾ أى يقول لهم ربهم على لسان ملائكته ـ لأنهم محجوبون عن التلذذ بخطاب العزيز الكريم ـ ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أى جزاءه ﴿ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة﴾ فإذا أوذيتم فى بلدة؛ فهاجروا منها إلى غيرها ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم﴾ لننزلنهم ﴿من الجنة غرفاً﴾ الغرف: أعالى الجنة ﴿خالدين فيها﴾ أبداً؛ خلوداً لانهاية له ﴿الذين صبروا﴾ على الطاعات، وعن المعاصى ﴿وكأين من دابة﴾ أى وكم من دابة. والدابة: كل مايدب على وجه الأرض؛ من إنسان، أو حيوان، أو طير، أو حشرة، أو نحوه ﴿لا تحمل رزقها﴾ أى لا تستطيع الحصول عليه، ولا تدخره ﴿الله يرزقها وإياكم وهو السميع﴾ لأقوالكم ودعائكم ﴿العليم﴾ بأفعالكم وضمائركم!

والعجب كل العجب: أن تضرب الصخرة؛ فتنشق عن حشرة: لا تدرى حين تلقاها، من أين يرزقها مولاها، وعلى أى شىء أنشأها ورباها! وهى إن لم تجد القوت؛ فليس لها حتما سوى الموت! وتجد الإنسان ـ صاحب الحول والطول، والحيلة والدهاء والتدبير ـ دائب الكد، متواصل السعى؛ فلا يدرك ـ بكده وجهده ـ غير لقمته، ولا يبلغ من حياته سوى الكفاف، أو ماهو دون الكفاف! وتجد آخر متربعاً فى عقر داره؛ يحمل إليه فاخر الملبس، ونفيس المأكل والمشرب؛ بمايفيض عن حاجته، ويزيد عن طلبته؛ ليسجل تعالى على مخلوقاته: أنه الرازق بلا سبب، المعطى بلا طلب! رزق «السميع العليم» الذى تكفل بما خلق؛ وساق لكل ما أراده تعالى له، لا ما أراده هو لنفسه؛ فتعالى المدبر الحكيم، الرزاق الكريم ﴿فأنى يؤفكون﴾ فكيف يصرفون عن الإيمان، بعد اعترافهم ﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه من غير سبب ﴿لمن يشاء من عباده﴾ من غير طلب ﴿ويقدر له﴾ ويضيق عليه؛ بعد التوسعة: ابتلاء له، أو انتقاما منه

(بل أكثرهم لا يعقلون) إذ يعترفون بخلقته ، ويكفرون بوحدانيته ! (وما هذه الحياة الدنيا) وما فيها من زخرف وبهجة (إلا لهو ولعب) لا بقاء له ، ولا ثمرة فيه (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) أي لهي الحياة الحقيقية : الدائمة النعيم ، الباقية السرور والحبور ؛ الجديرة بأن تسمى حياة (فإذا ركبوا في الفلك) في السفن ؛ وهاج عليهم البحر العجاج ، وتلاطمت بهم الأمواج ؛ وظنوا ألامهرب من الله إلا إليه (دعوا الله مخلصين له الدين) أي صادقين في نيتهم ، مخبتين في دعوتهم : فاستجاب ربهم لدعائهم ؛ وهو تعالى دائم الاستجابة لمن دعاه ، ولو كان عابداً لسواه ! فتعالى الملك العظيم ، البر التواب الرحيم ! (فلما نجاهم إلى البر) وأمنوا الهلاك والإغراق (إذا هم يشركون) بمولاهم ، ويكفرون بمن أنجاهم (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الإثراء والانجاء (وليتمتعوا) بالدنيا وما فيها من نعيم زائل ؛ ما هو «إلا لهو ولعب» (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم ، ومغبة كفرهم ! (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم) أي جعلنا بلدهم حرماً يأمن داخله ؛ في حين أن الناس تتخطف من حولهم بالقتل ، والسلب ، والسبي (أفبالباطل) الأصنام ، وكل ما عدا الله (يؤمنون وبنعمة الله) الاسلام ، ومحمد عليه الصلاة والسلام (يكفرون) فياعجباً لهم : اشتروا دنياهم بآخرتهم ، وشقاءهم بسعادتهم ؛ فتعساً لهم ! (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) بأن نسب له الشريك والولد (أو كذب بالحق) القرآن والاسلام (مثوى) مأوى (والذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا من أجلنا . والجهاد يطلق على مجاهدة النفس والشيطان ، وأعداء الدين (لنهدينهم سبلنا) أي لنهديهم إلى سبيل الخير والتوفيق . أو والذين جاهدوا فيما علموا ؛ لنهدينهم إلى ما لم يعلموا ؛ لأن من عمل بما علم : أعطاه الله علم ما لم يعلم (وإن الله لمع المحسنين) بالعون ، والنصر ، والحفظ ، والهداية !

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة

(سـورة الروم)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿غلبت الروم﴾ غلبتها الفرس: ففرح كفار مكة بذلك؛ لأن الفرس كانوا يعبدون الأصنام مثلهم ﴿فى أدنى الأرض﴾ أقربها إلى فارس، وإلى بلاد العرب. قيل: كانت موقعتهم بالشام ﴿وهم﴾ أى الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ أى بعد غلبة فارس لهم ﴿سيغلبون فى بضع سنين﴾ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع. وقد التقى الجيشان فى السنة السابعة من اللقاء الأول؛ وغلبت الروم فارس: مصداقاً لقول العزيز الكريم ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ فهو وحده الذى قدر هزيمة الروم «من قبل» وقضى بنصرتهم «من بعد» ﴿ويومئذ﴾ يوم نصرة الروم على الفرس ﴿يفرح المؤمنون﴾ لأن الروم أهل كتاب؛ فهم بالمؤمنين أشبه، وإلى قلوبهم أقرب. أما الفرس فقد كانوا من عبدة الأوثان ككفار مكة ﴿ينصر من يشاء﴾ نصره ـ ولو كان ضعيفاً ـ ويكبت من يشاء كبته ـ ولو كان قويا ـ «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم» ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ أى يعلم الكفار ما يحتاجون إليه فى الدنيا من أمور المعايش: كالزراعة، والصناعة، والتجارة، ونحو ذلك. ولا يزالون حتى الآن متقدمين فى شتى العلوم والفنون ـ مصداقاً لهذه الآية الكريمة ـ فقد تقدموا تقدماً كبيراً فى استخدام القوى الكهربائية، والطاقة الذرية، وفنون الطيران واللاسلكى، والميكانيكا، وغيرها ﴿وهم عن الآخرة﴾ وما يوصل إليها: من قول وعمل ﴿هم غافلون﴾ فلا يؤمنون بخالقهم، ولا يدينون برازقهم ﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم﴾ كيف أنشأناهم وأبدعنا صورهم؟ وكيف سويناهم وخلقنا عقولهم؟ وكيف هديناهم إلى ما يصلحهم؟ أو «أولم يتفكروا» فيما بينهم وبين «أنفسهم» ﴿ما خلق الله السموات﴾ وما فيها من كواكب وأملاك، وأنجم وأفلاك، ومخلوقات جمة؛ لا يحصيها، ولا يعلمها إلا خالقها ومبدعها ﴿و﴾ ما خلق الله ﴿الأرض﴾ وما فيها من بحار وأنهار، وجبال وأشجار، ونبات وحيوان ﴿وما بينهما﴾ مما لا يعد ولا يحد ﴿إلا بالحق﴾ إلا لإقامة الحق والعدل ﴿وأجل مسمى﴾ أى وبقاؤها لأجل مسمى ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ رغم هـذه الدلالات الواضحات على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾ لا يؤمنون بالبعث والحساب

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّة
إلا آية ١٧ فمدنية
وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ الَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا السُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ الْـَٔاخِرَةِ فَأُولَـٰٓئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ

فِي

﴿اولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المكذبين؛ بسبب تكذيبهم؛ وقد ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ وماحل بهم: كعاد وثمود ﴿وأثاروا الأرض﴾ حرثوها للزرع، وحفروها لاستخراج الفلزات والمعادن ﴿وعمروها﴾ بالتجارة والبناء ﴿أكثر مما عمروها﴾ أى أكثر مما عمرها الكفار المعاصرون ﴿وجاءت رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الواضحات؛ فلم يؤمنوا، وكذبوا رسلهم وآذوهم: فأهلكهم الله تعالى واستأصلهم ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بهذا الإهلاك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بتكذيبهم الرسل ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ أى العذاب الأسوأ؛ كما أن عاقبة الذين أحسنوا الحسنى! ﴿أن﴾ بسبب أن ﴿الله يبدأ الخلق﴾ ينشؤه ابتداء؛ من غير مثال سبق ﴿ثم يعيده﴾ يحييه للبعث والحساب يوم القيامة ﴿ثم إليه ترجعون﴾ جميعاً: مسلمكم وكافركم ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ ييأسون ويتحيرون. والإبلاس: الحزن والانكسار. وقيل: هو انقطاع الحجة ﴿شركائهم﴾ آلهتهم اللاتى أشركوا بعبادتها مع الله تعالى؛ وهى الأصنام ﴿يتفرقون﴾ المؤمن فى الجنة، والكافر فى النار ﴿يحبرون﴾ يتهللون فرحاً وسروراً

(وعشيا) وقت العشاء (وحين تظهرون) وقت الظهر . والمراد: ليلا ونهاراً (يخرج الحى من الميت) يخرج الدجاجة ـ وهى حية ـ من البيضة ـ وهى ميتة ـ ويخرج الإنسان ـ وهو حى ـ من المنى ـ وهو ميت فى ظاهره ـ (ويخرج الميت من الحى) يخرج البيضة من الدجاجة ، ويخرج المنى من الإنسان والحيوان .

وقد ورد فى الحديث الشريف: «يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن» وذلك لأن الإيمان: هو الحياة الحقيقية التى يعتد بها ! وقد شبه الله تعالى الكفار بالموتى فى غير موضع من كتابه الكريم

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

(انظر آية ٢٧ من سورة آل عمران) (ويحيي الأرض بعد موتها) ينبتها بعد جدبها (وكذلك تخرجون) أى وكما يخرج النبات من الأرض ـ بعد جدبها ـ بقدرة الله تعالى: تبعثون من القبور ـ بعد موتكم ـ بإرادته تعالى (ومن آياته) علامات قدرته وربوبيته (أن خلقكم) أى خلق أباكم وأصلكم: آدم عليه السلام (تنتشرون) فى الأرض ، وتتصرفون فيما فيه معاشكم ومنفعتكم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا) لتطمئنوا (إليها) وترتاحوا (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بينكم التواد والتراحم ؛ بسبب الزواج وقيل: «مودة» بالشابة «ورحمة» بالعجوز . ولا يخفى ما بثه الله تعالى بين الأزواج: من الشفقة والحنان ؛ وما أوجبه على كلا الزوجين من المودة ، والتفانى فى الإخلاص والمحبة ! وهذا لا يتنافى مع ما يحدث من الشقاق بين الطبقة الدنيا ، وذوى النفوس الوضيعة ؛ مما ينشأ من ضعف الأخلاق ، وفساد البيئة ، ونقص التربية . وكثيراً ما يكون ذلك سبباً فى هدم بعض النواميس الطبيعية: فقد يقتل الابن أمه ـ وهو أحب الناس لديها ـ والأب ابنه ـ وهو قرة عينه فى الحياة ـ وما سبب ذلك إلا فساد الطبائع ، والانصراف عن الدين الحنيف: الآمر بكل خير ، الناهى عن كل شر ! والآية الكريمة تشير إلى أن الواجب على الزوجين: أن تسود بينهما المودة والحنان ، والرحمة والإحسان ! كيف لا وهما شركاء البأساء والنعماء ، والضراء والسراء ! (ومن آياته) تعالى أيضاً (خلق السموات والأرض) وما فيهما ، ومن فيهما (واختلاف ألسنتكم) لغاتكم (وألوانكم) فهذا أبيض ، وهذا أسود ، وهذا أحمر ، وهذا أصفر ؛ بغير تفريق بين كل منهم فى القدر والفضل ؛ اللهم إلا بالعلم والتقوى: فالعالم الأسود المتقى ربه: خير من الجاهل الأبيض المفرط فى حقوق مولاه «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ومن عجب أن كثيراً من الأمم الغربية ـ التى تتزعم المدنية الزائفة ـ اتخذت التفريق العنصرى ديدناً وشعاراً: فهم يقتلون الملونين بأوهى الأسباب ؛ بل بلا سبب أصلا ؛ ولا يثأرون لهم ممن يعتدى عليهم من أبناء جلدتهم . وقد فاتهم =

= أن جميع الكائنات البشرية أخوة ، وأن وراء هذه الألوان المتعددة روحا واحدة لا لون لها ؛ وأن إلهاً واحداً هو الذى خلقهم جميعاً ، وأودع فى كل منهم سره ونوره ؛ وأرخى على روح كل واحد منهم ستاراً كثيفاً : هو الجسد ؛ وهذا الستار يكون فى صقع أبيض ، وفى آخر أسود ؛ وفى صقع أحمر ، وفى آخر أصفر.

ومن آياته تعالى البينات : اختلاف اللغات ؛ وقد بلغ عددها فى بعض الأصقاع عشرات المئات . وقد قام كثير من الباحثين بحصر اللغات العالمية وإحصائها ؛ فزاد ما أحصوه على الثلاثة آلاف ، ولم يبلغوا بعد غايتها ونهايتها .

أن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾

وتستوى اللغات جميعها فى وحدة المقصد : وهو الإبانة . ولا فضل لإحداها على الأخرى إلا بالسهولة ، ويسر التناول . وقد شرف الله تعالى اللغة العربية بنزول القرآن بها ؛ وذلك بسبب حاجة الأمة العربية للهداية ؛ ولا يستطيع إنسان - بالغاً ما بلغ من رجحان العقل أو نقصانه - أن يزعم أن اللغة العربية - التى نزل بها القرآن - هى اللغة التى يتخاطب بها ملائكة الرحمن فى سمواته ، وأنها لغة الله تعالى التى لا يصدر أوامره إلا بها . ألم ينزل بها كتابه ؛ وهو كلامه العزيز ، وقرآنه الكريم؟!

والواقع أن اللغات جميعها - عربيها وعجميها - مخلوقة لله تعالى ، وهى إحدى آياته البينات «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم» .

وليس من فضل للغة من اللغات على صاحبها : سوى الإبانة التى لم تخلق اللغة إلا لتكون أداة لها .

وكما أوحى ربك إلى الإنسان ؛ أوحى أيضاً إلى الحيوان «وأوحى ربك إلى النحل» ونتيجة الوحى فى الحالتين : هى وصول العلم بالموحى به إلى الموحى إليه - مع اختلاف الوسائل - وكذلك كان وحيه تعالى إلى كثير من خلقه «وأوحينا إلى أم موسى» فلم يقل إنسان : أنه تعالى أوحى إليها عن طريق جبريل عليه السلام ؛ وإنما كان عن طريق الكشف عما يجب أن يتبع ، أو عما فيه الصالح العام للمجتمع الإنسانى .

ومن ذا الذى يستطيع أن يجحد أن مانراه من صنوف المخترعات ، وشتى الفنون ؛ إنما كان عن طريق الوحى ، والتوجيه ، والتعليم الإلهى «علم الإنسان مالم يعلم» .

وإلا فأين جهد العقل الإنسانى من الكهرباء ؛ وهو لم يعلم - حتى الآن - كنهها ، ولم يكشف سرها ؟ وأين جهد العقل البشرى من الرادار ، والتليفزيون ، والذرة ، وما شا كل ذلك ؟

إن الإنسان يتوهم أن جميع ذلك كان وليد الصدفة المحضة ؛ ولكن هذه الصدفة التى يزعمونها ؛ =

= إن هى إلا وحى خالص من لدن حكيم عليم ! (انظر آية ٥ من سورة العلق) .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

(كل له قانتون) منقادون (وهو أهون عليه) أى ان إعادة الخلق : أهون عليه من بدئه (هل لكم مما ملكت أيمانكم) عبيدكم (من شركاء فيما رزقناكم) أى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه شريكا له فى ماله الذى رزقه الله تعالى ؟ فإذا لم يكن ذلك كذلك ؛ فكيف ترضون لله شريكا : هو فى الأصل مخلوق ، ومملوك لله ؟ (فأنتم فيه سواء) أى أنتم وعبيدكم سواء فى الرزق ؛ ومع ذلك لا ترضونهم شركاء فيه ؛ ورضيتم لله شركاء فى خلقه وملكه ، من عبيده وصنع يده ! (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أن تخافون أن يرثكم عبيدكم وإماؤكم ؛ كخيفة أن يرث بعضكم بعضاً . فإذا كنتم تخافونهم على أموالكم ـ وأنتم وهم فيها سواء ـ فكيف ترضون أن يشرك الله تعالى فى ملكه : ما تصنعونه بأيديكم ؛ وأنتم صنع يده ، وفقراء رحمته ؟ ! (فأقم وجهك للدين) أى أقبل عليه باهتمام (حنيفاً) مسلماً ، مائلا إليه (فطرة الله) خلقته ودينه (التى فطر الناس عليها) أعدهم لقبولها ، وأهلهم لفهمها وألزمهم بها ؛ بما أودعه فيهم من عقل وتمييز (ذلك الدين القيم) المستقيم ، الواضح ، المعقول ، المقبول ؛ الذى تستسيغه وتقبله الفطر السليمة (منيبين إليه) راجعين إليه : مؤتمرين بأوامره ، منتهين عن نواهيه (وكانوا شيعاً) فرقا (كل حزب) كل فرقة ، وجماعة (بما لديهم) من الآراء الباطلة ، والعقائد الفاسدة (فرحون) مسرورون ؛ لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث وراء الحقائق ، والسعى إلى معرفة الخير الموصل إلى رضا الرحمن ورحيب الجنان ! (وإذا مس الناس ضر) شدة ، وفقر ، ومرض (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إلى طاعته (ثم إذا

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ

أذاقهم منه رحمة) سعة ، ورخاء ، وصحة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) أى يشركون غيره معه فى العبادة : يخلقهم فيعبدون غيره ، ويرزقهم فيشكرون سواه ! وللشرك مظاهر شتى لا حصر لها فليس مقصوراً على عبادة غير الله فحسب : فلو انتصر محارب على عدوه ، وظن أن نصرته من قوته : فقد أشرك بمن أعانه وأخذ بناصره . ولو أثرى تاجر ، وظن أن ذلك بفطنته : فقد أشرك برازقه . وإذا برع صانع فى صنعته ، وظن أن ذلك بحذقه ومهارته : فقد أشرك بمعلمه وموفقه ! فاحذر ـ هداك الله ـ الشرك الخفى ؛ فقد أهلك من كان قبلكم قال تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» ومن قبل قال قارون «إنما أوتيته على علم عندى» (ليكفروا بما آتيناهم) من الخيرات والبركات : فن مال وفير ، ورزق كثير ؛ إلى سرور =

= وحبور، وصحة وقوة، وبنين وبنات. ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم، وعدم شكركم! ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ حجة؛ وكتابا ﴿فهو﴾ أى الكتاب ﴿يتكلم﴾ كلام دلالة؛ لا كلام نطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أى بصحة شركهم ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ شدة وضيق ﴿بما قدمت﴾ بسبب ما قدمت ﴿أيديهم﴾ من ذنوب وآثام ﴿إذاهم يقنطون﴾ ييأسون من رحمة الله تعالى ومعونته ﴿ويقدر﴾ ويضيق ﴿إن فى ذلك﴾ البسط والتضييق ﴿لآيات﴾ لعبر، وعظات، ودلالات؛ تدل على وجود الخالق الرازق؛ الذى «يرزق من يشاء بغير حساب» وبغير سبب ظاهر، ويضيق على من يشاء بغير سبب؛ ومع توافر أسباب الرزق والسعة. فهو تعالى وحده يختص من يريد بما يريد «له الخلق والأمر» فإذا كنت يامن هداك الله؛ ترغب فى فضل الله ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ وهو المسافر المنقطع. وقد عرفنا الله تعالى بذلك: أن لذى القربى، والمسكين، وابن السبيل حقوقاً ثابتة فى أموالنا؛ يجب بذلها لهم، وأداؤها إليهم. وأن هذه الحقوق ليست تفضلا منا عليهم؛ بل هى فرض واجب الأداء والوفاء، وأوامر واجبة النفاذ؛ أصدرها من يملك الخلق والرزق، والثواب والعقاب! ﴿وما آتيتم﴾ أعطيتم أحداً ﴿من رباً﴾ أى من شىء تطلبون زيادته؛ كأن تهبوا هبة أو تهدوا هدية؛ لابقصد الهبة، ولا بقصد الإهداء؛ بل بقصد الزيادة والتفاخر، والتكاثر ﴿ليربو﴾ ليزيد ﴿فى أموال الناس﴾ فيردونه إليكم مضاعفاً؛ فإن هذا العمل إذا جاز أن يربو عند الناس ﴿فلا يربو عند الله﴾ لأنه لم يقصد به وجهه الكريم! فليس لكم عليه من أجر، ولا ثواب. وهو كقوله تعالى «ولاتمنن تستكثر» ﴿وما آتيتم﴾ أعطيتم وأنفقتم ﴿من زكاة تريدون﴾ بها ﴿وجه الله﴾ مرضاته وثوابه ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ الذين يضاعفون ثواب حسناتهم؛ فيرضيهم ربهم ويرضى عنهم! ﴿هل من شركائكم﴾ الذين تعبدونهم ﴿من يفعل من ذلكم من شىء﴾ أى هل من شركائكم من يستطيع أن يبسط الرزق لأحد، أو أن يقدره على أحد؟ أو أن يكشف الضر عن أحد، أو أن يلحقه بأحد؟ أو أن يخلق، أو يرزق؟ أو أن يحي أو يميت؟! ﴿ظهر الفساد﴾ المراد بظهور الفساد: ظهور المعاصي؛ وظهوره: ظهور آثاره وعواقبه ﴿فى البر﴾ بالجدب، ونقص الثمرات، وذهاب البركة! ﴿والبحر﴾ بقلة ماء المطر، المستمد منه، أو بقلة الأسماك التى تصاد منه، أو بكثرة طغيانه بالفيضان والإغراق ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من المعاصي ﴿ليذيقهم﴾ ربهم ﴿بعض الذى عملوا﴾ أى جزاءه ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن معاصيهم؛ فتعود إليهم أرزاقهم، وتتوافر خيراتهم ومكاسبهم، ويرضى عنهم ربهم! =

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

وَلَعَلَّكُمْ

= ﴿فأقم وجهك﴾ اقصد واتجه بكليتك ﴿للدين القيم﴾ الإسلام؛ فذلك وحده سبب كل خير ويسر! ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ هو يوم القيامة ﴿لامرد له من الله﴾ لادافع له، ولامانع ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يتفرقون «فريق فى الجنة وفريق فى السعير» ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ أى يسوون لأنفسهم مقر راحتهم فى الدنيا، ونعيمهم الدائم فى الآخرة! ﴿الرياح مبشرات﴾ بالمطر؛ الذى هو سبب الإنبات والرزق ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ خصبه وسعته ﴿ولتجرى الفلك﴾ السفن ﴿بأمره﴾ بإرادته، ومعونته، وحفظه ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ تطلبوا الرزق بالتجارة والكسب؛ عن طريق الأسفار، فى البحار

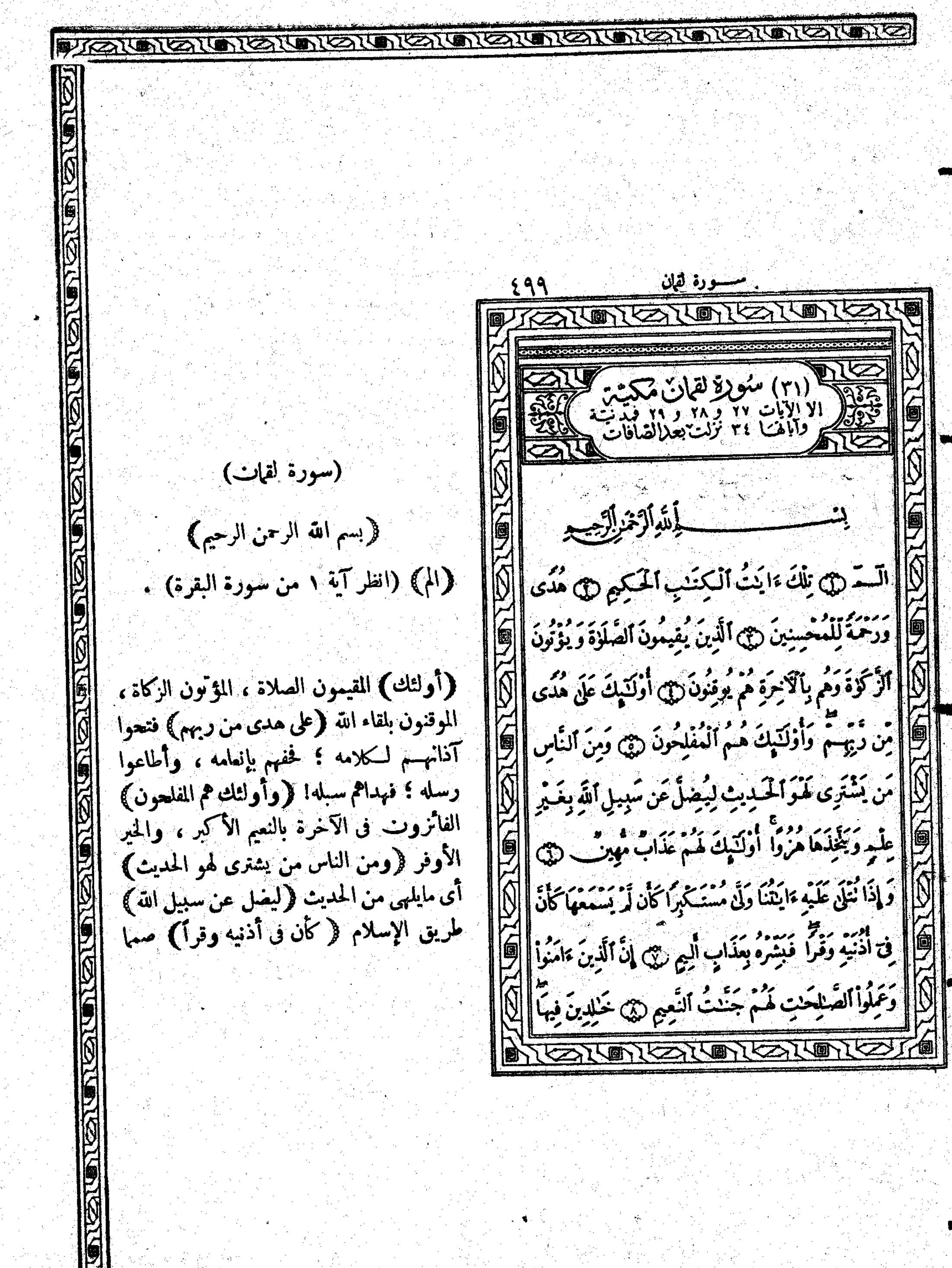
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

﴿فجاءوهم بالبينات﴾ بالحجج الواضحات الظاهرات ﴿ويجعله كسفاً﴾ قطعاً ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من خلال السحاب؛ وهو وسطه ﴿فإذا أصاب به﴾ أى بالمطر ﴿لمبلسين﴾ آيسين ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ بعباده، وشفقته بخليقته ﴿كيف يحيي الأرض﴾ بالماء، والنبات، والأقوات ﴿بعد موتها﴾ جدبها ويبسها ﴿إن ذلك﴾ الإله؛ المرسل الرياح، المثير السحاب، المنزل الماء على من يشاء، المحيي به الأرض بعد موتها «إن ذلك» القوى القادر ﴿لمحيي الموتى﴾ من قبورها، وباعثها من أجداثها، ومحاسبها على أعمالها! ﴿فرأوه مصفراً﴾ أى الريح، أوالزرع، أوالسحاب. وذلك لأن اصفرار السحاب: يدل على عدم وجود الماء فيه، واصفرار الريح: على أنها لا تلقح السحاب، واصفرار الزرع: على يبسه وعدم نمائه ﴿لظلوا﴾ لمكثوا ﴿من بعده﴾ أى من بعد الاصفرار، ويأسهم من الإمطار ﴿يكفرون﴾ يجحدون أنعم الله تعالى السابقة عليهم، ورحمته الواصلة إليهم ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾ أى لا تستطيع إسماع موتى القلوب، ولاصم العقول. وشبههم تعالى بالموتى والصم؛ لأن حالهم كحالهم فى عدم الانتفاع بالسماع

* اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

سورة

﴿الله الذى خلقكم من ضعف﴾ أى من شىء ضعيف؛ لا قوة له: وهو المنى. أو أريد به الطفولة؛ وهى مكمن الضعف ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ وهو سن الشباب والفتوة ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ وهو الهرم والشيخوخة ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ الكافرون؛ أنهم ﴿مالبثوا﴾ مكثوا فى الدنيا، أو فى القبور ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أى «كذلك» كما صرفوا عن حقيقة لبثهم فى الدنيا أو فى القبور؛ كانوا يصرفون عن الحق فى الدنيا ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ الملائكة ﴿والإيمان﴾ وهم الأنبياء ﴿لقد لبثتم فى كتاب الله﴾ أى فيما كتبه الله تعالى فى سابق علمه وتقديره ﴿فيومئذ لاينفع الذين ظلموا﴾ الكفار ﴿معذرتهم﴾ اعتذارهم عما سلف منهم فى الدنيا ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يعاتبون؛ لأن العتاب، لا يكون إلا بين الأحباب. والاستعتاب أيضاً: الاسترضاء ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ معجزة مما يقترحون؛ كالعصا، واليد، والناقة، والمائدة، وأشباه ذلك ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ وهم الذين يقترحون الآيات والمعجزات؛ كقولهم «فأت بآية إن كنت من الصادقين، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» فإذا جاءهم رسولهم بآية قالوا ﴿إن أنتم الا مبطلون﴾ كاذبون، ساحرون ﴿كذلك﴾ كما طبع الله تعالى على قلوب هؤلاء حتى أدخلوا النار بأعمالهم ﴿يطبع الله﴾ يختم ويغطى ﴿على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أى الذين لا يلقون بالهم لأدلة التوحيد، وبراهين الربوبية ﴿فاصبر﴾ على أذاهم ﴿إن وعد الله﴾ بنصرك وخذلانهم ﴿حق﴾ لامراء فيه ﴿ولا يستخفنك﴾ أى لا يحملنك على الخفة، والقلق، والجزع: قولهم لكم «إن أنتم إلا مبطلون».



(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّة
الا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية
وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا

(سورة لقمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) .

﴿أولئك﴾ المقيمون الصلاة ، المؤتون الزكاة ، الموقنون بلقاء الله ﴿على هدى من ربهم﴾ فتحوا آذانهم لكلامه ؛ فحفهم بإنعامه ، وأطاعوا رسله ؛ فهداهم سبله! ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون فى الآخرة بالنعيم الأكبر ، والخير الأوفر ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ أى مايلهى من الحديث ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ طريق الإسلام ﴿كأن فى أذنيه وقراً﴾ صمما

(رواسى) جبالا شوامخ (أن تميد) لئلا تميل الأرض (بكم) وتضطرب (وبث) فرق ونشر (فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن ، عظيم ، بهيج (هذا خلق الله) خلق الجنان ومن أهّلهم لسكناها ، والجحيم ومن أعدهم للظاها ، وخلق السموات وما فيها ومن فيها ، والأرض وما فوقها وما تحتها ، والجبال لتقيها وتحفظها ، والإنسان ، والدواب لتسكنها وتنعم بخيراتها وبركاتها ، وأنزل من السماء ماءاً ليصلحها ويخصبها ، وأمتع من فيها ؛ امتحانا لهم ، واختبارا لإيمانهم ! «هذا» جميعه «خلق الله» (فأرونى) أيها المكذبون الضالون (ماذا خلق الذين) تعبدونهم (من دونه) غيره تعالى (بل الظالمون) الكافرون الذين ظلموا أنفسم بتعريضها للعقاب ، وحرمانها من الثواب (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهى العلم ، والإصابة فى الرأى ، وتحرى الحق ، و «لقمان» قيل : إنه كان عبداً حبشياً . وقيل : إنه من أولاد آزر . وقيل : إنه عاش ألف سنة : وأدركه نبى الله داود ، وأخذ عنه العلم . وقد كان يقضى ويفتى قبل مبعثه ؛ فلمابعث قطع القضاء والفتيا ؛ فسئل فى ذلك . فقال: ألا أكتفى إذ كفيت . وقال بعضهم بنبوته . والجمهور على أنه كان حكيما ولياً ، ولم يكن نبياً ؛ ولقد أحب لقمان ربه فأحبه ؛ وآتاه «الحكمة» وعلمه مالم يكن يعلم ! (أن اشكر لله) وشكر الله تعالى: أساس الإيمان ، ورأس الحكمة (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) لأن ثواب شكره عائدعليها (ومن كفر) فلم يشكر أنعم الله تعالى عليه (فإن الله غنى) عن عبادته ، وعن شكره «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين» (حميد) محمود فى صنعه ، مستوجب الحمد والشكر ؛ فما من نعمة إلا هو ـ جل شأنه ـ مسديها . وما من خير إلا هو ـ عز سلطانه ـ باعثه . وما من مخلوق إلا تحوطه من الله تعالى أنعم لا يدرك مداها ، ولا تعلم خوافيها :

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ

فَأُنَبِّئُكُم

فكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى !

وقد أبان الله تعالى لنا حكمة لقمان ، وأن جماعها شكر العزيز المنان: «أن اشكر لله» وأن أخش الظلم وأعظمه : الشرك بالله (يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وأن خير ما يرضيه تعالى : طاعة الوالدين وبرهما ، والحدب عليهما ، وشكرهما «أن اشكر لى ولوالديك» (ووصينا الإنسان بوالديه) والوصية : أرقى مرتبة من الأمر ؛ ألا ترى إلى قول الرحيم الرحمن ـ بعد أن أمر ونهى فى محكم القرآن ـ «ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» (انظر آيتى ١٥١و١٥٢ من سورة الأنعام) (حملته أمه وهناً على وهن) أى ضعفاً على ضعف (وفصاله) فطامه (أن اشكرلى ولوالديك) الشكر لله تعالى : =



= على أنعمه ؛ وأجلها وأفضلها : نعمة الإيمان «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» والشكر للوالدين : على حبهما ، وتضحيتهما ، وتربيتهما ، ونصحهما ! وقد قرن تعالى شكر الوالدين بشكره: ليشعرنا بمزيد الاهتمام لهما ، والعناية بهما (انظر آية ٢٣ من سورة الإسراء) ﴿وإن جاهداك﴾ قاتلاك ﴿على أن تشرك بى ما ليس لك به علم﴾ أى على أن تعبد ما يعبدان من آلهة لا أصل لها ولا حقيقة لأمرها ﴿فلا تطعهما﴾ على الشرك . وهو الأمر الوحيد الذى يستوجب عصيانهما ومخالفتهما ؛ ولكنه لا يستوجب

فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ
ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ

نبذهما ، أو محاربتهما ؛ كسائر الكفار والمشركين ؛ فقد قال تعالى ﴿وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾ أى بالمعروف الواجب لهما : من بر ، وصلة ، ومعونة . وقد أفتى الأكثرون على وجوب معاونتهما فى الذهاب إلى الكنيسة متى طلبا ذلك ﴿واتبع سبيل من أناب﴾ رجع ﴿إلىَّ﴾ فى دينه ، وأمره ، واستعانته ، وتوكله ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من عمل ؛ فأجازيكم عليه : ثواباً ، أو عقاباً ﴿يابنى إنها﴾ أى الخصلة السيئة ، والفعلة الذميمة ﴿إن تك مثقال﴾ وزن ﴿حبة من خردل﴾ التمثيل بحبة الخردل: مبالغة فى الصغر؛ لأن حبة الخردل ؛ من أصغر الحبوب ﴿فتكن﴾ هذه الحبة من الخردل مستكنة ﴿فى صخرة﴾ فلا ترى لذى عينين ﴿أو﴾ تكن ضائعة ﴿فى السموات﴾ على سعتها ﴿أو فى الأرض﴾ على رحبها ؛ فإنها لا تخفى على ربها ؛ بل ﴿يأت بها الله﴾ الذى «يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون» ﴿إن الله لطيف﴾ بعباده ﴿خبير﴾ بأحوالهم ﴿يابنى أقم الصلاة﴾ فى أوقاتها . والصلاة لله تعالى : فرضت فى سائر الشرائع المتقدمة ؛ مع اختلاف بسيط فى طرق أدائها ؛ مع اتحادها جميعاً فى الخضوع له تعالى ، والالتجاء إليه ، والإقرار بوحدانيته ! ﴿وأمر بالمعروف﴾ وهو كل ما يقره الشرع ويرتضيه ، ويأمر به ﴿وانه عن المنكر﴾ وهو كل ما ينكره الشرع ، وتأباه المروأة ، وتنبو عنه الأذواق السليمة ! ﴿واصبر على ما أصابك﴾ أى ما يصيبك فى هذه الحياة من شدائد وبلايا ، وما تلقاه من أذى عند الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وما يصيبك عند كبح الجماح ، عن غير المباح ! ﴿إن ذلك﴾ الصبر ﴿من عزم الأمور﴾ أى معزوماتها ؛ التى يجب التمسك بها . أو «إن ذلك» الذى وصيتك به جميعا : من إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصبر على المكاره ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ أى لا تعرض عنهم تكبراً . والصعر ــ بفتح العين ــ ميل الوجه ﴿واقصد فى مشيك﴾ القصد : التوسط . أى لا تسرع فى المشى ؛ فيذهب بهاؤك ، ولا تتباطأ ؛ فتبدو خيلاؤك ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ =

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى
ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ
غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾
لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ
يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ

يجرى

= أتمها ووسعها (ظاهرة وباطنة) الظاهرة : حسن الخلق واستواء الأعضاء . والباطنة : حسن الخلق ، والذكاء ، والعلم ، والمعرفة . أو الظاهرة لك : كالغنى ، والعافية ، والإيمان . والباطنة عنك : كالإنجاء من المكاره ، ودفع الأرزاء والأسواء ؛ من حيث لا تدرى ولا تحتسب . ونعم الله تعالى الخفية : أكثر من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى ! فلو علمت أيها الإنسان ، أن الحنان المنان : يسلك من بين يديك ومن خلفك من يكلؤك بإرادته ، ويحفظك بمشيئته ؛ لما وسعك إلا التمسك بطاعته ، والتزلف إليه! واذكر قوله تعالى «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» وقوله العزيز الجليل «فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين» (ومن يسلم وجهه إلى الله) أى يقبل على طاعته ، وينقاد لأوامره (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بالحبل المتين الوثيق ؛ الذى لا انقطاع له ؛ وهو دين الله المستقيم : الذى من تمسك به فاز ونجا ، ونال الدرجات العلا ! (إلينا مرجعهم) هؤلاء الكفار (فننبئهم بما عملوا) ونجزيهم عليه : جحيما ، وعذاباً أليما ! (إن الله عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (نمتعهم قليلا) فى الدنيا ؛ لأن زمنها قصيروإن طال (ثم نضطرهم) نلجئهم (إلى عذاب غليظ) قاس ، شديد (إن الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) مستوجب الحمد : المحمود فى صنعه (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام) أى لو أن سائر شجر الأرض؛ تحولت فروعه وأغصانه إلى أقلام يكتب بها (والبحر) الذى لا يحد حده ، ولا يبلغ أمده (يمده من بعده سبعة أبحر) تماثله فى العمق ، والسعة ، والعظم ؛ وصارت مياه هـذه البحار مجتمعة مداداً ؛ تستمد منه هذه الأقلام ، وتكتب كلمات الله تعالى : لنفدت هذه الأبحر ، ونضب ماؤها ؛ و (مانفدت كلمات الله) وليس المراد بالكلمات فى هذا المقام : الكلام المكون بالنطق ، المؤلف بالحروف ؛ وإنما أريد بها نتائجها ؛ وهى النعم الجزيلة ، والمنن العظيمة ، والصفات الباهرة ، والآيات الظاهرة ؛ فان كلا من هذه لو وقف عليه إنسان صافى الذهن ، صحيح الفكرة ، طلق اللسان واضح البيان ؛ لما وسعته أشجار الأرض أقلاما ، وبحورها مداداً ولو تضاعفت هذه الأشجار ، وتلك البحار ؛ أضعافاً مضاعفة ! (انظر آية ١٠٩ من سورة الكهف) (إن الله عزيز) فى ملكه ؛ غالب لايغلب (حكيم) لايخرج شىء عن علمه وحكمته (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ؛ وذلك بزيادة الليل شتاءاً ونقصه صيفاً

﴿كل﴾ من الشمس والقمر ﴿يجرى﴾ فى فلكه بأمر ربه تعالى ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو انتهاء الدنيا، وقيام الساعة ﴿ذلك﴾ النظام الدقيق المحكم ﴿بأن الله هو﴾ الإله ﴿الحق﴾ القادر؛ واجب الوجود، والموجد لكل موجود ﴿وأن ما يدعون﴾ ما يعبدون ﴿من دونه﴾ غيره ﴿الباطل﴾ الزائل؛ الذى لا أصل له، ولا برهان عليه ﴿وأن الله هو العلى﴾ المتعالى عن صفات المخلوقين؛ بالبقاء، والقدرة؛ المتعالى عليهم بالغلبة والقهر ﴿الكبير﴾ العظيم؛ الذى لا يماثله شىء ﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله﴾ بالأرزاق والتجارات ﴿ليريكم من آياته﴾ دلائل قدرته؛ من حمل الماء للفلك، والحفظ من مهالك البحر، والهداية إلى مسالكه، والتوفيق إلى أسباب الكسب؛ فقديقوم تاجران - فى وقت واحد - بتجارة متجانسة؛ فيعود أحدهما بالمال الكثير، والربح الوفير، ويعود الآخر بالخسارة والحرمان. وقد يربح الغبى، ويخسر الذكى ﴿لكل صبار﴾ كثير الصبر ﴿شكور﴾ كثير الشكر ﴿وإذا غشيهم﴾ غطاهم ﴿موج﴾ شديد ﴿كالظلل﴾ الظلل: جمع ظلة؛ وهى كل ما أظلك من جبل، أو سحاب ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى متوجهين بقلوبهم إليه مؤمنين حق الإيمان به ﴿فمنهم مقتصد﴾ أى باق على الإيمان، أو هو بين بين: بين الكفر والإيمان، وقيل: مظهر للإيمان، مبطن للكفر؛ والأول أولى. والمعنى: فمنهم باق على إيمانه وإخلاصه الذى بدا منه وقت شدته، ومنهم من رجع إلى أصله، وعاد إلى كفره! ﴿ختار﴾ غدار ﴿كفور﴾ شديد الكفر ﴿واخشوا يوماً﴾ هو يوم القيامة ﴿لا يجزى﴾ لا يغنى ﴿والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ أى لا يتحمل والد العقوبة عن ولده، ولا مولود العقوبة عن والده؛ بل يجزى كل منهما بما فعل واكتسب «كل امرىء بما كسب رهين» وذكر تعالى الوالد والولد: لأن الوالد محط الحب والفداء، والمولود محط الرحمة والرجاء؛ فإذا كانا لا يغنى أحدهما عن الآخر شيئاً؛ فبالنسبة للأباعد يعز الغناء ﴿إن وعد الله﴾ بالبعث والجزاء ﴿حق﴾ ليس فيه مراء ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ كيف تقوم، ومتى تقوم؟ ﴿وينزل الغيث﴾ المطر؛ وسمى المطر غيثاً: لأنه يغيث الناس من الجوع والفقر؛ ولذا سمى الكلأ غيثاً: لأنه يغيث الماشية ﴿ويعلم ما فى الأرحام﴾ من الأجنة: ذكراً أو أنثى؟ حياً أو ميتاً؟ شقياً أو سعيداً؟ ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً﴾ من خير أو شر ﴿وماتدرى نفس بأى أرض تموت﴾ فقد يسافر مسافر إلى الصين بلا سبب: فتعاجله المنية! وقد يحين حينه وهو فى ذروة قوته، ووافر صحته! وقد يسافر ليبرأ من علته: فيأتيه الموت لساعته!

يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

= وهذه الأمور الخمسة اختص بمعرفتها العليم الخبير! وقد يقال: إن علماء الفلك، والأرصاد الجوية؛ قد أصبحوا ـ بواسطة علمهم وآلاتهم ـ يعلمون متى تهب الرياح؟ ومتى تنزل الأمطار؟ وهو قول لا يعتد به، ولا يلتفت إليه؛ فكم من مرة وعدوا بالخصب: فحل الجدب، وأوعدوا بالبلاء: فعم الرخاء. وكم من مرة حذروا من البرد: فجاء الحر، ومن الحر: فجاء القر! وقولهم لا يعدوا التخمين والظن «وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً» أما اليقين: فلا يعلمه سوى رب العالمين!

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ
إلا من آية ١٦ إلى نهاية آية ٢٠ فمدنية
وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ

خَلْقَ

(سورة السجدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿لا ريب﴾ لا شك ﴿أم يقولون افتراه﴾ أى اختلق محمد هذا القرآن ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم قريش خاصة، أو العرب كافة. وبذلك تكون من أهل الفترة؛ قبل بعثته عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وقد كانوا مكلفين باتباع ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام؛ وذلك مصداق قوله جل شأنه «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير» لكنهم تحولوا إلى عبادة الأصنام؛ التى أحدثها فيهم عمرو الخزاعى لعنه الله تعالى! ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به تعالى، وليس كاستواء المخلوقين؛ لأن الديان يتقدس عن المكان، وتعالى المعبود عن الحدود ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ مدة بقاء الدنيا. وتدبير الأمر: أمره تعالى بما يصلح البلاد والعباد: من نزول أمطار، ونمو أشجار، وازدهار أثمار، وجريان أنهار، وإماتة أحياء، وإحياء أموات. فتعالى الخالق المصور، الرازق المدبر! ﴿ثم يعرج إليه﴾ أى يصعد إليه ذلك الأمر، وتتائجه ليفصل فيه: لقد أمر تعالى بنعمة لبعض عباده؛ هل شكروها، أم كفروها؟ وأمر لبعض عباده ببلاء؛ هل صبروا على بلواهم. أم قنطوا من رحمة مولاهم؟ ووسع على بعض عباده فى الرزق؛ هل أعطوا منه الفقير، أم بخلوا وعندهم الكثير؟ وضيق على بعضهم؛ فهل لجأوا له بالطلب، وجأروا إليه بالدعاء، أم يئسوا من روح الله؛ ولا «ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» فتصعد إليه تعالى أوامره وما تم فيها ـ وهو جل شأنه أعلم بها من فاعلها وحاملها ـ وذلك ﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ وهو يوم القيامة ﴿ذلك﴾ الإله القادر القاهر، رب الأرباب، ومنزل الكتاب، ومجرى السحاب، وخالق السموات والأرضين؛ وما بينهما من حيوان وطير وجماد وآدميين، وغيرهم من المخلوقين «ذلك» هو مدبر الأمر =

= ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ رب العالمين ﴿الذى أحسن كل شىء خلقه﴾ أى أحسن خلق كل شىء خلقه . فلو تصورت مثلا أن للفيل مثل رأس الجمل ، أو للجمل مثل رأس الأسد ، أو للإنسان مثل رأس الحمار : لوجدت فى ذلك خللا عظيما ، ونقصاً كبيراً ؛ وعدم تناسب فى الخلقة ، وانعدام الانسجام بين الأعضاء مع حاجة المخلوق إليها على حالتها ؛ بالنسبة لبيئته ورغبته ؛ لأنك لو علمت أن طول عنق الجمل وشق شفته : سببه حاجة الناس إليه فى الأسفار الطويلة ، وحاجته هو إلى تناول الكلإ أثناء سيره . وأن الفيل لولا خرطومه الطويل : لما استطاع أن يبرك بجسمه الثقيل ليتناول طعامه وشرابه . وهكذا سائر المخلوقات من شتى الصور والأجناس ؛ حتى الجمادات فقد اختصها الله تعالى بأشكال جذابة يسرح البصر فى محاسنها ، وألوان خلابة يتوه الفكر فى مفاتنها ! فإنك لو تأملت ذلك ، وتدبرت ماهنالك : لتيقنت أنه ليس فى مقدور البشر ، وأنه «صنع الله الذى أتقن كل شىء . فتبارك الله أحسن الخالقين» ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ وهو آدم عليه السلام ﴿ثم جعل نسله من سلالة﴾ خلاصة ؛ وهى المنى . و«السلالة» : ما انسل من الشىء ؛ سمى به المنى : لأنه ينسل من سائر البدن ، أو هو ينسل من النخاع «يخرج من بين الصلب والترائب» ﴿من ماء مهين﴾ ضعيف : لا قوة فيه ، ولا أثر له بنفسه : وهو النطفة ﴿ثم سواه﴾ جعله مستوى الأعضاء ، تام الخلقة ، جميل الصورة ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ المملوكة له تعالى ؛ والتى لا يستطيع مخلوق أن يهبها ﴿وجعل لكم السمع﴾ الذى به تسمعون ، وعنه تسألون ﴿والأبصار﴾ التى بها تبصرون ، وعنها تحاسبون ﴿والأفئدة﴾ التى بها تعقلون ، وبواسطتها تهتدون . وكل هؤلاء جعلها الله تعالى أداة لتلقى الإيمان ، وقبول الهداية ؛ والإنسان عن جميعها مؤاخذ مسئول ! ألا ترى

خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ۩ تَتَجَافَىٰ

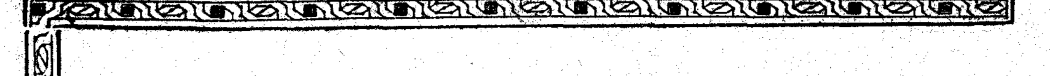
إلى قول العزيز الجليل «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» ﴿وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض﴾ أى إذا متنا وصرنا حطاماً ورفاتاً ، واختلطنا بتراب الأرض ، وضاعت معالم أجسامنا ﴿أئنا لفى خلق جديد﴾ أى نخلق خلقاً جديداً بعد هذا ؟ ﴿قل﴾ لهم يامحمد : نعم ﴿يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم﴾ أى كلف بقبض أرواحكم ﴿ثم﴾ تبعثون ، و ﴿إلى ربكم ترجعون﴾ يوم القيامة ، فيعاقبكم بذنوبكم ، ويعذبكم على كفركم ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾ الكافرون ، المنكرون للبعث : حين يبعثون ﴿ناكسوا رؤسهم﴾ مطأطئوها من الذل والخزى والهوان ؛ ويقولون ﴿ربنا أبصرنا﴾ بأعيننا البعث الذى كنا به نكذب ﴿وسمعنا﴾ الحق الذى كنا له ننكر ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل﴾ عملا ﴿صالحاً﴾ كما أمرت ﴿إنا﴾ الآن ، بعد ظهور =

= البرهان ﴿موقنون﴾ بصحة ألوهيتك ، وصدق رسلك ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس﴾ من هذه الأنفس ﴿هداها﴾ فى دنياها ؛ على سبيل القسر والإلجاء . أو «ولو شئنا لآتينا كل نفس» تطلب الرجعة إلى الدنيا «هداها» ورددناها إلى الدنيا ﴿ولـكن حق﴾ وجب ﴿القول منى لأملأن جهنم من الجنة﴾ كفرة الجن وعصاتهم ﴿والناس أجمعين﴾ الذين كفروا بى ؛ بعد ظهور آياتى ، وكذبوا رسلى ؛ بعـد إبداء معجزاتهم ، وتوالى براهين صدقهم ! فكيف نردهم «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» ﴿فذوقوا﴾ العذاب ﴿بما نسيتم﴾ بسبب نسيانكم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ وإنكاركم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب ﴿إنا نسيناكم﴾ أى تركناكم كالمنسيين ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الدائم ؛ الذى لا انقطاع له ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ ويصدق برسالاتنا ﴿الذين إذا ذكروا بها﴾ أى تليت عليهم ﴿خروا سجداً﴾ لله ﴿وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ عن طاعته ، وعن عبادته ﴿تتجافى﴾ تتنحى وتتباعد ﴿جنوبهم عن المضاجع﴾ أى ان نومهم قليل ، وسهرهم طويل ؛ لانقطاعهم إلى الله تعالى ، وحرصهم على عبادته ! ﴿يدعون ربهم خوفاً﴾ من غضبه وعقوبته ﴿وطمعاً﴾ فى رحمته وجنته! ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ كافراً ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنة المأوى﴾ التى يأوى إليها كل مؤمن ﴿نزلا﴾ النزل : ما يعد لنزول الضيف وتكرمته ﴿وأما الذين فسقوا﴾ كفروا وكذبوا ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ أى الأقرب؛ وهو عـذاب الدنيا : بالقتل ، والأسر ، والخزى ﴿دون العذاب الأكبر﴾ أى قبل عذاب الآخرة ، أو أقل من عذابها ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى ربهم ، ويتوبون عن كفرهم ﴿ومن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ وعظ بها ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن فى مرية﴾ شك ﴿من لقائه﴾ أى من لقاء موسى؛ وقد لقيه ليلة الإسراء : عند العروج به إلى السماء . وقيل: «من لقائه» أى من تلقى موسى الكتاب . وقيل: من لقاء مالقيه موسى من تكذيب وإيذاء ؛ مثل مالاقيت أنت من تكذيب قومك وإيذائهم ﴿وجعلنا منهم﴾ أى ممن آمن بموسى من بنى إسرائيل ﴿أئمة يهدون﴾ الناس ﴿بأمرنا﴾ بأوامرنا وشرائعنا التى بيناها لهم فى التوراة ﴿لما صبروا﴾ على الطاعات ، وعن المعاصى ؛ جعل الله تعالى جزاء الصبر : إمامة الناس

٥٠٦ الجزء الحادى والعشرون

جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

بِآيَاتِنَا



بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

(٣٣) سورة الأحزاب مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ

﴿أولم يهد لهم﴾ أولم يتبين لهم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ الأمم ﴿يمشون فى مساكنهم﴾ ويرون ما حل بها من خراب ودمار ﴿إن فى ذلك﴾ الإهلاك ﴿لآيات﴾ لعبراً ودلالات على قدرتنا ، وبطشنا بمن يكفر بنا ﴿أولم يروا﴾ أيضاً ﴿أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ اليابسة ، التى لا نبات بها ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم﴾ بهائمهم ﴿وأنفسهم﴾ أى ويأكلون هم من ذلك الزرع أيضاً ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ أى متى هذا الفصل فى الحكومة؟ الذى تعدنا به؟ وهو يوم القيامة . وقيل «الفتح» النصر الموعود : يوم بدر ، أو يوم فتح مكة ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ يمهلون ، أو يؤجلون ﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ نزول العذاب الموعود بهم ﴿إنهم منتظرون﴾ بك الدوائر

(سورة الأحزاب)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها النبى اتق الله﴾ الخطاب للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ والمراد به أمته : إذ ليس فى البشر جميعاً أتقى منه لمولاه ! عليه صلوات الله تعالى وتسلياته ، أمدنا الله تعالى بنفحة منه ؛ تقربنا إليه ، وتدنينا من رحمته !

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ أى لايجتمع الكفر والإيمان، والضلال والهدى، والمعصية والطاعة؛ فى قلب واحد. وما دام الإنسان بقلب واحد - لا يتسع إلا لشىء واحد - فلا يكون إلا مؤمناً أو كافراً، ضالا أو مهتديا، عاصياً أو طائعاً. ولا طاقة لإنسان أن يجمع بين الضدين؛ فما جعل الله لرجل من قلبين ﴿وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ كان الرجل فى الجاهلية إذا أراد طلاق امرأته؛ قال لها: أنت على كظهر أمى ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ نزلت فى زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه؛ وقد تبناه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فكانوا يقولون: زيد ابن محمد ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم والله تعالى يقول الحق﴾ ويقضى به ﴿وهو يهدى السبيل﴾ الطريق القويم؛ المؤدى لكل خير ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ أى انسبوهم لهم ﴿هو أقسط﴾ أعدل ﴿ومواليكم﴾ أقرباؤكم ﴿وليس عليكم جناح﴾ إثم ﴿النبى أولى﴾ أحق ﴿بالمؤمنين من أنفسهم﴾ لأنه عليه الصلاة السلام أب لهم؛ وهو يدعوهم إلى النجاة، وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ فى الحرمة والإجلال والتكرمة ﴿وأولوا الأرحام﴾ ذووا القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ فى التوريث؛ كما أمر الله تعالى، وفرض فى كتابه ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ وقد كانوا يتوارثون - فى بدء الإسلام - بالإيمان والهجرة؛ فنسخ بتوريث ذوى الأرحام ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ أى إلا أن تهبوا لأقربائكم الأباعد، أو لعبيدكم، أو توصوا لهم بشىء؛ لا أن يرثوا فيكم؛ فأقرباؤكم - من ذوى الأرحام - أولى بالميراث وأحق

مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ
وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ
ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت
طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا

﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ عهدهم على الوفاء بما حملوا ، وأن يبشر بعضهم ببعض ، ويصدق بعضهم بعضاً ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ عهداً عظيماً ؛ وما ذاك إلا ﴿ليسأل﴾ الله تعالى ﴿الصادقين عن صدقهم﴾ أى ليسأل الأنبياء عن تبليغهم لأقوامهم ، أو عما أجابهم به قومهم . فانظر ياهذا : إذا كان الأنبياء يسألون ؛ فكيف بمن عداهم من عامة البشر ؟ قال تعالى «فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين» ﴿إذ جاءتكم جنود﴾ وكان ذلك يوم الأحزاب : جاءت قريش ، وغطفان ، وقريظة ، والنضير ؛ تجمعوا لحرب المؤمنين ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ هى الصبا. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور» أرسل الله تعالى تلك الريح فى ليلة شاتية ؛ فأسفت التراب فى وجوههم ، وقلعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب ؛ فماجت خيل الكافرين بعضها فى بعض ، وكبرت الملائكة فى جوانب المعسكر ؛ فانهزموا من غير قتال ؛ وذلك قوله تعالى ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴿إذ جاءوكم﴾ أى جنود الأعداء ﴿من فوقكم﴾ فوق الوادى ؛ وهو أعلاه ﴿ومن أسفل منكم﴾ بطن الوادى: من المشرق والمغرب ﴿وإذ زاغت﴾ شخصت ومالت ﴿الأبصار﴾ عن رؤية أى شىء ؛ عدا رؤية الأعداء من كل جانب ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ من شدة الخوف والفزع ؛ وهو ارتفاع القلب ـ من شدة الخفقان ـ حتى يكاد أن يبلغ الحلقوم ؛ فيعترى الخائف عند ذاك ضيق قد يبلغ حد الاختناق ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ تظنون اليأس من النصر ؛ وقد وعدكموه ؛ ووعده الحق «إن الله لا يخلف الميعاد» وقيل : الظن هنا بمعنى اليقين ؛ أى تيقن المؤمنون بالنصر ، وتيقن الكافرون بهزيمة المؤمنين ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ امتحنوا بالصبر على الإيمان ﴿وزلزلوا زلزالا شديداً﴾ اضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الفزع ، وخوفوا خوفاً بليغاً ؛ ليختبرهم ربهم ، ويعلم ـ علم ظهور ـ مبلغ تصديقهم ، ووثوقهم بوعده ﴿وإذ يقول المنافقون﴾ الذين أظهروا الإيمان ، وأبطنوا الكفران ﴿والذين فى قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿ماوعدنا الله ورسوله﴾ بالنصر ﴿إلا غروراً﴾ خداعاً وباطلا ﴿ياأهل يثرب﴾ ياأهل المدينة . ويثرب : من أسماء مدينة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿لا مقام لكم﴾ لا إقامة لكم بيننا ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ أى مكشوفة ؛ ينالها العدو لعدم تحصينها

هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ

ذَٰلِكَ

﴿إن يريدون﴾ ما يريدون بزعمهم هذا ﴿إلا فراراً﴾ من الجهاد؛ لكفرهم وجبنهم ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ من نواحيها. أى لوهوجموا ودخلت عليهم هذه البيوت، واحتلها العدو من أولها إلى آخرها ﴿ثم سئلوا الفتنة لآتوها﴾ أى لو سئلوا الردة إلى الكفر، ومحاربة المسلمين؛ لفعلوا ﴿وما تلبثوا بها﴾ أى مامكثوا بالفتنة، أو بالمدينة ﴿إلا قليلا﴾ وبعد ذلك يصيبهم الله تعالى بالهلاك، أو بالموت ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أن يقاتلوا الكفار، و ﴿لايولون الأدبار﴾ لا يهربون من القتال منهزمين ﴿وكان عهد الله﴾ الذى عاهدوه من قبل ﴿مسئولا﴾ أى يسأل الإنسان عن الوفاء به، ويعاقب على نقضه ﴿وإذاً لاتمتعون﴾ بالحياة ﴿إلا قليلا﴾ ثم يدرككم الموت، فالبعث، فالحساب، فالعقاب ﴿ولايجدون لهم من دون الله﴾ غيره ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ الذين يعوقون الناس عن الجهاد، وعن نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وعن الدخول فى الإسلام ﴿ولا يأتون البأس﴾ أى القتال ﴿أشحة عليكم﴾ بالمعاونة ﴿فإذا جاء الخوف﴾ تأزم الموقف، ودارت رحى الحرب ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ أملا فى أن توقف القتال ﴿تدور أعينهم﴾ من جبنهم وشدة خوفهم ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ بانتصاركم على أعدائكم، واطمأنت قلوبهم على أنفسهم: لم يزدهم ذلك إلا حنقاً عليكم، وكراهة لكم؛ و ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أى آذوكم ببذىء الكلام ﴿أشحة على الخير﴾ لا ينفقون فى سبيل الله؛ بل فى سبيل الدنيا والحرص عليها. والمعنى أنهم فى الأمن: أشح قوم مالا، وأبسطهم لساناً، وفى الخوف: أجبن قوم حرباً، وأسرعهم هرباً ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أبطلها

ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أى إنهم لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ﴿بادون فى الأعراب﴾ أى مقيمون فى البادية ؛ بعيداً عن القتال ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وما حل بكم ؛ من غير ممارسة للقتال والنزال ﴿أسوة﴾ قدوة

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ الذين تحزبوا وتجمعوا لقتالهم ﴿قالوا﴾ إن ﴿هذا﴾ التجمع والتحزب هو ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الابتلاء والنصر .

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أى مات شهيداً ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أى ينتظر الموت على الشهادة ؛ لأنهم كانوا يعدون الموت فى الجهاد فوزاً عظيماً ؛ ويا له من فوز ! ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ أى ولم يبدلوا عهدهم الذى عاهدوا الله تعالى عليه ؛ من الجهاد فى سبيله ، والموت دون رسوله ! ﴿ليجزى الله الصادقين﴾ فى الإيمان ، الموفين بالعهد ﴿بصدقهم﴾ أى بجزاء صدقهم

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالدَّارَ الْءَاخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ النَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ

مَرَضٌ

﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ أى عاونوا الأحزاب ﴿من أهل الكتاب﴾ يهود بنى قريظة ﴿من صياصيهم﴾ حصونهم ﴿وأرضاً لم تطأوها﴾ هى خيبر؛ وكل أرض تفتح إلى يوم القيامة؛ لم يسبق للمسلمين تملكها ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ أى السعادة فى الدنيا، وكثرة الأموال ﴿فتعالين أمتعكن﴾ أى أعطكن متعة الطلاق ﴿وأسرحكن﴾ أطلقكن ﴿سراحا جميلا﴾ طلاقا لا ضرار فيه؛ لأن ما رغبتن فيه من متاع الدنيا ليس عندى ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ هى مخالفة الرسول صلوات الله تعالى وتسليماته عليه. وأى فاحشة أبين وأقبح من مخالفته صلى الله تعالى عليه وسلم، أو العمل على غير إرادته! ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أى يكون ضعفى عذاب غيرهن من النساء؛ لأنهن لسن كسائر النساء؛ وكما أن حد العبد نصف حد الحر: يكون عذاب الخاصة ضعف عذاب العامة. وقد قيل: حسنات الأبرار؛ سيئات المقربين! فما بالك بأقرب المقربين! ولأن إغضاب الرسول عليه الصلاة والسلام ليس كإغضاب أحد من الناس. قال تعالى «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً» وقال جل شأنه «ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون» (انظر الآيات: من ٢ ـ ٥ من سورة الحجرات) ﴿ومن يقنت منكن﴾ يطع ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أى لا تكلمن الرجال بقول خاضع لين؛ كعادة أكثر النساء؛ وهذا واجب على كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر؛ خصوصاً من تعرضت منهن للرئاسة والهداية، وانتصب لها لواء التوجيه والإرشاد! ﴿فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾ أى ريبة وفجور

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَٰهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْقَٰنِتَٰتِ وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ

﴿وقلن قولا معروفا﴾ لاينكره الذوق والعرف؛ من غير لين، ولا خضوع ﴿وقرن في بيوتكن﴾ أي اقررن؛ من القرار. أو هو من الوقار؛ تؤيده قراءة من قرأ «وقرن» بكسر القاف ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي لا تتبرجن مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى. والتبرج: التبختر، وإظهار الزينة والمحاسن ﴿إنما يريد الله﴾ بهذا الابتلاء، وهذه الأوامر ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ القذر والإثم؛ الذي يقع فيه كثير من الناس ﴿أهل البيت﴾ بيت النبوة الزكي الطاهر! ﴿ويطهركم﴾ من سائر الدنايا ﴿تطهيراً﴾ كبيراً! ﴿واذكرن﴾ تذكرن ما اختصكن الله تعالى به من فضل على نساء العالمين، و﴿ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ كتابه العظيم، وقرآنه الكريم ﴿والحكمة﴾ التي ينطق بها الرسول عليه الصلاة والسلام؛ من الأحاديث ﴿والقانتين﴾ المطيعين ﴿والصابرين﴾ على الطاعات والبلايا، وعن المعاصي ﴿والحافظين فروجهم﴾ من الزنا

﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه﴾ بالإسلام؛ وهو زيد بن حارثة ﴿وأنعمت عليه﴾ بالإعتاق ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ لقد تخبط أكثر المفسرين فى تأويل هذه الآية، وذهبوا على غير مذهب، وأبعدوا فى اتباع الأقاصيص التى حاكها أعداء الدين فى الدين، وجاروا ما أذاعه اليهود طعناً فى الرسول الكريم، العفيف النظيف؛ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم! فقالوا: إن الرسول الأعظم رأى زينب - وهى فى عصمة زيد - فأعجبته وأحبها، ووقعت من قلبه موقعاً كبيراً؛ إلى آخر ما أوردوه من إفك وبهتان يتبرأ منه أحط الفساق؛ فضلا عن أكرم الخلق على الاطلاق!

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

وخلاصة القول: ان العرب جرت عادتهم ألا يتزوج الرجل امرأة دعيه الذى تبناه. فأراد الله تعالى أن يبطل تلك العادة، ويجعل إباحة الإسلام مكان حرج الجاهلية: فأوحى إلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يزوج زينب ابنة جحش - بنت عمته - بزيد بن حارثة متبناه؛ وأن يتزوجها بعد طلاقها منه؛ فخطبها صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد: فأبت، وأبى أخوها عبد الله؛ فنزل قوله تعالى «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» فلما سمعاها قالا: رضينا يارسول الله. فزوجها لزيد، وأمهرها له؛ فصارت تشمخ بأنفها، وتفخر عليه بنسبها. وتسىء معاملته؛ وكان يشكو ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - المرة بعد المرة - فكان عليه الصلاة والسلام - مع علومقامه - يغلبه الحياء؛ فيتئد ويتمهل، ولا يعمل فى تنفيذ حكم الله تعالى - الذى قضاه وأطلعه عليه - ويقول لزيد «أمسك عليك زوجك واتق الله» إلى أن غلب أمر الله تعالى: فأذن لزيد فى طلاقها؛ بعد أن ذاق معها الأمرين! فتزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ طائعاً لأمر ربه ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾ أى دخلوا بهن، وخلا بعضهم إلى بعض. فأين هذا مما خاض فيه الخائضون، وادعاه المبطلون؛ مما لايرتضيه الأتقياء، فكيف بسيد الأنبياء؟! وتعالى الله عن أن يرسل رسولا يطمح بعينيه إلى حلائل المؤمنين! وأما خشيته صلى الله تعالى عليه وسلم للناس: فذلك استحياء منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه، بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أى أمره لك، ووحيه إليك بتزوج زينب؛ رغم قولك لزيد «أمسك عليك زوجك» ﴿ما كان على النبى من حرج﴾ إثم ﴿فيما فرض الله﴾ أحله ﴿له سنة الله﴾ طريقته ﴿فى الذين خلوا﴾ مضوا من الأنبياء ﴿من قبل﴾ فقد أحل لهم التوسعة فى الزواج: كداود، وسليمان، =

= وغيرهما ؛ ممن لم تصل إلينا أخبارهم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (انظر آية ٤ من سورة القلم) ﴿بكرة﴾ أول النهار ﴿وأصيلا﴾ آخره ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة : الدعاء والاستغفار ﴿ليخرجكم﴾ برحمته ﴿من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً﴾ على من أرسلت إليهم ؛ بل على الناس جميعاً ﴿ومبشراً﴾ من أطاع الله برحمته وجنته ﴿ونذيراً﴾ لمن عصاه بغضبه وناره ﴿وداعياً إلى الله﴾ إلى معرفته وطاعته ﴿بإذنه﴾ بأمره وتقديره ﴿وسراجا منيراً﴾ جمع الله تعالى - فى وصف نبيه الأعظم - بين صفتى الشمس والقمر: قال تعالى «وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا» وفضله عليه الصلاة والسلام على سائر المخلوقات ؛ لا يقل بحال عن فوائد الشمس ، ونور القمر : فكما أن الشمس تبعث الدفء والحياة فى سائر الكائنات ؛ فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث دفء الإيمان ، فى قلوب بنى الإنسان ، وبعث الحياة الحقيقية ، والسعادة الأبدية بين المؤمنين ؛ وأنار الدنيا بشريعته وهدايته ! وكما أن السراج المنير يستضاء به ، ويسترشد بواسطته : كذلك الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فإن من سار على سنته ، واهتدى بطريقته : لا شك واصل إلى أمنيته ، متمتع فى جنته ! وأى سراج وهاج ، وأى قمر منير يضاهى محمداً فى نوره ، أو يحاكيه فى هدايته ؟! صلى الله تعالى وسلم عليه ! جعلنا الله تعالى ممن يستضىء بنوره ، ويستنير بضوئه ، ويسير على سنته ، ويهتدى بهديه ؛ وينضوى تحت لوائه ، ويحشر فى زمرته ، ويرتوى من حوضه !

وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ

﴿ودع أذاهم﴾ أى اترك مقابلة إذايتهم لك بمثلها . وهو تعليم من الله تعالى لعباده : بالإحسان إلى من أساء ﴿إذا نكحتم المؤمنات﴾ أى عقدتم عليهن ﴿من قبل أن تمسوهن﴾ أى من قبل أن تدخلوا بهن ﴿فمتعوهن﴾ قيل: هى منسوخة بقوله تعالى «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» أى فنصف المهر الذى فرضتموه ﴿وسرحوهن سراحاً جيلا﴾ أى طلقوهن طلاقا لا ضرار فيه ﴿اللاتى آتيت أجورهن﴾ مهورهن ﴿وما ملكت يمينك﴾ من الإماء ﴿مما أفاء الله عليك﴾ الفيء : الغنيمة ؛ وهما صفية وجويرية ؛ أعتقهما وتزوجهما

اللَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ

فَانتَشِرُوا

﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ أى يطلب زواجها ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ أى إن الهبة لاتجوز إلا له عليه الصلاة والسلام . فليس لمؤمنة أن تهب نفسها لمؤمن ، وليس له أن يقبل ذلك ؛ إذ أن الهبة إحدى خصوصيات الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿قد علمنا مافرضنا عليهم﴾ أى على المؤمنين ﴿فى أزواجهم﴾ من وجوب المهر ، والولى ، والشهود ، وانعدام الموانع ، وعدم تجاوز الأربع من النسوة ﴿حرج﴾ ضيق وإثم فيمافعلت ﴿ترجى﴾ تؤخر ﴿وتؤوى إليك﴾ أى تضم إليك ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ أى ومن طلبت الفراش من أزواجك اللاتى عزلتهن عن القسمة بينهن فى المبيت . وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم قد خير بعض أمهات المؤمنين : بين الطلاق ، أو التنازل عن حقوقهن فى القسمة : فاخترن التنازل . فأراد الله تعالى أن يعلمه أنه لاحرج عليه فى رد من يشاء منهن إلى فراشه ﴿فلا جناح عليك﴾ لا إثم ولاحرج فيما تفعل : من العزل ، والإرجاء ، والإيواء ﴿ذلك أدنى﴾ أقرب ﴿أن تقر أعينهن﴾ بما قضى به الله تعالى فى أمرهن : من الإرجاء ، والإيواء ، والعزل «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» ﴿ويرضين بما آتيتهن﴾ من ذلك ﴿والله يعلم مافى قلوبكم﴾ من شأن النساء ، والميل إلى بعضهن ، وعدم العدل بينهن ؛ فيجزى كلا بقدر نيته ﴿لايحل لك النساء من بعد﴾ أى من بعد التسع ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية ﴿ولا أن تبدل بهن﴾ بتطليق بعضهن وإحلال غيرهن مكانهن ﴿إلا ماملكت يمينك﴾ من الإماء ؛ مما كان يخصه عليه الصلاة والسلام من السبى ﴿غير ناظرين إناه﴾ أى غير منتظرين نضجه ﴿فاذا طعمتم﴾ أكلتم

﴿فانتشروا﴾ فتفرقوا ﴿ولا﴾ تمكثوا ﴿مستأنسين لحديث﴾ تتناولونه مع بعضكم ﴿إن ذلكم﴾ الدخول بغير استئذان، وانتظار الطعام، وحديث بعضكم مع بعض؛ كل ذلك ﴿كان يؤذى النبي فيستحي منكم﴾ فلا يظهر تضجره؛ لسمو أخلاقه، وعظيم استحيائه ﴿وإذا سألتموهن متاعا﴾ عارية، أو حاجة ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ ولا تتطلعوا لرؤيتهن ﴿ذلكم﴾ السؤال من وراء حجاب ﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الخواطر المريبة؛ التي تعرض للرجال فى أمر النساء، وللنساء فى أمر الرجال. والتي يبثها الشيطان فى قلب كل إنسان!

فَانتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾

وهذه الآية الكريمة جاءت حاوية لأدق الأخلاق الإنسانية، وأسمى الآداب الاجتماعية؛ فكم نرى بعض الثقلاء، يتطرف بالإيذاء: فيقتحم الحرمات، ويرتكب المحرمات؛ وهو لاه غافل، أو متلاه متغافل! ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ بعمل مالا يرضاه ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده﴾ لأنهن أمهات لكم، محرمات عليكم! ﴿لاجناح عليهن فى آبائهن﴾ أى لا إثم على النساء ألا يحتجبن من آبائهن. ولم يذكر تعالى العم والخال؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين ﴿ولا نسائهن﴾ أى ولا يحتجبن عن النساء المؤمنات؛ أما الكافرات: فيجب الاستتار عنهن كالرجال تماماً؛ لئلا يصفنهن للغير؛ لعدم أمانتهن! ومن عجب أن نرى بعض المسلمات يصفن لبعض الرجال: المخدرات من النساء. وهى خصلة ذميمة: يأباها الشرع، وتقع تحت طائلة العقاب الإلهى؛ فليتقين الله ولا يفضحن محارمه؛ فيفضحهن الله تعالى بين العباد، وعلى رؤس الأشهاد! ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ الصلاة من الله تعالى: الرحمة ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار، ومن الأمة: التعظيم والدعاء والإكبار! وهذا أمر من الله تعالى بالصلاة عليه؛ صلى الله تعالى عليه وسلم! وهى تجب كلما ذكر اسمه الكريم عليه الصلاة والسلام؛ كما يجب ألا يكتب اسمه إلا مقروناً بها. وقد طعن فى كثرة الصلاة عليه بعض الزنادقة الذين لا يعبأ برأيهم، ولا يعتد بقولهم، واختصرها بعضهم بوضع «صلعم» مكانها، أو «ص» وهذا نهاية فى السخف؛ إذ مامعنى وضع هذه الطلاسم والمعميات؛ إذا لم نرد إثبات الصلاة عليه: صلى الله تعالى عليه وسلم؟ ومامعنى أن نضع الألقاب الرنانة، والأسماء الطنانة، والكنى الضخمة، والرتب الكبيرة؛ لأناس غير أهل لبعض ذلك ـ بل ربما كانوا من وقود النار ـ ونبخل على كبير المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الخلق أجمعين؛ بكلمة أمرنا الله تعالى بها وألزمنا لها، وأثابنا عليها: صلى الله تعالى عليه صلاة يرضاها منا، ويرضى بها عنا، وسلم تسليما كثيراً؛ بعدد كل الكائنات؛

= رغم أنف الملحدين والمكابرين !

ومن أعجب العجب قول القائلين : إن الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة فى العمر مرة واحدة . مع أن نص الآية يقتضى التكثير «صلوا عليه وسلموا تسليما» والجمهور على أنها واجبة عند ذكر اسمه الشريف !

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ

أَطَعْنَا

هـذا ولا يصح إفراد غير الأنبياء بالصلاة .. وإنما يصلى على غيرهم بالتبعية ؛ كقولهم صلى الله على النبي وآله وصحبه !

﴿إن الذين يؤذون الله﴾ بالكفر، ونسبة الولد والشريك إليه ، ووصفه بما لا يليق به ! والمراد بالإذاية هنا : عملها ؛ لا وصولها ﴿و﴾ يؤذون ﴿رسوله﴾ بالطعن والتكذيب ﴿لعنهم الله﴾ طردهم من رحمته ﴿فى الدنيا﴾ بالتخلى عن توفيقهم وهدايتهم ﴿و﴾ فى ﴿الآخرة﴾ بما أعده لهم من العذاب الأليم المقيم! ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ برميهم بما ليس فيهم ، واختلاق الجرائم عليهم ﴿بغير ما اكتسبوا﴾ بغير ما عملوا ﴿فقد احتملوا بهتاناً﴾ البهتان : أسوأ الكذب ﴿يدنين﴾ يقربن ، ويرخين ﴿عليهن من جلابيبهن﴾ جمع جلباب؛ وهو الثوب يستر جميع البدن ، أو هو الملاءة التى تشتمل بها المرأة ﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾ أى ذلك أقرب أن يعرفن بأنهن حرائر محصنات ﴿فلا يؤذين﴾ فلا يؤذيهن أحد . وقد كانت عادة الإماء ، والغير المحصنات : كشف الوجوه . ﴿والذين فى قلوبهم مرض﴾ فسق وفجور؛ بدليل قوله تعالى: «فيطمع الذى فى قلبه مرض» ﴿والمرجفون﴾ هم أناس من المنافقين كانوا يذيعون أخباراً سيئة عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿لنغرينك بهم﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ أى فى المدينة ﴿إلا قليلا﴾ إلا مدة قليلة ؛ ثم يستأصلهم الله تعالى بذنوبهم ﴿ملعونين﴾ مطرودين ﴿أينما ثقفوا﴾ أينما وجدوا ﴿سنة الله﴾ عادته وطريقته ﴿فى الذين خلوا﴾ مضوا ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ القيامة ؛ ومتى وكيف تقوم ؟

أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿وقالوا﴾ أى الكفار؛ حينما رأوا العذاب المحيط بهم، والمعد لهم ﴿ربنا آتهم ضعفين﴾ مثلين ﴿من العذاب﴾ فى جهنم ﴿والعنهم﴾ عذبهم ﴿لعناً كبيراً﴾ عذاباً كثيراً متواصلا. وأصل اللعن: الطرد والإبعاد. ومن لوازم الطرد والابعاد: الغضب؛ الذى من لوازمه العذاب ﴿يأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى﴾ بأن رموه بالسحر والجنون ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ وأثبت تعالى أن ماجاء به موسى آيات بينات، ومعجزات ظاهرات؛ لا تمت للسحر والجنون بسبب. وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الإيذاء المقصود هنا: أنهم رموه بأنه آدر. ويدفع هذا المعنى السقيم: قوله تعالى ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ أى نبيا كريماً، ورسولا عظيما؛ عليه وعلى نبينا صلوات الله تعالى وسلامه! ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ هى الشهوة المركبة فى الإنسان، أو التكاليف التى تعم جميع وظائف الدين؛ من أوامر، ونواه؛ أهمها: ضبط جماح النفس، والصبر على الطاعات، وعن المعاصى والشهوات! ﴿وأشفقن منها﴾ وخفن من حملها ﴿إنه كان ظلوماً﴾ لنفسه؛ لأنه لم يراع ما حمل: فعرض نفسه للعقاب ﴿جهولا﴾ بحقيقة ربه؛ إذ لو علم حقيقته، وقدره: لما وسعه إلا التمسك بطاعته، والابتعاد عن معصيته! وهذا العرض، والإباء: هو من قبيل الأمثال، ولسان الحال؛ كقوله تعالى «لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله»

(٣٤) سُورَةُ سَبَإٍ مَكِّيَّةٌ
إلا آية ٦ فمدنية
وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ

فِىٓ

(ســـورة سبأ)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿فى الأرض﴾ من ماء، وكنوز، ودفائن، وأموات ﴿وما يخرج منها﴾ من نبات وأقوات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من ماء، وأرزاق، وبركات، وخيرات، وصواعق، وسيول ﴿وما يعرج فيها﴾ أى وما يصعد إليها من أعمال العباد، ومن ملائكته تعالى؛ الذين ينزلون منها، ويعرجون إليها؛ بأمره جل شأنه ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ أى لا تقوم القيامة ﴿عالم الغيب﴾ كل ما غاب عن العلم والفهم ﴿لا يعزب﴾ لا يغيب ﴿مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ أصغر نملة تذروها الرياح؛ وهو مثال فى نهاية الدقة والصغر ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ بين؛ وهو اللوح المحفوظ: كتب فيه تعالى ماخلق وما يخلق، وما رزق ومايرزق، ومادق، وما جل، وما عظم، وما حقر، ومن كفر ومن آمن، ومن عصى ومن أطاع؛ حتى قيام الساعة؛ و«يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» ذلك ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بإيمانهم وعملهم ﴿والذين سعوا﴾ بالرد والطعن

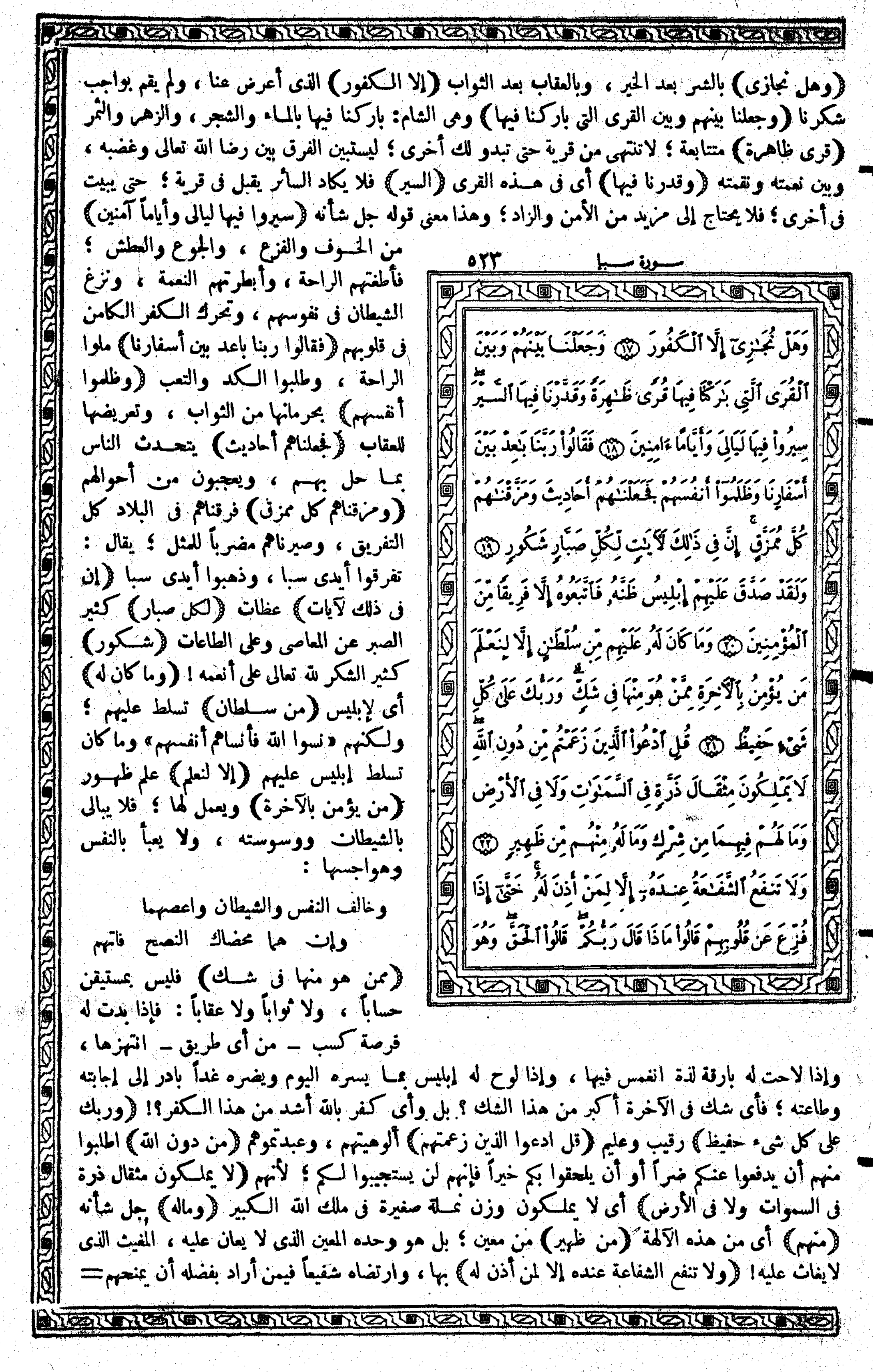
(فى آياتنا) قرآننا الذى أنزلناه على محمد (معاجزين) مغالبين لنا ، ظانين أنهم سينجون من عذابنا ، مقدرين ألا بعث ، ولا ثواب ، ولا عقاب (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) الرجز: أسوأ العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) وهم مؤمنو أهل الكتاب ؛ أن (الذى أنزل إليك من ربك) القرآن (هو الحق و) هو (يهدى إلى صراط) طريق (العزيز) الغالب الذى لا يغلب (الحميد) المحمود فى كل أفعاله (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل) يعنون به محمداً صلى الله عليه وسلم (ينبئكم) يخبركم أنكم (إذا) متم و (مزقتم كل ممزق) فرقتم فى قبوركم كل تفريق (إنكم لفى خلق جديد) أى ستخلقون يوم القيامة من جديد (أفترى) استفهام ؛ أى هل افترى بقوله هذا (على الله كذبا أم به جنة) جنون ؛ فهو يهرف بما لا يعرف ! قال تعالى رداً على إفكهم وضلالهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) عن الحق فى الدنيا (أو نسقط عليهم كسفاً) قطعاً (إن فى ذلك لآية) برهاناً (لكل عبد منيب) راجع إلى الله بكليته (ياجبال أوبى معه) أى رجعى التسبيح معه (والطير) أيضاً يسبح معه . قال تعالى «وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» (وألنا له الحديد) جعلناه ليناً كالطين المعجون ، أو وفقناه إلى إلانته بواسطة الصهر ، وعلمناه طرق صناعته ، وتشكيله كما يريد (أن اعمل سابغات) دروعا تامة ؛ تغطى سائر البدن (وقدر فى السرد) أى فى نسج الدروع . يقال لصانعها : سراد . ومعنى «وقدر» أى اجعل حلقاتها منسقة متناسبة (واعملوا صالحا) الخطاب لآل داود ، وأمته ؛ ويشمل الصلاح المأمور به : صلاح الأعمال والأفعال ؛ من العبادات والصناعات (و) سخرنا (لسليمان الريح) «تجرى بأمره رخاء حيث أصاب»

فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ

غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا

وَهَلْ

﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ أى جريها بالغداة مسيرة شهر ، وكذلك جريها بالعشى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أى معدن النحاس : أذبناه له ، أو وفقناه لطرق صهره ، والانتفاع بصناعاته ؛ كما وفقناه لصهر الحديد . والرأى الأول أولى ؛ ليتفق مع المعجزة : فإلانة الحديد ؛ وإذابة النحاس ؛ بغير ملين ، أو مذيب طبيعى: أدعى إلى الإعجاز، وتنبيه القلوب، ولفت الأنظار ﴿ومن يزغ﴾ يعدل ويحد ﴿محاريب﴾ مساجد ، أو مساكن ﴿وجفان كالجواب﴾ الجفان : جمع جفنة ؛ وهى القصعة الكبيرة . والجوابى : جمع جابية ؛ وهى الحوض الضخم ﴿اعملوا آل داود﴾ عملا صالحاً ﴿شكراً﴾ لله على ما آتاكم ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾ (انظر آية ٢٤ من سورة ص) ﴿دابة الأرض﴾ هى الأرضة ﴿تأكل منسأته﴾ عصاه. وقدمات عليه السلام وهو ممسك بها ؛ وظل على ذلك الحال ؛ إلى أن جاءت الأرضة فأكلت من العصا حتى كسرتها ؛ وسقط جسده عليه السلام إلى الأرض ﴿فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين﴾ ويؤخذ من ذلك أن أجساد الأنبياء عليهم السلام لاتبلى، ولا تأكلها الأرض ؛ شأن كل الأجساد ﴿لقد كان لسبإ﴾ سبأ : قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم . وقيل : مدينة ؛ وهى التى منها بلقيس ﴿جنتان﴾ لم يرد تعالى بالجنتين: جنتين اثنتين فحسب ؛ بل أراد أن بلادهم كلها أشجار وثمار وبساتين . وإنما التثنية فى أنها يمنة ويسرة ؛ يؤيده قوله تعالى ﴿عن يمين وشمال﴾ أى حيثما سرت وجدت «جنتان عن يمين وشمال» ﴿فأعرضوا﴾ عن عبادة الله تعالى وطاعته ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ المطر الشديد ؛ الذى يحطم كل مايعترضه من أبنية ، وأودية . و «العرم» السدود التى تبنى لتحجز المياه ﴿ذواتى أكل خمط﴾ أى ثمر مر ، بشع . وقيل : هو كل شجر ذى شوك ﴿وأثل﴾ شجر طويل لا ثمر له ﴿وشىء من سدر﴾ وهو شجر برى ؛ له ثمر كالنبق ؛ غير أنه مر الطعم ، سام لا يؤكل ﴿ذلك﴾ التبديل الذى بدلناهم به : التلف بعد الترف ، والمر بعد الحلو ، والداء بعد الشفاء ﴿جزيناهم بما كفروا﴾ أى بسبب كفرهم



(وهل نجازى) بالشر بعد الخير ، وبالعقاب بعد الثواب (إلا الكفور) الذى أعرض عنا ، ولم يقم بواجب شكرنا (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) وهى الشام: باركنا فيها بالماء والشجر ، والزهر والثمر (قرى ظاهرة) متتابعة ؛ لاتنتهى من قرية حتى تبدو لك أخرى ؛ ليستبين الفرق بين رضا الله تعالى وغضبه ، وبين نعمته ونقمته (وقدرنا فيها) أى فى هذه القرى (السير) فلا يكاد السائر يقبل فى قرية ؛ حتى يبيت فى أخرى ؛ فلا يحتاج إلى مزيد من الأمن والزاد ؛ وهذا معنى قوله جل شأنه (سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين)

وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ

من الخوف والفزع ، والجوع والعطش ؛ فأطغتهم الراحة ، وأبطرتهم النعمة ، ونزغ الشيطان فى نفوسهم ، وتحرك الكفر الكامن فى قلوبهم (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) ملوا الراحة ، وطلبوا الكد والتعب (وظلموا أنفسهم) بحرمانها من الثواب ، وتعريضها للعقاب (فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بما حل بهم ، ويعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم فى البلاد كل التفريق ، وصيرناهم مضرباً للمثل ؛ يقال : تفرقوا أيدى سبا ، وذهبوا أيدى سبا (إن فى ذلك لآيات) عظات (لكل صبار) كثير الصبر عن المعاصى وعلى الطاعات (شكور) كثير الشكر لله تعالى على أنعمه ! (وما كان له) أى لإبليس (من سلطان) تسلط عليهم ؛ ولكنهم «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» وما كان تسلط إبليس عليهم (إلا لنعلم) علم ظهور (من يؤمن بالآخرة) ويعمل لها ؛ فلا يبالى بالشيطان ووسوسته ، ولا يعبأ بالنفس وهواجسها :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

(ممن هو منها فى شك) فليس بمستيقن حساباً ، ولا ثواباً ولا عقاباً : فإذا بدت له فرصة كسب — من أى طريق — انتهزها ، وإذا لاحت له بارقة لذة انغمس فيها ، وإذا لوح له إبليس بما يسره اليوم ويضره غداً بادر إلى إجابته وطاعته ؛ فأى شك فى الآخرة أكبر من هذا الشك ؟ بل وأى كفر بالله أشد من هذا الكفر؟! (وربك على كل شىء حفيظ) رقيب وعليم (قل ادعوا الذين زعمتم) ألوهيتهم ، وعبدتموهم (من دون الله) اطلبوا منهم أن يدفعوا عنكم ضراً أو أن يلحقوا بكم خيراً فإنهم لن يستجيبوا لكم ؛ لأنهم (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) أى لا يملكون وزن نملة صغيرة فى ملك الله الكبير (وماله) جل شأنه (منهم) أى من هذه الآلهة (من ظهير) من معين ؛ بل هو وحده المعين الذى لا يعان عليه ، المغيث الذى لا يغاث عليه! (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) بها ، وارتضاه شفيعاً فيمن أراد بفضله أن يمنحهم=

الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

= رفده ، ويعفو عن ذنوبهم ؛ لسابقة خير أتوها ، ويد برّ أسدوها ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ أى كشف الفزع ، وزال عن قلوب الشافعين والمشفوع فيهم الرعب ؛ بالإذن فى الشفاعة ، أو بقبولها من الشافعين فى المشفوع لهم ﴿قالوا﴾ أى قال الشفعاء لبعضهم ، أو قال الأنبياء ـ وهم الذين يأذن الله تعالى لهم بالشفاعة ـ للملائكة الذين يبلغون أمر ربهم ؛ قالوا لهم ﴿ماذا قال ربكم﴾ فى شأن شفاعتنا للعصاة من أممنا ؟ ﴿قالوا﴾ قال ﴿الحق﴾ الذى ارتضاه وكتبه على نفسه «كتب ربكم على نفسه الرحمة» وقد أذن بكرمه وفضله لكم فى الشفاعة ﴿وهو العلى﴾ المتعالى فوق خلقه بالقهر ﴿الكبير﴾ العظيم ؛ الذى كل شىء ـ مهما عظم ـ دونه ! ﴿إنا أو إياكم﴾ أى ونحن أو أنتم ﴿لعلى هدى﴾ من الله ﴿أو فى ضلال مبين﴾ أىّ تلطف هذا من الله تعالى بعبيده ؟ وأى منطق تشرئب له الأعناق ، وتنخلع له القلوب؟! يأمر الله تعالى أهدى الهداة ؛ بأن يخاطب أعتى العتاة ، وأعصى العصاة ؛ بقوله : إن الخلاف بيننا لا يعدو إحدى اثنتين : إما أن أكون أنا على هدى ، أو فى ضلال مبين ؛ وأنتم كذلك . فإذا ماتبصر المخاطب فى هذا الجدل الرقيق الرفيق؛ الذى إن دل على شىء ؛ فإنما يدل على الحقيقة المجردة من كل زيف ، والقوة المجردة من كل قسوة ، واطمئنان الواثق ، ووثوق المطمئن . وإذا ما تدبر المخاطب المعاند أنه لا أحد يرزقه من السموات والأرض سوى الله تعالى ، وأن معبوده المزعوم لا يخلق شيئاً ؛ بل يخلقه العابد له بيديه ، وأنه لا يملك مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وأن الذى يخاطبه يسانده المنطق لا القوة ، وتؤيده البراهين والآيات ؛ لا الأكاذيب والترهات ؛ وأنه ـ ولا شك ـ مرسل من عند الله الحق ؛ ليخرجه من الظلمات إلى النور ، وينجيه من عذاب السعير! إذا تدبر المخاطب كل ذلك : علم أنه على ضلال وأى ضلال ؛ وأن الرسول على هدى وأى هدى ! ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا﴾ أى يحكم ﴿شركاء﴾ فى العبادة ﴿كلا﴾ ردع لهم عن اتخاذ الشركاء للملك الحق ! ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالقيامة والبعث ، والثواب والعقاب ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن﴾ ولن نصدق أنه منزل من عند الله ﴿ولا﴾ نؤمن ﴿بالذى بين يديه﴾ أى ما تقدمه من الكتب ؛ كالتوراة والإنجيل ﴿ولو ترى﴾ يامحمد ﴿إذ الظالمون موقوفون﴾ أى محبوسون ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ الأتباع والضعفاء ﴿للذين استكبروا﴾ السادة والرؤساء ﴿لولا أنتم﴾ وإضلالكم لنا ﴿لكنا مؤمنين﴾ وفى عداد الناجين

﴿أنحن صددناكم﴾ منعناكم ﴿عن الهدى﴾ الإيمان ، أو القرآن ، أو هما معاً ؛ وهو استفهام انكارى .

مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ

أى لم نصدكم عن الهدى ، ولم نكرهكم على الكفر ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أصل المكر: الاحتيال والخديعة . أى بل مكركم بنا ليلا ونهاراً ، أو كفركم أمامنا ليلا ونهاراً ؛ هو الذى صدنا ومنعنا عن الهدى ؛ وذلك لأن العمل الظاهر : فيه معنى الأمر بمثله ؛ فمن يكفر : يكن قدوة لغيره فى الكفر ، ومن يفسق يكن قدوة لغيره فى الفسق ﴿أنداداً﴾ أمثالا وأشباهاً ﴿وأسروا الندامة﴾ أى أظهروها ؛ وهو من الأضداد : يكون بمعنى الإخفاء والإبداء . أو هومشتق من الأسارير؛ وهى محاسن الوجه ، والخدان ؛ أى بدت الندامة وظهرت على أساريرهم ؛ مما يعترى وجوههم من الانقباض والأسى والحزن ! ﴿مترفوها﴾ رؤساؤها ومتنعموها ﴿وقالوا﴾ أى الكفار المترفون المتنعمون ﴿نحن أكثر أموالا وأولاداً﴾ من المؤمنين الفقراء ﴿وما نحن بمعذبين﴾ توهماً منهم أن الأموال والأولاد هى منجاة لهم فى الآخرة ؛ كما كانت منجاة لهم فى الدنيا ﴿قل إن ربى يبسط الرزق﴾ فى الدنيا ﴿لمن يشاء﴾ من عباده: كافراً كان أومؤمناً ، طائعاً أو عاصياً ؛ وكثيراً ما يعطى من يبغض ، ويمنع من أحب ﴿ويقدر﴾ ويقبض عمن يشاء . وقد رد الله تعالى على هؤلاء المحتجين بغناهم ، المحتجبين عن مولاهم ؛ بقوله ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى﴾ الزلفى : القربى والمنزلة . أى تقربكم عندنا منزلة ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ أى إلا الإيمان والعمل الصالح ؛ فهما وحدهما مقياس القرب ، من حضرة الرب ﴿فأولئك﴾ المؤمنون الصالحون ﴿لهم جزاء الضعف﴾ أى نضاعف لهم جزاء حسناتهم

فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

وَمَآ

﴿وهم فى الغرفات﴾ أعالى الجنة ﴿آمنون﴾ من العذاب ، ومن انقطاع النعيم ﴿والذين يسعون فى آياتنا﴾ القرآن : يسعون فى إبطاله ، وإنكاره ، والطعن فيه ﴿معاجزين﴾ مغالبين لنا ، ناسبين العجز إلينا ﴿ويقدر﴾ ويقبض ﴿وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه﴾ أى ما أنفقتم فى سبيله تعالى ، ومن أجل مرضاته ؛ فانه جل شأنه يعوضه لكم ، ويرزقكم أضعافه . وقد ورد أن ملكا فى السماء يدعو «اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وممسكا تلفاً» ﴿وهو خير الرازقين﴾ لأن المخلوق يرزق الآخر لحاجة منه إليه ، أو لرغبة يبتغيها عنده . أما «خير الرازقين» فيرزق بلا حاجة ، ويعطى بلا مقابل ! ﴿قالوا سبحانك﴾ تعاليت وتقدست ، وتعاليت عن المثل ، والشبيه ، والنظير ﴿أنت ولينا﴾ خالقنا ، ومعيننا ، وكافينا ؛ الذى نخلص له فى العبادة ؛ فكيف نرتضى أن نعبد من دونك ؟ ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين الذين كانوا يغوونهم بعبادتنا ، وعبادة غيرنا ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ كفروا ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ ظاهرات واضحات ﴿قالوا ماهذا إلا رجل يريد أن يصدكم﴾ يمنعكم ﴿عما كان يعبد آباؤكم﴾ من الأصنام والأوثان ﴿وقالوا ماهذا﴾ القرآن ﴿إلا إفك مفترى﴾ كذب مختلق

وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ
قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟
مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟
لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ
بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ
ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟
مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ

﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم المتقدمة مثل تكذيبهم ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ أى وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار، وقوة الأجسام، وكثرة الأموال والأولاد. وقيل: المعشار: عشر العشر، أو هو عشر عشر العشر؛ فيكون جزءاً من ألف. ولعله المراد: لأنه أريد به المبالغة فى التقليل. وقد يكون المعنى: وما بلغ المكذبين الذين من قبلهم معشار ما آتينا أمتك من العلم والبيان، والحجة والبرهان؛ فهم أولى الأمم بالإيمان، وأجدرهم بالإيقان ﴿فكذبوا رسلى﴾ أى كذبت الأمم السابقة رسلى؛ كما كذبك قومك ﴿فكيف كان نكير﴾ النكير: تغيير المنكر؛ أى فكيف كان تغييرى لمنكرهم، واستئصالى وتدميرى لهم؟! ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أى أنصحكم بكلمة واحدة: هى جماع الفضائل كلها، وأساس الإيمان واليقين والتوحيد! ﴿أن تقوموا لله﴾ لعبادته ﴿مثنى﴾ جماعات ﴿وفرادى﴾ أى مجتمعين ومتفرقين ﴿ثم تتفكروا﴾ فيما قلتموه، وترجعوا عما زعمتموه ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ جنون ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا نذير لكم بين يدى﴾ قدام ﴿عذاب شديد﴾ هو عذاب الآخرة. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «بعثت بين يدى الساعة» ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ على التبليغ ﴿فهو لكم﴾ المعنى: «لا أسألكم عليه أجراً» والأجر الذى سألتكموه: هو لكم؛ لأن نفعه عائد عليكم «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى» ﴿وهو على كل شىء شهيد﴾ عالم به، ومطلع عليه ﴿قل إن ربى يقذف بالحق﴾ أى يلقيه وينزله إلى أنبيائه ﴿قل جاء الحق﴾ الإسلام ﴿وما يبدئ الباطل﴾ الكفر ﴿وما يعيد﴾ أى متى جاء الحق؛ فأى شىء بقى للباطل يبدؤه أو يعيده؟ ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ عند البعث ﴿فلا فوت﴾ فلا مهرب

التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّة وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اذْكُرُوا

﴿وأنى لهم التناوش﴾ التناول . أى وكيف لهم تناول الإيمان بعد فوات وقته ﴿ويقذفون بالغيب﴾ أى وقد كانوا يتكهنون بالغيب ؛ ويقولون : لابعث ، ولاحساب ﴿وحيل بينهم وبين مايشتهون﴾ أى حيل بينهم وبين النجاة من العذاب الذى هم فيه ، أو حيل بينهم وبين مايشتهون فى الدنيا: من مال ، وأهل ، وولد ، أو حيل بينهم وبين مايشتهونه : من الإيمان وقبوله منهم ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ أشباههم من الأمم السابقة .

(سـورة فاطر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما ابتداء من غير مثال سبق ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ إلى الأنبياء بكلامه وهدايته ، ورسلا إلى الناس بنقمته ورحمته! وهم من خاصة خلق الله تعالى . ومن خواصهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل . ولا حصر لهم عدداً ولا إحاطة بهم وصفاً ﴿أولى أجنحة﴾ ذوى أجنحة ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ أى إن لبعضهم جناحان ، ولبعضهم ثلاثة ، ولبعضهم أربعة ﴿يزيد﴾ تعالى ﴿فى الخلق ما يشاء﴾ أى يزيد فى خلق ملائكته ، أو يزيد فى أجنحتهم ؛ فقد رأى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام ــ على صورته ــ ساداً ما بين الأفق . وقيل : إن إسرافيل عليه السلام له اثنا عشر ألف جناح . والزيادة فى الخلق : تشمل كل خلق خلقه الله تعالى . فقد خلق تعالى الإنسان ؛ والزيادة فى خلقه : اعتداله وحسنه وجماله . وخلق العينان ؛ والزيادة فى خلقهما : حورهما . وخلق الصوت والزيادة فى خلقه : ملاحته وحلاوته . وخلق الخط ؛ والزيادة فى خلقه : وضوحه وحسنه . وخلق الشعر ؛ والزيادة فى خلقه : إرساله وتهدله ونعومته ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ رزق ، أو مطر ، أو صحة ، أو ما شا كل ذلك

اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾

﴿ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ فاعبدوه واشكروا له ! ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء﴾ بما ينزله من أمطار ، ويجريه من أنهار ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ بما يخرجه من نبات وأقوات ، وثمار وأزهار ﴿لا إله﴾ يعبد ﴿إلا هو﴾ له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء الجميل ! ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن عبادته ؛ وأنتم لاترزقون إلا بسببه ، ولا تنعمون إلا بسببه ! ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أتباعه وأولياءه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ بسبب طاعتهم له ، وانغماسهم فى كفرهم ومعاصيهم ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ زينه له شيطانه ، ورغبته فيه نفسه ﴿فرآه حسناً﴾ وهو فى الحقيقة أقبح من القبح ، وأسوأ من السوء ! والجواب محذوف تقديره «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً» كمن هدى إلى الصراط المستقيم؟ «لايستوون» ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء﴾ يضل من يشاء إضلاله ؛ بسبب انصرافه عن آيات ربه ؛ بعد أن جاءته بينات محكمات ، وبعد أن أدخلها الله تعالى فى لبه ، وسلكها فى قلبه ! ولاتنس قول الحكيم العليم «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» وقوله جل شأنه «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ أى لاتقتل نفسك عليهم غماوحسرة ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ مجدب ؛ لا نبات فيه ﴿فأحيينا به الأرض﴾ أى أحيينا الأرض بالمطر المستكن فى السحاب ؛ فأنبتت بعد جدبها ﴿كذلك النشور﴾ أى مثل إحيائنا للأرض الميتة : كذلك يكون بعثكم وإحياؤكم

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

إن

﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فى الدنيا والآخرة؛ فلا تنال بالمال، ولا بالولد، ولا بالجاه؛ وإنما تنال بطاعة الله تعالى؛ فمن أرادها فليعمل عملا صالحاً يؤهله لنيلها ﴿إليه﴾ تعالى ﴿يصعد الكلم الطيب﴾ وهو كل كلام يتقرب به إلى الله تعالى؛ ويدخل فيه قوله تعالى «وقولوا للناس حسناً» فكل قول حسن؛ هو من الكلم الطيب. وكذلك قوله جل شأنه «وقولوا لهم قولا معروفا» و«الكلم الطيب» من أسباب العزة عند الله، وعند الناس؛ وصعود الكلم الطيب إليه تعالى: معناه أنه جل شأنه يعلمه، ويسرع بالجزاء عليه، ويحسن إلى صاحبه! ﴿والعمل الصالح﴾ العبادة الخالصة ﴿يرفعه﴾ أى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ فقد يكون الكلم الطيب رياء، أو مداهنة. أو «والعمل الصالح» يرفع عامله إلى مصاف الأتقياء. وقيل: «والعمل الصالح يرفعه» الكلم الطيب. يؤيده قراءة من قرأ «والعمل الصالح» بالنصب. هذا «والعمل الصالح» غير قاصر على العبادات فحسب؛ بل يشمل سائر الأعمال والمصنوعات التى يعهد بعملها إلى الناس. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» وما من شك أن الأعمال الصالحة المتقنة: ترفع صاحبها عند الله وعند الناس؛ فيزداد بها علوا ورفعة! ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أى المكرات السيئات ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ يفسد ويبطل ﴿والله خلقكم من تراب﴾ أى خلق أصل الإنسان «آدم» من تراب ﴿ثم﴾ خلقكم ﴿من نطفة﴾ منى. (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أصنافاً، أو ذكراناً وإناثاً ﴿وما يعمر من معمر﴾ المعمر: طويل العمر. أى ما يزاد فى عمر طويل العمر ﴿ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ؛ مكتوب فيه تلك الزيادة، وذلك النقصان. قيل: إن الزيادة: هى ما يستقبله من عمره، والنقصان: ما يستدبره منه. ونقصان الأعمار وزيادتها: أمر مسلم به، مقطوع بوقوعه: فالإحسان، وبر الوالدين، والصدقة، وصلة الرحم؛ فهى ـ فضلا عن أنها مرضاة للرب ـ تطيل الأجل، وتزيد القوة، وتنمى الصحة، وتضفى السعادة! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره ـ عمره ـ فليصل رحمه» وقد ورد أنه مكتوب فى اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا؛ فإن وصل رحمه: زيد فى عمره كذا! ﴿إن ذلك﴾ النقصان والزيادة ﴿على الله يسير﴾ هين لا يشق عليه ﴿وما يستوى البحران﴾ الملح والعذب ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة والحلاوة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿ومن كل﴾ منهما ﴿تأكلون لحماً طريا﴾ هو السمك ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ هى اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك﴾ =

= السفن ﴿فيه مواخر﴾ مخرت السفينة الماء : أى شقته ﴿لتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة والكسب ﴿يولج﴾ يدخل ﴿الليل فى النهار﴾ بنقصان الليل ، وزيادة النهار ﴿ويولج النهار فى الليل﴾ بنقصان النهار ، وزيادة الليل ﴿والذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دونه﴾ غيره ﴿لا يملكون من قطمير﴾ وهو القشرة الرقيقة الملتفة على النواة . وهو مبالغة فى القله ، والحقارة . أى انهم لا يملكون شيئاً مطلقاً

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

﴿إن تدعوهم﴾ تنادوهم ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أى يتبرأون منكم ، ومن عبادتكم لهم ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لسائر الناس : غنيهم قبل فقيرهم ، وسليمهم قبل سقيمهم ، وقويهم قبل ضعيفهم ؛ يقول لهم ربهم ، وخالقهم ، ومالكهم ﴿أنتم﴾ جميعاً ﴿الفقراء﴾ المحتاجون ﴿إلى الله والله﴾ وحده ﴿هو الغنى﴾ المستغنى بنفسه عن غيره ﴿الحميد﴾ المحمود فى صنعه ! والفقر : هو الافتقار ؛ وجميع الناس - على اختلاف طبقاتهم ، وتباين أجناسهم - مفتقرون إليه تعالى فى كل شئونهم ؛ فالغنى لا يكون إلا بأمره ، والسعادة لا تكون إلا بمشيئته ، والسلامة لا تتم إلا بإرادته ، والحاجة دائماً إليه ، والاستعانة دائماً به ! ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لاتحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ﴿وإن تدع مثقلة﴾ أى ان تدع نفس مثقلة بالذنوب ﴿إلى حملها﴾ أى إلى حمل حملها الثقيل من الذنوب ﴿لا يحمل منه شىء ولو كان﴾ المدعو للحمل ﴿ذا قربى﴾ «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ؛ لكل امرىءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه» ﴿ومن تزكى﴾ تطهر بفعل الطاعات ، وبترك المعاصى ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ لأن ثواب ذلك عائد إليه وعليه ﴿ومايستوى الأعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن ، أو الجاهل والعالم ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ الكفر والإيمان ، أو الجهل والعلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ الحق والباطل ، أو الجنة والنار ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ أى الذين دخلوا فى الإسلام ، ومن لم يدخلوا فيه . ويصح أن يكون جميع ما تقدم على ظاهره ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾ أى كما أنك لا تسمع الموتى - سكان القبور - فكذلك لا تستطيع إسماع الكفار : موتى القلوب !

﴿وإن من أمة إلا خـلا فيها نذير﴾ أى وما من أمة سبقت ؛ إلا مضى فيها رسـول ينذرهم سوء عاقبة الـكفران ، ويخوفهم وخامة الظلم والطغيان ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الآيات الواضحات ﴿وبالزبر﴾ الصحف ﴿وبالـكتاب المنير﴾ الواضح ؛ كالتوراة والإنجيل ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ عذبتهم ؛ بسبب تكذيبهم لرسلهم ، وإنكارهم لـكتبهم ﴿فـكيف كان نـكير﴾ إنـكارى عليهم ، وتعذيبى لهم ﴿فأخرجنا به ثمرات﴾ فاكهة ﴿مختلفاً ألوانها﴾ كحمرة التفاح وصفرته ، وبياض العنب وسواده ، واختلاف ألوان الفاكهة



بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ

الْحَقُّ

وطعومها ؛ مع سقياها بمـاء واحد «يسقى بمـاء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل» ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾ طرق لونها أبيض ، وأخرى لونها أحمر ؛ وهذا مشاهد يعرفه كل من ارتاد الجبال وطرقاتها ، ورأى مفاوزها ومسالـكها. وقد رأيت ذلك رأى العين ـ ورآه الـكثيرون ـ بجبال مكة المشرفة ! ﴿وغرابيب سـود﴾ أى وطرق سوداء حالـكة السواد. يقال : أسود غربيب. ومنه الغراب لسواده ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ الاختلاف الظاهر فى الثمرات ، والجبال والطرق ﴿إنما يخشى الله﴾ حق خشيته ، ويعرفه حق معرفته ﴿من عباده العلماء﴾ الذين يعلمون رحمته ونقمته ، وعفوه وبطشه ، وحلمه وقهره ، ومغفرته وعذابه ؛ ويعلمون أنه تعالى على كل شىء قدير !

والعلم : هو فى نفسه غاية الغايات ، ونهاية النهايات ؛ ألا ترى أنه يرشدك إلى بارئك ، ويلهمك ما ينجيك ، ويطلق عقلك من عقال الأوهام ، ويقاوم التعصب والتقليد ، وينزه فـكرك من القيود ، ويوصلك إلى المعرفة الخـالصة ، والحق المجرد ! وكل علم لا يصل بك إلى هذا المستوى ؛ فليس بعلم !

والعلم أيضاً وسيلة سامية ، لغايات بالغة السمو : فبغير العلم لا تستطيع أن تعالج مشاكل الحياة علاجا سليماً محكماً ، وبغيره لا تستطيع أن تحمى نفسك وتدفع عنها إيذاء المؤذين ، وعدوان المعتدين !

فالعلم إذن يجمع بين الحق والقوة ، والسعادة والسيادة ، والعظمة والسلطان . فبالعلم استطاع الإنسان ـ فى دفاعه عن نفسه ـ أن يستعمل اللسان والسنان ، وبالعلم استطاع أن يسخر المـاء والهواء ، والبخار والـكهرباء ؛ حتى صار الإنسان بعلمه : كمن يضع فى أصبعه خاتم سليمان ، ويجلس على بساطه !

أما رجال السياسة ؛ فهم ـ رغم غزارة علمهم ، وسعة مداركهم ـ غير جديرين بشرف الانتساب إلى العلم : لأنهم جعلوه وسيلة للخسران ، لا للعمران ، وللفناء ، لا للبقاء ! ومثلهم فى ذلك كمثل إبليس:

= حاز علم العلماء، وسلك سلوك الجهلاء! ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ ويعملون بما فيه ﴿وأقاموا الصلاة﴾ محافظين عليها فى أوقاتها ﴿وأنفقوا﴾ على الفقراء ﴿مما رزقناهم﴾ بفضلنا؛ لا بكسبهم ﴿سراً وعلانية﴾ من غير من، ولا أذى، ولارياء: يسرون فى النافلة «الصدقة» ويعلنون فى الفريضة «الزكاة» أو يسرون ستراً على الفقير، وجبراً لخاطره، ويعلنون ليقتدى بفعلهم من عداهم. أولئك ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ وهى طلب ثواب الله تعالى، والنجاة من عقابه!

الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا

هذا والتجارة معه تعالى من أربح التجارات وأحسنها، وأعلاها وأغلاها! (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ ما تقدمه من الكتب ﴿اصطفينا﴾ اخترنا ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالكفر، وتحمل الإثم، وذل المعصية ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهم الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم. أو هم الذين أعطوا الدنيا حقها، والآخرة حقها ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ لا يبغى من الدنيا مغنما، ولا يقرب محرماً!

وهذه الأصناف الثلاثة: هى التى عناها الله تعالى بقوله «وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون» فأصحاب الميمنة: هم المعنيون بقوله تعالى «ومنهم مقتصد» وأصحاب المشأمة: هم المعنيون بقوله «فمنهم ظالم لنفسه» والسابقون السابقون: هم المعنيون بقوله جل شأنه «ومنهم سابق بالخيرات» وهم السابقون إلى الخيرات والمكرمات! ﴿بإذن الله﴾ بأمره وتوفيقه ﴿جنات عدن﴾ أى جنات الإقامة ﴿الذى أحلنا﴾ أنزلنا ﴿دار المقامة﴾ دار الإقامة: وهى الجنة. وسميت بذلك: لأن الإقامة فيها مؤبدة ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ إعياء ﴿لايقضى عليهم فيموتوا﴾ ويستريحوا ﴿ربنا أخرجنا﴾ من النار، وأعدنا إلى الدنيا ﴿نعمل﴾ فيها عملا ﴿صالحاً غير الذى كنا نعمل﴾ من قبل. قال تعالى رداً عليهم ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ أى «أولم نعمركم» فى الدنيا الوقت الطويل الذى يتذكر فيه من أراد أن يتذكر، ويهتدى فيه من أراد أن يهتدى ﴿وجاءكم النذير﴾ محمد عليه الصلاة والسلام. وقيل «النذير» الشيب، أو موت الأهل والأحباب. والأول أحق بالصواب وأجدر

لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا

فِى

﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ ماغاب فيهما عن البصر، واحتجب عن الوهم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بخفايا القلوب ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض﴾ خلائف: جمع خليفة. أى يخلف بعضكم بعضاً فى تملك الأرض، والتمتع بخيراتها ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ أى عليه إثم كفره وعقوبته! ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً﴾ المقت: أشد البغض ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ خسراناً؛ وأى خسران أشق وأشد من خسران الجنة ونعيمها؟ وأى خسران أدهى وأنكى من الخلود فى جهنم وجحيمها؟! ﴿الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿أرونى ماذا خلقوا من الأرض﴾ أى ان الله تعالى عالم غيب السموات والأرض، ومبدعهما، وخالق من فيهما؛ وقد خلقكم تعالى شعوباً متعددة، وأمماً شتى، وأجناساً متباينة؛ ووالى ـ سبحانه وتعالى ـ خلقكم وإنشاءكم؛ فإذا ما انقرضت أمة؛ أخلف مكانها أمة أخرى، وإذا ما فنى شعب؛ أحل مكانه شعباً آخر. وجميع ذلك خلق الله تعالى؛ فماذا خلق آلهتكم فى هذه الأرض التى أنتم عليها؟ ﴿أم لهم شرك﴾ شركة مع الله ﴿فى﴾ خلق ﴿السموات أم آتيناهم كتابا﴾ مكتوباً يؤكد هذه الشركة ﴿فهم على بينة﴾ حجة ﴿منه﴾ أى من هذا الكتاب ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ باطلا ﴿إن أمسكهما﴾ مايمسكهما ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ غاية اجتهادهم فى الأيمان ﴿فلما جاءهم نذير﴾ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿مازادهم﴾ مجيؤه ﴿إلا نفوراً﴾ من الحق، وانصرافا عن الإيمان ﴿استكبارا﴾ منهم وعلوا

فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

(٣٦) سُورة يس مكية
إلا آية ٤٥ فمدنية
وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ

﴿فى الأرض ومكر السيء﴾ أى مازادهم مجيؤه إلا أن مكروا المكر السيء . والمكر : الخداع ﴿ولا يحيق﴾ يحيط ﴿فهل ينظرون﴾ ماينتظرون ﴿إلا سنة الأولين﴾ أى إلاطريقتنا مع الأولين : وهى تعذيبهم وقت تكذيبهم ، واستئصالهم وقت كفرهم ! ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المكذبين، وكيف فعلنابهم ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ أى أشد من أهل مكة ؛ فما أعجزونا ، وما استطاعوا النجاة من انتقامنا ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ ليفوته ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ بما ارتكبوا من المعاصى ﴿ماترك على ظهرها﴾ أى ظهر الأرض ﴿من دابة﴾ الدابة : كل مايدب على وجه الأرض ؛ من إنسان ، أوحيوان ، أوغيرهما ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ هو القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ فيجازيهم على ما عملوا .

﴿سورة يس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يس﴾ هو اسم الرسول الأعظم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . وقيل : معناه : يا إنسان ؛ فى لغة طيء . وقيل معناه : ياسيد البشر . وقيل: بل هو اسم من أسمائه تعالى ؛ لذا منع مالك رضى الله تعالى عنه التسمى به . وهو قسم ؛ يدل عليه عطف القسم الآخر ﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكم الذى لا يعتريه نقص ، ولا يشوبه تناقض أو بطلان . وجواب القسم :

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ

إلّا

﴿إنك﴾ يامحمد ﴿لمن المرسلين﴾ وإنك ﴿على صراط مستقيم﴾ على طريق الهدى والاستقامة ؛ طريق من تقدمك من الأنبياء . وهو رد على الكافرين القائلين «لست مرسلا» ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ وهو القرآن ﴿لتنذر﴾ به ﴿قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ أى لم يأت آباءهم قبلك نذير مثلك ؛ بكتاب مثل كتابك ﴿فهم غافلون﴾ عن خالقهم ، منصرفون إلى إفكهم وباطلهم . أو «ما» بمعنى الذى . أى لتنذر قوماً بالذى أنذر به آباؤهم . والأول أولى ؛ لأن أمة العرب ظلت فترة طويلة من الزمن ؛ بغير نبى يرسل إليهم ، أو كتاب ينزل عليهم . يؤيده قوله تعالى «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» ﴿لقد حق القول﴾ وجب العذاب ﴿إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ جمع غل ؛ ويكون الغل فى الأعناق ، والقيد فى الأيدى ﴿فهم مقمحون﴾ مرتفعة رؤسهم ؛ لا يستطيعون تحريكها ؛ لضيق الغل وتحكمه عند أذقانهم . وذلك يكون يوم القيامة . وجاء السياق بصيغة الماضى «إنا جعلنا» لتحقق الوقوع . أو هو تشبيه على سبيل التمثيل ؛ وذلك لأنهم امتنعوا عن الاهتداء ؛ امتناع المغلول ، وأنهم ــ على ماهم عليه من ذلة الكفر ــ مشرئبوا الأعناق ، رافعوا الرؤس ﴿فأغشيناهم﴾ أى غطينا على أبصارهم ، وجعلنا عليها غشاوة ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ أى إنما ينفع إنذارك ويتقبله من اتبع القرآن ﴿وخشى الرحمن بالغيب﴾ خافه ولم يره ، وصدق بجنته وناره ، وثوابه وعقابه ﴿إنا نحن نحيى الموتى﴾ للحساب والجزاء ﴿ونكتب ما قدموا﴾ من عمل : خير أو شر ؛ فنجازيهم عليه ﴿و﴾ نكتب ﴿آثارهم﴾ ماسنوه من سنة حسنة أو سيئة ؛ فإن الله تعالى يجزيهم عمن اتبعها بعدهم ؛ ثواباً أو عقاباً ﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية﴾ انطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ رسل عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ بأمر ربه تعالى ﴿فعززنا﴾ قوينا الرسالة ﴿بثالث﴾ هو كبير الحواريين ﴿فقالوا﴾ أى قال الرسل الثلاثة ﴿قالوا﴾ أى أصحاب القرية ؛ المرسل إليهم

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ فما الذى يدعو إلى اختصاصكم بالرسالة من دوننا ﴿وما أنزل الرحمن﴾ عليكم ﴿من شىء﴾ من وحيه ﴿قالوا﴾ أى قال أصحاب القرية لرسلهم ﴿إنا تطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿لئن لم تنتهوا﴾ ترجعوا عن دعوتكم ﴿قالوا﴾ أى قال الرسل لأهل انطاكية ﴿طائركم﴾ شؤمكم الذى تزعمونه ﴿معكم﴾ ملصق بكم؛ لكفركم بإلهكم وعدم انقيادكم لمولاكم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) ﴿أئن ذكرتم﴾ استفهام. أى أئن وعظتم وخوفتم: تطيرتم وكفرتم؟! ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ فى الكفر ﴿ومالى لا أعبد الذى فطرنى﴾ أى أى شىء يحول بينى وبين عبادة الذى أنشأنى وخلقنى؟ ﴿وإليه ترجعون﴾ جميعاً؛ فيحاسبكم على عملكم، ويدخلكم النار بكفركم ﴿أأتخذ من دونه﴾ غيره ﴿آلهة﴾ كما اتخذتم ﴿إن يردن الرحمن﴾ أى إن يرد أن يلحقنى ﴿بضر﴾ بمرض، أو فقر، أو آفة ﴿لا تغن عنى﴾ لا تنفعنى ﴿شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون﴾ مما أراده الله تعالى ﴿إنى إذاً﴾ إن اتخذت إلهاً من دون الله ﴿لفى ضلال مبين﴾ واضح ظاهر ﴿قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون﴾ أى سيقال له يوم القيامة: «ادخل الجنة» وسيقول يومئذ: «ياليت قومى يعلمون» لأنه لما كان دخوله الجنة محققاً مقطوعاً به: ذكرت القصة بصيغة الماضى، كقوله تعالى «أتى أمر الله» «وبرزوا لله جميعاً» أو قيل له ذلك عند موته؛ فقال «ياليت قومى يعلمون»

(وما أنزلنا على قومه من بعده) أى من بعد موته (من جند من السماء) لقتالهم وإهلاكهم (إن كانت إلا صيحة واحدة) صاحها عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام . والصيحة : العذاب ؛ أو هى مقدمة لكل عذاب (فإذا هم خامدون) ميتون (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون) الأمم (أنهم إليهم لا يرجعون) هو رد على من يقول بتناسخ الأرواح ، ورجوعها إلى أبدان غير أبدانها (وإن كل لما جميع) وما كل إلا جميع (لدينا محضرون) يوم القيامة ؛ فنعذب من كفر بكفره (وآية لهم) علامة دالة على البعث ، ويسر الإعادة (الأرض الميتة) الجدبة ، التى لا تنبت (أحييناها) بالنبات (وأخرجنا منها حباً) كالقمح ، والذرة ، والفول ، والعدس ، وماشاكلها (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (ليأكلوا من ثمره) أى ثمر النخيل والأعناب ، وماتنتجه البساتين من فاكهة وثمار (وماعملته أيديهم) «ما» نافية . أى «ليأكلوا من ثمره» الذى صنعته لهم بقدرتى ، وأسبغته عليهم بفضلى، ولم ينالوه بعمل أيديهم ؛ فكم من أرض خصبة : اختصها الإنسان بالحرث والبذر ، واصطفاها بالسقى والرى ؛ فأصبحت بفضل التفاته لها ، وعنايته بها جدبة ممحلة ! ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى ؛ أى «ليأكلوا من ثمره» وليأكلوا أيضاً من الذى «عملته أيديهم» من شتى الأصناف والأنواع : حلاوات وأطعمة ، وأدهان وأدوية ، وغير ذلك ؛ وكله مستخرج من الثمر ، الذى خلقه بارئ البشر ؛ من حدائق ذات بهجة ، ما كان لهم أن ينبتوا شجرها ! «رزقاً للعباد» (سبحان الذى خلق الأزواج) الأصناف والأنواع ؛ باختلاف الألوان ، والطعوم ، والأشكال ، والأحجام (ومن أنفسهم) أى ومن أنفسهم أيضاً خلق تعالى أزواجاً : ذكراناً وإناثاً ، طوالا وقصاراً سماناً وعجافاً ، بيضاً وسوداً ، حمراً وصفراً (ومما لا يعلمون) من مخلوقاته تعالى فى البر والبحر ، والأرض والسماء «فتبارك الله أحسن الخالقين» (وآية لهم) علامة دالة على قدرتنا ، وعظمتنا ، ووحدانيتنا (الليل نسلخ منه النهار) أى نفصله وننزعه منه (والشمس تجرى) فى منازلها (لمستقر لها) وهو أبعد منازلها ؛ ثم تعود إلى أدناها . أو المراد بذلك يوم القيامة ؛ حيث يكورها الرحمن ؛ فتسكن عن الجريان ! ورووا عن ابن عباس ، وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما قراءة «والشمس تجرى لامستقر لها» والإجماع على بطلانها ؛ لمخالفتها رسم المصحف الإمام . وشمسنا هذه التى نراها ، والتى تضىء الكون بمحياها : إن هى إلا واحدة من شموس لايعلم مداها . وهذه الشموس لاتقل عن أربعين مليوناً : حساباً وعداً . ومن هذه الشموس =

* وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ (٢٩) يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٣٨)

= ما يزيد فى الحجم عن شمسنا هذه أربعين ضعفا ، ويربو فى الضوء والحرارة عن ذلك . وبعض هـذه الشموس يرى فى الفضاء كالذرة الصغيرة ؛ لبعده عنا بعداً سحيقاً ؛ فقد سجلوا أن الشعرى اليمانية ـ وهى تبدو كأصغر نجم فى السماء ـ تبعد عن الأرض بحوالى اثنين وخمسين بليوناً من الأميال(1)، وأنه لولا هذا البعد السحيق : لذابت الأرض بما فيها ومن فيها من حرارتها !

وحول هذه الشموس ـ التى لا تحد ولا تعد ـ كواكب كثيرة تدور فى فلكها ؛ كما تدور أرضنا هذه فى فلك شمسنا ؛ وما يدرينا ما فى هـذه الشموس ، وهذه الكواكب من مخلوقات ، وما تحتويه من كائنات ؛ لا يعلمها سوى خالقها وبارئها العليم الحكيم !

وشمسنا هـذه ـ رغم ضآلتها وحقارتها بجانب الشموس الأخرى ـ لو دنت قليلا من الأرض : لفارت البحار والمحيطات ؛ من شدة الغليان ، ولتبخر ما فيها من مياه ، ولانصهر أشد أنواع الصخور صلابة . فانظر ـ يارعاك الله ـ إلى بديع صنع الله !

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿والقمر قدرناه منازل﴾ يتنقل فيها ﴿انظر آية ٦١ من سورة الفرقان﴾ ﴿حتى عاد كالعرجون﴾ العرجون: العذق ؛ وهو من التمر كالعنقود من العنب ﴿القديم﴾ حين يجف ويصفر ويتقوس ﴿لا الشمس ينبغى لها﴾ لايجوز لها ، ولا يمكنها ؛ لما أحاطها الله تعالى به من ضروب الحفظ ، وما سخره لسيرها من ملائكته وخزنته ؛ فلا ينبغى لها ﴿أن تدرك القمر﴾ وأنى لها أن تدركه ؛ وقد وضع لها خالقها نظاماً لا يمكنها من إدراك القمر ؛ لو سعت إلى ذلك وأرادته . قال تعالى «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» ﴿وكل﴾ من الشمس والقمر ﴿فى فلك﴾ خاص به ، لا يتعـداه إلى غيره ﴿يسبحون﴾ يسيرون فى الهواء كسير السابح فى الماء ﴿وآية لهم﴾ علامة أخرى دالة على قدرتنا وحفظنا وكلاءتنا ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ أى ذرية الأمم المتقدمة : حملهم الله تعالى ﴿فى الفلك﴾ السفينة . والمراد بهم قوم نوح عليه السلام،أو المراد: ذرية كفار مكة . أو المراد بالذرية: الآباء ؛ وهى من أسماء الأضداد . والمعنى : حمل الله تعالى آباءهم وهم فى أصلابهم ﴿المشحون﴾ المملوء ناساً ومعاشاً ﴿فلا صريخ لهم﴾ أى فلا يستطيعون الصريخ ، أو فلا يستجاب لصريخهم ﴿إلا رحمة منا﴾ لمن ننجيه ﴿ومتاعاً﴾ تمتيعاً له بالحياة ﴿إلى حين﴾ إلى حين انقضاء أجله ﴿وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم﴾ =

(1) البليون : مليون المليون .

= أى خافوا قدرتنا على تعذيبكم فى الدنيا : بالمرض والفقر ، أو القتل والأسر. وفى الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! أو «مابين أيديكم» ما ظهر لكم «وما خلفكم» ما غاب عنكم ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ وهكذا الكفار فى كل زمان ومكان : إذا ضاقت بهم الحيل ، وأغلقت فى وجوههم السبل : لجأوا إلى تافه القول ، وفاسد الحجج ، وتلاعبوا بالحقائق تلاعب الصوالجة بالأكر ، ولاكوا بأفواههم الألفاظ الطنانة الجوفاء ؛ فقد تهربوا من إطعام الطعام بقولهم «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» كما دافعوا - عن جهلهم وحمقهم ، وعبادتهم الأحجار التى لا تضر ولا تنفع - بقولهم «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» وكما احتجوا عن كفرهم وتعنتهم بالقضاء والقدر «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا» .

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ

جِبِلًّا

هذا وقد لجأ الناس فى آخر الزمان إلى التلاعب بالألفاظ ، والتمويه بالأسماء : فسموا الفوضى: حرية . والشيوعية : عدالة اجتماعية . والظلم:عدلا، والاستبداد: نظاماً. والشورى: ضعفاً . والرشوة : هدية . والمحاباة : صلة رحم . والإهمال : أناة . والتهور : شجاعة . والقسوة : حزما ! وهكذا فسدت المقاييس ، واختلت المعايير ؛ تبعاً للأهواء المردية ! ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالبعث والحساب والعقاب ﴿ماينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿إلاصيحة واحدة﴾ هى نفخة إسرافيل الأولى ؛ وبها يكون فناء سائر الأحياء ﴿تأخذهم﴾ تهلكهم ﴿وهم يخصمون﴾ يختصمون فى البيع والشراء ، والقضاء ﴿ونفخ فى الصور﴾ النفخة الثانية ؛ وبها يحيا كل ميت : يحيى بها الله تعالى الأموات ، كما أمات بالأولى الأحياء : يعيدهم - جل شأنه - كما خلقهم أول مرة «كما بدأكم تعودون» ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ القبور ﴿ينسلون﴾ يخرجون مسرعين ﴿هـذا ما وعد الرحمن﴾ بوقوعه ﴿وصدق المرسلون﴾ فى إبلاغهم ذلك عن ربهم . وهذا القول رد من الملائكة على سؤال الكافرين «من بعثنا من مرقدنا ؟» ﴿إن كانت﴾ ما كانت ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يصيحها إسرافيل عليه السلام فى سائر الأموات : أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، والشعور المتمزقة ؛ إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ! وهذا معنى قوله تعالى «يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج» ﴿إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل﴾ ما يشغلهم عن التفكر فيما عانوه فى الدنيا ﴿فاكهون﴾ متنعمون ومنه سميت الفاكهة : لما يلقاه آكلها من شعور بالنعيم ، وتلذذ بالنعمة ! ومنه الفكاهة ؛ لانبساط النفس وانشراحها بها ﴿على الأرائك﴾ السرر ، أو الفرش ﴿ولهم ما يدعون﴾ =

= ما يتمنون ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ أى يسمعون صوت الرحيم الرحمن ؛ يقول لهم فى الجنان ، بصوت لايحيط به الجنان : سلام عليكم ! «ويلقون فيها تحية وسلاماً» ﴿وامتازوا﴾ أى انفردوا عن المؤمنين ﴿أيها المجرمون﴾ الكافرون . ويقال لهم وقتذاك ﴿ألم أعهد إليكم﴾ آمركم ﴿يابنى آدم﴾ على لسان رسلى ﴿ألا تعبدوا الشيطان﴾ ولا تطيعوه ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ عاهد نفسه على إضلالكم ، وأقسم على إغوائكم «فبعزتك لأغوينهم أجمعين» ﴿وأن اعبدونى﴾ وحدى ، وأطيعونى ﴿هذا﴾ الاتباع والعبادة ﴿صراط﴾ طريق ﴿ولقد أضل﴾ الشيطان ﴿منكم جبلا كثيراً﴾ خلقاً كثيراً ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ ذلك ؛ حين رأيتم وقوع غيركم فى الضلال ﴿اصلوها﴾ ادخلوها ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ نخرسهم فلا يتكلمون ؛ لأنهم لا ينطقون إلا كذبا ؛ أرأيت قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أعميناها فى الدنيا ﴿فاستبقوا الصراط﴾ ابتدروا طريق الشر والكفر ﴿فأنى يبصرون﴾ فكيف يبصرون ؛ بعد أن أعميناهم ؟ ولكننا لعدلنا ورحمتنا : هديناهم الطريق ، وأوضحنا لهم السبيل «فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا» قال تعالى «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» أو المراد «لطمسنا على أعينهم» أعميناها فى الآخرة ؛ كما أخرسنا ألسنتهم «قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً» ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أى لمسخناهم فى منازلهم ، وفى أماكنهم ؛ حيث يجترحون المآثم ، ويرتكبون العظائم ؛ لجعلناهم قردة ، أو خنازير ، أو أحجاراً ؛ كما مسخنا غيرهم ﴿فما استطاعوا﴾ بعد مسخهم ﴿مضياً﴾ فى سيئاتهم ﴿ولا يرجعون﴾ وما استطاعوا رجوعا عن غيهم وكفرهم . أولم يستطيعوا ذهاباً ولا مجيئاً ﴿ومن نعمره﴾ نطل عمره ﴿ننكسه فى الخلق﴾ أى نغير حاله : من قوة إلى ضعف ، ومن شباب إلى هرم ، ومن جمال إلى قبح ﴿وماعلمناه الشعر﴾ أى ماعلمنا محمداً الشعر؛ حتى تتهمونه بأنه شاعر ، وأن ما جاء به من جنس الشعر ﴿وما ينبغى له﴾ ما يجوز له أن يكون شاعراً ﴿إن هو﴾ ما هو ؛ أى القرآن الذى أتى به محمد ﴿إلا ذكر﴾ عظة ﴿وقرآن مبين﴾ واضح ، مظهر للأحكام ، ولكل ما تحتاجون إليه ﴿لينذر﴾ به ﴿من كان حياً﴾ ذا قلب ولب ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ أى يجب عليهم العذاب الموعود ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ أى مما خلقناه من غير شريك ، ولا معين ﴿أنعاماً﴾ هى الإبل ، والبقر ، والغنم ﴿وذللناها لهم﴾ سخرناها لهم ﴿ولهم فيها منافع﴾ من أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها ﴿ومشارب﴾ من ألبانها

جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا

يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة

﴿واتخذوا﴾ عبدوا ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿لعلهم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعتها كزعمهم ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي إن آلهتهم التي علقوا آمالهم عليها في النصر؛ ستحضر معهم في النار «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» ﴿نطفة﴾ مني . (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ شديد الخصومة لنا ﴿وضرب لنا مثلا﴾ بقوله «من يحيي العظام وهي رميم» ﴿ونسي خلقه﴾ أي نسي خلقنا له أول مرة ، ولم يك شيئاً ! ﴿إنما أمره﴾ تعالى ﴿إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ هذا تقريب لأفهامنا والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً : كان ؛ بغير حاجة للفظ «كن» ﴿فسبحان﴾ تنزيه وتقديس لله تعالى . (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ﴿الذي بيده ملكوت﴾ ملك ﴿كل شيء﴾ والقدرة عليه . والملكوت : الملك ، والعز ، والسلطان ﴿وإليه ترجعون﴾ يوم القيامة ؛ فيحاسبكم على ما اجترحتم .

(سورة الصافات)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصافات صفاً﴾ الملائكة تصطف فى العبادة ، أو تصف أجنحتها . قال تعالى على لسانهم «وإنا لنحن الصافون» أو هم المؤمنون يصطفون للصلاة . وقيل : الطير ؛ لأن فى صفها وقبضها ، وإمساكها فى الهواء ؛ من آيات الله تعالى ودلائل قدرته ما فيه ! ﴿فالزاجرات زجراً﴾ الملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله تعالى ، أو هم المؤمنون : الزاجرون الناس عن المعاصى ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ! ﴿فالتاليات ذكرا﴾ الذين يتلون القرآن ؛ من سائر المخلوقات . والتأنيث فى الجمع هنا على اعتبار أنه جمع طائفة ، أو جماعة .

وقيل فى هذه الآيات: إنها فى المجاهدين ؛ يصفون للقتال فى سبيل الله ، ويزجرون الخيل للجهاد ، ويتلون الذكر طلباً للنصر! أقسم الله تعالى بملائكته ، وصفوة عباده ، والمجاهدين فى سبيله ، والآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، المنقطعين لعبادته ، العاكفين على تلاوة كتابه . وجواب القسم ﴿إن إلهكم لواحد﴾ لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه ﴿رب السموات والأرض﴾ وما فيهما ﴿وما بينهما﴾ من مخلوقات ، وعجائب ؛ لا يعلمها ، ولا يحيط بها إلا خالقها ﴿ورب المشارق﴾ جمع مشرق ؛ وذلك لأن الشمس لها فى كل يوم مشرق ومغرب ؛ بعدد أيام العام . أو هو مشرق كل نجم ، وكل كوكب . ومشرق الشىء : نوره وطلوعه ﴿إنا زينا السماء الدنيا﴾ وهى أول سماء تلى الأرض ﴿بزينة﴾ وأى زينة ! ﴿الكواكب﴾ جمع كوكب ؛ وهى النجوم ﴿وحفظاً من كل شيطان مارد﴾ متمرد ، عنيد ، جبار ﴿لايسمعون﴾ لايتسمعون . أى لايستطيعون التسمع ﴿إلى الملإ الأعلى﴾ الملائكة فى السماء ﴿ويقذفون﴾ أى الشياطين الذين يحاولون استراق السمع : تقذفهم الملائكة بالشهب ﴿دحوراً﴾ طرداً . والدحور : الطرد والإبعاد . قال تعالى على لسانهم «وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً» ﴿ولهم عذاب واصب﴾ دائم ، موجع . من الوصب : وهو المرض الذى يصل إلى القلب ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ شعلة من نار تحرقه . والثاقب : النافذ ؛ الذى يثقب . والشهب : هى التى ترى فى الأفق ، كأنها كواكب منقضة ﴿فاستفتهم﴾ اسألهم ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أعظم خلقة ، وأمتن بنية ، وأشق إيجاداً =

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا

لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾

= ﴿أم من خلقنا﴾ من السموات والأرضين ، وما فيهما من كائنات ومخلوقات . والمراد : كل ما عدا بنى آدم : من الملائكة ، والجن ، والسموات والأرضين ، والكواكب ، والبروج ، وغير ذلك مما لا يدركه الوصف ، ولايحيط به الوهم ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ لازم ؛ أى يلصق باليد ﴿بل عجبت﴾ من تكذيبهم لك ؛ مع وضوح حجتك ﴿ويسخرون﴾ مما أرسلت به ؛ وهو الحق ! ﴿وإذا ذكروا﴾ وعظوا بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ لايتعظون ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ أى إذا رأوا آية لك ، وعلامة على صدقك ؛ كانشقاق القمر ، ونبع الماء ، وما أفاضه الله تعالى عليك من بركات شهدتها الأرض والسماء ؛ إذا رأوا بعض ذلك : لم يكتفوا بالاستهزاء بك ؛ بل يحضون بعضهم بالسخرية عليك ﴿وقالوا إن هذا﴾ ما هذا الذى أبديته ﴿إلا سحر مبين﴾ ظاهر واضح ﴿أوآباؤنا الأولون﴾ أى هل يبعث آباؤنا الأولون أيضاً ؛ رغم قدمهم وبلاء أجسادهم ؟ ﴿قل نعم﴾ تبعثون أنتم وآباؤكم الأولون ﴿وأنتم داخرون﴾ ذليلون صاغرون ﴿فإنما هى زجرة واحدة﴾ هى أمر المولى جل وعلا باحياء الخلائق ، أو هى نفخة إسرافيل عليه السلام الثانية ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أحياء ينظر بعضهم لبعض ﴿وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين﴾ يوم الجزاء ﴿وأزواجهم﴾ أى أشباههم ، أو قرناءهم من الشياطين ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ أى وأصنامهم التى كانوا يعبدونها ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ دلوهم إلى طريق جهنم ، أو ادفعوهم إليه ﴿وقفوهم﴾ أى احبسوهم ﴿إنهم مسئولون﴾ عما قدموا ؛ فعذبون عليه ﴿مالكم لاتناصرون﴾ أى ما لكم لاينصر بعضكم بعضاً الآن ؛ كما كنتم تتناصرون فى الدنيا ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ عاجزون أذلاء ﴿قالوا﴾ أى قال الأتباع للمتبوعين ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أى عن طريق القوة والقهر . والمعنى : إنكم كنتم تحملوننا على الضلال قسراً وجبراً ﴿سلطان﴾ تسلط وقوة

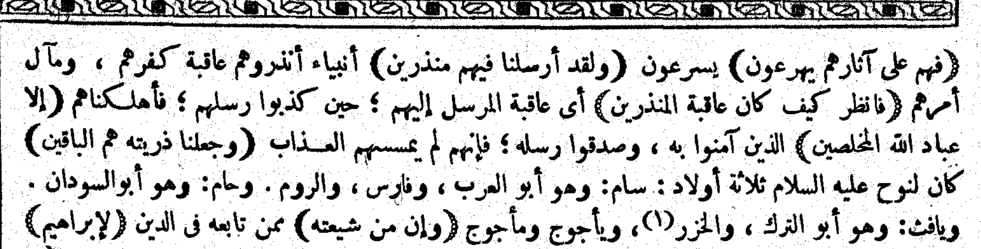
﴿إنا لذائقون﴾ العذاب ، وهومعنى قوله تعالى «إنكم لذائقوا العذاب الأليم» ﴿فأغويناكم﴾ أضللناكم ﴿إنا كنا غاوين﴾ ضالين مضلين ﴿ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا﴾ التى نعبدها وآباؤنا من قبلنا ﴿لشاعر مجنون﴾ يعنون سيد الفضلاء والعقلاء : محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ! وما هو بشاعر ولا مجنون ؛ بل خاتم الأنبياء وخير أهل الأرض والسماء ! «كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا !» ﴿بل جاء بالحق﴾ القرآن ﴿وصدق﴾ من سبقه وتقدمه من ﴿المرسلين﴾ فلم يكذب بأحدهم ؛ بل صدق بجميعهم ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ خمر يجرى على وجه الأرض ؛ كأنهار الماء التى ترى بالعين . ولا تسمى الكأس كأساً ؛ إلا إذا كانت ملأى ؛ وإلا فهى كوب ﴿بيضاء﴾ صفة للكأس ، أو صفة للخمر . وقرأ عبد الله «صفراء» ويؤيد أنها صفة للخمر قوله تعالى ﴿لذة للشاربين﴾ أى ليست كخمر الدنيا : كريهة الطعم ، فاسدة الرائحة ﴿لا فيها غول﴾ أى لا تغتال العقول كخمر الدنيا ؛ التى تجعل شاربها يهرف بما لا يعرف ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يسكرون ؛ فيخلطون . يقال : نزف الشارب : إذا ذهب عقله . أو المعنى : ولا هم عنها يصرفون ويمنعون ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ اللاتى يقصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا يطمحن بأعينهن الى غيرهم ﴿عين﴾ جمع عيناء ؛ وهى النجلاء : حسناء العين واسعتها ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبههن بالبيض المكنون فى البياض والصفاء ؛ وقد جرت عادة العرب فى تشبيه

لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى

النساء ؛ بقولهم : بيضات الخدور ﴿فأقبل بعضهم﴾ أى بعض أهل الجنة ﴿على بعض يتساءلون﴾ عما مر بهم فى الدنيا ؛ وذلك على سبيل المسامرة وقت الشراب ﴿قال قائل منهم إنى كان لى قرين﴾ صديق مقارن لى فى الدنيا

(يقول) لى متعجباً (أئنك لمن المصدقين) أى كان ينكر علىّ تصديق وإيمانى بالبعث (أئنا لمدينون) أى أئنا لمحاسبون ومجزيون؟ (قال) هذا القائل لإخوانه؛ الذين يتكلم معهم، ويذكر لهم أخبار قرينه فى الدنيا؛ الذى كان ينكر البعث والجزاء؛ قال (هل أنتم مطلعون) أى هل أنتم ناظرون معى إلى النار؛ لننظر حاله وما صار إليه الآن عقوبة على إنكاره وتكذيبه (فاطلع) فنظر إلى النار هو ومن معه من أهل الجنة (فرآه) رأى قرينه (فى سواء الجحيم) فى وسط النار. (قال) مخاطباً قرينه فى النار (تالله) قسم فيه معنى التعجب (إن كدت) قاربت (لتردين) لتهلكنى معك بإغوائك لى (ولولا نعمة ربى) لطفه ورحمته: أن هدانى للإيمان (لكنت من المحضرين) معك فى النار (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى) التى متناها فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) بعد أن تداركتنا نعمة الله تعالى فى الدنيا بالإيمان، وفى الآخرة بالنجاة من النيران! وهو استفهام تلذذ، وتحدث بنعمة الله تعالى وتقرير لتأبيد الحياة المنعمة، وانعدام التعذيب (إن هذا) التنعم الخالد (لهو الفوز العظيم) الذى لا يدانيه فوز! (لمثل هذا) النعيم الدائم (فليعمل العاملون) فى الدنيا (أذلك) النعيم (خير نزلا) النزل: ما يعد لإكرام الضيف (أم شجرة الزقوم) هى من أخبث الشجر المر؛ ويوجد منه بتهامة. ينبتها الله فى الجحيم؛ لتكون طعاماً لأهلها (إنا جعلناها) أى جعلنا ذكر هذه الشجرة، وأنها «تخرج فى أصل الجحيم» (فتنة للظالمين) اختباراً للكافرين؛ حيث قالوا: إن النار تحرق الشجر؛ فكيف تنبته؟ وفاتهم أن الله تعالى هو وحده الذى اختص مخلوقاته بما شاء من مزايا؛ وهو جل شأنه، وتعالت قدرته؛ يرفع مزايا الأشياء إن شاء. ألا ترى أنه جل شأنه منع من النار مزية الإحراق؛ وجعلها برداً وسلاماً على ابراهيم حين شاء! (طلعها) ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) كرؤس الحيات القبيحة المنظر (ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم) لخلطاً من ماء حار؛ يشوى الوجوه، ويقطع الأمعاء (إنهم ألفوا) وجدوا

قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾



يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ

﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يسرعون ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ أنبياء أنذروهم عاقبة كفرهم، ومآل أمرهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أى عاقبة المرسل إليهم؛ حين كذبوا رسلهم؛ فأهلكناهم ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين آمنوا به، وصدقوا رسله؛ فإنهم لم يمسسهم العذاب ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ كان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد: سام: وهو أبو العرب، وفارس، والروم. وحام: وهو أبوالسودان. ويافث: وهو أبو الترك، والخزر(1)، ويأجوج ومأجوج ﴿وإن من شيعته﴾ ممن تابعه فى الدين ﴿لإبراهيم﴾ الخليل: جد نبينا عليهم الصلاة والسلام ﴿إذ جاء﴾ إبراهيم ﴿ربه بقلب سليم﴾ خالص من الشك والشرك ﴿أئفكا آلهة﴾ أى أتعبدون إفكا؟ والإفك: أسوأ الكذب ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ أتظنون أنه تارككم بغير حساب وعقاب؟! فانصرفوا عنه؛ بعد أن دعوه إلى مصاحبتهم ﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ أى نظر إلى السماء؛ موهما لهم أنه يستطلع أخبار النجوم ـ وقد كانوا ممن يعتقدون ذلك ـ والتفت إليهم ﴿فقال إنى سقيم﴾ أى عليل. وكانوا يخشون العدوى؛ ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أى أسرعوا بالابتعاد عنه.

وعلم التنجيم: علم قديم شائع ذائع. وقد شغف به كثير من المتقدمين، وأسسوا له أسساً، وبنوا له قواعد؛ وربطوا بين كل إنسان ومايتفق مع ولادته من طوالع الكواكب واقترانها، وقالوا بسعادة بعض الكواكب، ونحوسة بعضها. كما قالوا ـ تبعاً لذلك ـ بسعادة بعض المواليد، وشقاوة البعض الآخر. وما من شك أن هناك رابطة بين أجزاء الكائنات، وبالتالى بين الكواكب، وبين الكون الذى نحن فيه. كيف لا؟ والأرض كوكب من بين هاتيك الكواكب! أما تعلق الكواكب بسعادة بعض الناس، وشقاوة البعض الآخر؛ فما لايسلم به الفكر السليم؛ فكثيراً ما نرى أناساً ـ لا حصر لهم ـ يموتون فى الحروب؛ فى وقت واحد، وآخرين يموتون فى حرق أو غرق، وآخرين تحصدهم الأوبئة، وتجتاحهم الطواعين. فكيف اتفق لجميع هؤلاء الشقاوة والنحوسة، مع اختلاف طبائعهم، وتباين أوقات ميلادهم؟! وكثيراً ما نرى أيضاً الرجل صنو الرجل: فى مولده، وفى معيشته، وفى دراسته؛ فيفترقان: هذا فى قمة السعادة، وذروة المجد؛ وذاك فى حضيض البؤس، ودرك الفقر! ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ مال إليها سراً وخفية

---

(1) الخزر: جيل من الناس؛ وسموا بذلك: لخزر عيونهم؛ وهو ضيقها وصغرها.

(ضرباً باليمين) أى ضرباً بالقوة ؛ فكسرها (فأقبلوا إليه يزفون) يسرعون ؛ حينما رأوا ما حل بآلهتهم (قال أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) أى خلقكم ، وما تعملونه بأيديكم من الأصنام ؛ فكيف تعبدونها ؟ (وقال إنى ذاهب إلى ربى) متجه إليه ، ومتوكل عليه ؛ فإنه (سيهدين) إلى

فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

سَلَٰمٌ

معرفته ، وإلى سبل الرشاد (رب هب لى من الصالحين) أى ولداً من الصالحين (فلما بلغ معه السعى) أى لما بلغ الولد أن يمشى ، ويسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ؛ وهو إسماعيل جد نبينا ؛ عليهما الصلاة والسلام ، وقيل: هو اسحق . وأيد كلا القولين أقوام ، ولكل فريق أدلة ساقها ، ومراجع ذكرها ؛ ولكن الفؤاد يرتاح إلى أنه إسمعيل لا إسحق؛ يدل عليه قوله تعالى فى الآية المقبلة «وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين» صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين (قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : وحى (فلما أسلما) انقادا لأمره تعالى ، ولإرادته جل شأنه : أسلم الأب ابنه ، والابن نفسه ! (وتله للجبين) صرعه فى الأرض على جبينه ، ووضع السكين على حلقه (وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) وفعلت ما أوحينا به إليك ، وأمرناك به (إن هذا لهوالبلاء المبين) الاختبار البين (وفديناه بذبح عظيم) قيل : نزل له جبريل عليه السلام بكبش عظيم ؛ فذبحه مكان ابنه .

والقرآن الكريم لم يورد ما أورده من القصص عبثاً ؛ وإنما أورده للذكرى والاعتبار والاستبصار ! وقد أراد الله تعالى بإيراد هذه القصة : أن يعلمنا إلى أى مدى يطيع الابن أباه ؛ ليرضى مولاه ! فالواجب على من أحب الله ، وأحبه الله : أن يكون مع والديه كالميت فى يد المغسل : هل يستطيع أن يقول له أف لقد برد الماء ، أو أف لقد زادت حرارته ؟ (وتركنا عليه فى الآخرين) فى الأمم المتأخرة بعده

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿سلام﴾ منا ﴿على إبراهيم﴾ وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصلى عليه ويسلم كل مؤمن، فى كل صلاة ؛ تحية مباركة من الله! ﴿وباركنا عليه﴾ بتكثير ذريته من المؤمنين ، وجعل ملته خير الملل «قل بل ملة إبراهيم حنيفاً» ﴿وعلى إسحق﴾ أى وباركنا أيضاً على ولده إسحق ، بأن جعلنا من نسله أكثر الأنبياء ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ مؤمن ﴿وظالم لنفسه﴾ كافر : ظلم نفسه ؛ بتعريضها للجحيم، والعذاب الأليم! ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ بالنبوة ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ من آمن بهما من بنى إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ استعباد فرعون لهم ، وتقتيله لأبنائهم ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ القوى البيان ؛ لما احتواه من أوامر ونواه ، وحدود وأحكام ، وغيرها . وهو التوراة ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ قيل : هو إدريس النبي عليه السلام ؛ ويعضده قراءة ابن مسعود «وإن إدريس» مكان «إلياس» وهذه القراءة شاذة لمخالفتها المصحف الامام . و﴿إلياس﴾ النبي ؛ غير اليأس : جد نبينا عليه الصلاة والسلام . وصحة اسمه اليأس ـ بفتح الياء وسكون الهمز ـ لا «إلياس» كما رواه الرواة خطأ ، ونقله عنهم الناقلون . وسمى باليأس : لأنه أول من ابتلى باليأس ـ بفتح الهمز ـ وهو السل ﴿أتدعون﴾ أتعبدون ﴿بعلا﴾ اسم صنم لهم ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ فى النار

﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ فى الأمم المتأخرة بعده ﴿سلام على إل ياسين﴾ أى على إلياس وقومه المؤمنين ﴿إلا عجوزاً فى الغابرين﴾ أى الباقين فى العذاب؛ وهى امرأته ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ أى على منازلهم، وتشاهدون آثارهم، وترون آثار نقمتنا وتعذيبنا ﴿مصبحين﴾ وقت الصبح ﴿وبالليل﴾ أى ترون ذلك فى أسفاركم ليلا ونهاراً ﴿أفلا تعقلون﴾ ذلك؛ فتتعظون بما حل بهم؟ ﴿إذ أبق﴾ هرب من قومه، ومن تعذيبهم وأذاهم له. وأبق العبد: إذا هرب واستخفى ﴿إلى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة ﴿فساهم﴾ أى فزاحم؛ ليأخذ له سهما ونصيباً فى ركوب الفلك ﴿فكان من المدحضين﴾ أى فزلق فى البحر. وكثيراً مايحصل هذا عند التزاحم على الركوب فى السفن المشحونة، وغيرها. يقال: دحضت رجله: زلقت. ودحضت الحجة: بطلت. أو «فساهم» من المساهمة. أى فقارع. قيل: إنه لما ركب فى السفينة؛ وقفت بهم فى عرض البحر. فقال الملاحون: لابد أن يكون بيننا عبد آبق من سيده؛ واقترعوا فيما بينهم، فخرجت القرعة عليه. فقال: أنا الآبق، وألقى بنفسه فى الماء. وسمى آبقاً: لأنه هرب من قومه قبل أن يأذن له ربه بالانصراف عنهم ﴿فالتقمه الحوت﴾ ابتلعه ﴿وهو مليم﴾ أى واقع فى الملامة، ومستوجب للوم ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ فى بطن الحوت ﴿للبث﴾ لمكث ﴿فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾ لم يفتر لسانه عليه الصلاة والسلام - حين التقمه الحوت - عن قول «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» فأنجاه الله تعالى بسببها؛ وقد ورد أن من قرأها فى مهلكة: أنجاه الله تعالى منها بمنه وفضله! ﴿فنبذناه﴾ طرحناه؛ كما ينبذ آكل التمر النواة ﴿بالعراء﴾ جعل الله تعالى الحوت يقذفه من جوفه؛ فى أرض عراء؛ لا شجر فيها ولا نبات ﴿وهو سقيم﴾ مريض؛ مما حل به فى بطن الحوت، ومما اعتراه من خشية غضب الله تعالى عليه ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وهو الدباء «القرع» ويطلق اليقطين على كل شجرة تنبسط على وجه الأرض، ولا تقوم على ساق ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ أى إلى حين انقضاء آجالهم

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾
سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ
لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾
وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى
ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾
فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ
ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
* فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ
ٱلْبَنَاتُ

﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك لقولهم : الملائكة بنات الله . أى كيف تنسبون له الولد ؛ وهو تعالى «لم يلد ولم يولد» ؟ ولم تكتفوا بذلك ؛ بل نسبتم إليه البنات ، وهن أخس الجنسين ـ فى نظركم ـ قال تعالى «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» ﴿من إفكهم﴾ كذبهم ﴿أصطفى﴾ أى

ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

هل اختار ﴿مالكم﴾ أى ماذا دهاكم ، وماذا جرى لعقولكم ؟ ﴿كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أم لكم﴾ على ذلك الزعم ﴿سلطان مبين﴾ حجة ظاهرة على ما تدعونه ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الناطق بصحة دعواكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ فى زعمكم ﴿وجعلوا﴾ أى المشركون ﴿بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة﴾ أى الملائكة ؛ وسموا جنا : لاجتنانهم عن الأبصار ؛ أى اختفائهم . أوأريد بالجنة: الجن ﴿نسباً﴾ وذلك لأن قريشاً زعمت أن الملائكة بنات الله ، وأمهاتهم من بنات الجن . وقيل : «وجعلوا بينه وبين الجنة» أى الشياطين «نسباً» أى مناسبة ؛ حيث أشركوهم به تعالى فى استحقاق العبادة . والقول الأول : أولى ﴿ولقد علمت الجنة﴾ أى الملائكة ﴿أنهم﴾ أى قائلى ذلك ﴿محضرون﴾ فى النار ؛ يعذبون فيها على ما قالوا ، وما فعلوا ﴿سبحان الله﴾ تنزه ، وتقدس ، وتعالى ﴿عما يصفون﴾ من نسبة الشريك والولد إليه ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين لم يشب إيمانهم شك أوشرك ؛ فإنهم ناجون ﴿فإنكم وماتعبدون﴾ من الأصنام ﴿ماأنتم عليه﴾ أى على الله ﴿بفاتنين﴾ أحداً . أى بمضلين ، أو غالبين ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ فى علمه تعالى ؛ وقد تخلى عنه حفظه وكلاءته ، وبعدت منه نعمته ورحمته ! ﴿ومامنا إلا له مقام معلوم﴾ لايتجاوزه ، ولايتعداه ؛ وهو قول الملائكة عليهم السلام ؛ تبرؤاً مما نسبه إليهم المشركون ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ أقدامنا فى الصلاة ، وفى الطاعة ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ أى كفار مكة ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أى لو أن عندنا كتابا من جنس كتب المتقدمين ؟ فنزل إليهم خير كتب الله تعالى ، وأوفاها ، وأهداها «القرآن» ﴿فكفروا به فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(٣٨) سُورَةُ صٓ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ٨٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ وعدنا وتقديرنا بالنصر ﴿فتول عنهم﴾ أعرض ﴿حتى حين﴾ أي إلى أن تؤمر بقتالهم ﴿وأبصرهم﴾ ذكرهم بتكذيبهم حين ينزل العذاب بهم ﴿فسوف يبصرون﴾ عاقبة ذلك ﴿فإذا نزل﴾ العذاب ﴿بساحتهم﴾ بفنائهم . والمراد : نزل بهم . وتعبر العرب عن القوم بالساحة ﴿وتول عنهم﴾ أعرض ﴿سبحان ربك﴾ تعالى وتقدس ﴿رب العزة﴾ رب العظمة والغلبة ﴿عما يصفون﴾ بأن له شريكا أو ولداً ﴿وسلام﴾ من الله تعالى ﴿على المرسلين﴾ وأنت إمامهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ أن هداك ، وهدى بك !

﴿سورة ص﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ص﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ أى ذى البيان والشرف ﴿بل الذين كفروا فى عزة﴾ واستكبار عن الإيمان به

(وشقاق) خلاف ، وأى خلاف ! بل أى شقاق أعظم وأفدح من إعداد الأمم الغربية للقنابل الذرية والهيدروجينية ؛ ليحارب بها بعضهم بعضاً ، ويفنى بعضهم بعضاً ؛ ويزعمون أنهم أشياع عيسى عليه السلام . وعيسى منهم براء ، وهم فى الكفر سواء ! فلينظر هذا وليعتبر به من ألقى السمع وهو شهيد (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أمة (فنادوا) بالتوبة والاستغفار ، والاستغاثة ؛ عند نزول العذاب بهم (ولات حين مناص) أى ليس الوقت وقت نجاة ، ولا وقت خلاص . و «لات» : ليس . و «مناص» : ملجأ

وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ

(وانطلق الملأ) الأشراف أو الجماعة (منهم) حين سمعوا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد : انطلقوا يقولون (امشوا) من مجلس الرسول ؛ الذى يذكر فيه دينه ، وربه ، وكتابه (واصبروا على آلهتكم) اثبتوا على عبادتها ؛ ولا تعبأوا بدعوته (إن هذا) الذى يقوله محمد ويدعيه (لشىء يراد) بنا ومنا ؛ ويريد به محمد الزعامة والرئاسة علينا (ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة) يعنون ملة عيسى عليه السلام . وقد كذبوا فى ذلك ؛ فلم تقم ملة عيسى إلا على التوحيد الذى قامت عليه ملة محمد ، وملل سائر الأنبياء ؛ عليهم الصلاة والسلام . وإنما أرادوا به التثليث الذى قالت به النصارى ، وزعمت أنه دين عيسى (إن هذا إلا اختلاق) كذب مختلق لا أصل له (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) من دوننا ؛ وهو الضعيف ونحن الأقوياء ، الفقير ونحن الأغنياء ، ولا عصبة له ونحن أولوا العصبة وذووا الحمية . قال تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) من قرآنى ، وحقيقة نزوله على نبيى (بل لما يذوقوا عذاب) لم يذوقوا عذابى ولو ذاقوه لآمنوا وصدقوا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) فيهبون النبوة لمن شاءوا ، وينزلون الذكر على من أرادوا (فليرتقوا فى الأسباب) أى فليصعدوا إلى السموات ، وليمنعوا الملائكة من النزول على محمد (جند ماهنالك) أى أن هؤلاء المكذبين المتكبرين : هم جند (مهزوم من الأحزاب) الذين تحزبوا على عدائك ، وتجمعوا لمحاربتك (وعاد) قوم هود (وفرعون ذو الأوتاد) سمى بذى الأوتاد : لأنه كان يوتد من يريد تعذيبه بأربعة أوتاد : فى يديه ورجليه . أو هو كناية عن ثبوت ملكه ، وقوة سلطانه . أو كناية عن المبانى العظيمة الثابتة . أو صاحب الجنود . وتسمى الجنود أوتاداً : لأنها دعائم الملك والقوة والسطوة والسلطان (وثمود) قوم صالح (وأصحاب الأيكة) أى الغيضة ؛ وهى مجتمع الشجر . قيل : هم قوم شعيب عليه السلام (أولئك الأحزب) أى أولئك الأقوام الذين ذكرتهم لك : هم مثل الأحزاب الذين تحزبوا عليك ؛ وسأجزيهم مثل ماجزيتهم !

إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ

لَيَبْغِى

﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة﴾ هي نفخة القيامة عند البعث ﴿مالها من فواق﴾ من رجوع، أو من إمهال قدر فواق الناقة؛ وهو ما بين حلبتي الحالب ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ حظنا من النعيم أو العذاب ﴿داود ذا الأيد﴾ ذا القوة في الدين ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى الله تعالى ﴿يسبحن﴾ مع تسبيحه ويرددن مع ترديده ﴿بالعشي﴾ وقت العشاء ﴿والإشراق﴾ عند شروق الشمس ﴿والطير محشورة﴾ مجموعة من كل ناحية. قيل: كان إذا سبح: رددت الجبال والطير تسبيحه ﴿وآتيناه الحكمة﴾ النبوة، وكمال العلم. وقيل: الزبور ﴿وفصل الخطاب﴾ القضاء الفاصل بين الحق والباطل ﴿وهل أتاك﴾ يا محمد ﴿نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ أي تسلقوا حائطه. و «المحراب» المسجد، أو الغرفة ﴿ولا تشطط﴾ أي ولا تتجاوز الحد ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ إلى الطريق السوي القويم ﴿أكفلنيها﴾ أي ملكنيها؛ لأنها كفلي، ومن نصيبي ﴿وعزني﴾ غلبني ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ الشركاء الذين اختلط مالهم

﴿ليبغى﴾ ليجور ﴿بعضهم على بعض﴾ فى المعاملات . هذا وقد ذهب أكثر المفسرين ـ فى قصة داود عليه السلام ـ إلى أقاصيص من وضع اليهود والزنادقة : وزعموا أنه عليه السلام رأى زوجة أوريا عريانة ـ وهو أحد قواده ـ فتعلق بها ، وأراد أن يتزوجها: فأرسل زوجها إلى القتال ـ على رأس جيش ليقتل فيتزوجها ـ

لِيَبْغِىٓ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ
فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا
جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ
ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾
كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ

فانتصر أوريا ، وعاد سالماً . فأرسله ثانياً وثالثاً ؛ إلى أن قتل؛ فتزوج داود عليه السلام زوجته التى رآها عريانة وأحبها من قبل ؛ فأرسل الله تعالى ملكين على صورة خصمين ؛ فاحتكما إليه فى خصومة وهمية ؛ كما وردت فى سياق القرآن الكريم . وهذه القصة فضلا عن أنها تكفر واضعها ؛ فإنها أيضاً تكفر معتقدها ومصدقها : إذ أنه لا يصح نسبة ذلك لعامة المسلمين ، وجهلة الفساق ؛ فمابالك بخواص الأنبياء ! ولا يجوز بحال صرف هذه القصة عن ظاهرها ؛ فليتدبر ذلك من له عقل سليم ، ودين قويم ! وإنما أوردت هذه القصة وأمثالها للتحذير منها ، والتنبيه على بطلانها . وقد قال على رضى الله تعالى عنه : «من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص : جلدته مائة وستين» وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فإنهم لا يبغون ﴿وقليل ماهم﴾ قال الفضل بن عياض رضى الله تعالىعنه: الزم طرق الهدى ؛ ولايضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ؛ ولا تغتر بكثرة الهالكين ! ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ اختبرناه بتلك الزلة . وزلته : أنه حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر ؛ بقوله «لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه» وهى زلة عظيمة بالنسبة لعموم القضاة ؛ فما بالك بنبى الله داود عليه السلام ! وقد قضت القوانين الوضعية برد القاضى إذا أبدى رأيه أثناء سير الدعوى ﴿ولاتتبع الهوى﴾ أى هوى النفس ﴿أم نجعل الذين آمنواوعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض﴾ أى لو بطل الجزاء ؛ كما يقول الكفار بإنكارهم البعث والحساب ؛ لاستوت أحوال من أصلح وأفسد ، ومن اتقى وفجر ! ﴿أولوا الألباب﴾ ذوو العقول ﴿أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى

(الصافنات الجياد) الخيل السراع ﴿إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب﴾ أى آثرت حب الخيل حتى فاتتنى صلاة العصر ، وتوارت الشمس بالحجاب ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ أى فجعل يمسح بيده على سوق الخيل وأعناقها . وهى عادة مشاهدة عند المعجبين بالخيل ، المقتنين لها . أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين: من أنه عليه السلام طفق يقطع أعناقها وسوقها بالسيف ؛ لأنها ألهته عن الصلاة . فهو قول واضح البطلان ؛ وإلا فأى ذنب جنته هذه العجماوات تستحق عليه التقتيل والتمثيل ؟ فضلا عما فى ذلك من تلف الأموال ، ونسبة الأنبياء إلى فعل السفهاء والجهال ! وكان فى مقدوره أن يخرجها من ملكه إلى الجهاد ؛ وبذلك يتم له التخلص منها؛ مع نفع هو من أجل القرب إلى الله تعالى ! ولم يقل أحد : إن المسح بمعنى القطع . وإلا لكان قوله تعالى «وامسحوا برؤوسكم» أى اقطعوها . وإنما يعدل عن الظاهر : إذا اقتضت القرينة والسياق ذلك : كأن يقول : فطفق مسحاً بالسيف بالسوق والأعناق ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ ابتليناه ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ أى رزقناه ولداً ميتاً ؛ وجىء به على كرسيه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة — أو تسع وتسعين — كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله . فقال له صاحبه : إن شاء الله . فلم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذى نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله : لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون» ولعل سليمان لم يقلها : لأنه لم يتذكرها ، ولم يسمعها من صاحبه الذى وجهه إلى قولها ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام : أئمة المتوكلين المنيبين ! ﴿وأناب﴾ رجع إلى الله تعالى ، وتاب عن الانشغال عن الصلاة بما عداها ، وعن عدم تقدير مشيئة الله تعالى فى أموره كلها ﴿فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب﴾ أى تجرى طيبة لينة حيث أراد ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾ أى وسخرنا الشياطين له : يبنون ما يريد ، ويغوصون فى البحر بأمره ؛ لاستخراج اللؤلؤ ﴿وآخرين﴾ من الشياطين ﴿مقرنين فى الأصفاد﴾ مقيدين فى السلاسل والأغلال ؛ إذا أتوا ذنباً ، أو عصوا له أمراً ﴿هذا﴾ الملك الواسع ، والعلم الكبير ، والتسخير العظيم ﴿عطاؤنا﴾ الذى أعطيناكه ؛ استجابة لدعوتك : «رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى» ﴿فامنن﴾ على من شئت ؛ مما أعطيناك من الملك الذى لا حدود له ﴿أو أمسك﴾ لا تعط أحداً ﴿بغير حساب﴾ أى لا نسألك : لم مننت ؟ ولم أمسكت ؟ أو المراد : «فامنن» على من شئت من الشياطين ؛ بالإطلاق «أو أمسك» دع من شئت =

إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ

رَحْمَةً

= منهم في قيده وعبوديته . هذا وقد تخبط كثير من المفسرين في تأويل هذه الآية ؛ تخبطاً شنيعاً ، وقال فيه قولا لا يتفق وجلال القرآن ! فقال قائلهم : إن معنى قوله تعالى «هـذا عطاؤنا» إشارة إلى ما أعطاه الله من القوة على الجماع ، وأن «فامنن» مشتقة من المنى . وهو قول بالغ غاية البذاءة ! والأعجب من ذلك أن ينسبوه لابن عباس ـ حبر الأمة ، وترجمان القرآن ـ وعلم الله تعالى أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما برىء من هذا القول وأشباهه ! ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ قربى ﴿وحسن مآب﴾ حسن مرجع ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب﴾ بتعب ومشقة ؛ وذلك أنه كان يوسوس إليه ، ويعظم في عينيه ما نزل به من الابتلاء بفقد صحته وفقد ماله وأهله ، ويغريه على الجزع ، وعدم الصبر ! فالتجأ إلى ربه تعالى ليكشف عنه البلاء الذي تسبب في تدخل الشيطان بينه وبين ربه ! ﴿وعذاب﴾ قيل : النصب ، والضر : في الجسد . والعذاب : في الأهل والمال . ونسبة التعب ، والضر ، والعذاب ؛ إلى الشيطان : تأدب في حقه تعالى كقول إبراهيم عليه السلام «وإذا مرضت» ولم يقل : وإذا أمرضني . وقيل : تسبب الشيطان في تعبه وتعذيبه : بوسوسته له بأن يسأل ربه البلاء ؛ ليمتحن نفسه ، ويجرب صبره ؛ كما قال العارف بالله : الإمام عمر بن الفارض :

وبما شئت في هواك اختبرني
فاختياري ما كان فيه رضا كا !

هذا وسؤال البلاء ؛ دون العافية : ذنب يجب الاقلاع عنه ، والاستغفار منه! فلما فطن أيوب إلى ذلك : لجأ إلى ربه ؛ ليكشف مابه ، أو يوفقه للصبر الجميل (انظر آيتي ٨٣ و ٨٤ من سورة الأنبياء) ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ أي لقد أجيبت دعوتك ؛ فاضرب برجلك الأرض . فضربها فنبعت عين ماء . فقيل له : «هـذا مغتسل بارد وشراب» ﴿لأولى الألباب﴾ لذوي العقول ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ حزمة صغيرة من حشيش . والضغث : ملء الكف من قضبان ، أو حشيش ، أو شماريخ ﴿فاضرب به ولا تحنث﴾ كان أيوب عليه السلام قد آلى في مرضه أن يضرب امرأته مائة ؛ لما رأى من شدة جزعها وحزنها ، أو لأنها باعت ذؤابتيها برغيفين ؛ فأنزل الله تعالى هذه الفتوى . هذا وإن التحايل في الأيمان لا يجوز ؛ وإنما جاز في هذه الحالة ؛ لأنه حلف محقاً ، وهي فعلت مافعلت محقة . وذلك لأن الشقاء والمرض: ألجآها إلى الفزع والجزع . وألجأها الجوع إلى بيع الشعر! وقد دفعه إلى الحلف: مزيد ثقته بربه ، وعلمه بأن الجزع منقصة للإيمان ، وأن بيع الشعر ـ وهو جزء =

رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

= من الجسم ، وحلية تتحلى بها المرأة ـ منقصة للتوكل ! ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ أى رجاع إلى الله تعالى ﴿أولى الأيدى والأبصار﴾ ذوى القوة فى نصرة الدين والتبصر ! ﴿إنا أخلصناهم﴾ أى جعلناهم خالصين لنا ﴿بخالصة﴾ هى ﴿ذكرى الدار﴾ الآخرة . أى تذكرها والعمل لها ﴿هذا ذكر﴾ لهم ؛ بالثناء الجميل عليهم فى الدنيا ﴿لحسن مآب﴾ حسن مرجع فى الآخرة ﴿جنات عدن﴾ جنات الإقامة . عدن بالمكان : أقام فيه ﴿يدعون فيها﴾ أى يطلبون فى الجنات ؛ فيجابون إلى طلبهم ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى يقصرن أبصارهن على أزواجهن ﴿أتراب﴾ جمع ترب.

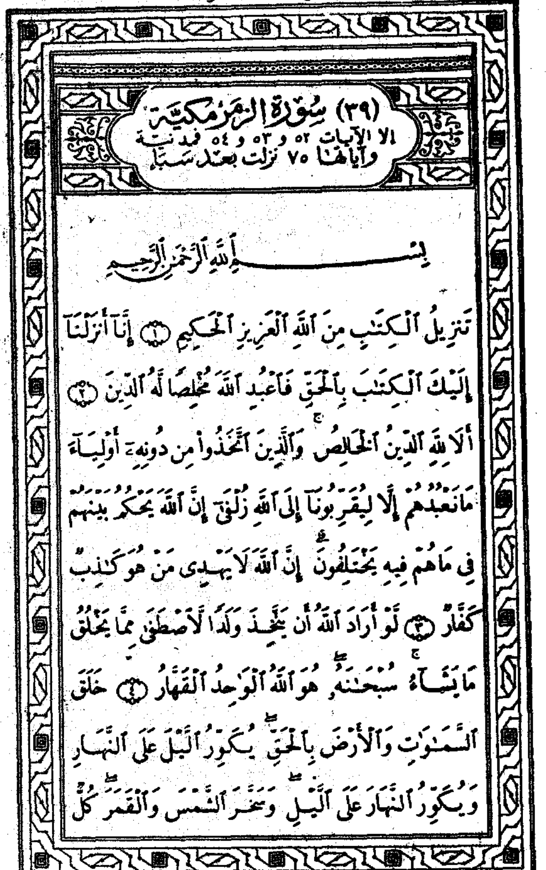
وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ

من

أى فى سن واحدة ؛ لا تعدو سن الجمال والشباب ﴿ماله من نفاد﴾ أى ليس له انقطاع ﴿حميم وغساق﴾ الحميم: الماء البالغ نهاية الحرارة والغساق: مايسيل من صديد أهل النار ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ أى وعذاب آخر فى الشدة مثل العذاب الأول ؛ وهو أصناف ﴿هذا فوج﴾ جمع ﴿مقتحم﴾ داخل ﴿معكم﴾ فى النار ؛ وذلك أن قادة الكفار ورؤساءهم إذا دخلوا النار ، ثم دخلوا بعدهم الأتباع : قال خزنة جهنم للقادة والرؤساء «هذا فوج مقتحم معكم» فتقول السادة ﴿لا مرحباً بهم﴾ فتقول الملائكة ﴿إنهم صالوا النار﴾ داخلوها معكم ﴿قالوا﴾ أى قال الأتباع للرؤساء ﴿بل أنتم﴾ يامن أضللتمونا وأغويتمونا ﴿لا مرحباً بكم﴾ لأنكم ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أى قدمتم لنا فى الدنيا أسباب العذاب الذى نصطليه الآن ؛ و﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا﴾ العذاب ، وسوغ أسبابه فى الدنيا ، وحببه إلينا ﴿فزده عذاباً ضعفاً فى النار﴾أى عذاباً مضاعفاً فيها﴿وقالوا﴾ جميعاً لبعضهم متسائلين ﴿مالنا لا نرى﴾ معنا فى النار ﴿رجالا كنا نعدهم من الأشرار﴾ يعنون الفقراء أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ؛ كعمار ، وصهيب ، وبلال ، وأمثالهم ﴿اتخذناهم سخريا﴾ أى كنا نسخر منهم فى الدنيا ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ أى مالت عنهم ؛ فلم نرهم فى النار معنا . قال الحسن رضى الله تعالى عنه: كل ذلك قد فعلوا : اتخذوهم سخرياً ، وزاغت عنهم أبصارهم فى الدنيا محقرة لهم . وقيل : «أم» بمعنى بل ﴿إن ذلك﴾ المذكور ﴿لحق﴾ واقع ﴿تخاصم أهل النار﴾ فى النار ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ أى ما أنذركم به ؛ من الحساب ، والثواب والعقاب : خبر عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ فلا تستهينوا به ، ولاتهزأوا منه ﴿ما كان لى من علم بالملإ الأعلى﴾ بالملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ فى أمر آدم: وهو قولهم «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وقول إبليس «أنا خير منه» والإخبار بجميع ذلك لا يكون إلا بتأييد إلهى ، ووحى غيبى ﴿إن يوحى إلى﴾ مايوحى إلى

مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

﴿أستكبرت﴾ الآن عن أمرى ﴿أم كنت من العالين﴾ المتكبرين أصلا . وقيل: «العالين» هم ملائكة السماء ـ ولم يؤمروا بالسجود لآدم ـ وإنما أمر بالسجود ملائكة الأرض فحسب ﴿قال فاخرج منها﴾ أى من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود ﴿إلى يوم الدين﴾ يوم الجزاء ؛ وهو يوم القيامة ﴿قال رب فأنظرنى﴾ فأمهلنى ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ أقسم اللعين بعزة الله ليغوين بنى آدم أجمعين ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فالحق﴾ منى، أو فأنا الحق ﴿والحق أقول﴾ أى ولا أقول إلا الحق ؛ وإذا قلت فلا راد لقولى ، ولا مانع لإرادتى . أو «فالحق» ما تقول يا إبليس : من أن عبادى المخلصين : لا قدرة لك على إغوائهم ولا سلطان لك عليهم «والحق أقول» من إدخالك جهنم أنت ومن تبعك ﴿لأملأن جهنم منك﴾ أى من جنسك أيها الشيطان ﴿وممن تبعك منهم﴾ أى من الناس الذين أقسمت على إغوائهم فاتبعوك ﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ما أسألكم عليه﴾ أى على التبليغ ، أو على القرآن ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أى المتصنعين ، المدعين ، المرائين . والتكلف أيضاً : التعسف والتشكك ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أى صدق ماجاء به القرآن ﴿بعد حين﴾ أى حين تقوم الساعة ، ويساق المؤمنون إلى الجنة ، والكافرون إلى النار ، أو حين موتكم



(سـورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

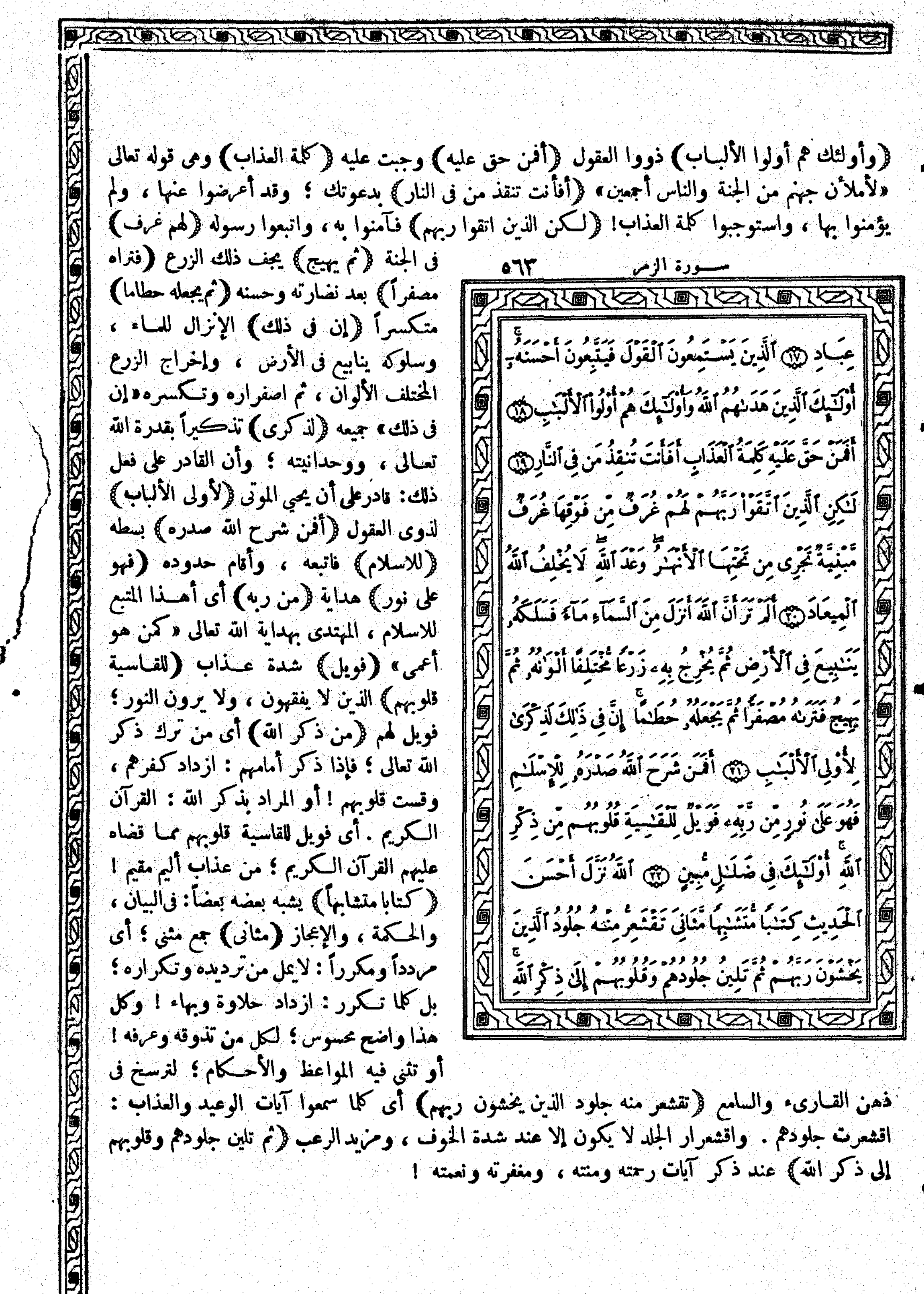
(فاعبد الله مخلصاً له الدين) أى مخلصاً فى عبادته، صادقاً فى محبته (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ألا لله الدين الخالص) الذى لا تشوبه شائبة، ولا يقصد به غير وجهه تعالى! وقد ورد فى الحديث الشريف أن رجلا قال: يارسول الله إنى أتصدق بالشىء، وأصنع الشىء أريد به وجه الله وثناء الناس. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم «والذى نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئاً شورك فيه» ثم تلا صلى الله تعالى عليه وسلم «ألا لله الدين الخالص» (زلفى) قربى (لاصطفى) لاختار (سبحانه) تنزه وتقدس عن صفات المخلوقين (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) التكوير: اللف، واللى. والمعنى: أنه تعالى يدخل أحدهما فى الآخر؛ بنقصان الليل وزيادة النهار، ونقصان النهار وزيادة الليل. ونظيره: قوله تعالى «يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل» أو هو تشبيه لجريانهما، وأن كلاهما يكر على الآخر: فيحجبه (كل) من الشمس والقمر

يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

﴿يجرى﴾ فى فلكه ، ويقوم بما سخره فيه ربه ! ﴿لأجل مسمى﴾ هو انتهاء الدنيا ؛ حين تنفطر السماء ، وتنتثر الكواكب ، وتبدل الأرض غير الأرض ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ خلقها تعالى بيده . وهى آدم عليه السلام ﴿ثم جعل منها﴾ أى من جنسها ﴿زوجها﴾ حواء ﴿وأنزل لكم﴾ أى خلق لكم ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ ذكراً وأنثى : من الإبل ، والبقر ، والغنم ، والمعز ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ أى نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم إلى تمام التكوين ﴿فى ظلمات ثلاث﴾ ظلمة الصلب ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن ﴿فأنى تصرفون﴾ فكيف تصرفون عن عبادته تعالى؛ إلى عبادة غيره ؛ بعد ظهور هذه الدلائل ، وثبوت هذه الحقائق ؟ ! ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ وكيف يرضى تعالى بالكفر ، وقد نهى عنه ، وأوعد عليه . وأمر بالإيمان ، وحث عليه ، ورغب فيه ، ووعد بجزائه ؟ ﴿وإن تشكروا﴾ تؤمنوا ﴿يرضه لكم﴾ ويثبكم عليه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى . والمعنى : أنه لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيحاسبكم عليه ، ويجزيكم به ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بما فى القلوب ﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾ مرض وفقر ﴿دعا ربه منيباً إليه﴾ راجعاً إليه ﴿ثم إذا خوله نعمة﴾ أعطاه إياها ؛ كرماً وتفضلا . والمراد بالنعمة : الصحة والغنى ﴿وجعل لله أنداداً﴾ أمثالا ونظراء يعبدهم ﴿أمن هو قانت﴾ مطيع عابد ﴿آناء الليل﴾ ساعاته ﴿يحذر﴾ يخاف ﴿الآخرة﴾ وما فيها من أهوال وجحيم ، وعذاب أليم

وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾

﴿ويرجو رحمة ربه﴾ نعمته وجنته ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون﴾ فيؤمنون ، ويرجون رحمة ربهم ، ويخشون عذابه ﴿والذين لا يعلمون﴾ فيكفرون ، ويجعلون لله أنداداً ! ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ ذوو العقول ﴿للذين أحسنوا فى هـذه الدنيا﴾ بالإيمان والطاعة ﴿حسنة﴾ الجنة ؛ جزاء لإحسانهم ﴿وأرض الله واسعة﴾ فهاجروا إليها ، وسيروا فيها ؛ إذا خشيتم على دينكم ، أو أوذيتم فى أوطانكم ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ على الطاعات ، وعن المعاصى ﴿أجرهم﴾ جزاءهم ﴿بغير حساب﴾ أى أجراً كبيراً ، وجزاء عظيماً ؛ لا يوزن بأعمالهم ؛ بل هو عطاء ربك الملك الوهاب ! ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أى صادقاً فى العبادة، موفياً حقها ؛ من الإخلاص والمواظبة . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿قل إن الخاسرين﴾ هم ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بتعريضها للعقاب ، وحرمانها من الثواب ﴿و﴾ خسروا ﴿أهليهم﴾ المراد بأهليهم : أزواجهم المعدة لهم فى الجنة ؛ من الحور العين. أوخسروا صحبة أهليهم ؛ لأنهم كفروا فذهبوا إلى النار ، وآمن أهلوهم فذهبوا إلى الجنة . كفرعون فى النار بكفره ، وآسية زوجه فى الجنة بإيمانها ﴿لهم﴾ أى للكفار «الذين خسروا أنفسهم وأهليهم» لهم ﴿من فوقهم ظلل﴾ طبقات ﴿من النار ومن تحتهم ظلل﴾ مثلها ﴿ذلك﴾ المذكور من شأن أهل النار من الكفار ﴿يخوف الله به عباده﴾ ليؤمنوا به ويتقوه ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ الأوثان ، أو الشيطان ، أو هو كل رأس فى الضلال ﴿وأنابوا إلى الله﴾ آمنوا به ، ورجعوا إليـه ﴿لهم البشرى﴾ بالجنة ونعيمها !



﴿وأولئك هم أولوا الألباب﴾ ذووا العقول ﴿أفمن حق عليه﴾ وجبت عليه ﴿كلمة العذاب﴾ وهى قوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ﴿أفأنت تنقذ من فى النار﴾ بدعوتك ؛ وقد أعرضوا عنها ، ولم يؤمنوا بها ، واستوجبوا كلمة العذاب! ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ فآمنوا به ، واتبعوا رسوله ﴿لهم غرف﴾

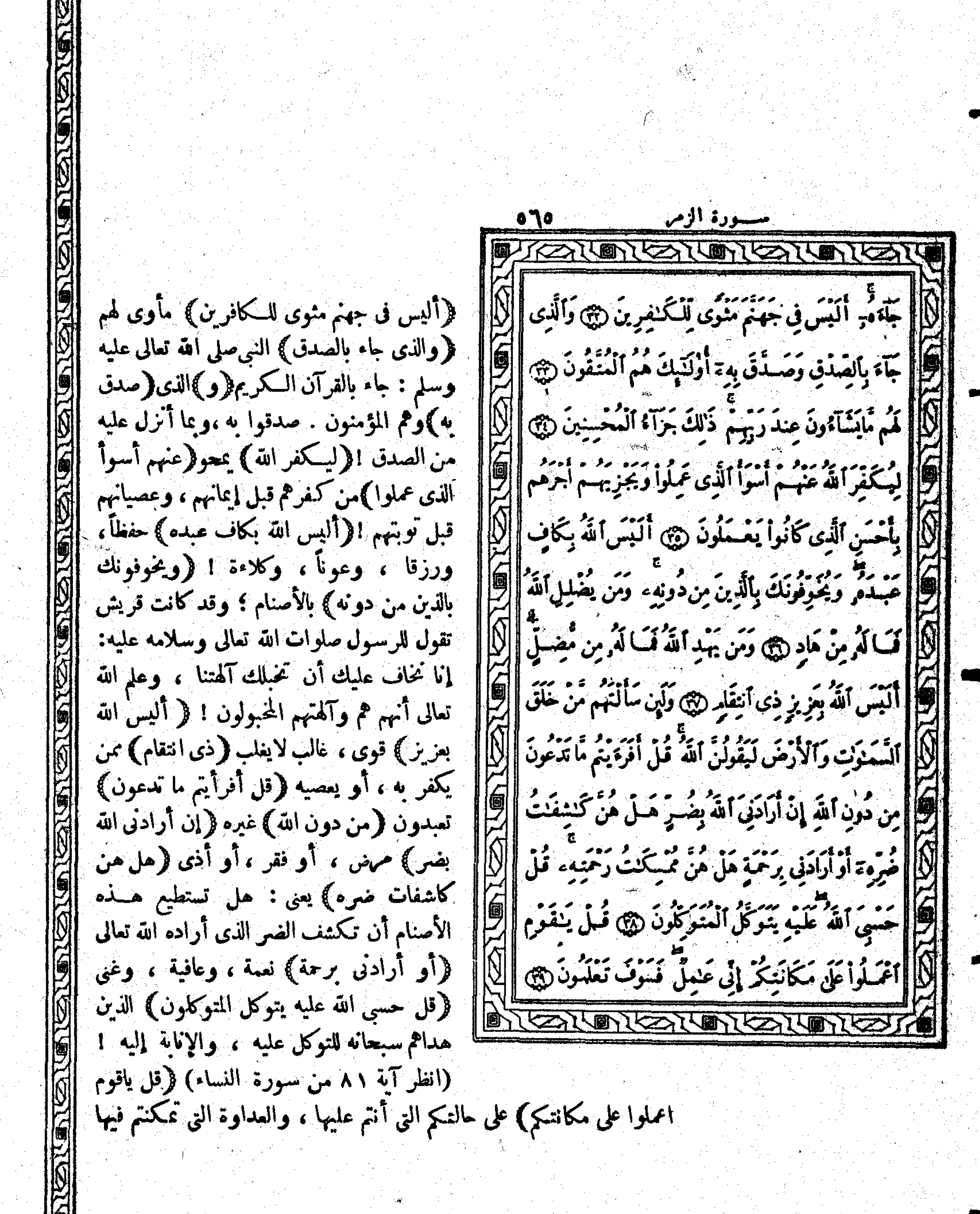
عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

فى الجنة ﴿ثم يهيج﴾ يجف ذلك الزرع ﴿فتراه مصفراً﴾ بعد نضارته وحسنه ﴿ثم يجعله حطاما﴾ متكسراً ﴿إن فى ذلك﴾ الإنزال للماء ، وسلوكه ينابيع فى الأرض ، وإخراج الزرع المختلف الألوان ، ثم اصفراره وتكسره «إن فى ذلك» جميعه ﴿لذكرى﴾ تذكيراً بقدرة الله تعالى ، ووحدانيته ؛ وأن القادر على فعل ذلك: قادر على أن يحيي الموتى ﴿لأولى الألباب﴾ لذوى العقول ﴿أفمن شرح الله صدره﴾ بسطه ﴿للاسلام﴾ فاتبعه ، وأقام حدوده ﴿فهو على نور﴾ هداية ﴿من ربه﴾ أى أهذا المتبع للاسلام ، المهتدى بهداية الله تعالى «كمن هو أعمى» ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿للقاسية قلوبهم﴾ الذين لا يفقهون ، ولا يرون النور ؛ فويل لهم ﴿من ذكر الله﴾ أى من ترك ذكر الله تعالى ؛ فإذا ذكر أمامهم : ازداد كفرهم ، وقست قلوبهم ! أو المراد بذكر الله : القرآن الكريم . أى فويل للقاسية قلوبهم مما قضاه عليهم القرآن الكريم ؛ من عذاب أليم مقيم ! ﴿كتابا متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً : فى البيان ، والحكمة ، والإعجاز ﴿مثانى﴾ جمع مثنى ؛ أى مردداً ومكرراً : لا يمل من ترديده وتكراره ؛ بل كلما تكرر : ازداد حلاوة وبهاء ! وكل هذا واضح محسوس ؛ لكل من تذوقه وعرفه ! أو تثنى فيه المواعظ والأحكام ؛ لترسخ فى ذهن القارىء والسامع ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أى كلما سمعوا آيات الوعيد والعذاب : اقشعرت جلودهم . واقشعرار الجلد لا يكون إلا عند شدة الخوف ، ومزيد الرعب ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ عند ذكر آيات رحمته ومنته ، ومغفرته ونعمته !

ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ

جاءه

﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ أى يتلقى به ﴿سوء العذاب﴾ أشده وأقبحه وأشنعه ﴿وقيل للظالمين﴾ الكافرين ﴿ذوقوا﴾ عقوبة ﴿ما كنتم تكسبون﴾ تعملون فى الدنيا ﴿فأذاقهم الله الخزى﴾ القتل، والأسر، والذل، والهوان ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا وأشد! ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ تقريباً لعقولهم، وتيسيراً لأفهامهم ﴿قرآناً عربياً﴾ بلغتهم التى يفهمونها ويتقنونها ﴿غير ذى عوج﴾ أى مستقيما، بريئاً من التناقض؛ لا لبس فيه ولا إبهام ﴿ضرب الله مثلا﴾ للكافر؛ الذى يعبد آلهة متعددة كالأصنام، أومن يعبد المال؛ ويتقيد بجمعه وحفظه، أو من يعبد هواه ﴿رجلا فيه شركاء متشاكسون﴾ متنازعون ومختلفون وهو كناية عن تحيره فى أهوائه، وتنازع قلبه بين مطالبه التى يزينها له شيطانه ﴿ورجلا سلماً﴾ أى سالما، خالصا من الشركة. وهو مثل للمؤمن الذى يعبد إلهاً واحداً؛ لا يطيع غيره، ولا ينقاد لسواه! فلا المال يطغيه، ولا الهوى يقوده! ﴿إنك﴾ يا محمد ﴿ميت﴾ رغم رفعة قدرك، وعلو منزلتك! ﴿وإنهم ميتون﴾ رغم انحطاطهم وتفاهتهم؛ فلا شماتة فى الموت: فسيموت الأعلى والأدنى ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ بأن تحتج عليهم بتبليغك الرسالة، ويعتذرون عن عدم قبولها بما لا طائل وراءه ﴿فمن أظلم﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ممن كذب على الله﴾ بأن نسب إليه تعالى الشريك والولد ﴿وكذب بالصدق﴾ القرآن



جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ مأوى لهم ﴿والذى جاء بالصدق﴾ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: جاء بالقرآن الكريم ﴿و﴾ الذى ﴿صدق به﴾ وهم المؤمنون. صدقوا به، وبما أنزل عليه من الصدق! ﴿ليكفر الله﴾ يمحو ﴿عنهم أسوأ الذى عملوا﴾ من كفرهم قبل إيمانهم، وعصيانهم قبل توبتهم! ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ حفظاً، ورزقا، وعوناً، وكلاءة! ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ بالأصنام؛ وقد كانت قريش تقول للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه: إنا نخاف عليك أن تخبلك آلهتنا، وعلم الله تعالى أنهم هم وآلهتهم المخبولون! ﴿أليس الله بعزيز﴾ قوى، غالب لا يغلب ﴿ذى انتقام﴾ ممن يكفر به، أو يعصيه ﴿قل أفرأيتم ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿إن أرادنى الله بضر﴾ مرض، أو فقر، أو أذى ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ يعنى: هل تستطيع هذه الأصنام أن تكشف الضر الذى أراده الله تعالى ﴿أو أرادنى برحمة﴾ نعمة، وعافية، وغنى ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ الذين هداهم سبحانه للتوكل عليه، والإنابة إليه! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ على حالتكم التى أنتم عليها، والعداوة التى تمكنتم فيها

﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ أى فثواب هدايته عائد على نفسه ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أى يقبضها عند انتهاء آجالها ﴿والتى لم تمت فى منامها﴾ أى ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها . ومنه قوله تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه : إن الله تعالى يمسك أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ﴿فيمسك﴾ تعالى روح النفس ﴿التى قضى عليها الموت﴾ فلاتقوم من منامها ﴿ويرسل﴾ النفس ﴿الأخرى﴾ التى لم يقض عليها بالموت فى منامها ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو انتهاء عمرها ؛ المكتوب لها فى عالم الأزل . والنوم : هو الموت الأصغر ؛ كما أن الموت : هو النوم الأكبر . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «كما تنامون فكذلك تموتون ، وكما توقظون فكذلك تبعثون»

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟

فِيهِ

ومن عجب أن ترى الإنسان دائب البحث ، حثيث السعى ؛ وراء مايجلب له النوم ، ويدفع عنه الأرق ؛ فى حين أن فرائصه لترتعد جزعاً وفرقاً حين يذكر أمامه الموت ! والموت لا يعدو أن يكون نوماً هادئاً مريحاً ؛ يمتاز بكثير عن النوم الذى يسعى إليه ، وينفق الأموال فى اجتلابه ؛ وليس ثمت مدعاة للجزع والخوف ؛ ما دام الإنسان ممتلئاً صدره إيمانا بالله ، ويقيناً بوجوده ، واطمئناناً لجزائه ! ولذا تحدى الله تعالى اليهود ـ حينما زعموا أنهم أولياؤه وأحباؤه ـ بقوله : «فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» وأجاب عنهم بما فى صدورهم : «ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم» فاحرص ـ يامن هديت إلى الإيمان والعرفان ـ على طاعة الله تعالى ، واجتلاب مرضاته ؛ لتنام خير منام ، وتبعث خير مبعث ، وتلقى خير جزاء ، وأوفر نعيم ! (انظر آية ٦٠ من سورة الأنعام) ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أى نفرت وانقبضت ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ الأصنام التى يعبدونها ؛ كاللات والعزى ﴿قل اللهم فاطر﴾ خالق ومبدع ﴿السموات والأرض﴾ ومافيهما ، ومن فيهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ماغاب ، وما شوهد ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ يوم القيامة ؛ فى اليوم الموعود : الذى أنكروه وكفروا به ، وآمن به المؤمنون ، وعملوا له !

﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ كفروا ﴿مافى الأرض جميعاً﴾ من مال ، وعقار ، وأنعام ﴿ومثله معه لافتدوا به﴾ أنفسهم ﴿من سوء العذاب﴾ بؤسه وشدته وقسوته ! ﴿وبدا لهم من الله﴾ ظهر لهم من أمره ، وحقيقة وجوده ، وصدق وعده ووعيده ﴿مالم يكونوا يحتسبون﴾ يحسبون ، ويظنون . أو أنهم عملوا أعمالا فى الدنيا ؛ وتوهموا أنها حسنات ؛ فإذا هى سيئات . روى عن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه ــ فى هذه الآية ــ ويل لأهل الرياء ، ويل لأهل الرياء ؛ هــذه آيتهم وقصتهم . اللهم باعد بيننا وبين الرياء فى أعمالنا وعباداتنا ، واجعلها خالصة لوجهك الكريم يا كريم! ﴿وبدا لهم﴾ظهر﴿سيئات ما كسبوا﴾ عقاب ما عملوا من الكفر والمعاصى﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أى عقاب استهزائهم بمحمد وبكتابه ﴿فإذا مس الإنسان ضر﴾ مرض ، أو فقر ﴿ثم إذا خولناه نعمة﴾ أعطيناه غنى وصحة ؛ تفضلا منا ﴿قال﴾ لمزيد كفره ، وانعدام شكره ﴿إنما أوتيته على علم﴾ منى بوجوه التجارات والمكاسب ، أو على علم من الله باستحقاق لذلك . قال تعالى ﴿بل هى فتنــة﴾ أى بل تخويلنا إياه النعمة ؛ إنما هو امتحان له واختبار ؛ لنرى أيشكر أم يكفر ؟ ﴿قد قالها﴾ أى قال مثل هذه القالة ﴿الذين من قبلهم﴾ كقارون ؛ حين قال «إنما أوتيته على علم عندى» ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ أى عقوبة هذه السيئات التى ارتكبوها : نخسف بقارون الأرض ﴿والذين ظلموا﴾ أشركوا ، وقالوا مثل هذا القول ﴿من هؤلاء﴾ الموجودين ﴿سيصيبهم﴾ أيضاً ﴿سيئات ما كسبوا﴾ كما أصاب «الذين من قبلهم» ﴿وماهم بمعجزين﴾ بفائتين عذابنا ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط﴾ يوسع ﴿الرزق لمن يشاء﴾ من عباده ؛ بغير ماسبب: من علم ، أو ذكاء ، أو حنكة ، أو دراية ﴿ويقدر﴾ يضيق على من يشاء ؛ ولو كان من أعلم العلماء وأحكم الحكماء ! فقد يعطى الجاهل ، ويمنع العالم ، ويعطى الخامل ، ويمنع العامل ؛ فهو ــ جل شأنه ، وتعالى سلطانه ــ الخالق الرازق ؛ وهو وحده يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، يتصرف فى ملكه كما يريد ؛ لا كما يريد العبيد ! «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» هو الحاكم «لا معقب لحكمه» ﴿إن فى ذلك﴾ الإعطاء والمنع ، والبسط والتضييق ﴿لآيات﴾ دالات على وجوده تعالى وقدرته ، وأنه وحده المعطى المانع ، الخافض الرافع ، الضار النافع ! ﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بارتكاب المعاصى ، واقتحام الذنوب ﴿لا تقنطوا﴾ لا تيأسوا ﴿من رحمة الله﴾ ومغفرته ؛ فالقنوط من رحمته تعالى : كفر ! ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ للتائب المستغفر

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(وأنيبوا الى ربكم) ارجعوا إلى ساحته، واطلبوا مغفرته (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل والنية (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة) فجأة؛ كما حل بآل فرعون (أن تقول نفس) أى لئلا تقول نفس مذنبة يوم القيامة: (ياحسرتا على ما فرطت) على ما قصرت (فى جنب الله) أى فى حقه تعالى، وفى طاعته (أو تقول) نفس (لو أن الله هدانى لكنت من المتقين) ينكرون على الله تعالى هدايته لهم؛ وقد هداهم. ألم يرسل لهم الرسل، وينزل عليهم الكتب؟ ألم يخلق لهم العقول التى تميز بين المليح والقبيح، والسقيم والصحيح؟! (أو تقول) نفس (حين ترى العذاب) المعد لها يوم القيامة: (لو أن لى كرة) رجعة إلى الدنيا (بلى) جواب النفى المستكن فى المعنى؛ لأن القائل حين يقول: «لو أن الله هدانى» فإنه ينفى هداية الله تعالى له وينكرها؛ فقيل له جوابا لنفيه للهداية: «بلى» أى نعم قد بين الله تعالى لك طريق الهدى؛ بحيث صار فى مقدورك، وفى متناول فهمك؛ و (قد جاءتك آياتى) المحكمات البينات (فكذبت) ولم تؤمن (بها واستكبرت) عن اتباع سبيل المؤمنين (وكنت من الكافرين) الضالين عن الرشد والهداية (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بنسبة الشريك والولد إليه (وجوههم مسودة) من غضب الله تعالى ونقمته! (أليس فى جهنم مثوى) مأوى (للمتكبرين) عن الإيمان (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) أى وينجى الله الذين اتقوا بسبب أعمالهم الصالحة؛ التى أدت إلى فوزهم ونجاتهم. والمفازة: المنجاة (لا يمسهم السوء) العذاب، أو الخزى (ولا هم يحزنون) بالحرمان من النعيم الذى يريدونه، والخير الذى يطلبونه (وهو على كل شىء وكيل) حافظ، وقائم، ومتصرف

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أى ملكهما ؛ وذلك كقولهم : فلان تولى مقاليد الملك . والمقاليد : المفاتيح . أو هى الخزائن ، أو الأبواب ﴿قل أفغير الله تأمرونى﴾ تأمرونى ؛ وبها قرأ ابن عامر ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ أى ليبطلن ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أى ما عرفوه حق معرفته ، وما عظموه حق تعظيمه ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ أى تحت قبضته وقهره ، وسيطرته وسلطانه ! ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ أى بقدرته ؛ وقيل: هو على سبيل المجاز ؛ أى أن السموات على عظمها وكبرها ؛ فإنها تكون بالنسبة إليه تعالى كالشىء الصغير الحقير ، الذى يطوى باليمين . وهو كناية عن قدرة الله تعالى ، وإحاطته بجميع مخلوقاته . كما تقول : فلان لا يخرج من يدى ، ولا ينفك من قبضتى ﴿سبحانه﴾ تنزه وتقدس ﴿ونفخ فى الصور﴾ وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ؛ بأمر ربه ﴿فصعق﴾ مات ﴿من فى السموات﴾ من مخلوقات وأملاك ﴿ومن فى الأرض﴾ من الإنس والجن ، وغيرهما من المخلوقات ﴿إلا من شاء الله﴾ وهم الشهداء ؛ لأنهم «أحياء» بعد موتهم «عند ربهم يرزقون» وقيل : هم خواص الملائكة ؛ كجبريل ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ؛ عليهم السلام ﴿وأشرقت الأرض﴾ أضاءت أرض المحشر ﴿بنور ربها﴾ بعدله وقضائه بين عباده ﴿ووضع الكتاب﴾ الصحف التى فيها أعمال بنى آدم ؛ فنهم آخذ بيمينه ، ومنهم آخذ بشماله ﴿وجىء بالنبيين﴾ ليسألهم تعالى : «ماذا أجبتم» ﴿والشهداء﴾ فيشهدون لمن ذب عن دين الله تعالى ، ودافع فى سبيله ﴿ووفيت كل نفس﴾ جزاء ﴿ما عملت﴾ من خير أو شر ﴿وسيق الذين كفروا﴾ وعصوا الرسول

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة

﴿إلى جهنم زمراً﴾ أفواجاً وجماعات ﴿قالوا بلى﴾ أى نعم جاءتنا رسل ربنا ﴿ولـكن حقت﴾ وجبت ﴿كلمة العذاب﴾ أى كلمة الله تعالى، المقتضية له؛ أو هى قوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ﴿فبئس مثوى﴾ مقام ﴿المتكبرين﴾ الكافرين ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾ خافوا عقابه، وسعوا إلى رضوانه ﴿إلى الجنة زمراً﴾ أفواجاً وجماعات ﴿وقال لهم خزنتها﴾ حراسها من الملائكة ﴿سلام عليكم طبتم﴾ من دنس الذنوب والمعاصى؛ فاستحققتم الجنة، أو «طبتم» نفساً؛ بما أوتيتم من خير عميم، ونعيم مقيم! ﴿فادخلوها خالدين﴾ فيها، غير خارجين منها «ما دامت السموات والأرض» ﴿وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾ بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أى أرض الجنة ﴿نتبوأ﴾ نسكن ﴿من الجنة حيث نشاء﴾ أى حيث نريد؛ فلا تثريب ولا تضييق، ولا منع ولا حجرا ﴿وترى الملائكة حافين﴾ محيطين ومحدقين ﴿من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾ يقدسونه، وينزهونه عما لا يليق به ﴿وقضى بينهم﴾ أى بين الخلائق جميعاً. وقيل: بين الملائكة؛ فهم ـ وإن كانوا كلهم معصومين من الخطأ والزلل ـ فإن ثوابهم يكون على حسب تفاضل أعمالهم؛ فتتفاوت بذلك مراتبهم ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ افتتح تعالى الخلق بالحمد: قال عز من قائل: «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور» واختتمه أيضاً جل شأنه بالحمد: «وقيل الحمد لله رب العالمين»

(٤٠) سورة غافر مكية
إلا آيتى ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان
وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴿٢﴾ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴿٣﴾ ما يجادل فى ءايت الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلد ﴿٤﴾ كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجدلوا بالبطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب ﴿٥﴾ وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحب النار ﴿٦﴾ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون

(سورة غافر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ قيل: اسم من أسمائه تعالى. وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: «الر» و «حم» و «ن» هى حروف الرحمن متفرقة. وقيل غير ذلك (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿غافر الذنب﴾ لمن أقلع عن ذنبه، واستغفر ربه ﴿وقابل التوب﴾ ممن تاب وأناب ﴿شديد العقاب﴾ لمن عصى ربه، واستمرأ ذنبه! ﴿ذى الطول﴾ ذى الفضل السابغ، والانعام الواسع ﴿لا إله إلا هو﴾ لا معبود سواه ﴿إليه المصير﴾ فيجزى كلا بما عمل ﴿فلا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ أى لا تخدعك أسفارهم بالتجارات، والأموال والأولاد؛ وعودتهم سالمين غانمين؛ فتظن أنهم بمنجاة من عذابنا وانتقامنا؛ فإن مصيرهم جميعاً إلى النار ﴿والأحزاب﴾ الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم: كعاد، وثمود، ومن بعدهما ﴿ليأخذوه﴾ ليقتلوه ﴿ليدحضوا﴾ ليبطلوا ﴿فأخذتهم﴾ فعاقبتهم ﴿حقت﴾ وجبت ﴿الذين يحملون العرش﴾ من الملائكة ﴿ومن حوله﴾ أى حول العرش؛ من الملائكة أيضاً

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا

وَمَا

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أى لا عمل لهم سوى قولهم : سبحان الله وبحمده ! ﴿ويستغفرون﴾ يطلبون المغفرة ﴿للذين آمنوا﴾ قائلين فى استغفارهم ﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً﴾ أى وسعت رحمتك كل شىء ، ووسع علمك كل شىء ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من ذنوبهم ، وأقلعوا عن كفرهم ﴿واتبعوا سبيلك﴾ الذى ارتضيته لعبادك ؛ وهو دين الإسلام ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾ أى جنات الإقامة ؛ من عدن فى المكان: إذا أقام فيه ﴿التى وعدتهم﴾ بها ﴿وقهم السيئات﴾ أى عقوبتها ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله﴾ لكم فى الدنيا ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ والمقت : أشد البغض . ومقتهم أنفسهم يوم القيامة : كراهة بعضهم بعضاً ، قال تعالى «ويلعن بعضكم بعضاً» وقال جل شأنه «قالوا بل أنتم لامرحباً بكم» ﴿إذ تدعون﴾ فى الدنيا ﴿إلى الإيمان فتكفرون﴾ المعنى : «لمقت الله لكم» فى الدنيا حين «تدعون إلى الإيمان فتكفرون» «أكبر من مقتكم أنفسكم» الآن ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ فى هذا دليل على الإحياء داخل القبر للسؤال ، والإماتة بعده ، والإحياء للبعث ؛ فتصير موتتان وحياتان ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ وكفرنا الآن ﴿فهل إلى خروج﴾ من النار ، ورجوع إلى الدنيا ﴿من سبيل﴾ «فنعمل غير الذى كنا نعمل» فيقال لهم : لاسبيل إلى الخروج ألبتة ﴿ذلكم﴾ العذاب الذى أنتم فيه ، وعدم الاستماع إليكم ، ورفض إخراجكم من النار وإعادتكم إلى الدنيا ﴿بأنه﴾ بسبب أنه ﴿إذا دعى﴾ عبد ﴿الله وحده كفرتم وإن يشرك به﴾ أى يعبد سواه ﴿تؤمنوا﴾ بذلك المعبود الآخر ﴿هو﴾ جل شأنه ﴿الذى يريكم آياته﴾ دلائل قدرته ووحدانيته ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ مطراً ؛ لأنه سبب للرزق

﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ يرجع إلى الله، ويقلع عن الكفر والعصيان ﴿فادعوا الله﴾ اعبدوه أيها المؤمنون ﴿مخلصين له الدين﴾ أى مخلصين له وحده الطاعة والعبادة من كل شائبة؛ فقد علمتم ما سيحيق بالكافرين (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) ﴿رفيع الدرجات﴾ أى عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين: فى الدنيا، وفى الجنة ﴿ذو العرش﴾ أى ذو الملك: صاحبه، ومالكه، وخالقه ﴿يلقى الروح من أمره﴾ أى يلقى الوحى بأمره ﴿على من يشاء من عباده﴾ الذين اصطفاهم لرسالته ﴿لينذر﴾ بما ينزله عليهم ﴿يوم التلاق﴾ يوم القيامة؛ ففيه يلتقى الأولون والآخرون، وأهل السموات وأهل الأرضين ﴿يوم هم بارزون﴾ ظاهرون؛ لا بظواهرهم وأشكالهم فحسب، بل بأعمالهم وخوافيهم ﴿لمن الملك اليوم﴾ يقول ذلك الملك الجليل؛ ويجيب نفسه بقوله ﴿لله الواحد القهار﴾ أو تقول ذلك الملائكة، وتجيب عليه سائر الخلائق إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ بما عملت ﴿وأنذرهم﴾ يا محمد ﴿يوم الآزفة﴾ يوم القيامة؛ وسميت آزفة: لقربها ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ أى إنهم - من شدة فزعهم ورعبهم - تصعد قلوبهم إلى حناجرهم! ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أى صديق مخلص؛ يدفع عنهم العذاب ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ أى استراق النظر إلى ما لا يحل ﴿وما تخفى الصدور﴾ أى ما تكنه من خير وشر؛ أو يعلم استراق النظر إلى الأجنبية، وما تخفى الصدور من التفكر فى جمالها، والرغبة فى نيلها؛ فى حين لا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته؛ والله يعلم بذلك كله ﴿والله يقضى﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿بالحق﴾ الكامل المطلق ﴿والذين يدعون﴾ أى يعبدونهم ﴿من دونه﴾ غيره ﴿لا يقضون بشىء﴾ أصلا؛ لأنها جمادات لا تستطيع القضاء بالحق ولا بالباطل؛ فكيف تعبد من دون الله وهذا حالها؟! ﴿كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض﴾ فقد كانت لهم المصانع، والقصور، والحصون وغير ذلك. وها هى أهرامهم، ومعابدهم، ودورهم، وقبورهم، ونصبهم، وتماثيلهم؛ كل ذلك يشهد بآثارهم التى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم، والتى لم تصل أخبارها إلى نبيه الصادق عليه الصلاة والسلام؛ فكانت إحدى معجزاته البينات!

وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا

فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ

كَذِبُهُۥ

﴿فأخذهم الله﴾ أهلكهم ﴿وما كان لهم من الله﴾ أى من بطشه وعذابه
﴿من واق﴾ حافظ يقيهم بأسه وعذابه

﴿وسلطان مبين﴾ برهان ظاهر؛ يتسلط على الأبصار، والأسماع، والأذهان؛ وهى المعجزات الظاهرات ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ أى بالكتاب الحق؛ وهو التوراة. أو بتوحيد الله تعالى، والأمر بطاعته
﴿واستحيوا نساءهم﴾ استبقوهن للخدمة أو افعلوا بهن مايخل بالحياء ﴿وما كيد الكافرين إلا فى ضلال﴾ خسران وهلاك ﴿وقال فرعون﴾ لقومه ﴿ذرونى﴾ دعونى واتركونى ﴿أقتل موسى وليدع ربه﴾ حينئذ لينصره منى، ويمنعه من القتل إن كان صادقا.
﴿وقال موسى إنى عذت﴾ التجأت واعتصمت
﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قيل: ابن عمه ﴿يكتم إيمانه﴾ عن فرعون وشيعته؛ خشية أن يقتلوه ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ الآيات الواضحات، والمعجزات الظاهرات ﴿وإن يك كاذبا﴾ فيما يقول

﴿فعليه كذبه﴾ أى عليه وحده إثم كذبه ؛ لا عليكم ﴿وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ من العذاب

كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ

﴿إن الله لايهدى من هومسرف﴾ الإسراف: تجاوز الحد فى كل شيء ﴿ظاهرين﴾ عالين ﴿فن ينصرنا من بأس الله﴾ عذابه وبطشه ﴿قال فرعون﴾ لقومه ﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾ أى ما أشير عليكم إلا بما ارتضيته لنفسى ﴿وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ أى مثل اليوم الذى أنزل فيه الله تعالى العذاب على الأقوام الذين تحزبوا على أنبيائهم ﴿مثل دأب﴾ مثل عادة ﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ ممن كذبوا أنبياءهم ؛ فعذبهم الله تعالى عذاباً شديداً فى الدنيا ، وأخذهم بكفرهم وتكذيبهم ﴿وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد﴾ يوم القيامة . وسمى بذلك لأنه ينادى فيه على الخلائق : «واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب... ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ... ونادى أصحاب الأعراف رجالا ... ونادوا أصحاب الجنة ... ونادوا يامالك» ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ يعصمكم من عذابه ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ بالحجج القاطعة الظاهرة ؛ كقوله عليه السلام : «أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار» ﴿حتى إذا هلك﴾ مات ﴿كذلك﴾ أى مثل الإضلال الذى وقع على الكافرين بالأنبياء ، وما أنزل عليهم من آيات بينات ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ فى الكفر والعصيان ﴿مرتاب﴾ شاك فيما جاءه من المعجزات . فالكفر ، والارتياب : سابقان للإضلال ؛ وإضلال الله تعالى لا يكون إلا نتيجة للإصرار على الكفر ، والتمسك بالتكذيب ، وطرح تفهم الآيات ، والنظر فى الدلالات جانباً ؛ و «كذلك يضل الله الكافرين»

﴿الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان﴾ حجة أو برهان ﴿كبر مقتاً﴾ عظم بغضاً ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الإضلال الواقع على من كفر وفجر ﴿يطبع الله﴾ يختم ويغطى ﴿على كل قلب متكبر جبار﴾ فالتكبر والتجبر: سابقان على طبع الله وختمه «على كل قلب متكبر جبار» وقد أراد الله تعالى أن يرينا مثالا للمتكبرين المتجبرين، المسرفين المرتابين الكاذبين؛ المستحقين للاضلال والإذلال، والتغطية والتعمية؛ وهل بعد تكبر فرعون من تكبر؟ وهل بعد إسرافه فى الكفر من إسراف؟! ﴿وقال فرعون﴾ لوزيره ﴿ياهامان ابن لى صرحاً﴾ قصراً عالياً ﴿أسباب السموات﴾ أى أبوابها، أو طرقها، أو ما يؤدى إليها. ولعل اللعين قد طلب من وزيره ما يفعله الآن بعض الملاعين؛ من عمل صواريخ يزعمون الوصول بها إلى الكواكب والسموات؛ وهيهات هيهات لما يتوهمون! (انظر آية ٦١ من سورة الفرقان) ﴿فأطلع﴾ أنظر ﴿وإنى لأظنه﴾ أى أظن موسى ﴿كاذباً﴾ فيما يزعمه: من أن له إلهاً واحداً ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ عقوبة له على تماديه فى الكفر، وطرحه ما ظهر له من الآيات والمعجزات وراء ظهره ﴿وصد عن السبيل﴾ منع عن الإيمان؛ لأنه منع عقله عن التدبر، وقلبه عن التبصر؛ وحارب ربه، وقاتل رسوله، وقتل مخلوقاته، وادعى الربوبية، وقال: «ما علمت لكم من إله غيرى» فحق عليه غضب الله تعالى: فأصمه عن الاستماع، وصده عن سبيل الإيمان؛ عقوبة له على غيه وبغيه! ﴿وما كيد فرعون إلا فى تباب﴾ خسار، وهلاك ﴿إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أى تمتع لا يلبث أن يزول ﴿وإن الآخرة هى دار القرار﴾ دار البقاء والاستقرار ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ رزقا واسعاً؛ لا حد له، ولا انتهاء! ﴿وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة﴾ أى إلى الإيمان؛ وهو الطريق الموصل إلى النجاة من النيران ﴿وتدعوننى إلى النار﴾ أى إلى الكفر الموصل إلى الجحيم، والعذاب الأليم

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ * وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ

إلى

إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا

﴿وأنا أدعوكم إلى﴾ عبادة ﴿العزيز﴾ القادر المقتدر، الخالق الرازق ﴿الغفار﴾ الذى يغفر الذنوب جميعاً، ويعفو عن السيئات ﴿لاجرم﴾ حقاً، لا محالة ﴿أن ما تدعوننى إليه﴾ لأعبده ﴿ليس له دعوة﴾ أى لا يستطيع استجابة دعوة ﴿فى الدنيا﴾ بأن يحفظ، أو يكلأ، أو يرزق، أو يشفى ﴿ولا فى الآخرة﴾ بأن يشفع، أو ينعم، أو يغفر، أو يرحم ﴿وأن مردنا﴾ مرجعنا جميعاً ﴿إلى الله﴾ فيجزينا على إيماننا خير الجزاء، ويعاقبكم على كفركم أشد العقاب ﴿وأن المسرفين﴾ المتجاوزين الحد بكفرهم ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ حين ترون العذاب بأعينكم، وتحسونه بجسومكم؛ حيث لا ينفع الندم، ولا يجدى الاستغفار ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ وقاه تدبيرهم لقتله، ومكرهم لإيذائه ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بآل فرعون سوء العذاب﴾ أشده وأقبحه؛ وهو ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ صبحاً ومساء. والمراد به استمرار العذاب؛ وذلك فى الدنيا: يعذبون فى قبورهم؛ وهو دليل على عذاب القبر؛ وهو واقع لا محالة بأهل الكفر والضلال؛ وقد استعاذ منه سيد الخلق صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقول العزيز الجبار للملائكته ﴿أدخلوا آل فرعون﴾ هو ومن تبعه ﴿أشد العذاب﴾ فى جهنم وبئس المهاد! ﴿وإذ يتحاجون﴾ يتخاصمون ﴿فيقول الضعفاء﴾ الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ لرؤسائهم ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا نصيباً من النار﴾ جانباً منها ﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ ولامعقب لحكمه، ولا راد لقضائه ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات، والآيات الواضحات ﴿قالوا بلى﴾ نعم جاءتنا رسلنا ﴿قالوا﴾ أى قال خزنة جهنم للكافرين ﴿فادعوا﴾ ربكم ما شئتم أن تدعوه؛ فلن يستجيب لكم

﴿وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ خسار وضياع ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ الشهداء ؛ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ وذلك يوم القيامة ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ المعجزات التى تهدى من رآها ، والتوراة التى تهدى من قرأها ﴿وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿هدى﴾ ليهتدوا بما فيها ﴿وذكرى﴾ تذكرة ﴿لأولى الألباب﴾ ذوى العقول ﴿فاصبر﴾ يامحمد على أذاهم ﴿إن وعد الله﴾ بنصر أوليائه ، وكبت أعدائه ﴿حق﴾ واقع لا مرية فيه ﴿واستغفر لذنبك﴾ ليكون استغفارك سنة لأمتك ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى داوم على التسبيح . وأفضل التسبيح : «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» وقيل : المراد بالتسبيح : الصلاة ؛ لأنها مشتملة عليه ﴿بالعشى والإبكار﴾ فى المساء والصباح ﴿إن الذين يجادلون فى آيات الله﴾ قرآنه ﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجة ، ولا برهان ؛ على صدق مجادلتهم ومحاجتهم ﴿إن فى صدورهم إلا كبر﴾ أى ما فى صدورهم إلا تكبر عليك ، وطمع أن تعلو مرتبتهم على مرتبتك ﴿ماهم ببالغيه﴾ أى ماهم ببالغى أثر هذا الكبر؛ وهو الارتفاع والاستعلاء عليك؛ بل هم فى أسفل سافلين ، فى الدنيا ويوم الدين ﴿فاستعذ بالله﴾ الجأ إليه من مكرهم وأذاهم ﴿إنه هو السميع﴾ لقولك وأقوالهم ﴿البصير﴾ بحالك وحالهم ﴿لخلق السموات﴾ ومافيهامن الكواكب والمخلوقات ﴿والأرض﴾ وما فيها وما عليها ﴿أكبر من خلق الناس﴾ وإعادتهم للحساب والجزاءيوم القيامة ﴿ومايستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء﴾ أى كما أنه لا يستوى الأعمى والبصير : فإنه لا يستوى المؤمن والكافر ، والطائع والعاصى ﴿إن الساعة﴾ القيامة ﴿لآتية لا ريب فيها﴾ أى لا شك فى إتيانها

دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ

فِيهَا

﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ أى سلونى أعطكم . وقيل : «ادعونى» أى اعبدونى «أستجب لكم» أجب ما تطلبونه من حوائج الدنيا والآخرة !

ولو أن الداعى حين يدعو ربه - القادر القاهر - يكون واثقاً بما عنده ؛ وثوقه بما عند نفسه ؛ لما أبطأت إجابته ، ولسعت إليه حاجته ، ولكان طلبه رهن إشارته ، ووفق رغبته ! فانظر - هداك الله تعالى ورعاك - إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يضع أهله وذريته فى مهمه قفر ؛ حيث لا كلأ ولا ماء ، ولا إنس ولا أنيس ؛ فيدعو ربه : واثقاً بما عنده : «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع . . . فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات» فهوت إليهم أفئدة كثير من الناس من سائر الأقطار ؛ وحملت المطعومات والثمار ؛ من كل صوب وحدب ؛ فطعموها قبل أن يطعمها زارعوها وحاملوها ! أليس هذا من صنع واسع العطاء ، مجيب الدعاء ؟! (انظر آية ١٨٦ من سورة البقرة) ﴿داخرين﴾ أذلاء صاغرين ﴿لتسكنوا فيه﴾ ترتاحوا وتناموا ﴿والنهار مبصراً﴾ تبصرون فيه ما تريدون ، وتعملون فيه ما ترغبون ﴿ذلكم﴾ الخالق للسموات والأرضين ، المالك ليوم الدين ، المستجيب للداعين ، الجاعل الليل سكناً وراحة للنائمين ، والنهار مبصراً المشتغلين والعاملين «ذلكم» هو ﴿الله﴾ رب العالمين ﴿خالق كل شىء﴾ مبدع الكائنات وما فيها ومن فيها ، وخالق كل ما أحاط به علمكم ، ومالم يحط به ، وما خطر فى أذهانكم ، ومالم يخطر لكم على بال ﴿لا إله إلا هو﴾ وحده ؛ واجب الوجود ، والعبودية ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن معرفته ؟ وقد ظهرت لكم الحجج على وحدانيته ؟ وعن عبادته ؛ وقد بانت لكم الدلالات على قدرته ؟ ﴿كذلك﴾ أى كما صرفتم عن الحق الواضح ، وعن معرفته تعالى ؛ مع قيام الأدلة والبراهين على ألوهيته ﴿يؤفك﴾ يصرف ﴿الذين كانوا بآيات الله﴾ كتبه ، ودلائل ربوبيته ﴿يجحدون﴾ يجحدون بها ، ولا يلتفتون إليها ، ولا يتدبرونها ﴿الله الذى جعل لكم الأرض قراراً﴾ مستقرا لكم ؛ حال حياتكم ، وبعد مماتكم ﴿والسماء بناء﴾ سقفاً ثابتاً ؛ لا يزول ، ولا يحول ﴿ذلكم﴾ الذى جعل الأرض قراراً لكم ، والسماء بناء فوقكم «وصوركم فأحسن صوركم» ورزقكم ما عمله بيديه ، ولم تعمله أيديكم ، وأسبغ عليكم نعمه بفضله لا بسعيكم «ذلكم» ﴿الله ربكم فتبارك الله رب العالمين . هو الحى﴾ الباقى على الدوام ، السامع لدعائكم ، المجيب لندائكم ﴿لا إله إلا هو﴾ ولا معبود سواه ﴿فادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ صادقين فى عبادته ، لاتشركون فى طاعته ومحبته ! ومن الشرك الخفى : أن تفضل =

فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ * قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟

أَبْوَٰبَ

= دنياك على دينك ، وأن تحب مالك أكثر من مآلك ! (الحمد لله رب العالمين) أن وهبك الإيمان ، وهداك بالقرآن ، ووفقك إلى الإحسان ووقاك كيد الشيطان ! (هو الذي خلقكم من تراب) أي خلق أباكم آدم منه (ثم من نطفة) مني (ثم من علقة) هي واحدة الحيوانات الصغيرة التي ثبت وجودها بالمني . وقيل: العلقة: قطعة دم غليظ (ثم لتبلغوا أشدكم) تكامل قوتكم . وهو من ثلاثين إلى أربعين سنة . (انظر آية ٢١ من الذاريات (ومنكم من يتوفى) يستوفى أجله فيموت (من قبل) أي قبل بلوغ الأشد والشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) وقتا محدوداً : هو انتهاء آجالكم (ولعلكم تعقلون) دلائل التوحيد التي بسطناها لكم ، وهيأنا أذهانكم لقبولها (فإذا قضى أمراً) أي أراد فعله وإيجاده (فإنما يقول له كن فيكون) هو تقريب لأفهامنا ؛ والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً : كان بغير افتقار للفظ «كن» (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله) القرآن (أنى يصرفون) كيف يصرفون عنها ؛ مع وضوحها وإعجازها (ثم في النار يسجرون) أي تملأ بهم النار؛ وهو من سجر التنور : إذا ملأه بالوقود «وأولئك هم وقود النار» أو «يسجرون» يوقدون بها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا (بل لم نكن ندعو) نعبد (كذلك) أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين (يضل الله الكافرين) المعاندين لله، المكذبين لرسله ، المنكرين لكتبه (ذلكم) العذاب الذي تعذبونه في الآخرة (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) باللهو والعصيان؛ وذلك لأن السارق يفرح بسرقته ، والزاني يفرح بزناه ، والباغي يفرح ببغيه ، والظالم يفرح بظلمه . أما الفرح بالطاعات ، وبما أحله الله : فهو من عموم المباحات ؛ التي يثاب عليها ! (وبما كنتم تمرحون) المرح : التوسع في السرور والفرح . ويطلق أيضاً على البطر



أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

(مثوى) مقام ﴿فإما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ فإن نرينك بعض مانعدهم به من العذاب ﴿فإلينا﴾ بعد موتهم ﴿يرجعون﴾ فنعاقبهم بما عملوا، ونأخذهم بما ظلموا ﴿منهم من قصصنا عليك﴾ نبأهم فى هذا القرآن ﴿وما كان لرسول﴾ ما حق، وما جاز لأى رسول ممن أرسلنا من رسلنا ﴿أن يأتى بآية﴾ معجزة من عند نفسه ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ يوم القيامة ﴿قضى﴾ بين الناس ﴿بالحق﴾ المطلق؛ الذى لا تشوبه شائبة ﴿وخسر هنالك﴾ فى الآخرة ﴿المبطلون﴾ الكافرون ﴿الأنعام﴾ الإبل ﴿ولكم فيها منافع﴾ فى نسلها، ووبرها، وشعرها، وألبانها ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ هى الأسفار وحمل الأثقال ﴿وعليها وعلى الفلك﴾ أى على الأنعام فى البر، وعلى السفن فى البحر ﴿تحملون﴾ فيالها من نعمة لايحيط بها وصف، ولا يوفيها شكر: ذلل لنا ما نركب فى البر والبحر، وسخر لنا الحيوان والجماد. اللهم أعنا على القيام بواجب شكرك، ولا تجعل هذه النعم استدراجاً لنا، وامتحاناً لإيماننا؛ بفضلك ومنك ياأرحم الراحمين! ﴿ويريكم﴾ الله ﴿آياته﴾ الدالة على وحدانيته، الموصلة إلى جنته! ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الكفار؛ الذين انتقمنا منهم وأهلكناهم، وقطعنا دابرهم؛ وقد ﴿كانوا أكثر منهم﴾ عدداً ﴿وأشد قوة﴾ وعدة ﴿وآثاراً فى الأرض﴾ مما بنوه من قصور، وآثار، وقبور، وكنوز ﴿فما أغنى﴾ أى لم يغن ﴿عنهم ما كانوا يكسبون﴾ يعملون فى الدنيا

(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات ، والحجج الواضحات (فرحوا) أى فرح الكفار (بما عندهم من العلم) الدنيوى «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» وقيل : فرح الرسل بما علموه من ربهم : من نصرتهم وخذل الكافرين (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزئون) أى حل بهم العذاب الذى كانوا يستهزئون به ، وينكرون وقوعه (فلما رأوا بأسنا) شاهدوا عذابنا الموعود (قالوا آمنا) حيث لا ينفع الإيمان وقتئذ (سنة الله) طريقته وعادته (التى قد خلت) مضت (فى عباده) السابقين (وخسر هنالك) وقت نزول العذاب (الكافرون) خسروا حياتهم الدنيا بالموت ، وحياتهم الأخرى بالجحيم !

بِالْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٤١) سُورَةُ فُصِّلَتْ مَكِّيَّة وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا

وَقْرٌ

(سورة فصلت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (تنزيل) أى هذا القرآن «تنزيل» (من الرحمن الرحيم) بعباده : أرسل لهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب، وأحاطهم بكل ماينجيهم، وهيأ لهم أسباب الإيمان واليقين (كتاب) هو القرآن (فصلت آياته) بينت ؛ بما احتوته من أحكام ، وأوامر، ونواه (بشيراً) لمن اتبعه بالجنة (ونذيراً) لمن خالفه بالنار (فأعرض أكثرهم) عن سماع هذا الكتاب وتدبره (فهم لا يسمعون) سماع تدبر (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أغطية

﴿وفى آذاننا وقر﴾ صمم ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ حائل ومانع؛ يحول دون اتباعك، وإيماننا بماجئت به. ولم يكن ثمت مانع سوى عنادهم واستكبارهم ﴿فاعمل﴾ على دينك ﴿إننا عاملون﴾ على ديننا ﴿فاستقيموا إليه﴾ بالإيمان والطاعة ﴿واستغفروه﴾ عما فرط منكم؛ ليصلح دنياكم وآخرتكم ﴿وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ عبر تعالى عمن لا يؤتى الزكاة بالمشركين، وأنه من الكافرين بيوم الدين. لأنه لو آمن بالجزاء؛ لما بخل بالعطاء؛ فتدبر هذا أيها المؤمن (انظر آيتى ٢٥٤ من سورة البقرة، و ١٤١ من سورة الأنعام) ﴿غير ممنون﴾ غير مقطوع ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين﴾ خلقها تعالى فى يومين؛ ولو شاء لخلقها فى أقل من لمحة؛ وذلك ليعلم خلقه التدبر والأناة ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ شركاء، ونظراء. والند: المثل ﴿وجعل فيها رواسى﴾ جبالا شامخات ﴿وبارك فيها﴾ بالماء، والزرع، والضرع، والشجر، والثمر ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها، ومعايشهم، وما يصلحهم ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قصد ووجه إرادته وقدرته إليها ﴿وهى دخان﴾ بخار مرتفع كالسحاب؛ والمراد أنها لم تكن شيئاً مذكوراً ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ هو على سبيل المجاز؛ ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان، وامتثالهما ذلك الأمر: أنه تعالى أراد أن يكونهما؛ فلم يمتنعا عليه، ولم يعسر عليه خلقهما؛ وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع؛ إذا أمره الآمر المطاع ﴿فقضاهن﴾ خلقهن ﴿وزينا السماء الدنيا﴾ السماء الأولى ﴿بمصابيح﴾ كواكب ﴿وحفظاً﴾ أى والكواكب فضلا عن كونها زينة للسماء؛ فهى أيضاً معدة لحفظها من الشياطين التى تسترق السمع ﴿ذلك﴾ الخلق، والتزيين، والحفظ ﴿تقدير العزيز﴾ القادر فى ملكه، القاهر فى خلقه، الغالب الذى لا يغلب

وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾

(العليم) بخلقه (فإن أعرضوا) عن الإيمان؛ بعد ظهور بواعث الإيقان (فقل) لهم (أنذرتكم) أى أنذركم وأحذركم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى عذاباً يهلككم؛ مثل العذاب الذى أهلك عاداً وثمود. والصاعقة: نار تنزل من السماء. وعاد: قوم هود. وثمود: قوم صالح (إذ جاءتهم الرسل) فأنذرتهم بالعذاب، وحذرتهم من الكفر؛ كما جئتكم وأنذرتكم «جاءتهم الرسل» (من بين أيديهم ومن خلفهم) هو كناية عن كثرة الرسل، وإحاطتهم بهم من كل مكان. أو المراد: تتابع الرسل عليهم؛ متقدمين عنهم ومتأخرين. فكذبوهم، وكفروا بهم (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) عاصفة، تصرصر فى هبوبها؛ أى تصوت، وهو من الصرير (فى أيام نحسات) مشئومات؛ لوقوع العذاب فيها. أما سائر الأيام: فلاشؤم فيها؛ إنما يتولد الشؤم من المعاصى، وإتيان ما يغضب الله تعالى، ويستوجب عقابه. (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (ولعذاب الآخرة أخزى) أشد، وأفدح، وأفضح (وهم لا ينصرون) لا يستطيع أحد أن يمنع وقوعه بهم (وأما ثمود فهديناهم) أى فهدنا لهم سبل الهداية: بأن جعلنا لهم عقولا بها يفقهون، وآذاناً بها يسمعون، وأعيناً بها يبصرون؛ وأعددناهم بذلك للرؤية، والاستماع والتفهم؛ ثم أرسلنا لهم الرسل، وأبنا لهم طرق الرشد، وحذرناهم من الوقوع فى شرك الشيطان، والسقوط فى مهاوى الضلال (فاستحبوا العمى على الهدى) أى فاختاروا - برغبتهم وميلهم - الكفر على الإيمان (العذاب الهون) المهين (بما كانوا يكسبون) بما كانوا يعملون من المعاصى

﴿فهم يوزعون﴾ يساقون بكثرة إلى النار؛ بحيث يحبس أولهم على آخرهم ﴿حتى إذا ما جاءوها﴾ أى جاءوا القيامة، أو جاءوا الجحيم ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ يشهد «سمعهم» بما سمع من الغيبة «وأبصارهم» بما رأت من الحرام «وجلودهم» بما ارتكبت من زنا؛ لأن المراد بالجلود: الفروج. والتعبير

يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ

عن الفروج بالجلود: من الكنايات الدقيقة؛ وإلا فأى ذنب تأتيه الجلود الحقيقية؛ إذا فسرناها على ظاهرها؟ ﴿وما كنتم تستترون﴾ تستخفون من أنفسكم؛ خشية ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ وكيف يستخفى الإنسان بذنبه من أعضائه وهى ملتصقة به؟ أو كيف يستخفى بجريمته من جوارحه وهى أداتها، والسبيل إليها؟ ولكنه لما كان هو المسيطر عليها، الدافع لها، المدبر لارتكابها: كان الإثم محيطاً به، والعقاب واقعاً عليه. ولا أدرى كيف يعصى الله تعالى عاصيه، أو كيف يجحده جاحده؛ وهو مطلع عليه، وناظر إليه، وجوارحه يوم القيامة شاهدة عليه؟ وما أحسن قول القائل:

هل يستطيع جحود ذنب واحد
رجل جوارحه عليه شهود؟

﴿وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم﴾ من أنه لا يراكم، وأنه «لا يعلم كثيراً مما تعملون» ﴿أرداكم﴾ أهلككم، وأوقعكم فى النار ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ وقد كان فى استطاعتكم أن تكونوا ضمن الفائزين! ﴿وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ أى وإن يطلبوا الرضا: فما هم من المرضيين. وذلك لأن العتاب من علائم الرضا، والعتاب: مخاطبة الإدلال. كما أن التوبيخ: مخاطبة الإذلال ﴿وقيضنا﴾ سخرنا وسلطنا ﴿قرناء﴾ أخداناً من الشياطين ﴿وحق عليهم القول﴾ وجب عليهم العذاب ﴿فى أمم قد خلت﴾ قدمضت ﴿والغوا فيه﴾ أى شوشوا عليه بكلام ساقط؛ لا معنى له، ولا طائل وراءه

لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ

أَحْسَنُ

﴿لعلكم تغلبون﴾ المؤمنين ؛ بهذا اللغو والتشويش ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس﴾ هما شيطانا الجن والإنس ؛ فإن شيطان الجن يوسوس إلى بعض الناس بالمعصية ، ويوسوس إلى بعضهم بالإغراء عليها ، والإيقاع فيها ، وكثيراً مايفوق شيطان الإنس شيطان الجن ؛ وهذا ظاهر : فإن من شياطين الإنس من يفوق بوسوسته وإغرائه شياطين الجن ؛ أعاذنا الله تعالى منهما بمنه ، وحمانا من كيدهما بفضله ! (انظر آية ١١٢ من سورة الأنعام) ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ عملوا الصالحات وأقاموا على التوحيد ! ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ تنزل عليهم عند الموت ؛ قائلين لهم ﴿ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة﴾ ولذلك يرى الميت الصالح ضاحكا عند موته مستبشراً ! وقيل : هذه البشرى فى مواطن ثلاثة : عند الموت ، وفى القبر ، وعند البعث ﴿نحن أولياؤكم﴾ نصراؤكم . وهو قول المولى عز وجل . أو من قول الملائكة التى تتنزل عليهم بأمر ربهم ﴿ولكم فيها ماتدعون﴾ ماتطلبون ، وماتتمنون ﴿نزلا﴾ النزل : مايعد للضيف من إكرام ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله﴾ إلى طاعته وعبادته ؛ وهو الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ أى إذا أساء إليك مسىء : فأحسن إليه . أو «ادفع بالتى هى أحسن» : بالصبر عند الشدة ، والكظم عند الغضب ، والعفو عند القدرة !



(فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى بسبب إحسانك لمن أساء إليك : يصير الذى بينك وبينه عداوة ؛ كالصاحب المحب المخلص (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى وما يلقى ، ويوفق إلى هــذه الخصلة الحميدة ــ التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان ، والدفع بالتى هى أحسن ــ إلا أهل الصبر ، الذين لهم عند ربهم حظ عظيم ؛ إذ فازوا بجنته ، وحظوا بمعيته «إن الله مع الصابرين . . . وبشر الصابرين . . . والله يحب الصابرين . . . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ)

أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ
حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا
عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ
ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم
مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا

النزغ : الإغراء . أى فان أغراك الشيطان على مالا ينبغى ؛ من عدم الدفع بالتى هى أحسن ، ومقابلة الإساءة بأسوأ منها (فاستعذ بالله) الجأ إليه ، واطلب منه تعالى إنجاءك من كيده وشره ! فرب شرارة أذكت ناراً ، وكلمة أشعلت حرباً ؛ وكم رأينا من مجازر بشرية ؛ ضاع فيها كثير من الأنفس البريئة ؛ بسبب كلمة بسيطة ؛ كان علاجها شيء من الحلم ، وقليل من الكظم . وذلك من عمل الشيطان الغوى المضل ! (ومن آياته) تعالى ؛ الدالة على قدرته ووحدانيته (الليل) وقد جعله لباساً ؛ لتسكنوا فيه (والنهار) مبصراً ؛ لتبتغوا من فضله (والشمس) وقد جعلها ضياء (والقمر) نورا . خلق الله تعالى كل ذلك لكم ؛ ليدل به على وجوده، وجوده؛ فاتخذتم منها آلهة تعبدونها (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) فإنهما مخلوقان أمثالكم (واسجدوا لله) المعبود ؛ واجب الوجود ! (الذى) خلقكم ، و (خلقهن) فكيف تعبدون المخلوق ، وتذرون أحسن الخالقين ؟ ! (فإن استكبروا) عن عبادة الرحمن ، وأصروا على اتباع الشيطان (فالذين عند ربك) من الملائكة عليهم السلام ؛ يعبدونه حق عبادته، و(يسبحون له) ينزهونه ويقدسونه (بالليل والنهار وهم لايسأمون) لا يملون من عبادته تعالى ، وتنزيهه وتقديسه «يسبحون الليل والنهار لايفترون» (ومن آياته) دلائل قدرته وعظمته وسلطانه (أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة ؛ لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت (إن الذى أحياها) بالإنبات ؛ بعد موتها بالجدب (لمحي الموتى) يوم القيامة للحساب والجزاء (إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يغيرون فى معانيها ، ويميلون بها عن الحق الذى نزلت به . أو «يلحدون فى آياتنا» دلائل قدرتنا ؛ التى قدمناها وسقناها ؛ من إنزال الماء ، وإحياء الأرض . بأن يقولوا : إن نزول الماء ، بواسطة الأنواء ، وطلوع النبات بطبيعة الأشياء (أفمن يلقى فى النار) بسبب كفره وعصيانه ، وإلحاده فى آيات الله تعالى (خير أم من يأتى آمناً) من العذاب ؛ بسبب إيمانه ، وصالح عمله (اعملوا ما شئتم) هو غاية الإنذار والتهديد

(إن الذين كفروا بالذكر) القرآن (وإنه لكتاب عزيز) منيع، جليل؛ لا يعتريه لغو، أو تناقض (ما يقال لك) يا محمد؛ من الطعن، والسب، والتكذيب (إلا ما قد قيل) مثله (للرسل) الذين أرسلناهم (من قبلك) كنوح، ولوط، وإبراهيم؛ عليهم السلام (إن ربك لذو مغفرة) لمن تاب وآمن (وذو عقاب أليم) لمن كفر وفجر! (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً) الأعجمية: هى كل لغة تخالف اللغة العربية (لقالوا) محتجين على

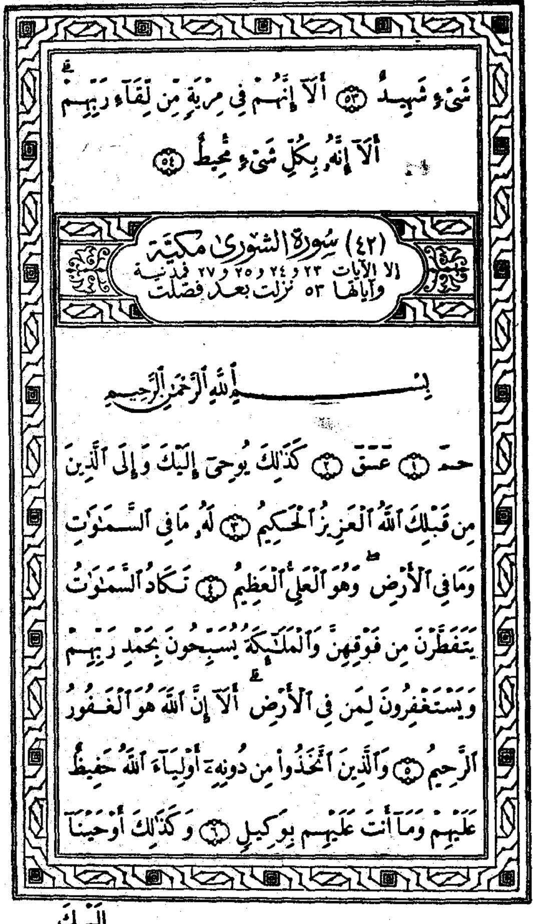
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ

أنثى

ذلك (لولا فصلت آياته) هلا بينت بالعربية حتى نفهمها (ءأعجمى وعربى) أى أقرآن أعجمى، يرسل إلى عربى؟ (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم إلى طريق البر والخير، ويوصلهم إلى الرحمة، والنعمة، والمغفرة، والنعيم المقيم (وشفاء) لما فى الصدور! وأقسم بكل يمين غموس: أن القرآن الكريم كم أذهب أسقاماً، وأزال آلاماً، وشفى صدوراً، وأبرأ جسوماً! وليس بمنقص من قدره، ولا بغاض من فضله: أن يتخذه أناس أداة للتكسب والاحتيال. وقد ورد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يرقون اللديغ بأم الكتاب: فيبرأ لوقته، ويقوم لساعته. وقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك. فأنعم به من هدى، وأكرم به من شفاء! وهو فضلا عن شفائه الأسقام والأوجاع؛ فإنه يشفى كل من آمن به؛ من الشك والريب (والذين لا يؤمنون) هو (فى آذانهم وقر) صمم (وهو عليهم عمى) يطمس قلوبهم، ويعمى أبصارهم وبصائرهم (أولئك) الذين لم يؤمنوا بالقرآن؛ وأصموا أسماعهم عن تلقيه، وأعينهم عن رؤية ما فيه، وقلوبهم عن تفهم معانيه (ينادون) يوم القيامة (من مكان بعيد) ينادون بأسوإ الصفات، وأقبح السمات: فضيحة لهم، وإزراء بهم، وتقبيحاً لأفعالهم. أو هو تشبيه لعدم استماعهم للنصح فى الدنيا؛ كمن ينادى من مكان بعيد؛ فلا يسمع النداء (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء والعقاب إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) فى الدنيا (وإنهم لفى شك منه) أى فى شك من القرآن (مريب) موقع فى الريبة (إليه) تعالى وحده (يرد) يرجع؛ لا إلى أحد من خلقه (علم الساعة) معرفة القيامة، ومتى تقوم؟ (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أوعيتها؛ قبل أن تنشق عن الثمرة

﴿ويوم يناديهم﴾ أى ينادى المشركين ؛ قائلا لهم ﴿أين شركائى﴾ الذين أشركتموهم معى فى العبادة ﴿قالوا آذناك﴾ أى أعلمناك ﴿مامنا من شهيد﴾ أى مامنا من أحد يشهد ، أو يقول : إن لك شريكا ؛ بعد أن عاينا ماعاينا . أو مامنا من أحد يشاهدهم الآن ويراهم ؛ حيث إنهم ضلوا عنهم ﴿وضل عنهم﴾ غاب ﴿ما كانوا يدعون﴾ يعبدون من الأصنام ﴿وظنوا﴾ تيقنوا أنهم ﴿مالهم من محيص﴾ مهرب من العذاب ﴿لا يسأم الإنسان﴾ لا يمل ﴿من دعاء الخير﴾ من طلب المال والعافية ﴿وإن مسه الشر﴾ الفقر ، أو المرض ﴿فيؤس قنوط﴾ من رحمة الله تعالى! واليأس والقنوط : كفر ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى﴾ أى لئن أذقناه عافية من بعد سقم ، أو غنى من بعد فقر ؛ ليقولن : هذا لى . أى هذا من حق ؛ استوجبته بتقواى وصلاحى ، أو بقوتى واجتهادى . وهو فى عداد المتكبرين ، وفى مقدمة المرائين ﴿وما أظن﴾ أن ﴿الساعة قائمة﴾ كما يزعم محمد ﴿ولئن﴾ قامت كما يقول ، و﴿رجعت إلى ربى﴾ يوم القيامة ﴿إن لى عنده للحسنى﴾ للجنة ؛ وهى الجزاء الحسن. وذلك لأن الكافر والمرائى يريان أنهما أولى الناس فى الحياة الدنيا بالنعمة ، وأحقهم بالعافية ، وأنهما أجدر الناس فى الآخرة بالثواب والنعيم ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ بسعة وغنى ﴿أعرض﴾ عن الشكر والعبادة ﴿ونأى بجانبه﴾ تباعد عن فعل الخير ﴿وإذا مسه الشر﴾ الفقر ، أو المرض ﴿فذو دعاء عريض﴾ أى دعاء كثير ﴿قل أرأيتم إن كان﴾ هذا القرآن ﴿من عند الله﴾ كما يقول محمد ﴿ثم كفرتم به﴾ كحالكم الآن ﴿من أضل﴾ أى لا أحد أضل ﴿ممن هو فى شقاق﴾ خلاف فى شأن القرآن وصحته ﴿بعيد﴾ عن الحق والإيمان ﴿سنريهم آياتنا﴾ دلائل وحدانيتنا وقدرتنا ﴿فى الآفاق﴾ أقطار السموات ؛ وما فيها من كواكب وبروج ، وأنجم وأفلاك . وأقطار الأرض : وما فيها من جبال وبحار ، ونبات وأشجار ، ومعادن وجواهر ، وغير ذلك ﴿و﴾ سنريهم أيضاً آياتنا ﴿فى أنفسهم﴾ من بديع الصنعة ، ومزيد الحكمة ؛ وكيف أنشأناهم من ماء مهين ؛ فكانوا بشراً وصهراً ! أو «سنريهم آياتنا فى الآفاق» بفتح البلاد للمسلمين «وفى أنفسهم» بفتح مكة . أو آيات الآفاق : خراب ديار الأمم السابقة المكذبة ، وآيات النفس: الأمراض والبلايا ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ أى القرآن ، أو الإسلام ، أو أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم هو الرسول الحق ﴿أولم يكف بربك﴾ أى أولم يكفهم للإيمان بربهم : ما ساقه من أدلة وجوده وتوحيده ؟!

أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ



و (أنه على كل شىء شهيد) مشاهد وعالم ، ومجاز عليه (ألا إنهم فى مرية) فى شك (من لقاء ربهم) وثوابه وعقابه ؛ يوم القيامة (ألا إنه بكل شىء محيط) قدرة وعلماً .

(سورة الشورى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حمٓ . عسق) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (كذلك) أى مثل ما أوحينا إلى كثير ممن سبقك من الأنبياء (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى يتشققن من ظلم العباد ، وادعائهم أن لله شريكا وولداً (ويستغفرون لمن فى الأرض) من عصاة المؤمنين ؛ أما الكافرين فلا شفاعة لهم ، ولا استغفار يقبل بشأنهم «إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» (من دونه) غيره تعالى (أولياء) يعبدونهم ويوالونهم (الله حفيظ عليهم) أى حافظ لما يقولون ، وما يعملون ؛ فحاسبهم عليه

﴿لتنذر أم القرى﴾ مكة ؛ لأنها أشرف البقاع ، ومنها انتشر الدين ﴿ومن حولها﴾ يشمل سائر الأرض ، وجميع الناس ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى تنذر بيوم الجمع ؛ وهو يوم القيامة ؛ لأن الخلائق تجمع فيه للحساب والجزاء ﴿لا ريب فيه﴾ لا شك فى حدوثه ومجيئه ؛ ويومئذ يكون الناس ﴿فريق فى الجنة﴾ وهم المؤمنون ﴿وفريق فى السعير﴾ وهم الكافرون ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ على دين واحد ؛ وهو الإسلام ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ فى جنته ونعمته ؛ لإيمانه بربه ، واستجابته لرسله ﴿والظالمون﴾ الكافرون ﴿مالهم من ولى﴾ ينفعهم ﴿ولا نصير﴾ ينصرهم من الله ويدفع عنهم عذابه ﴿أم اتخذوا﴾ أى بل اتخذوا ﴿من دونه﴾ غيره ﴿أولياء﴾ وهم الأصنام ﴿فالله هو الولى﴾ الحق ؛ الذى يهدى من يتولاه فى دنياه ، وينجيه فى أخراه ﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾ أى إلى ما أنزل الله فى كتابه ؛ من الشرائع والأحكام ﴿ذلكم الله ربى عليه توكلت﴾ فى سائر أمورى (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿وإليه أنيب﴾ أرجع فى أمورى كلها ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالقها من غير مثال سبق ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ لتسكنوا إليها ﴿و﴾ جعل ﴿من الأنعام أزواجا﴾ ذكراناً وإناثاً ؛ لحفظ نسلها ، وتمام نفعها لكم ﴿يذرؤكم فيه﴾ يخلقكم ويكثركم ؛ بواسطة

إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

* شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

التزاوج ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أى ملكهما . والمقاليد : المفاتيح ، أو الأبواب ، أو الخزائن ﴿ويقدر﴾ ويضيق ﴿شرع﴾ بين وأظهر ﴿ما وصى به نوحا﴾ ما شرعه لنوح عليه السلام ؛ وهو أول الأنبياء شريعة

﴿أن أقيموا الدين لله﴾ وحده ﴿ولا تتفرقوا﴾ لا تختلفوا ﴿كبر﴾ عظم، وشق ﴿الله يجتبي﴾ يختار ﴿إليه﴾ إلى معرفته، وإلى دينه، وإلى توحيده ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ من يرجع إليه، ويقبل على طاعته، ويستمع إلى كلامه ﴿وما تفرقوا﴾ أي ما تفرق الناس في الدين؛ فآمن بعضهم، وكفر البعض الآخر ﴿إلا من بعد

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟
ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ
كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ
يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ
عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

ٱللَّهُ

ما جاءهم﴾ جميعاً ﴿العلم﴾ بالله تعالى، وبحقيقة توحيده، وصحة دينه، وصدق رسله. وهو علم مسقط للمعذرة، موجب للتكليف؛ وإنما كان كفر الكافرين ﴿بغياً بينهم﴾ ظلماً واستعلاء، وطلباً للرئاسة. أو المراد بـ «العلم» الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه. قال تعالى: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» (انظر آية ٨٩ من سورة البقرة) ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقت معلوم؛ وهو يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ بتعذيب المكذبين، وإهلاكهم في الدنيا ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ أي نزل إليهم، وورثوا علمه؛ وهم اليهود والنصارى ﴿لفي شك منه﴾ من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فلذلك﴾ الدين القيم والإله الواحد ﴿فادع﴾ الناس ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ لا تعر مزاعمهم التفاتاً ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ عليّ، وعلى الرسل السابقين ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ في الحكم - إذا تخاصمتم - وفي قسمة الغنائم، وفي كل ما تحتكمون إلى فيه ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أي نحن نؤاخذ بأعمالنا، وأنتم تؤاخذون بأعمالكم؛ لا يؤاخذ أحدنا بعمل الآخر ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي لا حجة قائمة تحتجون بها علينا؛ وإنما هو عناد ومكابرة ﴿الله يجمع بيننا﴾ وبينكم يوم القيامة ﴿وإليه المصير﴾ فيثيب الطائع، ويأخذ العاصي ﴿والذين يحاجون﴾ يخاصمون ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أي بعد ما استجاب له الناس، ودخلوا في دين الله تعالى أفواجاً. أو من بعد ما قامت الحجج الظاهرة، والبراهين القاطعة؛ على وجوده تعالى ووحدانيته وبذلك وجبت الاستجابة له؛ والإيمان به! ﴿حجتهم داحضة﴾ باطلة ساقطة

اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ الَّذِي

﴿بالحق﴾ بالصدق ، وأنزل ﴿الميزان﴾ أقام العدل ، وأمر به ؛ لأن الميزان: آلة الإنصاف والعدل . وربما أريد بالميزان : العقل ؛ لأن به توزن الأمور ، ويفرق بين الخير والشر ، والحق والباطل ﴿مشفقون﴾ خائفون ﴿يمارون﴾ يجادلون ﴿الله لطيف بعباده﴾ بالعاصي منهم والطائع ، والكافر والمؤمن ؛ يرزق كلا النوعين ، ويمتع كلا الصنفين : لطف بأوليائه حتى عرفوه ؛ ولو لطف بأعدائه لما جحدوه! وإنما كان لطفه بهم من ناحية الرزق والحفظ ﴿وهو القوى﴾ على مراده ﴿العزيز﴾ الغالب الذى لا يغلب ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أى ثوابها . لما كان العامل فى هذه الدنيا كالزارع الذى خدم الأرض وسقاها : جعل جزاؤه وثوابه على عمله فى الآخرة كالحرث ﴿أم لهم﴾ أى للمشركين ﴿شركاء﴾ آلهة ﴿شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾ كالشرك ، ونسبة الولد إليه تعالى ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى القضاء السابق بتأخير الجزاء ليوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ بالعقوبة التى يستحقونها ﴿وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ من جزاء ما عملوا من المعاصى ﴿وهو واقع بهم﴾ أى نازل بهم العذاب ، الذى هو جزاء ما كسبوا

يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

ومن

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) أى لا أسألكم على التبليغ أجراً؛ إلا أن تودوا قراباتكم، وتصلوا أرحامكم. وقيل: المراد بالقرابة: قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام. وهو مردود؛ لأن مودة قرابة الرسول - ولو أنها فرض على كل مؤمن - فإنها تعتبر أجراً على التبليغ، وسياق القرآن الكريم ينافى ذلك فى سائر مواضعه. وقيل: «إلا المودة فى القربى» أى إلا أن تودونى وتكفوا عن إذايتى؛ لقرابتى منكم (ومن يقترف) يكتسب (حسنة) طاعة (نزد له فيها) فى أجرها (حسناً) أى نضاعفها له (فإن يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط عليه بالصبر على أذاهم، وتكذيبهم لك (إنه عليم بذات الصدور) بمكنونات القلوب (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) توبة العبد: هو أن يندم على ما ارتكبه من الذنوب، ويعيد ما فاته من الفرائض، ويرد ما اكتسبه من المظالم (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يجيبهم الله تعالى إلى مايسألونه. واستجاب، وأجاب بمعنى (ويزيدهم) فوق مطلوبهم (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) أى لو أغناهم: لاستكبروا وظلموا (ولكن ينزل) الرزق (بقدر) بتقدير (مايشاء) فيبسطه لأناس: يستحقون البسط، أولا يستحقونه؛ جديرون بالاكرام، أو غير جديرين به. ويقبضه عن أناس: يستوجبون القبض، أولا يستوجبونه؛ جديرون بالامتهان، أو غير جديرين به. وفى كلا الحالين: هو الحكيم العليم؛ الذى يعلم ما يصلح عباده، ومالا يصلحهم. جاء فى الحديث القدسى: «إن من عبادى من إذا أغنيته لفسد حاله، ومنهم من إذا أفقرته لفسد حاله» (إنه بعباده خبير) بما يصلحهم (بصير) بحاجاتهم؛ أكثر من إبصارهم لها! (وهو الذى ينزل الغيث) المطر (من بعد ما قنطوا) أى من بعد يأسهم وقنوطهم من نزوله. وسمى المطر غيثاً: لأنه يغيث الناس من الفقر والجوع. ولذا سمى الكلأ غيثاً: لأنه يغيث الماشية (وينشر رحمته) يبسط رزقه بالإنبات؛ الذى هو نتيجة للمطر (وهو الولى) الذى ينصر أولياءه، ويواليهم (الحميد) المحمود على أى حال: فى السراء والضراء، والنعماء والبأساء!

﴿وما بث﴾ فرق ، ونشر ﴿فيهما﴾ أى فى السموات والأرض ﴿من دابة﴾ الدابة : كل ما يدب على وجه الأرض: من إنسان ، وحيوان ، وطائر ، ونحو ذلك . وقد يقال: هذا بالنسبة لما يدب على وجه الأرض؛ فما الذى يدب فى السموات ؟ والجواب على ذلك : إن كل ما علاك ؛ فهو سماء : فالكواكب ، والأنجم ، والأفلاك : سموات ؛ والذى يدب فيها : هو مايدب على أرض تلك السموات من سكان وأملاك ، لا يعلمها سوى بارئها سبحانه وتعالى ! ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ بلية ، وشدة ؛ فى المال ، أو فى الأهل ، أو فى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ

الجسم ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ من المعاصى ﴿ويعفو عن كثير﴾ ولولا عفوه تعالى ؛ لأحاط بكم البلاء من كل جانب ، ولحلت بكم الأرزاء من كل صوب ! ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين ، أو بغالبين ﴿ومالكم من دون الله﴾ غيره ﴿ومن آياته﴾ الدالة على قدرته ﴿الجوار فى البحر كالأعلام﴾ السفن التى تجرى فى البحر كالجبال ﴿إن يشأ﴾ تعالى ﴿يسكن الريح﴾ التى تدفع السفن ، أو يمنع خاصية الماء فى حملها؛ فيتخلى عما على ظهره ﴿فيظللن رواكد﴾ ثوابت لا تجرى ﴿على ظهره﴾ أو غرقى فى قعره ! وهو أمر مشاهد محسوس ؛ فقد تكون سفينة من أضخم البواخر، وأقوى المواخر: فيدركها أمر الجبار القهار ؛ فتنهار فى قعر البحار : بغير سبب ظاهر سوى إرادته ، ولا علة غير مشيئته ! وكيف تقوى على السير ؛ وقد تخلى عن حفظها القدير الحكيم ؟! وقد تكون سفينة أخرى من أخس المراكب ، وأحقر القوارب : تسير فى خضم الأمواج ، وسط العجاج ؛ كالسهم المارق ، وكالسيل الدافق ؛ وماذاك إلا بحفظ الحفيظ العليم ، الرحمن الرحيم! ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لكل صبار﴾ كثير الصبر على الطاعة ، وعن المعصية ، وعلى البلاء الذى يقدره الله تعالى ﴿شكور﴾ كثير الشكر على ما يوليه المولى من فضله وأنعمه ! ﴿أو يوبقهن﴾ يهلكهن بالإغراق ﴿بما كسبوا﴾ بما عملوا من الذنوب ﴿مالهم من محيص﴾ من مهرب ﴿فما أوتيتم من شىء﴾ نعمة فى هذه الحياة ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ الزائل الفانى ﴿وما عند الله﴾ من نعيم الآخرة ﴿خير﴾ من متاع الحياة الدنيا ﴿وأبقى﴾ لأنه دائم ؛ لاانقطاع له أبداً ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ كبائر الذنوب ﴿والفواحش﴾ الذنوب الفاحشة : كالزنا ، والقتل . أو هى كل موجبات الحدود ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ أى إذا أغضبهم أحد : عفوا عنه ، وتجاوزوا عن ذنبه

(وأمرهم شورى بينهم) وصف تعالى المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ؛ ليدل على أن أرقى النظم وأسماها : هي النظم الديمقراطية ، وأن الاستبداد ، في الحكومات : ليس من نظام الدين ، ولا من شأن المؤمنين ! وأن الدول التي تسير بالنظم البرلمانية : هي أولى الحكومات بالتقدير والإكبار ؛ ولله در القائل :

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر ... فالحق لا يخفى على إثنين
للمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ
يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ
انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِ وَتَرَى
الظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن
سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ
الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ
الْخَٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ

ألا

(ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون ، وينفقون ابتغاء وجهه تعالى (والذين إذا أصابهم البغى) وقع عليهم الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم: غير متجاوزين الحد ، ولامسرفين في الانتقام (وجزاء سيئة سيئة مثلها) لما قال سبحانه وتعالى «وإذا ماغضبواهم يغفرون» وكانت الآية مطلقة : آمرة بالغفران من غير قيد ولاشرط ؛ وربما لتعالى الآخذ بها ؛ فصار ذليلا ، مهاناً ، جباناً : ينال منه عدوه ؛ فلا يحرك ساكناً ؛ فتهون نفسه عليه . وقديما قال الشاعر :

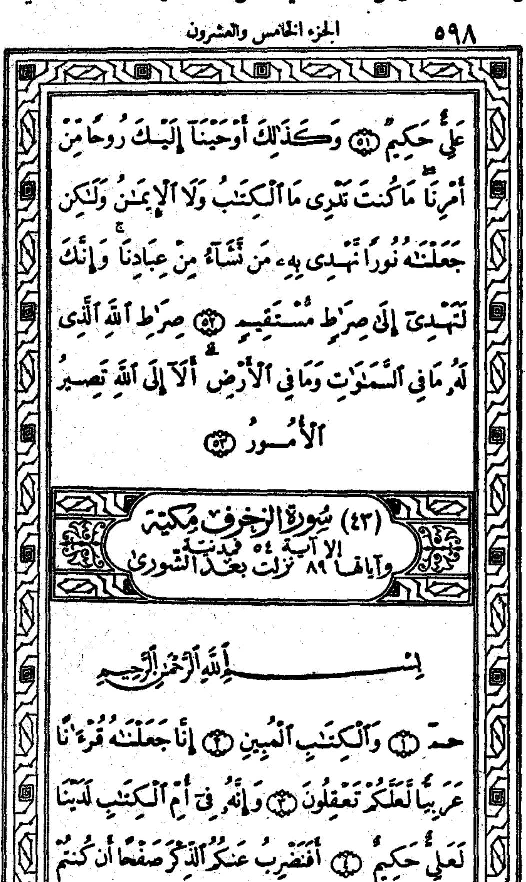
إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هواناً بها ؛ كانت على الناس أهونا !

لذا ألحقها تعالى بهذه الآية : «وجزاء سيئة سيئة مثلها» من غير بغى ، ولاإسراف (فمن عفا) عمن ظلمه: خشية استفحال الضرر ، وكبحاً لجماح الشر ، ورجاء أن يعود الباغى عن بغيه ، والظالم عن ظلمه (وأصلح) قلبه ومعاملته؛ فإذا الذى بينه وبينه عداوة كأنه ولى حميم ! (فأجره) لجزاء عفوه وحلمه (على الله) يكافئه عليه فى الدنيا والآخرة (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) أى إن من أخذ حقه ممن ظلمه ، وعاقب بمثل ماعوقب به : ليس لأحد عليه من سبيل لمعاقبته ، أو معاتبته ! وبعد ذلك غلب الحليم الغفار : العفو ، والحلم ، والصبر ، والمغفرة ؛ قال تعالى (ولمن صبر) على أذى الغير ؛ فلم ينتصر لنفسه ، ولم يوسع دائرة الشر ، ويذكى نيران العداوة والبغضاء (وغفر) تجاوز عن ذنب من أذنب فى حقه ؛ واستبدل عداوته حبا ، وبعده قرباً ! (إن ذلك) الصبر ، والحلم ، والغفران (لمن عزم الأمور) أى من الأمور المستحبة ، المؤدية إلى الخير دائماً ! (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) المعد لهم (يقولون هل إلى مرد) رجوع إلى الدنيا (من سبيل) يطلبون الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين) خاضعين ذليلين ؛ من شدة الهول والرعب (ينظرون) إلى النار (من طرف خفى) ذليل ؛ كماينظر المحكوم عليه إلى سيف

= الجلاد ﴿إن الخاسرين﴾ حقاً: هم ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بوقوعها فى الجحيم، والعذاب الأليم ﴿و﴾ خسروا ﴿أهليهم﴾ وذلك لأن أهلهم إذا كانوا صلحاء: فهم فى الجنة، وإذا كانوا غير صلحاء: فهم فى النار؛ فلا انتفاع بهم فى كلا الحالتين. أوخسروا أهليهم من الحور العين ﴿استجيبوا لربكم﴾ أجيبوه لما دعاكم

أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ

اليه ﴿وما لكم من نكير﴾ من إنكار؛ أى لا تقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه؛ إذ أن سمعكم، وأبصاركم، وأيديكم، وأرجلكم وجلودكم؛ ستشهد عليكم بما كسبتم ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ تحفظ أعمالهم، وتلزمهم بما لا يريدون ﴿رحمة﴾ نعمة، وغنى وصحة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ بلاء، وفقر، ومرض ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أى بسبب معاصيهم ﴿فإن الإنسان كفور﴾ يؤس قنوط: يعدد مصائبه، وينسى أنعم الله تعالى عليه «إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا» ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ وما فيهما؛ خلقاً، وملكا، وعبيداً ﴿يخلق مايشاء﴾ هو؛ لا مايشاؤه الناس ﴿يهب﴾ بفضله ﴿لمن يشاء﴾ أن يهب له ﴿إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ حسب حاجة الكون والبشرية؛ لاوفق هوى الوالدين؛ وذلك بالقدر الذى يكفل عمار الدنيا، وحفظ النوع الإنسانى ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ أو يهب لمن يشاء الصنفين: ذكراناً وإناثاً ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ لا نسل له ﴿إنه عليم﴾ بما يجب أن يكون ﴿قدير﴾ على كل شىء يريده ﴿وما كان لبشر﴾ أى وماصح لأحد من البشر ﴿أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ إلهاماً، أو رؤيا فى المنام؛ لأنها وحى. قال تعالى «وأوحى ربك إلى النحل ... وأوحينا إلى أم موسى» ﴿أو من وراء حجاب﴾ كتكليم موسى عليه السلام: سماع بدون رؤية. والمقصود بالحجاب: حجب السامع، لا المتكلم. تعالى الله عن أن يحجبه حاجب، أويستره ساتر! ﴿أويرسل رسولا فيوحى بإذنه﴾ الرسول: هو جبريل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه رسول الله تعالى إلى أنبيائه (انظر آية ٢٢ من سورة الروم)


علي حكيم ﴿٥١﴾ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمن ولكن جعلنه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صرط مستقيم ﴿٥٢﴾ صرط الله الذى له ما فى السموت وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴿٥٣﴾

(٤٣) سورة الزخرف مكية
إلا آية ٥٤ فمدنية
وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ والكتب المبين ﴿٢﴾ إنا جعلنه قرءنا عربيا لعلكم تعقلون ﴿٣﴾ وإنه فى أم الكتب لدينا لعلى حكيم ﴿٤﴾ أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم

قوما

﴿إنه على﴾ عظيم، متعال عن صفات المخلوقين ﴿حكيم﴾ فى صنعه: لايعمل إلا ماتقتضيه المصلحة، وتستوجبه الحاجة ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً﴾ هو القرآن الكريم؛ إذ فيه حياة القلوب من موت الجهل؛ بل هو روح الأرواح! أو المراد بالروح: جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿من أمرنا﴾ أى بأمرنا الذى نوحيه إليك؛ و ﴿ما كنت تدرى﴾ من قبل أن نوحى إليك ﴿ما﴾ هو ﴿الكتاب ولا﴾ ماهو ﴿الإيمان﴾ والمقصود بالإيمان الذى لم يكن يدريه محمد بن عبد الله؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ـ وقد اختاره الله تعالى لهداية العالمين؛ وهو فى أصلاب آبائه وأجداده ـ إنما أريد به شرائع الإيمان، وأحكامه، ومعالمه. وقد تعاضدت الأخبار والآثار على تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن النقائص منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد منذ درجوا، وإحاطتهم بأنواع المنن واللطائف، وإشراق أنوار المعارف! وليس محمد بأقل شأناً من يحيى ـ وقد أوتى الحكم صبياً ـ ومن عيسى ـ وقد أوتى الكتاب وجعل نبياً فى مهده ـ ولا من إبراهيم ـ وقد أوتى رشده من قبل ـ صلوات الله تعالى وسلامه على سائر أنبيائه ورسله! أوالمعنى: «ما كنت تدرى ما الكتاب» لولا الرسالة «ولا الإيمان» لولا الهداية! ﴿ولكن جعلناه﴾ أى القرآن ﴿نوراً﴾ ينير القلوب والنفوس، ويجلو الأبصار والبصائر، ويشرح الصدور؛ فهو نور النور! ﴿نهدى به من نشاء من عبادنا﴾ الذين انقادوا لأمرنا، واستمعوا لكلامنا:

رب إن الهدى هداك وآيا
تك نور تهدى بها من تشاء

﴿وإنك لتهدى﴾ بما به هديت، وترشد إلى ما به رشدت ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ واضح، بين الاستقامة ﴿صراط الله﴾ دينه القويم! ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ ترجع: فيقضى فيها بما يشاء، ويحكم فيها بما يريد «ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين»

(سورة الزخرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿حم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿والكتاب المبين﴾ الواضح ﴿فى أم الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿لدينا﴾ عندنا ﴿لعلى﴾ عال على سائر الكتب ﴿حكيم﴾ محكم؛ ذو حكمة بالغة ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾ أى أفنمسك عنكم نزول القرآن إمساكا؛ لأنكم قوم مسرفون فى الكفر وارتكاب المعاصى

قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ

﴿ومضى مثل الأولين﴾ أى سلف فى القرآن ذكر الأمم السابقة ، وما حل بها من التعذيب والتنكيل ؛ جزاء كفرهم وتكذيبهم ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ فراشاً ؛ كالمهد الذى هو فراش الصبى ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ طرقا فيها تمشون ، وطرقا منها تتعيشون ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ بتقدير : بقدر حاجتكم إليه ؛ ولم ينزله كثيراً فيغرق ، ولا قليلا فيقحط «وكل شىء عنده بمقدار» ﴿فأنشرنا به﴾ أحيينا به . ومنه قوله تعالى «كذلك النشور» أى الأحياء ﴿بلدة ميتاً﴾ جدبة ؛ لا نبات فيها ﴿كذلك﴾ أى مثل إخراج النبات من الأرض الجدبة ﴿تخرجون﴾ من قبوركم يوم القيامة ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ الأصناف كلها ﴿من الفلك﴾ السفن ﴿والأنعام﴾ الإبل ﴿لتستووا على ظهوره﴾ أى ظهور السفن والأنعام ﴿ثم تذكروا﴾ تتذكروا ﴿نعمة ربكم﴾ عليكم ؛ بتسخير الفلك والأنعام ؛ لمزيد نفعكم وراحتكم ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أى مطيقين ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ لراجعون إليه ؛ فمجازينا على شكرنا ، أو كفرنا ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ بقولهم : عيسى ابن الله ، والملائكة بنات الله . لأن الولد جزء من الوالد ؛ وهم من عبيده ، لا من أبنائه ﴿إن الإنسان لكفور مبين﴾ بين الكفر

﴿وأصفاكم بالبنين﴾ أى اختصكم بهم ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ أى إذا بشر بالأنثى؛ لأنهم كانوا يقولون: للملائكة بنات الله ﴿ظل﴾ دام ﴿وجهه مسوداً﴾ من الحزن والحسرة ﴿وهو كظيم﴾ ممتلئ غيظاً وغما ﴿أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين﴾ أى أوينسب للرحمن من الولد من هذه صفته؟ وهو أنه «ينشأ» أى يتربى «فى الحلية» أى فى الترف والزينة؛ وإذا احتاج إلى تقرير دعوى، أو إقامة حجة: كان «فى الخصام غير مبين» أى غير قادر؛ لضعف حجته، وخطل رأيه. وذلك أنهم نسبوا إليه سبحانه الولد؛ مع نسبة أخس النوعين ـ فى نظرهم ـ وهو البنات؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿أشهدوا﴾ أحضروا ﴿خلقهم﴾ أى خلق الملائكة؛ فعلموا أنهم إناثاً كما يزعمون. أو هو من الشهادة، لا المشاهدة ﴿ستكتب﴾ فى صحائف أعمالهم ﴿شهادتهم ويسألون﴾ عنها يوم القيامة، ويحاسبون عليها ﴿وقالوا﴾ كفراً، وعناداً، ولجاجاً ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أى لو أراد الله أن يمنعنا عبادة الملائكة لمنعنا. وهى كلمة حق أريد بها باطل؛ إذ أن الله تعالى لو شاء أن يؤمن الناس جميعاً لآمنوا، و «لويشاء الله لهدى الناس جميعاً» وإنما يكون ذلك الإيمان، وتلك الهداية على سبيل القسر والإلجاء. وقد هدى الله تعالى الناس جميعا بخلق العقول والأفئدة، وبعث الرسل، وإنزال الكتب؛ فنهم من استجاب لداعى مولاه: فحباه واجتباه، ومنهم من استحب الغواية على الهداية، واختار الكفر على الإيمان؛ فاستوجب الحرمان والنيران! قال تعالى «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» ﴿مالهم بذلك من علم﴾ أى مالهم من علم بمشيئة الله تعالى وإرادته؛ حتى يتبعوها، ويحتجوا بوقوعها ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ أى قبل القرآن؛ قلنا فيه بعبادة الملائكة، أو بينا فيه مشيئتنا لذلك ﴿فهم به مستمسكون﴾ أى بهذا الكتاب ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ على دين. والأمة: الطريقة التى تقصد، ومنه الأمام ﴿وكذلك﴾ مثل الذى حدث من قومك؛ من احتجاجهم بهذه الحجج الواهية الواهنة: احتج الأمم السابقة على رسلهم؛ و ﴿ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير﴾ ينذرها غضب الله تعالى، ويخوفها عقابه ﴿إلا قال مترفوها﴾ متنعموها، مثل قول هؤلاء ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة وطريقة ﴿قل﴾ لهم يا محمد مقنعاً ومتلطفاً ﴿أولو جئتكم بأهدى﴾ بدين أهدى ﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾ وهنا يظهر عنادهم، وتتضح نواياهم وخفاياهم؛ ويقولون: ﴿إنا بما أرسلتم به﴾ أنت ومن سبقك من الأنبياء ﴿كافرون﴾ لا نؤمن به؛ ولو ظهرت صحته، وبانت هدايته؛ وأصروا على عبادة الأصنام، =

وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

فَانظُرْ

= دون الملك العلام؛ فهل بعد هذا يجوز لمثلهم أن يقول: «لو شاء الرحمن ما عبدناهم» لقد بطلت حجتهم، وسقطت معذرتهم؛ واستوجبوا الجحيم؛ والعذاب الأليم! ﴿فانتقمنا منهم﴾ بالقحط، والمرض، والفقر، والذل، والاستئصال ﴿إنني براء﴾ أي بريء ﴿إلا الذى فطرنى﴾ خلقني ﴿فإنه سيهدين﴾ إلى معرفته ودينه ﴿وجعلها كلمة﴾ أي كلمة التوحيد؛ يدل عليها قوله عليه الصلاة والسلام «إنى ذاهب إلى ربى سيهدين» ﴿باقية فى عقبه﴾ أي فى ذريته؛ فلا يزال فيهم من يعبد الله تعالى، ويدعو إلى توحيده ﴿لعلهم﴾ أي لعل أهل

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا

مكة حين يسمعون توحيد إبراهيم ﴿يرجعون﴾ إلى الدين الحق الذى استمسك به جدهم إبراهيم ﴿بل متعت هؤلاء﴾ الكفار ﴿و﴾ متعت ﴿آباءهم﴾ من قبلهم؛ ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿حتى جاءهم الحق﴾ من عندنا؛ وهو القرآن ﴿ورسول﴾ هو سيد الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ﴿مبين﴾ مظهر لديننا، وشريعتنا، وأحكامنا. وقرأ قتادة والأعمش، وغيرهما: «بل متعت» بتاء الخطاب على معنى أن القائل لذلك: إبراهيم عليه السلام؛ أو هو من مناجاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم. وقرأ الأعمش: «بل متعنا» بنون العظمة. والأول: هو أولى الأقوال ﴿ولما جاءهم الحق﴾ القرآن، وما صاحبه من معجزات، وإرهاصات ﴿قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾ يكفرون بمن خلق، ويعبدون من خلق، ويكفرون بالآيات البينات، ويؤمنون بالأباطيل والترهات! ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ يعنون بالقريتين: مكة والطائف. وبالعظيم: الذى يكون له مال، ومنصب، وجاه. وقد فاتهم أن العظيم: هو الذى يكون عند الله تعالى عظيماً؛ أما المال، والجاه، والمنصب؛ فهى عظمة يبتغيها الجاهلون، ويقدرها الفاسقون! ومقياس العظمة الحقيقية عند الله تعالى، وعند العقلاء: عظمة النفس، وسمو الروح، وعلو الهمة! ومن أعظم نفساً، وأسمى روحاً، وأعلى همة؛ من محمد بن عبد الله: خاتم رسل الله؟ عليه الصلاة والسلام! وقد قال تعالى؛ رداً على من اقترح نزول القرآن على رجل من القريتين عظيم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ فيعطون النبوة والرسالة لمن يشاءون دون من أشاء، وينزلون القرآن على من يحبون؛ دون من أحب؟! ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا﴾ فجعلنا بعضهم أغنياء، وبعضهم فقراء ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ لا كما تنادى بعض المبادىء الهدامة؛ بما يبثونه من سموم فكرية، وما يدعون إليه من نظم؛ فى ظاهرها البر والخير، وفى باطنها الإثم والشر! كالنظام الشيوعى، والنظم الأخرى التى تستوردها بعض الأمم من البلاد التى لا تدين بالإسلام، بل ولا تدين بأى دين سماوى؛ بل تقول =

= بالتعطيل، وألا إله فى الكون أصلا! والدين الإسلامى - فى مظهره وجوهره - ليس فى حاجة إلى نظام أو منظامين؟ فقد نظمه خالق الكون ومدبره، وهو وحده العالم بما يصلح عباده ويكفل إسعادهم. وهو جل شأنه بامتحانه لهم بضروب من الغنى والفقر، والسعة والضيق: إنما يؤهلهم بهذا الاختبار إلى حياة أخرى دائمة السعادة والخير لمن أحسن، والشقاء والبؤس لمن أساء! «ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون» «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا» «ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» فالابتلاء والاختبار: أساس عظيم فى تقدير استحقاق من يدخل الجنة؛ ممن يدخل النار. فإذا ما تعادلت الاحتياجات، وتساوت الأقدار - كما يزعم الشيوعيون ومن يدور فى فلكهم - فقد سقط الامتحان الذى أراده الله تعالى لعباده، وأعدم لاجتيازه! وتنطوى هذه النظم التى يزعمونها على ظلم فادح لكلا النوعين؛ فقد أصبح الغنى فقيراً؛ وهو قبل ذاك مكلف بالشكر على ما آتاه الله، والانفاق منه! وأضحى الفقير مرذولا؛ وقد كان قبل ذاك مكلفاً بالصبر على فقره، مشكوراً مأجوراً عليه!

يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

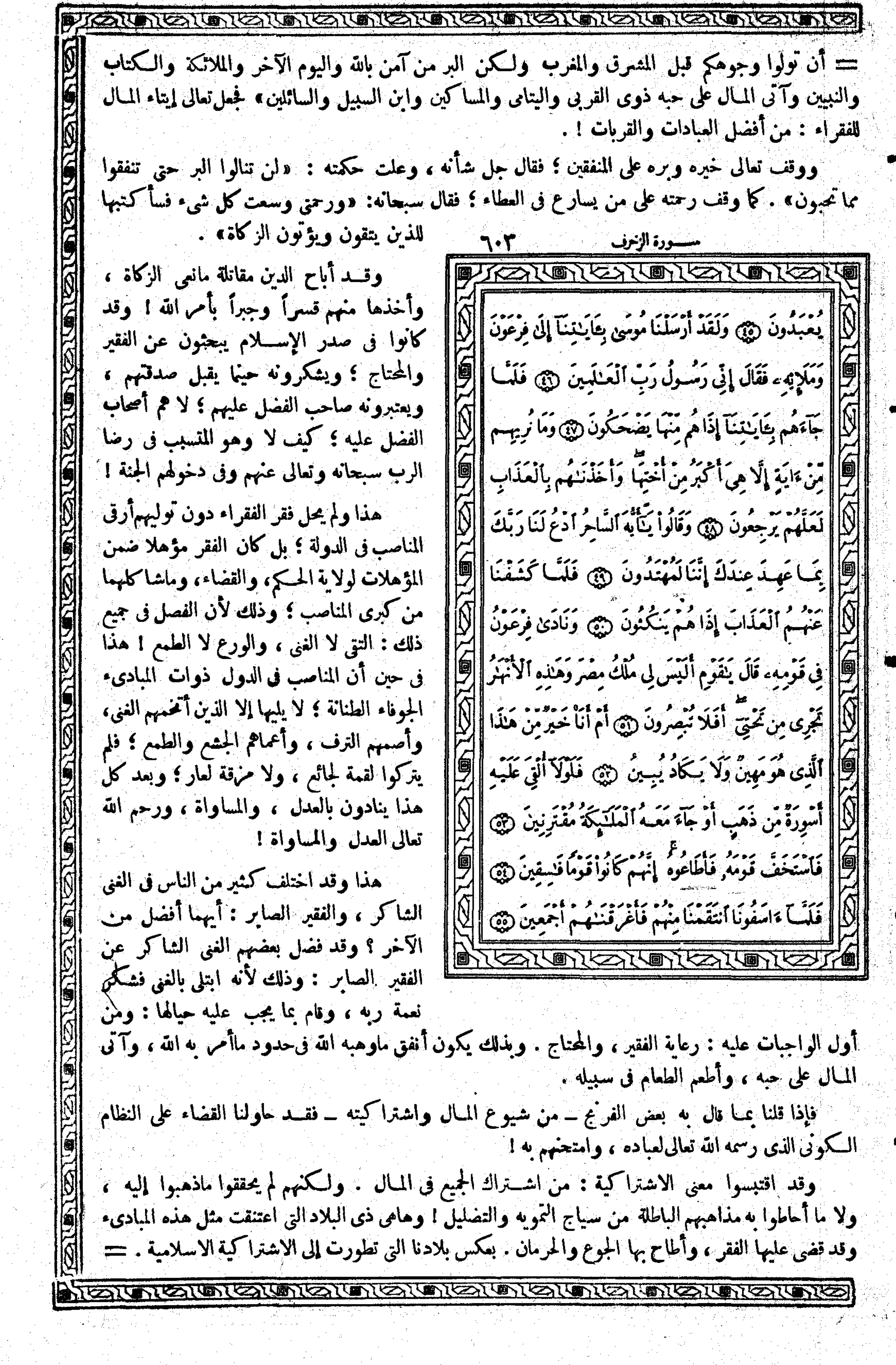
وماحاجة الفقراء إلى النظم البشرية؛ وقد صيرهم الله تعالى جميعاً أغنياء بنظمه المحكمة الربانية! فإذا ما فسد نظام المسلمين؛ بالبخل، والشح، والانصراف عن الله تعالى وأوامره: فليس ذلك عيباً فى الدين، وإنما هو عيب القائمين بالأمر فيهم!

لقد رتب الدين الحنيف حقوقاً للفقراء؛ حتى صيرهم أغنى من الأغنياء: لقد جعل إطعامهم قربى تقرب إلى مغفرته، والإحسان إليهم حسنى تدنى من رحمته!

ولو ان إنساناً تخير ملة
ما اختار إلا دينك الفقراء!

أما هذه النظم التى يدعون إليها، ويحاربون من أجلها: فظاهرها الرحمة، وباطنها من قبله العذاب! يقولون بالمساواة؛ وأين المساواة؟ وبشيوع المال بين السادة والعبيد؛ وأين ما يزعمون؟! لقد جعلت بعض الدول نظاماً خاصاً: يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان - بسبب اللون - وقد خلقهم الله تعالى من أب واحد، وأم واحدة. وقد يكون المفضول أفضل من الفاضل «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» لقد ظلموا الناس وقالوا: إنه العدل. وأجاعوهم وقالوا: إنه الشبع. وأفقروهم وقالوا: إنه الغنى!

لقد أفقروا الأغنياء، ولم يستطيعوا أن يطعموا الفقراء! وجيع ذلك بأنظمة نظموها، وشرائع شرعوها. ولكن هلم معى - يرحمك الله - إلى شرعة الله، ودين الله، وهدى الله؛ يقول الله تعالى: «ليس البر =



= أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين» فجعل تعالى إيتاء المال للفقراء : من أفضل العبادات والقربات ! .

ووقف تعالى خيره وبره على المنفقين ؛ فقال جل شأنه ، وعلت حكمته : «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» . كما وقف رحمته على من يسارع فى العطاء ؛ فقال سبحانه: «ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة» .

يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

وقد أباح الدين مقاتلة مانعى الزكاة ، وأخذها منهم قسراً وجبراً بأمر الله ! وقد كانوا فى صدر الإسلام يبحثون عن الفقير والمحتاج ؛ ويشكرونه حينما يقبل صدقتهم ، ويعتبرونه صاحب الفضل عليهم ؛ لا هم أصحاب الفضل عليه ؛ كيف لا وهو المتسبب فى رضا الرب سبحانه وتعالى عنهم وفى دخولهم الجنة !

هذا ولم يحل فقر الفقراء دون توليهم أرقى المناصب فى الدولة ؛ بل كان الفقر مؤهلا ضمن المؤهلات لولاية الحكم، والقضاء، وماشا كلهما من كبرى المناصب ؛ وذلك لأن الفصل فى جميع ذلك : التقى لا الغنى ، والورع لا الطمع ! هذا فى حين أن المناصب فى الدول ذوات المبادىء الجوفاء الطنانة ؛ لا يليها إلا الذين أتخمهم الغنى، وأصمهم الترف ، وأعماهم الجشع والطمع ؛ فلم يتركوا لقمة لجائع ، ولا مزقة لعار ؛ وبعد كل هذا ينادون بالعدل ، والمساواة ، ورحم الله تعالى العدل والمساواة !

هذا وقد اختلف كثير من الناس فى الغنى الشاكر ، والفقير الصابر : أيهما أفضل من الآخر ؟ وقد فضل بعضهم الغنى الشاكر عن الفقير الصابر : وذلك لأنه ابتلى بالغنى فشكر نعمة ربه ، وقام بما يجب عليه حيالها : ومن أول الواجبات عليه : رعاية الفقير ، والمحتاج . وبذلك يكون أنفق ماوهبه الله فى حدود ماأمر به الله ، وآتى المال على حبه ، وأطعم الطعام فى سبيله .

فإذا قلنا بما قال به بعض الفرنج ــ من شيوع المال واشتراكيته ــ فقد حاولنا القضاء على النظام الكونى الذى رسمه الله تعالى لعباده ، وامتحنهم به !

وقد اقتبسوا معنى الاشتراكية : من اشتراك الجميع فى المال . ولكنهم لم يحققوا ماذهبوا إليه ، ولا ما أحاطوا به مذاهبهم الباطلة من سياج التمويه والتضليل ! وهاهى ذى البلاد التى اعتنقت مثل هذه المبادىء وقد قضى عليها الفقر، وأطاح بها الجوع والحرمان . بعكس بلادنا التى تطورت إلى الاشتراكية الاسلامية . =

فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم

بَغْتَةً

= أما الإسلام : فهو مؤسس الاشتراكية الصحيحة ، والشيوعية السليمة . فمعنى الاشتراكية : شركة الفقير مع الغنى فيما آتاه الله من مال ، أو عقار ، أو زرع ، أو ضرع . وقد عقد الله تعالى بينهما عقداً لا تنفصم عراه : فضمن لمن وفى به الجنة والثواب الجزيل ، وأوعد من نقض العقد ، ونكث العهد بالعذاب الأليم ، والشقاء المقيم ! هذا وقد حدد فى هذا العقد ما لكل طرف منهما من حقوق ، وما عليه من واجبات . ومعنى الشيوعية : شيوع المال بين بنى الإنسان ؛ فلا يوجد أحد يشتكى الفقر والحرمان ولئلا يكون المال دولة بين الأغنياء ! وقد كفل الله تعالى للفقير حقوقاً يحارب الغنى من أجلها ، ويقاتل عليها . ولكن هذه الحقوق محدودة بحدود رسمها خالق الدنيا ، ورازق الخلق ؛ بحيث لا يفتقر الغنى ، ولا يجوع الفقير. وبحيث يصح امتحان الله تعالى لعباده ــ الذى ما خلقهم إلا من أجله ــ فيجزى غنياً شكر ، وفقيراً صبر ! «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» .

وها هى ذى الدول الأجنبية ــ وقد تباينت أهواؤها ، وعظمت أدواؤها ــ قد انقسمت إلى قسمين ، أو قل معسكرين : شيوعى ، ورأسمالى ؛ وكلاهما ضل السبيل ، وحاد عن جادة الطريق : فأولاهما قتله الجوع ، وثانيهما قتله الشبع ، وكلاهما يسير فى حياته على غير هدى! وذلك لأن «هدى الله هو الهدى» فاتبع ــ هديت وكفيت ــ هدى الله ، واجتنب هدى الشيطان «إنه عدو مضل مبين» .

هذا وقد قيض الله تعالى لهذه الأمة من أقامها من كبوتها ، وأقالها من عثرتها ، ونظم لها النظم والقوانين؛ التى لا تخرج عما أراده رب العالمين : فأخذ من الأغنياء حق الفقراء ؛ فجزى الله تعالى كل من نافح عن الدين ، ولم يخرج عن تعاليم القرآن ، التى جعلها الله تعالى صالحة لكل زمان ومكان !

وأساس النظام الإلهى فى تفاوت الدرجات ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا﴾ من التسخير ؛ لا من السخرية ؛ أى يسخر الغنى الفقير فى مصالحه التى تعود على المجتمع كله ــ غنيه وفقيره ــ بالخير العميم ! ﴿ورحمة ربك﴾ مغفرته وجنته لمن يتصدق ﴿خير مما يجمعون﴾ من الأموال ؛ ويبخلون بها ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ على الكفر ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ وذلك لحقارة الدنيا عند الله تعالى وأن بسط الرزق لبعض من فيها : لا يدل على هدايته . وتضييقه على بعضهم : لا يدل على غوايته !

فلو كانت الدنيا جزاءاً لمحسن إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم =

= ﴿ومعارج﴾ ومصاعد ﴿عليها يظهرون﴾ يصعدون ﴿وزخرفا﴾ الزخرف: الذهب، أو هو الزينة ﴿وإن كل ذلك﴾ النعيم الزائل، والمتاع الفانى ﴿لما﴾ إلا ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ قليل ثم يزول؛ مشوب بالتنغيص، محاط بالأكدار ﴿والآخرة﴾ وما فيها من نعيم مقيم، و «جنة عالية، قطوفها دانية» ﴿عند ربك﴾ فى رحابه؛ أعدها ﴿للمتقين﴾ من أحبابه! ﴿ومن يعش﴾ يغفل ﴿عن ذكر الرحمن﴾ ويعرض متعاميا عن داعى الإيمان ﴿نقيض﴾ نسخر، ونسلط ﴿له شيطانا فهو له قرين﴾ مقارن، وملازم له؛ لا يفتأ يزين له القبيح، ويقبح له المليح؛ حتى يورده موارد الهلاك والتلف! وذلك بسبب غفلته، وتعاميه عن ذكر ربه ﴿وإنهم﴾ أى الشياطين القرناء ﴿ليصدونهم﴾ ليمنعون الغافلين المتعامين ﴿عن السبيل﴾ عن طريق الهدى ﴿حتى إذا جاءنا﴾ ذلك الغافل المتعامى، يوم القيامة ﴿قال﴾ لقرينه الذى صده عن السبيل ﴿فبئس القرين﴾ أنت؛ إذ أوردتنى موارد الحتوف! ﴿أفأنت﴾ يا محمد ﴿تسمع الصم أو تهدى العمى﴾ أى كما أنك لا تستطيع إسماع الأصم، أو هداية الأعمى؛ فكذلك لا تستطيع إسماع الكافر، أو هدايته وكيف تهدى من أصم أذنيه عن استماع النصح، وأعمى قلبه عن رؤية الحق ﴿و﴾ لا تستطيع أن تهدى ﴿من كان فى ضلال مبين﴾ بين ظاهر ﴿فإما﴾ فإن ﴿نذهبن بك﴾ أى نتوفينك قبل تعذيبهم ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ فى الدنيا ﴿أو نرينك الذى وعدناهم﴾ به من العذاب ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك﴾ من القرآن ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ طريق قويم ﴿وإنه﴾ أى القرآن ﴿لذكر لك ولقومك﴾ أى شرف عظيم لك ولهم ﴿وسوف تسألون﴾ عن مدى تمسككم به، ونشركم له ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أى اسأل أمم الأنبياء الذين أرسلناهم من قبلك. يؤيده قراءة ابن مسعود «واسأل الذى أرسلنا إليهم قبلك رسلنا» وقيل: واسأل رسلنا ـ حين تلقاهم ـ ليلة المعراج؛ وقد التقى عليه الصلاة والسلام بكثير منهم؛ كما ورد فى كثير من الأحاديث ﴿أجعلنا من دون الرحمن﴾ غيره ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ يسخرون منها، ويستهزئون بها ﴿وما نريهم من آية﴾ معجزة ﴿إلا هى أكبر من أختها﴾ فى الدلالة على صدق موسى، ووحدانية مرسله. أو المراد بالآية: آية العذاب؛ فقد ابتلوا بالطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم (انظر آية ١٣٣ من سورة الأعراف) ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم وتكذيبهم. ومن عجب أنهم ـ رغم نزول العذاب بهم، وتنوعه وتكرره عليهم ـ لم يؤمنوا، ولم يرتدعوا، ولم يقولوا فى محنتهم وشدتهم: ياأيها النبى، أو ياأيها الرسول، أو ياأيها الصادق؛ بل قالوا =

بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ

سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

سورة

= ﴿يا أيها الساحر﴾ وقيل: معنى الساحر عندهم: العالم؛ يؤيده قول فرعون «ائتونى بكل ساحر عليم» ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ من كشف العذاب عنا؛ إن آمنا ﴿إذا هم ينكثون﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم ﴿أم﴾ بل ﴿أنا خير من هذا﴾ إشارة إلى موسى عليه السلام ﴿الذى هو مهين﴾ ضعيف، حقير ﴿ولا يكاد يبين﴾ لا يكاد يظهر الكلام: للثغة فى لسانه؛ جعلته يستعين - فيما يقول - بأخيه هرون: «وأخى هرون هو أفصح منى لساناً» ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿ألقى عليه﴾ ألبس كما يلبس السادة والعظماء ﴿أسورة﴾ جمع سوار؛ وقد كان العظماء فيهم يلبسونها ﴿مقترنين﴾ متتابعين؛ يشهدون بصدقه ﴿فاستخف﴾ استجهل فرعون ﴿قومه﴾ أى استغفل فرعون جهل قومه، وضعفهم؛ فقال لهم: «أنا ربكم الأعلى» ﴿فأطاعوه﴾ وعبدوه من دون الله تعالى ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ عاصين كافرين ﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا ﴿فجعلناهم سلفاً﴾ أى أهلكناهم؛ فجعلناهم سابقين؛ بعد أن كانوا حاضرين ﴿و﴾ جعلناهم ﴿مثلا﴾ عظة ﴿للآخرين﴾ لمن يأتى بعدهم ﴿ولما ضرب﴾ عيسى ﴿ابن مريم مثلا﴾ فى قوله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» ﴿إذا قومك منه﴾ أى من هذا المثل ﴿يصدون﴾ يضجون. وقد قال المشركون وقتذاك: إنما يريد محمد أن نعبده؛ كما عبد النصارى عيسى ﴿وقالوا﴾ أيضاً ﴿أآلهتنا﴾ أأصنامنا التى نعبدها ﴿خير أم هو﴾ يعنون عيسى عليه السلام. قال تعالى رداً عليهم ﴿ما ضربوه لك﴾ أى ما ضربوا لك هذا المثل ﴿إلا جدلا﴾ مجادلة؛ لا أثر للمنطق والتعقل فيها ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شديدو الخصومة ﴿إن هو﴾ أى ما عيسى ﴿إلا عبد﴾ من عبادنا ﴿أنعمنا عليه﴾ بالاصطفاء والنبوة ﴿وجعلناه مثلا﴾ آية ﴿لبنى اسرائيل﴾ يستدل بها على وجود الخالق تعالى وقدرته: لخلقه من غير أب، واستطاعته - بأمر ربه - أن يبرئ الأكمه والأبرص، وأن يحيي الموتى بإذنه تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ أى لجعلنا بعضكم ﴿ملائكة﴾ لأنى خالق النوعين، ومبدع الصنفين ﴿يخلفون﴾ أى يخلف بعضهم بعضاً فيما بينكم، أو يخلفونكم أنتم ﴿وإنه﴾ أى عيسى عليه السلام ﴿لعلم للساعة﴾ أى دليل عليها؛ حين ينزل قبيل القيامة؛ كما ورد فى الأحاديث. أو الإشارة إلى القرآن الكريم؛ وما فيه من صفات القيامة وأهوالها، وما يعقب ذلك من نعيم مقيم، وعذاب أليم! ﴿فلا تمترن بها﴾ من المرية؛ أى لا تشكون فى وقوعها ﴿هذا﴾ الذى أدعوكم إليه ﴿صراط﴾ طريق ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ بالنبوة، والمعرفة، والشرائع ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ فى شأنه. فمن قائل: إنه الله. =

= ومن قائل : إنه ابنه . ومن قائل : ثالث ثلاثة . ومنهم من قال : هو ابن زنا ﴿فويل للذين ظلموا﴾ كفروا ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿الأخلاء﴾ أي الأصدقاء في الدنيا ؛ المجتمعون فيها على الكفر والمعاصي ، المكبون على الآثام ﴿يومئذ﴾ أي يوم القيامة يكون ﴿بعضهم﴾ رغم المحبة والصداقة في الدنيا ﴿لبعض عدو إلا المتقين﴾ الذين تحابوا في الله ، واجتمعوا على عبادته ومرضاته ؛ فإنهم سعداء بحبهم وصداقتهم ؛ يقال لهم ﴿ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فقد انقطع الخوف ، وزال الحزن ؛ ولم يبق لكم سوى الأمن والسرور ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ تسرون ؛ وهو من الحبور ﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ بأطباق ﴿وفيها﴾ أي في الجنة أو في الصحاف والأكواب ﴿إن المجرمين﴾ الكافرين ﴿لا يفتر عنهم﴾ لا يخفف العذاب عنهم ﴿مبلسون﴾ آيسون من النجاة ، والعفو ، والرحمة ﴿وما ظلمناهم﴾ بتعذيبهم ، وتخليدهم في النار ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ لأنفسهم ؛ بتعريضها للعقاب ، وتمسكهم بالكفر والعناد ﴿ونادوا﴾ الكفار ﴿يامالك﴾ وهو خازن النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ أي ليمتنا لنستريح . وهو من قضى عليه : إذا أماته ﴿قال﴾ الخازن لهم: لا تفكروا في الخلاص، فلات حين مناص ﴿إنكم ماكثون﴾ باقون في العذاب أبد الدهر ﴿أم أبرموا﴾ أحكموا ﴿أمراً﴾ في كيد محمد ﴿فإنا مبرمون﴾ محكمون أمراً في كيدهم وإهلاكهم ﴿ونجواهم﴾ ما يتحدثون به فيما بينهم ، ويخفونه عن غيرهم ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ هم الحفظة : يكتبون ما يفعلونه ، وما ينطقون به ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿إن كان للرحمن ولد﴾ كما يزعمون ﴿فأنا أول العابدين﴾ لهذا الولد ﴿سبحان رب السموات والأرض﴾ تنزيهاً ، وتقديساً له ﴿رب العرش﴾ مالك الملك ﴿عما يصفون﴾ يقولون من الكذب ؛ بنسبة الولد ، والشريك إليه ﴿فذرهم﴾ دعهم ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي يوم عذابهم ، والانتقام منهم ؛ وهو يوم القيامة ﴿وهو الذي في السماء إله﴾ يعبد ، ويطاع ، ويتقى ﴿وفي الأرض إله﴾ واجب العبودية ، واجب الطاعة ﴿وهو الحكيم﴾ في صنعه ﴿العليم﴾ بخلقه ، البصير بمصالحهم ﴿وتبارك﴾ تقدس وتعالى الله ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ وما فيهما ﴿وما بينهما﴾ من مخلوقات ﴿وعنده علم الساعة﴾ أي وقت قيامها ، وكيفيته ، وحالته ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ يعبدون ﴿من دونه﴾ غيره ﴿الشفاعة﴾ لعابديهم ؛ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿إلا من شهد بالحق﴾ آمن بالله ، وشهد ألا إله إلا الله ؛ فهؤلاء يشفعون لغيرهم ﴿وهم يعلمون﴾ بقلوبهم صدق ماقالوه بألسنتهم . والمراد بهم : عيسى، =

(٤٤) سورة الدخان مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

= وعزير ، والملائكة ﴿ولئن سألتهم﴾ أى لئن سألت هؤلاء المعبودين ﴿من خلقهم ليقولن الله﴾ هو خالقهم ﴿فأنى يصرفون﴾ فكيف يصرفون عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره؟ بعد اعتراف المعبودين؟ بخلق رب العالمين لهم؟ أو ولئن سألت العابدين لغير الله: «من خلقهم ليقولن الله» فكيف يصرفون عن عبادته، مع اعترافهم بخلقته؟! ﴿وقيله﴾ أى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم ﴿وقل سلام﴾ وذلك قبل الأمر بقتالهم ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد شديد، ووعيد للمشركين

(سورة الدخان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ هى ليلة القدر؛ نزل فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الحاجة؛ وهذا لايتنافى مع قوله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» لأن ليلة القدر تكون فى هذا الشهر ﴿إنا كنا منذرين﴾ بالقرآن، ومخوفين به ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ أى فى ليلة القدر يفصل كل أمر عظيم؛ من أرزاق العباد، وآجالهم ﴿أمراً من عندنا﴾ أى هذا الإنزال، وهذا الإنذار وهذا الفصل فى الأرزاق والأعمار؛ بأمرنا وإرادتنا ﴿إنا كنا مرسلين﴾ الرسل ﴿رحمة من ربك﴾ بعباده ﴿إنه هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم ﴿بل هم فى شك﴾ من البعث والحساب، والجزاء ﴿فارتقب﴾ انتظر ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ هو قبيل القيامة. وقيل: إن قريشاً لما بالغت فى عصيان الرسول وإذايته؛ دعا عليهم وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف؛ وكان الرجل

أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ

وَمَا

يحدث أخاه فيسمع صوته ولا يراه؛ لشدة الدخان المنتشر بين السماء والأرض ﴿يغشى الناس﴾ يشملهم ويغطيهم ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أى كيف ينفعهم التذكر والإيمان عند نزول العذاب ﴿ثم تولوا﴾ أعرضوا ﴿عنه وقالوا معلم﴾ أى يعلمه القرآن بشر مثله وليس من عند الله. قال تعالى «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر» ﴿إنا كاشفوا العذاب﴾ عنكم ﴿قليلا﴾ لعلكم ترجعون عن غيكم وبغيكم ﴿إنكم عائدون﴾ إلى ما كنتم عليه من الكفر ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم القيامة، أو يوم بدر ﴿إنا منتقمون﴾ منكم ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا واختبرنا ﴿أن أدوا إلى عباد الله﴾ أى أرسلوا عباد الله ــ الذين خلقهم أحراراً ــ وأطلقوهم من الأسر والعذاب أو «أدوا إلى» ياعباد الله أسماعكم وأذهانكم ﴿إنى لكم رسول أمين. وأن لا تعلوا على الله﴾ =

= لا تستكبروا عليه ﴿إنى آتيكم بسلطان مبين﴾ بحجةواضحة ﴿وإنى عذت بربى﴾ التجأت إليه ، واحترزت به من ﴿أن ترجمون﴾ بالحجارة ﴿فاعتزلون﴾ فاجتنبونى ، ولا تؤذونى ﴿فأسر بعبادى﴾ الإسراء : السير ليلا ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه ﴿واترك البحر رهواً﴾ ساكناً ، أو طريقاً سهلا ، أو يبساً ﴿ونعمة﴾ متعة ﴿فاكهين﴾متنعمين ﴿كذلك﴾ شأنى مع من عصانى ، ومن أريد إهلاكه ﴿وأورثناها﴾أى أورثنا تلكم الجنات والعيون ، وهاتيك الزروع والمقام الكريم ، وهذه النعمة التى كانوا فيها فاكهين «أورثناها»

وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى

﴿قوماً آخرين﴾ غيرهم ؛ لعلهم بنعمة ربهم لا يكفرون ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ كناية إلى أنهم هلكوا فلم يجزع عليهم أحد ، ولم يحس بنقصانهم . أو هو على الحقيقة ؛ فقد ورد أن المؤمن إذا مات : بكى عليه مصلاه ، وحزنت عليه ملائكة السماء ﴿وما كانوا منظرين﴾ مؤجلين للتوبة ﴿إنه كان عالياً من المسرفين﴾ متكبراً ، مسرفاً فى الكفر ﴿ولقد اخترناهم﴾ أى اخترنا بنى إسرائيل ﴿على علم﴾ منا بحالهم ، وجدارتهم لهذا الاختيار ؛ فقد بعث من بينهم كثير من الأنبياء ﴿على العالمين﴾ أى على عالمى زمانهم ؛ فلا ينصب الاختيار على الأمة المحمدية ؛ لقوله جل شأنه «كنتم خير أمة أخرجت للناس» وذهب بعضهم إلى أن الاختيار على كل العالمين ويكون قوله جل شأنه «كنتم خير أمة» أى بعد بنى إسرائيل . وهو قول لايعتد به ؛ فقد تضافرت الآيات ، ودل سياق القرآن على أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم خير الأنبياء ، وأمته خير الأمم ! ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ المعجزات التى جاء بها موسى عليه السلام ﴿مافيه بلاء﴾ اختبار وامتحان ﴿إن هؤلاء﴾ يعنى كفار قريش ﴿ليقولون﴾ لجهلهم ، ومزيد كفرهم ﴿إن هى﴾ ماهى ﴿إلا موتتنا الأولى﴾ التى نموتها فى الدنيا ﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ أحيوهم لنا ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تقولونه عن البعث . قال تعالى ، رداً عليهم ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ وهو أحد ملوك اليمن ، كان يملك اليمن ، والشحر ، وحضرموت . ويقال لكل من ملك اليمن «تبع» وسموا التبابعة ؛ وقد كان «قوم تبع» فى غاية من الرخاء والنعمة ، والقوة والمنعة ؛ فأهلكهم الله تعالى بفسقهم وكفرهم ﴿والذين من قبلهم﴾ من الأمم الجاحدة الكافرة ﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ أى لإقامة الحق وإظهاره فيهما ؛ من توحيد الله تعالى ، والتزام طاعته «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ أى إن يوم القيامة ــ الذى يفصل فيه بين الخلائق ــ موعدهم جميعاً ﴿يوم لا يغنى﴾ لا ينفع ، ولا يدفع ﴿مولى عن مولى﴾ المولى : الصاحب ، والصديق ، والقريب ؛ أى =

فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سورة

= يوم لا يدفع القريب عن قريبه ، والصديق عن صديقه ، والصاحب عن صاحبه ﴿شيئاً﴾ من العذاب ﴿ولا هم ينصرون﴾ من الله تعالى ﴿إلا من رحم الله﴾ من المؤمنين ؛ فيشفعون لغيرهم ، ويشفع غيرهم لهم ﴿إنه﴾ تعالى ﴿هو العزيز﴾ بانتقامه من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بعباده وأوليائه ﴿إن شجرة الزقوم﴾ هى شجرة قيل : إنها تنبت فى قعر جهنم ﴿طعام الأثيم﴾ الكثير الآثام ﴿كالمهل﴾ وهو عكر الزيت ، أو النحاس المذاب ﴿كغلى الحميم﴾ كغلى الماء الحار ﴿فاعتلوه﴾ فقودوه بغلظة وعنف ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسطها ؛ وقولوا له ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ يقال له ذلك : استهزاء به ، وتشفياً فيه ! أو المراد : ذق هذا العذاب المهلك المذل ؛ إنك كنت فى الدنيا العزيز الكريم ﴿إن هذا﴾ العذاب الذى تصلونه ؛ هو ﴿ما كنتم به تمترون﴾ أى ما كنتم فيه تشكون ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾ يؤمن فيه الخوف، والعذاب ، والخزى ، والهوان ﴿فى جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار جارية ؛ ترى رأى العين ﴿يلبسون من سندس﴾ وهو ما رق من الديباج ﴿واستبرق﴾ ما غلظ منه ﴿متقابلين﴾ يدور بهم مجلسهم ؛ يتحدثون متسامرين ، ويتضاحكون مستبشرين ! ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ الحور : جمع حوراء ؛ وهى شديدة سواد العين ، مع شدة بياضها . والعين : جمع عيناء ؛ وهى الواسعة العينين .

هذا وقد أورد بعض المفسرين فى أوصاف الحور العين ما تعافه العقول ، وتمجه الأذواق والأسماع ؛ فقد رووا أنهن مخلوقات من ياقوت ومرجان ، وأنه يرى مخ سوقهن ؛ إلى غير ذلك من الأوصاف السمجة ؛ التى هى فى الواقع حط من قدرهن ، وتنقيص من شأنهن ! والحقيقة أنهن كأحسن ما تكون النساء : جمالا ، وصفاء ، وطهارة ؛ وليس فوق هذا مطمع لطامع ، ولا زيادة لمستزيد ! وليس معنى ذلك أنهن كسائر نساء الدنيا ـ فهذا ما لا يجوز أن يقال ـ بل المراد أنهن من نوعهن ؛ مع الفارق العظيم ؛ لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ! وهذا الذى حدا بطائفة من ضعاف العقول والأحلام إلى وصف ما فى الجنة بما لا يصح أن يوصف به ﴿يدعون فيها﴾ يطلبون فى الجنة ﴿بكل فاكهة﴾ يريدونها ﴿آمنين﴾ من الموت ، والمرض ، ومن نفاد النعيم الذى هم فيه ، و ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ التى أدركتهم فى الدنيا ﴿فإنما يسرناه﴾ أى يسرنا القرآن ، وسهلنا تناوله ﴿بلسانك﴾ العربى ؛ الذى هو لسانهم ولغتهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾ فانتظر ما يحل بهم من العذاب ؛ إنهم منتظرون ما يحل بك من الدوائر

(سورة الجاثية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(٤٥) سورة الجاثية مكية
الا آية ١٤ فمدنية
وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ

﴿حم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز﴾ فى ملكه ﴿الحكيم﴾ فى صنعه ﴿إن فى﴾ خلق ﴿السموات والأرض﴾ وما فيهما ﴿لآيات﴾ علامات دالة على وحدانية الله تعالى، وقدرته ﴿وفى خلقكم﴾ أيضاً: آية، وأى آية! (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿ومايبث من دابة﴾ البث: النشر، والتفريق فى الأرض؛ أى إن جميع ذلك ﴿آيات لقوم يوقنون﴾ بالبعث؛ لأن من قدر على خلق السموات والأرض، وما فيهما، ومن فيهما، وصوركم، فأحسن صوركم، وفرق فى الأرض ـ بقدرته ـ من أنواع الدواب، وأصناف البهائم؛ ما فيه خيركم ومصلحتكم: قادر على أن يعيد خلقكم كما بدأكم، ويبعثكم للحساب والجزاء يوم القيامة ﴿و﴾ فى ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ بالزيادة والنقصان، والذهاب والمجىء ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ مطر. وسمى رزقاً؛ لأنه سبب له ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ جدبها ﴿وتصريف الرياح﴾ تقليبها: مرة جنوباً، ومرة شمالا، وباردة تارة، وحارة أخرى؛ كل ذلك حسب حاجات الإنسان، وغذائه وكسائه. وفى جميع ذلك ﴿آيات﴾ بينات ﴿لقوم يعقلون﴾ الدليل والبرهان، ويتدبرون الحقائق مجردة عن العناد والهوى ﴿تلك﴾ الآيات المذكورة ﴿آيات الله﴾ الدالة على وجوده، المثبتة لقدرته، المؤيدة لوحدانيته ﴿نتلوها عليك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ أى بالصدق الذى لا يلابسه شك، أو بطلان؛ فإذا لم يؤمنوا به ﴿فبأى حديث بعد﴾ حديث ﴿الله و﴾ بعد ﴿آياته﴾ البينات ﴿يؤمنون﴾ «فماذا بعد الحق إلا الضلال» ﴿ويل﴾ عذاب شديد ﴿لكل أفاك أثيم﴾ كذاب، كثير الآثام ﴿ثم يصر﴾ على كفره

﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً﴾ كقول بعضهم فى الزقوم : إنه الزبد والتمر . وفى خزنة جهنم : إن كانوا تسعة عشر ـ كما يقول محمد فى قرآنه ـ فأنا ألقاهم وحدى ﴿من ورائهم﴾ أى من وراء حياتهم فى الدنيا ، ووراء ما هم فيه من التعزز والتكبر ؛ وراء جميع ذلك ﴿جهنم﴾ يصلونها وبئس المصير !

أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ

ٱلطَّيِّبَٰتِ

﴿ولا يغنى﴾ لا ينفع ، ولا يدفع ﴿عنهم﴾ العذاب ﴿ما كسبوا﴾ فى الدنيا من المال والفعال ﴿ولا﴾ يغنى عنهم ﴿ما اتخذوا﴾ عبدوا ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿أولياء﴾ من الأصنام ﴿هذا﴾ القرآن ﴿هدى﴾ من الضلال ﴿والذين كفروا بآيات ربهم﴾ الدالة على ربوبيته ووحدانيته ﴿لهم عذاب من رجز﴾ الرجز : أشد العذاب ﴿لتجرى الفلك﴾ السفن ﴿فيه بأمره﴾ بإرادته ، وحفظه ، وكلاءته ! ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ رزقه ؛ بحمل التجارات ، والتقلب فى البلاد ﴿وسخر لكم ما فى السموات﴾ من شموس وأقمار وأنجم ، وهواء وماء وغير ذلك ﴿وما فى الأرض﴾ من دواب وأشجار ، ونبات وأنهار ، وغير ذلك. سخر ذلك ﴿جميعاً منه﴾ بإرادته وقدرته ؛ لا بإرادتكم أنتم وقدرتكم ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته ووحدانيته ! ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾ يعفوا ويتجاوزوا ﴿للذين لا يرجون أيام الله﴾ أى لا يخافون بأسه ونقمته ، أو لا يرجون ثوابه ، ولا يخشون عقابه ﴿ليجزى﴾ الله ﴿قوماً﴾ بالنعيم ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الإحسان والغفران . قيل : نزلت قبل نزول الأمر بالقتال . وقيل : بل هى عامة ؛ فانظر ـ يارعاك الله وهداك ـ إلى دين يأمر بالعفو عن أعدائه والصبر على أذاهم ، والغفران لذنوبهم ، ويحث على الإحسان إليهم ! ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ الشرائع المنزلة عليهم ، والتى يحكمون بها بين الناس ﴿والنبوة﴾ أكثر مابعث الله تعالى من الأنبياء فى بنى إسرائيل : من وقت يوسف ، إلى زمن عيسى عليهما السلام

﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي الحلال من الأقوات ، أو هو المن والسلوى ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ الشرائع التي تحل الحلال ، وتحرم الحرام . أو هو أمر الرسول ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ـ وعلائم بعثته، ودلائل نبوته ! ﴿فما اختلفوا﴾ في أمر دينهم ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿بغياً بينهم﴾ حسداً منهم ، وطلباً للرئاسة؛ فقتلوا أنبياءهم، وأنكروا شرائعهم ، وحاربوا ربهم ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ يحكم ويفصل ؛ فيعاقب العاصي ، ويثيب الطائع ﴿ثم جعلناك﴾ يا محمد ﴿على شريعة من الأمر﴾ الشريعة : المذهب والملة ؛ وهي ما شرعه الله تعالى لعباده . أي جعلناك على منهاج واضح من الدين ﴿إنهم لن يغنوا﴾ لن يدفعوا ﴿عنك من الله﴾ من عذابه ؛ إن أراد أن ينزله بخير خلقه وأقربهم منه ! ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر للناس﴾ البصائر : جمع بصيرة ؛ وهو ما يبصر بالقلب . ولما كان القرآن وسيلة لإبصار الهدى والرشاد ، وكان القلب محلا للإبصار الحقيقي : سماه تعالى بصائر . كما سماه روحاً ، وحياة ، وشفاء ﴿اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم﴾ لا ؛ فإنهما يختلفان تمام الاختلاف : فالمؤمن يحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، والكافر يحيا كافراً ويموت كافراً ؛ فشتان بين الإثنين ، وشتان بين المآلين ! ﴿بما كسبت﴾ عملت من خير أو شر ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أي أطاع هواه في كل ما أمره به ؛ فكان في طاعته العمياء كالعابد له (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) ﴿وأضله الله على علم﴾ منه تعالى ؛ بأنه من أهل الضلال قبل أن يخلق . أو أضله على علم من الضال بفساد مايعبده من أصنام ، ومايحيط به من أوهام ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ أصمه عن سماع الوعظ ، وجعل قلبه لايقبل الحق

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ

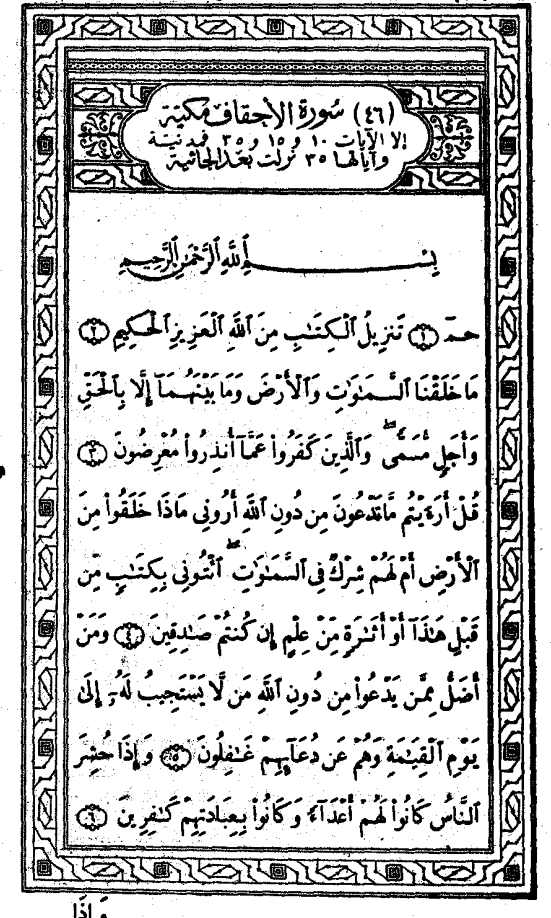
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

أَفَلَمْ

﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ غطاء؛ فلا يرى الحق ﴿فمن يهديه﴾ إذن ﴿من بعد الله أفلا تذكرون﴾ تتذكرون ذلك وتفقهونه ﴿وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أنكروا البعث: وهو أشد أنواع الكفر! وقد وجد فى هذا العصر من يدين بهذا الدين، ويدعو لهذا المذهب؛ فلهم الخزى والويل! يوم يقال لهم «اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين» (انظر مبحث «التعطيل» بآخر الكتاب) ﴿إن هم﴾ ماهم ﴿إلا يظنون﴾ ظناً فاسداً، لا على وجه العلم والتأكد ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن؛ الدالة على قدرتنا على بعثهم وإعادتهم ﴿ما كان حجتهم﴾ حيال ذلك ﴿إلا أن قالوا﴾ معارضين مناوئين ﴿ائتوا بآبائنا﴾ السابقين أحياء ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تزعمونه من بعثنا بعد موتنا ﴿قل الله يحييكم﴾ ابتداء ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة﴾ أحياء كما كنتم فى الدنيا ﴿لاريب﴾ لاشك ﴿فيه﴾ فى يوم القيامة ﴿يومئذ يخسر المبطلون﴾ الكافرون ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ مجتمعة، باركة على الركب؛ من فرط الذل والهوان ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ إلى صحائف أعمالها ﴿هذا كتابنا﴾ الذى كتبته الحفظة ﴿ينطق﴾ يشهد بما فيه ﴿عليكم بالحق﴾ الذى كان منكم ﴿إنا كنا﴾ فى الدنيا ﴿نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أى كنا نأمر الملائكة بكتابة أعمالكم ﴿فى رحمته﴾ فى جنته ومغفرته!

أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿أفلم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ أى يقال لهم ذلك ﴿فاستكبرتم﴾ عن سماعها ، وعن تفهمها ﴿والساعة لاريب فيها﴾ أى والقيامة لاشك فى وقوعها ﴿وبدا لهم سيئات ماعملوا﴾ أى ظهر لهم جزاء السيئات التى عملوها ؛ وهو العذاب المعد لهم ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أى نزل بهم إثم استهزائهم بكتبهم ، ورسلهم ﴿وقيل﴾ لهم ﴿اليوم ننساكم﴾ من رحمتنا ومغفرتنا ﴿كما نسيتم﴾ وأغفلتم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فلم تصدقوا به، ولم تعملوا له ﴿وغرتكم﴾ خدعتكم ﴿الحياة الدنيا﴾ بلهوها وزخرفها ؛ فتمسكتم بها ، وحرصتم عليها ﴿فاليوم لايخرجون منها﴾ أى لايخرجون من الجحيم ؛ بل يخلدون فيه ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أى لايسترضون ؛ لأن الاستعتاب : الاسترضاء ، والإعتاب : إزالة الشكوى . أو هو من العتاب أى ولاهم يعاتبون : لأن العتاب من علامات الرضا ؛ وهو مخاطبة الإدلال ، ومذاكرة الوجدان ؛ وليس ثمت إدلال ، بل إذلال . ولا وجدان بل خذلان ! وكيف يكون إدلال ووجدان ، وقد فعلوا كل موجبات الغضب والحرمان ﴿فلله الحمد﴾ على عدله ، والشكر على فضله ﴿وله الكبرياء﴾ العظمة والجلال ، والبقاء والسلطان ! ﴿وهو العزيز﴾ فى ملكه ﴿الحكيم﴾ فى صنعه !



(٤٦) سورة الأحقاف مكية
إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية
وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

وإذا

(سورة الأحقاف)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أى إلا لإقامة الحق ، وبسط العدل ﴿وأجل مسمى﴾ هو يوم القيامة : تنتهى فيه السموات والأرض وما بينهما ﴿قل أرأيتم ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره ﴿أم لهم شرك﴾ مشاركة ﴿ائتونى بكتاب﴾ منزل ﴿من قبل هذا﴾ القرآن ﴿أو أثارة﴾ بقية ﴿من علم﴾ يدل على صحة ما تعبدون ، وما تزعمون ﴿ومن أضل ممن يدعو﴾ يعبد ﴿من لا يستجيب له﴾ لا يجيبه إلى شىء يسأله؟ وهم الأصنام ﴿وهم عن دعائهم﴾ عن عبادتهم ﴿غافلون﴾ لأنهم جماد لا يعقل ، ولا يحس إن عبدته وعظمته ، أو أهنته وحطمته ! ﴿وإذا حشر الناس﴾ أى جمعوا للحساب والجزاء يوم القيامة ﴿كانوا لهم أعداء﴾ أى كانت الأصنام أعداء لعابديها

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ

﴿أم يقولون افتراه﴾ أى اختلق القرآن ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أى بما تقولونه من الطعن فى القرآن ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ أى لم أكن أولهم ؛ فقد سبقنى الكثير منهم : كموسى ، وعيسى ، وابراهيم ﴿قل أرأيتم إن كان﴾ هذا القرآن ﴿من عند الله﴾ كما أقول ﴿وكفرتم به﴾ فماذا يكون حالكم يوم القيامة؟ ﴿وشهد شاهد من بنى إسرائيل﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿على مثله﴾ على التوراة ـ التى هى مثل القرآن فى نسبتها إلى الله تعالى ـ بأن فيها ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وصفته ، وأنباء بعثته! ﴿فآمن﴾ هو بالقرآن ﴿واستكبرتم﴾ عن الإيمان به ﴿وقال الذين كفروا﴾ اليهود ﴿للذين آمنوا﴾ منهم ؛ كعبد الله بن سلام وأضرابه ﴿لو كان﴾هذا الدين ﴿خيراً ماسبقونا إليه﴾ أى ما سبقنا إليه الفقراء والرعاع ؛ كبلال ، وصهيب ، وعمار ﴿وإذلم يهتدوا به﴾ أى بالقرآن ﴿فسيقولون هذا إفك قديم﴾ أى كذب . وذلك كقولهم «أساطير الأولين» والإفك : أسوأ الكذب وأفحشه ﴿ومن قبله﴾ أى قبل القرآن ﴿كتاب موسى﴾ التوراة ﴿إماماً﴾ أى قدوة يؤتم به فى دين الله تعالى وشرائعه ﴿ورحمة﴾ للمؤمنين ؛ لأنه ينقلهم من الظلمات إلى النور ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ لما سبقه من الكتب ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ كفروا ؛ بالعذاب الأليم

لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ
الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ
أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَيَقُولُ

﴿وبشرى للمحسنين﴾ المؤمنين بالنعيم المقيم ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أقاموا على الطاعة، وجانبوا المعصية ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ أى أمرناه أمراً جازماً بالإحسان إليهما ﴿حملته أمه كرهاً﴾ أى ذات كره. والمراد به: المشقة أثناء الحمل ﴿ووضعته كرهاً﴾ أى بتعب ومشقة أثناء الوضع ﴿وحمله وفصاله﴾ أى مدة حمله وإرضاعه حتى ينفطم ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ استكمل قوته وعقله. وبلوغ الأشد: بين ثمانى عشرة إلى ثلاثين؛ وهو أيضاً بلوغ الحلم. وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن المصدق ﴿قال رب أوزعنى﴾ ألهمنى ﴿وأن أعمل﴾ عملا ﴿صالحاً ترضاه﴾ وهو اتباع أوامره تعالى، واجتناب نواهيه ﴿وأصلح لى فى ذريتى﴾ أى هبنى ذرية مؤمنة؛ وهو كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى» ﴿إنى تبت إليك﴾ مما جنيت فى سابق أيامى ﴿والذى قال لوالديه أف لكما﴾ أف: كلمة تضجر؛ وقد نزلت هذه الآية فى الكافر العاق لوالديه، المكذب بالبعث ﴿أتعداننى أن أخرج﴾ أى أخرج من الأرض بعد الموت، وأبعث ﴿وقد خلت﴾ مضت ﴿القرون﴾ الأمم ﴿وهما يستغيثان الله﴾ أى يطلبان من الله تعالى الغوث؛ ليرجع ابنهما عن غيه وبغيه، ويرده عن كفره؛ ويقولان له ﴿ويلك آمن﴾ أى الويل لك؛ آمن بالله وبالبعث ﴿إن وعد الله﴾ بالقيامة والبعث، والحساب والجزاء ﴿حق﴾ واقع؛ لا مراء فيه

فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا

﴿فيقول﴾ لهما ﴿ما هذا﴾ الذى تقولانه ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ وجب عليهم العذاب ﴿فى أمم قد خلت﴾ قد مضت ﴿من قبلهم من الجن والإنس﴾ الكافرين ﴿ولكل﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿درجات﴾ فدرجات المؤمنين فى الجنة، ودرجات الكافرين فى النار. والجنة درجات والجحيم دركات ﴿مما عملوا﴾ أى إن أعمالهم هى التى أوصلت كلا منهم إلى درجته التى يستحقها ﴿وليوفيهم﴾ الله تعالى ﴿أعمالهم﴾ أى جزاءها ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ ليدخلوها؛ يقال لهم حينئذ ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ الباقية؛ بانصرافكم عن الإيمان، واشتغالكم بالملذات والشهوات. أو «أذهبتم طيباتكم» أذهبتم أعمالكم الطيبة؛ التى عملتموها فى الدنيا: كالصدقة، وصلة الرحم، وأمثالها ﴿فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ تمتعتم بما يقابلها؛ من صحة وسعة؛ وأصبح لامقابل لها فى الآخرة؛ وقد أوفاكم الله تعالى ــ لسعة فضله وكرمه ــ أجوركم عليها فى دنياكم؛ فلم يبق لكم سوى الجحيم، والعذاب الأليم ﴿فاليوم تجزون﴾ على ما كسبتم من الكفر ﴿عذاب الهون﴾ الهوان. وقرىء به ﴿بما كنتم تستكبرون﴾ تتكبرون ﴿واذكر أخا عاد﴾ هو هود عليه السلام ﴿بالأحقاف﴾ هو واد باليمن؛ وبه منازلهم ﴿وقد خلت النذر﴾ مضت الرسل ﴿من بين يديه﴾ من قبله ﴿ومن خلفه﴾ من بعده. وقرىء شاذاً: «من قبله ومن بعده» ولولا ذلك؛ لجاز العكس. ﴿لتأفكنا﴾ لتصرفنا ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿قال إنما العلم﴾ بوقت نزول العذاب ﴿عند الله﴾ فهو وحده ينزله متى شاء

تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ .

﴿فلما رأوه﴾ الضمير للعذاب ﴿عارضاً﴾ العارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم﴾ أى متجهاً إليها ﴿قالوا هذا عارض﴾ سحاب ﴿ممطرنا﴾ بعد محل، ومخصبنا بعد جدب . فقيل لهم : لا . ليس الأمر كما توهمتم ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ من العذاب؛ وما هو إلا ﴿ريح﴾ عاتية ﴿فيها عذاب أليم﴾ قيل : القائل لذلك هود عليه السلام؛ يؤيده قراءة من قرأ «قال هود بل هو ما استعجلتم به» ﴿تدمر﴾ تهلك ﴿كل شىء﴾ مرت عليه ﴿بأمر ربها﴾ بقدرته وإرادته ﴿فأصبحوا﴾ بعد نزول العذاب بهم هلكى ﴿لا يرى إلا مساكنهم﴾ لتدل على ماحل بساحتهم . وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بمساكنهم : أجسادهم؛ بعد أن خلت من أرواحهم ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ المكانة : المنزلة والتمكن . أى ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه أو «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه» لفجرتم أكثر من فجوركم، ولطغيتم أكثر من طغيانكم ﴿وجعلنا لهم سمعاً﴾ كسمعكم ﴿وأبصاراً﴾ كأبصاركم ﴿وأفئدة﴾ قلوباً كقلوبكم، وعقولا كعقولكم ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ﴾ أنهم قد أصموا أسماعهم عن الاستماع إلى الهدى، وأعموا أبصارهم عن رؤية الحق، وأقفلوا قلوبهم عن تفهم الإيمان؛ و﴿كانوا يجحدون بآيات الله﴾ ينكرون حججه البينات، ودلائل قدرته الظاهرات ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب الذى كانوا ينكرون حدوثه ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ أى أهلكنا أهلها : كعاد وثمود، وقوم لوط، ونحوهم؛ مما كان يجاور بلاد الحجاز، وأخبارهم متواترة ذائعة عندهم ﴿وصرفنا الآيات﴾ بينا الحجج والعظات والدلالات، وكررناها عليهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نصرهم﴾ أى دفع العذاب عن أهل هذه القرى المهلكة ﴿الذين اتخذوا من دون الله﴾ غيره ﴿قرباناً آلهة﴾ معه؛ وهم الأصنام؛ لأنهم كانوا يقولون : «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» ﴿بل ضلوا عنهم﴾ غابوا عنهم، وعن نصرتهم؛ عند نزول العذاب ﴿وذلك إفكهم﴾ كذبهم . والإفك : أسوأ الكذب ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ أملناهم إليك . والنفر : ما دون العشرة . وكانوا من جن نصيبين باليمن ـ وهى قاعدة ديار ربيعة ـ أو جن نينوى ﴿فلما حضروه﴾ أى حضروا مجلس الرسول وقت تلاوة القرآن ﴿قالوا﴾ لبعضهم ﴿أنصتوا﴾ اسكتوا؛ لنستمع لما يتلى ونتفهمه ﴿فلما قضى﴾ أى فرغ الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه من القراءة ﴿ولوا﴾ انصرفوا مسرعين

﴿إلى قومهم منذرين﴾ مخوفين لهم بالعذاب الذى سمعوه ، والذى أعده الله تعالى لمن يكفربه ، ولا يصدق بكتابه . قالوا لقومهم﴿إنا سمعنا كتاباً﴾ يعنون القرآن الكريم ﴿أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه﴾ لما تقدمه من الكتب ؛ كالتوراة والإنجيل ﴿يهدى إلى الحق﴾الواضح ﴿وإلى طريق مستقيم﴾لا عوج فيه . وهل أقوم من الإسلام ، وأهدى من الإيمان ؟

مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿يا قومنا أجيبوا داعى الله﴾ رسوله الذى يدعو إليه ، وإلى دينه القويم ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ التى اقترفتموها قبل إيمانكم ؛ لأن الإيمان يجب ما قبله ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ ذهب كثيرون إلى أن الجن ثوابهم : أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً ؛ فيكونوه ؛ كالبهائم تماماً . وذهب آخرون إلى أنهم كما يعاقبون على سيئاتهم : يثابون على حسناتهم . وهذا القول أولى بالصواب وأجدر بالعدالة الإلهية ؛ قال تعالى «ولكل درجات مما عملوا» بعد مخاطبته للجن والإنس بقوله «يا معشر الجن والإنس» ﴿فليس بمعجز فى الأرض﴾ أى لن يعجز الله بالهرب من بطشه وعقوبته ﴿وليس له من دونه﴾ غيره﴿أولياء﴾ أنصار يمنعونه عذاب الله تعالى ، أو يدفعون عنه عقابه ﴿أولئك﴾ الذين لم يجيبوا داعى الله ﴿فى ضلال بعيد﴾ الضلال : ضد الهدى . ويطلق أيضاً على الحيرة ، والموت ﴿ولم يعى بخلقهن﴾ أى لم يتعب ، ولم يعجز ﴿بلى﴾ أى نعم هو قادر على بعث الموتى وإحيائهم ﴿أليس هذا بالحق﴾ أى يقال لهم : أليس هذا العذاب هو الحق الذى تستحقونه ، وقد استوجبتموه بكفركم ، وقد جئناكم فى الدنيا بأنبائه ؛ فلم تؤمنوا بوقوعه ﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذى قومك ﴿كما صبر أولوا العزم﴾ ذووا الجد والثبات والصبر ﴿من الرسل﴾ الذين تقدموك ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أى لا تستعجل العذاب لقومك ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿لم يلبثوا﴾ فى الدنيا ، أو فى القبور ﴿إلا ساعة من نهار﴾ وذلك لشدة ما يلقون من هول القيامة ! ﴿بلاغ﴾ أى هذا القرآن «بلاغ» من الله تعالى إليكم

(سـورة محمد عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(٤٧) سورة محمد مدنية
إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة
وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ

(وصدوا) منعوا وصرفوا (عن سبيل الله) دينه (أضل أعمالهم) أحبطها وأبطلها؛ وذلك كإطعام الطعام، ولين الكلام، وصلة الأرحام، وبر الأيتام؛ فلا يجدون ثواباً لذلك في الآخرة؛ لأن الله تعالى عجل لهم جزاء أعمالهم في الدنيا (كفر عنهم) غفر لهم ذنوبهم، ومحا (سيئاتهم) في الآخرة (وأصلح بالهم) في الدنيا؛ فتجد المؤمن ـ وقد تلفع بالفقر، وتسربل بالمصائب ـ هادئ البال، قرير العين، مطمئن القلب، ساكن النفس! (ذلك) الإضلال والإحباط، والتكفير والإصلاح (بأن) بسبب أن (الذين كفروا اتبعوا الباطل) ولم يجيبوا داعي الله؛ فاستحقوا الإضلال (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) فاستوجبوا تكفير ذنوبهم، وإصلاح بالهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغفر زلله (فإذا لقيتم الذين كفروا) في ساحة القتال (فضرب الرقاب) أي فاضربوا رقابهم واقتلوهم (حتى إذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل. والإثخان: المبالغة في الجراحة والتوهين (فشدوا الوثاق) أي فأسروهم. قال تعالى «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» أي حتى يبالغ في النيل من أعداء الله والبطش بهم؛ ليشرد بهم من خلفهم، وليكونوا عبرة لغيرهم! (فإما مناً بعد) أي فإما أن تمنوا على الأسرى بالاطلاق؛ فتكون لكم يد عليهم، وجميل في أعناقهم (وإما فداء) وإما أن تأخذوا منهم الفدية (حتى تضع الحرب أوزارها) أي تضع أثقالها؛ من السلاح وغيره؛ بأن يسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي لأهلكهم بغير قتال (ولكن) جعل عقوبتهم في القتال (ليبلو) ليختبر (بعضكم ببعض) ليعلم المجاهدين والصابرين

وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا

﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ أى التى عرفها لهم، وبشرهم بها فى الدنيا على لسان رسله ﴿يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾ أى تنصروا دينه ورسله وتعاليمه . ومن نصرة الله تعالى : إقامة الحق ، وعدم كتمان الشهادة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ﴿ينصركم﴾ على أعدائكم ، وعلى أنفسكم ، وعلى الشيطان الرجيم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ عند مجاهدة العدو، ومجاهدة النفس ﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ أى هلاكا وخيبة ﴿ذلك﴾ الهلاك والخيبة ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ كرهوا القرآن ، وما اشتمل عليه من شرائع وتكاليف، وأوامر ونواه ﴿فأحبط أعمالهم﴾ أبطلها ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الكفار ﴿دمر الله عليهم﴾ أى أهلكهم هلاك استئصال ﴿وللكافرين أمثالها﴾ أى أمثال عاقبة من قبلهم من العذاب والتدمير ﴿ذلك﴾ الإحباط والتدمير ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله مولى الذين آمنوا﴾ وليهم وناصرهم، وحافظهم، وكافلهم؛ لأنهم يتوكلون عليه ، وينيبون إليه ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ ينصرهم ، أو يحفظهم ؛ لأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ووكلهم إليها وإلى شياطينهم ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ فى الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ التى تأكل وهى غير عابئة بعاقبتها ، ولا حاسبة لمآلها حساباً . ومآلها النحر والذبح والمهانة ﴿والنار مثوى لهم﴾ أى منزل ومقام ومصير ﴿وكأين من قرية﴾ وكم من قرية . والمراد بالقرية أهلها ﴿من قريتك﴾ مكة

نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

وَٱللَّهُ

﴿أفمن كان على بينة﴾ حجة واضحة، وبرهان ظاهر. وهو المؤمن ﴿كمن زين﴾ زينت ﴿له﴾ نفسه وشيطانه ﴿سوء عمله﴾ وهو الكافر ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ ولم يتبعوا ربهم ﴿من ماء غير آسن﴾ غير متغير الطعم، أو الرائحة، أو اللون؛ كماء الدنيا ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ أى ليست كخمر الدنيا: رديئة الطعم، شنيعة الرائحة ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ لا تشوبه شائبة. قد يقول قائل: وما لذة تناول العسل لمن لا يتقبله فى الدنيا؟ أو لا يطيق الإكثار منه؟ والجواب على ذلك: أن الله تعالى ساق لعباده فى جنته كل ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؛ وقد تعاف بعض النفوس مايشتهى، وتتأذى بعض العيون بما يتلذذ به

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وحينما تشتفى النفوس من أمراضها، والأعين من أرمادها؛ فإنها تعود إلى طبيعتها السليمة: فتشتهى ما يشتهى، وتلذ بما يتلذذ منه. والعسل من أفضل أنواع الحلوى: مذاقاً ولوناً، وريحاً، ونفعاً ﴿ومغفرة من ربهم﴾ والمغفرة خير من سائر النعيم! وهذا مثل المؤمن وما يلقاه من كرم مولاه! أما مثل الكافر ﴿كمن هو خالد فى النار﴾ أى أمن هو خالد فى النعيم المقيم؛ كمن هو خالد فى العذاب الأليم!؟ ﴿وسقوا ماء حميما﴾ بالغاً نهاية الحرارة ﴿ومنهم﴾ أى من الكفار والمنافقين ﴿من يستمع إليك﴾ حين تقرأ القرآن، أو تخطب للجمعة، أو تعظ المؤمنين ﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وممن آمن من أهل الكتاب ﴿ماذا قال آنفاً﴾ أى ماذا قال الآن ﴿طبع الله على قلوبهم﴾ غطاها عقوبة لهم؛ فلا تسمع ولا تعى ﴿والذين اهتدوا﴾ بهداية الله ورسوله وكتابه ﴿زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ أى آتاهم جزاء تقواهم؛ أو ألهمهم من الأعمال ما يتقون به غضبه وناره ﴿فهل ينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿إلا الساعة﴾ القيامة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أشراطها﴾ علاماتها ﴿فأنى لهم﴾ فكيف لهم ﴿إذا جاءتهم﴾ الساعة ﴿ذكراهم﴾ تذكرهم. أى لاينفع تذكرهم وإيمانهم بعد مجىء الساعة، أو مجىء أشراطها؛ حيث لا يقبل اعتذار، ولا استغفار ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ إشارة إلى أن العمل يكون بعد العلم؛ كما فى قوله جل شأنه «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو» وقال بعد ذلك «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة»

﴿والله يعلم متقلبكم﴾ سيركم وسعيكم فى معايشكم ومتاجركم ﴿ومثواكم﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل . أو «متقلبكم» أعمالكم فى الدنيا «ومثواكم» جزاءكم فى الآخرة . والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم ، لا يخفى عليه تعالى شيء منها ﴿لولا﴾ هلا ﴿محكمة﴾ أى غير متشابهة ؛ بل واضحة لا تحتمل التأويل . وقيل : كل سورة نزل فيها القتال فهى محكمة لم ينسخ منها شيء . وذلك لأن القتال ناسخ للصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك ؛ وهم المنافقون ﴿ينظرون إليك﴾ لشدة جبنهم، ومزيد خوفهم ﴿نظر المغشى عليه من الموت﴾ وذلك لأن الميت يشخص بصره كالمذعور ﴿فأولى لهم﴾ تهديد ووعيد . أو المعنى : خير لهم ﴿طاعة﴾ لك ﴿وقول معروف﴾ للمؤمنين ﴿فإذا عزم الأمر﴾ أى فرض القتال ووجب ﴿فلو صدقوا الله﴾ وجاهدوا فى سبيله . واتبعوا أوامره ﴿لكان خيراً لهم﴾ من القعود عن الجهاد ، والنكوص والنفاق ؛ لأن نتيجة الجهاد : الاستشهاد ــ وهو الفوز الأكبر ــ أو الظفر والغنيمة ﴿فهل عسيتم﴾ أى فلعلكم ﴿إن توليتم﴾ الأمر والحكم ، أو «إن توليتم» بمعنى أعرضتم عن الإيمان والطاعة ﴿أن تفسدوا فى الأرض﴾ بالعصيان ، والقتل ، والظلم ، وأخذ الرشوة ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ تعادوا أهليكم ولا تبروهم ﴿أولئك﴾ الذين تعاموا عن الحق ، وأفسدوا فى الأرض : هم ﴿الذين لعنهم الله﴾ طردهم من رحمته ﴿فأصمهم﴾ عن استماع الهدى ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن الصراط المستقيم ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيعرفون ما فيه ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ أم قلوبهم مقفلة لا يدخلها الهدى، ولا يصل إليها الذكر ﴿سول﴾ زين ﴿وأملى لهم﴾ أى مد لهم فى الآمال والأمانى، أو أملى لهم

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

الشيطان الكفر والفسوق والعصيان ﴿ذلك﴾ الإضلال الواقع عليهم ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ أى للمشركين ؛ لأنهم كرهوا القرآن الكريم ، وكرهوا الاستماع إليه . قالوا لهم ﴿سنطيعكم فى بعض الأمر﴾ أى فى عداوة الرسول ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ ما أسروه من ذلك فيما بينهم ﴿فكيف﴾ بهم ﴿إذا توفتهم الملائكة﴾ يعنى إذا لم يصبهم العذاب فى الدنيا ؛ فإن الموت لاحق بهم لا محالة . فكيف يكون حالهم عند الموت ، والملائكة ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ ظهورهم . والمراد أن العذاب ينزل حينذاك على سائر أعضائهم

وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا

ٱلْحَيَوٰةُ

﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ عليهم ﴿وكرهوا رضوانه﴾ أى كرهوا العمل بما يرضيه ﴿فأحبط﴾ أبطل ﴿مرض﴾ شك ونفاق ﴿يخرج الله أضغانهم﴾ يظهر أحقادهم على الرسول وعلى المؤمنين ﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ على حقيقتهم ﴿فلعرفتهم﴾ عرفت سرائرهم، كما عرفت ظواهرهم ﴿بسيماهم﴾ بعلاماتهم ﴿فى لحن القول﴾ فحواه ومعناه ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ ما خفى منها وما ظهر، وما أريد به وجهه الكريم، وما أريد به الفخر والمراءاة ﴿ولنبلونكم﴾ لنختبرنكم بالقتال ﴿ونبلوا أخباركم﴾ نعلم ونظهر أسراركم، وخفايا قلوبكم ﴿وصدوا﴾ منعوا الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿وشاقوا﴾ خاصموا وخالفوا ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ ظهرت شواهده، وبانت دلائله؟ وهل بعد إرسال الرسل بالمعجزات، والكتب بالبينات، وإنزال الآيات تلو الآيات. هل بعد جميع ذلك تحتاج معرفة الله تعالى إلى تبيان أو برهان؟! ﴿وسيحبط﴾ يبطل ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بالمعاصى، والنفاق، والرياء ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ عن دينه، والجهاد فى سبيله ﴿فلا تهنوا﴾ تذلوا وتجبنوا ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ إلى الصلح بعد بدء القتال ﴿وأنتم الأعلون﴾ الغالبون ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أى ولن ينقصكم أجر أعمالكم

﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ فلا يحرص العاقل عليها، ولا يميل إليها؛ ولا يأسف على فقدها . إنما يكون الحرص على الآخرة وما فيها من أجر كبير غير ممنون! ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ جميعها؛ بل زكاتها فقط .

ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(٤٨) سُورَةُ الفَتْحِ مَدَنِيَّة
نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية
وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا

«ولا يسألكم أموالكم» أنتم؛ بل ماله هو الذى خلفكم عليه ﴿إن يسألكموها﴾ جميعاً ﴿فيحفكم﴾ أى يجهدكم ويطلب ما يثقل عليكم ﴿ويخرج أضغانكم﴾ أى ويظهر أحقادكم على الإسلام والمسلمين ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ أى فإنما يبخل عن نفسه بحرمانها من جزاء العطاء، ومن الأجر العظيم المعد للمنفقين ﴿والله الغنى﴾ عنكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليه ﴿وإن تتولوا﴾ تعرضوا ﴿يستبدل﴾ الله تعالى ﴿قوماً غيركم﴾ يستخلفهم فى أرضه ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ فى الكفر، والجحود، والبخل؛ بل يكونون مؤمنين، طائعين، منفقين، مسرعين فى إجابة داعى الله!

(سورة الفتح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ هو فتح مكة، وقيل الحديبية . وقيل : خيبر ﴿ليغفر لك الله﴾ بسبب جهادك الكفار ﴿ماتقدم من ذنبك وماتأخر﴾ خطاب للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ والمراد به أمته . لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الذنوب حتما بعد النبوة، مطهر منها، بعيد عنها قبل النبوة! ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بتوالى الفتوح وإخضاع من تجبر، وطاعة من استكبر ﴿ويهديك صراطاً مستقيما﴾ يثبتك على الهدى؛ إلى أن يقبضك عليه

﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ كبيراً عظيما ؛ لا ذل بعده ! ﴿هو الذى أنزل السكينة﴾ الطمأنينة ﴿ولله جنود السموات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الإنس والجن ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ فى صنعه ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ أى إن إنزال السكينة : سبب فى ازدياد الإيمان . وازدياد الإيمان : سبب فى دخول الجنان ! ﴿ويكفر﴾ يمحو ﴿وكان ذلك﴾ الدخول فى الجنان . والقرب من الرحمن ، وتكفير السيئات ، وجزاء الحسنات ﴿فوزاً عظيما﴾ ظفراً بكل مطلوب ، ونجاة من كل مرهوب ﴿ويعذب المنافقين﴾ أى «أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين» ليزيدهم ثباتاً وإقداماً ، و «ليزدادوا إيماناً» بعصابرتهم على الجهاد ، ومزيد يقينهم ، وانتصارهم لله ورسوله ؛ وليعذب المنافقين بالذل ، والأسر ، والقتل ؛ فى الدنيا . وبالجحيم ، والعذاب الأليم فى الآخرة ؛ بسبب نفاقهم وكفرهم ! ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ وذلك أنهم ظنوا أن الله تعالى لن ينصر محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم كما وعده ، ولن يدخله مكة ظافراً ﴿عليهم دائرة السوء﴾ الخزى والعذاب ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك ؛ بل على سائر الأمم ﴿ومبشراً﴾ من أطاعك وآمن بالجنة ﴿ونذيراً﴾ لمن عصاك بالنار ﴿وتعزروه﴾ تنصروه . وقرئ «وتعززوه» ﴿وتوقروه﴾ تحترموه . والتوقير : نهاية الاجلال والاحترام ﴿وتسبحوه﴾ الضمير فى التعزير ، والتوقير ؛ للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . والتسبيح لله تعالى . وقيل : الضمير فى الكل لله جل شأنه ﴿بكرة وأصيلا﴾ صباحا ومساء . والبكرة : التبكير . والأصيل : ما بعد العصر إلى المغرب ؛ وهو كقوله تعالى «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب»

مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ

اللَّهِ

﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يريد تعالى أن يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين: هي يد الله؛ لأن الله تعالى منزه عن الجوارح، وعن صفات الأجسام. والمعنى: أن من بايع الرسول فقد بايع الله؛ كقوله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله» أو يكون المعنى: يد الله في العطاء، فوق أيديهم في الوفاء. ويده في المنة، فوق أيديهم في الطاعة.

وقد ذهب المجسمة - أخزاهم الله تعالى - إلى أن لله جل شأنه من الجوارح: ما للإنسان. وأن كل ما في القرآن من صفاته تعالى: على ظاهرها: كاليد، والرجل، والعين، والإذن، والقيام، والجلوس، والمشي، وغير ذلك. وهو قول أجمع السلف الصالح على بطلانه، وفساده. ونرى تكفير قائله: لاستهانته بقدر مولاه سبحانه وتعالى! «وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون!»

ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ

﴿فمن نكث﴾ نقض البيعة ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ لأن إثم نقضه يعود عليه، ويعاقب بسببه ﴿سيقول المخلفون من الأعراب﴾ وهم الذين تخلفوا عن الجهاد ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ أي لم تشغلهم الأموال والأهل؛ بل شغلهم الجبن والخوف، ولم يطلبوا الاستغفار، رغبة في الاعتذار؛ بل أرادوا به النفاق، وهم كاذبون في استغفارهم، كافرون في قرارة نفوسهم ﴿إن أراد بكم ضراً﴾ فهل يستطيع أحد أن يدفعه؟ ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ فهل يستطيع أحد أن يمنعه؟ ﴿بل ظننتم ألن ينقلب﴾ لن يرجع ﴿الرسول والمؤمنون﴾ من القتال ﴿إلى أهليهم أبداً﴾ بل إنهم يستأصلون بالقتل والتشريد ﴿وظننتم﴾ بالله ﴿ظن السوء﴾ وأنه لن ينصر رسله ﴿وكنتم قوما بوراً﴾ أي هلكى ﴿فإنا أعتدنا﴾ أعددنا وهيأنا ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ وما فيهما، ومن فيهما ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ أي إنه تعالى غني عن عباده؛ يثيب من آمن، ويعذب من كفر «ويعفو عن السيئات» ﴿سيقول المخلفون﴾ الذين تخلفوا عن الجهاد لنفاقهم ﴿إذا انطلقتم﴾ في جهادكم ﴿إلى مغانم لتأخذوها﴾ هي مغانم خيبر ﴿ذرونا﴾ دعونا ﴿نتبعكم﴾ في أخذ هذه المغانم ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وعده لأهل الحديبية؛ وقد وعدهم غنائم خيبر خاصة؛ عوضاً عن فتح مكة؛ إذ رجعوا من الحديبية على صلح، ولم يفوزوا منها بغنيمة. وقيل: «يبدلوا كلام الله» يغيروه؛ وقد قال: «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا»

(فسيقولون بل تحسدوننا) أى لم يقل الله ذلك ؛ بل تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم ؛ وقد أراد الله تعالى أن يعطى المنافقين فرصة أخيرة تؤمنهم عذابه ، وتجنبهم غضبه ، وتدنيهم من رحمته : فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل للمخلفين) الذين تخلفوا عن الجهاد (ستدعون إلى) محاربة (قوم أولى بأس شديد) أصحاب قوة عظيمة . قيل : هم بنو حنيفة . وقيل : فارس والروم (تقاتلونهم) فتقتلونهم وتأسرونهم (أو يسلمون) فتمسكوا عن قتالهم وأسرهم ، ويكون لهم ما للمسلمين : من تكريم وإعظام (فإن تطيعوا) الله والرسول فى جهادهم حال كفرهم، وتكريمهم حال إسلامهم (يؤتكم الله أجراً حسناً) النصر والغنيمة فى الدنيا. والجنة وحسن الثواب فى الآخرة (وإن تتولوا) تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) وتخلفتم (يعذبكم الله (عذاباً أليماً) فى الدنيا بالذلة والمهانة ، وفى الآخرة بالجحيم ، والعذاب الأليم (ليس على الأعمى حرج) فى التخلف عن الجهاد ؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها (ولا على المريض) الذى لا يستطيع الجهاد لمرضه (حرج) أيضاً فى التخلف . هذا ولا يسمى الصداع ، أو الحكة ، أو ما شابههما ، مرض يعوق عن الفريضة العظمى : التى ترفع الرؤس ، وتحفظ النفوس ، وتصون الديار ، وتحمى الذمار! وإنما المرض العائق ، الداعى للتخلف : هو ما يمكن الخصم من النيل منك ، ويمنعك من الدفاع عن نفسك : كالعمى ، والعرج ، والمرض الذى يزيد الجهاد فى وطأته ، ويودى إلى التهلكة (ومن يطع الله ورسوله) ويجاهد فى سبيله : يؤته فى الدنيا عزة ورفعة ، و (يدخله) فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الأنهار) «نزلا من غفور رحيم» (ومن يتول) يعرض عن الجهاد ؛ فله جهنم وبئس المهاد ! (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) يعاهدونك بالحديبية : على الجهاد ، وبذل النفس والنفيس ؛ فى سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، وبسط دينه ، ونصرة نبيه (تحت الشجرة) هى سمرة كانوا يستظلون بها وقتذاك . وقد قطعها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ حين رأى ــ بعد رفع الرسول عليه الصلاة والسلام ــ طواف المسلمين بها ، وتعظيمهم لها ؛ وهم حديثو عهد بالجاهلية وعبادة الأصنام (فعلم) الله تعالى (مافى قلوبهم) من الإيمان ، والصدق ، والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة (وأثابهم) جازاهم (فتحاً قريباً) نصراً عاجلا ؛ اطمأنت به قلوبهم : وهو فتح خيبر ؛ عند انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها) بعد ذلك ؛ من فارس والروم . أو هى مغانم خيبر ؛ وقد غنموا منها أموالا وعقاراً ، وعتاداً . و (وعدكم الله) أيضاً (مغانم كثيرة تأخذونها) غير هذه المغانم (فعجل لكم هذه) لتطمئن قلوبكم

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ

﴿وكف أيدى الناس عنكم﴾ بأن قذف فى قلوب اليهود الرعب؛ فلم يحاربوكم، ولم يمسوا أموالكم ولا أهليكم بالمدينة عند خروجكم إلى خيبر والحديبية ﴿ولتكون﴾ هذه الغنائم المعجلة ﴿آية﴾ علامة ﴿للمؤمنين﴾ على صدق وعد الله تعالى؛ وليعلموا أن الله تعالى قد حرسهم فى مشهدهم ومغيبهم ﴿ويهديكم صراطاً مستقيما﴾ هو طريق الطاعة الموصل إلى مرضاته تعالى ﴿وأخرى﴾ أى ومغانم أخرى ﴿لم تقدروا عليها﴾ أى، ما كان لكم أن تقدروا عليها؛ لولا نصره تعالى ومعونته؛ وهى مغانم هوازن. وقيل: فارس والروم؛ أوهما معاً ﴿قد أحاط الله بها﴾ أى علم وقدر أنها ستكون لكم، وأقدركم عليها بفضله لابقوتكم ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ بالحديبية؛ ولم يصطلحوا ﴿لولوا الأدبار﴾ لأن الله تعالى قد قضى بنصرتكم عليهم: محاربين أو مسالمين ﴿سنة الله﴾ أى سن الله تعالى سنة وطريقة؛ وهى إعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين ﴿التى قد خلت﴾ قد مضت ﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم﴾ فلم يقاتلوكم ﴿وأيديكم عنهم﴾ فلم تقاتلوهم ﴿ببطن مكة﴾ بالحديبية ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قيل: هبط ثمانون رجلا؛ من أهل مكة: شاكى السلاح؛ يريدون غرة المؤمنين والفتك بهم. فرآهم المؤمنون، وأمسكوهم بالأيدى. وبعد ذلك أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باخلاء سبيلهم؛ وسموا بذلك العتقاء؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أعتقهم من القتل؛ وكان من بينهم معاوية وأبوه ﴿هم الذين كفروا﴾ يعنى قريشاً ﴿وصدوكم﴾ منعوكم ﴿عن﴾ بلوغ ﴿المسجد الحرام﴾ عام الحديبية؛ وقد أحرم المؤمنون بعمرة ﴿والهدى﴾ هو ما يهدى الى الحرم من البدن ﴿معكوفا﴾ محبوساً بفعل المشركين ﴿أن يبلغ محله﴾ مكانه الذى ينحر فيه عادة؛ وهو الحرم ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ موجودون بمكة مع المشركين؛ وهم المستضعفون ﴿لم تعلموهم﴾ لم تعرفوهم، أولم تعلموا إيمانهم ﴿أن تطؤوهم﴾ تقتلوهم خطأ مع الكفار ﴿معرة﴾ إثم وعيب. أى لولا ذلك؛ لأذن الله لكم فى دخول مكة، والفتك بمن فيها. ولعل المراد «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات» فى أصلاب هؤلاء الكفار «لم تعلموهم» والله تعالى يعلمهم «أن تطؤوهم» بقتل من هم فى أصلابهم «بغير علم» منكم بما فعلتم. لولا ذلك لأذن الله تعالى لكم فى قتلهم؛ وذلك ﴿ليدخل الله فى رحمته من يشاء﴾ من هؤلاء الذرارى المؤمنين ﴿لو تزيلوا﴾ تفرقوا، وتميزوا عن الكفار، وخرجوا من أصلابهم الى عالم الظهور ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ من أهل مكة، وأبحنا لكم فتحها وقتال من فيها ﴿إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية﴾ الكبر والأنفة، والغلظة والعصبية

ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ

﴿حمية الجاهلية﴾ وهي أنهم قالوا: لقد قتلوا أبناءنا وإخواننا؛ ثم يدخلون علينا في منازلنا؟ واللات والعزى لايدخلنها أبداً! ﴿فأنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ هي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله! وأضيفت إلى التقوى: لأنها سببها ﴿وكانوا أحق بها﴾ أحق بكلمة التقوى؛ لأنهم سمعوها واتبعوها؛ فكانوا أحق بها من كفار مكة؛ الذين أصموا آذانهم عن استماعها، وقلوبهم عن قبولها ﴿وأهلها﴾ أي وكانوا أهل هذه الكلمة؛ المستوجبين لفضلها، الحائزين لشرفها! ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام – عام الحديبية – أنه يدخل مكة هو وأصحابه: محلقين ومقصرين؛ فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا. وقد تحققت الرؤيا بفتح مكة (انظر آية ٦٠ من سورة الإسراء) ﴿لاتخافون﴾ من أحد ﴿فعلم مالم تعلموا﴾ أي فعلم من تأخير دخولكم مكة؛ مالم تعلموه من الخير لكم، والصلاح لأحوالكم! ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ أي جعل من قبل فتح مكة «فتحاً قريباً» عاجلا؛ هو فتح خيبر ﴿ليظهره﴾ أي ليعلي الإسلام ﴿على الدين كله﴾ على سائر الأديان ﴿محمد رسول الله﴾ إلينا؛ فضلا من الله علينا! (انظر آية ٤ من سورة القلم) ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين ﴿أشداء﴾ غلاظ أقوياء ﴿على الكفار﴾ وليست الغلظة والشدة من صفاتهم؛ بل هم ﴿رحماء بينهم﴾ يرحم كبيرهم صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم ﴿سيماهم﴾ علامتهم ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾ هو نور الإيمان يلوح في وجه المصلي؛ فتراه كالبدر ليلة التمام – رغم رقة حاله، ورثاثة هيأته – فترى الزنجي الأسود – رغم فقره وقبحه – يتلألأ وجهه ضياء، ويزداد حسناً وبهاء؛ لملازمته الصلاة، وتذلله لمولاه! وترى العاصي – رغم وجاهته وغناه – على وجهه غبرة، ترهقها قترة! وماذاك إلا لتركه الجماعة، وانصرافه عن الطاعة. ولا وجه لمن يقول: إن أثر السجود هو النكتة السوداء التي تحدث في وجوه البعض من أثر السجود على الحصير ونحوه؛ فمثل ذلك قد يحدث لكثير ممن يلازمون الصلاة، ويفرطون في جنب الله! فكم من مصل لا يأمر بمعروف، ولا ينتهي عن منكر! وكم من مصل يلغ في أعراض المؤمنين، ولا يتقي رب العالمين! وكل هؤلاء لهم في جباههم من آثار السجود كركبة البعير أو أشد؛ وهم أبعد الناس عن مغفرة الله، وعن جنة الله! ﴿ذلك مثلهم﴾ أي ذلك الوصف المذكور صفتهم ﴿في التوراة ومثلهم﴾ صفتهم ﴿في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ فراخه وورقه. يقال: أشطأ الزرع: إذا أفرخ ﴿فآزره﴾ قواه وأعانه ﴿فاستغلظ﴾ غلظ وقوى ﴿فاستوى على سوقه﴾ استقام على أصوله. وهذا مثل ضربه الله =

ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ

= تعالى للإيمان ؛ حيث بدأ ضعيفاً ، ثم قوى . عن عكرمة «أخرج شطأه» بأبى بكر «فآزره» بعمر «فاستغلظ» بعثمان «فاستوى على سوقه» بعلى ؛ رضوان الله تعالى عليهم ﴿يعجب﴾ هذا الزرع ﴿الزراع﴾ وهم أصحاب محمد؛ الذين نصروا الدين ونشروه، وأيدوا دعوة الله باللسان والسنان ﴿ليغيظ﴾ الله تعالى ﴿بهم الكفار﴾ ويكبتهم

بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الحُجُرَاتِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ المُجَادَلَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ

(سورة الحجرات)

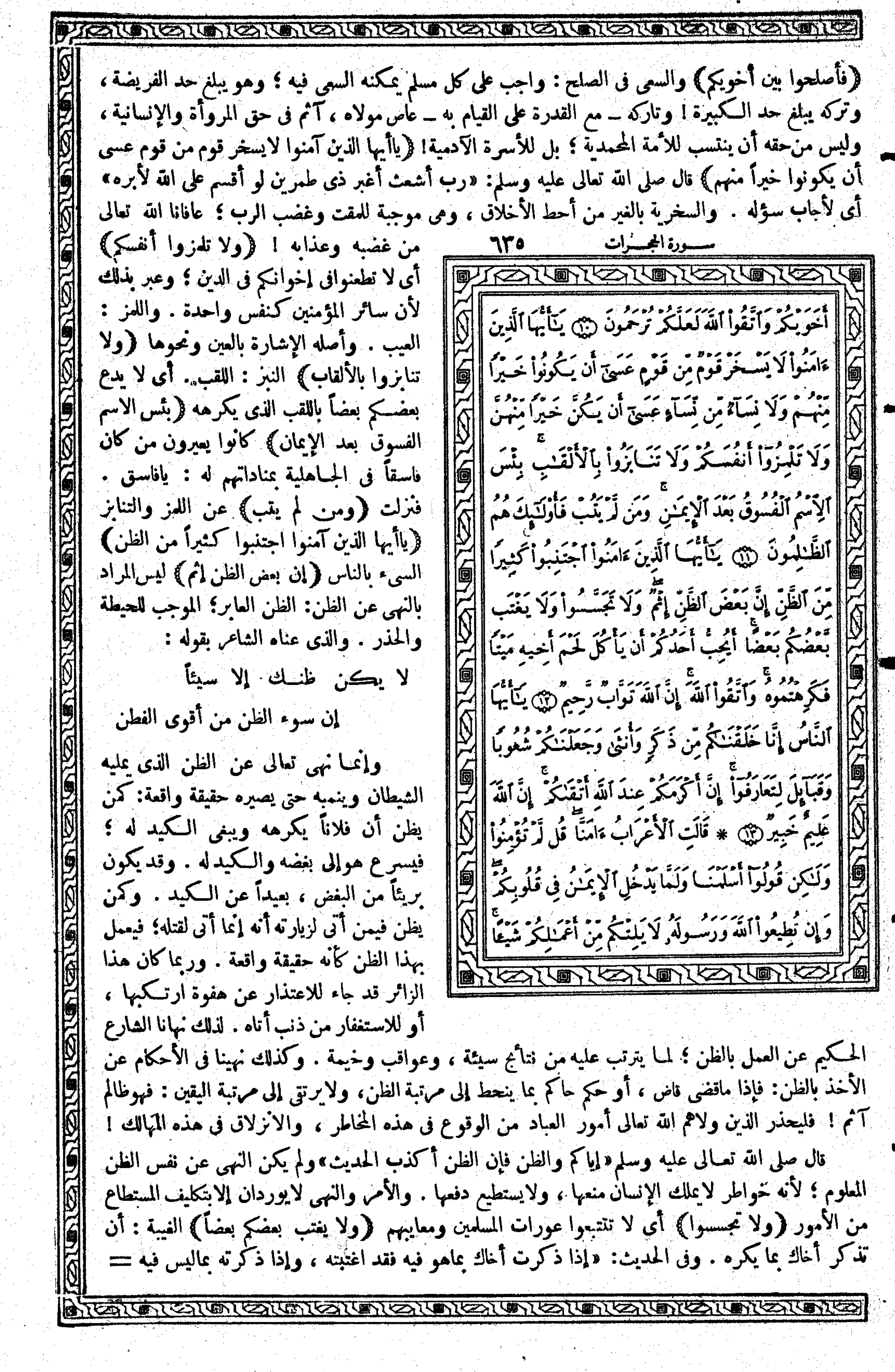
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ أى لا تقدموا قولا من الأقوال، أو عملا من الأعمال؛ بغير موافقة ذلك لما أراده الله تعالى ورسوله أو لا تتقدموا فى العبادات عن مواقيتها المحددة لها ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ أى لا تخاطبوه ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ كمخاطبة بعضكم بعضاً ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ أى لئلا تبطل أعمالكم . وفى هذا ما فيه من الحث على توقير العلماء ـ الذين هم ورثة الأنبياء ـ وتعظيم الأتقياء والصلحاء ؛ أسوة بتوقير سيد الأنبياء! ﴿يغضون أصواتهم﴾ يخفضونها تعظيما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وفى هذه الآيات من علو شأن الرسول عليه الصلاة والسلام مالا يخفى ! وقد أجمع العلماء ـ قياساً على ذلك ـ على أنه لا يجوز رفع الصوت عند تلاوة حديثه الشريف ، ولا عند قبره المعظم ! ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم﴾ اختبرها ﴿للتقوى﴾ وأخلصها : طهرهم من كل قبيح ، وهيأهم لكل مليح ، وأسكن قلوبهم محبته وخشيته ! ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ لا يفهمون عظيم قدرك، وكبير مقامك !

﴿ولو أنهم صبروا﴾ بغير مناداة لك ﴿حتى تخرج إليهم﴾ من غير إزعاج . وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام ليس كسائر البشر؛ فربما كان ينزل عليه الوحى وقت ندائهم له ، أو كان يناجى مولاه ويستغفر لأمته؛ وفى هـذا من الخير العام ما لا يخفى ؛ فضلا عما فى المناداة من سوء الأدب ، وعدم المجاملة (انظر آية ٣٠ من سورة الأحزاب) ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ أى فتثبتوا من قوله ؛ وتبينوا صوابه من خطئه . والفاسق : العاصى . والعصيان: يشمل الكذب ، والغيبة، والنميمة ﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ أى لئلا تصيبوا قوماً وأنتم تجهلون حقيقة أمرهم ﴿لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم﴾ أى لو يسمع وشاياتكم ويصغى لإرادتكم؛ لوقعتم فى الجهد والهلاك . والعنت : الإثم ، والمشقة ، والهلاك ﴿ولكن الله﴾ لمزيد كرمه ، وعميم فضله ﴿حبب إليكم الإيمان﴾ فاعتنقتموه ﴿وزينه فى قلوبكم﴾ فتمسكتم به ﴿وكره إليكم الكفر﴾ فحاربتموه ﴿والفسوق﴾ فاجتنبتموه ﴿والعصيان﴾ فلم تقربوه ﴿أولئك﴾ الذين حبب إليهم الإيمان ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ﴿هم الراشدون﴾ العقلاء ، الأذكياء؛ لأنهم قبلوا الإيمان : فحببه الله إليهم ، وزينه فى قلوبهم . واتبعوا مرضات الله : فباعد بينهم وبين معاصيه ! ﴿فضلا من الله﴾ اختصهم به ﴿ونعمة﴾ منه تعالى أسبغها عليهم ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾ بأن ظلمتها ، ونقضت الصلح ، أو أبته ﴿حتى تفيء﴾ ترجع ﴿إلى أمر الله﴾ إلى الحق الذى أمر به الله ، وإلى الصلح الذى دعيت إليه ﴿فإن فاءت﴾ رجعت إلى أمر الله ، وقبلت الصلح الذى فرضته عليها جماعة المسلمين وتوقفت عن بغيها واعتدائها ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ الذى يرتضيه الله تعالى ! ﴿وأقسطوا﴾ واعدلوا فى كل أموركم ﴿إنما المؤمنون﴾ جميعاً ﴿إخوة﴾ لا يصح أن تقوم بينهم عداوة ، ولا أن ينتصب بينهم قتال، ولا يجوز أن يكون بينهم تباغض ؛ فكيف يختصمون؟ بل كيف يقتتلون ؟ وإذا اختصموا أو اقتتلوا ؛ فكيف تتركونهم على هذه الحال ؟ !

ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ

أَخَوَيْكُمْ



﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ والسعى فى الصلح : واجب على كل مسلم يمكنه السعى فيه ؛ وهو يبلغ حد الفريضة ، وتركه يبلغ حد الكبيرة ! وتاركه - مع القدرة على القيام به - عاص مولاه ، آثم فى حق المروأة والإنسانية ، وليس من حقه أن ينتسب للأمة المحمدية ؛ بل للأسرة الآدمية ! ﴿يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره» أى لأجاب سؤله . والسخرية بالغير من أحط الأخلاق ، وهى موجبة للمقت وغضب الرب ؛ عافانا الله تعالى

أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا

من غضبه وعذابه ! ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أى لا تطعنوا فى إخوانكم فى الدين ؛ وعبر بذلك لأن سائر المؤمنين كنفس واحدة . واللمز : العيب . وأصله الإشارة بالعين ونحوها ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز : اللقب . أى لا يدع بعضكم بعضاً باللقب الذى يكرهه ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ كانوا يعيرون من كان فاسقاً فى الجاهلية بندائهم له : يافاسق . فنزلت ﴿ومن لم يتب﴾ عن اللمز والتنابز ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ السيء بالناس ﴿إن بعض الظن إثم﴾ ليس المراد بالنهى عن الظن: الظن العابر؛ الموجب للحيطة والحذر . والذى عناه الشاعر بقوله :

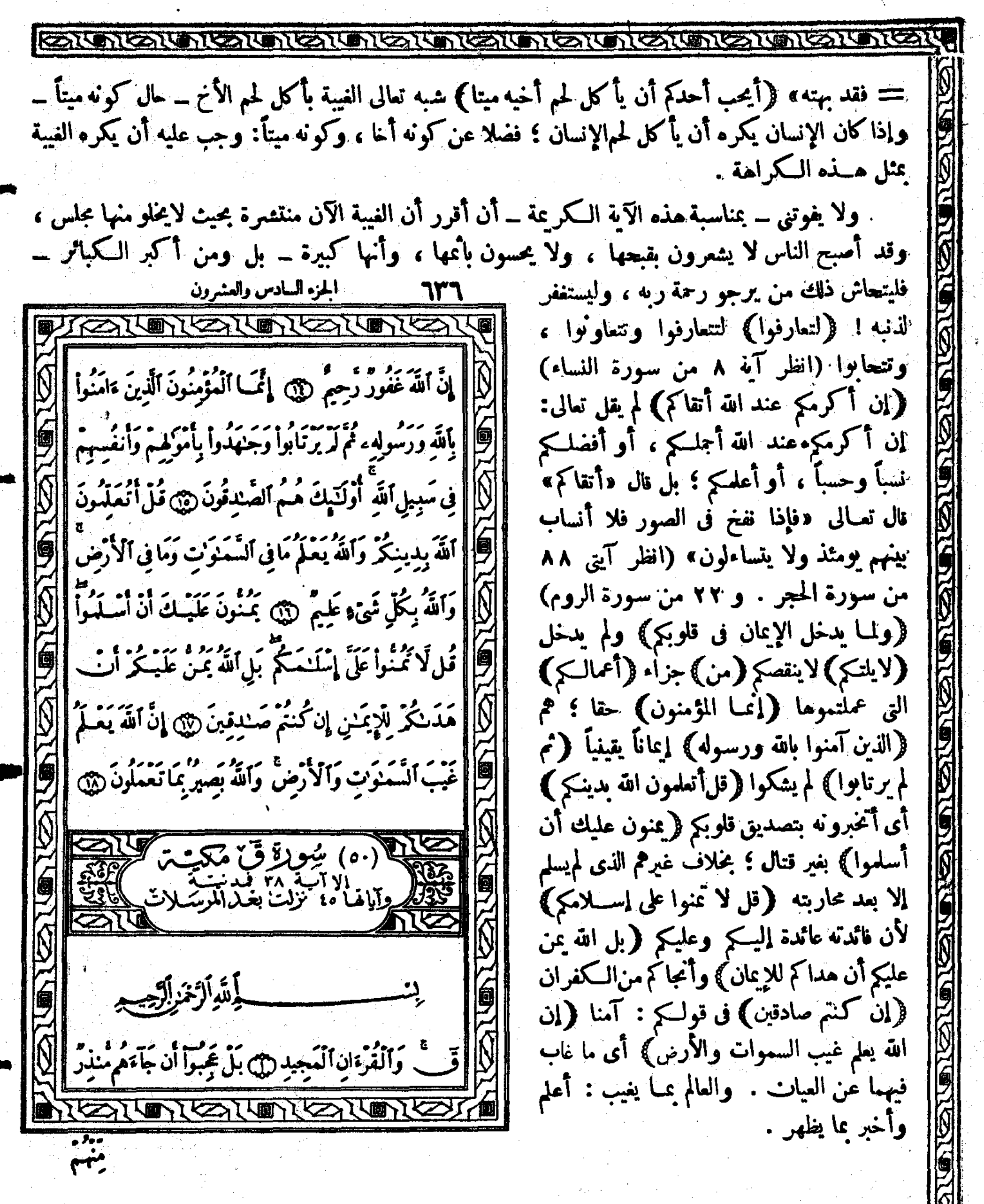
لا يكن ظنك إلا سيئاً
إن سوء الظن من أقوى الفطن

وإنما نهى تعالى عن الظن الذى يمليه الشيطان وينميه حتى يصيره حقيقة واقعة: كمن يظن أن فلاناً يكرهه ويبغى الكيد له ؛ فيسرع هو إلى بغضه والكيد له . وقد يكون بريئاً من البغض ، بعيداً عن الكيد . وكمن يظن فيمن أتى لزيارته أنه إنما أتى لقتله؛ فيعمل بهذا الظن كأنه حقيقة واقعة . وربما كان هذا الزائر قد جاء للاعتذار عن هفوة ارتكبها ، أو للاستغفار من ذنب أتاه . لذلك نهانا الشارع الحكيم عن العمل بالظن ؛ لما يترتب عليه من نتائج سيئة ، وعواقب وخيمة . وكذلك نهينا فى الأحكام عن الأخذ بالظن: فإذا ماقضى قاض ، أو حكم حاكم بما ينحط إلى مرتبة الظن، ولايرتقى إلى مرتبة اليقين : فهو ظالم آثم ! فليحذر الذين ولاهم الله تعالى أمور العباد من الوقوع فى هذه المخاطر ، والانزلاق فى هذه المهالك !

قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» ولم يكن النهى عن نفس الظن المعلوم ؛ لأنه خواطر لايملك الإنسان منعها ، ولايستطيع دفعها . والأمر والنهى لايوردان إلا بتكليف المستطاع من الأمور ﴿ولا تجسسوا﴾ أى لا تتتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ الغيبة : أن تذكر أخاك بما يكره . وفى الحديث: «إذا ذكرت أخاك بماهو فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بماليس فيه =

= فقد بهته» ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ شبه تعالى الغيبة بأكل لحم الأخ - حال كونه ميتاً - وإذا كان الإنسان يكره أن يأكل لحم الإنسان؛ فضلا عن كونه أخا، وكونه ميتاً: وجب عليه أن يكره الغيبة بمثل هذه الكراهة.

ولا يفوتني - بمناسبة هذه الآية الكريمة - أن أقرر أن الغيبة الآن منتشرة بحيث لايخلو منها مجلس، وقد أصبح الناس لا يشعرون بقبحها، ولا يحسون بإثمها، وأنها كبيرة - بل ومن أكبر الكبائر - فليتحاش ذلك من يرجو رحمة ربه، وليستغفر لذنبه! ﴿لتعارفوا﴾ لتتعارفوا وتتعاونوا، وتتحابوا (انظر آية ٨ من سورة النساء) ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ لم يقل تعالى: إن أكرمكم عند الله أجملكم، أو أفضلكم نسباً وحسباً، أو أعلمكم؛ بل قال «أتقاكم» قال تعالى «فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» (انظر آيتي ٨٨ من سورة الحجر. و ٢٢ من سورة الروم) ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ ولم يدخل ﴿لايلتكم﴾ لاينقصكم ﴿من﴾ جزاء ﴿أعمالكم﴾ التي عملتموها ﴿إنما المؤمنون﴾ حقا؛ هم ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ إيماناً يقينياً ﴿ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أي أتخبرونه بتصديق قلوبكم ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ بغير قتال؛ بخلاف غيرهم الذي لم يسلم إلا بعد محاربته ﴿قل لا تمنوا على إسلامكم﴾ لأن فائدته عائدة إليكم وعليكم ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ وأنجاكم من الكفران ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم: آمنا ﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض﴾ أي ما غاب فيهما عن العيان. والعالم بما يغيب: أعلم وأخبر بما يظهر.



إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ قٓ مكية
إلا آية ٣٨ فمدنية
وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ

(سورة قٓ)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قٓ﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿والقرآن المجيد﴾ الكريم العظيم؛ ذي المجد والشرف! أقسم تعالى بالقرآن المجيد أنه أنزله على رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام؛ فأنذرهم به فلم يؤمنوا، وأكد لهم البعث فلم يصدقوا ﴿بل عجبوا﴾ حيث لا عجب ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ أي من أنفسهم ومن جنسهم

مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا
بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا
طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ

﴿فقال الكافرون هذا﴾ الذى يقوله محمد من أمر البعث ﴿شىء عجيب﴾ لا يعقل ﴿أئذا متنا﴾ ودفنا فى قبورنا ﴿وكنا﴾ صرنا ﴿ترابا﴾ وعظاما: أنحيا بعد ذلك، ونعود من جديد كما كنا؟! ﴿ذلك رجع بعيد﴾ أى ذلك الرجوع والإحياء أمر مستبعد ﴿قد علمنا ماتنقص الأرض منهم﴾ أى ما تأكله من لحومهم، وتبليه من أجسادهم ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ هو اللوح المحفوظ؛ يحفظ ماعملوا وماهم عاملون، وما قالوا وما هم قائلون. ولم يكن الأمر قاصراً على العجب من بعثة محمد فحسب ﴿بل﴾ كان ينصب على ماهو أفحش وأقبح؛ لقد ﴿كذبوا بالحق﴾ القرآن وما اشتمل عليه من الحق ﴿لما جاءهم﴾ على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فهم فى أمر مريج﴾ أى أمر مضطرب؛ فتارة يقولون عن القرآن: «أساطير الأولين» وتارة يقولون: «إنما يعلمه بشر» وتارة يقولون عن سيد البشر: إنه ساحر، إنه شاعر. وماهو بساحر ولا بشاعر! ﴿أفلم ينظروا﴾ هؤلاء الجهلاء ﴿إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ بغير عمد ﴿وزيناها﴾ بالكواكب ﴿ومالها من فروج﴾ شقوق تعيبها ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها، ومهدناها للسير عليها، والانتفاع بها ﴿وألقينا فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت؛ لئلا تميد بهم ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ من كل صنف حسن اللون، والمنظر، والمخبر ﴿تبصرة﴾ أى جعلنا ذلك تبصرة لكم ﴿وذكرى﴾ تذكيراً بقدرة ربكم ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع إلى ربه فى كل أموره ﴿فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ أى بساتين وفواكه، والحب الذى يحصد: كالحنطة، والشعير، وما شاكلهما ﴿والنخل باسقات﴾ أى طوالا. وبسق النخل: طال ﴿لها طلع نضيد﴾ متراكم؛ بعضه فوق بعض ﴿وأحيينا به﴾ أى بالماء ﴿بلدة ميتاً﴾ مجدبة؛ لا نبات فيها ولا زرع ﴿كذلك الخروج﴾ أى مثل إحيائنا الأرض بالنبات: نحيي الموتى، ونخرجهم بعد فناء رسومهم، وبلاء أجسادهم ﴿وأصحاب الرس﴾ الرس: البئر المطوية بالحجارة. وهو اسم بئر؛ كانوا حولها وقت نزول العذاب بهم. وقيل: هم أصحاب الأخدود ﴿وثمود﴾ قوم صالح عليه السلام ﴿وعاد﴾ قوم هود عليه السلام ﴿وأصحاب الأيكة﴾ وهى الغيضة: مجتمع الشجر؛ وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿وقوم تبع﴾ هو ملك باليمن: أسلم ودعا قومه للاسلام فكذبوه. و«تبع» اسم لكل من ملك اليمن؛ وسموا التبابعة ﴿كل﴾ من هؤلاء الأمم المذكورة ﴿كذب الرسل﴾ التى أرسلناها ﴿فحق﴾ وجب

وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾
مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِى
جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾
۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ
بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾

﴿وعيد﴾ عذابى الذى أوعدتهم به ﴿أفعيينا﴾ أفعجزنا . يقال : عيي بالأمر : إذا لم يهتد لوجه عمله ﴿بالخلق الأول﴾ خلقتهم أول مرة ﴿بل هم فى لبس﴾ شك ﴿من خلق جديد﴾ وهو البعث ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أى نعلم خواطره وهواجسه . لأنه تعالى «يعلم السر وأخفى» ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ هو مثل لشدة القرب . والوريدان : عرقان فى باطن العنق : يموت الانسان والحيوان بقطع أحدهما ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ هما الملكان الملازمان لكل انسان ؛ لكتابة ما يصدر عنه من خير أو شر ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أى قاعدان ؛ أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ﴿ما يلفظ﴾ ما ينطق ﴿رقيب﴾ مراقب لأقواله وأفعاله ﴿عتيد﴾ حاضر ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ أى شدته وغمرته ؛ وهى الغرغرة ﴿بالحق﴾ أى جاءت بسعادة الميت أو شقاوته . فقد ورد أنه فى هذه الحال يرى مقعده من الجنة ، أو من النار . أو «جاءت سكرة الموت بالحق» أى جاءت بأمر الله تعالى ، وسلطانه ، وقهره ، وجبروته ! ﴿ذلك﴾ الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ تهرب من ملاقاته ؛ لشعور عقلك الباطن بما أعد لك من عقاب ! ﴿ونفخ فى الصور﴾ القرن ؛ وهى نفخة البعث ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ للكفار بالعذاب ﴿وجاءت كل نفس﴾ مؤمنة أو كافرة ﴿معها سائق وشهيد﴾ هما ملكان : أحدهما يسوقه إلى المحشر ، والآخر يشهد عليه بما فعل . ويقال للكافر وقتذاك ﴿لقد كنت فى غفلة﴾ فى الدنيا ﴿من هذا﴾ العذاب النازل بك اليوم ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أزلنا غفلتك ، وأريناك عياناً ما كنت تنكره وتكذب به ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ من الحدة ؛ أى قوى : تشاهد به اليوم ما خفى عليك بالأمس ؛ من البعث والحساب ﴿وقال قرينه﴾ أى شيطانه المقارن له فى الدنيا . أو المراد بقرينه : الملك الذى يسوقه إلى المحشر ﴿هذا ما لدى عتيد﴾ أى هذا الذى عندى حاضر ومهيأ للنار ﴿ألقيا فى جهنم﴾ يقول ذلك رب العزة ؛ مخاطباً السائق والشهيد ﴿معتد مريب﴾ ظالم ، شاك فى الله وفى دينه ﴿قال قرينه﴾ الشيطان المقارن له فى الدنيا ؛ يقول متبرئاً من إضلاله وإغوائه ﴿ربنا ما أطغيته﴾ بنفسى ﴿ولكن كان فى ضلال بعيد﴾ وذلك كقوله تعالى «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»

﴿وقد قدمت إليكم﴾ فى الدنيا؛ فى كتبى، وعلى لسان رسلى ﴿بالوعيد﴾ بالعذاب الذى ترونه الآن؛ وقد أنكرتموه وكذبتم به فى الدنيا ﴿ما يبدل القول لدى﴾ أى لا يبدل قولى الذى قلته على لسان رسلى؛ من إدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ حين أحاسبهم على ماجنوه، وأعاقبهم على ما ارتكبوه؛ بل هم الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها لغضبى وعذابى! ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ هو على طريق المجاز: كناية عن سعتها، وأنها تسع سائر الكفار رغم كثرتهم ﴿وأزلفت﴾ قربت، وأعدت، وهيئت ﴿أواب﴾ رجاع؛ كثير الذكر لله تعالى ﴿حفيظ﴾ حافظ لحدود الله تعالى ﴿ذلك يوم الخلود﴾ الدائم؛ الذى لاموت بعده ﴿لهم مايشاءون فيها﴾ أى فى الجنة ﴿ولدينا مزيد﴾ من الخير؛ فوق مايشاءون، وما يطلبون ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ أى قبل قريش ﴿من قرن﴾ أمة ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ فتشوا فيها عن سبب يمنعهم من الموت ﴿هل من محيص﴾ هل من مهرب من الموت؟ ومثل هؤلاء كمثل من يبحثون – فى زمننا هذا – عن إطالة أعمارهم، وبقاء شبابهم. ولاندرى ماذا يكون بعد بقاء الشباب، وإطالة العمر؟ أيكون البقاء حيث لا بقاء، والخلود حيث لا خلود؟! وماذا ينفع الخلود فى الدنيا؛ إذا لم تكن طريقاً للآخرة، وسبيلا موصلا إلى مرضاة الله تعالى! ﴿لمن كان له قلب﴾ واع للإيمان؛ لأن من لا يعى الإيمان؛ كمن لا قلب له ﴿أو ألقى السمع﴾ أى أصغى إلى المواعظ واستمع لها، وعمل بها ﴿وهو شهيد﴾ حاضر بقلبه ﴿وما مسنا من لغوب﴾ إعياء

بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

﴿وأدبار السجود﴾ أى عقب الصلوات ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ يصيحها فيهم إسرافيل عليه السلام (انظر آية ٥٣ من سورة يس) ﴿ذلك يوم الخروج﴾ يوم البعث ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً﴾ يوم تتصدع الأرض؛ فتخرج الموتى مسرعين ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ تجبرهم على الإيمان قسراً ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ من يخشى عذابى

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الأَحْقَافِ

(سورة الذاريات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾

﴿والذاريات ذرواً﴾ الرياح تذرو كل شىء تمر به؛ كرمل وتراب ونحوهما؛ أى تفرقه وتبدده. وقيل: «الذاريات» النساء الولود؛ لأنهن يذرين الأولاد ﴿فالحاملات وقراً﴾ السحب تحمل الماء. وقيل: هى السفن الموقرة بالناس وأمتعتهم وتجاراتهم، أو هى الحوامل من سائر النساء والحيوانات ﴿فالجاريات يسراً﴾ السفن تجرى ميسرة بإذن الله؛ تحمل المتاجر ليسر الخلق ورخائهم. أو هى السحب؛ تجرى وتسير؛ إلى حيث أراد الله تعالى. أوهى الكواكب التى تجرى فى منازلها ﴿فالمقسمات أمراً﴾ الملائكة التى تقسم الأرزاق بأمر الله تعالى. وقيل: الرياح؛ لأنها تقسم الماء بتصريف السحاب ﴿إن ماتوعدون﴾ به من البعث والحساب والجزاء ﴿لصادق﴾ واقع لا محالة ﴿وإن الدين لواقع﴾ الدين: الجزاء على الأعمال

﴿الحبك﴾ طرائق النجوم ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ هو قولهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام : ساحر ، وشاعر ، ومجنون ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يصرف عنه من صرف ﴿قتل الخراصون﴾ الكذابون المفترون ؛ ويصح أن يطلق على المنجمين ﴿الذين هم فى غمرة﴾ فى جهل يغمرهم ﴿أيان يوم الدين﴾ متى يوم الجزاء ﴿يفتنون﴾ يحرقون ويعذبون ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ عذابكم الذى تستحقونه ﴿مايهجعون﴾ ماينامون ﴿وفى أموالهم حق﴾ نصيب وافر ؛ يرون إعطاءه حقاً من الحقوق فى أعناقهم ﴿للسائل﴾ الذى يطلب من الناس ﴿والمحروم﴾ الذى لا يسأل الناس تعففاً ﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾ آيات دالة على قدرته تعالى ، ووحدانيته ﴿وفى أنفسكم﴾ آيات أيضاً ﴿أفلا تبصرون﴾ هذه الآيات ؛ فتعتبرون بها ، وتدينون بخالقها وموجدها ! فإنكم لو تأملتم ماتنبته الأرض من النبات ، وفكرتم فيما تخرجه من الأقوات : تضعون الحبة فيخرج لكم منها المئات ، وتضعون البذرة فينشىء لكم منها البساتين والجنات ؛ إلى غير ذلك من اختلاف الطعوم والألوان ، والهيئات ؛ لو تأملتم ذلك بعين الفكرة والتبصرة ؛ لما وسعكم إلا أن تقولوا : وفى الأرض آيات وأى آيات !

الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ

ولو تأملتم فى أنفسكم لوجدتم العجب العجاب ؛ انظروا مثلا كيف أنشأكم الله تعالى ابتداء من طين ، ثم كيف خلقكم من نطفة فى قرار مكين ! بل انظروا إلى النطفة نفسها ، وكيف يتكون منها الجنين ؛ الذى لايتكون إلا من الاتحاد الذى يتم بين جرثومة الذكر وبويضة الأنثى ، وبذلك تتكون خلية ؛ يحدث انقسام بينها إلى خليتين ، ثم انقسام آخر لكل من الخليتين ، ثم آخر للمنقسمين ، وآخر وآخر ؛ وهكذا دواليك ؛ إلى أن يصل العدد إلى أربعين جيلا من الخلايا ؛ حتى يزيد مجموع الخلايا ـ التى يتكون منها الإنسان الواحد ـ عن سكان الكرة الأرضية بأكثر من ألف مرة . وكل خلية من هذه الخلايا تعيش بمعزل عن الأخريات ؛ وكل منها بمثابة مصنع للانتاج ؛ فمنها ما ينتج الشعر ، ومنها ما ينتج الأظافر ، ومنها ما ينتج العظام ، ومنها ما ينتج الدم ، وهكذا . ومتى نضجت هذه الخلايا ، واكتمل نموها : تخصص كل منها فى تكوين نوع واحد من الأنسجة والأعضاء . هذا وقد أصبح من السهل جداً ـ تحت المجهر ـ التفريق بين الخلايا المكونة للكبد ، والخلايا المكونة للكلى ؛ بالرغم من أن مهمة العضوين تكاد تكون واحدة : هى الاشتراك فى عملية التغييرات الكيميائية فى الجسم .

ومن هذه الخلايا ماينتج الجهاز العصبى ؛ الذى يتوقف عليه إيصال الرسائل من الحواس والأعضاء المختلفة إلى المخ ؛ ومن المخ تنتقل الرسائل ـ التى هى بمثابة أوامر وأحكام ـ إلى العضل والأطراف ؛ التى تتحرك

= بموجبها ـ تبعاً للظروف المحيطة بالإنسان ـ أو إلى الغدد الجمة ؛ فتفرز سائلا معيناً ـ وفقا للحالة التي يجابهها الشخص ـ كالدموع ، واللعاب ، والادرينالين .

مثال ذلك : إذا أبصر إنسان لصاً أمامه بيده خنجر : فإن الجهاز العصبي يوجه إلى المخ إشارة بذلك الخطر المحدق ؛ فتتلقى الجوارح من المخ إشارة بما يجب اتباعه . وقد يشير المخ ـ تبعاً للسلوك الشخصى للإنسان ـ بالفرار من اللص ، أو بالهجوم عليه وانتزاع الخنجر من يده ، أو بمبادرته بطلقة من مسدس ، أو ضربة من عصا ونحوها . على أن الزمن الذى تستغرقه هذه الرسائل ـ الذاهبة والآيبة ـ يدق على أى آلة أو أداة لاسلكية أو الكترونية ؛ وفى الوقت ذاته لا يتجاوز جزء من مائة من الثانية .

فعلاقة الحواس بالمخ علاقة ثابتة ما ثبت الوعى والإدراك ؛ الذى يتفرع منهما التميز ، والتصور ، والذاكرة ، والتعليل ، والطموح ، وإدراك الهدف .

ولا يخفى ما فى خلقة المخ من أعاجيب وغرائب ؛ فمن أعجب الأعاجيب : اختزان العلوم والمعارف ، والمدارك ، والمحفوظات ؛ واستخراج ما يراد من ذلك من سجلاتها المرتبة المبوبة فى ظرف قد لايتجاوز ارتداد الطرف ؛ بوساطة ذبذبات يعجز اللسان عن وصفها ، ويضيق الجنان عن الإحاطة بها !

هذا وقد دل الفحص المجهرى على أن عدد الخيوط العصبية فى المخ يتجاوز عشرة آلاف مليون . كل واحد منها تدب فيه الحياة ، ويحمل وظيفة عضوية يؤديها على أكمل وجه !

وعلى هذا المنوال تؤدى أجسامنا ـ بما احتوته من أعضاء ـ وظائفها ذات الأهداف المتباينة ؛ بغير وعى منها ، الأمر الذى يدل دلالة قطعية على أن هناك إرادة عليا تسيرها و توجهها !

سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفۡ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٍ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾

ولو لم يكن فى بديع صنع الإنسان : سوى أنه يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ؛ فى مدخل واحد ؛ ثم يخرج كلاهما من مخرج منفصل عن الآخر ؛ لكفى ذلك عجباً ! وناهيك بما يفعله الجسم بالطعام والشراب حين يهضمهما ، ويأخذ أطايبهما ؛ ثم يلقى بنفايتهما ؛ بعد أن يستنفد وقوده ، ويأخذ حاجته ، ويستوعب كفايته «فتبارك الله أحسن الخالقين» .

ولو تأملتم فى حواسكم : لوجدتم أعجب العجب ! أنظروا مثلا إلى حاسة اللمس ؛ وكيف أنكم تستطيعون بها الفرق بين الناعم والخشن ، والبارد والحار ، واللين والرخو . وانظروا أيضاً إلى حاسة الشم ؛ وكيف تستطيعون بواسطتها معرفة ذكى الرائحة من رديئها ، وطيب النكهة من فاسدها . =

= وانظروا أيضاً إلى حاسة الذوق ، وكيف تستدلون بواسطتها إلى تذوق الأصناف والطعوم ، ومعرفة الحلو والحامض ، والمر ، والمالح .

وكذلك البصر ؛ وانطباع المرئيات عليه ، وانعكاسها على صفحة المخ لتترك أثرها .

وكذلك السمع ؛ وانقلاب المسموعات إلى مفهومات ، وانطباع هذه المفهومات فى حافظة المخ ؛ لتزودكم به ، وقت حاجتكم إليه . وهكذا سائر الأعضاء بما وهبها الله تعالى من مزايا يضيق الخاطر عن حصر فوائدها ومنافعها !

مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ

فإذا مافكر الإنسان فى خلقة نفسه ، ودقة حواسه ، وتأمل هذه الآلات والأدوات ؛ التى صاغها الخلاق العليم ، وبرأها المدبر الحكيم ! وهل يستطيع الإنسان - بما أوتى من علم ومال ، وجاه وسلطان - أن يستعيض عن أحدها لو سلبها ، أو أن يردها بعد تلفها ، أو أن يفهم كنهها ، ويعرف سر تركيبها ! حقاً لو تأمل الإنسان بعض ذلك ؛ لما وسعه إلا أن يقول : «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» ﴿وفى السماء رزقكم﴾ فى الدنيا . أى إن رزقكم مقدر فى السماء ، مسجل فى اللوح المحفوظ ؛ يسعى إليكم ؛ قبل أن تسعون إليه ، ويجرى وراءكم ؛ قبل أن تكدون فى تحصيله . وربما أريد بالرزق : المطر ؛ لأنه سبب له ، ويأتى الرخاء والخصب بواسطته ﴿وما توعدون﴾ به فى الآخرة ؛ من نعيم مقيم للطائع ، وعذاب أليم للعاصى . وقيل : أريد بما توعدون : الجنة . وأنها فوق السماء السابعة ؛ تحت عرش الرحمن ﴿فورب السماء والأرض إنه﴾ أى رزقكم المقدر لكم ، وما توعدون به فى كتب الله المنزلة ، وعلى ألسنة رسله المرسلة ﴿لحق﴾ ثابت واقع ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أى كما أنكم - أيها المخاطبون المكلفون - قد تميزتم عن سائر الحيوانات بالنطق ؛ فكذلك تميز كلامه تعالى ، ووعده ووعيده ؛ بالصدق والحق !

﴿قوم منكرون﴾ أى أنكرهم ولا أعرفهم ﴿فراغ إلى أهله﴾ ذهب إليهم خفية ﴿فأوجس﴾ أضمر ﴿فى صرة﴾ فى صيحة ؛ تعجباً لما سمعت ﴿فصكت وجهها﴾ ضربت وجهها بأصابع يديها : فعل المتعجب ﴿وقالت﴾ كيف ألد وأنا ﴿عجوز﴾ كبيرة السن ؛ لا تحمل عادة ؛ فضلا عن أنى ﴿عقيم﴾ لم ألد فى شبابى ؛ فكيف فى شيخوختى ويأسى ؟ ! ﴿قال﴾ ابراهيم لضيفه ﴿فما خطبكم﴾ ما شأنكم ، وما طلبكم ؟ ﴿إلى قوم مجرمين﴾ قوم لوط ﴿مسومة﴾ معلمة ؛ على كل واحد منها اسم من يهلك به ﴿المسرفين﴾ للكافرين ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أى من كان فى قرى قوم لوط ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ هو بيت لوط عليه السلام . =

= قيل: هو وابنتاه ﴿وتركنا فيها﴾ أي في القرى بعد تخريبها ﴿آية﴾ علامة تدل على إهلاكهم ، ومافعله الله تعالى بهم ؛ ليتعظ المتعظ ، ويتذكر المتذكر! ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة ظاهرة ﴿فتولى بركنه﴾ أي بمايركن إليه ؛ من جند ومال ﴿فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ في البحر ﴿وهو مليم﴾ فاعل ما يلام عليه ﴿وفي عاد﴾ قوم هود ﴿الريح العقيم﴾ التي لافائدة فيها ؛ من سحاب ومطر ونحوهما . وهي الدبور؛ وسميت عقيما : لأنها لا تلقح الأشجار ، ولاتنضج الثمار ﴿ما تذر﴾ ماتترك ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ وهو كل مابلي وتفتت ﴿وفي ثمود﴾ قوم صالح ﴿إذ قيل لهم تمتعوا﴾ بما وهبكم الله تعالى من سعة ورزق ﴿حتى حين﴾ إلى انقضاء آجالكم ﴿فعتوا﴾ استكبروا ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وهي نار تنزل من السماء ﴿وهم ينظرون﴾ إليها ، وينتظرون خيرها ؛ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ! ﴿بأيد﴾ بقوة ﴿وإنا لموسعون﴾ لقادرون ؛ والوسع : الطاقة ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ ذكراً وأنثى . وعن الحسن رضي الله تعالى عنه : السماء والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والموت والحياة . وقال : كل اثنين منها زوج ؛ والله تعالى فرد لا مثل له ! ﴿ففروا إلى الله﴾ أي الجأوا إليه ليخلصكم من أوضار الذنوب ﴿تواصوا به﴾ أي أأوصى بعضهم بعضاً بهذا القول . وهو قولهم : «ساحر أو مجنون» ﴿بل هم قوم طاغون﴾ يعني أنهم لم يتواصوا بهذا القول ؛ بل العلة واحدة : وهي أنهم قوم طاغون ﴿فتول﴾ أعرض ﴿عنهم فما أنت بملوم﴾ حيث بلغتهم الرسالة التي كلفت بها ﴿وذكر﴾ عظ بالقرآن ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ لأن من يوصف بالإيمان : أولى به أن يتصف بالإصغاء للذكرى ، وتفهم العظة ؛ شأن سائر العقلاء . أما غير المؤمن : فقد غطى قلبه عن فهم الحقيقة ، وأعمى عينه عن رؤية الهدى ،

تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّة وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾

وأصم سمعه عن داعي الله ؛ فلا تنفعه الذكرى . فتعال معي يا أخي المؤمن نتعاهد على ألا نسرق ، ولانقتل ، ولا نزني ، ولا نغتب ، ولا نكذب ، ولا نرتكب إثماً يلحق بنا أو بغيرنا الضرر ؛ وأنا الكفيل لك بثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ! قال تعالى «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾ أي إلا ليكونوا عباداً لي ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ بل أنا المتكفل بأرزاقهم ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ بل أنا الكفيل بإطعامهم ! ﴿فإن للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر ﴿ذنوباً﴾ نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾ أي مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم في الكفر ؛ من القرون الماضية ؛ وقد أهلكهم الله تعالى وأبادهم . =

(ســـورة الطور)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والطور﴾ هو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ﴿وكتاب مسطور﴾ هو التوراة ، أو القرآن ؛ وقيل : إنه اللوح المحفوظ ﴿فى رق منشور﴾ هو الصحيفة المفتوحة ، التى لاختم عليها ﴿والبيت المعمور﴾ هو بيت فى السماء السابعة ؛ حيال الكعبة . وقيل : هى الكعبة نفسها ؛ لكونها معمورة دائماً بالحجاج . ومن المشاهد أن الطواف بها لاينقطع ليلا ونهاراً ، صيفاً وشتاء ، صبحاً ومساءاً ؛ زادها الله تعالى تشريفاً وتعظيماً ! ﴿والسقف المرفوع﴾ السماء ﴿والبحر المسجور﴾ المملوء . وجميع ما تقدم : قسم ، وجوابه : ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ أى لنازل بمستحقيه من المكذبين ﴿ماله من دافع﴾ يدفعه عنهم ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ تتحرك وتدور وتضطرب ؛ يوم القيامة ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ فى الهواء؛ كسير السحاب؛ لأنها تصير هباء منثوراً ﴿الذين هم﴾ فى الدنيا ﴿فى خوض﴾ باطل ﴿يلعبون﴾ غير عابئين بما ينتظرهم ﴿يوم يدعون﴾ يدفعون بعنف ﴿أفسحر هذا﴾ يعنى : كنتم تقولون عن معجزات الأنبياء : إنها سحر «أفسحر هذا» أيضاً كما كنتم تدعون ؟ ﴿أم أنتم لاتبصرون﴾ النار، وتحسون بلهيبها ؛ الذى يجعلها حقيقة واقعة ﴿اصلوها﴾ ادخلوها ﴿فاصبروا﴾ على حرها وألمها ﴿أو لا تصبروا﴾ أى إن صبركم وجزعكم ﴿سواء عليكم﴾ لأنكم لم تؤمنوا حين دعونا كم للايمان ﴿إنما تجزون﴾ عقوبة ﴿ما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا ﴿فاكهين﴾ متلذذين . وسميت الفاكهة فاكهة : للتلذذ بتناولها ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ حسان الأعين (انظر آية ٥٤ من سورة الدخان) ﴿وما ألتناهم من عملهم﴾ أى وما نقصناهم من ثواب عملهم ﴿كل امرىء بما كسب﴾ بما عمل من خير أو شر ﴿رهين﴾ مرهون : يثاب على الخير ، ويعاقب على الشر ﴿يتنازعون فيها كأساً﴾ أى يتعاطون خمراً لذة للشاربين : يتناول هذا الكأس من يد هذا ، وهذا من يد هذا . أو يتخاطفون من بعضهم كما يتخاطف الأصدقاء والأحباء فى الدنيا لذيذ المطعم والمشرب !

دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ

فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ أى لا تحمل شاربها على اللغو والسباب ، ولا على ارتكاب الجرائم والآثام ؛ كشأن خمر الدنيا ﴿ويطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿غلمان لهم كأنهم﴾ لفرط جمالهم ﴿لؤلؤ مكنون﴾ عزيز مصون ﴿مشفقين﴾ خائفين من عذاب الله تعالى ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ عذاب النار ؛ لأنها تتخلل المسام ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ نعبده ﴿إنه هو البر﴾ المحسن للمحسن والمسيء ، المعطى للمؤمن والكافر ، الحافظ للطائع والعاصى! ﴿فذكر﴾ يامحمد بالقرآن ﴿فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ أى أنت بفضل الله تعالى عليك لست بكاهن ، ولا بمجنون ؛ كما يدعون ﴿نتربص به ريب المنون﴾ ننتظر له نوائب الزمن ﴿قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين﴾ أى انتظروا هلاكى؛ فإنى منتظر هلاككم . ومآلى إلى الجنة ، ومآلكم إلى النار ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا﴾ القول ، وهذا الفعل ﴿أم﴾ بل ﴿هم قوم طاغون﴾ كافرون ﴿أم يقولون تقوله﴾ اختلقه ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أى بقرآن مختلق مثل هذا القرآن ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أى من غير خالق خلقهم؛ كما يقول الطبعيون ﴿أم هم الخالقون﴾ للأشياء ولأنفسهم ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ من الرحمة ، والنبوة ، والرزق ؛ فيخصون من شاءوا بما شاءوا !

ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿أم هم المصيطرون﴾ المتسلطون على الكون، الموجهون للأمور؛ وفق رغبتهم ومشيئتهم ﴿أم لهم سلم﴾ يصعدون عليه، و﴿يستمعون فيه﴾ كلام الملائكة، وتدبير الأرض من السماء؛ وإن زعموا هذا ﴿فليأت مستمعهم﴾ الذي سمع من السماء ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة تدل على صعوده إلى السماء واستماعه ﴿أم له﴾ تعالى ﴿البنات﴾ ذلك بأنهم قالوا: الملائكة بنات الله ﴿أم عندهم الغيب﴾ ما غاب علمه عن الأنظار والأفهام ﴿فهم يكتبون﴾ منه، ويخبرون الناس به ﴿أم يريدون كيداً﴾ بك؛ كما اتفقوا في دار الندوة على إهلاكك ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ أي الواقع بهم الكيد والهلاك ﴿أم لهم إله غير الله﴾ يعينهم ويرزقهم، ويمنعهم منه ﴿سبحان الله﴾ تنزه، وتعالى، وتقدس ﴿عما يشركون﴾ به من الآلهة ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾ يريد أنهم قالوا لك تعجيزاً: «أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً» ولو أسقطناها كسفا ـ كما طلبوا ـ لقالوا: ليس هذا من السماء؛ بل هو سحاب متراكم ﴿فذرهم﴾ اتركهم ودعهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ يموتون؛ ثم يعذبون ﴿وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك﴾ قبل يوم القيامة؛ وهو عذاب القبر ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بإمهالهم؛ ولا يضيق صدرك بمكرهم ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي بحفظنا وكلاءتنا، وتحت رعايتنا. وكذا «فاصنع الفلك بأعيننا» ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ من النوم، أو «حين تقوم» إلى الصلاة ﴿وإدبار النجوم﴾ حين تغرب: وقت صلاة الفجر.

(ســورة النجم)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والنجم إذا هوى﴾ إذا انتثر وسقط يوم القيامة ، وهوى من مقره . قال تعالى «وإذا النجوم انتثرت» أو «هوى» بمعنى غاب وهو قسم ؛ جوابه ﴿ماضل صاحبكم وماغوى﴾ أي ماضل محمد ، وماغوى كما تدعون . والغي : الجهل مع اعتقاد فاسد؛ وهو ضد الرشد ﴿وما ينطق﴾ بما ينطق به ﴿عن الهوى﴾ أي عن هوى في نفسه ﴿إن هو﴾ أي إن الذي ينطق به من القرآن؛ ما هو ﴿إلا وحي يوحى﴾ إليه من ربه ﴿علمه﴾ إياه ، ولقنه له ﴿شديد القوى﴾ جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ذو مرة﴾ ذو قوة ، وبأس، وشدة ﴿فاستوى﴾ أي استقر واستقام على صورته الحقيقية ؛ لا كما كان ينزل بالوحي ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ الأفق: الناحية ، أو هو ما يظهر من نواحي الفلك . وقد ورد أن جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ناحية الشمس - عند مطلعها - على صــورته الحقيقية التي أوجده الله تعالى عليها ؛ ساداً الأفق ما بين المشرق والمغرب . وكان النبي عليه الصلاة والسلام بغار حراء ؛ فخر مغشياً عليه من عظم ما رأى من بديع صنع ربه ! ﴿ثم دنا﴾ قرب جبريل عليه السلام من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فتدلى﴾ جبريل في الهواء . ومنه تدلت الثمرة ﴿فكان﴾ جبريل من النبي ﴿قاب﴾ قدر ﴿قوسين أو أدنى﴾ أو أقل من مقدار قوسين . وقد جرت عادة العرب في التقدير بالقوس ، والرمح ، والسوط . أوأريد بالقاب: قاب القوس . وهو ما بين المقبض والسية . ولــكل قوس قابان . وقيل: أريد بقاب قوسين: قابي قوس ؛ فسيق في القرآن على طريقة القلب ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ أي «فأوحى» الله تعالى «إلى عبده» محمد عليه السلام ؛ بواسطة جبريل «ما أوحى» وقيل : «فأوحى» الله تعالى «إلى عبده» جبريل «ما أوحى» به جبريل إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ما كذب الفؤاد﴾ أي فؤاد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ما رأى﴾ أي لم يكن متوهما لما رآه ، أو مخدوعاً فيه ؛ بل كانت رؤيته لجبريل عليه السلام حقيقة واقعة . وقد ظهر جبريل بصورته لمحمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليتأكد لديه أنه هو بنفسه الذي يأتيه بالوحي من ربه على صورة دحية الكلبي ؛ تأليفاً لقلبه : فقد رآه وعرفه ، وأوحى إليه بما كلف به من مولاه ﴿أفتمارونه﴾ أفتجادلون محمداً وتكذبونه ﴿على ما يرى﴾ معاينة بنفسه ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ =

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّة
الا آية ٣٢ فمدنية
وآياتها ٦٢ نزلت بعد الاخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾

= أى رأى محمد جبريل مرة أخرى . وأخطأ من قال : إن محمداً رأى ربه . قال تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب» ومحمد عليه الصلاة والسلام : من البشر ، ولو أنه سيدهم وإمامهم؛ وليس كسائرهم . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها : «من قال : إن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية» (عند سدرة المنتهى) الجمهور على أنها شجرة نبق فى السماء السابعة ، عن يمين العرش؛ يسير فى ظلها الراكب كذا من الأعوام . والذى أراه أن السدرة ليست كما يقولون ، أو يروون «ومايعلم تأويله إلا الله»

الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ

وقد يكون المراد بسدرة المنتهى : الظل الذى تنىء إليه الأرواح؛ لترتاح من حر الحياة اللافح ، والواحة التى يستريح إليها المتعب المكدود؛ بعد أن لاقى فى حياته الدنيا مالاقى ، وكابد فى بيدائها المحرقة ما كابد! ولذا أعقب الله تعالى ذكر السدرة بقوله جل شأنه (عندها جنة المأوى) والجنة : البستان ، والشجر الكثير؛ الذى يأوى إليه الناس للراحة . وأريد بالجنة : «جنة الخلد التى وعد المتقون» (إذ يغشى السدرة مايغشى) هو تعظيم لما يغشاها من الخلائق؛ الدالة على عظمة الخالق! أو هو لما يغشاها من البهاء والجمال ، والنور والجلال! (ما زاغ البصر وما طغى) أى لم يتجاوز الحد؛ ويطمح إلى رؤية ما لا تجوز رؤيته ، ولا يمكن الإحاطة به «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هى أسماء آلهة كانوا يعبدونها (انظر آية ٥٢ من سورة الحج) (ألكم الذكر) الذى تطلبونه وتتمنونه من البنين (وله الأنثى) التى تعافونها وتكرهونها . وذلك لأنهم كانوا يقولون : الملائكة بنات الله (تلك إذاً قسمة ضيزى) أى قسمة جائرة (لقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول العظيم ، والقرآن الكريم (فلله الآخرة والأولى) الدنيا والآخرة؛ يفعل فيهما وبأهلهما ما شاء! (وكم من ملك فى السموات) مقرب إلى الله ، طائع لمولاه (لا تغنى) لا تنفع (شفاعتهم) فى أحد العصاة (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء) تشفيعه ، أو «لمن يشاء» إنجاءه (ويرضى) عنه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) حيث قالوا : الملائكة بنات الله (ذلك مبلغهم من العلم) أى نهاية علمهم : أن أعرضوا عن الإيمان ، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة

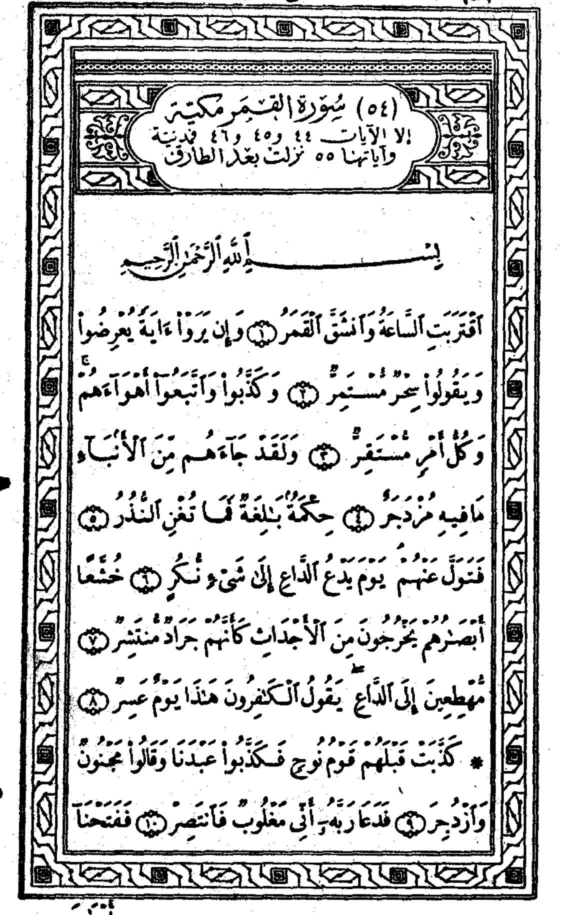
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ الكبائر: كل ما أوعد الله تعالى عليه بالنار. والفواحش: ماشرع فيه الحد ﴿إلا اللمم﴾ وهو صغار الذنوب؛ كالنظر إلى الأجنبية، واللغو من القول، أو «اللمم»: مايلم بالإنسان من الذنوب فجأة؛ من غير روية أو قصد ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ جمع جنين وهو الولد فى بطن أمه ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها معجبين بها ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ فيزكيه بفضله، ويعليه بكرمه! ﴿أفرأيت الذى تولى﴾ كفر بعد إيمانه. قيل: هو الوليد بن المغيرة؛ وكان قد اتبع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ فعيره بعض الكفار، فقال له الوليد: إنى اتبعت محمداً خشية عذاب الله؛ فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى كفره؛ تحمل عنه عذاب الله. فارتد الوليد، وأعطاه بعض الذى وعده وشح بالباقى؛ وذلك معنى قوله تعالى ﴿وأعطى قليلا وأكدى﴾ أى ومنع باقى عطائه ﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى﴾ التوراة ﴿و﴾ صحف ﴿إبراهيم الذى وفى﴾ أى وفى بكل ما يوجبه الإسلام: من إيمان يقينى بالله، ومعرفة حقيقية له تعالى؛ من غير تقليد. قيل: كان يقول كلما أصبح وأمسى «سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لاتحمل نفس إثم نفس أخرى. وقد ورد هذا المعنى فى سائر الكتب السماوية؛ ومنها صحف موسى وإبراهيم ﴿وأن ليس للإنسان إلا ماسعى﴾ أى إلا ثواب سعيه هو بنفسه لنفسه؛ أما عمل غيره له فلا. ولا ينافى ذلك الحديث الصحيح؛ عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» وذلك لأن الصدقة الجارية: من عمله، والعلم المنتفع به: من سعيه، والولد الصالح: ثمرة تنشئته وتأديبه وتهذيبه ﴿وأن سعيه﴾ عمله فى الدنيا ﴿سوف يرى﴾ يتكشف، ويجزى عليه فى الآخرة ﴿وأنه هو﴾ جل شأنه ﴿أضحك وأبكى﴾ خلق الضحك والبكاء، والسرور والحزن؛ بخلق أسبابهما: فقد يضحك الضاحك؛ وأسباب البؤس والشقاء تكتنفه من كل صوب وحدب. ويبكى الباكى وأسباب النعمى والسرور تحيط به من كل جانب. فهو جل شأنه باعث نعمة السرور لأناس ليعوض عليهم بعض مافاتهم من أنعم، وهو عز سلطانه منزل نقمة الحزن على أناس جزاء مافرطوا فى جنبه، وأفرطوا فى ارتكاب محارمه!

(وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والأنثى) من الإنسان والحيوان (من نطفة إذا تمنى) أى من منى حين يمنى - أى يصب - فى الرحم (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (وأن عليه النشأة الأخرى) الإحياء، وبعث الخلائق يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أى أغنى وأفقر. وهذا المعنى متفق مع قوله تعالى «أضحك وأبكى» و«أمات وأحيا» ويقال أيضاً: أقناه الله تعالى؛ إذا أرضاه. وقد تجد مع الفقر الرضا، ومع الغنى الطمع. أو المعنى: أنه تعالى أغنى بالمال، وأقنى بالأشياء التى تتخذ للاقتناء والزينة؛ لنفاستها (وأنه هو رب الشعرى) الشعرى: كوكب كانت تعبده العرب فى الجاهلية (وأنه أهلك عاداً الأولى) وهى قوم عاد بن إرم، وهى غير عاد الأخرى: قوم هود (وثمود) قوم صالح (والمؤتفكة أهوى) المؤتفكة: قرى قوم لوط؛ رفعها جبريل عليه الصلاة والسلام إلى السماء، وألقاها؛ فهوت إلى الأرض. وسميت مؤتفكة: لأنها ائتفكت بأهلها؛ أى انقلبت بهم، وصار عاليها سافلها (فغشاها ماغشى) غطاها من العذاب والإهلاك ماغطى، وشملها من التدمير ماشملها! (فبأى آلاء ربك) أى فبأى نعمة من نعم ربك أيها الإنسان (تمارى) تتشكك وتتجادل وقد أنجاك مما أصاب به من كان قبلك من الأمم (هذا نذير من النذر الأولى) أى محمد عليه الصلاة والسلام: نذير من جنس النذر الأولى؛ التى أنذر بها من كان قبلكم فكذبوهم؛ فأخذهم العذاب. فلا تكذبوه لئلا يحل بكم ماحل بالمكذبين من قبلكم

وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

(أزفت الآزفة) دنت القيامة، وقرب حينها (ليس لها من دون الله) غيره (كاشفة) تكشف ما فيها من العذاب والأهوال (أفمن هذا الحديث) القرآن (تعجبون) وتسخرون (وتضحكون) على ما فيه من الوعيد لأمثالكم (ولا تبكون) وهو الأجدر بحالكم (وأنتم سامدون) غافلون لاهون (فاسجدوا لله) وحده (واعبدوا) إياه؛ ولا تسجدوا للأصنام، ولا تعبدوها



(٥٤) سورة القمر مكية
إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية
وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

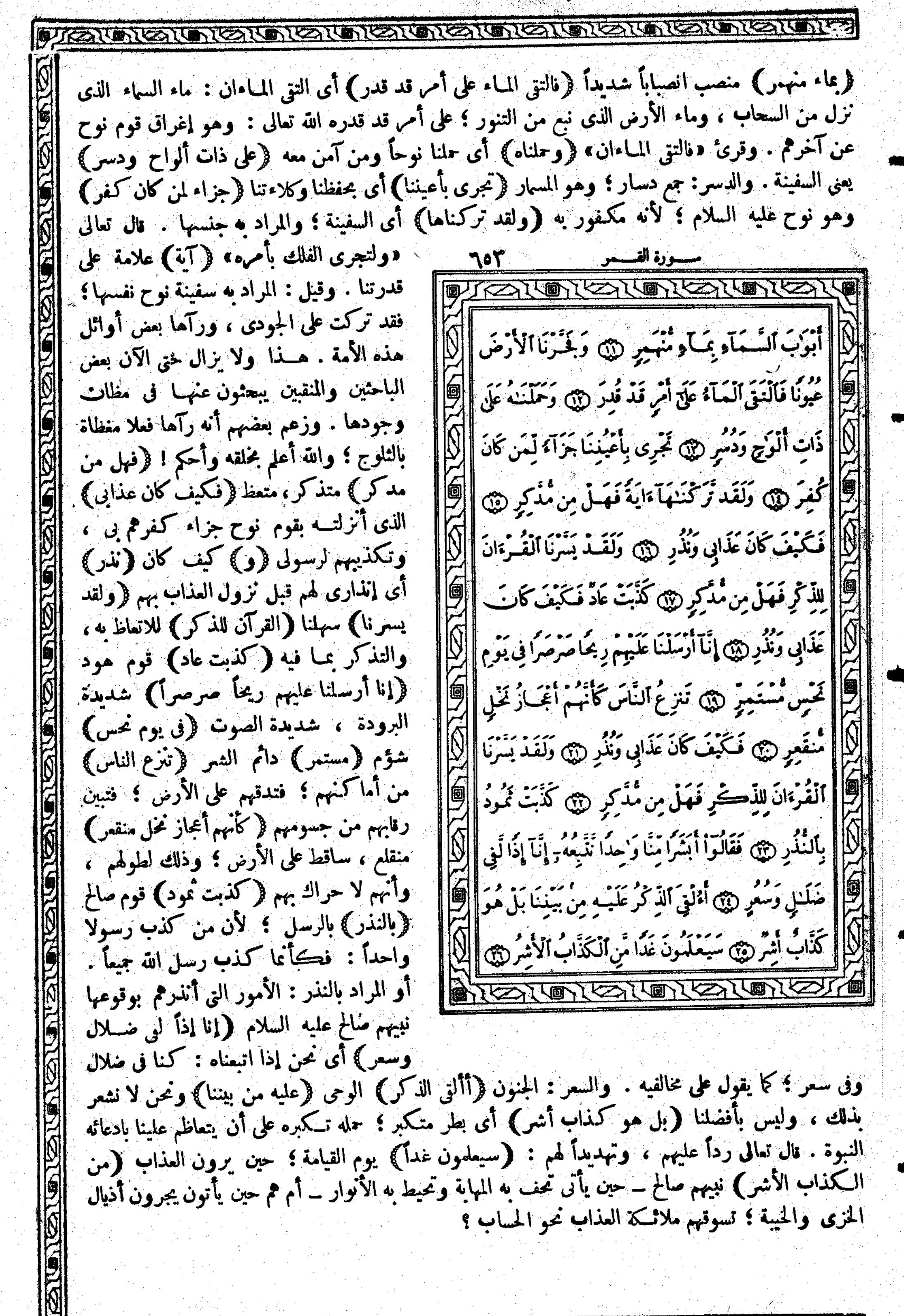
اقتربت الساعة وانشق القمر ﴿١﴾ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴿٢﴾ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ﴿٣﴾ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ﴿٤﴾ حكمة بالغة فما تغن النذر ﴿٥﴾ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ﴿٦﴾ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴿٧﴾ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴿٨﴾ * كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ﴿٩﴾ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴿١٠﴾ ففتحنا

أبواب

(سـورة القمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) القيامة (وانشق القمر) نصفين . قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : رأيت حراء بين فلقتى القمر . وقيل : معناه سينشق القمر يوم القيامة ، وأخذ بهذا المعنى بعض المتأخرين ؛ الذين لا يعبأ بقولهم ، ولا يعتد برأيهم . والجمهور على القول الأول، ويؤيده ما جاء فى الصحيحين ، وقراءة من قرأ «وقد انشق القمر» ويؤيده أيضاً مابعده: (وإن يروا آية) معجزة للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (يعرضوا) عنها ، ولا يلتفتوا إليها (ويقولوا سحر مستمر) أى سحر قوى محكم (وكل أمر) من الخير ، أو الشر (مستقر) أى كائن فى وقته بإرادته تعالى ، ومعلوم فى اللوح المحفوظ (ما فيه مزدجر) أى ما يصح أن يزجر به قارئه ، ويتعظ به سامعه . وهذه الأنباء التى جاءتهم (حكمة بالغة) يجب أن يتعظ بها سامعها ، وأن يفهمها قارئها (فما تغن) فما تنفع فيهم (النذر) الرسل ؛ الذين ينذرونهم عاقبة كفرهم ، ومغبة طغيانهم (فتول) أعرض (عنهم) ولا تجادلهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) أى إلى شيء تنكره نفوسهم ؛ لأنهم لم يعهدوه ، ولم يألفوه . وذلك يوم القيامة : حينما يدعون إلى الحساب فالعذاب! (خشعاً أبصارهم) خشوع الأبصار: كناية عن الذلة (يخرجون من الأجداث) القبور (مهطعين) مسرعين ، مادى أعناقهم (وقالوا مجنون وازدجر) أى مجنون عولج بالسب والضرب ؛ حتى رجع إلى عقله ، وثاب إلى رشده



﴿بماء منهمر﴾ منصب انصباباً شديداً ﴿فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ أى التقى الماءان : ماء السماء الذى نزل من السحاب ، وماء الأرض الذى نبع من التنور ؛ على أمر قد قدره الله تعالى : وهو إغراق قوم نوح عن آخرهم . وقرئ «فالتقى الماءان» ﴿وحملناه﴾ أى حملنا نوحاً ومن آمن معه ﴿على ذات ألواح ودسر﴾ يعنى السفينة . والدسر: جمع دسار ؛ وهو المسمار ﴿تجرى بأعيننا﴾ أى بحفظنا وكلاءتنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ وهو نوح عليه السلام ؛ لأنه مكفور به ﴿ولقد تركناها﴾ أى السفينة ؛ والمراد به جنسها . قال تعالى «ولتجرى الفلك بأمره» ﴿آية﴾ علامة على قدرتنا . وقيل : المراد به سفينة نوح نفسها ؛ فقد تركت على الجودى ، ورآها بعض أوائل هذه الأمة . هـذا ولا يزال حتى الآن بعض الباحثين والمنقبين يبحثون عنها فى مظان وجودها . وزعم بعضهم أنه رآها فعلا مغطاة بالثلوج ؛ والله أعلم بخلقه وأحكم ! ﴿فهل من مدكر﴾ متذكر، متعظ ﴿فكيف كان عذابى﴾ الذى أنزلتـه بقوم نوح جزاء كفرهم بى ، وتكذيبهم لرسولى ﴿و﴾ كيف كان ﴿نذر﴾ أى إنذارى لهم قبل نزول العذاب بهم ﴿ولقد يسرنا﴾ سهلنا ﴿القرآن للذكر﴾ للاتعاظ به ، والتذكر بما فيه ﴿كذبت عاد﴾ قوم هود ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ شديدة البرودة ، شديدة الصوت ﴿فى يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ دائم الشر ﴿تنزع الناس﴾ من أماكنهم ؛ فتدقهم على الأرض ؛ فتبين رقابهم من جسومهم ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ منقلع ، ساقط على الأرض ؛ وذلك لطولهم ، وأنهم لا حراك بهم ﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح ﴿بالنذر﴾ بالرسل ؛ لأن من كذب رسولا واحداً : فكأنما كذب رسل الله جميعاً . أو المراد بالنذر : الأمور التى أنذرهم بوقوعها نبيهم صالح عليه السلام ﴿إنا إذاً لفى ضلال وسعر﴾ أى نحن إذا اتبعناه : كنا فى ضلال وفى سعر ؛ كما يقول على مخالفيه . والسعر : الجنون ﴿أألقى الذكر﴾ الوحى ﴿عليه من بيننا﴾ ونحن لا نشعر بذلك ، وليس بأفضلنا ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أى بطر متكبر ؛ حمله تـكبره على أن يتعاظم علينا بادعائه النبوة . قال تعالى رداً عليهم ، وتهديداً لهم : ﴿سيعلمون غداً﴾ يوم القيامة ؛ حين يرون العذاب ﴿من الكذاب الأشر﴾ نبيهم صالح ــ حين يأتى تحف به المهابة وتحيط به الأنوار ــ أم هم حين يأتون يجرون أذيال الخزى والخيبة ؛ تسوقهم ملائكة العذاب نحو الحساب ؟

أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ

عزيز

(إنا مرسلوا الناقة فتنة) ابتلاء (لهم) وامتحانا (فارتقبهم واصطبر) انتظرهم ياصالح ، واصبر على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) لهم يوم يستقون فيه ، وللناقة يوم تشرب فيه (فنادوا صاحبهم) واحداً منهم ليقتل الناقة . قيل : اسمه قدار (فتعاطى فعقر) فتناول السيف ؛ فقتل به الناقة ؛ فاستوجبوا على أنفسهم العذاب الموعود (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صاحها بهم جبريل عليه السلام والصيحة : العذاب ، أو هي مقدمة لكل عذاب (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم : الشجر اليابس المتهشم ، المتكسر . والمحتظر : الذي يجعل لغنمه حظيرة من الهشيم (حاصباً) ريحاً تحصبهم ـ أي ترميهم ـ بالحجارة (إلا آل لوط) ابنتاه ، ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) وقت الصبح ؛ حين أنزل الله تعالى العذاب بقوم لوط (بطشتنا) أخذنالهم بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) بأن طلبوا منه تسليم الملائكة ـ حينما نزلوا عليه في صورة الأضياف ـ ليأتوا بهم الفاحشة (فطمسنا أعينهم) أعميناها (بكرة) أي باكراً من التبكير (عذاب مستقر) دائم ، متصل بعذاب القيامة : يصاحبهم حتى يسلمهم للموت ، والموت يسلمهم لعذاب القبر ، وعذاب القبر يصحبهم إلى يوم القيامة ؛ حتى يروا العذاب الأكبر ؛ نعوذ بالله تعالى من غضبه وعذابه ! (ولقد جاء آل فرعون) هو وقومه معه (النذر) جمع نذير . أي جاءهم الانذار معاداً متكرراً بالعذاب المتوقع (كذبوا بآياتنا كلها) وهي الآيات التسع ؛ التي أوتيها موسى (فأخذناهم) بالعذاب الموعود

﴿أخذ عزيز﴾ قوى ﴿مقتدر﴾ تام القدرة؛ لا يعجزه شيء، ولا يفر من عذابه مذنب ﴿أكفاركم﴾ ياأهل مكة ﴿خير من أولئكم﴾ المذكورين؛ فندعهم فى طغيانهم وكفرهم، ولا نعذبهم ﴿أم لكم براءة فى الزبر﴾ فى الكتب. أى نزل لكم الأمان فى الكتب المتقدمة ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ أى نحن جمع كبير؛ سننتصر لكثرتنا وقوتنا ﴿سيهزم الجمع﴾ الكبير ﴿ويولون الدبر﴾ فهزموا - على جمعهم وكثرتهم - شر هزيمة يوم بدر، ونصر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين - رغم قلتهم - وتحقق وعيده تعالى فى أعدائه، ووعده لأوليائه! وليست هذه الهزيمة هى كل ما ينتظرهم من العذاب والخزى ﴿بل الساعة﴾ القيامة ﴿موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ أى والقيامة وما فيها من الشدة والعذاب: «أدهى وأمر» مما نالهم فى الدنيا من خزى الانهزام، وذل القتل والانكسار ﴿إن المجرمين﴾ الكافرين ﴿فى ضلال﴾ هلاك؛ فى الدنيا بالقتل والهزيمة ﴿وسعر﴾ نارمستعرة فى الآخرة ﴿ذوقوا مس سقر﴾ إصابة جهنم ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ أى بتقدير: محكم، مستوف فيه مقتضى الحكمة والمنفعة. وقيل: المعنى: مقدر. وذهب كثيرون إلى أن هذه الآية دليل على أن السيئة مقدرة: فالقتل بقدر، والزنابقدر، وشرب الخمر بقدر، والسرقة بقدر. وأن جميع ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ، قبل خلق النفوس. وهو كلام يؤدى إلى نسبة الظلم إلى الله تعالى؛ وهو أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين! أما كتابة الأعمال، وما كان وما يكون فى اللوح المحفوظ: فأمر مسلم به، وأما التقدير الذى يشبه الإلزام فكلا وألف مرة كلا! ولكن الله تعالى جلت قدرته؛ لسعة علمه ومعرفته: علم بعمل خلقه؛ فكتبه قبل أن يعملوه، ولم يلزمهم به. وهو جل شأنه، وتعالى سلطانه لا يهدى الفاسقين، ولا يهدى الظالمين، ولا يهدى الكافرين، ولا يهدى من هو مسرف كذاب، ولامن هو كاذب مرتاب! وإنما يهدى تعالى من أناب: يهديه إلى الرشد، وإلى الحق، وإلى سواء السبيل!

عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

وإلا إذا قلنا بما يقولون؛ فعلام شرعت الشرائع، وقننت القوانين، وأرسلت الرسل، ونزلت الكتب؟ ولماذا نقتص من المذنب؛ ولا ذنب له؟ ومن المجرم؛ ولا جرم عليه؟!

ولماذا يرجم الزانى؛ وقد أكره على الزنا؟ ويقطع السارق؛ وقد ألزم بالسرقة؟ ويقتل القاتل؛ وقد فرض عليه القتل؟

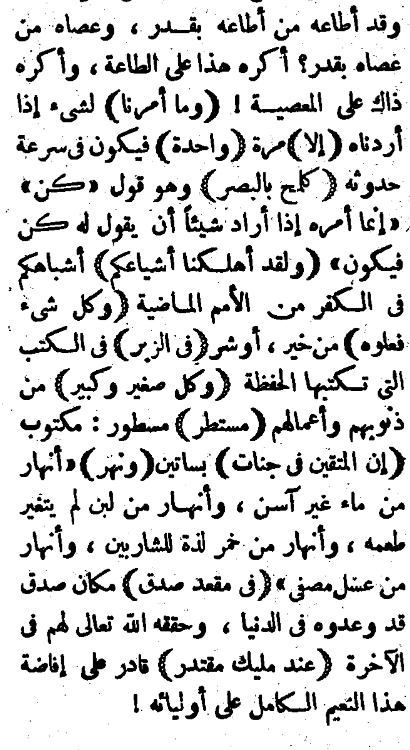
ولماذا تقوم المحاكم لفض المظالم؟ وأى مظالم يدفعونها؛ ودفعها هو عين الظلم؟ إذ كيف يقتل =

= القاتل ؛ وقد قتل بقدر ؟ أو كيف يرجم الزانى ؛ وقد زنا بقدر؟ أو كيف يقطع السارق ؛ وقد سرق بقدر ؟ أو كيف يحد شارب الخمر ؛ وقد شربها بقدر ؟!

ألم يقدر الله تعالى ـ كما يقولون ـ ذلك القتل ، وذلك الزنا ، وذلك السكر ، وتلكم السرقة ؟

وأين من يزعم أنه يستطيع أن يخرج عما قدره الله تعالى ورسمه لعباده ؟ !

وأخيراً يحق لنا أن نسائل هؤلاء القائلين بهـذا الرأى الفاسد : لم خلق الله تعالى جنته وناره ؛ وقد أطاعه من أطاعه بقـدر ، وعصاه من عصاه بقدر؟ أكره هذا على الطاعة ، وأكره ذاك على المعصيـة ! ﴿وما أمرنا﴾ لشىء إذا أردناه ﴿إلا﴾ مرة ﴿واحدة﴾ فيكون فى سرعة حدوثه ﴿كلمح بالبصر﴾ وهو قول «كن» «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية ﴿وكل شىء فعلوه﴾ من خير ، أو شر ﴿فى الزبر﴾ فى الكتب التى تكتبها الحفظة ﴿وكل صغير وكبير﴾ من ذنوبهم وأعمالهم ﴿مستطر﴾ مسطور : مكتوب ﴿إن المتقين فى جنات﴾ بساتين ﴿ونهر﴾ «أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى» ﴿فى مقعد صدق﴾ مكان صدق قد وعدوه فى الدنيا ، وحققه الله تعالى لهم فى الآخرة ﴿عند مليك مقتدر﴾ قادر على إفاضة هذا النعيم الكامل على أوليائه !



(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمٰنِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ٧٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦

(سـورة الرحمن)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الرحمن علم القرآن﴾ لما كانت هـذه السورة الكريمة حاوية لمزيد أنعمه تعالى على عباده : بدأ بذكر النعمة الكبرى ، والمنة العظمى: وهى تعلم القرآن . وأى نعمة تدانى علمه وتعلمه ، وفهمه وتفهمه ؟ فاحرص أيها المؤمن اللبيب على حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته ، والتحرز بما فيه من أوامر ونواه ؛ تسعدك فى دنياك ، وتقربك من مولاك ، وتسرك فى مثواك ، وتنجيك فى أخراك ! ﴿خلق الإنسان﴾ فسواه فعدله (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿علمه البيان﴾ ألهمه النطق ؛ الذى به يستطيع أن يبين عن رغائبه ومقاصده ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ بحساب معلوم : يجريان فى بروجهما ، وينتقلان فى منازلهما . والحسبان: قطب الرحى . أى يدوران فى مثل القطب ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ أى ينقادان للرحمن فيما يريده منهما : هذا بالتنقل فى البروج ، وذاك بإيتاء الثمر ، نعمة للبشر . وقيل «النجم» : كل مالا ساق له من الشجر ﴿ووضع الميزان﴾ الذى توزن به =



تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا

= الأشياء ﴿ألا تطغوا﴾ لئلا تطغوا ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ لا تنقصوا الموزون؛ عند ما تبيعون، ولا تزيدوه عند ما تشترون. قال تعالى: «ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ الأكمام: أوعية التمر. والمراد به هنا: الليف والسعف ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ العصف: التبن؛ لأن الريح تعصف به. والريحان: الرزق، وهو يطلق على الثمر، وكل ما يتلذذ به من الفاكهة. أو هو كل أصناف المشمومات: كالورد، والفل، والنرجس، والياسمين؛ وما شاكلها ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ الآلاء: النعم. أي فبأي نعم ربكما أيها الإنس والجن تكذبان؟! ﴿صلصال﴾ طين يابس ﴿وخلق الجان من مارج﴾ المارج: اللهب الصافي ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، ومغربيهما. أو «المشرقين» مشرق الشمس والقمر. و«المغربين» مغربيهما ﴿مرج البحرين﴾ أي خلطهما في مرأى العين؛ لا يحول بينهما سوى قدرته تعالى ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من القدرة الإلهية ﴿لا يبغيان﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر؛ فيمتزج به، ويختلط العذب الفرات، بالملح الأجاج ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أي من أحدهما، لأنهما لا يخرجان إلا من البحار خاصة؛ لا من الأنهار ﴿وله الجوار﴾ السفن الجارية في البحر ﴿كالأعلام﴾ كالجبال في العظم ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ذاته العلية ﴿ذو الجلال﴾ القدرة والعظمة ﴿والإكرام﴾ يكرم عباده المؤمنين بما أعده لهم من نعيم مقيم! ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ أي يفتقر إليه كل من فيهن، ويطلب منه الحفظ، والعون، والرزق ﴿كل يوم هو في شأن﴾ يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويشفي سقيماً، ويسقم سليماً، ويعز ذليلاً، ويذل عزيزاً، ويغني فقيراً، ويفقر غنياً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ أي ستنتهي الدنيا، ولا يبقى إلا حسابكم ومجازاتكم؛ وهو وعيد وتهديد، و«الثقلان» الإنس والجن ﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات﴾ الأقطار: جمع قطر؛ وهو الناحية. أي إن استطعتم أن تنفذوا من نواحي السموات ﴿والأرض﴾ وتخرجوا مما رسمه الله تعالى لكم، وحدده لوجودكم ومعيشتكم ﴿فانفذوا﴾ من أقطارهما

﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة، وغلبة، وقهر؛ وأنى لكم ذلك؟! وهذا على سبيل التعجيز والتحدى؛ يدل عليه ما بعده ﴿يرسل عليكما﴾ إذا حاولتما ذلك ﴿شواظ﴾ لهب، لا دخان له ﴿من نار ونحاس﴾ ملتهب ﴿فلاتنتصران﴾ فلاتبلغان مأربكما؛ من ورود هذا المورد، وركوب هذا المركب!

بِسُلْطَٰنٍ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ
عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ
وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨)
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ
فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣)
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)

فَبِأَيِّ

(انظر آية ٦١ من سورة الفرقان) ﴿فكانت وردة﴾ أى صارت كالوردة؛ فى تشعب أوراقها وسهولة انتثارها، أو صارت كلون الوردة فى الاحمرار ﴿كالدهان﴾ أى كالأديم الأحمر ﴿فيومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ لأن للمذنب علامات تدل على ذنبه: كاسوداد الوجوه وزرقتها؛ يؤيده قوله تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ أى بهيئاتهم وعلاماتهم. ويصح أن يكون ماجاء فى مواضع أخرمن التنزيل؛ من أنهم يسألون عن أعمالهم: معناه أنهم يحاسبون عليها، ويجزون بها ﴿فيؤخذ بالنواصى﴾ جمع ناصية؛ وهى شعر مقدم الرأس ﴿والأقدام﴾ يجر الكافرون من نواصيهم: إذلالا لهم، ومن أقدامهم: ليسحبوا على وجوههم إلى النار! ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ ماء بالغ غاية الحرارة ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ أى القيام بين يديه يوم القيامة. قال تعالى «يوم يقوم الناس لرب العالمين» ومن خاف مقام ربه: لم يقتل، ولم يزن، ولم يسرق، ولم يسكر، ولم يغتب، ولم يقل زوراً! فهذا له ﴿جنتان﴾ بستانان. قيل: هما للسابقين. قال تعالى «والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم» ﴿ذواتا أفنان﴾ جمع فنن؛ أى أغصان. وخص الأفنان بالذكر؛ لأنها هى التى تورق وتثمر. أو «أفنان» جمع فن. أى ذواتا ألوان وأجناس وأصناف من الفاكهة؛ المختلفة الألوان والطعوم ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ صنفات: حلو وحامض، ورطب ويابس، وأحمر وأصفر

(إستبرق) هو ما غلظ من الحرير (وجنى الجنتين) ثمرها (دان) قريب : يناله القائم ، والقاعد ، والمضطجع . سهل التناول : لا يحول دونه بعد ، ولا شوك ، ولا يحتاج إلى صعود نخلها لاجتناء ثمرها ، ولا معالجة شجرها لاجتناء ثمرها (فيهن قاصرات الطرف) أى اللاتى يقصرن بصرهن على أزواجهن (لم يطمثهن) لم يطأهن . والطمث : افتضاض البكر (كأنهن الياقوت والمرجان) لما كان الياقوت والمرجان : من أنفس حلى العرب فى ذلك العهد : شبههن بهما . ولا صحة لما ذهب إليه بعض المفسرين من وصف الحور العين : بأن أعينها من ياقوت ، وأرجلها من زبرجد ، وجسمها من عنبر وأنها من الصفاء بحيث يرى مخ سوقها ؛ إلى غير ذلك مما لا يتفق والحقيقة ؛ وهو من المغالاة المذمومة . فلو تصور إنسان امرأة على هذه الصورة ، وتلك الصفة : لكانت محل اقتنائه ، لا موضع متعته ولذته ! (هل جزاء الإحسان) فى الدنيا بطاعة الله (إلا الإحسان) فى الآخرة بالنعيم المقيم ؟ وأين إحسان المخلوق؛ من إحسان الخالق المنعم المتفضل ؟ ! (ومن دونهما) أى من دون هاتين الجنتين اللتين وصفهما الله تعالى بأنهما لمن خاف مقامه : دونهما فى العظم ، والمقام ، والدرجة ؛ وهما لأصحاب اليمين من المتقين . قال تعالى «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين : فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ؛ لا مقطوعة ولا ممنوعة» (مدهامتان) خضراوان ؛ من وفرة الرى والعناية الربانية

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

(نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فيهن خيرات) مخففة من خيرات ؛ بتشديد الياء . وبها قرئ أيضاً وهن الحور (حسان) أى حسان الخلق والخلق (حور مقصورات) حور : جمع حوراء ؛ وهى شديدة بياض العين وسوادها (انظر آية ٥٤ من سورة الدخان) و «مقصورات» أى مخدرات ؛ قصرن فى خدورهن

تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الوَاقِعَةِ مَكِّيَّة
إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾

﴿لم يطمثهن﴾ لم يطأهن . والطمث : افتضاض البكر ﴿متكئين على رفرف﴾ الرفرف : الوسائد والفرش . وما إليها ﴿وعبقرى﴾ هو نسبة إلى «عبقر» تزعم العرب أنه اسم بلد الجن ؛ وينسبون اليه كل ما كان بديع الصنع . والمقصود به هنا : الديباج ، والطنافس ﴿تبارك اسم ربك﴾ تعالى ذكره ، وتقدس اسمه ﴿ذى الجلال﴾ ذى العظمة ﴿والإكرام﴾ أى إنه تعالى واجب التكريم من سائر مخلوقاته ، أو هو جل شأنه المختص بإكرام أوليائه وأحبائه!

(سورة الواقعة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إذا وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة . وسميت واقعة : لتأكد وقوعها ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أى لاشك ولا ريب فى وقوعها ؛ أو لا يكون حين وقوعها نفس تكذب بها . وكيف يحصل لها تكذيب وقد صارت حقيقة واقعة محسوسة ملموسة ؟ ! ﴿خافضة رافعة﴾ تخفض الكافرين، وترفع المؤمنين : خفضت أقواماً ـ كانوا فى الدنيا أعزاء ـ إلى عذاب الله ونقمته ، ورفعت أقواماً ـ كانوا فى الدنيا أذلاء ـ إلى جنة الله ورحمته ﴿إذا رجت الأرض رجا﴾ زلزلت زلزالا شديداً ، واضطربت واهتزت ﴿وبست الجبال﴾ أى فتتت ﴿فكانت هباء منبثاً﴾ غباراً منتشراً ﴿وكنتم أزواجا﴾ أصنافا ﴿فأصحاب الميمنة﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعجيب لحالهم ؛ وتعظيم لشأنهم ؛ فى دخولهم الجنة ، ومزيد تنعمهم فيها ! ﴿وأصحاب المشأمة﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم ﴿ما أصحاب المشأمة﴾ تعجيب لحالهم أيضاً ؛ من دخولهم النار وما يلقون فيها من البؤس والشقاء والبلاء ! ﴿والسابقون﴾ إلى الخيرات والحسنات : هم ﴿السابقون﴾ إلى النعيم والجنات . أو هو تأكيد لتعظيم شأنهم (انظر آيتى ٣٢ من سورة فاطر ، و ٤٦ من سورة الرحمن) .

السَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾
وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾
وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ
مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ
مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ
مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ

﴿ثلة من الأولين﴾ أي جماعة كثيرة من متقدمي هذه الأمة؛ لملازمتهم الصلاح، واستمساكهم بالتقوى ﴿وقليل من الآخرين﴾ من متأخري هذه الأمة. وقيل: «من الأولين» من الأمم الماضية، و«من الآخرين» من هذه الأمة ﴿على سرر موضونة﴾ مرصعة باللؤلؤ والجواهر ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ ينظر بعضهم إلى بعض، ويدورون في مقاعدهم بحيث لا تبدو أقفيتهم. وهذا مظهر من مظاهر العظمة التي نجدها في عظماء الدنيا: حيث يجلسون على مكاتبهم في مقاعدهم التي تدور بهم حيث شاءوا؛ فيواجه بوجهه من يريد محادثته من جلسائه ﴿يطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿ولدان مخلدون﴾ لا يهرمون أبداً. وقد ذهب بعض الفساق إلى أن هؤلاء الولدان للخدمة واللواط أيضاً. وهو قول يضم إلى فساده؛ سوء خلق قائله، وانعدام ذوقه! فليحذر المؤمن من مكائد شياطين الإنس والجن؛ وقد أسهبنا في الرد على هذه المزاعم وأمثالها في تفسيرنا الكبير ﴿وكأس من معين﴾ خمر من عيون تجري على وجه الأرض؛ ترى بالعين. قال تعالى «وأنهار من خمر لذة للشاربين» ﴿لا يصدعون عنها﴾ أي لا يحصل لهم صداع بسببها؛ كخمر الدنيا ﴿ولا ينزفون﴾ أي لا يذهب عقلهم؛ من نزف الرجل: إذا ذهب عقله من السكر. وقيل: من أنزف القوم: إذا نفد شرابهم ﴿وحور عين﴾ الحور: جمع حوراء؛ وهي شديدة بياض العين وسوادها. والعين: جمع عيناء؛ وهي الواسعة العين (انظر آية ٥٤ من سورة الدخان). ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من صالح الأعمال ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً﴾ أي لا يسمعون قولا باطلا، ولا هذيانا، ولا سباباً؛ مما يستوجب الإثم ﴿إلا قيلا﴾ قولا ﴿سلاماً سلاماً﴾ تسليما عليهم من الملائكة، ومن إخوانهم المؤمنين ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ وهم الذين أوتوا كتبهم بأيمانهم (انظر آية ٦٢ من سورة الرحمن) ﴿في سدر مخضود﴾ السدر: شجر النبق. والمخضود: الذي لا شوك فيه ﴿وطلح منضود﴾ هو شجر الموز. و«منضود» أي مرصوص ﴿وظل ممدود﴾ دائم. قال تعالى في وصف الجنة: «أكلها دائم وظلها» وجاء في الحديث الشريف: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» ﴿وفرش مرفوعة﴾ أي عالية. أو أريد بالفرش: النساء؛ وقد جرت عادة العرب بتسمية المرأة بالفراش؛ ويؤيده ما بعده. و«مرفوعة» أي مرفوعة فوق الأرائك. قال تعالى «هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك»

﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ دائمي البكارة ؛ كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً ﴿عربا﴾ جمع عروب ؛ وهي المتحببة إلى زوجها ﴿أترابا﴾ أي مستويات في السن ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم ﴿في سموم﴾ حر نار ينفذ في المسام ﴿وحميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وظل من يحموم﴾ دخان أسود ﴿لا بارد ولا كريم﴾ المراد : نفي صفات الظل المعتاد ؛ وهي البرودة والكرم ؛ بأن يخلص كل من يأوي إليه من أذى الحر ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ منعمين ﴿الحنث العظيم﴾ الذنب العظيم ؛ وهو الشرك : وأي حنث أعظم من قولهم ﴿أئذا متنا وكنا﴾ في قبورنا ﴿تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ أي هل نحيا بعد ذلك، ونبعث كما يزعم محمد ﴿أوآباؤنا الأولون﴾ أي أويبعث آباؤنا الأولون أيضاً ، بعد أن بليت أجسامهم ، وتفتتت عظامهم ﴿إلى ميقات﴾ إلى وقت ﴿يوم معلوم﴾ هو يوم القيامة ﴿من شجر من زقوم﴾ هو شجر ينبت في أصل الجحيم ﴿فشاربون عليه من الحميم﴾ أي أنهم إذا عطشوا ـ بعد أكل الزقوم ـ فلا يشربون إلا «من الحميم» وهو الماء البالغ نهاية الحرارة ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ الإبل العطاش ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ النزل : مايعد لإكرام الضيف أي هذا هو الشيء المعد لإكرامهم يوم القيامة ﴿فلولا تصدقون﴾ فهلا تصدقون ﴿أفرأيتم ماتمنون﴾ تريقون في أرحام نسائكم.

أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾

ءَأَنتُمۡ

يعني إذا كنتم لاتؤمنون بأن الله تعالى هو خالقكم من ماء مهين ، وتعتقدون أن خلقتكم تأتي على مقتضى الطبيعة البشرية : تمنون فتنجبون . إذا اعتقدتم هذا ؛ فما قولكم في المني المتسبب في خلقكم

﴿أأنتم تخلقونه﴾ بأنفسكم ، وتصنعون ما فيه من الحيوانات والجراثيم التي يتكون منها الجنين ﴿أم نحن الخالقون﴾ له ، المدبرون لآثاره ؟ ألا ترون أن كثيراً منكم يعنون فلا ينتجون ، ويحاولون لإيجاد الولد من مظانه الطبيعية فلايستطيعون ؛ إلا إذا أراد خالق الخلق أجمعين «فتبارك الله أحسن الخالقين» يقول تعالى «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما» فتبارك الله رب العالمين! ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ بميقات معلوم ؛ فعجلناه لبعضكم وأخرناه عن البعض الآخر إلى أجل مسمى

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي بعاجزين ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ نخلق غيركم - من جنسكم - بعد مهلككم ﴿وننشئكم﴾ نشأة أخرى ﴿فيما لاتعلمون﴾ أيّ خلق شئنا ، وأي نشأة أردنا . يؤخذ من هذه الآية أن الإنسان قد يخلق بعد موته في خلق أدنأ من خلقته ، وأحط من طبيعته ؛ تأديباً له وتعذيباً ! كما أنه يجوز أن يخلق في خلق أعلا من خلقه ، وأشرف من جنسه ؛ تعظيماً له وتكريماً ! وهذا القول يعارضه الأكثرون ؛ تحرزا من القول بتناسخ الأرواح ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ وهي خلق آدم من طين ؛ لايعت إلى الحياة بأي سبب ﴿فلولا تذكرون﴾ فهلا تتذكرون ذلك ؛ فتعرفون قدرة الخالق ؟! ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ هشيا متكسراً ﴿فظلتم تفكهون﴾ تعجبون ، أوتتندمون على تعبكم فيه ؛ وتقولون ﴿إنا لمغرمون﴾ أي لملزمون غرامة ما أنفقنا ، أو لمهلكون لهلاك رزقنا ، وتلف قوتنا . من الغرام ؛ وهو الهلاك ﴿بل نحن محرومون﴾ من ثمرة كدنا وعملنا ﴿من المزن﴾ السحاب ﴿أجاجاً﴾ ملحاً ؛ فلم تنتفعوا منه بشرب ، ولا غرس ، ولا زرع ﴿فلولا تشكرون﴾ فهلا تشكرون ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ توقدون من الشجر الأخضر ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ تذكيراً لنارجهنم، أو تذكرة لقدرتنا وعظمتنا! ﴿ومتاعاً﴾ منفعة ﴿للمقوين﴾ للمسافرين . أو «للمقوين» أي الخالية بطونهم . يقال: أقوى - من الأضداد - إذا افتقر ، أو استغنى . لقد عدد سبحانه وتعالى النعم على عباده : فبدأ بذكر خلق الإنسان ؛ فقال «أفرأيتم ما تمنون» ثم ثنى بما به قوامه ومعيشته ؛ وهو الزرع : فقال «أفرأيتم ماتحرثون» ثم بما به حياته ؛ وهو الماء : فقال «أفرأيتم الماء الذي تشربون» ثم بمابه يصطلي ، ويصنع طعامه ، وبما به يصنع سلاحه ؛ الذي به يدفع الغوائل عن نفسه ، ويحفظ حياته ووطنه ؛ وهي النار : فقال «أفرأيتم النار التي تورون» فياله من منعم ، وياله من متفضل ؛ وله الحمد حتى يرضى ! ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ نزهه عما يقولون ! ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ قالوا : إن «لا» زائدة . أي «أقسم بمواقع النجوم» وهي مطالع النجوم =

= ومساقطها ، أو منازلها ، أو وقوعها وانتثارها عند قيام الساعة . قال تعالى «وإذا الكواكب انتثرت» أو أريد «بمواقع النجوم» : منازل القرآن الكريم ؛ لأنه نزل منجما : أى مفرقاً . وقيل : المراد به محكم القرآن ﴿إنه لقرآن كريم﴾ عزيز جليل ﴿فى كتاب مكنون﴾ مصون ؛ وهو اللوح المحفوظ . وقد ذهب بعضهم إلى أنه المصحف ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ الملائكة عليهم السلام بأمر ربهم . ولا حجة لمن يقول : بتحريم مس المصحف لغير المسلم ، ولغير المتوضئ ؛ اللهم إلا إذا كان بقصد امتهانه ؛ وحينئذ لا يكون حراماً بل كفر يقتل فاعله ! وقد نزل القرآن - حينما نزل - للناس أجمعين - كافرهم ومؤمنهم ، طائعهم وعاصيهم - فكيف نحرم مسه على أناس أنزل إليهم ، وأريد به هدايتهم ؟ ! ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزل به الروح الأمين ، على قلب محمد لينذر به الخلق أجمعين!

والقرآن الكريم - ولو أنه نزل بلسان العرب ولغتهم - غير أنه لا يساويه قول مهما علا ، ولا كلام مهما سما ؛ لأنه قول المنزه عن المثال والشبيه ، المتعالى عن الصفات والأنداد!

وحسب القرآن جلالة ومجداً: أن الأربعة عشر قرناً التى مرت عليه لم تستطع أن تذهب ببهاء أسلوبه الذى لا يزال غضاً كأن عهده بالسماع أمس ! وإن الإنسان ليقرأ كلام أحب الناس إليه ؛ فيمجه بالتكرار ، ويعافه على مر الأيام . أما القرآن الكريم فكلما زدته تلاوة : إزداد حلاوة ! وكلما زدته عناية : ازداد لك رعاية ! وإذا استمسكت به : استمسك بك ؛ حتى يسلمك إلى منزله تعالى فيعطيك من نعمته حتى يكفيك ، ويفيض عليك من كرمه حتى يرضيك !

ومن أعجب العجب : أن يحن الإنسان إلى استماع القرآن ، ويطرب لتلاوته ؛ ولو لم يفهم معناه ، أو تبلغ ألفاظه أذنيه ! أدام الله تعالى علينا نعمة القرآن ، وزادنا له حباً ، وبه تمسكا !

فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سورة

﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون﴾ أى أبهذا القرآن أنتم متهاونون مكذبون ؟ يقال : دهن الرجل ؛ إذا نافق . والمداهن: المظهر خلاف ما يبطن ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أى وتجعلون شكر رزقكم: أنكم تكذبون برازقكم وخالقكم ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذا بلغت﴾ الروح ﴿الحلقوم﴾ عند الموت . والحلقوم : ممر الطعام والشراب ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ فهلا إن كنتم غير مربوبين ؛ تدينون لإله ، أوغير محاسبين ، ولامجزيين ؛ ولكم قدرة على البقاء والإبقاء ؛ بغير استعانة بخالق الأرض والسماء: المحيي المميت ، المبدئ المعيد ﴿ترجعونها﴾ أى ترجعون تلك الروح التى بلغت الحلقوم إلى البدن ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تزعمونه =



= ﴿فأما إن كان﴾ الميت ﴿من المقربين﴾ الذين قربهم الله تعالى منه؛ لإيمانهم وطاعتهم ﴿فروح﴾ أى فله استراحة، أو فله رحمة ومغفرة ﴿وريحان﴾ رزق حسن، طيب هنىء. أو المراد به: كل ماله رائحة من الزهور والمشمومات: تتلقاه به الملائكة عند موته؛ كما يتلقى العروس فى الدنيا يوم عرسه! ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، أو الذين يؤخذ بأيمانهم إلى الجنة؛ كما يأخذ الصديق بيمين صديقه، والحبيب بيمين حبيبه ﴿فسلام لك﴾ أى سلامة من العذاب، أو سلام لك من مولاك جل شأنه! ﴿من أصحاب اليمين﴾ أى سلام لك لأنك «من أصحاب اليمين» ﴿وأما إن كان من المكذبين﴾ الذين كذبوا الرسول والقرآن ﴿الضالين﴾ الذين ضلوا سواء السبيل، وعصوا الرب الجليل ﴿فنزل﴾ موضع نزولهم. والنزل: ما يعد لتكرمة الضيف ﴿من حميم﴾ ماء بالغ غاية الحرارة. فإذا كان إكرامهم بالحميم؛ فكيف يكون تعذيبهم وامتهانهم؟! ﴿وتصلية جحيم﴾ أى إدخال فى جهنم ﴿إن هذا﴾ التنعيم والتعذيب ﴿لهو حق اليقين﴾ أى الحق الواجب الحدوث، المتيقن الوقوع.

(٥٧) سورة الحديد مدنية
وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

(سورة الحديد)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما فى السموات والأرض﴾ أى إن كل من عداه من مخلوقاته: يجله ويعظمه، ويسبح بحمده؛ حتى الجماد والوحش والطير؛ فإنها جميعاً تسبح بحمده «وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» ﴿هو الأول﴾ قبل كل شىء؛ بلا بداية ﴿والآخر﴾ بعد كل شىء؛ بلا نهاية ﴿والظاهر﴾ بالأدلة والبراهين الدالة عليه:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

﴿والباطن﴾ لكونه تعالى غير مدرك بالحواس؛ ولو أنه ظاهر فى مخلوقاته وآثاره ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به؛ لا كاستواء المخلوقين؛ لأن الديان يتقدس عن المكان، وتعالى المعبود عن الحدود! ﴿يعلم مايلج فى الأرض﴾ مايدخل فيها: من البذر، والقطر، والموتى ﴿ومايخرج منها﴾ من النبات، والمعادن، وغيرهما ﴿وما ينزل من السماء﴾ من الملائكة، والغيث، والشهب، وغيرها ﴿وما يعرج فيها﴾ من الأعمال والدعوات «إليه يصعد الكلم الطيب» ﴿وهو معكم﴾ بحفظه وكلاءته ﴿له ملك السموات والأرض﴾ يتصرف فيهما كيف شاء ﴿وإلى الله﴾ وحده ﴿ترجع الأمور﴾ فيقضى فيها بما أراد؛ لا راد لقضائه! ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ يدخل أحدهما فى الآخر؛ بنقصان هذا وزيادة ذاك

(وهو عليم بذات الصدور) بخوافيها وما فيها (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى إن الأموال التى فى أيديكم: إنما هى أموال الله تعالى؛ استخلفكم عليها؛ فإن أحسنتم التصرف فيها، وأديتم زكاتها، وأنفقتم فى سبيله: نمت أموالكم، وزادت حسناتكم. وإن أسأتم التصرف، وأدرككم الشح المردى، ومنعتم ذوى الحاجات حاجاتهم، وأرباب الحقوق حقوقهم: استوجبتم النيران، وحل بواديكم الخسران! (ومالكم لا تؤمنون بالله) لا تقرون بوحدانيته وربوبيته (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) ويرشدكم إلى معرفته بالحجج القاطعة، والبراهين الدامغة؛ فليس لكم عذر بعد ذلك (وقد أخذ) الله (ميثاقكم) فى صلب آدم؛ حين قال «ألست بربكم» وقلتم «بلى» (انظر آية ١٧٢ من سورة الأعراف) (هو الذى ينزل على عبده) محمد (آيات بينات) محكمات، واضحات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) أى فتح مكة، ورفعة الإسلام، وانتصار المسلمين. أو هو فتح الحديبية (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) فى الدنيا. (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) فى الجنة (يسعى نورهم بين أيديهم) أمامهم. والمراد بذلك: أن وجوه المؤمنين تصير مضيئة كضوء القمر فى سواد الليل؛ تكريماً لهم وتشريفاً؛ ويؤيده ما بعده «انظرونا نقتبس من نوركم» وحقاً إن للمؤمن لنوراً يراه كل من أنار الله تعالى بصيرته فى هذه الحياة الدنيا؛ فكيف بيوم القيامة: يوم الجزاء والوفاء!

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ

أيديهم

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

﴿وبأيمانهم﴾ أى يصير النور أمامهم وحواليهم؛ ويقال لهم ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ تدخلونها ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ وهم فى العذاب والظلمات ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ أى انظروا إلينا ﴿نقتبس﴾ نأخذ ونستمد ﴿من نوركم﴾ فقد أعمانا ما نحن فيه من الظلمات! ﴿قيل﴾ أى قالت لهم الملائكة ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ أى ارجعوا إلى أعمالكم التى عملتموها فى الدنيا: هل تجدون فيها ما يؤهلكم للاستمتاع بهذا النور الذى يشع من المؤمنين وعليهم؟ ﴿فضرب بينهم﴾ أى بين المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ هو سور الأعراف ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ أى باطن السور فيه المؤمنون والجنة ﴿وظاهره من قبله﴾ من جهته ﴿العذاب﴾ الكفار والنار ﴿ينادونهم﴾ أى ينادى المنافقون المؤمنين؛ قائلين لهم ﴿ألم نكن معكم﴾ فى الدنيا: نصلى مثلما تصلون، ونصوم مثلما تصومون، ونحج مثلما تحجون؟ ﴿قالوا﴾ أى قال المؤمنون للمنافقين ﴿بلى﴾ كنتم تعبدون معنا كما كنا نعبد، وتشهدون كما كنا نشهد ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ أهلكتموها بالنفاق، وأوقعتموها فى العذاب ﴿وتربصتم﴾ انتظرتم بالمؤمنين الدوائر ﴿وارتبتم﴾ شككتم فى أمر التوحيد ﴿وغرتكم﴾ خدعتكم ﴿الأمانى﴾ الأطماع الكاذبة؛ فلم تجاهدوا مع المجاهدين، ولم تنفقوا مع المنفقين ﴿حتى جاء أمر الله﴾ الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان ﴿هو مولاكم﴾ أى أولى بكم ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾ أى ألم يجئ الأوان الذى فيه تخشع قلوب المؤمنين ﴿لذكر الله وما نزل من الحق﴾ القرآن ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الأجل أو طال الزمن بين نزول الكتب إليهم، ونزول الرسل بعد ذلك ﴿فقست قلوبهم﴾ وكفروا بما آمنوا به، وتنكروا لكتبهم وشوهوها وحرفوها

(اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها) أى كما أنه تعالى يحيي الأرض بعد موتها؛ كذلك ذكره تعالى يحيي القلوب بعد قساوتها (وأقرضوا الله) أى والذين أقرضوا الله. والمقرض: هو الذى يبذل المال فى الحياة الدنيا؛ رجاء ثواب الآخرة (يضاعف لهم) الثواب والأجر (أولئك هم الصديقون) الذين سبقوا إلى التصديق. لأن التصديق لا يكون باللسان؛ بل بالجنان! وهم آمنوا، وصدقوا، وأنفقوا! يقول أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين: «إن المصدقين والمصدقات» الذين آمنوا بى وبرسلي «وأقرضوا الله قرضاً حسناً» أنفقوا فى سبيله تعالى؛ من غير رياء، ولا من، ولا أذى «أولئك هم الصديقون» (و) أولئك هم (الشهداء) أى فى درجة الشهداء: فى التنعم والقرب (عند ربهم) فى روضات الجنات (لهم أجرهم) الذى أعده الله تعالى لهم (ونورهم) الذى يسعى بين أيديهم وبأيمانهم. أو المعنى: «أولئك» الذين مر ذكرهم «هم الصديقون» وانتهى القول عند ذلك «والشهداء عند ربهم» خبر جديد عن نوع آخر من خواص المؤمنين: وهم الشهداء (اعلموا أنما الحياة الدنيا) أى متاعها المعجل لكم: ماهو إلا (لعب) تلعبونه (ولهو) تلهون به (وزينة) تتزينون بها (وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) يفخر بعضكم على بعض، ويسابق بعضكم بعضاً؛ بالأموال، والجاه، والأولاد. وذلك التفاخر والتكاثر، واللهو واللعب والزينة: مثله (كمثل غيث) مطر نزل على الأرض فازدهرت وأنبتت؛ وقد (أعجب الكفار) الزراع (نباته) أى نبات ذلك الغيث. وسمى المطر غيثاً: لأنه يغيث الناس من الجوع والفاقة؛ ولذا سمى الكلأ غيثاً: لأنه يغيث الماشية (ثم يهيج) أى يجف (فتراه مصفراً) بعد خضرته (ثم يكون حطاماً) يابساً متكسراً. شبه تعالى حال الدنيا، وسرعة انقضائها؛ مع قلة جدواها: بالنبات الذى يعجب الزراع لاستوائه وقوته ونمائه؛ وبعد ذلك يكون حطاماً، ويدركه الفناء. وكذلك حال الدنيا: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس» (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار؛ الذين ركنوا إلى لهو الدنيا ولعبها، وزينتها والتفاخر فيها (ومغفرة من الله ورضوان) لمن آمن بالله، وصدق برسله (وما الحياة الدنيا) وما فيها من تمتع وزخرف (إلا متاع الغرور) أى إلا متاع مزيف؛ لا أثر له. ورجل مغرور: مخدوع (سابقوا) بالأعمال الصالحة (عرضها كعرض السموات والأرض) إشارة إلى أنه لا حد لها فى العظم، وأنها من السعة بالقدر الذى لا يعرف مداه، ولا يوصل إلى منتهاه

فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوٓا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ

اللَّهِ

﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض﴾ من الجدب، وآفات الزرع والثمار ﴿ولا فى أنفسكم﴾ من الأمراض والأوصاب والموت ﴿إلا فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ. ما أصابنا: لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا: لم يكن ليصيبنا! (انظر آية ١٥٦ من سورة البقرة) ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أى من قبل أن نخلق الأنفس ﴿إن﴾ معرفة ﴿ذلك على الله يسير﴾ هين؛ لايصعب ولايشق عليه أن يعلم ما كان، وما سيكون، وما هو كائن ﴿لكيلا تأسوا﴾ من الأسى: وهو الحزن. أى أعلمكم الله تعالى بذلك لئلا تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ فى الدنيا من ربح ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ الله تعالى منها.

اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

هذا ومن المعلوم أنه مامن أحد يعقل: إلا ويحزن على مايفوته، ويفرح بما يأتيه. ولكن المراد من الآية الكريمة: ألا يحزن حزناً مذهباً للثواب، ولا يفرح فرحاً موجباً للعقاب! ولكن من أصابته مصيبة فجعل منها صبراً، ومن أصابه خير فجعل منه شكراً: كان جزاؤه الجنة! ﴿والله لا يحب كل مختال﴾ متكبر بما أوتى من الدنيا ﴿فخور﴾ به على الناس ﴿الذين يبخلون﴾ بما آتاهم الله من فضله ﴿و﴾ لا يكتفون ببخلهم الذى أهلكهم وأرداهم؛ بل ﴿يأمرون الناس بالبخل﴾ وهذا مشاهد فيمن أعمى الله تعالى بصائرهم، وقضى عليهم بالحرمان من لذة السخاء، وفرحة الإعطاء، وكتب لهم الشقاء. فهم فى شقاء دائم فى دنياهم، وعذاب واصب فى أخراهم! ﴿ومن يتول﴾ يعرض عن الانفاق ﴿بالبينات﴾ الحجج الواضحات ﴿والميزان﴾ الذى يوزن به. قيل: إن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام؛ وقال له: مر قومك يزنوا به. ويجوز أن يراد بالميزان: القانون الذى يحكم به بين الناس ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ بالعدل ﴿وأنزلنا الحديد﴾ أظهرناه؛ وذلك لأن من معانى الإنزال: الإظهار؛ يدل على ذلك إنزال القرآن «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» وهو بمعنى إظهاره: إذ أن القرآن الكريم قديم ـ صفة الموصوف بالقدم ـ ونزوله: إظهاره للناس ﴿فيه بأس﴾ قوة ﴿ومنافع للناس﴾ وأى منافع! فقد صار الحديد من ألزم لوازم الحياة، وإحدى الضرورات التى لاتستطيع أمة من الأمم أن تبنى نهضتها ومجدها بما عداه: إذ منه تصنع القاطرات والطائرات، والسفن العظيمة التى تجوب المحيطات؛ وبغيره لا تكون الأسلحة على اختلاف درجاتها وأنواعها: من مدافع ودبابات وصواريخ وناسفات ﴿و﴾ ذلك ﴿ليعلم الله﴾ علم ظهور للمخلوقات ﴿من ينصره و﴾ ينصر ﴿رسله بالغيب﴾ حال كونه تعالى غائباً عن بصره، حاضراً فى بصيرته: ينصره ولا يبصره!

وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على أمة سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام؛ فقد آمنا بالله =

= ورسله بالغيب، ونصرنا الله تعالى - بإعلاء دينه، والدعوة إلى توحيده - ونصرنا رسله بالإيمان بهم جميعاً. وكل ذلك من غير أن نرى ربنا، أو نطلب رؤيته بأعيننا؛ ومن غير أن نرى رسله تعالى، أو نسمع دعوتهم، ونشهد معجزاتهم؛ فاستحققنا بذلك أن نكون خير أمة أخرجت للناس؛ فلله الحمد على ما أنعم، والشكر على ما به تفضل! ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم﴾ إلى الناس ﴿وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب﴾ اسم جنس؛ أريد به التوراة والإنجيل، والزبور، والقرآن؛ وهى فى ذرية إبراهيم وحده ﴿فنهم﴾ أى من المرسل إليهم ﴿مهتد﴾ إلى طريق الحق، مؤمن بالله ورسله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ كافرون ﴿ثم قفينا﴾ أتبعنا ﴿على آثارهم﴾ أى على آثار نوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه﴾ أى اتبعوا عيسى وآمنوا به، وكانوا على شرعته ومنهاجه ﴿رأفة ورحمة﴾ وهما صفتان يمن الله تعالى بهما على من ارتضى من عباده، وجعله أهلاً لكرامته وجنته! ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أى اخترعوها؛ وهى أنهم كانوا يهجرون النساء، وكثيراً من المطاعم والملابس؛ بقصد التجرد من اللذات والشهوات، والتفرغ للعبادة ﴿ما كتبناها﴾ ما فرضناها ﴿عليهم﴾ ولم يفعلوها ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ قاصدين بها وجهه الكريم؛ لكن من أتى بعدهم، وأراد السير على نهجهم: انتظم فى سلك الرهبانية؛ قاصداً بذلك الصوالح الدنيوية؛ لذلك وصفهم الله تعالى بقوله ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ كالذين سبقوهم إليها، وفرضوها على أنفسهم؛ ابتغاء ثواب الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خافوه واخشوا غضبه وعقابه ﴿وآمنوا برسوله﴾ أى اثبتوا على إيمانكم به ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ والمراد بالكفلين: كثرة الثواب، وعظم الأجر ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ المراد بالنور هنا: العقل؛ لأنه كالنور الذى يهتدى به: يرى الإنسان به الصواب فيتبعه، والخطأ فيجتنبه؛ كما أن النور يتجنب به الإنسان المهاوى والمزالق والمهالك ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله غفور﴾ كثير المغفرة لمن تاب ﴿رحيم﴾ بعباده؛ أرحم بهم من أمهاتهم! ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله﴾ أى خشية أن يعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون على نيل شىء من فضل الله - لو أسلموا - مثل ما نلتموه أنتم بإسلامكم، واستوجبتموه، بتقواكم وإيمانكم ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ كلام مستأنف؛ أى اعلموا أيها المخاطبون أن الفضل بيد الله، لا بيد غيره؛ ولا طريق لنيله إلا بالتزام الطاعة، واجتناب المعصية، وتحرى مرضاته تعالى! ﴿يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ وقيل: الضمير فى «ألا يقدرون» للذين آمنوا: الذين منحهم الله تعالى رفده =

وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٥٨) سورة المجادلة مدنية
وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ

إلى

= وفضله؛ وآتاهم كفلين من رحمته، وجعل لهم نوراً يمشون به فى الدنيا والآخرة، وغفر لهم ذنوبهم، وآتاهم تقواهم! و «لئلا يعلم» أى ليعلم، و «لا» زائدة، ويؤيد ذلك: قراءة من قرأ «ليعلم» و «لكى يعلم» وما قلناه أولا هو أقرب إلى الصواب، وأجدر بالتفهم؛ ولم يسبقنا أحد إليه.

(سـورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى) شأن (زوجها) هى خولة بنت ثعلبة، امرأة أوس ابن الصامت؛ وقد كان راودها فأبت، فغضب منها وظاهرها؛ فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقالت له: إن لى منه صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلى جاعوا. فقال لها: حرمت عليه. فقالت: يارسول الله إنه ماذكر طلاقاً، وهو أبو ولدى، وأحب الناس إلى. فقال عليه الصلاة والسلام: حرمت عليه. فقالت: أشكو إلى الله فاقتى ووجدى! فنزلت هذه الآيات (الذين يظاهرون منكم) المظاهرة: أن يقول الرجل لامرأته: أنت على كظهر أمى. فتبين منه (وإنهم ليقولون منكراً من القول) تنكره العقول؛ إذ ليست الأزواج بأمهات (وزوراً) باطلا وكذبا (ثم يعودون لما قالوا) أى يعودون لما حرموه على أنفسهم؛ مما أحله الله تعالى لهم. أو «يعودون» عما قالوه من الظهار، ويرغبون فى إعادة أزواجهم إليهم (فتحرير رقبة) أى أن يعتق عبداً مملوكا؛ عقوبة له على تحريم ما أحله الله تعالى (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة) (من قبل أن يتماسا) أى يعتق قبل أن يمس زوجته؛ بل تظل كالمطلقة (ذلكم توعظون به) أى تتعظون به، وتتأدبون؛ فلاتعودون إلى الظهار (فمن لم يجد) أى لم يكن فى ملكه عبيد أرقاء، ولم يكن عنده مال يشترى به ويعتق (فصيام شهرين متتابعين) بحيث إنه إذا أفطر أثناءهما - ولو فى اليوم الأخير - وجب عليه إعادة صوم الشهرين ابتداء (فمن لم يستطع) الصيام؛ لمرض، أو كبر، أو مشقة (فاطعام ستين مسكيناً) من أوسط ما يطعم أهله؛ بشرط إشباعهم طول يومهم؛ وذلك الاعتاق، والصيام، والإطعام (لتؤمنوا بالله ورسوله) فلا أدل على الإيمان من الطاعة والنزول على أمره تعالى (إن الذين يحادون) يعادون (كبتوا) أذلوا وأخزوا، وردوا بغيظهم (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الأمم السابقة: الذين عصوا رسلهم، وعادوهم وآذوهم (فينبئهم بما عملوا) من سوء (أحصاه الله) عليهم، وكتبه فى صحائف أعمالهم

﴿ونسوه والله على كل شىء﴾ يحدث ﴿شهيد﴾ مشاهد له ، وعالم به ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاهو رابعهم﴾ النجوى: المسارة . والمعنى أنه تعالى حاضر معهم ، مطلع على أحوالهم وأعمالهم ، ومايهجس به أفئدتهم ﴿ولا أدنى﴾ أقل ﴿من ذلك﴾ من الثلاثة ﴿ولا أكثر﴾ من الخمسة ؛ ولو بلغوا آلاف الآلاف ﴿إلا هو معهم أينما كانوا﴾ فى أقطار السموات ، أو فى أعماق المحيطات ﴿عن النجوى﴾ عن المسارة ﴿وإذا جاءوك﴾ ودخلوا عليك ﴿حيوك بما لم يحيك به الله﴾ كانوا يقولون للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : السام عليك ؛ مكان السلام عليك . والسام : الموت ﴿ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله﴾ أى هلا يعذبنا ﴿حسبهم جهنم﴾ أى كافيتهم ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿إذا تناجيتم﴾ تساررتم ﴿وتناجوا بالبر﴾ يعنى لا تكون مسارتكم إلا بقصد البر بالناس ﴿والتقوى﴾ خشية الله تعالى ؛ وهى تشمل كل خير وبر ! قال تعالى «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً» ﴿واتقوا الله﴾ خافوه ، واخشوا عذابه ، واعملوا ما يرضيه ﴿الذى إليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة ؛ فيحاسبكم على ما فعلتم من سوء ، ويجزيكم على ما قدمتم من خير ﴿إنما النجوى﴾ المسارة بالإثم والمعصية ؛ كأن يناجى إنسان إنساناً على إذاية آخر ، أو يناجيه على ارتكاب محرم ؛ فكل هذا ﴿من الشيطان﴾ يوعز به لبنى الإنسان ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ وهم الذين لم يستمعوا للنجوى ؛ بل رأوا المتناجين فظنوا أنها ضدهم . وقيل : كان الرجل يأتى الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فيسأله حاجته ؛ فكان إبليس اللعين يوسوس إليهم : أنه ناجى الرسول بشأن شدة الأعداء ، وكثرة جموعهم ؛ فيحزن المؤمنون لذلك

وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَلَيْسَ

﴿وليس بضارهم﴾ أى ليس الشيطان بضار أحد من المؤمنين ، أو من المتناجى ضدهم ﴿وعلى الله﴾ وحده ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فى سائر أمورهم وأحوالهم ؛ فهو جل شأنه لاشك ناصرهم ومعينهم (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾ والتفسح فى المجالس من أكرم الخلال الإسلامية والخلق الانسانية! فيجب على كل مؤمن أن يفسح لأخيه الذى يريد الجلوس ، أو الصلاة ؛ ولو لم يقل بلسانه ﴿وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ أى إذا قيل : انهضوا وانصرفوا ، فانصرفوا :

وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ

ولا ينتظرن أحدكم أن يقال له ذلك فى مجلس من المجالس ؛ بل عليه أن يراعى حالة الجالسين إليه ، وأنسهم به ؛ فإذا ما افتقد رعايتهم له ، واهتمامهم بأمره : انصرف مشكوراً مأجوراً ؛ قبل أن تمجه الأسماع ، وتعافه الأبصار ! وهذا هو الأدب الربانى ، والخلق القرآنى ؛ فاستمسك به أيها المؤمن : تعش سالما من البغض ، آمنا من الحقد ! وقيل: كان ذلك فى مجالس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة والأولى أنها عامة ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ وعملوا بطاعة الله تعالى ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ كل بقدر عمله بعلمه . فمنهم من يعلم ولا يعمل ، ومنهم من يعلم ويعمل ؛ ولكنه فاسد الذوق ، بليد الإحساس ؛ يأتى سائر المكروهات ، ويرتكب سائر المحرمات : فتراه يناجى من بجانبه بلا سبب ، ويجلس مكان أربعة رجال بسبب عنجهيته ، ولا يفسح المكان إذا ضاق بمن فيه ، ولا يقوم من مجلسه ـ رغم بغض الجالسين له ـ حتى يكون عليهم كالطاعون ؛ بل وشر من الطاعون ! فاذا أفاد علمه بجانب هذا الإحساس البارد ، والذوق السمج ؟ ! ﴿والله بما تعملون﴾ من خير أو شر ﴿خبير﴾ فيجازيكم عليه ؛ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾ أردتم محادثته سراً ؛ لأمر يهمكم ﴿فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ هوحث على التصدق ؛ عند طلب الحاجة من الله تعالى ، أو من رسوله عليه الصلاة والسلام . وذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة» وهى نعم الدواء عن تجربة ! ﴿فإن لم تجدوا﴾ ماتتصدقون به عند مناجاة الرسول ، أو عند الدعاء ﴿فإن الله غفور﴾ لكم ﴿رحيم﴾ بكم ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً﴾ صادقوهم ، واتخذوهم أولياء . والمراد بالقوم : بعض اليهود لعنهم الله تعالى ﴿ماهم منكم ولا منهم﴾ أى ليسوا من المؤمنين ، ولا من اليهود ؛ بل هم منافقون

﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ ستراً ووقاية لنفاقهم؛ يحلفون لك لتصدقهم، وما هم بصادقين ﴿فصدوا﴾ بتوليهم اليهود ﴿عن سبيل الله﴾ عن دينه؛ فهؤلاء ﴿لن تغنى﴾ لن تدفع ﴿عنهم أموالهم﴾ التي يجمعونها ﴿ولا أولادهم﴾ الذين يعتزون بهم ﴿من الله﴾ من عقوبته وعذابه ﴿فيحلفون له﴾ في الآخرة كذبا. قال تعالى «ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» ﴿كما يحلفون لكم﴾ الآن في الدنيا ﴿ويحسبون أنهم﴾ بحلفهم هذا ﴿على شيء﴾ بأن ينفعهم حلفهم في الآخرة؛ ويتخذونه «جنة» كما اتخذوه في الدنيا ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ في الدنيا والآخرة! ﴿استحوذ﴾ استولى ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ تذكره، والعمل بأوامره ﴿يحادون﴾ يعادون ﴿أولئك في الأذلين﴾ المغلوبين، المعذبين يوم القيامة ﴿كتب الله﴾ قضى، وخط في أم الكتاب، وقال؛ وقوله الحق ﴿لأغلبن﴾ الكافرين ﴿أنا ورسلي﴾ بالحجة، والسيف؛ وذلك لأن الذلة للكافرين والمنافقين «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون» ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون﴾ يتحببون إلى ﴿من حاد الله ورسوله﴾ عاداهما، وخالف أمر الله ونهيه ﴿ولو كانوا﴾ هؤلاء المحادون المعاندون ﴿آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ بل يضعون مكان الود البغض، ومكان الحب الحرب.

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَٰنِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ

نفى تعالى الإيمان عمن يواد الكفار «ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم» ويقاس على ذلك العصاة والفسقة. وهل بعد مخالفة الله تعالى ورسوله، ومجاهرتهما بالعصيان من محادة؟! فليتدبر هذا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد! ﴿أولئك﴾ إشارة إلى من استمع لكلام ربه، واتبع توجيهه ونصحه؛ فلم يتخذ من الكافرين والفاجرين أولياء، أو أحباء؛ فهؤلاء ﴿كتب الله﴾ تعالى ﴿في قلوبهم الإيمان﴾ جزاء بغضهم لمن يكره، وحبهم لمن يحب! فواجب المؤمن أن يحب في الله، ويبغض في الله! ﴿وأيدهم بروح منه﴾ بقوة منه. وقيل: الضمير في «منه» راجع للإيمان؛ أي وأيدهم بروح من الإيمان؛ فازدادوا إيماناً ويقيناً، والإيمان في ذاته: روح القلوب وحياتها!

﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ أرقى المراتب التى يسعى إليها المؤمنون ، ويجد فى نيلها المتقون أن يرضى الله تعالى عنهم ، ويرضيهم عنه ! اللهم ارض عنا وأرضنا ؛ بقدرتك علينا ، وحاجتنا إليك ؛ يارب العالمين ، يامالك يوم الدين ، ياألله ، ياألله ، ياألله ! ﴿أولئك﴾ الذين كتب الله فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، وأدخلهم جنته ، ورضى عنهم وأرضاهم «أولئك» ﴿حزب الله﴾ أحبابه وأنصاره : اتبعوا أوامره ، واجتنبوا نواهيه ؛ فكانوا موطناً لحبه ، وأهلا لحزبه ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ الفائزون فى الدنيا والآخرة . (انظر آية ٥٤ من سورة المائدة) .

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سُورَةُ الحَشْرِ مَدَنِيَّة
وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾

(سورة الحشر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله﴾ نزهه وقدسه ﴿ما فى السموات﴾ من أملاك ومخلوقات ﴿وما فى الأرض﴾ من إنس وجن ، ووحش وطير «وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» ﴿من أهل الكتاب﴾ اليهود ﴿من ديارهم لأول الحشر﴾ هم بنو النضير : أخرجهم المسلمون من ديارهم ؛ حينما نقضوا عهدهم ؛ وكان ذلك أول حشرهم إلى الشام . وقيل: إن آخر حشرهم : إجلاء عمر رضى الله تعالى عنه لهم . أو هو حشر يوم القيامة .

هذا وقد يكون الحشر الثانى: هو خروجهم من فلسطين ـ بعون الله تعالى وقدرته ـ بعد أن تملكوها ، وشتتوا أهلها فى البرارى والقفار ، وسفكوا دماءهم ، وقتلوا أطفالهم ، وفضحوا نساءهم ! ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾ كانت النضير ـ قبل إجلائهم عن ديارهم ـ يخربونها ؛ لئلا ينتفع المسلمون بها ، وقد خرب المسلمون باقيها بالسلب والمغانم

وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا

يَنصُرُونَ

﴿الجلاء﴾ الخروج من الوطن ﴿لعذبهم فى الدنيا﴾ ولكنه تعالى اكتفى بما حل بهم من خزى خروجهم من وطنهم، وذلة مفارقتهم لبيوتهم ﴿ذلك﴾ الخزى فى الدنيا، وعذاب النار فى الآخرة ﴿بأنهم شاقوا﴾ خالفوا وعادوا

﴿ما قطعتم من لينة﴾ نخلة ﴿فبإذن الله﴾ بأمره وقضائه؛ نقمة منه تعالى ﴿وما أفاء﴾ الفىء: الغنيمة

﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ أى لم تسيروا إليه خيلكم، ولا ركابكم

﴿كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ أى حتى لا يكون الفىء دولة بين الأغنياء منكم خاصة. والمراد: حتى لا تتداوله الأغنياء منكم، وتتكثر به؛ مع حاجة الفقراء إليه، واضطرارهم له



﴿والذين تبوأوا الدار﴾ أى توطنوا المدينة ﴿والإيمان﴾ أى تمسكوا به وألفوه كما يألف الإنسان داره ووطنه؛ وهم الأنصار رضى الله تعالى عنهم ﴿من قبلهم﴾ يعني من قبل المهاجرين ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ وقد بلغ بهم الحب أن تآخوا معهم، وقاسموهم أموالهم. وقد بلغ من شدة حبهم، ومزيد تفانيهم: أن كان الأنصارى ينزل لأخيه المهاجر عن إحدى زوجتيه - أيتهما شاء - ويزوجها له ﴿ولا يجدون فى صدورهم حاجة﴾ كمداً، أو حقداً على المهاجرين ﴿مما أوتوا﴾ أى بسبب ما أوتوه من الفىء والغنائم. وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى المهاجرين ويمنع الأنصار؛ وهم أحب إليه منهم ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الخصاصة: الفقر والحاجة؛ وقد نزلت هذه الآية فى الأنصار لأنهم آثروا المهاجرين بكل ما فى أيديهم؛ رغم افتقارهم وحاجتهم إليه. وقيل: ذهب أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - بعد انتهاء إحدى المواقع - يبحث عن أخيه القتيل؛ وفى يده كوز فيه ماء ليسقيه إن كان به رمق؛ فوجده يحتضر، فناوله الكوز، وبعد أن رفعه إلى فيه سمع بجواره أنين جريح آخر؛ فأشار إلى أخيه أن يسقيه قبله؛ فذهب إليه فوجده قد أسلم الروح؛ فعاد إلى أخيه فوجده قد لفظ النفس الأخير: فنزلت هذه الآية. وسأل شاب من أهل بلخ أبا زيد: ما الزهد عندكم؟ قال: إذا وجدنا شكرنا، وإذا فقدنا صبرنا. فقال البلخى: هكذا عندنا كلاب بلخ؛ بل نحن إذا فقدنا شكرنا، وإذا وجدنا آثرنا! ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ الشح: اللؤم، وأن تكون النفس كزة، حريصة على المنع. وأما البخل: فهو المنع نفسه ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ أى من بعد الذين تبوأوا الدار والإيمان من الأنصار. والمقصود بهم المهاجرون ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا﴾ من الأنصار ﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾ فقد آمنوا بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وابتنوا المساجد، وجاهدوا فى الله حق جهاده؛ قبل أن يحضروا إليهم ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ هم عبد الله بن أبى ابن سلول[1] وأصحابه ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾، وهم بنو النضير؛ يقولون لهم تقوية لقلوبهم، وإثارة لهم ضد المؤمنين ﴿لئن﴾ غلبكم المؤمنون، و﴿أخرجتم﴾ من دياركم ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً﴾ بالامتناع عن معونتكم ﴿وإن قوتلتم﴾ أى قاتلكم المؤمنون ﴿لننصرنكم﴾ عليهم ﴿والله يشهد﴾ يعلم ﴿إنهم لكاذبون﴾ وإنما أرادوا بذلك إثارتهم وتحمسهم ضد المؤمنين

وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو
مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا
بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ
لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ
لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ
لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً

(١) سلول: أم كبير المنافقين: عبد الله بن أبىّ.

= (لئن أخرجوا) أى لئن أخرج المؤمنون بنى النضير (ولئن قوتلوا) أى قاتلهم المؤمنون (لاينصرونهم) لأن من صفات المنافق : الجبن؛ فهم جبناء . والـكذب؛ فهم كاذبون (ولئن نصروهم) ساعدوهم فرضاً ، وصدقوا فى وعودهم (ليولن الأدبار) معهم : المنافقون وبنو النضير جميعاً ؛ فقد كتب الله النصر لعباده ، والخذلان لأعدائهم ؛ فلا تجدى القوة ، ولا يجدى الإقدام ؛ فما بالك وهم ضعفاء أذلاء جبناء ! (لأنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة فى صدورهم من الله) وذلك لأنهم يؤمنون بقوتكم وبطشكم ، ولا يؤمنون ببطش الله تعالى وقوته . فإيمانهم فى هذه الحال كإيمان البهائم : لا تؤمن إلا بحامل سوط أو عصا (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولو فقهوا لآمنوا بالله ، وأطاعوا رسوله ، وأنجوا أنفسهم من غضبه وعقابه !

فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

لَوْ

بعد أن وصف الله تعالى حال اليهود والمنافقين ، ومبلغ إيمانهم به : أراد جل شأنه أن يصف مبلغ شجاعتهم وإقدامهم ؛ فقال عز من قائل : إنهم لو أرادوا قتالكم ؛ فإنهم (لا يقاتلونكم جميعاً) مجتمعين (إلا) إن كانوا (فى قرى محصنة) يأمنون فيها بطشكم (أو من وراء جدر) حوائط تقيهم بأسكم وسهامكم (بأسهم) بطشهم وشدتهم (بينهم شديد) أى هم شديدو العداوة لبعضهم (تحسبهم جميعاً) متحدين، ذوى ألفة (وقلوبهم شتى) متفرقة ؛ لا ألفة بينهم ولا مودة (كمثل الذين من قبلهم) كفار بدر (ذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا الهلاك ، الذى هو عاقبة كفرهم . فمثل المنافقين واليهود (كمثل الشيطان إذ قال للانسان) موسوساً إليه (اكفر فلما) أطاعه و (كفر قال إنى برىء منك) فكذلك المنافقون . قالوا لليهود : «لئن أخرجتم لنخرجن معكم . . . . وإن قوتلتم لننصرنكم» فلما جد الجد : تخلوا عنهم وأسلموهم للتهلكة ، وصدق فيهم قول الحكيم العليم «والله يشهد إنهم لكاذبون» (فكان عاقبتهما) أى عاقبة الشيطان ومن أطاعه ، والآمر بالكفر والفاعل له ، والمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى ماقدمت من الأعمال الصالحة ـ فى دنياها ـ ليوم القيامة (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكره وتذكره ، وخشيته ومراقبته (فأنساهم أنفسهم) أنساهم الإيمان والعمل الصالح الذى ينفعهم فى معادهم ، أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ أن لوجعلنا للجبل تمييزاً كما جعلنا لكم، وأنزلنا عليه هذا القرآن؛ بوعده ووعيده: لخشع وخضع، واستكان وتشقق؛ خوفا من الله تعالى ومهابة له، واعترافاً بوجوده وقدرته! أو أريد بالجبل كما هو، وأنه ـ كسائر الجمادات ـ كائن يسبح دائباً بحمد الله تعالى «وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» وأنه لو ألقى عليه القرآن: لما وسعه إلا الخشوع، ولما كان من شأنه إلا التصدع من خشية الله تعالى.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٦٠) سورة الممتحنة مدنية
وآياتها ١٣ نزلت بعد الأحزاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ

أو هو كقول القائل للسامع المعاند: لقد قلت لك قولا يفهمه الحمار. ومن المعلوم أن الحمار لن يفهم؛ ولكنه دليل على قوة الحجة، وأنها مفهمة مفحمة! ولكن السامعين لما كانوا أحط من البهائم، وأخس من السوائم، وأصم من الجمادات!

﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الأنظار، ودق على الأسماع «فإنه يعلم السر وأخفى» ﴿والشهادة﴾ ما شوهد وبان للعيان. لأن من يعلم ماغاب؛ فإنه لما ظهر أعلم ﴿الملك﴾ الذى لا يزول ملكه ﴿القدوس﴾ المنزه عن كل قبيح. ومن تسبيح الملائكة له سبحانه: «سبوح قدوس، رب الملائكة والروح» جل شأنه، وعز سلطانه! ﴿السلام﴾ الذى سلم الخلق من ظلمه، وعم الكون عدله، وسلم كل من لجأ إليه واحتمى به. وهو الاسم الكريم الذى تدعو به الأنبياء يوم القيامة: ياسلام، ياسلام، ياسلام! سلمنا الله تعالى من غضبه. ووقانا عقوبته، وأدخلنا جنته؛ بحرمة أسمائه! ﴿المؤمن﴾ واهب الأمن؛ الذى يأمن عذابه من أطاعه ﴿المهيمن﴾ الرقيب، الحافظ لكل شيء ﴿العزيز﴾ الغالب؛ الذى لا يغلب، ولا يناله ذل ﴿الجبار﴾ العالى العظيم؛ الذى يذل له من دونه: والكل دونه ﴿المتكبر﴾ ذو العظمة والكبرياء ﴿سبحان الله﴾ تنزه وتعالى وتقدس؛ من هذه أسماؤه وتلك صفاته! ﴿البارئ﴾ الموجد للأشياء؛ بريئة من النقص والتفاوت ﴿له الأسماء الحسنى﴾ (انظر آيتى ١٨٠ من سورة الأعراف و ١١٠ من سورة الإسراء) ﴿يسبح له﴾ ينزهه ويقدسه.

هذا وقد ختمت هذه السورة المباركة بمثل مابدئت به: فقد كان بدؤها «سبح لله» بصيغة الماضى، وختامها «يسبح له» تعالى؛ بصيغة المضارع. فتعالى من سبح له كل مخلوق، وسبحت له سائر الأشياء!

تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ

رَّبَّنَا

(ســـورة الممتحنة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) أى لا تتخذوا الكفار ـ الذين هم أعدائى: فلا يؤمنون بى، وأعداؤكم: فيسعون فى إيصال الأذى بكم ـ أولياء توالونهم؛ وتتخذون منهم أصدقاء وأحباء (تلقون إليهم بالمودة) بالحب، ومظاهر الاحترام. وكيف يكون هذا حالكم معهم (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الإسلام والقرآن. ولم يكتفوا بكفرهم وتكذيبهم؛ بل بلغ من إيذائهم أنهم (يخرجون الرسول وإياكم) من مكة (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لأنكم تؤمنون بالله ربكم (إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) فاحذروا ذلك؛ إذ أن خطر المنافق فى الحرب: أبلغ من خطره فى السلم (تسرون إليهم بالمودة) وهذا غير لائق بالمؤمنين «ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء» (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) لا تخفى منكم خافية (ومن يفعله منكم) أى يوالى العصاة، والكافرين، والمنافقين، ويوادهم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق والصواب؛ لأنهم (إن يثقفوكم) أى إن يجدوكم ويظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم) بالقتال (وألسنتهم) بالإيذاء (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم لهم (ولا أولادكم) المشركون؛ و (قد كانت لكم أسوة) قدوة (حسنة فى إبراهيم) إذ تبرأ من أبيه حين أبى الإيمان

﴿ربنا عليك توكلنا﴾ فاكفنا هم الدنيا (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿وإليك أنبنا﴾ رجعنا وأقبلنا ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ أى لا تسلطهم علينا؛ فيفتنوننا بعذاب لا نطيقه ﴿ومن يتول﴾ يعرض عن الإيمان ﴿فإن الله هو الغنى﴾ عن العالمين ﴿الحميد﴾ المحمود فى كل حال ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ بانضمامهم الى زمرتكم، واعتناقهم دينكم؛ فلا تحتاجون بعدها للوقوع فى إثم موالاة الكافرين، وإلقاء المودة لهم ﴿والله قدير﴾ على ذلك؛ وقد أسلم خلق كثير من المشركين؛ فصاروا لهم أولياء ونصراء ﴿والله غفور﴾ لما سبق منكم قبل النهى ﴿رحيم﴾ بكم؛ لا يعاقبكم ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ يرينا الله تعالى أنه يجب علينا: حسن المعاملة، وطيب المعاشرة؛ مع سائر الأجانب الذين لم يقاتلونا، ولم يخرجونا من ديارنا، أو يحتلوا أوطاننا. أما الذين يعتدون على ديننا أو بلادنا: فلزاماً علينا معاداتهم ومقاتلتهم ﴿أن تبروهم﴾ أن تكرموا الذين لم يقاتلوكم، ولم يعتدوا عليكم؛ وأن تحسنوا إليهم قولا وفعلا ﴿وتقسطوا إليهم﴾ تعدلوا بينهم ولا تظلموهم ﴿إنما ينهاكم الله﴾ عن موالاة ومصاحبة ﴿الذين﴾ أضمروا لكم العداوة، و﴿قاتلوكم فى الدين﴾ أى بسبب الدين ومن أجله ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ من مكة ﴿وظاهروا﴾ عاونوا أعداءكم ﴿على إخراجكم﴾ فهؤلاء هم الذين ينهاكم ربكم ﴿أن تولوهم﴾ أى تتخذوهم أولياء وأصدقاء ﴿ومن يتولهم﴾ ينصرهم، أو ينتصر بهم؛ بعد ظهور نياتهم، وإبداء سيئاتهم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ الكافرون ﴿يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ أى نساء الكفار؛ مهاجرات إليكم، راغبات فى دينكم ﴿فامتحنوهن﴾

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ

اختبروهن فى إيمانهن. روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول للتى يريد أن يمتحنها: «بالله الذى لا إله إلا هو: ماخرجت من بغض زوج؟ بالله ماخرجت رغبة عن أرض إلى أرض؟ بالله ماخرجت التماس دنيا؟ بالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله؟» وهذا هو الامتحان الذى أمر به الله تعالى، ونفذه رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ولكم ظاهر قولهن، و﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ فإن كن صادقات: فهن ناجيات، وإن كن كاذبات: فهن معذبات

﴿فإن﴾ أدين امتحانهن ، و ﴿علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى﴾ أزواجهن ﴿الكفار لا هن حل لهم﴾ لأنهن حرمن عليهم بالإيمان ﴿ولا هم يحلون لهن﴾ لأنهم كافرون ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أى أعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا من المهور . وذلك لأن المهر : مقابل الاستمتاع ، وقد زال الاستمتاع ببينونتها منه بسبب إسلامها ؛ وليس بسبب طلاقه لها ﴿ولا جناح عليكم﴾ لا إثم ولا حرج ﴿أن تنكحوهن﴾ تتزوجوهن بعد ذلك

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ

ٱللَّهُ

﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أى مهورهن . وقد شرط تعالى إيتاء المهر فى نكاحهن: إيذاناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ أى اللاتى ارتددن ولحقن بالكفار ﴿واسألوا﴾ اطلبوا ﴿ما أنفقتم﴾ من المهر ﴿وإن فاتكم شىء من أزواجكم﴾ اللائى لحقن بأهلهن من ﴿الكفار فعاقبتم﴾ أى فأردتم القصاص ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم﴾ أى أعطوهم ﴿مثل ما أنفقوا﴾ من المهور على أزواجهم . وذلك من مهور من لحق بكم من المؤمنات اللاتى كن متزوجات من الكفار ؛ وبذلك تحصل المقاصة التى أمر بها الله تعالى ، وتقرها القوانين الوضعية ﴿واتقوا الله﴾ فلا تجوروا فى ذلك ؛ بل مثل بمثل ﴿يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ يعاهدنك : فعاهدهن ﴿على ألا يشركن بالله شيئاً﴾ قد يكون المراد بالإشراك هنا : الإفراط فى الحرص على المال ، والإفراط فى حب النفس والأولاد، والجبن ؛ لأن الله تعالى وصفهن أولا بالمؤمنات «إذا جاءك المؤمنات» فوجب أن ينصرف الشرك عن عبادة ماعدا الله تعالى ؛ إلى مايبلغ حبه والحرص عليه حد العبادة ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ لم يرد أن أما قتلت وليدها فى الجاهلية ؛ وإنما كان يقوم بذلك الرجال دونهن؛ بطريق الوأد خشية العار ، والقتل خشية الإملاق . وقد كان ذلك يتم برضاهن ؛ فكن شريكات فى الإثم . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «إذا قتل إنسان فى المشرق ، ورضى عن ذلك إنسان فى المغرب : كان شريكا فى دمه» ﴿ولا يأتين ببهتان﴾ بكذب وزور ﴿يفترينه بين أيديهن﴾ وهو ما أخذته المرأة لقيطاً ؛ وزعمت لزوجها أنه ولدها منه ﴿و﴾ بين ﴿أرجلهن﴾ وهو ما ولدته المرأة من زنى ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما﴾ لا تصادقوهم ، ولا تتخذوا منهم خلصاء وأحباباً

﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ أى أنكروا البعث ، ويئسوا من الإعادة يوم القيامة ، أو يئسوا من الأجر والثواب ؛ لأنهم لا إيمان لهم يجزون عليه ، ولا عمل صالح يثابون بسببه ﴿كما يئس الكفار﴾ الأحياء ﴿من أصحاب القبور﴾ أن يعودوا إليهم مرة ثانية . أو «كما يئس الكفار» الذين هم فى القبور ؛ أن يرجعوا إلى الدنيا ، أو يأسهم من ثواب الآخرة ؛ لانقطاع عملهم بموتهم .

اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّة
وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

(سورة الصف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سبح لله﴾ نزهه وقدسه ﴿ما فى السموات﴾ أى من فيها من الملائكة ، والكواكب والأفلاك ؛ مما أحاط به علمنا ، وما لم يحط به ﴿وما فى الأرض﴾ من إنس وجن ، ووحش وطير ، وهواء وماء ، ونبات وجماد «وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» ﴿وهو العزيز﴾ فى ملكه ﴿الحكيم﴾ فى صنعه ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ وهو أن يأمر الانسان أخاه بالمعروف ولا يأتمر به ، وينهاه عن المنكر ولا ينتهى عنه ؛ وقد عناه الشاعر بقوله :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
تصف الدواء لذى السقام ، وذى الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

﴿كبر مقتا﴾ كبر : عظم . والمقت : أشد البغض ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا﴾ مصطفين ، متساندين ، متعاونين ، مقدمين على لقاء العدو ﴿كأنهم﴾ لإقدامهم وتمسكهم ﴿بنيان مرصوص﴾ لا ينهار ؛ لشدته واستوائه ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى﴾ بالتكذيب والمعاندة ﴿وقد تعلمون﴾ بما قدمت لكم من البراهين ﴿أنى رسول الله إليكم﴾ لا شك فى رسالتى ؛ بعد وضوح صدق ، وقيام معجزاتى ﴿فلما زاغوا﴾ مالوا عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ صرفها عن الحق ، وأمالها عن الهداية ؛ عقوبة لهم على زيغهم ، وعدم إيمانهم

(مصدقا لما بين يدى من التوراة) أى مصدقا لما تقدمنى من الأنبياء ، والكتب التى جاءوا بها (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) هو إمام الرسل : نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وهو محمد ، وأحمد ، ومحمود ، وحامد ؛ وله عليه الصلاة والسلام من الأسماء مائتا اسم وواحد ؛ منها : الطاهر ، المطهر ، الطيب ، رسول الرحمة ، المدثر ، المزمل ، حبيب الله ، صفى الله ، نجى الله ، كليم الله ، المحيي ، المنجى ، البشير ، النذير ، النور ، السراج المنير ، البشرى ، الغوث ، الغيث ، نعمة الله ، صراط الله ، سيف الله ، المختار ، الشفيع ، المشفع . وهى مدونة بكتب الحديث والسير ؛ مزينة بها حوائط مسجده الشريف بالمدينة المنورة . (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) (فلما جاءهم) أحمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذى بشروا به . وقيل : الضمير فى «جاءهم» عائد إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه المحدث عنه (بالبينات) بالحجج الظاهرات ، والآيات الواضحات : كفروا به و (قالوا هذا سحر مبين) واضح بين (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن افترى) اختلق (على الله الكذب) بأن كذب بآياته وبرسله (وهو يدعى إلى الإسلام) الذى ينجيه من الضلالة والجهالة ، ويخلصه من ظلمات الكفر (والله لا يهدى) إلى دينه (القوم الظالمين) الذين يدفعون المعجزات بالتكذيب ، والآيات بالإنكار (يريدون ليطفئوا نور الله) أى ليبطلوا نور الحق الذى جاء به محمد ؛ بما يقولونه (بأفواههم) من أنه ساحر ، وأن ماجاء به سحر (ودين الحق) الإسلام ؛ الذى هو حق كله (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) اسم جنس ؛ أى ليظهره على سائر الأديان (ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) لما كان الله تعالى بمنه وكرمه يثيب على الإيمان والعمل الصالح ؛ شبه هذا الثواب ، والنجاة من العذاب بالتجارة ؛ فمن قدم عملا صالحاً : لقى جزاء رابحاً ، ومن قدم إحساناً : لقى جنانا ، ومن أرضى مولاه : أرضاه ربه وكرمه ونعمه ! فلا تجارة أنجح من هذه التجارة ، ولا فوز أربح من هذا الفوز ! (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) مايصلحكم ، وما ينجيكم

ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ

تجرى

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

(٦٢) سُورَةُ الجُمُعَةِ مَدَنِيَّة
وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا

﴿في جنات عدن﴾ جنات الإقامة؛ من عدن بالمكان: إذا أقام فيه ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ أى ويمن عليكم بخصلة أخرى تحبونها؛ وهى النصر، والفتح القريب ﴿وبشر المؤمنين﴾ يا محمد ـ فى الدنيا ـ بالنصر والفتح القريب، وفى الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت «ذلك هو الفوز العظيم» ﴿قال الحواريون﴾ وهم أنصار عيسى عليه السلام، وحُوارى الرجل: خاصته وأنصاره ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين.

(سورة الجمعة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض﴾ أى يقدسه، وينزهه كل شيء فيهما: من ملك، وإنس، وجن، وحيوان، ونبات، وجماد. (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) ﴿الملك﴾ المالك؛ الذى لا ملك سواه، ولا سلطان لمن عداه، ولا سعادة لمن عاداه ﴿القدوس﴾ المنزه عن النقائص ﴿العزيز﴾ الغالب الذى لا يغلب ﴿الحكيم﴾ فى صنعه ﴿هو الذى بعث فى الأميين﴾ الذين لا يقرأون؛ لأن أمة العرب كانوا لا يقرأون ولا يكتبون من بين سائر الأمم. وقيل: «الأميين» نسبة إلى أم القرى مكة زادها الله تعالى شرفاً ﴿رسولا منهم﴾ أى من بنى جلدتهم، ومن جنسهم، أمياً مثلهم: وهو محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام!

مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ

ٱللَّهِ

﴿يتلو عليهم آياته﴾ المنزلة من لدنه؛ بواسطة ملائكته عليهم السلام ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من دنس الشرك، وخبائث الجاهلية ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ الأحكام، ومايليق بذوى الأفهام ﴿وإن كانوا من قبل﴾ إرساله إليهم ﴿لفى ضلال مبين﴾ فقد كانوا يئدون بناتهم خشية الإملاق؛ فعرفهم أن خالقهم قد تكفل بأرزاقهم «نحن نرزقهم وإياكم» وكانوا يرثون النساء ويعضلوهن؛ فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بإكرامهن «لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن» وكانوا يصنعون أصنامهم بأيديهم، ثم يعبدونها. فقبح عملهم، وسفه أحلامهم «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وماتعملون» «أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا» «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» ﴿وآخرين منهم﴾ أى ويعلم آخرين منهم؛ وهم سائر الأمة من بعده؛ فهو عليه الصلاة والسلام المعلم الأول لأمته إلى يوم القيامة، ولله در القائل:

لم يوفق موفق قط إلا
جاءه عن طريقه التوفيق!

﴿لما﴾ لم ﴿يلحقوا بهم﴾ فى السابقة والفضل! وهل يستوى من تمتع بصحبة الرسول، وفاز بطلعته؛ بمن لم يره؟ والمعنى: لم يلحقوابهم، وسيلحقون بهم فى الجنة، أو سيلحقون بهم إذا اهتدوا بهديهم، وساروا على طريقتهم ﴿ذلك﴾ الفضل الذى أسبغه الله تعالى على من فاز بصحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته؛ فذلك ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ يخص به من شاء من عباده ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أى كلفوا علمها والعمل بما فيها ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بما كلفوا به ﴿كمثل الحمار﴾ الذى لايفهم شيئاً ﴿يحمل أسفاراً﴾ إذا حمل كتباً عظاماً؛ فلا ينتفع بما فى هذه الكتب؛ فكذلك هؤلاء اليهود «حملوا التوراة» فكانوا «كمثل الحمار» إذا حمل أسفاراً ﴿قل﴾ يامحمد لليهود ﴿ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله﴾ أحباء له تعالى ﴿فتمنوا الموت﴾ أى إن كنتم أولياء الله وأحباءه ـ كما تزعمون ـ فتمنوا على الله أن يميتكم، وينقلكم إلى جواره فى دار كرامته ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ لأن الكافر والعاصى لا يتمنيان الموت ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعاصى؛ لما ينتظرهم من العقاب على ما قدمت أيديهم (انظر آية ٤٢ من سورة الزمر) ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا؛ فيجازيكم عليه ﴿إذا نودى للصلاة﴾ إذا أذن لها ﴿من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ فى المساجد (انظر آية ٢٧ من سورة الحج)

ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ
ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ
تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

(٦٣) سورة المنافقون مدنية
وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ

﴿وذروا البيع﴾ اتركوا التجارة الخاسرة، واسعوا إلى التجارة الرابحة ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض﴾ امشوا فيها؛ وهو أمر إباحة، لا أمر إلزام ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ رزقه؛ بالسعى فى مصالحكم، أو أريد بفضل الله: العلم ﴿انفضوا﴾ تفرقوا من عندك، وعن الاستماع إلى نصحك ﴿إليها﴾ أى إلى التجارة أو اللهو ﴿وتركوك قائماً﴾ وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة؛ فقدم دحية بن خليفة بتجارة من الشام؛ فقاموا إليه وتركوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قائماً وحده؛ ولم يبق معه غير اثنى عشر رجلا من صحابته عليه الصلاة والسلام ﴿قل ما عند الله﴾ من الأجر والثواب ﴿خير﴾ مما انصرفتم إليه ﴿من اللهو ومن التجارة﴾ لأن الصلاة: مرضاة لله، والله جل شأنه يملك الدنيا والآخرة، ويملك خزائن الأرض والسموات. فإن شاء أبكاكم، وإن شاء أضحككم «وهو الذى أضحك وأبكى» وإن شاء أعطاكم، وإن شاء منعكم «إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» ﴿والله خير الرازقين﴾ ولا رازق سواه أصلا! وإن قيل: فلان يرزق عياله؛ فقد أريد أنه يسعى عليهم من فضل الله!

(سورة المنافقون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إذا جاءك المنافقون﴾ يامحمد ﴿قالوا﴾ نفاقاً ورياء ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم» ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ شهد المنافقون بذلك أو لم يشهدوا ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ فيما يقولون ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ أى اتخذوا شهادتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة: وقاية لهم من القتل والأسر (انظر آية ١٦ من سورة المجادلة) ﴿فصدوا﴾ منعوا الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه القويم ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من نفاقهم وكذبهم. وقد لحقهم السوء ـ فى حياتهم ـ بانكشاف سترهم، وانفضاح أمرهم، وسيلحقهم ـ بعد موتهم ـ فيما يلقونه من العذاب فى قبورهم، وفى الجحيم بعد بعثهم! ﴿ذلك﴾ السوء الذى وقع منهم ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿آمنوا﴾ أى نطقوا بكلمة الشهادة؛ كسائر من يدخل فى الإيمان

ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَا

﴿ثم كفروا﴾ ظهر كفرهم بما أبدوه من نفاقهم . أو قالوا كلمة الإيمان للمؤمنين «وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون» ﴿فطبع الله على قلوبهم﴾ غطى عليها ؛ فلا تقبل الإيمان ؛ بسبب نفاقهم ، وكفرهم بعد إيمانهم . فالطبع على قلوبهم: كان عقوبة لهم ؛ لأن كفرهم سابق على طبع الله تعالى وتغطيته على قلوبهم ؛ و« كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين» ﴿وإذا رأيتهم﴾ أي إذا رأيت هؤلاء المنافقين ﴿تعجبك أجسامهم﴾ لأنهم أصحاء أقوياء ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ لأنهم بلغاء فصحاء ﴿كأنهم﴾ لخلوهم من الفائدة، وحرمانهم من النفع ﴿خشب مسندة﴾ لأنهم أجرام خالية من الإيمان ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ لأنهم جبناء ﴿هم العدو﴾ حقيقة ﴿فاحذرهم﴾ لأنهم يشيعون الذعر في صفوف الجنود ؛ أكثر مما يشيعه الأعداء المحاربون ﴿قاتلهم الله﴾ لعنهم وطردهم من رحمته ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الحق مع وضوحه ؟ ! ﴿لووا رؤسهم﴾ تكبراً ﴿ورأيتهم يصدون﴾ يعرضون ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الإيمان ﴿هم الذين يقولون﴾ للاغنياء ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ من فقراء المؤمنين ؛ الذين يمتون إليهم بالرحم والقرابات ﴿حتى ينفضوا﴾ يتفرقوا عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿ولله﴾ وحده ﴿خزائن السموات والأرض﴾ يعطى منها من شاء ، ويمنع من شاء ﴿ولكن المنافقين﴾ لعمى قلوبهم ﴿لا يفقهون﴾ هذه الحقيقة البديهية؛ ومن غفلتهم أيضاً أنهم ﴿يقولون لئن رجعنا﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿ليخرجن الأعز﴾ الأعظم ، والأقوى ؛ يعنون بذلك أنفسهم ؛ لغناهم وتكبرهم ﴿منها﴾ أي من المدينة ﴿الأذل﴾ الأضعف . عنوا بذلك المؤمنين ؛ لفقرهم وتواضعهم ﴿ولله﴾ وحده ﴿العزة﴾ الغلبة والقوة ؛ يهبهما لمن شاء من عباده ﴿ولرسوله﴾ أيضاً العزة ؛ يضفيها على أتباعه ﴿وللمؤمنين﴾ وليست لكم ؛ لأن العزة لا تكون إلا لله وبالله ؛ وأنتم عنه بعداء !

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ لا تشغلكم ﴿أموالكم﴾ وجمعها والحرص عليها ﴿ولا أولادكم﴾ وفرط الرغبة فى إسعادهم؛ مضحين فى سبيل ذلك بأوامر ربكم، وبما فرضه عليكم من الإنفاق والبذل؛ ناسين وعده بالاخلاف والأجر؛ فلا يلهكم الانشغال بذلك ﴿عن ذكر الله﴾ تذكره، وخشيته؛ وإطعام الفقير فى سبيله، وإنفاق المال على حبه! ﴿ومن يفعل ذلك﴾ فيتلهى بجمع المال، وحفظه للعيال ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ لأموالهم ولآخرتهم؛ بل ولأولادهم أيضاً! فكم قد رأينا من أبناء الأغنياء، من أضاع ماجمعه الآباء؛ فيما يغضب الله تعالى من اللذات والشهوات. وبعد ذلك صاروا عالة على المجتمع: يتكففون الناس، ولايجدون قوت يومهم! وما ذاك إلا من سوء نيات آبائهم، وبعدهم عن مرضات ربهم! وكم قد رأينا من أبناء الفقراء: من أضحوا - بين عشية وضحاها - سادة؛ بل قادة! وما ذاك إلا من اتباع آبائهم لدينهم، واستماعهم لنصح ربهم! وتذكر هداك الله قول الحكيم العليم «وكان أبوهما صالحا» فاحرص - كفيت ووقيت - على إرضاء مولاك؛ فيقيك الضر والفقر، ويحفظ عليك دينك وبدنك وعيالك؛ ويقيهم المذلة من بعدك، ويحسن دنياك وآخرتك! فياسعادة من جعل ماله ذخراً له عند ربه، وجعل الله تعالى ذخراً لولده من بعده! ﴿وأنفقوا مما رزقكم﴾ كما أمركم ﴿من قبل أن يأتى أحدكم الموت﴾ أى أسبابه ومقدماته ﴿فيقول رب لولا﴾ هلا ﴿أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق﴾ كما أمرت ﴿وأكن من الصالحين﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: ماقصر أحد فى الزكاة والحج، إلا سأل الرجعة عند الموت. نعوذ بالله تعالى من ذلك! ﴿والله خبير بما تعملون﴾ من خير أو شر؛ فيجزيكم عليه.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

(٦٤) سُورَةُ التَّغَابُنِ مَدَنِيَّة وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى

(سورة التغابن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أى كل شىء فيهما: من ملك، وإنسان، وحيوان، وجماد (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) ﴿له﴾ وحده ﴿الملك﴾ والملكوت، وهو وحده المتصرف فيه؛ لا شريك له ﴿وله الحمد﴾ على كل حال ﴿هو الذى خلقكم﴾ من نفس واحدة

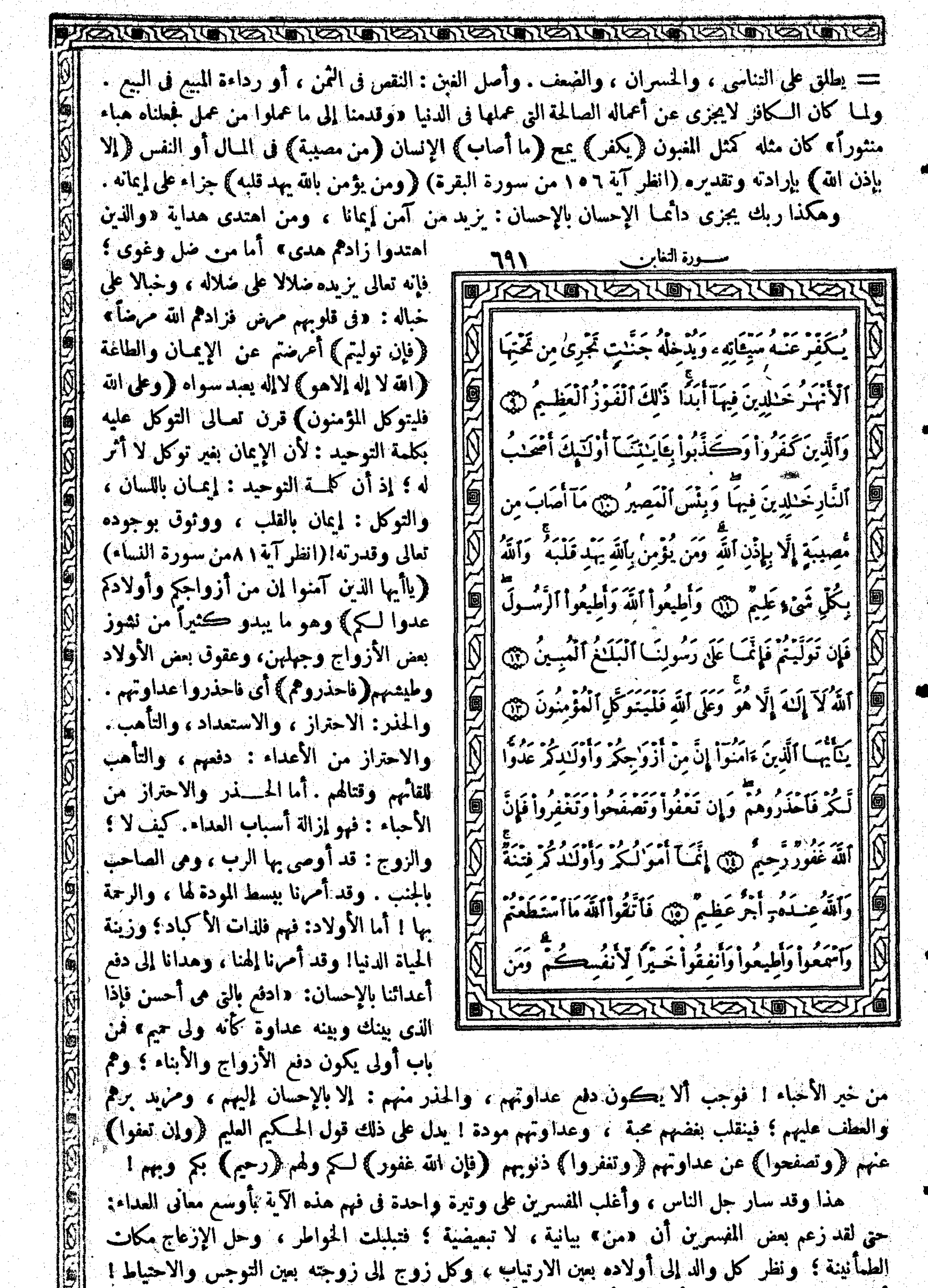
خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا

يُكَفِّرْ

﴿فمنكم كافر﴾ بخالقه ، منكر لرازقه ﴿ومنكم مؤمن﴾ به ، موحد له ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فعاقبكم على الكفران ، ومثيبكم على الإيمان .

وقد ذهب قوم - غفر الله تعالى لهم - إلى أن الله تعالى خلق هذا كافراً ، وخلق هذا مؤمناً ؛ وبذلك يكون - أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين - قد ألزم الكافر بالكفر ، وألزم المؤمن بالإيمان ؛ وهذا المعنى - رغم فساده وإفساده - فإنه يتنافى مع قول العزيز الجليل «والله بما تعملون بصير» فأذع - أيها المؤمن اللبيب - فساد هذا المعنى ، وقبحه ، وتمسك بما نقول : تحظ بالقبول ! وتذكر قول الحميد المجيد «وما أنا بظلام للعبيد» «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» .

قال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : «أتظن أن الذى نهاك دهاك ؟ إنما دهاك أسفلك وأعلاك ؛ وربك برىء من ذاك ! وإذا كانت المعصية حتماً ؛ فالعقوبة عليها ظلماً ! » ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ لا يستطيع إنسان - بالغاً ما بلغ من الكفر والعناد - أن يرى فى تصوير الآدمى نقصاً أو اعوجاجا ؛ وإن الإنسان لو تأمل فى يده - مثلا - ورأى أنها كيف تنقسم إلى خمسة أصابع ، وكيف أن كل أصبع من هذه الأصابع ينقسم إلى عدة مفاصل: لما وسعه إلا أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين! وأين اليد وحسنها ؛ من الوجه ودقة تصويره ، وبديع تنسيقه ؟ حقاً إن دقة هذا الصنع ، وإحكام هذا الوضع ؛ ليشهدان لمبدعهما بالقدرة والوحدانية والربوبية . فنعم الخالق ، ونعم المصور ! ﴿وإليه المصير﴾ المرجع؛ فيثيب الطائع ، ويعذب العاصى ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ بما فى القلوب ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ الوبال : الهلاك . أى ذاقوا الهلاك ؛ الذى هو عاقبة بغيهم ، وعقوبة كفرهم ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحات ، والآيات الظاهرات ﴿فقالوا أبشر يهدوننا﴾ يالعجب؛ ينكرون رسالة البشر، ويؤمنون بربوبية الحجر! ﴿فكفروا﴾ بالمعجزات والآيات ﴿وتولوا﴾ انصرفوا عن الإيمان ﴿واستغنى الله﴾ عنهم وعن إيمانهم ﴿والله غنى﴾ عن سائر المخلوقات ﴿حميد﴾ محمود فى كل أفعاله ﴿زعم الذين كفروا ألن يبعثوا﴾ يعادوا للحساب والجزاء يوم القيامة ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أى تجزون عليه : إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر ﴿والنور الذى أنزلنا﴾ هو القرآن الكريم ؛ وهذا الاسم من أجل أسمائه ؛ إذ أن النور: يستضاء به فى الظلمات ، والقرآن الكريم: ينير القلوب ، ويمحو الشبهات ، ويهدى إلى الجنات ! ﴿ذلك يوم التغابن﴾ أى يوم غبن الكافر ، وضعفه ، وخسارته ، وحسرته . أو هو يوم التناسى: أى نسيان الكافر من الرحمة والنعمة . والتغابن =



= يطلق على التناسى ، والخسران ، والضعف . وأصل الغبن : النقص فى الثمن ، أو رداءة المبيع فى البيع .
ولما كان الكافر لايجزى عن أعماله الصالحة التى عملها فى الدنيا «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» كان مثله كمثل المغبون ﴿يكفر﴾ يمح ﴿ما أصاب﴾ الإنسان ﴿من مصيبة﴾ فى المال أو النفس ﴿إلا بإذن الله﴾ بإرادته وتقديره (انظر آية ١٥٦ من سورة البقرة) ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ جزاء على إيمانه .
وهكذا ربك يجزى دائماً الإحسان بالإحسان : يزيد من آمن إيماناً ، ومن اهتدى هداية «والذين

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن

اهتدوا زادهم هدى» أما من ضل وغوى ؛ فإنه تعالى يزيده ضلالا على ضلاله ، وخبالا على خباله : «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً» ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان والطاعة ﴿الله لا إله إلا هو﴾ لا إله يعبد سواه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ قرن تعالى التوكل عليه بكلمة التوحيد : لأن الإيمان بغير توكل لا أثر له ؛ إذ أن كلمة التوحيد : إيمان باللسان ، والتوكل : إيمان بالقلب ، ووثوق بوجوده تعالى وقدرته! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ وهو ما يبدو كثيراً من نشوز بعض الأزواج وجهلهن ، وعقوق بعض الأولاد وطيشهم ﴿فاحذروهم﴾ أى فاحذروا عداوتهم . والحذر: الاحتراز ، والاستعداد ، والتأهب . والاحتراز من الأعداء : دفعهم ، والتأهب للقائهم وقتالهم . أما الحذر والاحتراز من الأحباء : فهو إزالة أسباب العداء . كيف لا ؛ والزوج : قد أوصى بها الرب ، وهى الصاحب بالجنب . وقد أمرنا ببسط المودة لها ، والرحمة بها ! أما الأولاد: فهم فلذات الأكباد ؛ وزينة الحياة الدنيا ! وقد أمرنا إلهنا ، وهدانا إلى دفع أعدائنا بالإحسان: «ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» فمن باب أولى يكون دفع الأزواج والأبناء ؛ وهم من خير الأحباء ! فوجب ألا يكون دفع عداوتهم ، والحذر منهم : إلا بالإحسان إليهم ، ومزيد برهم والعطف عليهم ؛ فينقلب بغضهم محبة ، وعداوتهم مودة ! يدل على ذلك قول الحكيم العليم ﴿وإن تعفوا﴾ عنهم ﴿وتصفحوا﴾ عن عداوتهم ﴿وتغفروا﴾ ذنوبهم ﴿فإن الله غفور﴾ لكم ولهم ﴿رحيم﴾ بكم وبهم !

هذا وقد سار جل الناس ، وأغلب المفسرين على وتيرة واحدة فى فهم هذه الآية بأوسع معانى العداء : حتى لقد زعم بعض المفسرين أن «من» بيانية ، لا تبعيضية ؛ فتبلبلت الخواطر ، وحل الإزعاج مكان الطمأنينة ؛ ونظر كل والد إلى أولاده بعين الارتياب ، وكل زوج إلى زوجته بعين التوجس والاحتياط ! ألم يقل الله تعالى: «إن من أولادكم وأزواجكم عدواً لكم فاحذروهم» ألم تر بعض شرار الأبناء يقتلون =

= آباءهم ، وبعض الفاجرات يكدن لأزواجهن ؛ بما يصل إلى حد الإيقاع بهم ظلماً ، أو دس السم فى طعامهم ؟ ! ألم يناد نوح ابنه للنجاة ؛ فأبى إلا اتباع الطغاة ؟ وامرأة نوح ، وامرأة لوط ؛ ألم تكونا من أعداء زوجيهما وأعداء الله ؟

كل هذا ساعد على فهم هذه الآية ذلك الفهم الخاطىء ؛ الذى لا يحتمله كتاب الله تعالى ولا يرتضيه سبحانه لمعانى كلامه المجيد ! فقد أنزل تعالى كتابه لتهدأ النفوس لا لتنزعج ، ولتطمئن القلوب لا لترتاع ! والشر كما يأتى من شرار الأبناء : فقد يأتى من شرار الآباء! وكما يأتى من شرار الزوجات: فإنه قد يأتى من شرار الأمهات !

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(٦٥) سُورَةُ الطلاق مَدَنِيَّة وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

ولكنا لو تفهمنا هذه الآية بالعقل السليم، وعلى ضوء المنطق المستقيم ، وعلى هدى الكتاب الكريم : لوجدنا أنها بعيدة كل البعد عن هذا الفهم ، وهذا الزعم. وكيف يثير الحكيم العليم العداوة بين الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ؛ ويفرض وجود العداوة بينهم فرضاً لا مرية فيه ، ووجوب الحيطة والحذر منهم ؛ وهو جل شأنه القائل «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» فالأساس السكن والتراحم ، لا العداء والبغضاء ! وقد بان لنا من ذلك أن العداء المشار إليه فى الآية ليس بالعداء الحقيقى الذى يكون بين الألداء ! يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين «لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله» فالذى يلهى عن ذكر الله تعالى هو العدو المبين ؛ الواجب الحيطة ، المستوجب الحذر ! فهل معنى ذلك أن الأبناء من الأعداء المستوجبين للحيطة والحذر؟! ويقول جل شأنه أيضاً : «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين» والمزين هو الشيطان الواجب مخالفته ، المفروض محاربته ؛ فهل معنى ذلك أن قربان الزوجة إثم ؛ لأنه من الشهوات ؟ وحب البنين جرم ؛ لأنه مما زينه الشيطان ؟ !

وإنما أراد الله تعالى بهذه الآية الشريفة : أن من الأولاد والأزواج من يفعل بكم ما يفعله الأعداء : من تعويقكم عن الذكر والطاعات ! أليس الولد مجبنة مبخلة كما يقولون ؟ وأى جرم أشد من الجبن ، وأى إثم أحط من البخل ؟

وقد أريد بهذه الآية الكريمة : الاحتياط من الانشغال عن الطاعات بالملذات ، والحذر من الاشتغال بحب الأولاد عن حب الله تعالى والحرص على العبادات ! وأى عدو أعدى من المخلوق الذى يشغل عن الخالق ، والمرزوق الذى يصرف عن الرازق ؟! =

= وكن وسطا فى حبك ، وسطاً فى ميلك ! هداك الله تعالى ! إلى صراطه المستقيم !

ومن قبل زعم المفسرون أن سليمان ـ وهو من خيرة الأنبياء ـ قتل بضعة آلاف من الخيل لأنها عطلته عن صلاة العصر ؛ عند قوله تعالى «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» وهى فرية على سليمان عليه السلام افتراها اليهود الأفاكون الملاعين !

وهذا لا يمنع من وقوع بعض الهنات ، من الأبناء والزوجات ؛ وهو الذى أشار إليه المولى جل وعلا بقوله «وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم» .

أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

وقد أشار المولى الكريم إلى المعنى الذى أشرنا إليه آنفا وعضدناه بشتى الحجج والآيات بقوله عز وجل (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء ومحنة ؛ يوقعونكم فى الإثم من حيث لا تشعرون (فاتقوا الله) خافوه ، واعملوا بأوامره (واسمعوا) نصح القرآن (وأطيعوا) داعى الرحمن (وأنفقوا خيراً لأنفسكم) وأى خير ينال الإنسان : أسمى من الإحسان ؟ وأى خير يحتسبه المؤمن عند ربه : أفضل من الإنفاق ؟! فأنفق أيها المؤمن ـ جهد طاقتك ، ووسع مالك ـ فذلك خير لك فى دنياك ، وسعادة دائمة لك فى أخراك ! «وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» (ومن يوق شح نفسه) الشح : اللؤم ، وأن تكون النفس كزة حريصة على المنع . أما البخل : فهو المنع نفسه . والمراد هنا : بخل النفس بالزكاة والصدقة ، بدليل قوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضاً حسنا) عبر تعالى عن المتصدق بالمقرض؛ وذلك إثباتاً لحقه فى الوفاء له بالأجر. وجعل تعالى نفسه مقترضاً : ليطمئن المقرض إلى رد ما بذله إليه . لأنه كلما كان الملتزم مليئاً : كان الوفاء محققاً ؛ فما بالك والمقترض ملك الملوك ، وأغنى الأغنياء ؛ وقد وعد بالوفاء وفوق الوفاء ؛ فقال تعالى (يضاعفه لكم) وينميه (ويغفر لكم) ذنوبكم ؛ زيادة على مضاعفة أجوركم ! ومن ذلك نعلم أن الصدقة : ترضى الرب ، وتمحو الذنب «إن الحسنات يذهبن السيئات» (والله شكور) كثير المجازاة على الطاعات (حليم) يعفو عن السيئات (عالم الغيب والشهادة) ماخفى ، وما ظهر ؛ وهو (العزيز) فى ملكه : يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء (الحكيم) فى صنعه !

(سورة الطلاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فطلقوهن لعدتهن) أى مستقبلات لها . والمراد ألا تطلق المرأة إلا فى طهر لم تجامع فيه ، ثم تخلى =

فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾

= حتى تنقضي عدتها ﴿وأحصوا العدة﴾ اضبطوها؛ فلا تزيدوا عليها، ولا تنقصوا منها ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ حتى تنقضي عدتهن ﴿ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ هي الزنا: تخرج من بيتها لحتفها؛ تخرج لترجم؛ إذ ما فائدة إحصاء العدة مع زناها؟ فربما علقت من الزاني بها ﴿وتلك﴾ الأوامر هي ﴿حدود الله﴾ التي لا يجوز تجاوزها ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها للعقاب ﴿لا تدري﴾ أيها المطلق ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك﴾ الطلاق ﴿أمراً﴾ أي لعل الله - وهو مقلب القلوب - يقلب قلبك من بغضها إلى محبتها، ومن طلاقها إلى رجعتها؛ فتراجعها وهي في بيتك، وتحت كنفك ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي قاربن انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ راجعوهن؛ إن أردتم ﴿بمعروف﴾ بغير قصد إلحاق الضرر بهن بتلك المراجعة ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ على المراجعة، أو الطلاق. هذا وقد أجمع الفقهاء على وقوع الطلاق بمجرد إرادته والنطق به. وقد جرى العمل على ذلك في صدر الإسلام؛ وبذلك يكون المراد بالإشهاد: الإشهاد على المراجعة دون الطلاق. وقد خالف الشيعة الإجماع، وزعموا أن الطلاق بدون إشهاد: لغو، لا يقع، ولا يعتد به. وقد رأى بعض مفكري هذا العصر: منع وقوع الطلاق إلا أمام القاضي؛ وهو رأي فاسد يأباه صريح القرآن، وما سار عليه السلف الصالح من الأمة؛ فالطلاق يقع - بلا قيد ولا شرط - متى رغب الزوج في إيقاعه؛ ولا تستطيع قوة على ظهر الأرض منعه من هذا الحق الذي جعله الله تعالى متنفساً للزوجين (انظر مبحث الطلاق بآخر الكتاب) ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي أدوا الشهادة لوجهه تعالى؛ لا من أجل المطلق أو المطلقة ﴿ذلكم يوعظ به﴾ أي تلك الأحكام يتعظ بها وينتفع ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ القيامة، وما فيها من حساب وجزاء ﴿ومن يتق الله﴾ في أموره ﴿يجعل له مخرجا﴾ من كرب الدنيا والآخرة ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أي من حيث لا يخطر بباله. أو المراد «ومن يتق الله» في معاملة أزواجه، ويتبع ما أمره الله تعالى به؛ في طلاقهن، أو إمساكهن «يجعل له مخرجا» بأن يقيم له اعوجاجها إذا أمسكها، أو يبدله خيراً منها إذا طلقها «ويرزقه» مهراً ونفقة «من حيث لا يحتسب» عن الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إني لأعرف آية لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم؛ وهي: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي كافيه. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصاً وتروح بطاناً» (انظر آية ٨١ من سورة النساء) =

= ﴿إن الله بالغ أمره﴾ منفذ أمره ومراده ﴿قد جعل الله لكل شيء﴾ شرعه ؛ كالطلاق ، والعدة ونحوهما ﴿قدراً﴾ زمنا لازما ؛ لايجوز نقصانه ﴿واللائى يئسن من المحيض﴾ لكبر سنهن ﴿إن ارتبتم﴾ أى إن شككتم فى عدتهن ، أو إن شككتم فيما ينزل منهن : أهو حيض ، أم استحاضة ؟ ﴿واللائى لم يحضن﴾ لصغرهن ؛ فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا ﴿وأولات الأحمال﴾ النساء الحوامل ﴿أجلهن﴾ انتهاء عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ أن يلدن؛ ولو بعد الطلاق بدقائق معدودات ﴿ومن يتق الله﴾ فى أموره كلها ﴿يجعل له من أمره يسراً﴾ فيهون عليه كل شيء أراده : زواجا، أو طلاقا ، أو غير ذلك ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته﴾ ﴿ويعظم له أجراً﴾ فى الآخرة ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ أى مثل سكناكم ، أو مكاناً من نفس مسكنكم ﴿من وجدكم﴾ أى وسعكم ، وقدر طاقتكم ﴿ولا تضاروهن﴾ فى المسكن ﴿لتضيقوا عليهن﴾ وليفتدين أنفسهن منكم ﴿فآتوهن أجورهن﴾ أى أنفقوا عليهن مدة الرضاع ﴿وأتمروا بينكم بمعروف﴾ أى ليكن أمركم بينكم بالمعروف : فى شأن النساء ، وإرضاع الأولاد؛ فلا يأمر أحدكم بظلم المرضع المطلقة ، وهضم حقوقها ، والنيل منها ؛ ومن كان متكلما فليقل خيراً أو ليصمت . أو هو أمر للآباء والأمهات بأن يفعلوا ما يجب عليهم بما يليق بالسنة ، وتقتضيه المروأة ؛ فيبذل الأب أعلى ما يستطيع ، وتقبل الأم أدنى ما تستطيع ؛ وذلك لأنهما شريكان فى الرضيع ﴿وإن تعاسرتم﴾ أى تشددتم ؛ كأن تتغالى الأم فى زيادة النفقة ، أو يتغالى الأب فى الشح بها ﴿فسترضع له أخرى﴾ هذا منتهى العتاب للأم على المعاسرة ؛ أى فستقبل امرأة أخرى أن ترضع الصغير ؛ وهى ليست له بأم ! ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾ أى لينفق ذو غنى من غناه ، الذى وسع به عليه الله ! ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ أى ضيق عليه ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ أى ما أعطاها من الرزق ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ هو وعد من الله تعالى بالتيسير على من أنفق قدر طاقته ووسعه . كأن سائلا سأل : ذاك الموسع عليه قد أنفق من سعته ؛ فما بال من ضيق عليه يؤمر بالإنفاق ؟ فجاءت الإجابة على هذا السؤال ، من لدن ذى الجلال : إن الإنفاق ما هو إلا علاج للاملاق «سيجعل الله بعد عسر يسراً» «ومن أصدق من الله قيلا !» (انظر الآيات ٢٦٧ — ٢٧٤ من سورة البقرة) ﴿وكأين من قرية﴾ وكم من قرية ﴿عتت﴾ تمردت ﴿وعذبناها عذاباً نكراً﴾ منكراً عظيما ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ أى ذاقت الهلاك ؛ الذى هو عاقبة أمرها ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ أى خسراناً وهلاكا ﴿يا أولى الألباب﴾ يا ذوى العقول ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ هو القرآن الكريم ﴿رسولا﴾ أى =

رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

(٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّة وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

= وأرسل إليكم رسولا . ويجوز أن يكون المعنى «قد أنزل الله إليكم ذكراً» أى شرفاً عظيما : «رسولا» من لدنه (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (قد أحسن الله له رزقاً) فى الجنة «فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب» (يتنزل الأمر) بالوحى والأرزاق ، والإحياء والإفناء (بينهن) أى بين السموات والأرض !

٦٩٦ الجزء الثامن والعشرون

الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

يَقُولُونَ

(سورة التحريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قيل : إنه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب عسلا عند زينب بنت جحش ؛ فأدرك أمهات المؤمنين - من الغيرة - ما يدرك سائر النساء من البشر : فتواطأت عائشة وحفصة على أن يقولا له : إنا نشم منك ريح المغافير - وهو صمغ كريه الرائحة يغش به العسل - فلما سمع منهما ذلك : حرم العسل على نفسه ؛ فنزلت هذه الآية . وقيل : حرم على نفسه مارية أم ولده إبراهيم مرضات لحفصة (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم ما تتحللون به من أيمانكم ؛ وهو الكفارة (والله مولاكم) يتولاكم برعايته وتدبيره وإرشاده (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) حفصة (حديثاً) هو تحريم العسل ؛ أو مارية القبطية (فلما نبأت به) أى أخبرت بهذا الحديث عائشة رضى الله تعالى عنها (وأظهره الله عليه) أى أطلعه على هذا الإنباء (عرف) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حفصة (بعضه) عرف بعض الذى أفشته من سره عليه الصلاة والسلام (وأعرض عن بعض) فلم يعرفها أنه قد اطلع عليه . وقيل «عرف» بمعنى عاتب ، وآخذ (إن تتوبا إلى الله) قيل : المعنى : هلا تتوبا إلى الله (فقد صغت قلوبكما) أى أمالت إلى ما كرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ من اجتناب العسل ، أو تحريم مارية (وإن تظاهرا عليه) أى تتعاونا على إيذائه ، وحب مايكره (فإن الله هو مولاه) أى وليه وناصره (وجبريل) أيضاً (وصالح المؤمنين) أى والصالحون من المؤمنين (والملائكة بعد ذلك ظهير) أى والملائكة - على كثرتهم وقوتهم - بعد نصر الله تعالى له أعواناً (عسى ربه إن طلقكن) بسبب مابدا منكن (أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) لايتظاهرن عليه ، ولا يتآمرن ، ولا يفشين سره لغيره (مسلمات مؤمنات قانتات) مطيعات (سائحات) صائمات والسائح : الصائم الملازم للمساجد (ثيبات وأبكارا) حسبما يريد ، وكيفما شاء (انظر آية ١٢٥ من سورة البقرة) (ياأيها الذين =

= آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) أى اعملوا الأعمال الصالحة ، وائتمروا بالأوامر ، واجتنبوا النواهى ، وأمروا أهليكم بها ، وألزموهم الطاعة والعبادة ؛ لتتقوا بذلك النار ؛ التى (وقودها الناس) الكافرون والمخالفون (والحجارة) وذلك لأن جهنم من قوتها وشدتها : تذيب الحجارة (عليها ملائكة) هم خزنتها عليهم السلام؛ وعدتهم تسعة عشر (غلاظ) على أهل النار (شداد) أقوياء ؛ لايمنعهم مانع ، ولا يدفعهم دافع (لايعصون الله ما أمرهم) به من البطش والتنكيل بالكافرين ! (ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أى توبة صادقة خالصة . والتوبة النصوح : أن يتوب عن الذنب ؛ فلا يعود إليه . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هى الاستغفار باللسان ، والندم بالجنان ، والإقلاع بالأركان (عسى ربكم) إن تبتم (أن يكفر) يمحو (نورهم يسعى بين أيديهم) أمامهم (وبأيمانهم) حواليهم (انظر آية ١٢ من سورة الحديد) (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) بإدخالنا الجنة (ياأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف والسنان (والمنافقين) بالحجة والبيان (واغلظ عليهم) شدد عليهم بالحدود (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) فى الدين والمعاشرة؛ فقد كانت امرأة نوح تقول لقومه : إنه مجنون وكانت امرأة لوط تدعو قومه إلى إذاية أضيافه (انظر آية ٤٦ من سورة هود) (فلم يغنيا) أى لم يدفع نوح ولوط (عنهما من الله) من عذابه (شيئاً) ولم ينفعهما أن كان زوجاهما من الأنبياء ، ومن خيرة خلق الله تعالى ، وأقربهم لديه (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) حفظته (فنفخنا فيه) أى نفخ جبريل فى فرجها بأمرنا (من روحنا) المخلوقة لنا ؛ قال تعالى «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى» يهبها لمن يشاء إحياءه . أو المراد : نفخنا فى فرجها بواسطة روحنا ؛ الذى هو جبريل . وقد تأول قوم الفرج هنا : بالخرق ، أو الفتق فى درع مريم ؛ وهو ليس بشىء . وإنما ألجأهم إلى هذا التأويل : خشية أن يقول قائل : إنما كانت ولادتها لعيسى عن الطريق المعهود لسائر من يولد من البشر (وصدقت) آمنت (بكلمات ربها) شرائعه ، وأحكامه ، وأوامره ، ونواهيه . أو المراد «بكلمات ربها» عيسى عليه السلام ؛ لأنه كلمة الله ؛ يؤيده قراءة من قرأ «بكلمة ربها» (وكتبه) أى وآمنت بكتبه . يعنى التوراة والإنجيل ، وما أنزل من قبل (وكانت من القانتين) المطيعين العابدين .

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

(ســــورة الملك)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك﴾ تعالى وتقدس عن صفات المخلوقين ﴿الذى بيده﴾ أى تحت تصرفه، وطوع إرادته، ورهن مشيئته ﴿الملك﴾ السلطان والقدرة ﴿الذى خلق الموت﴾ فى الدنيا ﴿والحياة﴾ فى الآخرة؛ أو خلقهما فى الدنيا؛ لأن إيجاد الحياة فى النطفة: إحياء لما يتخلق منها ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ويمتحنكم ﴿أيكم أحسن عملا﴾ فيجزيه فى الدنيا، ويحييه فيها حياة طيبة، ويكرمه فى الأخرى وينعمه ﴿وهو العزيز﴾ القادر على الإكرام، وعلى الانتقام ﴿الغفور﴾ لمن تاب وأناب ﴿الذى خلق سبع سموات طباقا﴾ مطابقة؛ بعضها فوق بعض ﴿ما ترى فى خلق الرحمن﴾ أى فى مخلوقاته: صغيرها وكبيرها، حقيرها وجليلها، نفيسها وخسيسها ﴿من تفاوت﴾ التفاوت: عدم التناسب والتناسق ﴿فارجع البصر﴾ أى رده إلى مصنوعات الله تعالى ﴿هل ترى من فطور﴾ أى هل ترى من عيب أو خلل. والفطر: الشق ﴿ثم ارجع البصر﴾ عاوده ﴿كرتين﴾ مرة بعد مرة، وكرة بعد كرة ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ أى يرجع إليك بصرك ذليلا حسيراً. والمعنى: أن بصرك لن يرى عيباً ولا خللا؛ مهما بحث ونقب عن عيب أو خلل! ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ السماء الأولى، القريبة من الأرض ﴿بمصابيح﴾ بكواكب؛ هى منها بمثابة المصابيح المضيئة؛ وهى النجوم ﴿وجعلناها﴾ أى جعلنا هـــذه النجوم ـ فضلا عن كونها مصابيح تضىء لكم ـ ﴿رجوما للشياطين﴾ بأن ينفصل شهاب من النجم ـ كالقبس من النار ـ فيمحق الشيطان الصاعد لاستراق السمع ﴿وأعتدنا لهم﴾ أى أعددنا للشياطين

(٦٧) سُورَةُ المُلْكِ مَكِّيَّة وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا

شَهِيقًا

شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ

﴿سمعوا لها شهيقاً وهي تفور﴾ أي سمعوا لها صوتاً منكراً، وهي تغلي بهم ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ جعلت كالمغتاظة؛ استعارة لشدة غليانها بهم، وإيلامها لهم ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ الملائكة الموكلون بها ﴿ألم يأتكم نذير﴾ رسول ينذركم ما أنتم عليه الآن من العذاب ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ فبعدا لهم عن رحمة الله ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يخافونه قبل معاينة العذاب، ويؤمنون به من غير أن يرونه ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بخفايا القلوب؛ لأنها من خلقته تعالى، ويعلم ما تهجس به ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف﴾ بعباده ﴿الخبير﴾ بخلقه ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ لينة، سهلة، مذللة ﴿فامشوا في مناكبها﴾ في جوانبها ونواحيها؛ طلباً للرزق ﴿وكلوا من رزقه﴾ الذي يرزقكم به ﴿وإليه النشور﴾ مرجعكم بعد بعثكم ﴿أأمنتم﴾ إن عصيتم ﴿من في السماء﴾ «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم» ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ بعد أن جعلها لكم ذلولا، تمشون في مناكبها، وتأكلون من رزقه: يخسفها بكم - لكفرانكم بتلك النعم - كما خسفها بقارون ﴿فإذا بها﴾ بعد استقرارها ﴿تمور﴾ تضطرب وتتحرك، ثم تنقلب بكم؛ فتدفنكم في جوفها ﴿حاصباً﴾ حجارة من السماء، أو ريحاً ترمي بالحصباء؛ وهي الحصى ﴿فستعلمون﴾ وقتذاك ﴿كيف نذير﴾ أي كيف كان إنذاري لهم بالعذاب، وكيف تحقق ذلك الآن!

كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ

أَهْلَكَنِيَ

(ولقد كذب الذين من قبلهم) من الأمم السابقة (فكيف كان نكير) أى كيف إنكارى لهم على هذا التكذيب؛ بإنزال العذاب بهم، وإهلاكهم (أولم يروا) من دلائل قدرتى ووحدانيتى (إلى الطير فوقهم) فى جو السماء (صافات) باسطات أجنحتهن (ويقبضن) يضممنها إذا ضربن بها جنوبهن (ما يمسكهن) حال طيرانهن فى الهواء (إلا الرحمن) لأنه تعالى مسخر الهواء؛ ولو شاء لأمسكه؛ فلا يجدى الطائر طيرانه، ولم تفده أجنحته؛ مهما قبضها أو بسطها؛ وكيف لا يمسك الطير حال طيرانه؛ من يمسك الفلك حال دورانه، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه! (أمن هذا الذى هو جند لكم) يعنى إذا علمتم أنه تعالى قادر على أن يخسف بكم الأرض فيهلككم، وأن يرسل عليكم حاصباً فيفنيكم؛ فمن هذا الذى هو جند لكم: تلجأون إليه، وتحتمون به؟ (أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك) الله تعالى عنكم (رزقه) الجواب: لأحد. ولكن الكافرين لايسمعون، ولا يعقلون (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) عناد واستكبار (ونفور) من الإيمان، واتباع الطريق السوى (أفمن يمشى مكباً على وجهه) ساقطاً على وجهه؛ يتعثر فى كل خطوة؛ لما هو فيه من الظلام. وهو مثل ضربه الله تعالى للكافر. أى أهذا الذى يمشى مكباً على وجهه؛ يتعثر فى ظلمات الكفر والجهل (أهدى أمن يمشى سويا) مستوياً معتدلا؛ يرى بنور الله، ونور الإيمان (على صراط) طريق (مستقيم) وهو الإسلام. وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن. فالكافر «يمشى مكباً على وجهه» والمؤمن «يمشى سوياً على صراط مستقيم» (قل هو الذى أنشأكم) من لاشىء، ومن غير مثال سبق (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) خص الله تعالى بالذكر هذه الحواس: لأنها مناط العلم، وأداة الفهم (ذرأكم) خلقكم (وإليه تحشرون) يوم القيامة؛ للحساب والجزاء (ويقولون متى هذا الوعد) أى متى يكون الحشر والجزاء الذى تعدنا به؟ (قل إنما العلم عند الله) «إليه يرد علم الساعة» (وإنما أنا نذير) أى منذر بوقوعها، ومايحدث فيها (مبين) بين الإنذار، واضحه «فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر!» (فلما رأوه) أى الحساب والعقاب يوم القيامة (زلفة) قريباً. والزلفة والزلفى: القربى والمنزلة (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءها رؤية العذاب؛ فاسودت وعلتها الكآبة، وغشيتها القترة (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) أى تذكرون ربكم وتطلبون منه أن يعجله لكم. وقرىء «تدعون» من الدعاء؛ أى تطلبون. قال تعالى «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» =

﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ قرن تعالى التوكل عليه؛ بالإيمان به. والتوكل على الله تعالى: من موجبات رحمته، وعزائم مغفرته! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي غائراً، ذاهباً في الأرض ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار، تراه العين؛ يصل إليه من أراده.

(سورة القلم)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

(٦٨) سُورَةُ القَلَمِ مَكِّيَّة
إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾

﴿نٓ﴾ قيل: إنه إشارة إلى الدواة، وما بعدها القلم ﴿والقلم﴾ وما بعده الكتابة ﴿وما يسطرون﴾ أما ماقيل من إن «نٓ» اسم للحوت، الذي يحمل الثور، الذي يحمل الأرض فهو قول بادي التحريف، واضح التصحيف. ولعل المراد بالقلم: القلم الذي تكتب به الملائكة وما يسطرونه - بأمر الله تعالى - من أرزاق العباد وآجالهم. وفي القسم بالقلم والكتابة: إعلاء لشأن الكاتبين، ودعوة إلى تعلم الكتابة ومحاربة الأمية. وحسبك دليلا على شرف القلم: أنه يقيم الدول ويقعدها، ويزلزل الممالك ويوطدها. وما تقدم قسم: جوابه ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أي ما أنت يامحمد - وقد أنعم ربك عليك بالنبوة والرياسة العامة - بمجنون كما يدعون ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ لثواباً غير مقطوع ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ياله من شرف رفيع، وقدر منيع؛ لم يخطر على قلب بشر، ولم يطمح لإدراكه إنسان، ولم يدرك شأوه مخلوق: رب العزة يصف محمد بن عبد الله بأنه على خلق عظيم! فأي فضل شمل الله تعالى به نبيه! وأي مقام رفع إليه عبده، ورسوله، وصفيه وخليله؟!

وقد كان من خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم: العلم، والحلم، والعدل، والصبر، والشكر، والزهد، والعفو، والتواضع، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والرحمة، والوقار، وحسن الأدب والمعاشرة؛ إلى ما لا حد له من الأخلاق المرضية، والخلال العلية؛ التي اختصه بها خالقه جل شأنه!

وحقا إن المادحين مهما وصفوا وبالغوا في مدح الرسول؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ فلن يصلوا إلى بعض ما بلغه من شرف مدح الله تعالى له؛ ولله در القائل:

يامصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما ... أثنى على أخلاقك الخلاق؟!

=

= وهو عليه الصلاة والسلام: خاتم المرسلين وإمامهم ، وشفيع المؤمنين ورائدهم ؛ سيد ولد آدم ولا فخر!
وقد وقف غلاة الكافرين ؛ حيال عظمته مشدوهين ، ووصفه ألد أعدائه ومقاتلوه بالصادق الأمين ؛
صلى الله تعالى وسلم عليه : صلاة تبلغنا رضاه ، وتجعلنا أهلا لشفاعته ومحبته !

هذا وقد مدحه كثير من كتاب الغرب والفرنجة بمدائح لم يصل إليها مادحوه من المسلمين . وإليك شذرات مما قاله فيه أساطين كتاب الغرب :

وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾

قال «برناردشو» الفيلسوف الانكليزى الكبير : انى أعتقد أن رجلا كمحمد ؛ لو تسلم اليوم زمام الحكم المطلق فى العالم بأسره : لتم النجاح فى حكمه ، ولقاده إلى الخير ، ولحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة !

وقال «لامرتين» شاعر فرنسا الكبير: إن حياة محمد ، وقوة تأمله وتفكيره ، وجهاده، ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه ، وشهامته ، وجرأته ، وبسالته ، وثباته ثلاثة عشر عاماً ؛ يدعو دعوته فى وسط أعدائه ؛ وتقابله سخرية الساخرين ، وهزء الهازئين ، وحروبه ـ التى كان جيشه فيها أقل من عدوه عدة وعدداً ـ ووثوقه بالنجاح ، وإيمانه بالظفر ، وإعلاء كلمته ، ونجواه التى لا تنقطع مع الله ، وقبض الله إياه إلى جواره ؛ مع نجاح دينه بعد موته : كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعاً ، أو يعيش على باطل ومين !

وقال «ميور» الكاتب الانكليزى الكبير : لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ، ويسر دينه ؛ وقد أتم ـ فى حياته ـ من الأعمال ما يدهش العقول ؛ ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الفضيلة ، فى زمن قصير ؛ كما فعل محمد !

وقال «إدوار جيبسون» الكاتب الروسى الكبير: إن دين محمد خال من الظنون والشكوك ؛ لأنه ينهى عن عبادة الكواكب والأصنام ؛ وهو دين أكبر من أن تدرك أسراره عقولنا الحالية !

وقال «توماس كارليل» الفيلسوف الانكليزى الشهير : ليس من المعقول أن تكون رسالة محمد ـ التى عاش فيها ومات عليها هؤلاء الملايين من المسلمين خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن ـ أكذوبة كاذب ، أو خدعة مخادع ! أرأيت رجلا مدعياً ؛ يستطيع أن يبنى بيتاً من الطوب ؛ مع جهله بخصائص البناء ؟ أما محمد فقد بنى بيتاً بقيت دعائمه اثنى عشر قرناً ، وسكنه الملايين من الأنفس! لقد كان متقشفاً فى مسكنه، =

= ومأكله ، وملبسه ؛ وربما تتابعت الأيام ـ بل الشهور ـ ولم توقد بداره نار ! وكان دائب السعى لنشر دين الله ليلا ونهاراً ؛ غير طامع فى مرتبة ، ولا طامح إلى سلطان ، أو متطلع إلى صيت أوشهرة ! ولم يكن ذليلا ، ولا متكبراً ؛ فهو قائم فى ثوبه المرقع : يخاطب قياصرة الروم ، وأكاسرة العجم ؛ بقوله المبين ويرشدهم إلى مايجب عليهم ! وقد كان محمد صادقاً ؛ مافى ذلك ريب ! هذا الذى خلق من الصحراء القاحلة: دولة وشعباً ، وأمة ! إنه لم يمارس معجزة ، ولم يدع أنه قادر على إتيانها ؛ ولكن حياته ذاتها : كانت معجزة تفوق كل المعجزات !

تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ

وكيف يستطيع الواصف أن يصف أخلاق من آذاه قومه بأقسى ضروب الإيذاء، وابتلوه بأشنع أنواع الابتلاء ؛ فلم يقابل أذاهم بالدعاء عليهم ؛ بل بالدعاء لهم : «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» وقديماً أصيب نوح عليه السلام ببعض ماأصيب به محمد ، فقال : «رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً» فتبارك من خصنا ببعثته ، وشرفنا برسالته ! (انظر آية ١٩٩ من سورة الأعراف) ﴿فستبصر ويبصرون﴾ أى فسترى ماوعدناك به من النعيم المقيم ، ويرون ما أوعدناهم به من العذاب الأليم ﴿بأيكم المفتون﴾ أى وسيتضح يومذاك أيكم الذى فتن بالجنون : أأنت كما يفترون ، أم هم بكفرهم وانصرافهم عن الهدى ؟ ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ أى ودوا لو تلين لهم ؛ فيلينون لك . وهو من المداهنة ؛ التى هى المصانعة . وأدهن : غش . أو المراد : ودوا لو تتهاون فيتهاونون ﴿ولاتطع كل حلاف﴾ كثير الحلف ﴿مهين﴾ حقير . ومن العجب أن كل من يكثر الحلف : يستهان ويستحقر ! ﴿هماز﴾ عياب للناس، طعان فيهم ﴿مشاء بنميم﴾ يسعى بين الناس بالفساد والنميمة ﴿مناع للخير﴾ بخيل ، أو مناع للناس من الإيمان ؛ الذى هو الخير كل الخير ! ﴿معتد﴾ عليهم بهذا المنع ، والإيذاء ﴿أثيم﴾ ظالم ، كثير الآثام ﴿عتل﴾ جاف ﴿زنيم﴾ أى ابن زنى . قيل: نزلت هذه الآيات فى الوليد ابن المغيرة ؛ وقد كان دعياً فى قريش . قال الشاعر :

زنيم ليس يعرف من أبوه

﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ أى لاتطع من هذا شأنه ؛ لكونه ذا مال وبنين . ومن هنا يعلم أنه لاعبرة ، ولا اعتداد بالمال والغنى ؛ بل الاعتداد بالإيمان ، وحسن الخلق ! ﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿قال أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ السابقين ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أى سنكويه بالنار يوم القيامة ، على أنفه ؛ زيادة فى مهانته . وقيل: خطم بالسيف يوم بدر؛ فصارت سمة على أنفه إلى أن مات ﴿إنا بلوناهم﴾ أى أهل مكة: =

= امتحناهم بالقحط ، والجوع ؛ استجابة لدعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بقوله: «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها سنين كسني يوسف» (كما بلونا أصحاب الجنة) الجنة : البستان . وهم قوم كان لهم بستان بقرية يقال لها ضروان ؛ بالقرب من صنعاء . وقيل : كانت بالحبشة . وقيل : هي الطائف ؛ التي هي بلاد ثقيف بالحجاز (إذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها مصبحين) ليقطعن ثمرها وقت الصبح (ولا يستثنون) أي ولم يقولوا : إن شاء الله قال تعالى «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله»

وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة

(فطاف عليها طائف من ربك) أنزل عليها المنتقم الجبار آفة سماوية فأحرقت أشجارها ، وأتلفت ثمارها ! وكان ذلك ليلا ؛ لأن الطائف: لا يكون إلا ليلا . قيل : نزلت عليها شهب من السماء فأحرقتها (فأصبحت كالصريم) أي كالليل المظلم ، أو كالشيء المصروم؛ وهو المقطوع . قيل : كانت جنتهم هذه بمدينة الطائف ؛ ولذا سميت الطائف (فتنادوا) نادى بعضهم على بعض (أن اغدوا) بكروا (صارمين) قاطعين للثمر . وصرم الشيء : قطعه (فانطلقوا) إلى جنتهم (وهم يتخافتون) يتهامسون سراً ؛ خشية أن يسمعهم فقير ؛ فيطلب منهم شيئاً (ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) محذرين بعضهم بأن لا يدخل عليهم في بستانهم مسكين ؛ لئلا يطالبهم بصدقة من ثمارهم (وغدوا على حرد قادرين) أي بكروا ؛ قاصدين بستانهم بسرعة ـ قبل أن يفجأهم النهار بضوئه فتراهم الناس ـ ظانين أنهم قادرون على جني ثماره (فلما رأوها) رأوا جنتهم ، وما حل بها (قالوا إنا لضالون) أي ضللنا جنتنا ، وقصدنا غيرها ؛ فليس هذا شأنها . ولما تأملوها جيداً ، وتحققوا من أنها جنتهم ؛ قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا ثمرة كدنا وجهدنا طوال عامنا ، وخسرنا ثمارنا ! (قال أوسطهم) أعدلهم وأخيرهم ـ وكان معارضاً لهم ـ ولم يكن مرتضياً حرمان المساكين (ألم أقل لكم لولا) أي هلا (تسبحون) ربكم ، وتشكرونه على أنعمه التي اختصكم بها؛ ولكنكم عصيتموه ؛ فاستوجبتم ما حل بكم ! (قالوا سبحان ربنا) تقدس ، وتعالى ، وتنزه ! (إنا كنا طاغين) بمنع الفقراء ، وعدم التوكل على الله وتقديم مشيئته !

وهذه القصة أوردها الحكيم المتعال : ليعلمنا أن مصير الشحيح ، ومانع الزكاة إلى التلف حتما : إن لم يكن بتلف ماله ، فبتلف أجره وفساد حاله ! وأنه إن ضن بما يستوجب رضاء الله : هلك ماله مصحوبا بغضب الله ! (كذلك العذاب) أي مثل إهلاكنا لجنة هؤلاء ؛ نستطيع أن نهلك المكذبين أنفسهم ، أو كذلك نعذب من نريد تعذيبه : بابتلائه في أمواله مثل هذا الابتلاء ! وكم قد رأينا من يشح بالإنفاق: =

(٦٩) سُورَةُ الحَاقَّةِ مَكِّيَّة
وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ

= فيبتلى فى ماله بما يذهبه ، أو فى عياله بما يرهقه ! فليتق الله من يؤمن بالله ! ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ لعجب منهم ؛ حيث إنهم يسوون المطيع بالعاصى ، والمؤمن بالكافر ﴿أم لكم كتاب﴾ منزل من السماء ﴿فيه تدرسون﴾ تقرأون ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ أى لكم فى هذا الكتاب ما تختارون ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾ أى أم أخذتم علينا العهود والمواثيق ؛ أن لكم الذى تريدونه وتحكمون به ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ كفيل ﴿أم لهم شركاء﴾ فيما يزعمونه ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ ليذوقوا معهم ما أعد لهم من العذاب . وقد يراد بالشركاء : شركاء الله تعالى فى الملك ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ هو كناية عن صعوبة الأمر وشدته ، وذلك كقوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» كناية عن البخل ؛ وليس ثمت يد ولا غل . والعرب تقول : كشفت الحرب عن ساقها : إذا حمى وطيسها ، واشتد لهيبها . ومن أخش ما قاله بعض المفسرين فى تأويل ذلك : أن الرحمن يكشف يومئذ عن ساقه . تعالى الله عما يقولون ، وجل عن صفات المخلوقين ! ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث﴾ هو منتهى الوعيد ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ بأن نمد فى أعمارهم ، ونوسع فى أرزاقهم : حتى يزدادوا كفراً على كفرهم ، وطغياناً على طغيانهم ﴿وأملى لهم﴾ أمهلهم ﴿إن كيدى متين﴾ قوى شديد ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وهو يونس بن متى عليه السلام ﴿إذ نادى﴾ ربه ؛ وهو فى بطن الحوت : «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غيظاً على أمته وغماً مما نزل به ﴿لولا أن تداركه نعمة﴾ رحمة ﴿من ربه﴾ فعفى عن ذنبه ! وقد كان غضب على قومه وتعجل تعذيبهم وفارقهم ؛ من قبل أن يؤمر بذلك ﴿لنبذ بالعراء﴾ لطرح بالخلاء ﴿وهو مذموم﴾ مذنب وملوم ﴿فاجتباه﴾ اختاره ﴿ربه فجعله من الصالحين﴾ المرسلين ، العاملين بما أمرهم ربهم ، المنتهين عما نهاهم عنه ﴿ليزلقونك بأبصارهم﴾ ليزيلونك عن مكانك ؛ لشدة نظرهم إليك شزراً .

(سورة الحاقة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحاقة﴾ القيامة ؛ سميت بذلك : لأن الأمور تحق فيها وتستقر ، ولأنها يوم الحق ﴿ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة﴾ تعظيم لأمرها ، وتهويل لشأنها ﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح عليه السلام ﴿وعاد﴾ قوم هود =

= عليه السلام ﴿بالقارعة﴾ القيامة؛ لأنها تقرع الناس بهولها وفزعها ﴿بالطاغية﴾ قيل: هي الرجفة. أو الصيحة؛ التي طغت عليهم فأهلكتهم جميعاً ﴿بريح صرصر عاتية﴾ هي الدبور. وصرصر: أي شديدة الصوت ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام﴾ متتابعة؛ حتى أتت عن آخرهم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) ﴿حسوماً﴾ حسمت آجالهم؛ أي قطعتها. وقيل: متتابعة ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ أي أصول نخل ساقطة ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ من الأمم الكافرة التي تقدمته، أو جاء فرعون وأتباعه؛ يؤيده قراءة من قرأ «ومن قبله» بكسر القاف وفتح الباء ﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط؛ وسميت بذلك: لأنها ائتفكت بهم؛ أي انقلبت ﴿بالخاطئة﴾ أي بالخطإ الشائن؛ وهو الكفر ﴿فأخذهم﴾ ربهم: عذبهم وأهلكهم ﴿أخذة رابية﴾ شديدة ﴿إنا لما طغى الماء﴾ فاض وزاد؛ وانقلب نفعه الكثير، إلى ضرر كبير، وشر مستطير: يوم الطوفان ﴿حملناكم في الجارية﴾ السفينة التي تجري على وجه الماء ﴿لنجعلها﴾ أي لنجعل هذه الفعلة؛ التي هي إنجاء المؤمنين، وإغراق الكافرين. أو لنجعل هذه السفينة ﴿لكم تذكرة﴾ عبرة وموعظة ﴿وتعيها﴾ تحفظها وتفهمها ﴿أذن واعية﴾ أي مصغية: تسمع ما يقال، فتنقله إلى الذهن. فيفهمه ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ وهو القرن؛ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية؛ للفصل بين الخلائق ﴿فدكتا﴾ أي دقتا وكسرتا ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة ﴿واهية﴾ ساقطة واهنة ﴿والملك﴾ يعني الملائكة عليهم السلام ﴿على أرجائها﴾ أي على جوانب السماء ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ هو تمثيل لعظمته تعالى؛ مثلما هو مشاهد من أحوال الملوك والسلاطين يوم خروجهم على الناس؛ لكون ذلك أقصى ما يتصور من الجلال والعظمة؛ وإلا فشئونه سبحانه وتعالى أجل من أن تدركها إشارة، أو تحيط بها عبارة، أو يتسع لها فهم! ﴿فأما من أوتي كتابه﴾ أي كتاب أعماله ﴿بيمينه﴾ وهو المؤمن الصالح، الذي رجحت حسناته على سيئاته ﴿فيقول﴾ لذويه وأهله ـ مفتخراً ـ أو يقول للملائكة ﴿هاؤم﴾ أي خذوا وتعالوا ﴿إني ظننت﴾ علمت وتأكدت أن وعد الله حق، وأن القيامة قائمة، و ﴿أني ملاق حسابيه﴾ جزاء ما عملت في الدنيا ﴿قطوفها دانية﴾ ثمارها قريبة لمريدها ﴿بما أسلفتم﴾ بما قدمتم ﴿في الأيام الخالية﴾ الماضية في الدنيا ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ وهو الكافر ﴿فيقول ياليتني لم أوت كتابيه﴾ لما يرى فيه من القبائح والفضائح ﴿ياليتها كانت القاضية﴾ أي ياليت الموتة الأولى كانت القاضية؛ فلم أبعث، ولم أحاسب ﴿ما أغنى﴾ ما نفع، وما دفع ﴿عني ماليه﴾ =

فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ

ذَرْعُهَا

= الذى جمعته فى الدنيا ، ولم أتصدق منه ، وكنت أنخر وأتعالى به (هلك) ذهب ومضى وامحى (عنى سلطانيه) قوتى وحجتى ، وعزى وهيبتى ؛ فيقال للملائكة العذاب (خذوه فغلوه) وهو قول الله تعالى لخزنة جهنم ، أو قول بعضهم لبعض بأمر ربهم (ثم الجحيم صلوه) أدخلوه (ذرعها) طولها (فاسلكوه) فأدخلوه

ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(فليس له اليوم ههنا حميم) صديق يدفع عنه العذاب (ولا طعام إلا من غسلين) غسالة أهل النار ، وما يسيل منهم من الصديد (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) أقسم تعالى بالمشاهدات والمغيبات ، أو بالدنيا والآخرة ، أو بالأجسام والأرواح ، أو بالإنس والجن ، أو بالنعم الظاهرة والباطنة ، أو بالخلق والخالق (إنه) أى القرآن (لقول رسول كريم) هو محمد عليه الصلاة والسلام ؛ عن رب العزة جل شأنه وعز سلطانه ! (وما هو بقول شاعر) كما تفترون (ولا بقول كاهن) كما تزعمون . والكاهن : العراف الذى يتكهن بالغيب (قليلا ما تذكرون) تتعظون وتعتبرون (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) أى لو افترى علينا محمد كما تتهمونه (لأخذنا منه باليمين) أى لأخذناه بالقوة والشدة (ثم لقطعنا منه الوتين) الوتين : نياط القلب ؛ وهو عرق فيه ؛ إذا انقطع : مات صاحبه. وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك : يؤخذ بالشدة والقسوة ؛ ثم تقطع رأسه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى فى هذه الحال لا يستطيع أحد أن يمنع عنه عذابنا وتنكيلنا ! (وإنه) أى القرآن (لتذكرة) لعظة (وإنه) أى التكذيب بالقرآن ، أو الإشارة إلى القرآن نفسه (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على الكافرين) حين يرون ما أعده الله تعالى لمن صدق به من النعيم المقيم ، ولمن كذب به من العذاب الأليم (وإنه) أى القرآن ، أو العذاب (لحق اليقين) أى للحق من ربك يقيناً (فسبح) نزه وقدس (باسم ربك العظيم) الذى يصغر كل عظيم أمامه !

(سورة المعارج)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ هو النضر بن الحارث؛ حيث قال مستهزئاً «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» ﴿من الله ذى المعارج﴾ السماوات التى تعرج منها وإليها الملائكة، أو هى المصاعد التى تصعدها الملائكة لتلقى أوامر ربها ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ أى تصعد الملائكة وأرواح الخلائق، أو «الروح» جبريل عليه السلام ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ هو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج؛ على منهاج التمثيل والتخييل؛ أى إنهم يصعدون فى اليوم الواحد: مالا يستطاع بلوغه فى خمسين ألف سنة. أو هو يوم القيامة يراه الكافر - لكثرة عذابه وشدة بلائه - كخمسين ألف سنة ﴿فاصبر﴾ يامحمد على أذى قومك ﴿صبراً جميلا﴾ لاجزع فيه، ولا تضجر منه ﴿إنهم يرونه﴾ أى يوم القيامة ﴿بعيداً﴾ أى مستحيلا ﴿ونراه قريباً﴾ واقعاً لامحالة ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ كالمعدن المذاب أو كدردى الزيت، أو كالقطران ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أى كالصوف المنفوش ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ أى لايطلب صاحب من صاحبه شيئاً؛ وإن طلب فلا يجاب؛ لانشغال كل واحد بما هو فيه. والحميم: القريب والصديق ﴿يبصرونهم﴾ أى يبصر القريب قريبه، والصديق صديقه، لكنه لايستطيع أن يسأله شفاعة أو أمراً من الأمور «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وفصيلته﴾ عشيرته ﴿التى تؤويه﴾ تضمه وتكلؤه ﴿ثم ينجيه﴾ ذلك الافتداء ﴿كلا﴾ لن يكون شىء مما أراده

(٧٠) سُورَةُ المَعَارِجِ مَكِّيَّة
وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٖ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾

﴿إنها لظى﴾ لظى: علم للنار؛ من اللظى: وهو اللهب ﴿نزاعة للشوى﴾ والشوى: جلدة الرأس؛ تحترق وتعود ثانية. وخصها بالذكر لأنها أشد الجسم حساسية وتأثراً بالنار ﴿تدعو﴾ أي تنادي النار وتأخذ ﴿من أدبر﴾ عن سماع القرآن ﴿وتولى﴾ عن الإيمان ﴿وجمع﴾ المال ﴿فأوعى﴾ أمسكه فلم ينفق منه حيث أمره الله تعالى. أو «فأوعى» أي جعله محفوظاً في وعائه؛ فلم يخرج منه شيئاً. أو هو من الوعي؛ أي جمعه وحفظه.

لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ * إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا

ومن عجب أن يجمع الإنسان خشية العدم؛ وهو في نفس الوقت يسلم نفسه للعدم. قال الشاعر:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ الهلع: سرعة الجزع ويفسره ما بعده ﴿إذا مسه الشر﴾ الفقر ﴿وإذا مسه الخير﴾ الغنى ﴿إلا المصلين﴾ المؤمنين؛ فإنهم بخلاف ذلك: لا يجزعون بل يصبرون، ولا يمنعون بل ينفقون ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ المقصود بالدوام هنا: الذي لا يتخلله انقطاع. جعلنا الله تعالى ممن يداوم على طاعته، ويحافظ على مرضاته! ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ يوم الجزاء؛ وهو يوم القيامة ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ لا يأمنه العاصي، ولا الطائع. جاء في الحديث الشريف، عن الصادق المصدوق؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها ذراع؛ فإذا هو من أهل النار! وإن منكم من يعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها ذراع؛ فإذا هو من أهل الجنة!» فلابد للمؤمن أن يكون في خشية دائمة من ربه، وهذه الخشية يجب أن تكون مصحوبة بالحب والأمل، فإنه جل شأنه عند ظن عبده به: إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ فلا يزنون ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ طلب غير الذي أحله الله تعالى ﴿فأولئك هم العادون﴾ المعتدون على حرماته. (انظر آية ٧ من سورة المؤمنون) ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ قال تعالى «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» وقال جل شأنه «وأقيموا الشهادة لله» وقال عز من قائل «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» ﴿فمال الذين كفروا قبلك﴾ نحوك

﴿مهطعين﴾ مسرعين؛ أو دائمي النظر إليك ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ جماعات، أو فرقاً شتى. أصلها عزة؛ وهي الفرقة. قائلين استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة؛ لندخلنها قبلهم، فنحن أحق بها منهم؛ لنسبنا وغنانا. قال تعالى رداً عليهم ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم. كلا﴾ لن يدخلها أحد منهم، ولن يشم ريحها ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة؛ فليس لهم فضل على غيرهم يستوجبون به الجنة؛ إنما الفضل بالأعمال والتقوى. فمن اتقى دخل الجنة، ومن عصى دخل النار

قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ

يأتيهم

﴿فلا أقسم﴾ أي أقسم ﴿برب المشارق والمغارب﴾ مشارق الشمس والقمر وسائر الكواكب، ومغاربها. وسر القسم بها: لفت النظر لعظمها وعظمة خالقها وموجدها، وتمهيد لذكر قدرته تعالى على كل شيء ﴿إنا لقادرون على أن﴾ نهلكهم، و﴿نبدل﴾ خلقاً آخر ﴿خيراً منهم﴾ إيماناً وتصديقاً وطاعة ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بعاجزين عن أن نفعل ذلك، أو «بمسبوقين» إلى هذا الخلق والتبديل؛ بأن سبقنا أحد إليه ﴿فذرهم﴾ دعهم في كفرهم وباطلهم ﴿حتى يلاقوا يومهم﴾ يوم القيامة ﴿الذي يوعدون﴾ فيه بالعذاب ﴿يوم يخرجون﴾ للبعث ﴿من الأجداث﴾ القبور ﴿سراعا﴾ مسرعين ﴿كأنهم إلى نصب﴾ النصب: هو كل ما نصب، وعبد من دون الله تعالى ﴿يوفضون﴾ يسرعون ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم

(سورة نوح)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك﴾ بالعذاب الموعود على التكذيب. ونوح: هو أبو البشر الثاني، ومن أولي العزم. وأبناؤه: سام، وحام، ويافث.

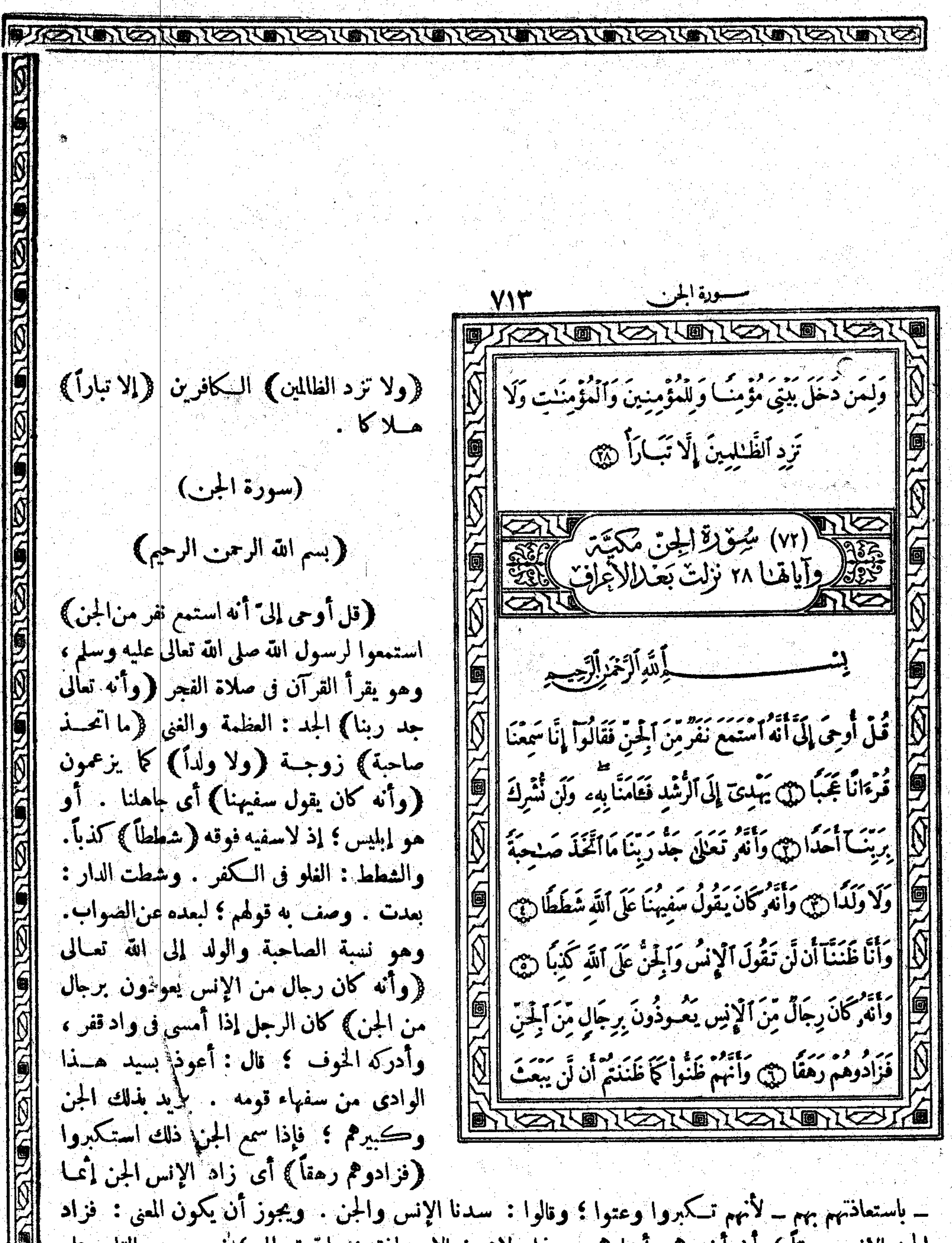
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ

﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة ، أو هو الموت ﴿فلم يزدهم دعائى﴾ لهم بالإيمان ﴿إلا فراراً﴾ من الحق ، ومن الإيمان ﴿وإنى كلما دعوتهم﴾ إلى معرفتك ﴿لتغفرلهم﴾ ذنوبهم السابقة ﴿جعلوا﴾ وضعوا ﴿أصابعهم فى آذانهم﴾ ليحولوا بين استماعها لعظاتى وكلامى ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ تغطوا بها ، ليحجبوا بصرهم عن رؤيتى ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ عن الإيمان ﴿ثم إنى دعوتهم جهاراً﴾ ظاهراً فى غير خفاء ﴿ثم إنى أعلنت لهم﴾ بأعلى صوتى ، وصحت فيهم مجتمعين بالذى أمرتنى به ﴿وأسررت لهم إسراراً﴾ حاولت نصحهم فى السر فرادى ؛ فقد يكون ذلك أدعى لاقتناعهم ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ بالمطر (انظر آية ٥٢ من سورة هود) ﴿ويجعل لكم جنات﴾ بساتين فى الدنيا ﴿ويجعل لكم أنهاراً﴾ جارية : تسقون منها وتستقون . أو أريد بذلك جنات القيامة ، ومافيها من أنهار ونعيم مقيم ﴿مالكم لاترجون لله وقاراً﴾ أى مالكم لا تسعون فى توقيره وتعظيمه ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ خلقكم أولا نطفاً ، ثم علقاً ، ثم مضغاً ، ثم عظاماً ولحماً ، ثم إنساناً كاملا ، ناطقاً ، سميعاً بصيراً ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾ بعضها فوق بعض

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ بعد موتكم ﴿ويخرجكم﴾ منها ﴿إخراجاً﴾ عند بعثكم ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ منبسطة كالبساط ﴿سبلا فجاجاً﴾ طرقا واسعة، أوطرقاً مختلفة ﴿قال نوح﴾ عندما رأى إصرار قومه على الكفر، وعزوفهم عن الإيمان، وتمسكهم بعبادة الأصنام ﴿رب إنهم عصونى﴾ واستهانوا برسالتى وشريعتك ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾ إلا طغياناً وكفراً؛ وهم الأغنياء ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ مكراً عظيما كبيراً ﴿وقالوا﴾ أى قال السادة والأغنياء؛ للضعفاء والفقراء ﴿لا تذرن﴾ لا تتركن ﴿آلهتكم﴾ التى تعبدونها ﴿ولا تذرن وداً ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ هى أسماء أصنام كانوا يعبدونها؛ وكان «وداً» على صورة رجل، و «سواعاً» على صورة امرأة «ويغوث» على صورة أسد «ويعوق» على صورة فرس «ونسراً» على صورة نسر. لعنهم الله تعالى أنى يؤفكون! ﴿ولا تزد الظالمين﴾ الكافرين ﴿إلا ضلالا﴾ على ضلالهم. وقد طلب لهم العقوبة من جنس أعمالهم؛ لأنهم «قد أضلوا كثيراً» ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ أى بسبب خطاياهم أغرقوا بالطوفان، وأدخلوا النيران ﴿رب لا تذر﴾ لا تترك ﴿على الأرض من الكافرين دياراً﴾ الديار: كل من يسكن الديار، أوهو كل من يدور: أى يمشى على وجه الأرض ﴿إنك إن تذرهم﴾ إن تتركهم بلا تعذيب، ولا إهلاك ﴿يضلوا عبادك﴾ بصرفهم عن الإيمان، وبتعذيبهم. يقال: أضله: إذا أضاعه وأهلكه ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ رب قائل يقول: ومن أين لنوح أن يقطع بأن قومه لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً؟ والجواب على ذلك: أنه علم ذلك من قوله تعالى «إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن»

سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ

وَلِمَن



وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الجِنِّ مكية
وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ

﴿ولا تزد الظالمين﴾ الكافرين ﴿إلا تباراً﴾ هلاكا .

(سورة الجن)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن﴾ استمعوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو يقرأ القرآن فى صلاة الفجر ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ الجد : العظمة والغنى ﴿ما اتخذ صاحبة﴾ زوجة ﴿ولا ولداً﴾ كما يزعمون ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ أى جاهلنا . أو هو إبليس ؛ إذ لاسفيه فوقه ﴿شططاً﴾ كذباً. والشطط : الغلو فى الكفر . وشطت الدار : بعدت . وصف به قولهم ؛ لبعده عن الصواب. وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ كان الرجل إذا أمسى فى واد قفر ، وأدركه الخوف ؛ قال : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه . يريد بذلك الجن وكبيرهم ؛ فإذا سمع الجن ذلك استكبروا ﴿فزادوهم رهقاً﴾ أى زاد الإنس الجن إثما - باستعاذتهم بهم - لأنهم تكبروا وعتوا ؛ وقالوا : سدنا الإنس والجن . ويجوز أن يكون المعنى : فزاد الجن الإنس رهقاً ؛ بأن أغووهم وأضلوهم . هذا ولايجوز الاستعاذة بغير الله تعالى ؛ فهو وحده القادر على الحفظ ، القاهر فوق عباده ، السميع ، البصير ، العليم ! وعن الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «إذا أصاب أحداً منكم وحشة ، أو نزل بأرض مجنة ؛ فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات ؛ التى لايجاوزهن بر ولا فاجر ؛ من شر مايلج فى الأرض ، ومايخرج منها ، وماينزل من السماء ، ومايعرج فيها ، ومن فتن النهار ، ومن طوارق الليل ؛ إلا طارقا يطرق بخير!» ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً﴾ أى ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ؛ فلما سمعوا القرآن اهتدوا ؛ فهلا اهتديتم ؟

اللَّهِ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

وَأَنَّهُ

﴿وأنا لمسنا السماء﴾ تحسسنا الطريق إليها كعادتنا . والمراد : طلبناها ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً﴾ من الملائكة ؛ يمنع كل من يقترب منها ﴿وشهباً﴾ أى وملئت نجوماً محرقة ؛ تحرق كل من اقترب من السماء . وهذا على خلاف العادة : قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿وأنا كنا﴾ قبل ذلك ﴿نقعد منها﴾ أى نقعد بقرب السماء ﴿مقاعد للسمع﴾ فنسمع بعض ما يدور فيها ، وما يصدر من الأوامر ؛ أما الآن ﴿فمن يستمع﴾ أى من يحاول الاستماع من السماء ﴿يجد له شهاباً رصداً﴾ شهاباً ينتظره بالمرصاد ﴿وأنا منا الصالحون﴾ المؤمنون الطائعون ﴿ومنا دون ذلك﴾ الكافرون العاصون ﴿كنا طرائق قدداً﴾ مذاهب متفرقة ، وأدياناً مختلفة ، وأهواء متباينة ﴿وأنا ظننا﴾ تأكدنا ﴿أن لن نعجز الله فى الأرض﴾ أى لن نفوته ، ولن ننجو من عقوبته إذا أراد ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ القرآن ﴿فلا يخاف بخساً﴾ نقصاناً من ثوابه ﴿ولا رهقاً﴾ أى ولا يخاف إثماً ، ولا ترهقه ذلة ﴿ومنا القاسطون﴾ الكافرون ، الجائرون . قسط : جار . وأقسط : عدل ﴿وألو استقاموا على الطريقة﴾ المثلى ؛ وهى الإيمان بالله تعالى ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أى كثيراً من الإغداق . والمراد بذلك سعة الرزق ؛ حيث إن الماء سبب للخصب والرخاء ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم : أيشكرون أم يكفرون ؟ ﴿يسلكه﴾ يدخله ﴿عذاباً صعداً﴾ شاقاً ﴿وأن المساجد لله﴾ المساجد : موضع السجود ﴿فلا تدعوا﴾ لا تعبدوا

﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿يدعوه﴾ أى يدعو ربه ﴿كادوا﴾ أى كاد الجن ﴿يكونون عليه لبداً﴾ جماعات؛ لاستماع القرآن، والاتعاظ به. أو كاد المشركون يجتمعون على تسفيهه والاستهزاء به و«لبداً» جمع لبدة؛ وهو ماتلبد بعضه فوق بعض ﴿قل إنى لا أملك لكم﴾ من الله ﴿ضراً ولارشداً﴾ أى ولا نفعاً ﴿ولن أجد من دونه﴾ غيره ﴿ملتحداً﴾ ملجأ؛ لأن الملتحد: اسم الموضع ﴿إلا بلاغاً﴾ أى لا أملك إلا إبلاغكم ما أوحى إلى ﴿حتى إذا رأوا مايوعدون﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿فسيعلمون﴾ يومئذ ﴿من﴾ منا ﴿أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أقل أعواناً من الآخر: نحن أم هم؟ ﴿قل إن أدرى﴾ ما أدرى ﴿أقريب ما توعدون﴾ به من العذاب ﴿أم يجعل له ربى أمداً﴾ أجلا. والأمد لا يطلق إلا على المدة الطويلة ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يظهره على ماشاء من ذلك. والغيب هنا: الوحى؛ فيظهره عليه: بما يوحيه إليه من غيبه. أى لا يطلع على غيبه أحداً؛ إلا بعض الرسل الذين يرتضيهم؛ فإنه يطلعهم على بعض غيبه الذى يكون متعلقا برسالاتهم؛ ليكون معجزة لهم لدى أقوامهم (انظر آية ٤٤ من سورة آل عمران) ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ أى يرسل أمام الرسول الذى يطلعه على الغيب وخلفه حرساً من الملائكة: يحوطونه من كل جانب؛ يحرسونه من تعرض الشياطين؛ لئلا يتشبهوا له فى صورة الملك الموحى، ويحفظونه؛ حتى يبلغ إليه، ما أمر بتبليغه إلى الناس، و﴿ليعلم﴾ الله تعالى علم ظهور ـ لأنه تعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما هو كائن ـ ويصير هذا العلم حجة على الخلق الذين ينكرون مجيء الرسل إليهم، ومجيء الملائكة إلى الرسل؛ وهو كقوله تعالى «وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» وهو أعلم بهم قبل خلقهم «ليعلم» ﴿أن قد أبلغوا﴾ أى أبلغ ملائكته إلى رسله ﴿رسالات ربهم﴾ أو ليعلم الرسول أنه قد أبلغ الملائكة رسالات ربهم بلا تحريف، ولا تغيير. أو ليعلم محمد أن الملائكة «قد أبلغوا رسالات ربهم» لمن تقدمه من الأنبياء، مثل تبليغهم له ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ أى أحاط الله تعالى بما لدى الرسل، والمرسل إليهم، والملائكة، والرصد؛ وعلم ما يخفون وما يكتمون!

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

(سورة المزمــل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

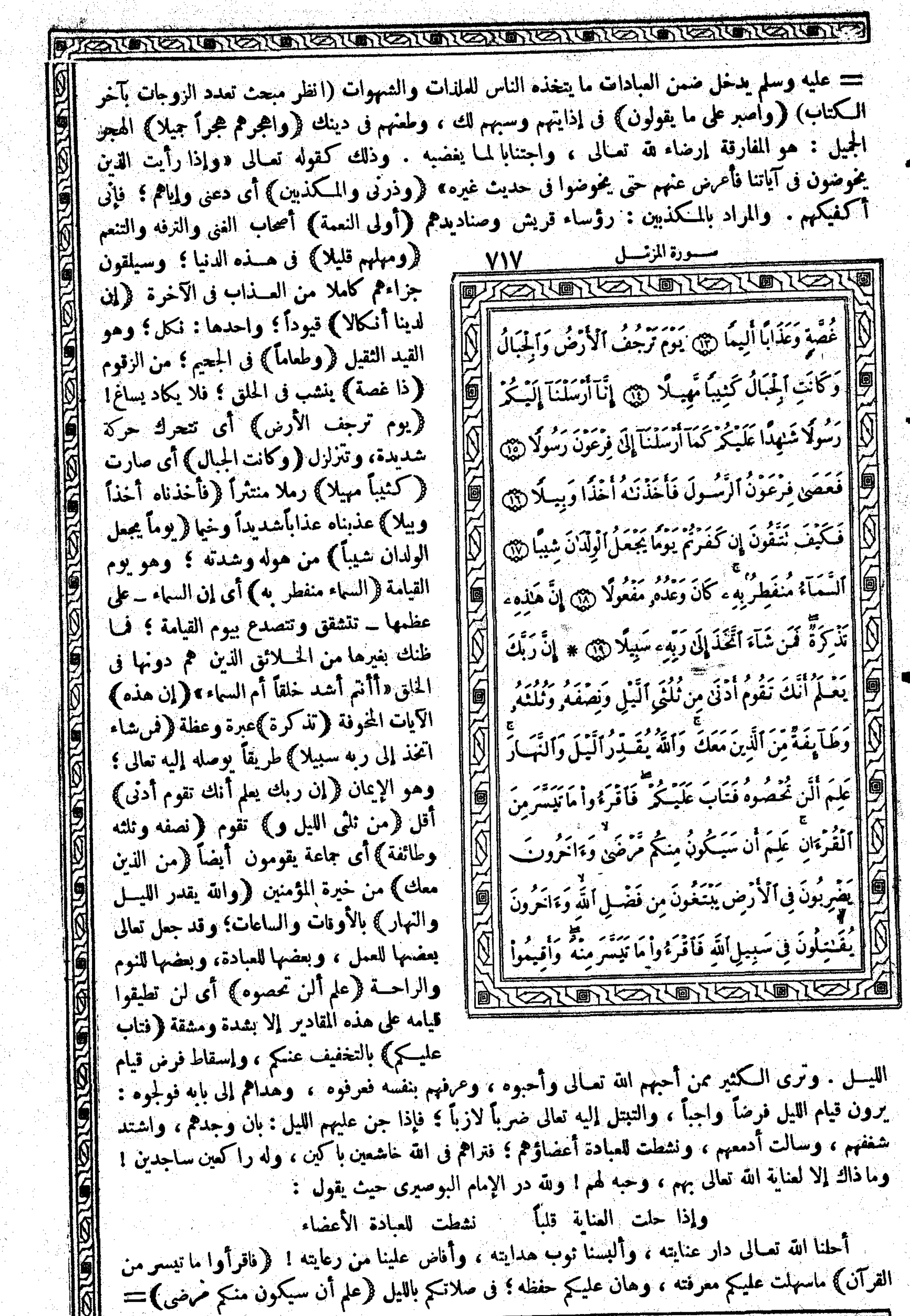
﴿يأيها المزمل﴾ المتلفف بثيابه؛ وهو كقوله تعالى «يأيها المدثر» وإنما ناداه تعالى بذلك ـ تدليلا له ـ قبل أن يلقى إليه بالأمر الذى يشتم منه رائحة التقصير؛ وذلك كقوله تعالى «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وهو لوم شديد؛ لو لم يسبق بالتدليل: «عفا الله عنك» لانخلع قلب الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه! ﴿قم الليل﴾ عابداً ربك، مصلياً له، متبتلا إليه ﴿إلا قليلا﴾ من الليل؛ فاجعله لحاجتك وراحتك؛ وليكن هذا القليل ﴿نصفه﴾ أى نصف الليل ﴿أوانقص منه قليلا﴾ أى من ذلك النصف المجعول لراحتك ﴿أو زد عليه﴾ قليلا أيضاً؛ وبذلك يكون المطلوب من سيد الخلق: ألا يزيد القيام عن الثلثين، ولا ينقص عن الثلث ﴿ورتل القرآن﴾ أى اقرأه بتؤدة وتمهل، وتبيين، وتفهم. وقد زعم بعض القراء ـ أثابهم الله تعالى ـ أن معنى ذلك ما يتبعونه من غنٍّ بلغ مبلغ طنين الذباب، ومد تجاوز حد الصواب، وتسهيل بلغ حد التثقيل، وسكتات فيها كثير من الهنات؛ إلى غير ذلك من إدغام واشمام، وإخفاء واستعلاء، وإمالة وإشالة. وقد رددنا على هذه المزاعم فى كتابنا «الفرقان» ﴿إنا سنلقى﴾ سننزل ﴿عليك قولا ثقيلا﴾ هو القرآن الكريم؛ لما فيه من الأوامر والنواهى؛ التى هى ـ فى نفسها ـ تكاليف شاقة؛ ثقيلة على المكلفين. أو «قولا ثقيلا» على الكافرين. أو المراد: إنه كلام موزون راجح؛ ليس بالسفساف، ولا بالهذر، ولا باللغو ﴿إن ناشئة الليل﴾ قيامه للعبادة، وقراءة القرآن فيه ﴿هى أشد وطأ﴾ أى أعظم أثراً، وأجزل نفعاً: لحضور الذهن، وموافقة السمع للقلب. أو إنها أثقل على المصلى من صلاة النهار. ومابعده يؤيد المعنى الأول ﴿وأقوم قيلا﴾ أى أسد مقالا، وأثبت قراءة؛ لهدوء الأصوات، وانقطاع الحركات ﴿إن لك فى النهار سبحاً طويلا﴾ تصرفاً لمعاشك، وتقلباً فى مهماتك؛ فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة تفرغا تاماً كاملا؛ فعليك بها بالليل ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ أى انقطع إلى عبادته، ولايشغل قلبك سواه: فإذا ما عملت عملا ظاهره طلب الدنيا؛ فليكن باطنه مرضات الرب سبحانه، والتقرب إليه! والتبتل: رفض الدنيا، والتماس الآخرة. وقد كان الحبيب المحبوب صلوات الله تعالى وسلامه عليه لا يعمل عملا دنيويا إلا كان مقصده منه إرضاء مولاه، والتبتل إليه، وطلب الزلفى منه. وقد كان صلى الله تعالى=

(٧٣) سُورَةُ المزمل مكية
إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية
وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا

غُصَّةٍ



= عليه وسلم يدخل ضمن العبادات ما يتخذه الناس للملذات والشهوات (انظر مبحث تعدد الزوجات بآخر الكتاب) ﴿واصبر على ما يقولون﴾ فى إذايتهم وسبهم لك ، وطعنهم فى دينك ﴿واهجرهم هجراً جميلا﴾ الهجر الجميل : هو المفارقة إرضاء لله تعالى ، واجتنابا لما يغضبه . وذلك كقوله تعالى «وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره» ﴿وذرنى والمكذبين﴾ أى دعنى وإياهم ؛ فإنى أكفيكهم . والمراد بالمكذبين : رؤساء قريش وصناديدهم ﴿أولى النعمة﴾ أصحاب الغنى والترفه والتنعم

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا

﴿ومهلهم قليلا﴾ فى هذه الدنيا ؛ وسيلقون جزاءهم كاملا من العذاب فى الآخرة ﴿إن لدينا أنكالا﴾ قيوداً ؛ واحدها : نكل ؛ وهو القيد الثقيل ﴿وطعاماً﴾ فى الجحيم ؛ من الزقوم ﴿ذا غصة﴾ ينشب فى الحلق ؛ فلا يكاد يساغ ! ﴿يوم ترجف الأرض﴾ أى تتحرك حركة شديدة، وتتزلزل ﴿وكانت الجبال﴾ أى صارت ﴿كثيباً مهيلا﴾ رملا منتثراً ﴿فأخذناه أخذاً وبيلا﴾ عذبناه عذاباًشديداً وخيما ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ من هوله وشدته ؛ وهو يوم القيامة ﴿السماء منفطر به﴾ أى إن السماء - على عظمها - تتشقق وتتصدع بيوم القيامة ؛ فما ظنك بغيرها من الخلائق الذين هم دونها فى الخلق «أأنتم أشد خلقاً أم السماء» ﴿إن هذه﴾ الآيات المخوفة ﴿تذكرة﴾ عبرة وعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ طريقاً يوصله إليه تعالى ؛ وهو الإيمان ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أقل ﴿من ثلثى الليل و﴾ تقوم ﴿نصفه وثلثه وطائفة﴾ أى جماعة يقومون أيضاً ﴿من الذين معك﴾ من خيرة المؤمنين ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ بالأوقات والساعات؛ وقد جعل تعالى بعضها للعمل ، وبعضها للعبادة، وبعضها للنوم والراحة ﴿علم ألن تحصوه﴾ أى لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة ﴿فتاب عليكم﴾ بالتخفيف عنكم ، وإسقاط فرض قيام الليل . وترى الكثير ممن أحبهم الله تعالى وأحبوه ، وعرفهم بنفسه فعرفوه ، وهداهم إلى بابه فولجوه : يرون قيام الليل فرضاً واجباً ، والتبتل إليه تعالى ضرباً لازباً ؛ فإذا جن عليهم الليل : بان وجدهم ، واشتد شغفهم ، وسالت أدمعهم ، ونشطت للعبادة أعضاؤهم ؛ فتراهم فى الله خاشعين باكين ، وله راكعين ساجدين ! وما ذاك إلا لعناية الله تعالى بهم ، وحبه لهم ! ولله در الإمام البوصيرى حيث يقول :

وإذا حلت العناية قلباً ... نشطت للعبادة الأعضاء

أحلنا الله تعالى دار عنايته ، وألبسنا ثوب هدايته ، وأفاض علينا من رعايته ! ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ ماسهلت عليكم معرفته ، وهان عليكم حفظه ؛ فى صلاتكم بالليل ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ =

=لايطيقون قيام الليل (وآخرون يضربون فى الأرض) يسافرون (يبتغون من فضل الله) يطلبون رزقه؛ فلا يستطيعون حال سفرهم، قيام ليلهم (وآخرون) منكم (يقاتلون فى سبيل الله) فهل يقومون ليلهم؛ ويتركون أعداءهم؟ والقتال فى سبيله تعالى خير من قيام الليل وصيام النهار؛ لأنه من أفضل العبادات، وأجل القربات! (وأقرضوا الله) أنفقوا مما رزقكم (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) عجباً لمن يقرأ هذه الآية ويبخل على الله، بما آتاه الله! فاحذر - هديت وكفيت - عاقبة البخل المقيت؛ فعاقبته فى الدنيا الفقر وقد أغناك الله وكفاك، وعاقبته فى الآخرة الذل والحرمان!

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
مخافة فقر؛ فالذى فعل الفقر!

الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(٧٤) سُورَةُ المُدَّثِّر مَكِّيَّة
وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾

ثُمَّ

(سورة المدثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها المدثر) المتلفف فى ثيابه. قيل: إنها أول سورة أنزلت على الرسول: رأى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه - فى أول الأمر - جبريل عليه الصلاة والسلام على هيأته وصورته التى خلقه الله تعالى عليها: فرعب رعباً شديداً، وذهب إلى أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها. وقال: دثرونى، دثرونى؛ فدثرته خديجة. فنزلت: «ياأيها المدثر» (قم فأنذر) قم من نومك فحذر قومك من عذاب الله تعالى (انظر آية ١ من سورة المزمل) (وربك فكبر) أى فعظم؛ وقد يحمل الأمر على تكبير الصلاة (وثيابك فطهر) أى طهر ذاتك ونفسك مما يستقذر من الأفعال. يقال: فلان طاهر الثياب؛ إذا كان نقيا من المعايب، سالما من النقائص. أو ثيابك فقصر: لتطهر من عادة الكبر؛ كشأن سادات العرب وكبرائها - فى الجاهلية - من جر الثياب كبرا وبطرا. أو المراد ظاهر اللفظ: فطهرها بالماء من النجاسات (والرجز) القذر، أو أريد به الأصنام «والرجز» والرجس: كل مستقذر يجر إلى العذاب والعقاب (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط رغبة فى رد ما تعطيه مضاعفاً. وهو أمر مشاهد فى زمننا الحاضر؛ فكم قد رأينا من يهدى البيضة منتظراً للدجاجة، ومن يهدى الدجاجة منتظراً للشاة، ومن يعطى رغبة فى الذكر والثناء العريض. وقد يكون المعنى: لا تمنن العطاء وتستكثره (انظر آية ٣٩ من سورة الروم) (ولربك فاصبر) أى لوجه الله تعالى اصبر على أداء الفرائض، وعلى أذى المشركين وكيدهم لك (فإذا نقر فى الناقور) نفخ فى الصور (فذلك يومئذ يوم عسير) شديد (على الكافرين) بك، المعاندين لك =

= (غير يسير) لما يتتابعهم فيه من الرعب القائم ، يتلوه العذاب الدائم ! (ذرنى ومن خلقت وحيداً) أى دعه لى وحدى فإنى أكفيكه ، وأنتقم لك منه ؛ وهو الوليد بن المغيرة . أو ذرنى ومن خلقته وحدى بلا معين؛ فلا أحتاج إلى معين فى إهلاكه ، أو ذرنى ومن خلقته وحيدا ؛ بلا مال ، ولا ولد (وجعلت له مالا ممدوداً) كثيراً وفيراً (وبنين شهوداً) حضوراً معه ـ يتمتع بقربهم ومشاهدتهم ، ويتمتعون بقربه ومشاهدته ـ وذلك لاستغنائه واستغنائهم عن التجارة ومشاق السفر (ومهدت له تمهيداً) أى بسطت له الجاه والرياسة

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ

(ثم يطمع) بعد كفره ومزيد إنعامنا عليه (أن أزيد) أى يرجو أن أزيد فى ماله وولده؛ من غير شكر لما تقدم من إنعامنا (كلا) لن أزيده ، ولن أجمع له بين الكفر والمزيد من النعم (إنه كان لآياتنا عنيداً) أى كان للقرآن جاحداً معانداً (سأرهقه صعودا) الإرهاق : حمل مالا يطاق . أى سأجعل له مكان ما يطمع فيه من الزيادة عقبة شاقة المصعد . وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الأليم (إنه فكر وقدر) أى فكر فى تكذيب القرآن ومنزله وقدر ما يقوله من الإفك ، ونسبة الرسول عليه الصلاة والسلام للسحر والجنون (فقتل) لعن وطرد من رحمة الله تعالى (كيف قدر) تعجيب من تدبيره وتقديره ؛ حيث بلغ غاية الكفر ؛ وهو تكذيب الرسول ، والطعن فيما جاء به (ثم قتل كيف قدر) تكراراً لتأكيد لعنه (ثم نظر) تفكر فى أمر القرآن (ثم عبس وبسر) قطب وجهه ، وزاد فى التقبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق والإيمان (واستكبر) عن اتباع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال) عن القرآن (إن هذا) ماهذا (إلا سحر يؤثر) يروى عن السحرة (إن هذا) ماهذا القرآن (إلا قول البشر) قاله محمد ، أو تعلمه ممن قاله . قال تعالى رداً على قوله وكفره (ساصليه) سأدخله (سقر) هو علم لجهنم (وما أدراك ماسقر) تهويل لشأنها (لاتبقى ولاتذر) لاتدع شيئاً ألقى فيها إلا أحرقته (لواحة للبشر) البشر : جمع بشرة ؛ وهى ظاهر جلد الإنسان . أى محرقة للجلود ، مسودة لها . والمراد بذلك تبيين أنها لاتهلكهم فيستريحوا ! (عليها تسعة عشر) ملكا ؛ يلون أمرها (وما جعلنا أصحاب النار) خزنتها (إلا ملائكة) لأنهم فى قواهم واستعدادهم خلاف البشر و «لايخشون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون» وقد أمرهم المنتقم الجبار بألا تأخذهم رأفة ، ولا رحمة بمن عصى الله تعالى (وما جعلنا عدتهم) بتسعة عشر (إلا فتنة) أى ابتلاء واختباراً (انظر آية ١ من سورة الفاتحة) (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ؛ لأن هذا العدد موجود فى كتبهم «إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف =

= إبراهيم وموسى» ﴿ولا يرتاب﴾ لا يشك ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك؛ وهم المنافقون ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أى أى شىء أراده الله بهـذا العدد؟ ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ وعددهم، ومبلغ قوتهم ﴿وما هى﴾ أى وما جهنم وذكرها ووصفها ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ عبرة وعظة ﴿كلا والقمر﴾ أقسم تعالى بالقمر؛ لمـا فيه من النفع العميم. فبه تنضج المزروعات، وبه يحدث المد والجزر فى البحار؛ وبهذا المد والجزر - الذى يحدث كل يوم وليلة - تتنفس الأرض؛ لأن المياه للأرض كالرئة، والهواء كالنفس؛ فإذا ماحدث الجزر - وهو انحسار المـاء عن شواطىء البحار، وارتفاعه فى وسطها - كان ذلك بمثابة الزفير. وإذا حصل المد - وهو رجعة المياه إلى الشواطىء، وعودتها إلى مستواها السابق - كان ذلك بمثابة الشهيق؛ وبذلك يتم فى الكون والكائنات ما أراده لها مبدعهما؛ من نمو، ونضج، ومعيشة؛ «صنع الله الذى أتقن كل شىء» ﴿والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر﴾ أى أضاء. أقسم تعالى أيضاً بادبار الليـل، وإسفار الصبح؛ لأن فيهماوقت صلاة الفجر؛ وفى هذا الوقت مافيه من التجليات؛ قال تعالى «إن قرآن الفجر كان مشهوداً» ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى إن سقر لأحدى البلايا والدواهى الكبيرة! ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ لفعل الخير ﴿أو يتأخر﴾ عنه ﴿كل نفس بما كسبت﴾ من شر ﴿رهينة﴾ أى كل نفس مذنبة مرهونة بذنبها؛ فلا يفك رهنها حتى تؤدى ما عليها من العقوبات. ومنها ما يحبس فى النار أبد الآبدين، ودهر الداهرين ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ إلا المسلمين؛ الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون؛ فإنهم ﴿فى جنات يتساءلون﴾ فيما بينهم ﴿عن المجرمين﴾ قائلين لهم ﴿ما سلككم فى سقر﴾ ما الذى أدخلكم فيها، وجعلكم من سكانها؟ ﴿قالوا﴾ لأنا ﴿لم نك من المصلين﴾ أى لم نك فى زمرة المؤمنين بربهم، المصلين له ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ كما كانوا يطعمون ﴿وكنا نخوض﴾ فى الباطل ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ يوم الجزاء؛ وهو يوم القيامة ﴿حتى أتانا اليقين﴾ الموت، أو القيامة التى كنا نكذب بها ﴿فما لهم عن التذكرة﴾ عن تذكرة الله تعالى لهم بهذا القرآن ﴿معرضين﴾ لا يستمعون لهـا؛ فيتعظون بها. وهم فى إعراضهم وتوليهم وانصرافهم عن الحق ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ وهى الحمر الوحشية، الغير المستأنسة: التى تجمح وتنفر ﴿فرت من قسورة﴾ أى فرت من الأسد، أو فرت من الرامى للسهام. وقـد كانوا يسمونه «قسورة» أو هو القانص. شبه تعالى انصرافهم عن الإيمـان، وإدبارهم عن الهدى: بالحمر المستنفرة؛ إذا رأت أسداً مفترساً، أو صائداً مقتنصاً ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ أى يريد كل واحد منهم أن يكون =

إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سورة

= نبيا ، ويؤتى صحفاً تنشر وتقرأ على الناس ؛ كصحف الأنبياء . أو يريد كل واحد منهم أن ينزل له كتاباً خاصاً ؛ يراه نازلا من السماء باسمه ﴿كلا﴾ لن يكون ما يريدون ﴿إنه تذكرة﴾ أى إن القرآن تذكرة بليغة كافية للجميع ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى من شاء : ذكر القرآن واتعظ به ﴿وما يذكرون﴾ هذا القرآن ، ويتعظون بما فيه ﴿إلا أن يشاء الله﴾ ذلك التذكر ، وهذا الاتعاظ . ولن يشاء الله ذلك : إلا إذا التزم الإنسان طاعته ، واجتنب عصيانه ، واتقاه حق تقاته ﴿هو﴾ جل شأنه ﴿أهل التقوى﴾ أهل لأن يتقى ؛ لأنه القوى الجليل ! ﴿وأهل المغفرة﴾ أهـل لأن يغفر لمن أطاعه واتقاه ؛ لأنه الغفور البر الرحيم!

(٧٥) سُورَةُ القِيَامَةِ مَكِّيَّة
وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

(سـورة القيامة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ أى أقسم به . والقسم به: تعظيم لشأنه ، وتأكيد لمجيئه ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ أى وأقسم بالنفس التى تلوم صاحبها على عصيانه ، وعلى تقصيره فى جنب الله تعالى ؛ وتستغفره بعد ذلك ، وتتوب إليه ، وتنيب له! ﴿أيحسب الإنسان﴾ أيظن الكافر ﴿ألن نجمع عظامه﴾ بعد تفتتها وتفرقها ﴿بلى قادرين﴾ على جمعها ، و﴿على أن نسوى بنانه﴾ أى نعيد أصابعه كما كانت فى الدنيا . والبنان : أطراف الأصابع ، أو هى الأصابع نفسها . وقد ذكرها الله تعالى ؛ لما فيها من دقة الصنع ، وغرابة الوضع. وذلك لأن الخطوط ، والتجاويف الدقيقة التى فى باطن أطراف أصابع إنسان : لا تماثلها خطوط أخرى فى أصابع إنسان آخر على وجه الأرض . وهى دقة لا يتصورها العقل ، ولا يحيط بكنهها اللب ؛ ولذلك يعتمدون على طابع الأصابع فى تحقيق الشخصية فى سائر أنحاء العالم ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ أى ليداوم على فجوره فيما بقى أمامه من الزمن ؛ لأن الفجر: الانبعاث فى المعاصى . أو المعنى «ليفجر أمامه» من التفجير ؛ أى ليبحث وينقب فيما أمامه من المغيبات التى لم يحط علمه بها ، ولا ضرورة تلجئه إلى بحثها ؛ ويؤيده ما بعده ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أى يسأل منكراً متعنتا : متى يوم القيامة ؟ ﴿فإذا برق البصر﴾ تحير فزعاً ورعباً ؛ وذلك يكون يوم القيامة ﴿وخسف القمر﴾ ذهب ضوؤه ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أى طلعا فى مكان واحد ـ وشأنهما ألا يجتمعا ـ أو جمع بينهما فى الخسف وذهاب الضوء ﴿يقول الإنسان﴾ الكافر ﴿يومئذ أين المفر﴾ من هذا العذاب ﴿كلا﴾ ردع عن طلب الفرار . أى لا فرار من عذاب الله تعالى ، ولا ملجأ منه إلا إليه ﴿لاوزر﴾ لا ملجأ ، ولامنجا ، ولاحصن ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ مستقر سائر الخلائق ؛ فيحاسبون ويجازون =

= (ينبأ الإنسان) أى يجازى (يومئذ بما قدم) فى الدنيا من عمل: خير أو شر (و) ما (أخر) من هذه الأعمال بعد موته. ذلك لأنه يستن بمن مات - فى الحسنات والسيئات - فيثاب بأجر من عمل بحسناته، ويجازى بعقوبة من تبعه فى سيئاته. قال صلوات الله تعالى وسلامه عليه «من سن سنة حسنة: فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة: فعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة» فذلك معنى قوله تعالى «وأخر» أو «بما قدم» من المعصية «وأخر» من الطاعة. أو يحاسب «بما قدم» من خير أو شر «وما أخر» منهما؛ فيعاقب على ما قدم من شر، وأخر من خير، ويثاب على ماقدم من خير، وأخر من شر (بل الإنسان) أى أعضاؤه وجوارحه التى تتكون منها نفسه (على نفسه) على ذاته (بصيرة) مبصرة لما يعمل ويرتكب فى الدنيا؛ فتكون شاهدة عليه يوم القيامة. أو «بصيرة» بمعنى حجة. أى هو بنفسه على نفسه حجة. وقد جاء فى القرآن الكريم الحجة بمعنى البصيرة؛ فى غير موضع: قال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم» «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة» (ولو ألقى معاذيره) أى ولو بسط يوم القيامة أعذاره، وحاول التخلص من ذنوبه، والتبرؤ منها (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك لتعجل به) أى لتعجل بقراءته. وقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ فى قراءة القرآن قبل فراغ جبريل منه؛ خشية أن يغيب عن ذهنه منه شىء (إن علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) وإثبات قراءته على لسانك (فإذا قرأناه) أى قرأه عليك جبريل بأمرنا (ثم إن علينا بيانه) أى بيان ما أشكل عليك فهمه (كلا بل تحبون العاجلة) الدنيا؛ لمتاعها الزائل، وزخرفها الباطل (وتذرون) تتركون وراء ظهوركم (الآخرة) فلا تعملون لها (وجوه يومئذ ناضرة) هى وجوه المؤمنين؛

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ

ٱلذَّكَرَ

تكون يومئذ حسنة مضيئة؛ لأنهم كرهوا الدنيا وباعوها، وأنفقوا ما اتفق الأكثرون على حفظه والحرص عليه، وأحبوا الآخرة، وعملوا لها (إلى ربها ناظرة) بلا كيفية، ولا جهة. وقال جار الله الزمخشرى: «ناظرة» أى منتظرة ثواب ربها. وهو قول وجيه من حيث تنزيهه تعالى عن رؤية المخلوقين «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة، شديدة العبوس (فاقرة) داهية عظيمة، تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة (إذا بلغت التراقى) أى إذا بلغت الروح التراقى؛ وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر؛ وهو كقوله تعالى «فلولا إذا بلغت الحلقوم» (وقيل من راق) أى تقول الملائكة: أيكم يرقى بروحه؛ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ أو قال أهله: من يرقيه ليشفيه؟ =

= أو هل من طبيب ينجيه ؟ ﴿وظن أنه الفراق﴾ أى أيقن المحتضر أن هـذا هو فراق الدنيا ﴿والتفت الساق بالساق﴾ هو مثـل لبلوغ الشدة أقصاها ، والـكربة مداها ! أى والتقى آخر يوم من الدنيا ـ وفيه مافيه من آلام المرض ، وسكرات الموت ـ بأول يوم من الآخرة ـ وفيه مافيه من عذاب القبر وأهواله ـ وهذا مثل للكافر فحسب ؛ بدليل قوله تعـالى ﴿فلا صدق﴾ بالقرآن ﴿ولاصلى﴾ للرحمن ﴿ثم ذهب إلى أهله﴾ رغم كفره وتـكذيبه ﴿يتمطى﴾ يتبختر كبراً وعجباً ﴿أولى لك فأولى﴾ أى ويل لك ، فويل لك ! أو هو خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بمعنى : أنت أولى بالتيه والتبختر ـ إذا جاز ذلك ـ حيث إنك رأس النبيين ، وإمام المتقين ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ أى لا يبعث، ولا يحاسب ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ أى ألم نخلقه ابتداء : من منى خلقناه فى صلب أبيه وترائب أمه ﴿ثم كان علقة﴾ وهى واحدة الحيوانات المنوية ؛ التى يتخلق منها الإنسان ، بصنع الرحمن ! ﴿فخلق فسوى﴾ أى فخلقه الله تعالى فسواه (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿فجعل منه﴾ أى من الإنسان ، أومن العلق ، أو من المنى ﴿الزوجين﴾ الصنفين ﴿أليس ذلك بقادرعلى أن يحيي الموتى﴾ أىأليس الفعال لهذه الأشياء ، الخالق لها ؛ بقـادر على إعادتها بعد فنائها ، وإحيائها بعد موتها ؟ !

ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

(٧٦) سُورَةُ الإِنسَانِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ٣١ نَزَلَتْ بَعْدَ الرَّحْمَن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ

(سورة الإنسان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أى قد مضى على الإنسان حين من الدهر . و«هل» تجيء بمعنى : قد ، وبل ، وأم . والمراد من الحين : هو مدة لبثه فى بطن أمه أو فى صلب أبيه . أو أريد بالإنسان : آدم عليه السلام . وبالحين : الزمن السابق على خلقته وإيجاده ﴿من نطفة﴾ منى ﴿أمشاج﴾ أخلاط . أى من نطفة الرجل مخلوطة بنطفة المرأة . ومشج بينهما : أى خلط ﴿نبتليه﴾ نختبره بالتكاليف ﴿فجعلناه﴾ استعداداً لهذه التكاليف ، وتهيئة له لفهمها وقبولها ﴿سميعاً﴾ يسمع فيزدجر ﴿بصيراً﴾ يبصر فيعتبر! وبعد استماعه واعتباره: ابتليناه بالتكاليف ؛ بعد أن أبنا له الطريقين «وهديناه النجدين» وأوضحنا له السبل ﴿إنا هديناه السبيل﴾ بينا له طريق الهدى ؛ بأدلة العقل ، والسمع ، والبصر «فجعلناه سميعاً بصيراً» يختار بنفسه طريقه ؛ الذى يحدد به مستقبله ومصيره ؛ فهو ﴿إما شاكراً﴾ لربه ، مؤمناً به ؛ فيكون من أهل الجنة ﴿وإما كفوراً﴾ بنعمة الله ، منكراً لوجوده ؛ فيكون من أهل النار! وقد اختار بعقله ؛ ما ارتضاه لنفسه! ﴿إنا أعتدنا﴾ =

مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

= أعددنا وهيأنا (إن الأبرار) جمع بر ، أو بار ؛ وهم الصادقون فى الإيمان (يشربون) فى الجنة (من كأس) لاتسمى الكأس كأساً: إلاوفيها الشراب ، وإلافهى كوب (كان مزاجها) ماتمزج به (كافوراً) ليس المراد بالكافور : الكافور المعلوم . بل أريد المبالغة فى طيب ما يمزج به الخمر ؛ ولأن الكافور : كان عند العرب من أطيب الطيب (عينا يشرب بها عباد الله) أى عينا فى الجنة ، طيبة الرائحة «يشرب بها عباد الله» الخمر . أو المراد بالعين نفس الخمر . ويكون معنى: «يشرب بها» أى منها . وقد جاء فى اللغة : يشرب بها ؛ أى يشرب منها . قال جميل :

شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أى من برد ماء الحشرج . والنزيف : الذى عطش حتى جف لسانه ، ويبست عروقه (يفجرونها) يجرونها حيث شاءوا ؛ وذلك النعيم لأنهم كانوا فى حياتهم الدنيا (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) طويلا ، فاشياً ، ممتداً . كأن سائلا سأل : بم استوجبوا هذا النعيم ؟ فأجيب : جزاء وفائهم بالنذر ، وخوفهم يوم الحساب ، وإطعامهم الطعام ! (ويطعمون الطعام على حبه) أى رغم حبهم للطعام ، وميلهم إليه ، وحاجتهم له . أو «على حبه» : فى سبيل حبه تعالى ، والتقرب إليه (انظر آية ٣٢ من سورة الزخرف) قائلين لمن يطعمونهم (إنما نطعمكم لوجه الله) أى ابتغاء مرضاته ، وطلب ثوابه ! لم يقولوا ذلك وإنما علمه الله تعالى من ضمائرهم وسرائرهم ؛ فأثنى عليهم به (يوماً عبوساً قمطريراً) القمطرير : الشديد العبوس . وصف تعالى اليوم بصفة أهله من الأشقياء (فوقاهم الله) بسبب ما قدموه (شر ذلك اليوم) العبوس القمطرير (ولقاهم نضرة) حسناً ، وجمالا ، وبهجة ، وإضاءة (وسروراً) يملأ وجوههم وقلوبهم (على الأرائك) الأسرة (لايرون فيها شمساً ولازمهريراً) أى لاحراً ولا برداً (وذللت قطوفها) أدنيت ، وسهل تناولها ؛ لأنها ليست كقطوف الدنيا : بعيدة المنال ، لا تنال إلابالاحتيال (قوارير من فضة) أى هى جامعة بين صفاء الزجاج ، وبياض الفضة وحسنها (قدروها تقديراً) هومبالغة فى وصف الآنية ونفاستها . أى إنها مقدرة ذات قدر كبير ، وقيمة عظيمة (كان مزاجها زنجبيلا) أى ما تمزج به كالزنجبيل ؛ فى جليل فوائده ، وطيب نكهته . وقد كانت العرب تستلذه ، ولا ترى أطيب منه (عيناً فيها تسمى سلسبيلا) أى هذا الزنجبيل عيناً فى الجنة «تسمى سلسبيلا» لسلاسة انحدارها فى الحلق ، وسهولة مساغها ؛ وهذا عكس زنجبيل الدنيا ؛ فإنه حريف لاذع (ويطوف عليهم ولدان) غلمان للخدمة (مخلدون) لا يموتون (حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) لصفاء ألوانهم ، وفرط جمالهم (وإذا رأيت ثم) =

= «ثمّ» وثمة: بمعنى هنالك. أى إذا رأيت هناك فى الجنة ﴿رأيت نعيما﴾ عظيما؛ لايحاكيه نعيم ﴿وملكا كبيراً﴾ لا يدانيه ملك ﴿عاليهم ثياب سندس﴾ وهو ما رق من الديباج؛ أى يعلو أهل الجنة «ثياب سندس» بمعنى أنهم يلبسونه ﴿وإستبرق﴾ ما غلظ من الديباج ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وفى مكان آخر من القرآن الكريم «من ذهب» فعلم أنه سيجمع بين الاثنين فى التحلية. أو أريد أن يجمع بين نفاسة الذهب، وصفاء الفضة وبياضها. ألا ترون إلى الذهب الأبيض؛ وقد علا وغلا عن الذهب الأحمر والأصفر؟ وإلى معدن البلاتين؛ وقد امتاز عن الذهب بالصفاء، والغلاء؛ فقد يبلغ ثلاثة أضعاف الذهب فى الثمن والقدر؛ مع امتيازه ببياض الفضة ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ مقبولا، مرضياً، محموداً ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ البكرة: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والأصيل ما بين الظهر والعصر. والمراد بذلك: المداومة على ذكره تعالى وتذكره فى كل الأوقات! وأريد بالذكر: الصلاة. فالبكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ المغرب والعشاء ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ أى وسبح فى الليل تسبيحاً كثيراً ﴿إن هؤلاء﴾ المشركين ﴿يحبون العاجلة﴾ الدنيا ﴿ويذرون﴾ يتركون ﴿وراءهم﴾ خلف ظهورهم العمل للآخرة ﴿يوماً ثقيلا﴾ شديداً؛ وهو يوم القيامة ﴿وشددنا أسرهم﴾ قويناهم، وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب. أو الأسر: بمعنى الكل. ومنه قولهم: خذه بأسره؛ أى خذه كله. فيكون معنى «وشددنا أسرهم» قوينا سائر أعضائهم وأجزائهم: كل عضو بمايحتاج إليه؛ من لحم، ودم، وعظم، وعصب، وغضروف ﴿إن هذه﴾ السورة، وما فيها من بدء خلقة الإنسان وتدرجها، وهدايته السبيل؛ بواسطة الحواس التى خلقها الله تعالى، والأعضاء التى ركبها فيه، وما أعد للكافرين من عذاب أليم، وللمؤمنين من نعيم مقيم، وأمره لرسوله وخيرته من خليقته؛ بالصبر على أذى الكافرين، ومواصلة ذكر رب العالمين، والصلاة له بكرة وأصيلا، وتسبيحه ليلا طويلا! إن جميع ذلك ﴿تذكرة﴾ عبرة لمن يعتبر، وعظة لمن يتعظ ﴿فمن شاء﴾ الجنة ونعيمها ﴿اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ طريقاً يرضيه عنه ويوصله إليه؛ وليس هناك من طريق يوصل إلى الله تعالى: سوى اتباع أوامره، والتزام طاعاته! ﴿وما تشاءون﴾ شيئاً ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أن تفعلوه، ولن يشاء سبحانه وتعالى لكم فعل الخير؛ إلا إذا أخذتم فى أسبابه؛ لأنه تعالى لا يشاء لإنسان الإيمان، وقد أصم سمعه عن استماع الهدى، وغطى قلبه عن تفهم الحجج والآيات والمعجزات؛ ولن يشاء جل شأنه لإنسان دخول الجنان، =

كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

= وقد أعلن الكفران، وجاهره بالعصيان، وعاث بالفساد، وظلم العباد؛ وأكل أموالهم، وحرم فقيرهم! وكيف يشاء الله تعالى لإنسان الخير وقد انصرف عنه؟ أو كيف يريد له الإيمان، وقد صد عنه؟! ﴿إن الله كان عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ في صنعه! فحذار أيها المؤمن أن تقول ما قاله الجاهلون: من أنه تعالى يسلك الكفر في قلوب الكافرين! فحاشاه تعالى أن يكون من الظالمين! واذكر قوله جل شأنه «ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك» واعلم أن ما استوجب الحمد: فمن الله، وما استوجب الاستغفار: فهو منك (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) ﴿والظالمين﴾ الكافرين. سماهم تعالى ظالمين: لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر، وعرضوها للعذاب.

(٧٧) سورة المرسلات مكية
إلا آية ٤٨ فمدنية
وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ

مِن مَّآءٍ

(سـورة المرسلات)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والمرسلات عرفا، فالعاصفات عصفاً، والناشرات نشراً، فالفارقات فرقا، فالملقيات ذكراً﴾ أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة؛ اللاتي أرسلهن بأوامره، واللاتي عصفن الرياح لتعذيب بعض الكفرة، واللاتي نشرن الشرائع في الأرض، وفرقن بين الحق والباطل، وألقين الذكر إلى الأنبياء عليهم السلام. والعرف: ضد النكر. أو هو إقسام من الله تعالى برياح عذاب أرسلهن فعصفن. وبرياح رحمة لنشرن السحاب في الجو، ففرقن بينه، فألقين ذكراً ﴿عذراً أو نذراً﴾ وهذا الذكر: إما عذراً للمعتذرين إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار نعمة الله تعالى ورحمته في الغيث فيشكرونهما؛ فتخصب أراضيهم، ويحل الخير بواديهم. وإما إنذاراً للذين يكفرون بها، وينسبونها إلى الأنواء ويقولون: مطرنا بنوء كذا. فتنقلب عليهم عذاباً، وتدع ديارهم يباباً. وجواب القسم ﴿إن ما توعدون﴾ به: من القيامة، والحساب، والثواب، والعقاب ﴿لواقع﴾ لا محالة! ومن دلائل القيامة ﴿فإذا النجوم طمست﴾ محيت، أو ذهب ضوؤها ﴿وإذا السماء فرجت﴾ فتحت وشققت ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أي جعل لها وقت معلوم؛ يحضرون فيه للشهادة على أممهم ﴿لأي يوم أجلت﴾ سؤال للتهويل والإشادة بشأن ذلك اليوم، وما يتم فيه من أمور جسام! فما أعظمه، وما أهوله! ﴿ليوم الفصل﴾ الذي يفصل فيه الله تعالى بين الخلائق؛ فيأخذ للمظلوم من ظالمه، وللمحكوم من حاكمه؛ ويجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته! ﴿ألم نهلك الأولين﴾ الأمم الماضية؟ حين كذبوا الرسل، وجحدوا بالآيات والمعجزات =

= ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ ممن سلك سبيلهم فى التكذيب والكفر ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ الذين يسيرون على سنتهم ، ويتبعون طريقتهم ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ حقير ؛ وهو النطفة ﴿فجعلناه فى قرار مكين﴾ هو الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ توقيت يعلمه الله تعالى ؛ هو مدة الحمل ؛ فإنها تختلف بين الستة أشهر والتسع ؛

مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟

عدا بعض الحالات الشاذة ﴿فقدرنا﴾ جميع ذلك لحكمة عظيمة ؛ لا يعلمها الأكثرون : فقد يتلف الجنين لو بقى فى بطن أمه أكثر من ستة أشهر ، وقد يتلف غيره من الأجنة لو لم يمكث تمام شهوره التسعة ، وقد تتلف الأم لو بقى الجنين أكثر ، أو أقل . فتعالى المقدر الحكيم العليم ! ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً﴾ أى تكفت الناس أحياء على ظهرها ، وأمواتاً فى بطنها . والكفت : الجمع والضم ﴿رواسى شامخات﴾ جبالا ثوابت ، طوالا شواهق ﴿ماء فراتاً﴾ عذباً . يقال : فرت الماء ؛ إذا عذب ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ أى انطلقوا إلى الذى كذبتم به ﴿انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب﴾ وهو دخان جهنم : يتشعب ثلاث شعب؛ لعظمه ﴿لا ظليل﴾ أى لا يظل من حر ذلك اليوم ﴿إنها﴾ أى جهنم ﴿ترمى بشرر كالقصر﴾ وهو البناء الشامخ العظيم ، أو الحصن ، أو هو الغليظ من الشجر ﴿كأنه جمالة﴾ جمع جمل؛ كحجر وحجارة ﴿صفر﴾ أى سود . جاء فى لغة العرب : الأصفر : الأسود ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ فيه بشىء ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين الخلائق ﴿فإن كان لكم كيد﴾ حيلة تدفعون بها عذابى عنكم وتحولون بين بطشى بكم ﴿فكيدون﴾ فافعلوا هذه الحيلة . وهو سؤال تحد : لإظهار ضعفهم ، وتبكيتهم على مافعلوه فى الدنيا ﴿إن المتقين فى ظلال﴾ جمع ظل ؛ والمراد به تكاثف أشجار الجنة ، لأن الجنة ليست فيها شمس فيستظل من حرها ﴿وعيون﴾ جارية

وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا
قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَإِ مَكِّيَّة وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي
هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴿٩﴾

(كلوا وتمتعوا قليلا) فى الدنيا ، وهو خطاب للـكافرين

(فبأى حديث بعده يؤمنون) أى بعد القرآن ؛ ومافيه من عبر؛ تدعو إلى الاعتبار ، وآيات ؛ تدعو إلى الاستبصار !

(سـورة النبأ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) أى عن أى شىء يتساءلون ؟ (عن النبإ العظيم) أى يتساءلون عن النبإ العظيم ؛ وهو البعث (كلا) ردع عن التساؤل ، وعن التكذيب (سيعلمون) عاقبة اختلافهم وتكذيبهم ؛ ويقال لهم : «ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون» (ألم نجعل الأرض مهاداً) أى فراشاً. والمهاد: جمع مهد ، وهو فراش الطفل (والجبال أوتاداً) لتثبت بها الأرض ؛ كما تثبت الخيمة بالأوتاد (وخلقناكم أزواجاً) أصنافاً

﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ أى راحة ، أو موتاً ؛ قال تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾ ستراً يستركم ؛ كما يستر اللباس الجسم عن الأبصار ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ تقومون فيه لمعاشكم ، أو هو وقت حياة : تبعثون فيه من نومكم ؛ الذى هو الموتة الصغرى كما فى قوله تعالى «وهو الذى جعل لكم الليل لباساً ، والنوم سباتاً ، وجعل النهار نشوراً» ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ السموات ﴿وجعلنا﴾ لكم ﴿سراجاً وهاجا﴾ الشمس ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ السحب ، وسميت بالمعصرات : لأنها تتحلب بالمطر ، وأعصروا: أمطروا . وقيل : «المعصرات» الريح تعتصر السحاب فيمطر ؛ ومنه الإعصار : وهو الريح تثير السحاب ﴿ماء ثجاجا﴾ سيالا ، منصباً بكثرة ﴿وجنات ألفافا﴾ أى بساتين ملتفة الأشجار ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾ وقتاً ؛ يثاب فيه المؤمن ، ويعاقب فيه الكافر ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ القرن ؛ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر ربه ﴿فتأتون﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أفواجا﴾ جماعات جماعات،وزمراً زمراً ﴿فكانت سراباً﴾ أى لاشىء ، وكان مكانها منبسطاً كالذى يرى عليه السراب ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ ترصد الكافرين ؛ كمن يترصد لعدوه ليفتك به ﴿للطاغين﴾ الكافرين ﴿مآبا﴾ مرجعاً ؛ ليس لهم مدخل غيرها فيدخلونها ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ ماكثين فى جهنم دهورا ﴿لايذوقون فيها برداً﴾ هو مايتبرد به ، أو هو بمعنى النوم ، أو الموت ﴿ولا﴾ يذقون فيها ﴿شراباً﴾ يطفىء ظمأهم ، ويروى غلتهم ﴿إلا حميا﴾ ماء بالغا نهاية الحرارة ﴿وغساقا﴾ هو مايسيل من صديد أهل النار ﴿جزاءاً وفاقا﴾ أى موافقاً لأعمالهم السيئة ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا﴾ أى لا يخافون محاسبة الله تعالى لهم ؛ على كفرهم وبغيهم ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ بحججنا وأدلتنا ﴿كذابا﴾ تكذيباً ﴿وكل شىء﴾ فعلوه ﴿أحصيناه كتابا﴾ أى كتابة ﴿فذوقوا﴾ جزاء أعمالكم ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ فوق عذابكم ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ فوزاً بمطلوبهم ، وظفراً بمرغوبهم ؛ وهو الجنة ﴿حدائق وأعنابا﴾ (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) ﴿وكواعب أتراباً﴾ نواهد مستويات فى السن

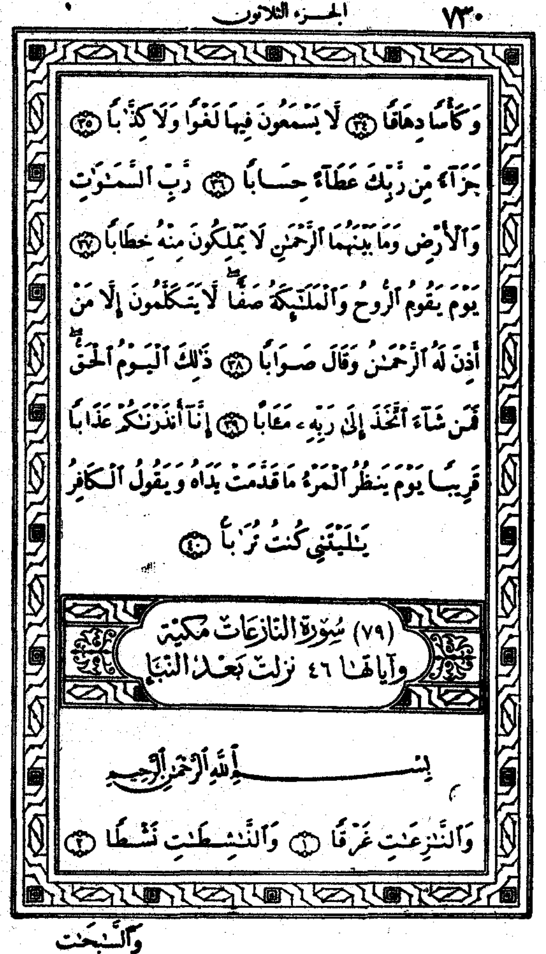
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾

﴿وكأسا دهاقا﴾ مترعة ملأى ﴿لايسمعون فيها لغواً﴾ باطلا وهجراً من القول ﴿ولا كذابا﴾ ولا تكذيباً من أحد لأحد ، أو لايسمعون فيها كذبا ﴿عطاء حسابا﴾ أى تفضلا على حسب أعمالهم ﴿لايملكون منه خطابا﴾ أى لا يستطيع أن يكلمه أحد من خشيته ، وهو بمعنى أنهم لايملكون الشفاعة إلا بإذنه ﴿يوم يقوم الروح﴾ جبريل عليه السلام . وقيل : «الروح» خلق كالناس وليسوا بالناس ﴿صفاً﴾ مصطفين ﴿ذلك اليوم﴾ هو اليوم ﴿الحق﴾ الذى يكذب به الكافرون ﴿فمن شاء﴾ منكم أيها الناس ﴿اتخذ إلى ربه مآبا﴾ أى مرجعا ؛ بأن يؤمن ويعمل الصالحات ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ فى يوم القيامة . وقربه : أن الميت حين يقوم من قبره يظن أنه ما لبث فيه سوى يوم أو بعض يوم «قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم» ﴿يوم ينظر المرء ماقدمت يداه﴾ أى ينظر ثوابه ، أو عقابه ؛ على ماقدم من خير أو شر ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ وذلك لأن الله تعالى يحشر الحيوانات يوم القيامة ؛ فيقتص للجماء من القرناء ، وبعد ذلك يصيرها ترابا ؛ فيتمنى الكافر أن لو كان كذلك ! (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) .

(سورة النازعات)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والنازعات غرقا﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار . وقيل : إن الكافر عند طلوع روحه: يشعر كأنه غريق ﴿والناشطات نشطاً﴾ التى تنشط الروح ؛ أى تخرجها برفق ؛ وهى نفس المؤمن



وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّة وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾

وَٱلسَّٰبِحَٰتِ

﴿والسابحات سبحاً﴾ التى تسبح فى مضيها؛ أى تسرع ﴿فالسابقات سبقاً﴾ التى تسبق إلى أداء ما أمرت به ﴿فالمدبرات أمراً﴾ التى تدبر أمر العباد بما يصلحهم فى دينهم ودنياهم؛ بأمر ربهم ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ تتحرك الأرض بشدة؛ فيموت كل من عليها. وهو عند النفخة الأولى ﴿تتبعها الرادفة﴾ النفخة الثانية؛

وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَالۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي الۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِالۡوَادِ الۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ الۡأٓيَةَ الۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ الۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الۡأٓخِرَةِ وَالۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ

وعندها تبعث الخلائق. وقيل: «الرادفة» السماء؛ لأنها تتبع الأرض فى التخريب؛ فتنشق؛ وتنتثر كواكبها ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ مضطربة ﴿أبصارها خاشعة﴾ ذليلة لهول ماترى ﴿يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة﴾ أى كانوا يقولون ذلك فى الدنيا، أو ذلك قولهم فى الآخرة. يقال: رد إلى حافرته: أى إلى أول أمره. وقيل: يتمنون أن لو ردوا إلى قبورهم ميتين، أو يردوا إلى الدنيا؛ كقوله تعالى حكاية عنهم «فهل إلى مرد من سبيل» ﴿نخرة﴾ بالية ﴿كرة خاسرة﴾ رجعة ذات خسران ﴿فإنما هى زجرة واحدة﴾ أى صيحة واحدة؛ وهى النفخة الثانية ﴿فإذاهم بالساهرة﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض ﴿بالواد المقدس﴾ المطهر المبارك ﴿طوى﴾اسم للوادى، أو هو بمعنى مرتين. أى الوادى الذى قدس مرة بعد أخرى. وقيل: «طوى» بمعنى طإ الأرض حافياً ﴿إنه طغى﴾ تجاوز الحد ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ ألقى موسى عصاه «فإذا هى حية تسعى» ﴿ثم أدبر يسعى﴾ تولى عن موسى، وسعى فى مكايدته. أو أدبر مرعوباً، يسرع فى مشيته ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ أى فجمع الجنود والسحرة ونادى فيهم قائلا: «أنا ربكم الأعلى» ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ أى فعاقبه الله تعالى على كلمتيه «الآخرة» وهى «أنا ربكم الأعلى» «والأولى» وهى «ما علمت لكم من إله غيرى» أو عاقبه الله عقاب الدنيا والآخرة ﴿إن فى ذلك﴾ التنكيل بفرعون، وبسائر الكافرين ﴿لعبرة﴾ لعظة ﴿لمن يخشى﴾ الله تعالى، ويخاف عقابه

(أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) أى أخلقكم بعد موتكم أصعب أم بناء السماء ؟ (رفع سمكها) أى أعلى ارتفاعها (وأغطش) أظلم (ليلها وأخرج ضحاها) أبرز ضوء نهارها (والأرض بعد ذلك دحاها) بسطها، أو جعلها كالدحية ؛ وهى البيضة . ويؤيده ما ذهب إليه الفلكيون ، والجغرافيون ؛ من كرية الأرض ، وانبعاجها كالبيضة (أخرج منها ماءها ومرعاها) فجر منها العيون ، وأخرج منها الكلأ الذى يرعى (متاعا لكم ولأنعامكم) أى كل ما ذكر : خلقناه متاعا لكم ولأنعامكم (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى ؛ وهى القيامة (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) ما عمل فى الدنيا ؛ من خير أو شر (فأما من طغى) كفر وفجر (وآثر الحياة الدنيا) أى فضل الدنيا الفانية الزائلة ؛ على الآخرة الدائمة الباقية (وأما من خاف مقام ربه) أى قيامه بين يديه للحساب (ونهى النفس عن الهوى) أى نهاها عما تهواه ؛ مما يوقع فى الردى ، ويستوجب العذاب (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (يسألونك عن الساعة) عن القيامة (أيان مرساها) متى وقتها ؟ (فيم أنت من ذكراها) أى أين أنت من ذكر الساعة ووقتها ؟ فقد تفرد بعلمها علام الغيوب ! (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها ، وما يكون فيها (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما أرسلناك لتنذر ـ من أهوالها ـ من يخشاها ؛ لا أن تعلمهم بوقتها (كأنهم يوم يرونها) أى يوم يرون الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلا عشية أو ضحاها) وهما طرفا النهار ؛ فكأنه تعالى يقول : لم يلبثوا إلا جزءاً من يوم . وهو تعالى القادر على تقصير الأوقات وإطالتها ؛ فقد يرى النائم أنه قد تزوج وأنجب ، وأنه قد مرت عليه من الأحداث مايستغرق السنين ذوات العدد ؛ وهو لم يزاول مضجعه بعد ، وقد لا يتجاوز وقته بضع ثوان ؛ فكذلك الميت حين يبعث يظن أنه لم يلبث فى دنياه وقبره إلا جزءاً من يوم

ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾
مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾
وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾
وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سورة

(ســورة عبس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس وتولى) أى قطب وجهه وأعرض . وهو حكاية عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (أن جاءه) أى لأن جاءه (الأعمى) وهو عبد الله بن أم مكتوم: أتى النبي صلى الله عليه وسلم - وعنده صناديد قريش يدعوهم للاسلام - فقال له: يارسول الله علمني مما علمك الله . وصار يكرر ذلك ؛ فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه مع صناديد قريش؛ فعبس لذلك ، وأعرض عنه ؛ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على هداية أشراف قريش ؛ ليهتدى باسلامهم قومهم (لعله يزكى) يتطهر من دنس الجهل بما يسمعه منك من الآيات والعظات (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه الذكرى) ويؤمن (أما من استغنى) كان غنياً بالمال ؛ كأشراف قريش (فأنت له تصدى) تتصدى ، وتتعرض ؛ بالإقبال عليه ؛ حرصاً على إيمانه (وما عليك ألا يزكى) أى وليس عليك بأس فى ألا يتطهر بالإسلام ؛ إن عليك إلا البلاغ (وهو يخشى) الله (فأنت عنه تلهى) تتلهى ، وتعبس ، وتتولى (كلا) أى لا تعد إلى مثلها من الإعراض عن الفقير ، والإقبال على الغنى (إنها تذكرة) أى إن هذه الآيات موعظة (فمن شاء) من المؤمنين (ذكره) تذكر تنزيل الله تعالى ووحيه ، واستمع إلى أوامره ونهيه ؛ وعلم أن بذل النصح والإرشاد واجب لمن يطلبه ويسعى إليه ؛ لا لمن يأباه وينصرف عنه (فى صحف مكرمة) أى إن هذه الآيات منتسخة من اللوح المحفوظ «فى صحف مكرمة» عند الله ، لايمسها إلا ملائكته المطهرون (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عما ليس من كلام الله تعالى (بأيدى سفرة) كتبة ؛ وهم ملائكة الرحمن ، الذين انتسخوها - بأمر ربهم - من اللوح المحفوظ (كرام بررة) كرام عند ربهم ، أتقياء (قتل الإنسان) لعن الكافر (ما أكفره) أى ما أشد كفره ! وعلام يكفر ، ولماذا يتكبر ؟ أفلا ينظر (من أى شيء خلقه) الله ؟ أليس (من نطفة) قذرة (خلقه فقدره) فسواه فعدله ؛ وهيأه لما يصلح له ، ويليق به من الأعضاء والأشكال (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (ثم السبيل يسره) أى بين له طريق الخير والشر ، أو سهل له الخروج من بطن أمه

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ٤٢ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ

(ثم إذا شاء أنشره) أحياه بعد موته ، وقت مشيئته (كلا لما يقض ما أمره) أى لم يفعل الكافر ما أمره الله تعالى به من الإيمان ؛ حتى الآن ، و «لما» تفيد النفى إلى الحال ؛ لأن منفيها متوقع الثبوت ؛ بخلاف منفى «لم» فإنه يحتمل الاتصال والانقطاع ؛ كلم يكن ، ثم كان (فلينظر الإنسان) نظر تدبر (إلى طعامه) أى فليتأمل كيف دبرنا طعامه الذى يأكله ويحيا به ، وكيف صنعناه ؟ ولينظر إلى الحبوب وأنواعها ؛ والثمار وطعومها ، والأزهار وألوانها ؛ ليعلم أن هذا بتقدير منا ، وتفضل من لدنا ، ولينظر كيف (أنا صببنا الماء صبا) من السماء أو الأنهار المتكونة من الأمطار (ثم شققنا الأرض شقاً) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) كالحنطة ، والشعير ، وغيرهما (وعنباً وقضباً) القضبة : الرطبة ؛ وهو كل نوع اقتضب ــ أى اقتطع ــ فأكل طريا ، وهو أيضاً ما يسقط من أعالى العيدان لمزيد نضجه (وزيتونا ونخلا) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (وحدائق غلباً) بساتين كثيرة الأشجار (وأبا) مرعى لدوابكم ؛ من أبه : إذا أمه ؛ أى قصده (فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة ؛ لأنها تصخ الآذان ؛ أى تصمها (يوم يفر المرء من) مساعدة (أخيه) ومعاونته والأخ واجب المعاونة والمساعدة فى كل وقت، وفى كل حين (و) من (أمه وأبيه) وبرهما فرض عليه (وصاحبته) زوجته ؛ وقد كلف بحفظها ورعايتها ، والذب عنها (وبنيه) وهم صنو روحه ، وقطعة من كبده (لكل امرىء منهم) أخا ، أو أما ، أو أبا ، أو زوجا ، أو ابنا ؛ لكل واحد منهم فى ذلك اليوم (شأن يغنيه) شغل شاغل ، وخطب هائل ؛ يصرفه عن الاهتمام بغيره ، إلى الاهتمام بنفسه . وفى هذا ما فيه من الدلالة على ما يكتنف هذا اليوم العصيب من أحداث تخرج المرء عن صوابه ، وتشغله عما حل به ! (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة ؛ وهى وجوه المؤمنين (ضاحكة مستبشرة) بما أعده الله تعالى لها من الثواب والجزاء (ووجوه يومئذ عليها غبرة) كدورة ؛ وهى وجوه الكافرين (ترهقها قترة) تعلوها ظلمة وسواد !

فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا
صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾
مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ
يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(سورة التكوير)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إذا الشمس كورت﴾ نكست ، وذهب بضوئها ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ انطمس نورها ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ انتثرت ، وسيرت فى الجو تسيير السحاب ﴿وإذا العشار﴾ وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ، وشارفت الوضع ﴿عطلت﴾ تركت مهملة ؛ لاشتغال أصحابها بأنفسهم ، أو «عطلت» من الولادة . وقيل : إن العشار السحاب ؛ وتعطيلها : عدم إمطارها ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ جمعت ، وبعثت للقصاص (انظر آية ٤٠ من سورة النبأ) ﴿وإذا البحار سجرت﴾ غلت مياهها ، أو امتلأت وتفجرت ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ أى الأرواح قرنت بأجسادها، أو إذا النفوس صنفت : كل نفس مع من يشا كلها من أجناسها ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ وهى التى دفنت حية . وقد كانت العرب تئد البنات خشية العار والإملاق . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بينما كان يجلس مع بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ إذ ضحك قليلا ، ثم بكى ؛ فسأله من حضر عن سبب ضحكه ، وسر بكائه ؟ فقال : لقد كنا فى الجاهلية نصنع الصنم من العجوة ؛ فنعبده أياماً ثم نأكله ؛ وهذا ما أضحكنى ، أما بكائى فلأنه كانت لى ابنة ؛ فأردت وأدها ــ كشأننا فى تلك الأيام ــ فأخذتها معى وحفرت لها حفرة؛ فصارت تنفض لحيتى كلما تراكم عليها التراب ؛ فلم يشفع لها ذلك دون وأدها ؛ وقد دفنتها حية ؛ وهذا ما أبكانى !

هـذا هو عمر ــ قبل الإسلام ــ فانظر إلى عمر بعد الإسلام ، وكيف خطت الدموع فى وجنتيه خطين ؛ لمزيد رقته ، وشدة بكائه ، وكيف أنه حمـل إلى أم الصبية ــ التى كانت تعلل أبناءها الجياع بالماء والحصى فى القدر ليناموا ــ الدقيق والسمن وجعل ينفخ فى النار ؛ ولحيته على الأرض فى التراب حتى طاب الطعام ، وأقبل على الصبية يطعمهم ، وهو يبكى ويقول : ويل عمر ! ليت أم عمر لم تلد عمر ! هذا ولم ينقل عمر من درك الوحشية ، إلى سماء الإنسانية : سوى دين الإسلام ــ الذى سرى فى روحه ، وأشرب به قلبه ــ دين النور ، والرأفة ، والرحمة دين السماحة والحضارة! ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ هى صحف الأعمال : تتكشف وتفتح للقراءة ﴿وإذا السماء كشطت﴾ قطعت وأزيلت ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أوقدت إيقاداً شديداً ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ هيئت ، وأدنيت من المتقين ﴿علمت نفس﴾ وقتذاك ﴿ما أحضرت﴾ =

(٨١) سورة التكوير مكية
وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾
وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾
وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾
فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾

= ما عملت من خير أو شر ﴿فلا أقسم﴾ أى أقسم ﴿بالخنس﴾ الكواكب الرواجع لأنها تذهب وتجيء ، أو هى الكواكب كلها ؛ لأنها تختفى نهاراً ، وتظهر ليلا ﴿الجوار﴾ السيارة ، التى تجرى مع الشمس ﴿الكنس﴾ التى تختفى تحت ضوء الشمس. وكناس الظبى: بيته ﴿والليل إذا عسعس﴾ أدبر بظلامه ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أقبل . ولا يخفى مافى مجيء الصبح من النسيم ، والروح ؛ الذى يشبه التنفس . وجميع ما تقدم : قسم ؛ وجوابه : ﴿إنه﴾ أى القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام ؛ وقد أسند إليه : لأنه هو الذى نزل به ﴿مكين﴾ ذى جاه ومكانة ﴿مطاع ثم﴾ أى مطاع هناك فى السموات ؛ يطيعه أهلها ﴿أمين﴾ على الوحى المكلف بإنزاله ﴿وما صاحبكم﴾ محمد ﴿بمجنون﴾ وقد استدل الزمخشرى بهذه الآيات على تفضيل الملك على الرسول؛ وهو استدلال باطل؛ لأنها لم ترد على سبيل التفضيل ؛ بل جاءت تكذيباً لقولهم : «إنما يعلمه بشر» وقولهم: «أم به جنة» وهذا وإن كان فيه غلو من جانب الزمخشرى فى تفضيل الملك على الرسول ؛ فقد تغالى أقوام بقولهم : إن عوام البشر : أفضل من عوام الملائكة . والذى أراه - ويراه كل منصف - أننا لو استثنينا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: كانت الملائكة أفضل من البشر ؛ لما ميزهم الله تعالى به من الطاعة المطلقة «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» وما اختصهم به من القرب «يسبحون الليل والنهار لا يفترون» (انظر آية ٢٩ من سورة الحجر) ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ أى لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام على صورته الملائكية بمطلع الشمس ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ أى وما محمد على تبليغ ما أوحى إليه ، وتعليمه للبشر بمقصر بخيل . وقرئ «بظنين» أى بمتهم ﴿وماهو بقول شيطان رجيم﴾ هو نفى لقولهم : إن القرآن كهانة وسحر ﴿فأين تذهبون﴾ أى فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريق ؟ ﴿إن هو﴾ أى القرآن : ما هو ﴿إلا ذكر﴾ تذكرة وتبصرة ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ أى لمن شاء الاستقامة ؛ بالدخول فى الإسلام . ومن هنا علم أن الإيمان والاستقامة فى وسع كل إنسان ، ووفق مشيئته ؛ ولا يمنع ذلك قول الحكيم العليم ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ إذ أنه جل شأنه «لايرضى لعباده الكفر» ولا يفعل عز سلطانه مالا يرضاه ! فمن فتح الإنسان مغاليق فهمه ، وأبدى استعداده لتلقى كلام ربه : أعانه الله تعالى على نفسه ، ودفع عنه بأس شيطانه ! أما إذا ركب رأسه ، ووضع أقفال الجهل على قلبه ، وأصم سمعه عن الهداية ، واتبع غير سبيل المؤمنين ؛ فإن الله تعالى يمد له فى ضلاله ، ويزيد فى خباله «ليذوق وبال أمره» وليس معنى ذلك أن الحكيم العليم فرض =

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الانفِطَارِ مَكِّيَّة
وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾

= عليهم الكفر فرضاً ، وألزمهم به إلزاما ، وقسرهم عليه قسراً !

(سورة الانفطار)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إذا السماء انفطرت﴾ انشقت ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت ﴿وإذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها على بعض ؛ فاختلط عذبها بأجاجها ، أو طغت البحار على اليابسة فأغرقتها ومحتها . والمراد أن كل شيء يضطرب ولا يستقر على حاله ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أخرج ما فيها من الموتى ﴿علمت نفس﴾ أي كل نفس ؛ وعلمها : رؤيتها الجزاء المعد لها ﴿ما قدمت وأخرت﴾ ما قدمت من معصية ، وأخرت من طاعة ، أو «ما قدمت» في حياتها من عمل - صالح أو طالح - وما «أخرت» بعد موتها من عمل يقتدى به غيرها ﴿يأيها الإنسان﴾ خطاب للكافر ﴿ماغرك بربك الكريم﴾ أي ما الذي جرأك على عصيان مولاك ؛ الذي أكرمك بما أكرمك ، وخلقك فسواك فعدلك ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ أي ركبك في صورة أي صورة ! والمراد أنه تعالى ركبك في أحسن الصور . لقوله تعالى «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» وقد ذهب بعض ضعاف الرأي إلى أن الله جلت قدرته أراد بهذه الآيات : إلهام المخاطب المعاتب بالجواب ؛ فللعبد أن يجيب مولاه بقوله : غرني كرمك . ألم يقل جل شأنه «يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم» وهذا - كما لا يخفى - تلاعب بالتأويل ؛ يأباه صريح التنزيل ! إذ أن هذا الكلام صادر في مقام التهويل والإرهاب ، والتخويف من شدة الحساب ! يدل عليه ما بعده ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار ، بكرم الجبار ﴿بل﴾ الحال أنكم ﴿تكذبون بيوم الدين﴾ يوم الجزاء ! وهو يوم القيامة ﴿وإن عليكم﴾ في كل وقت وآن ﴿لحافظين﴾ من الملائكة : يحفظون أعمالكم وأقوالكم ﴿كراماً﴾ أمناء على ما أسند إليهم من ربهم ﴿كاتبين . يعلمون ماتفعلون﴾ فيكتبونه ﴿إن الأبرار﴾ جمع بر ، أو بار ؛ وهم الذين يعملون البر ، ويتصفون به ﴿لفي نعيم﴾ جنة «عرضها كعرض السماء والأرض» ﴿وإن الفجار﴾ الكفار ﴿لفي جحيم﴾ الجحيم : اسم من أسماء النار . وكل نار عظيمة في مهواة : فهي جحيم . قال تعالى «قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم» ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ أي لا يخرجون عنها طرفة عين ؛ كقوله تعالى «وما هم بخارجين منها» وهذا ينقض قول =

بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

= القائلين بعدم الخلود في النار ، وأن المراد بالخلود : المبالغة في طول المكث (ثم ما أدراك مايوم الدين) تكرار لذكر هذا اليوم للتهويل !

(سورة المطففين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(٨٣) سورة المطففين مكية
وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت
وهي آخر سورة نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

كلا

(ويل) شدة عذاب . وقيل : هو واد في جهنم (للمطففين) الذين يبخسون الناس في الكيل والوزن ؛ يفسره ما بعده (الذين إذا اكتالوا على الناس) أي كالوا منهم لأنفسهم (يستوفون) ما يكيلونه (وإذا كالوهم) أي كالوا لهم (يخسرون) ينقصون . والتطفيف في الكيل والوزن : من أسوإ الأخلاق المسقطة للمروأة ، الماحية للحسنات ، المفسدة للايمان ، يقول الله تعالى «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» وقد صار للمشترى منك أمانة عندك ؛ وهي أن تؤدى له ما اشتراه كاملا غير منقوص . وصار للبائع لك أيضاً أمانة لديك ؛ وهي أن تؤدى له ثمنه كاملا ، ولتستوفى حقك منه بغير زيادة . فارع الله أيها المؤمن في دينك ، واخش مولاك من فوقك ! هذا وقد كان قدماء المصريين يقطعون يمين مطفف الكيل والميزان (ألا يظن أولئك) المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) هو يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) انتظاراً لثوابه ، أو عقابه (كلا) أي ليس الأمر كما يظنون ؛ من أنهم غير مبعوثين ، ولا معذبين ؛ بل (إن كتاب الفجار) صحف أعمال الكفار والمطففين (لفي سجين) واد في جهنم . وقيل : إنه ديوان الشر ؛ أمر الله تعالى أن تدون فيه أعمال الكفرة الفجرة ! (وما أدراك ما سجين) تهويل لشأنه (كتاب مرقوم) مسطور ؛ بين الكتابة (ويل يومئذ للمكذبين) الكافرين (الذين يكذبون بيوم الدين) يوم الجزاء (وما يكذب به إلا كل معتد) متجاوز للحد (أثيم) مرتكب للاثم (أساطير الأولين) أكاذيبهم (كلا) ردع وزجر عن قولهم ذلك (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي غطت على قلوبهم ذنوبهم ؛ حتى حجبتها عن الفهم ؛ فقالوا ماقالوا ، وفعلوا مافعلوا

﴿كلا﴾ أى حقا ﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ أى إن الكفار لمحجوبون من رحمة الله تعالى ومغفرته يوم القيامة ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ أى لداخلوا النار ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾ صحف أعمالهم. والأبرار: هم الذين يعملون البر، ويتصفون به ﴿لفى عليين﴾ أعالى الجنات. أو هو ديوان الخير؛ كما أن سجين ديوان الشر ﴿كتاب مرقوم﴾ مختوم ﴿يشهده المقربون﴾ أى يرونه رأى العين؛ أو أريد بالمقربين: الملائكة ﴿على الأرائك﴾ على الأسرة ﴿ينظرون﴾ ينظر بعضهم إلى بعض سروراً، أو ينظرون مغتبطين إلى ما اختصهم به ربهم من نعيم مقيم! ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ بهجة التنعم! ﴿يسقون من رحيق﴾ الرحيق: اسم من أسماء الخمر، وهو صفوتها. والرحيق أيضاً: الشراب الخالص؛ الذى لا غش فيه ﴿ختامه مسك﴾ أى مختومة أوانيه بالمسك؛ مكان الطين الذى كانوا يختمون به أوعية الخمر ﴿وفى ذلك﴾ أى فيما تقدم من النعيم والتكريم ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ فليرغب الراغبون، وليتسابق المتسابقون؛ بالمسارعة إلى الخيرات، والانتهاء عن السيئات! ﴿ومزاجه﴾ أى مايمزج به ذلك الشراب ﴿من تسنيم﴾ التسنيم: مصدر سنمه؛ إذا رفعه. والمعنى: أن الخمر تمزج بأرفع شراب فى الجنة ﴿إن الذين أجرموا﴾ من الكفار ﴿كانوا﴾ فى الدنيا ﴿من الذين آمنوا يضحكون﴾ استهزاء ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ عليهم؛ سخرية منهم ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ رجعوا إلى أهلهم فى الدنيا ﴿انقلبوا فكهين﴾ ضاحكين، ساخرين من المؤمنين ﴿وإذا رأوهم﴾ أى إذا رأى المجرمون المؤمنين ﴿قالوا﴾ عنهم ﴿إن هؤلاء﴾ الناس ﴿لضالون﴾ نسبوا إليهم الضلال وهو لاصق بهم. قال تعالى ﴿وما أرسلوا عليهم﴾ أى ما أرسل الكفار على المؤمنين ﴿حافظين﴾ لأعمالهم؛ فيردونهم إلى صلاحهم، ويمنعونهم عن ضلالهم الذى يزعمونه

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

(فاليوم) يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (على الأرائك) السرر (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) أى هل جوزوا فى الآخرة بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا.

(٨٤) سُورَةُ الانشِقَاقِ مَكِّيَّة وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

(سورة الانشقاق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

وراءَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) تصدعت وتقطعت يوم القيامة (وأذنت لربها) سمعت له وأطاعت؛ حين أراد انشقاقها (وحقت) أى وحق لها أن تمتثل لأمر خالقها؛ إذ هو مدبرها ومالكها (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها «لاترى فيها عوجا ولا أمتاً» (وألقت مافيها) أى ورمت مافى جوفها من الأموات، والأموال، والكنوز (وتخلت) عن حفظه فى بطنها (وأذنت لربها) سمعت له وأطاعت (ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فلاقيه) أى إنك جاهد ومجد بأعمالك التى عاقبتها الموت حتما؛ فتساق بعملك هذا إلى ربك فتلاقيه؛ فيكافئك عليه: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر «ووجد الله عنده فوفاه حسابه» (فأما من أوتى كتابه بيمينه) وهو المؤمن (فسوف يحاسب حسابا يسيراً) سهلا ليناً: يجازى على حسناته، ويتجاوز عن سيئاته (وينقلب إلى أهله) إلى عشيرته المؤمنين، أو إلى أهله من الحور العين (مسروراً) بما لاقاه من الإكرام والتكريم، وعفو البر التواب الرحيم!



﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ وهو الكافر . وقيل: تغل يمناه إلى عنقه ، وتجعل شماله وراء ظهره ؛ فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ الثبور : الهلاك . أى يتمنى الهلاك ﴿ويصلى سعيراً﴾ يدخل جهنم ﴿إنه كان فى أهله مسروراً﴾ أى كان فى الدنيا لاهياً لاعباً . قال تعالى «وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين» ﴿إنه ظن﴾ تيقن . والظن ـ فى القرآن الكريم ـ يأتى دائماً بمعنى اليقين ؛ إلا فى بضع مواضع ـ يقتضيها مقام الكلام ـ فإنها جاءت بمعنى الشك كقوله تعالى «إن نظن إلا ظنا» «إن هم إلا يظنون» ﴿أن لن يحور﴾ لن يرجع ﴿بلى﴾ سيرجع ﴿إن ربه كان به﴾ وبأعماله ﴿بصيراً﴾ فيأخذه بها ﴿فلا أقسم﴾ أى أقسم ﴿بالشفق﴾ وهو الحمرة التى تشاهد فى الأفق بعد الغروب . وعند الزجاج : إنه النهار ﴿والليل وما وسق﴾ أى وما جمع وضم ؛ لأن ما انتشر بالنهار : يجتمع بالليل ؛ حتى أن جناحيك اللذين تمدهما إلى العمل بالنهار : تضمهما إلى جنبيك للراحة بالليل . والليل يضم الأفراخ إلى أمهاتها ، والسائمات إلى مناخها، والإنسان إلى فراشه . وبالجملة فإن كل ما نشره النهار بالحركة؛ يجمعه الليل ويضمه بالسكون ﴿والقمر إذا اتسق﴾ إذا اجتمع وتم ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ أى لتركبن حالة بعد حالة ؛ على أن الحالة الثانية تطابق الحالة الأولى . أى ستعودون بعد الموت إلى حياة أخرى شبيهة بحياتكم هذه ، مطابقة لها: من حيث الحس والإدراك، واللذة والإلم . أى انها حياة حقيقية ، وإن خالفت فى بعض شؤونها هذه الحياة ﴿فمالهم﴾ رغم هذه الدلالات ﴿لا يؤمنون﴾ بربهم ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون﴾ أى لا يخضعون لأوامره تعالى ونواهيه ؛ لأن السجود أصلا معناه الخضوع . وبه سمى السجود فى الصلاة ؛ لما فيه من الذلة والخضوع : بوضع الرأس ـ وهى أشرف الأعضاء ـ فى موضع القدم ؛ وهى أخسها ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ دائماً بآيات الله تعالى ورسله ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ بما يضمرون من الكفر والحقد على المسلمين ﴿إلا الذين آمنوا﴾ بالله وكتبه ورسله ﴿وعملوا الصالحات﴾ التى أمرهم الله تعالى بها ، وحثهم عليها ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أى غير مقطوع ، أو «غير ممنون» عليهم به .

وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ۩ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّة
وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

(سورة البروج)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء ذات البروج﴾ ذات الكواكب والنجوم ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة ؛ الذى وعد الله به المؤمنين ، وأوعد الكافرين

﴿وشاهد ومشهود﴾ قيل: الشاهد: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والمشهود: يوم القيامة. أو الشاهد: أمة محمد، والمشهود: سائر الأمم. أو الحفظة وبنو آدم ﴿قتل﴾ لعن ﴿أصحاب الأخدود﴾ وهم قوم كانوا يشقون فى الأرض شقا؛ فيوقدون فيه ناراً يطرحون فيها كل من آمن بنبيهم ﴿النار ذات الوقود﴾ بيان للأخدود ﴿إذ هم عليها قعود﴾ أى جلوس حول النار؛ يتشفون فى المؤمنين باحراقهم فيها ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ أى حضور: ناظرون لهم، فرحون بتعذيبهم وإيلامهم ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ أى وما كان سبب انتقامهم هذا؛ سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين﴾ أى ابتلوهم بالأذى ﴿ثم لم يتوبوا﴾ عن إيذاء المؤمنين ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ البطش: الأخذ بعنف وقسوة؛ فإذا ما وصف بالشدة؛ فقد تضاعف وتزايد ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أى يخلق الخلق ابتداء، ويعيدهم بعد الموت عند بعثهم. وقيل: «يبدئ» العذاب على الكفار، ويعيده عليهم ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب ﴿الودود﴾ الذى يبذل وده لأوليائه. وناهيك بود الغفور الودود! ﴿ذو العرش﴾ صاحب العظمة والسلطان ﴿المجيد﴾ ذو المجد؛ المستحق لسائر صفات العلو ﴿فعال لما يريد﴾ لا يعجزه شىء ﴿هل أتاك﴾ يامحمد ﴿حديث الجنود﴾ نبؤهم وما تم فى أمرهم. وهم ﴿فرعون وثمود﴾ وقد كانوا أشد بأسا، وأقوى مراساً؛ من بأس قومك وشدتهم؛ وقد أخذهم الله تعالى بذنوبهم ﴿بل الذين كفروا﴾ فى سائر الحالات، وكل الأوقات ﴿فى تكذيب﴾ لماجاءت به الرسل، ونزلت به الكتب

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ

مِن

﴿والله من ورائهم محيط﴾ قادر عليهم، وعالم بأحوالهم ﴿بل هو﴾ أى بل المكذب به ﴿قرآن مجيد﴾ عزيز، شريف ﴿فى لوح محفوظ﴾ اللوح المحفوظ: شيء أخبرنا الله تعالى به، ولم يعرفنا حقيقته وكنهه. وأما دعوى أنه جرم مخصوص، بذات مخصوصة - كما أورده بعضهم - فهـذا ما لم يثبت بالتواتر عن المعصوم صلوات الله تعالى وسلامه عليه. واللوح المحفوظ: مدون فيه ما كان، وما يكون؛ فى كوننا هذا؛ بل فى سائر الأكوان التى خلقها الله تعالى؛ من بدء الخليقة حتى قيام الساعة. وهو قابل للمحو والإثبات؛ عـدا أم الكتاب فإن مافيه لايقبل محواً ولا إثباتاً.

مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّة
وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾

ومثل اللوح المحفوظ؛ كمثل القانون العام الذى يصدره الملك؛ ويذكر فيه كل ما يريده من الأنظمة المنظمة لملكه، الصالحة لرعيته: لذا كان القرآن الكريم بعض ما تدون فى اللوح «إنه لقرآن كريم، فى لوح محفوظ» والقرآن الكريم بعض ماتناوله المحو والاثبات فى اللوح المحفوظ «ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها» فالنسخ والإنساء: محو، والإيتاء بخير - مما نسخ أو أنسى - أومثله: إثبات؛ وكل ذلك بأمر العزيز الجليل! وكل إنسان يولد: يكتب فى اللوح المحفوظ رزقه، وأجله، وسعادته أو شقاوته؛ فى هذه الحياة. وجميع ذلك خاضع للمحو والإثبات. فمن وصل رحمه: اتسع رزقه، وطال أجله؛ كنص الحديث الشريف. ومن تصدق: رفع من ديوان الأشقياء وكتب فى ديوان السعداء. وقد ورد فى الحديث عن سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب: فيعمل بعمل أهل النار: فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب: فيعمل بعمل أهل الجنة: فيدخلها» وظاهر الحديث: أن الإنسان ليعمل السيئة؛ فيقذف به فى النار - وقد قضى حياته فى موجبات النعيم - وأنه ليعمل الحسنة؛ فيزف إلى الجنة - وقد قضى حياته فى موجبات الجحيم! أما أم الكتاب: فهو علم الله الأزلى الأقدس؛ الذى لايعتريه تبديل ولاتغيير، ولايلحقه محو ولا إثبات؛ ولا يطلع عليه ملك ولا رسول! فسبحان من أحاط علمه بالكائنات، وتنزه عن صفات المخلوقات، وتفرد بالملك والملكوت! وقيل: إن اللوح المحفوظ: هو أم الكتاب (انظر آية ٣٩ من سورة الرعد).

(سـورة الطارق)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء والطارق﴾ وهو النجم. وأصل «الطارق» كل آت ليـلا ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ =

= تهويل لذكره ، وتعظيم لشأنه (النجم الثاقب) الذى يثقب الظلام بضوئه (إن كل نفس لما عليها حافظ) أى ما كل نفس إلا عليها حافظ ـ من قبل الله تعالى ـ يحفظ عملها ، ويحصى عليها ما تكسب من خير أو شر ؛ كما فى قوله تعالى «وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون» وقوله تعالى «ويرسل عليكم حفظة» أو أريد بالحافظ : الله تعالى «فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين» (فلينظر الإنسان) نظر تدبر واستبصار (مم خلق) من أى شيء خلق ؟ فعلام التكبر ، وحتام التجبر؟ ! (خلق من ماء دافق) وهو المنى ؛ لأن الله تعالى جلت قدرته جعله يتدفق من الرجل بقوة ؛ ليصل إلى بوق الرحم (يخرج من بين الصلب والترائب) الصلب : فقار الظهر ؛ وهو ما تعبر عنه العامة بسلسلة الظهر . والترائب : عظام الصدر . والجنين يتخلق من صلب الرجل ، وترائب المرأة . وهناك رأى يقول بأنه يتخلق من صلب الرجل وترائبه أيضاً (إنه) تعالى ؛ وقد خلق المنى ، والصلب ، والترائب ، والرجل والمرأة (على رجعه) على إعادة الانسان ، وبعثه ، وجعله كما كان (لقادر) يوم القيامة (يوم تبلى السرائر) تكشف سرائر بنى آدم ، ويعرف مابها من العقائد والنيات . أما الأعمال: فهى مدونة مكتوبة (فما له من قوة) تدفع عنه العذاب (ولا ناصر) ينصره من الله ، ويجيره من عذابه (والسماء ذات الرجع) الرجع : الماء . أى والسماء ذات المطر (والأرض ذات الصدع) أى ذات النبات ؛ لأنه يصدع الأرض ، أى يشقها . أقسم تعالى بالسماء التى تفيض عليكم بمائها ، وبالأرض التى تقيم معاشكم بنباتها . وجواب القسم (إنه لقول فصل) أى إن هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) ما هو باللعب والباطل؛ بل هو جد كله ؛ جدير بقارئه وسامعه أن يتعظ به ، ويفكر فيه ، ويتدبر فى معانيه (انهم يكيدون كيداً) يعملون المكائد ؛ لإبطال أمر الله تعالى ، وتعطيل دينه (وأكيد كيداً) أى وأجازيهم على كيدهم هذا بكيد مثله . وأين كيدهم من كيدى ؟ ! (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) أى لا تستعجل هلاكهم ومؤاخذتهم ؛ وأمهلهم قليلا . وهذا منتهى الوعيد !

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ
الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

(٨٧) سُورَةُ الأَعْلَى مَكِّيَّة
وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ
مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

قَدْ

(سورة الأعلى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) أى نزهه عما لا يليق به (الذى خلق) سائر المخلوقات (فسوى) ما خلقه ، =

= وأخرجه على أحسن نظام يصلح له ، وفى خير حالة أعد لها ﴿والذى قدر فهدى﴾ أى الذى «قدر» فى كل شىء من المزايا والخواص : ماتعجز عن إدراكه الأفهام ، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما فيه !

فلو تأملت ما فى النبات من الخواص ، وما فى المعادن من المزايا ؛ وكيف اهتدى الإنسان للانتفاع بها ، وكيف استطاع أن يستنبط من الحيوان والنبات : مادة لغذائه ، ومما تخرجه الأرض : مادة لدوائه ، ومما فى باطنها من المعادن والفلزات : مادة لحياته ؛ فلولا ما وفق إليه من تحويل الحديد إلى أسلحة وأدوات ؛ لما استطاع أن يبنى الدور ، أو يشيد القصور ، أو ينشئ المصانع ، ويصنع المدافع ، ويبنى الأساطيل الجوية والبحرية ؛ التى يحمى بها الذمار ، ويذود بها عن الديار ! إنك لو تأملت جميع ذلك بعين التفكر والاستبصار ؛ لعلمت أنه لولا تقديره تعالى لخليقته ، وهدايته لبريته : لكنا نهيم فى دياجير الظلام ، كسائر الأنعام! ﴿والذى أخرج المرعى﴾ أنبت ما ترعاه الدواب من الكلإ ﴿فجعله غثاء﴾ أى هشيما يابساً ﴿أحوى﴾ أسود . ولا يخفى ما فى المرعى من المنفعة ؛ بعد صيرورته هشيما يابساً ؛ فإنه يكون طعاماً هشاً ، نافعاً لكثير من الحيوانات؛ مسمن لها ، مدر لألبانها . فسبحان من أحكم كل شىء ، و «قدر فهدى» ! ﴿سنقرئك﴾ يا محمد ﴿فلا تنسى﴾ أى سننزل عليك كتابا تقرؤه على أمتك ، ولا تنسى منه شيئاً «إن علينا جمعه وقرآنه» ﴿إلا ما شاء الله﴾ نسخه من القرآن ؛ فإنه ينسيك إياه ؛ كقوله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها» ﴿ونيسرك لليسرى﴾ أى نهديك ونوفقك للشريعة السمحة ؛ التى يسهل على النفوس قبولها ، وعلى العقول فهمها ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ أى عظ الناس ؛ حيث تنفع العظة . وقيل : العظة واجبة ؛ نفعت أو لم تنفع . وهو قول باطل ؛ لأنه من الحمق والخرق أن تعظ أقواماً وأنت على تمام اليقين من أنهم لن يقبلونها . وإنما يجب التذكير : إذا كان فيهم من يقبلها ، ومنهم من يرفضها ؛ ويؤيده ما بعده ﴿سيذكر من يخشى﴾ الله تعالى ، ويخاف عقابه ﴿ويتجنبها﴾ يرفضها ، ولا يسمعها ، وإن سمعها لا يعمل بها ﴿الأشقى﴾ الكافر ؛ الذى هو أشقى المخلوقات ؛ بما سينزل عليه من العذاب والبلاء ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ وهى جهنم . أما النار الصغرى : فهى نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ كما مات فى الدنيا واستراح ﴿ولا يحيا﴾ أى ولا تتوفر له أسباب الحياة ؛ لأن من دأب النار الإماتة والإفناء ؛ بمعنى أنه لا يحيا حياة طيبة من غير الاحتراق ، الذى هو من أسباب الموت ﴿قد أفلح من تزكى﴾ تطهر من الكفر بالإيمان ، ومن المعاصى بالطاعة . أو هو بمعنى تصدق ﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه =

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

(٨٨) سورة الغاشية مكية
وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا

= (فصلى) الصلاة المكتوبة ؛ أو بمعنى : فرحم الفقير ؛ لأن من معانى الصلاة : الرحمة «هو الذى يصلى عليكم» أى يرحمكم (بل تؤثرون الحياة الدنيا) تفضلونها . ومعنى ماتقدم : قد أفلح من تصدق ، وتذكر ربه فرحم الفقير ؛ بل أنتم تفضلون الحياة الدنيا فتبخلون (والآخرة) وما فيها من النعيم (خير) من الدنيا وما فيها (وأبقى) لدوام نعيمها . أما ماترونه من نعيم الدنيا ؛ فإنه صائر إلى الزوال والفناء (إن هـذا) أى ماتقـدم من النصح الربانى ، والإرشاد ، والتذكير ، والتحذير (لفى الصحف الأولى) التى نزلت قبل القرآن (صحف ابراهيم وموسى) وذلك لأن التحذير من النار، والتبشير بالجنة ، والتعريف بالله تعالى ، والدعوة إلى الإيمان به ، والحث على طاعته ؛ كل ذلك وارد فى كتب الله ، المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(٨٩) سُورَةُ الفَجْرِ مَكِّيَّة
وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾

وَٱلَّيْلِ

(سورة الغاشية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حـديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بأهوالها وشدائدها ؛ يعنى يوم القيامة . أو هى النار ؛ كقوله تعالى «وتغشى وجوههم النار» والمعنى : هل علمت يامحمد حديث الغاشية ؟ فإن لم تـكن تعلم ؛ فهاك حديثها ، وحدثها (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) أى وقع منها فى الدنيا عمل ، وأصابها فيه نصب ؛ أى تعب . وقيل: إنها تعمل ما تتعب فيه يوم القيامة : كخوض النار ، وجر السلاسل والأصفاد ، ونحو ذلك . والأول أولى ؛ لمقابلته مع قوله تعالى فى وصف أهـل الجنة «لسعيها راضية» أى لأعمالها فى الدنيا (تسقى من عين آنية) أى شديدة الحرارة ؛ من أنى الحميم : إذا انتهى حره ؛ فهو آن (ضريع) الضريع : شوك ردىء ترعاه الإبل ؛ فتسوء حالها . ويسمى الشبرق . و (وجوه يومئذ ناعمة) حسنة منعمة ؛ ذات بهجة (لسعيها راضية) لعملها فى الدنيا فرحة ، مطمئنة لما رأته من ثوابه (فى جنة عالية) بستان مرتفع . والعلو هنا : حساً ومعنى (لا تسمع فيها لاغية) أى لا تسمع فيها فحشاً ، ولا شتما ، ولاسباً (فيها سرر مرفوعة) ليرى الجالس عليها ماخوله ربه من النعيم ، والملك العظيم ! وهى مرفوعة قدراً ومحلا (ونمارق) وسائد . وهو ما يسمى بالمسند والمخدة (وزرابى) بسط فاخرة منقوشة (مبثوثة) مبسوطة (أفلا ينظرون) نظر تأمل واعتبار (إلى الإبل كيف خلقت) على هذا النحو العجيب ، والوضـع الغريب ! فانظر ـ يارعاك الله ـ كيف أنها تبرك ؛ ليستطيع الإنسان أن يضع عليها حمولتها عن قرب ، ثم تقوم بما تحمل ، بما ينوء بالعصبة أولى القوة . ثم تميزها بالصبر على الجوع =

= والعطش الأيام المعدودات ، ثم بلوغها المسافات الطويلة . ثم اكتفاؤها من المرعى بما لايكاد يرعاه سائر البهائم . إلى غيرذلك من استعدادها الخلقى الذى يساعدها : فشفتها مشقوقة لسهولة تناول الكلإ أثناء المشى، ورجلها مفرطحة لئلا تغوص فى الرمال فيعوقها ذلك عن السير . فتبارك الذى أحسن كل شىء خلقه !

وقد خص الله تعالى «الإبل» بالذكر : لأنها أفضل دواب العرب ، وأكثرها نفعاً ﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾ من غير عمد ﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ فبعضها قائم ، وبعضها منحدر ، وبعضها كبير ، وبعضها صغير ؛ وما خفى منها فى باطن الأرض أكبر مما ظهر . قال تعالى «والجبال أوتاداً» وكل ذلك لحفظ توازن الأرض ـ أثناء دورانها ـ لئلا تميد بكم ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ بسطت رأى العين ؛ ولو أنها فى واقع الأمر كرية الشكل . وهاقد وضحت الأدلة، وقامت البراهين ـ حتى بلغت حد اليقين ـ على وجود رب العالمين ! ﴿فذكر﴾ هؤلاء الكفار ؛ بصنع العزيز الجبار ، وبأنعمه تعالى عليهم، ووضوح أدلة وجوده وجوده ! ﴿إنما أنت مذكر﴾ فلا عليك أن يهتدوا ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ بمتسلط ﴿إلا من تولى وكفر﴾ فلا داعى لتذكيره . قال تعالى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» «فذكر إن نفعت الذكرى» أما «من تولى وكفر» وطغى واستكبر ؛ فيقابل بالسنان لا باللسان ! وبعد ذلك يرد إلى يوم القيامة ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ فى النار وبئس القرار ؛ بعد أن يلقى العذاب الأصغر فى الدنيا ؛ بالقتل، والأسر ، والذل ، وعذاب القبر ﴿إن إلينا إيابهم﴾ مرجعهم جميعاً ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ جزاءهم على مافعلوه فى دنياهم .

وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

(سورة الفجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والفجر﴾ أقسم سبحانه وتعالى بالفجر ؛ لما فيه من خشوع القلب ، لحضرة الرب . وقيل : أريد بالفجر: النهار كله ﴿وليال عشر﴾ هى عشر ذى الحجة ؛ أقسم بها تعالى : لما يكتنفها من عبادات ، ومناسك ، وقربات وقيل: هى العشر الأواخر من رمضان ﴿والشفع والوتر﴾ أى والزوج والفرد ؛ كأنه تعالى أقسم بكل شىء ؛ لأن سائر الأشياء: إمازوجا ، وإما فرداً . أو هو قسم بالخلق والخالق ﴿والليل إذا يسر﴾ إذا يمضى . قيل: هى ليلة المزدلفة ؛ لاجتماع الحجيج بها ، وصلاتهم فيها ، وقيامهم بمناسك حجهم ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ الحجر: العقل ؛ لأنه يحجر صاحبه عما لاينبغى . أى هل فى ذلك القسم الذى أقسمت به مقنع لذى عقل ؟ ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ هم قوم هود عليه السلام . وهى عاد الأولى =

وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

(٩٠) سُورَةُ البَلَدِ مَكيّة وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾

= ﴿إرم﴾ هو اسم لجد القبيلة ، أو هو اسم قبيلة عاد نفسها ﴿ذات العماد﴾ وصف لإرم : التي هي قبيلة عاد ومعنى «ذات العماد» سكان الخيام ؛ لأنها تنصب بالعمد . أو هو كناية عن القوة والشرف وقال قوم: إن «إرم» هي دمشق . وقال آخرون : إنها الإسكندرية . أما ما رواه المفسرون ؛ من أن «إرم ذات العماد» مدينة عظيمة : قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الياقوت والزبرجد ؛ فهو من أقاصيص اليهود وأساطيرهم ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ أي لم يخلق مثل أهلها ؛ في القوة والبطش ، والخلقة ﴿وثمود﴾ قوم صالح عليه السلام ﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ أي قطعوا الحجارة ونحتوها ، واتخذوها بيوتاً ؛ لقوله تعالى «وتنحتون من الجبال بيوتاً» ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ قيل : كانت له أوتاد يربط بها من يريد تعذيبه . وقيل: هو كناية عن كثرة الجنود ، وخيامهم التي يأوون إليها . وقيل «الأوتاد» المباني العظيمة ؛ كالأهرام ونحوها وقيل : غير ذلك ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ تجبروا فيها ، وتكبروا على أهليها ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ أي أكثروا المعاصي وسفك الدماء ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ هو كناية عن شدة التعذيب ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي لايفوته شيء ؛ وسيجازي على سائر الأعمال : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ اختبره وامتحنه بالغنى ومزيد النعم ﴿فأكرمه﴾ بالمال والآل ، والعيال ﴿فيقول ربي أكرمن﴾ بما أعطاني من النعم التي أستحقها . ولم يعلم أنه ابتلاء له : أيشكر أم يكفر ؟ ﴿وأما إذا ما ابتلاه ربه﴾ اختبره أيضاً وامتحنه بالفقر والفاقة ﴿فقدر عليه رزقه﴾ ضيق عليه عيشه ﴿فيقول ربي أهانن﴾ بتضييقه علي ، ولم يخطر بباله أنه ابتلاء له : أيصبر أم يجزع ؟ ولم يعلم كلاهما أن التقدير قد يؤدي إلى كرامة الدارين ، وأن التوسعة قد تفضي إلى خسرانهما ! والمعنى : أن الإنسان على كلا الحالين لا تهمه الآخرة ؛ بل جل همه العاجلة ؛ ويرى أن الهوان في قلة الحظ منها ﴿كلا﴾ ليس الإكرام والإهانة: في كثرة المال وقلته ، وسعة العيش وتضييقه ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ انتقل القرآن الكريم من بيان سوء أقوال الإنسان ؛ إلى بيان سوء أفعاله ، وإلى أن التوسعة ـ كما قدمنا ـ قد تؤدي إلى الخسران ؛ إذا لم يقم الموسع عليه بما يجب عليه : من إكرام اليتيم ، والحض على إطعام المسكين ، والقيام بكل الواجبات التي هو مسئول عنها ، مطالب بها ، محاسب عليها ﴿ولا تحاضون﴾ أي لا يحض بعضكم بعضاً ﴿على طعام المسكين﴾ أي على إطعامه كما طعمتم ، وإشباعه كما شبعتم ﴿وتأكلون التراث﴾ الميراث ﴿أكلا لما﴾ أكلا ذا لم ؛ وهو الجمع بين الحلال والحرام =

= كناية عن أنهم كانوا يأكلون أنصباءهم، وأنصباء باقي الورثة . وهو أمر مشاهد في كل حين؛ وعاقبته من أوخم العواقب . فكم رأينا مستكثراً : داهمه الفقر ، وظالماً : ظلمه الدهر ، وناهباً : صير الله ماله من بعده نهباً لأعدائه ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ حباً كثيراً ؛ مع حرص ، وطمع ، وشره ! ﴿كلا﴾ ردع عن أكل التراث ، وعن حب المال ؛ فماذا يفيد أكل حقوق الغير؛ عند دخول القبر؟ وماذا يجدي حب المال ؛ عند المآل ؟ وماذا يفيد النعيم الزائل؛ عند العذاب الدائم؟ ماذا يفيد كل هذا ﴿إذا دكت الأرض دكا دكا﴾ أي تزلزلت زلزالا شديداً متتابعاً ، وتهدمت ؛ عند قيام الساعة ﴿وجاء ربك﴾ أي جاء أمره وقضاؤه، وظهرت آيات عظمته وقدرته ﴿و﴾ جاء ﴿الملك صفاً صفا﴾ أي وجاءت الملائكة صفوفا صفوفا ؛ متتابعة : كما يصطف جنود الملك وحراسه : انتظاراً لأمره ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان﴾ ما قدم وأخر ؛ ويعلم أنه مؤاخذ على ما أكل من حق ، وماحفظ من مال ، وما بخل به من طعام ﴿وأنى له الذكرى﴾ أي ومن أين يكون له الذكرى ؟ وماذا يجدي التذكر ؟ وماذا تفيد التوبة ؛ وقد فات أوانهما ؟ و ﴿يقول﴾ حينئذ ﴿ياليتني قدمت﴾ في الدنيا عملا صالحاً ينفعني ﴿لحياتي﴾ الباقية الدائمة : حياة الخلود ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾ هو كناية عن هول عذاب الله تعالى ، وشدة وثاقه ! ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ الآمنة . يقال ذلك للمؤمنين : عند الموت ، أو عند البعث ، أو عند دخول الجنة ﴿ارجعي إلى ربك﴾ إلى رحمته ، ورضوانه ، ونعيمه الوافر ! ﴿راضية﴾ عن الله تعالى بما آتاك من نعيم مقيم ﴿مرضية﴾ عنده ؛ بما عملت من صالح الأعمال ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي في زمرة عبادي الصالحين . وقيل : الخطاب لروح المؤمن ؛ يؤيده قراءة من قرأ «فادخلي في عبدي» أي في جسد عبدي ﴿وادخلي جنتي﴾ مع الداخلين ، من عبادي المؤمنين !

لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

(٩١) سورة الشمس مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ

(سورة البلد)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لا أقسم﴾ أي أقسم ﴿بهذا البلد﴾ أقسم تعالى بالبلد الحرام ؛ وهو مكة شرفها الله تعالى ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ ساكن بها . أو «حل» بمعنى حلال لك ما فيها : لك أن تقتل من ترى قتله ، وتأسر من ترى أسره ، وتعذب من ترى تعذيبه ، وتعفو عمن ترى العفو عنه ؛ ليس عليك من شيء في هذا . =

= وكان ذلك يوم دخوله مكة ـ وقد أمر يومئذ بقتل ابن خطل؛ وهو آخذ بأستار الكعبة؛ وكان من ألد الأعداء للإسلام والمسلمين ـ ولم تحل مكة لأحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

أو المراد بقول جل شأنه «لا أقسم» نفي القسم؛ أي «لا أقسم» بها «وأنت حل» بها؛ أي حلال. وذلك أن أهل مكة استحلوا إذاية الرسول عليه الصلاة والسلام، وإخراجه منها ﴿ووالد وما ولد﴾ هو كل والد وولده؛ من إنسان وحيوان وغيرهما ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ في مشقة ومكابدة: فالفقير ـ في هذه الحياة الدنيا ـ يكابد من آلامها وهمومها مايكابد في سبيل نيل قوته، وإدراك عيشه. والغني يكابد فيها أيضاً في سبيل المحافظة على ماله، والخوف على حياته. هذا غير ابتلاء الأغنياء بالمرض، والأصحاء بالفقر؛ وبذلك لا يكون على ظهر الأرض إنسان لم ينل حظه من الامتحان والابتلاء، والمكابدة! ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ لقوته، وكثرة ماله ﴿يقول أهلكت مالا لبداً﴾ كثيراً مجتمعا. يقول ذلك على سبيل الفخر والرياء، وهو على عادة الجاهلية؛ من ادعاء الكرم والتظاهر به. وقيل: يفتخر بإهلاك ماله في سبيل عداوة محمد والمؤمنين ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين كان ينفق هذا المال في غير مواضعه، وأن الله تعالى لايحاسبه عليه، ولا يجازيه عنه ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يرى بهما ﴿ولساناً وشفتين﴾ ينطق بهما ﴿وهديناه النجدين﴾ أوضحنا له طريق الخير، وطريق الشر (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أي فهلا شكر تلك النعم الجليلة؛ بأن عمل الأعمال الصالحة: مثل الإعتاق، والإطعام، وغير ذلك ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ تعظيم لشأنها ﴿فك رقبة﴾ إعتاق رقبة (انظر آيتي ١٧٧ من سورة البقرة و ٩٢ من سورة النساء) ﴿مسغبة﴾ مجاعة ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ هو الفقير الشديد الفقر، اللاصق بالتراب ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على المصائب، والشدائد، ونوائب الدهر، ويتواصوا أيضاً بالصبر على طاعة الله تعالى، وعن محارمه ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالتراحم فيما بينهم ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ أولئك هم السعداء يوم القيامة وهي من اليمين، أو من اليمن: بمعنى البركة ﴿أصحاب المشأمة﴾ وهم الأشقياء يوم القيامة. وهي من الشمال، أو من الشؤم ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ أي مطبقة عليهم ومغلقة؛ من آصد الباب: إذا أغلقه.
=

إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

(٩٢) سورة الليل مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ

ٱلذَّكَرَ

(سورة الشمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والشمس وضحاها﴾ أى وضوئها ﴿والقمر إذا تلاها﴾ إذا تبعها فى الطلوع والإنارة عند غروبها ﴿والنهار إذا جلاها﴾ أظهر الشمس تمام الظهور ﴿والليل إذا يغشاها﴾ أى يستر الشمس ؛ فتظلم الآفاق ﴿والسماء وما بناها﴾ أى والقادر العظيم المبدع ؛ الذى بناها ﴿والأرض وما طحاها﴾ أى والمدبر الحكيم العليم ؛ الذى بسطها ﴿ونفس وما سواها﴾ أى والخالق الرازق المصور ؛ الذى سوى الإنسان ، وأخرجه فى أحسن تقويم. ومن تمام التسوية : أن ركب تعالى فى النفس قواها الظاهرة والباطنة ، وشد أسرها ، وأمرها بما يصلحها ، ونهاها عما يضرها ، ووهبها العقل الذى تميز به بين الخير والشر ، والتقوى والفجور ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أى عرفها طاعتها ومعصيتها ، وما ينجيها وما يرديها ، وخلق فيها العقل والإدراك ؛ اللذين تميز بهما بين الغث والثمين ، والحسن والقبيح. (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) أقسم تعالى فى هذه السورة الكريمة : بالشمس ، والقمر ، والنهار ، والليل ، والسماء ، والأرض والنفس: ليلفت النظر إلى هذه الآيات الكونية الدالة على وجود بارئها ، ومدبر حركاتها وسكناتها ؛ بهذا الوضع العجيب ، والنظام الباهر ﴿قد أفلح من زكاها﴾ من طهر هذه النفس ، وأصلحها ، وارتفع بها من مرتبة الحيوانية ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من دساها﴾ التدسية : النقص والإخفاء ؛ كأنه تعالى يقول لقد خلقت النفس ، وأعددتها بمعدات العلم والفهم ؛ اللذين ينجيانها من مهاوى الجهالة ؛ ولم يبق لها بعد ذلك عذر: فمن طاوع هواه ، وجاهر بمعصيته مولاه ؛ فقد نقص من عداد العقلاء ، والتحق بالأغبياء الجهلاء ! وأراد ربك أن يضرب مثلا ملموساً لمن دساها ، وما كان من عاقبة أمره فى دنياه ؛ فضلا عما أعده له ربه فى أخراه ؛ فقال ﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح عليه السلام ﴿بطغواها﴾ أى «كذبت ثمود» نبيها بسبب طغيانها وبغيها ﴿إذ انبعث﴾ قام وانطلق ﴿أشقاها﴾ أشقى القبيلة ؛ حين قام لعقر الناقة ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح عليه السلام ﴿ناقة الله﴾ أى دعوا ناقة الله تعالى ؛ التى أرسلها لكم آية ، ولا تمسوها بسوء ﴿وسقياها﴾ أى لا تمنعوها الشرب فى يوم شربها المعد لها «لها شرب ولكم شرب يوم معلوم» ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ طحنهم ، وأهلكهم عن آخرهم ﴿فسواها﴾ أى فسوى ثمود فى العقوبة ؛

الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

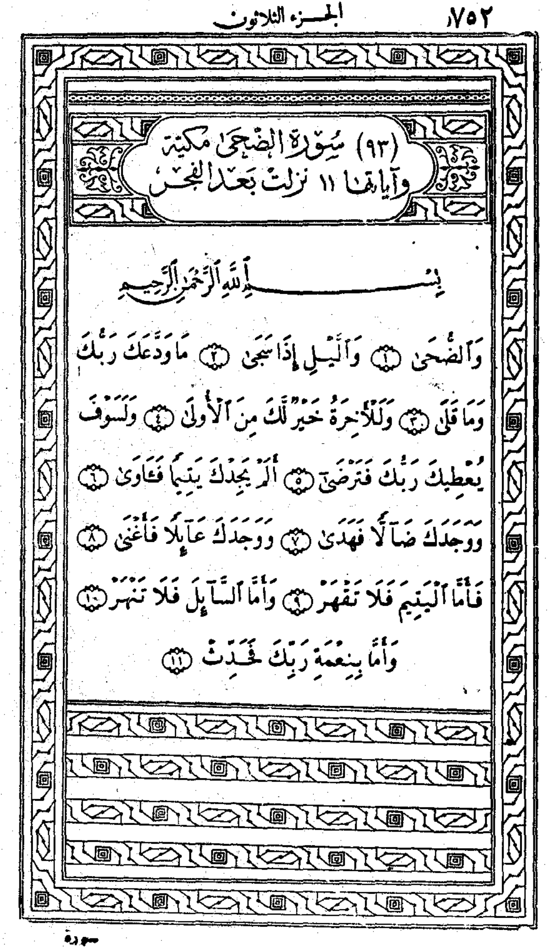
= فلم يفلت أحد . أو سواها بالأرض : بأن دمر مساكنها على ساكنيها ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أى ولا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم ؛ لأنه ليس كسائر الملوك ؛ فلا هو بالظالم: فيخيفه الحق ، ولا بالضعيف: فيلحقه المكروه . ولا ينقص ملكه هلاك طائفة منه ، بل لا ينقص ملكه هلاك سائر مخلوقاته !

(سورة الليل)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والليل إذا يغشى﴾ إذا غطى النهار بظلمته ﴿والنهار إذا تجلى﴾ إذا ظهر بزوال ظلمة الليل ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ أى والقادر العظيم؛ الذى خلق الذكر والأنثى .

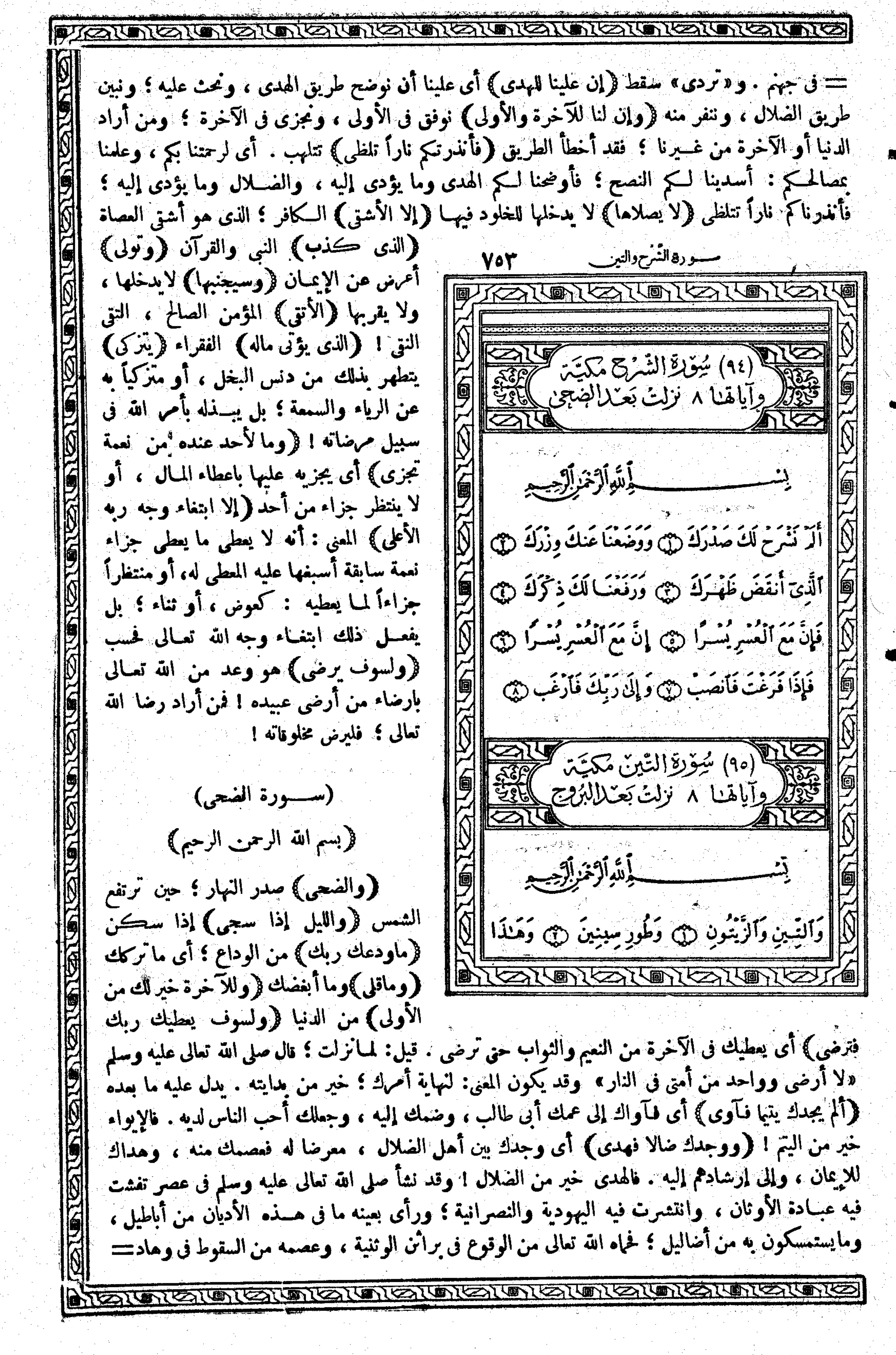
أقسم تعالى بذاته - على هذه الصفة - إشعاراً بأنه جل شأنه الخالق المصور المبدع ؛ لأنه لا يعقل أن هذا التخالف بين الذكر والأنثى ؛ يحصل بالاتفاق من طبيعة لا شعور لها بما تفعل ، ولا علم عندها بما يلزم ؛ إذ أن الأجزاء الأصلية فى المنى متساوية التكوين : فالولد ينتج من عناصر واحدة ؛ لكنه يخرج تارة ذكراً ، وتارة أنثى ؛ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر . ومن أعجب العجب أن تكثر ولادة الذكران عقيب الحروب والطواعين ، واجتياح الرجال ! وجميع ذلك يدل دلالة قاطعة على أن واضع هذا النظام : عالم بما يفعل ، محكم لما يصنع ! ولا عبرة بما يقوله الآن بعض المشتغلين بالطب: من أنهم سيستطيعون قريباً التحكم فى الجنين ، وجعله كما يريدون ؛ فإن هذا من صنع مدبر الكون ؛ الذى «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور» ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أى إن عملكم لمختلف : فمنه النافع ، ومنه الضار ، ومنه المنجى ، ومنه المردى؛ ويفسره مابعده ﴿فأما من أعطى﴾ الفقراء مما وهبه الله ﴿واتقى﴾ ربه ، وخاف سوء الحساب ﴿وصدق بالحسنى﴾ آمن بالمثوبة الحسنى ؛ وهى الجنة . أو صدق بالكلمة الحسنى؛ وهى لا إله إلا الله ﴿فسنيسره لليسرى﴾ نهيئه للخصلة المؤدية لليسر ؛ وهى الأعمال الصالحة ؛ المؤدية للجنة ؛ فتكون الطاعة أيسر شىء لديه ﴿وأما من بخل﴾ على عباد الله ، ولم يؤتهم ما أمر به الله ﴿واستغنى﴾ عن ثوابه ﴿وكذب بالحسنى﴾ أى كذب بالجزاء الحسن ، مقابل الإحسان ، أو كذب بكلمة التوحيد ﴿فسنيسره للعسرى﴾ نهيئه للخصلة المؤدية للعسر والشدة ؛ وهى الأعمال السيئة؛ المفضية إلى النار؛ فتكون الطاعة أعسر شىء عليه . وسمى تعالى طريقة الخير يسرى : لأن عاقبتها اليسر . وطريقة الشر عسرى: لأن عاقبتها العسر ﴿وما يغنى﴾ مايدفع ﴿عنه ماله إذا تردى﴾ أى إذا هلك ، وتردى فى القبر، أو إذا تردى =



(٩٣) سُورَةُ الضُّحَىٰ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾



(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّة وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّة وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا

= فى جهنم . و«تردى» سقط ﴿إن علينا للهدى﴾ أى علينا أن نوضح طريق الهدى ، ونحث عليه ؛ ونبين طريق الضلال ، وننفر منه ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ نوفق فى الأولى ، ونجزى فى الآخرة ؛ ومن أراد الدنيا أو الآخرة من غيرنا ؛ فقد أخطأ الطريق ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ تتلهب . أى لرحمتنا بكم ، وعلمنا بمصالحكم : أسدينا لكم النصح ؛ فأوضحنا لكم الهدى وما يؤدى إليه ، والضلال وما يؤدى إليه ؛ فأنذرناكم ناراً تتلظى ﴿لا يصلاها﴾ لا يدخلها للخلود فيها ﴿إلا الأشقى﴾ الكافر ؛ الذى هو أشقى العصاة ﴿الذى كذب﴾ النبى والقرآن ﴿وتولى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وسيجنبها﴾ لا يدخلها ، ولا يقربها ﴿الأتقى﴾ المؤمن الصالح ، التقى النقى ! ﴿الذى يؤتى ماله﴾ الفقراء ﴿يتزكى﴾ يتطهر بذلك من دنس البخل ، أو متزكياً به عن الرياء والسمعة ؛ بل يبذله بأمر الله فى سبيل مرضاته ! ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ أى يجزيه عليها باعطاء المال ، أو لا ينتظر جزاء من أحد ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ المعنى : أنه لا يعطى ما يعطى جزاء نعمة سابقة أسبغها عليه المعطى له ، أو منتظراً جزاءاً لما يعطيه : كعوض ، أو ثناء ؛ بل يفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى فحسب ﴿ولسوف يرضى﴾ هو وعد من الله تعالى بارضاء من أرضى عبيده ! فمن أراد رضا الله تعالى ؛ فليرض مخلوقاته !

(سورة الضحى)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والضحى﴾ صدر النهار ؛ حين ترتفع الشمس ﴿والليل إذا سجى﴾ إذا سكن ﴿ماودعك ربك﴾ من الوداع ؛ أى ما تركك ﴿وماقلى﴾ وما أبغضك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ من الدنيا ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ أى يعطيك فى الآخرة من النعيم والثواب حتى ترضى . قيل: لما نزلت ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لا أرضى وواحد من أمتى فى النار» وقد يكون المعنى: لنهاية أمرك ؛ خير من بدايته . يدل عليه ما بعده ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ أى فآواك إلى عمك أبى طالب ، وضمك إليه ، وجعلك أحب الناس لديه . فالإيواء خير من اليتم ! ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ أى وجدك بين أهل الضلال ، معرضا له فعصمك منه ، وهداك للإيمان ، وإلى إرشادهم إليه . فالهدى خير من الضلال ! وقد نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم فى عصر تفشت فيه عبادة الأوثان ، وانتشرت فيه اليهودية والنصرانية ؛ ورأى بعينه ما فى هذه الأديان من أباطيل ، ومايستمسكون به من أضاليل ؛ فحماه الله تعالى من الوقوع فى براثن الوثنية ، وعصمه من السقوط فى وهاد =

= اليهودية والنصرانية . ورغما عن ذلك فقد كان أهـله وعشيرته ـ عن آخرهم ـ يعبدون الأصنام ؛ وجدير بمن نشأ فى عصر كله ضلال أن يكون ضالا ؛ لولا أن أغاثه مولاه بعنايته ، وأدركه بلطفه وهدايته ! ﴿ووجدك عائلا﴾ فقيراً ﴿فأغنى﴾ فأغناك بمـا أفاءه عليك من الغنائم ، أو بمال خديجة رضى الله تعالى عنها . فالغنى خـير من الفقر ! ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أى فلا تغلبه على ماله لضعفه . وقرئ «فلا تـكهر» أى فلا تعبس فى وجهه وهـذا لا ينافى القيام على إصلاحه وتأديبه وتهذيبه ؛ إذ أن تركه وإهماله : قهر له ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أريد بالسائل هنا: من يسأل علماً وفهما ؛ فلا ينهر ، بل يجاب على سؤاله برفق ولين . أو سـائل المـال ؛ فلا يحبس عنه . وتركه بغير إعطاء ـ مع حاجته ـ نهر له . ولا يحل بحال أن يمنع عن سائل المال المـال ، أو يحبس عن سائل العلم العلم ؛ وكل من سأل شيئاً : وجبت إجابته فى حـدود الإمكان . وإنه لمن دواعى سقوط المروءة : رد السائل . وقد كان من قبلنا يقف ببابه السائل : فيشاطره قوته وماله ؛ غير منتظر منه جزاءاً ولا شكوراً ؛ بل يسرع ببذل الشكر له على قبوله العطاء ؛ وتسببه فى رضـاء مولاه عليه!﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ التحدث بنعمة الله تعالى : شكر هذه النعم ، والشكر على النعم: صرف كل نعمة فيما خلقت له ؛ فيصرف المـال فى الخيرات ، وبر المخلوقات ، ويبذل العـلم لطالبيه ، لينتفعوا به ، وينفعوا الغير بنشره وإذاعته !

ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

(٩٦) سُورَةُ العَلَقِ مَكِّيَّة
وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ

رَبِّكَ

(سـورة الشرح)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾بالإسلام وقيل: أريد به : شق صدره الشريف . وغسل قلبه بماء زمزم ؛ كما ورد فى الحـديث الشريف ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ الوزر : الحمل الثقيل . أى وحططنا عنك عباك الثقيل ﴿الذى أنقض ظهرك﴾ أى أثقله ؛ وهو مثل لشدة تألمه عليه الصلاة والسلام ، وتلهفه على إسلام قومه ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بالنبوة وبذكره صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد ، والأذان ، والإقامة ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ أى إذا فرغت من دعوة الخلق ؛ فاجتهد فى عبادة الخـالق ! والنصب : التعب ﴿وإلى ربك فارغب﴾ أى فارغب إليه بالسؤال ، ولا تسأل غيره . وقرئ «فرغب» أى رغب الناس فى طلب ما عند الله لأنه متحقق الوجود ، متحقق الإجابة ! =

(سورة التين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ الطور : الجبل . وقصد به هنا : الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى و«سينين» و«سيناء» شجر . و«سينا» جبل بالشام . وقيل: «طورسينا» جبل بين مصر والعقبة ﴿وهذا البلد الأمين﴾ مكة زادها الله تعالى علوا وشرفا ! وسميت بالبلد الأمين : لأمان من يدخلها .

قيل : إن فى هذا تقسيم لتاريخ هذا العالم منذ نشأته؛ إلى أربعة أقسام؛ وأقسم بكل قسم منها : لأهميته فى تاريخ البشر عامة؛ فالتين : إشارة إلى القسم الذى بدأ من خروج آدم من الجنة إلى وقت الطوفان؛ وذلك لأن آدم وحواء استترا ـ حين بدت لهما سوءاتهما ـ بورق التين . والزيتون : إشارة إلى القسم الذى بدأ من الطوفان إلى ظهور الأديان الحديثة؛ ببعثة موسى عليه السلام؛ وذلك لأن نوحاً عليه السلام ـ حينما استوت سفينته على الجودى ـ زرع شجرة الزيتون؛ لغذائه منه ، وغذاء ماشيته من ورقه ، والاستضاءة بزيته. وطور سينين: إشارة إلى القسم الذى بدأ ببعثة موسى عليه السلام إلى ظهور الإسلام ، ومجىء سيد الرسل عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لأن موسى ناجى ربه وكلمه عليه . والبلد الأمين : إشارة إلى القسم الذى بدأ برسالة خاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى يوم تقوم الساعة؛ وذلك لأن مكة عظمها الله تعالى : هى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ومبعثه ، ومصدر الإسلام ومنبعه ، وفيها بيت الله الحرام وقبلة سائر المسلمين !

رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾

(٩٧) سورة القدر مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ

وفى الإقسام بالتين والزيتون : إعلاء لشأنهما ، ولفت لما فيهما من منافع تجل عن البيان والحصر . فالتين : مقو للقلب والدم ، مسمن ، ملين ، وهو يقطع البواسير ، ويعالج الأمراض الروماتيزمية ، ويدفع النقرس . والزيتون : مفتت للحصى؛ مقو للصدر ، طارد للبلغم؛ وهذا بعض مزاياهما ، وقل من كثر من منافعهما . وقال بعضهم : المراد بالتين والزيتون : منابتهما . فالتين : دمشق . والزيتون : بيت المقدس . وقيل: «التين والزيتون» : إشارة إلى نبوة عيسى «وطور سينين» إشارة إلى نبوة موسى عليهما السلام . و«البلد الأمين» إشارة إلى نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ فى أحسن تصوير؛ حيث خلقه تعالى مستوى القامة ، متناسب الأعضاء ، متصفاً بالعلم والفهم ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾

= أى حيث إنه لم يشكر نعمة خلقنا له فى أحسن تقويم ، ولم يستعمل ما خصصناه به من المزايا فى طاعتنا ومرضاتنا : سنرده فى أسفل سافلين ؛ وهى جهنم . نعوذ بالله تعالى منها . ويحتمل أن يكون المعنى : رددناه إلى الكبر والهرم ؛ اللذين هما مظهر الضعف والخرف . والمعنى الأول أدق ؛ لقوله تعالى ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ أى غير مقطوع ؛ وهو الجنة وليس بمعقول أن يكون المعنى : «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» فلن يكبروا ، ولن يهرموا ﴿فما يكذبك بعد الدين﴾ الخطاب للانسان - على طريقة الالتفات - أى فاسبب تكذيبك بالبعث والجزاء ؛ بعد هذا التبيين ، وبعد وضوح الأدلة والبراهين ؟ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أى ليس الذى خلق التين والزيتون ، وكلم موسى على طور سينين ، وأنشأ البلد الأمين ، وخلق الإنسان فى أحسن تقويم ، وجعل النعيم والجحيم ؛ فأدخل المؤمن فى نعيمه ، وأصلى الكافر فى جحيمه ؛ أليس ذلك بأحكم الحاكمين: صنعاً ، وتدبيراً ، وعدلا ؟!

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

(٩٨) سُورَةُ البَيِّنَةِ مَدَنِيَّة وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ

ٱلْكِتَٰبِ

(سورة العلق)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اقرأ باسم ربك﴾ أى اقرأ مبتدئاً باسم ربك. صح فى الأخبار أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عليه الملك جبريل - أول نزوله عليه - وقال له: «اقرأ» فقال: ما أنا بقارئ فأخذه فغطه - حتى بلغ منه الجهد - ثم أرسله فقال له «اقرأ» قال : ما أنا بقارئ . فغطه الثانية - حتى بلغ منه الجهد - ثم أرسله فقال له «اقرأ» قال : ما أنا بقارئ ، فغطه الثالثة - حتى بلغ منه الجهد - فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ حتى بلغ «علم الإنسان ما لم يعلم» وهذا أول خطاب إلهى وجه إلى النبى صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ أما بقية السورة فمتأخر النزول ﴿خلق الإنسان من علق﴾ العلق : ديدان صغيرة ؛ يؤيده ما أثبته العلم الحديث من احتواء المنى على حيوانات صغيرة لا ترى إلا بالميكروسكوب ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ الذى لا يدانى كرمه كرم ! ﴿الذى علم بالقلم﴾ أرشد ، ووفق إلى الكتابة به ؛ وفى هذا تنبيه على فضل علم الكتابة ؛ فما دونت العلوم ، ولا ضبطت كتب الله تعالى المنزلة إلا بالكتابة ؛ ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ أى علمه مالم يكن يعلم ، أو علمه ما لا يستطيع علمه بقواه البشرية ؛ وإن من ينظر إلى الكهرباء ، واللاسلكى ، والرادار ، والصواريخ الموجهة ، والطائرات ، والغواصات ، وغيرذلك من خوارق الصناعات والمعلومات: يعلم حق العلم أن العقل البشرى - مهما سما وعلا - ما كان ليستطيع أن يبلغ ما بلغ ؛ بغير إلهام =

= وتعليم من الله تعالى (انظر آية ٢٢ من سورة الروم) ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ أى ليتجاوز الحد ؛ فتطمح نفسه إلى نيل مالم ينل ، ويتطلع ببصره إلى السماء ؛ متخطياً ما رسمه الله تعالى له فى الكون ، خارجاً على سنن الطبيعة التى أوجدها الله ؛ راغباً بلوغ الكواكب ؛ وما هو ببالغها ! ﴿أن رآه استغنى﴾ أى أن رأى نفسه غنياً بالمال ، الذى رزقه الله ليتصدق به ، متسلحاً بالعلم ؛ الذى وهبه الله ليفيد به ، ويستفيد منه ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ المرجع ؛ فيجازى الكافر على كفرانه ، والطاغى على طغيانه !

ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

﴿أرأيت﴾ أيها السامع ؛ وهى للتعجب فى مواضعها الثلاثة من هذه السورة ﴿الذى ينهى عبداً إذا صلى﴾ كأنه تعالى يقول : ما أسخف عقل من يطغى به الكبر والكفر ؛ فينهى عبداً من عبيد الله تعالى عن صلاته ! قيل : إن أبا جهل قال فى ملإ من قريش : لئن رأيت محمداً يصلى لأطأن عنقه . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى مرة فألقوا عليه ـ حين سجد ـ سلا جزور ، وكثيراً ما كانوا يتحينون صلاته ؛ فيخصونه بصنوف من الإيذاء ، وضروب من الإستهزاء ! ﴿أرأيت إن كان﴾ هذا المصلى ﴿على الهدى أو أمر﴾ الذى ينهاه ﴿بالتقوى﴾ أى أمره باتقاء الله تعالى وخشيته فيما يفعل . وقيل : «أرأيت» ذلك الناهى «إن كان على الهدى» فيما ينهى عنه من عبادة الله ، أو كان آمراً بالمعروف والتقوى ؛ فيما يأمر به من عبادة الأوثان ؛ كما يعتقد ﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾ أى إن كان على التكذيب للحق ، والتولى عن الدين الصحيح ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ كل هذا فيجازيه عليه ﴿كلا لئن لم ينته﴾ عما يفعل ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لنأخذن بناصيته ، ولنسحبنه بها إلى النار . والناصية : شعر مقدم الرأس ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ وصف الناصية بذلك مجازاً ، وأراد به صاحبها ﴿فليدع ناديه﴾ أى ليدع أهل ناديه ؛ وهم خلانه وأصدقاءه ؛ الذين يجلسون معه فى ناديه ؛ وكان ـ فى دنياه ـ يعتز بقوتهم ، ويتطاول بشوكتهم . والنادى والندى : المجلس الذى يجلس فيه القوم ؛ ويسمع بعضهم فيه نداء بعض . والمعنى : ليدع اليوم من كان يستنصر بهم فى الدنيا ؛ فإنهم لن يستجيبوا لدعائه ، ولا لندائه ، ولن يسمعوه ، وإن سمعوه فلن يستطيعوا نصرته ! ﴿سندع الزبانية﴾ ملائكة العذاب ؛ فنقول لهم : «خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» و «الزبانية» الشرطة ؛ أطلقت على ملائكة العذاب ؛ لأن الشرطة يدفعون بالمجرمين إلى السجون ، وملائكة العذاب يدفعون بالكافرين إلى النار ﴿كلا﴾ ردع وزجر لذلك العاتى الطاغى: الناهى عن الصلاة ، وعن عبادة الله ! وردع عن طاعته واتباعه =

=﴿لاتطعه﴾ فى ترك الصلاة ﴿واسجد﴾ لله؛ وداوم عليهـا ﴿واقترب﴾ وتقرب إلى ربك بالسجود؛ فإن «أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد»!

(سورة القـــدر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إنا أنزلناه﴾ أى القرآن: نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا؛ وكان ذلك ﴿فى ليلة القدر﴾ أى فى ليـلة تقدير الأمور وقضائها؛ كقوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم» وقيل: سميت بذلك؛ لشرفها وفضلها على سائر الليالى؛ وهى فى العشر الأواخر من رمضان، ويرجح أن تكون فى ليـلة السابع والعشرين منه ﴿وما أدراك ما ليلة القـدر﴾ تفخيم لها، وتعظيم لشأنها ﴿ليلة القدر﴾ فى العظمة والشرف ﴿خير من ألف شهر﴾ فالعبادة فيها: تفضل العبادة فى غيرها بأكثر من ثلاثين ألف ضعف ﴿تنزل الملائكة﴾ تنزل إلى السماء الدنيـا، أو إلى الأرض ﴿والروح﴾ جبريل عليـه السلام. وخص بالذكر: لأنه النازل بالذكر. وقيل: «الروح» طائفة من الملائكة؛ حفظة عليهم، كما أن الملائكة حفظة علينـا «وما يعلم جنود ربك إلا هو» ﴿بإذن ربهم﴾ بأمره وإرادته ﴿من كل أمر﴾ أى تنزل الملائكة لأجل كل أمر قضاه الله تعالى على مخلوقاته لتلك السنة ﴿سلام هى﴾ أى لا يقدر الله تعالى فيها للمؤمنين المتقين إلا الأمن والسلامة ﴿حتى مطلع الفجر﴾ وبه يكون انتهاء الليلة. أو المراد بالسلام: ما يحدث فى هذه الليلة المباركة من كثرة تسليم الملائكة على المؤمنين.

يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(١٠٠) سُورَةُ العَادِيَاتِ مَكِّيَّة وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سورة

(ســـورة البينة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى؛ وكفرهم: تكذيبهم بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿والمشركين﴾ عبدة الأصنام والأوثان ﴿منفكين﴾ منفصلين عن الكفر، تاركين له ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ الحجة الواضحة؛ وهى الرسول عليه الصلاة والسلام؛ الذى ذكر فى كتبهم ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ هى القرآن ﴿فيها كتب قيمة﴾ أى فى هذه الصحف مكتوبات مستقيمة، ناطقة بالحق والعدل ﴿حنفاء﴾ مؤمنين ﴿وذلك دين القيمة﴾ الملة المستقيمة ﴿البرية﴾ الخليقة ﴿جنات عدن﴾ جنات الإقامة=

= من عدن فى المكان : إذا أقام فيه ﴿خالدين فيها أبداً﴾ خلوداً دائماً؛ لا يخرجون منها ﴿رضى الله عنهم﴾ بقبول أعمالهم ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابها (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) .

(سـورة الزلزلة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ أى حركت واضطربت اضطرابا شديداً؛ لقيام الساعة ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ ما فى جوفها من الموتى، والكنوز ﴿وقال الإنسان﴾ الكافر ﴿مالها﴾ يقول ذلك مستغربا؛ لأنه لا يؤمن بالبعث . أما المؤمن فيقول : «هـذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ ينطقها الله تعالى ـ الذى أنطق كل شىء ـ فتشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها؛ وذلك ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أى إن نطقها هذا بوحى منه تعالى ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ متفرقين ﴿ليروا أعمالهم﴾ أى ليروا جزاء أعمالهم ﴿فمن يعمل مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ الذرة : النملة الصغيرة التى تذروها الرياح . وهو مثل للصغر والقلة ﴿خيراً يره﴾ أى يرى ثوابه ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ أى يرى عقابه .

(سورة العاديات)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعاديات ضبحاً﴾ الخيل التى تجرى، فتضبح . والضبح: صوت أنفاسها عند عدوها ﴿فالموريات قدحا﴾ التى تورى النار، وتقدحها بحوافرها . وهذا مشاهد عند جرى الخيل؛ حين تصطدم حوافرها بقطع الصخر؛ فتقدح شرراً ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ التى تغير على العدو صباحاً ﴿فأثرن به نقعاً﴾ أى فهيجن بوقت الصبح غباراً ﴿فوسطن به جمعاً﴾ أى توسطن بهذا الوقت جموع الأعداء . أقسم تعالى بالخيل الجياد، التى تغدو للجهاد؛ فتعدو فتورى النار، وتقدحها بحوافرها؛ لقوتها وشدة بأسها، فتغير على الأعداء، وتنزل بهم صنوف البلاء، وتثير الغبار، وتتوسط الجموع . وذلك للإشعار بعلو مرتبة الخيل، والحض على اقتنائها والاعتناء بشأنها! ولا يخفى مايترتب على ذلك من تعلم الفروسية، وإعداد العدة، وأخذ الأهبة للحرب والجهاد فى سبيل الله تعالى ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ أى لكفور بأنعمه ﴿وإنه على ذلك﴾ أى وإن الإنسان على كفره هذا وكنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه بكفر النعمة؛ =

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّة
وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

= حيث يظهر أثر ذلك عليه ؛ فهو دائما يشكو من الله ولا يشكره على أنعمه (وإنه لحب الخير) المال (لشديد) أي لأجل حبه للمال لبخيل ممسك (أفلا يعلم) ذلك الكنود الكفور مايحل به (إذا بعثر ما في القبور) بعث ما فيها من الموتى (وحصل ما في الصدور) أي أخرج ، وعلم ما فيها : من كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، وشح وكرم (إن ربهم بهم يومئذ) وبما في قلوبهم (لخبير) فيجازيهم على ما قدموا : من خير أو شر .

(١٠٢) سورة التكاثر مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

(١٠٣) سورة العصر مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(سورة القارعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) القيامة ؛ وسميت قارعة: لأنها تقرع القلوب بأهوالها (وما أدراك ما القارعة) تهويل لشأنها (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش : هو الطائر الصغير الدقيق؛ الذي يتطاير حول النار . أو هو الجراد الصغير. وقد شبههم تعالى بالفراش؛ لكثرتهم وانتشارهم وضعفهم وذلهم ، و «المبثوث» المتفرق المنتشر (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المتناثر المتطاير ؛ كقوله تعالى «فكانت هباء منبثا» (فأما من ثقلت موازينه) أي زادت حسناته على سيئاته (وأما من خفت موازينه) أي نقصت حسناته عن سيئاته ، أو لم تكن له حسنات يعتد بها ؛ كمن يتصنع الكرم مباهاة ، أو العبادة رياء (فأمه هاوية) أي فأواه النار . ويقال للمأوى: أم ؛ لأن الأم : مأوى الولد ومفزعه .

(سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر) شغلكم التفاخر بالأموال والأولاد ؛ عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) أي شغلكم جمع المال ، عن المآل ؛ حتى أدرككم الموت ، ودفنتم في المقابر . وقيل: «حتى زرتم المقابر» معددين سجايا آبائكم وأجدادكم (كلا) ردع عن التكاثر والتفاخر (سوف تعلمون) عاقبة تكاثركم وتفاخركم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد مما سوف يعلمونه ، وأنه حاصل لامحالة (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) أي لو علمتم العلم الحقيق ، وتدبرتم وتفكرتم ؛ لعرفتم الجحيم ، ولخفتموها كأنكم ترونها . وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام «أن تعبد الله كأنك تراه» (ثم لترونها عين اليقين) أي ثم ترونها يقيناً يوم القيامة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أي تحاسبون وتؤاخذون على التنعم الذي شغلكم عن الطاعة ولم تقوموا بشكره !
=

(ســورة العصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أى والدهر . أقسم الله تعالى بالدهر لنتخذ من التاريخ عظة وعبرة ؛ فنعلم أن الرومان أهلكهم الترف ، وأطاح بملكهم الفجور والخمور . وأن الفراعنة: أهلكهم الكفر والكبر. وأن كثيراً ممن سبقنا من الأمم «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» وأن البقاء دائماً للأصلح ، و «أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» .

هذا وقد يكون المراد بالعصر : صلاة العصر ؛ لفضلها ، أولكونها الصلاة الوسطى (إن الإنسان لفى خسر) أى لفى خسران ؛ لأنه يفضل العاجلة على الآجلة ؛ فى حين أنه - فيما يتعلق بالدنيا - يفضل الآجلة على العاجلة: فكم أقرض محتاجاً رغبة فى الربا لأنه مطمئن لصدق مقرضه وملاءته . أماوعد الإله - الغنى القدير - بالجزاء ؛ فليس فى حسبانه ، ولايدخل فى مجال اليقين لديه ؛ فبئست التجارة تجارته ؛ وهو فى خسران أبد الدهر ! (إلا الذين آمنوا) بالله تعالى ، وصدقوا برسله وكتبه ، وبوعده ووعيده (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم بعضاً بالحق الذى شرعه الله تعالى وأمر به . والحق : الخير كله ؛ من توحيد الله تعالى ، وطاعته ، واتباع ما أمر به واجتناب مانهى عنه (وتواصوا بالصبر) على الشدائد والمصائب ، والصبر على الطاعات ، وعن المعاصى .

(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مَكِّيَّة
وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

(١٠٥) سُورَةُ الفِيلِ مَكِّيَّة
وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

(ســورة الهمزة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) وهو الذى يغتاب الناس ، ويطعن فى أعراضهم . والهمز : الغمز والضغط ، والنخس . واللمز : العيب ، والإشارة بالعين (الذى جمع مالا) كثيراً ؛ لأن القليل: لايسمى جمعاً (وعدده) أحصاه ، أو جعله عدة لنوائب الدهر (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن أن سعة ماله تخلده فى الدنيا ؛ فلا يموت . أو تخلده فى الغنى والنعيم ؛ فلا يساق إلى الجحيم (كلا) ردع عن ذلك (لينبذن فى الحطمة) أى ليطرحن فى النار . وسميت حطمة : لأنها تحطم كل شىء (وما أدراك ما الحطمة) تهويل لشأنها ، وتعظيم لأمرها (نار الله الموقدة) جهنم أعاذنا الله تعالى منها (التى تطلع على الأفئدة) أى تحرق قلوب الكافرين . وخص الأفئدة بالذكر : لأنها مكان الكفر ، وموطن النفاق . ولأنها أيضاً لاشىء فى البدن أشرف منها ، ولا أشد تألماً (إنها عليهم مؤصدة) =

= مطبقة مغلقة. من آصد الباب: إذا أغلقه ﴿في عمد ممددة﴾ أي انهم بعد اطباق أبواب جهنم عليهم: تمدد عليها العمد. وذلك لتأكيد يأسهم من الخروج. أوالمراد أنهم مربوطون في العمد بالسلاسل والأغلال!

(سـورة الفيل)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّة
وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤

(١٠٧) سُورَةُ المَاعُون
مكية ثلاث الآيات الأول مدنية البقية
وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ وهم قوم أبرهة. روى أن أبرهة بن الصباح، ملك اليمن: بنى كنيسة بصنعاء، وأراد أن يصرف إليها الحاج عن مكة؛ فجاء رجل من كنانة فلطخ قبلتها بالعذرة - احتقاراً لها - فخاف أبرهة ليهدمن الكعبة.. وجاء مكة بجيش له جرار تحمله الفيلة. ولذلك سماهم الله تعالى أصحاب الفيل. قيل: إن عبد المطلب - سيد قريش، وجد الرسول عليه الصلاة والسلام - أصاب جيش أبرهة من ماله مائتي بعير؛ فاستأذن على أبرهة فأذن له، وقال أبرهة لترجمانه: سله عن حاجته، فقال: أن ترد إبلي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير أصابها جيشي، وتترك بيتا هو دينك، ودين آبائك؛ فلا تكلمني فيه! فقال عبد المطلب: انى رب الابل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمنع مني. قال عبد المطلب: أنت وذاك. فرد عليه الابل. وبعد ذلك تحرزوا في شعف الجبال خوفاً من فتك أبرهة. وقام عبد المطلب آخذاً بحلقة باب الكعبة مبتهلا إلى الله تعالى بقوله:

لاهم إن المرء يمـ ... ـنع رحله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليـ ... ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عـدواً محالك
جروا جـموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعـ ... ـبتنا فأمر ما بدالك!

﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ في تضييع وإبطال. أي أبطل كيدهم الذي جاءوا من أجله ﴿وأرسل =

= عليهم طيراً أبابيل) أى جماعات من الطيور (ترميهم بحجارة من سجيل) أى من طين متحجر. أو المراد انها حجارة من جهنم؛ لقوة بأسها، وشدة عذابها. ولعله من السجل: وهو النصيب. أى إن كل حجر منها من نصيب رجل منهم (فجعلهم كعصف مأكول) العصف: ورق الشجر الذى يجف، وتعصف به الريح. والمأكول: الذى أكله السوس، أو أكل الدواب بعضه، وتناثر بعضه. وقيل: إن الطير الأبابيل: هى ميكروبات الامراض، وإنه قد تفشى فيهم مرض الجدرى؛ بدرجة يندر وقوع مثلها؛ فكان لحمهم يتساقط؛ حتى هلكوا عن آخرهم. ولاحرج من تمثيل الميكروب بالطير؛ لحمل الهواء له، وكثرة تنقله.

ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

(١٠٨) سُورَةُ الكَوْثَرِ مَكِّيَّة
وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(١٠٩) سُورَةُ الكَافِرُونَ مَكِّيَّة
وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾

(سورة قريش)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لإيلاف قريش) أى لاجل تأليف قريش، وإذهاب عداواتهم وأضغانهم (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت) أى «فليعبدوا رب هذا البيت» الذى ألف بين قلوبهم فى رحلة الشتاء والصيف. وكانت لهم رحلة فى الشتاء إلى اليمن، وفى الصيف إلى الشام للتجارة. وكانوا فى رحلتيهم آمنين لا يتعرض لهم أحد. وقيل: المعنى متصل بماقبله فى السورة السابقة. أى «فجعلهم كعصف مأكول، فليعبدوا رب هذا البيت» الذى حماه من المغيرين، وأهلك المعتدين، ولا يتشاغلوا عنه تعالى بأنعمه، ولا يجعلوا كفره مكان شكره، وهو جل شأنه (الذى أطعمهم من جوع) أى بعد جوع (وآمنهم) أمنهم (من خوف) بعد خوف. قال تعالى «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات».

(سورة الماعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذى يكذب بالدين) أى هل عرفت الذى يكذب بالبعث والجزاء (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف، ويرده بزجر وخشونة (ولا يحض) لا يحث نفسه، ولا غيره (على طعام المسكين) المحتاج للطعام؛ وذلك لأن من شأنه التكذيب بالبعث والجزاء: لا يبالى بما يفعل؛ أحراماً كان أم حلالا؟ مادام فى ذلك تحقيق لرغبته، وارضاء لنزوته؛ ومادام يعتقد ألا معقب على فعله، ولا محاسب على جرمه! (فويل) شدة عذاب؛ أو هو واد فى جهنم (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى يؤخرونها =

= عن وقتها ؛ فما بالك بمن لا يأتيها أصلا (الذين هم) إذا صلوا (يراءون) أى يصلون أمام الناس رياء ؛ ليقال : إنهم صلحاء . ويتخشعون ليقال : إنهم أتقياء ، ويتصدقون ليقال : إنهم كرماء (ويمنعون الماعون) وهو كل ما يستعان به ؛ كالإبرة ، والفأس ، والقدر ، والماء ، والملح ، ونحو ذلك .

(سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير و «الكوثر» من الرجال : السيد الكثير الخير . وقيل : «الكوثر» نهر فى الجنة (فصل لربك) صلاة عيد الأضحى (وانحر) أضحيتك . وقيل : كل صلاة ، وكل نحر . (إن شانئك) إن مبغضك (هو الأبتر) المنقطع عن كل خير . قيل : نزلت فى العاص بن وائل ؛ حيث سمى الرسول عليه الصلاة والسلام : أبتر عند موت ابنه القاسم . وكيف يكون أبتر من التحق بنسبه سائر المؤمنين ؟ !

(سورة الكافرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أعبد ما تعبدون) لأن إلهكم الذى تدعونه يلد ، وإلهى لا يلد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لأن إلهى يأمركم باتباعى فلم تتبعونى ؛ فإذاً أنتم لا تعبدونه (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى ولا أنا بعابد عبادتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم عابدون عبادتى . ومعنى الجملتين الأوليين : الاختلاف التام فى المعبود ، والجملتين الآخرتين : الاختلاف التام فى العبادة . أى لا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة (لكم دينكم) لكم شرككم (ولى دين) ولى توحيدى .

وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

(١١٠) سورة النصر نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

(١١١) سورة المسد مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

(سورة النصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاء نصر الله والفتح) هو فتح مكة ، أو هو الفرج ، وتنفيس الكرب ! (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك بعد فتح مكة : صارت العرب تأتى من أقطار الأرض ؛ طائعة للرسول ، مختارة لدينه (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم ــ بعد نزولها ــ يكثر من قول «سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه» . =

(ســورة المسد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) أى هلكت (يدا أبى لهب) وهو عم الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ وسبب ذلك أن الرسول عليه السلام لما دعا قومه للإسلام، وقال لهم: «إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» فقال أبو لهب؛ تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت هذه السورة؛ دعاءاً عليه بمثل مادعا به على الرسول (وتب) أى وقد كان ذلك وحصل، يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه «وقد تب» (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى لم يفده ماله الذى جمعه، ولا عمله الذى اكتسبه (سيصلى) سيدخل (ناراً ذات لهب) هى جهنم أعاذنا الله تعالى منها! (وامرأته حمالة الحطب) وقد كانت تمشى فى القوم بالنميمة. ويعبر عن الواشى بحمال الحطب فى لغة العرب؛ قال الشاعر:

إن بنى الأدرم حمالوا الحطب

هم الوشاة فى الرضاء والغضب

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنها كانت تحمل الحطب حقيقة، لتضعه فى طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ وهو بعيد؛ لأنها كانت موسرة ذات خدم وحشم، فلا تعدم خادماً يقوم لها بما تريد: من إذاية الرسول، ووضع الحطب فى طريقه (فى جيدها) فى عنقها يوم القيامة (حبل من مسد) المسد: الذى فتل من الحبال فتلا شديداً، من ليف وجلد وغيرهما. وليس كحبال الدنيا، كما أن النار ليست كنار الدنيا، وإنما هو على سبيل التمثيل.

(سورة الإخلاص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) لارب غيره، ولا معبود سواه! (الله الصمد) الذى يحتاج إليه كل مخلوق، ولايحتاج إلى أحد (لم يلد) لأنه لايجانسه أحد؛ فيتخذ من جنسه صاحبة فيتوالدا «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» (ولم يولد) لأن كل مولود: حادث. وهو جل شأنه قديم؛ لا أول لوجوده. ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! (ولم يكن له كفواً أحد) أى لا يماثله أحد.

(ســورة الفلق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق: الصبح (من شر ماخلق) من شر كل شىء خلقه؛ كنار،

كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

(١١٢) سُورَةُ الإِخْلَاصِ مَكِّيَّة
وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

(١١٣) سُورَةُ الفَلَقِ مَكِّيَّة
وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

= وشيطان ، وحية ، وعقرب ، وغير ذلك ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ قيل : إنه الليل إذا دخل ؛ لما يتبع ذلك من الشرور ، والإجرام ، والفتك . وقيل : إنه الثريا إذا سقطت ؛ لما يتبع سقوطها من الأسقام والطواعين . أوهو القمر إذا انخسف ؛ لأنه من علائم الجدب والقحط ، أو انخسافه يوم القيامة ؛ حيث لايوجد على ظهرها مؤمن . وقيل : الفاسق إذا وقب : الأير إذا قام ؛ وكم فى ذلك من بلاء كبير ، وشر مستطير ! وهذا القول مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ المراد هنا : النمامون ، الذين يقطعون روابط الألفة ، وحبال المحبة ؛ بما ينفثونه من سموم نمائمهم . شبههم تعالى بالسحرة المشعوذين ؛ الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين الرجل وزوجه: عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوها ؛ ليكون ذلك حلا للعقدة التى بين الزوجين ، أو بين المتحابين . والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من ضروب السحر ؛ لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة ولما كانت النميمة على هذا الجانب العظيم من الخطورة : علمنا الله تعالى أن نلجأ إليه ، ونعوذ به منها . أما ماروواه بعض المحرفين المخرفين ـ فى تأويل هذه الآية ـ من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سحره لبيد بن الاعصم ، وقد أثر سحره فيه ؛ حتى أنه كان يخيل إليه أنه يأتى الشىء وهو لا يأتيه ؛ فهو باطل مردود ممجوج ؛ إذ ماأشبه هذا بقول المشركين فيه صلى الله تعالى عليه وسلم «إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً» ولا يبعد أن من خولط فى عقله بدرجة أنه كان يخيل إليه أنه يأتى الشىء وهو لايأتيه : أن يخيل إليه أيضاً أنه يوحى إليه ، ولم يوح إليه ، أو أنه قد بلغ ما أوحى إليه ولم يبلغ ! وفضلا عن هذا فإن هذه السورة مقطوع بمكيتها ، ومايزعمونه من السحر يقولون : إنه وقع بالمدينة . وبالجملة فإن هذا واضح البطلان ، بادى الخسران ! لايلتفت إليه ، ولا يعول عليه ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الحاسد : الذى يتمنى زوال نعمة الغير ؛ ومن طبيعة الذى يتمنى زوال النعمة : أن يجتهد فى إيصال الأذى ، وتدبير المكائد ؛ بكافة الوسائل ، وسائر السبل . وجدير بمن هذا شأنه أن يلجأ الإنسان منه إلى قوة عظيمة يستعين بها على دفع أذاه ؛ ومن أعظم من الله فى دفع الأذى ، وحماية من يحتمى به ؟! أماما يروونه فى الحسد من أنه هو التأثير بنفس العين المجردة ، فهذا مالا أظنه ولا أعتقده ـ رغم تواتره ، وكثرة وقوعه ـ وقد يكون من بعض الخرافات السائدة . وقد يؤثر السحر على بعض النفوس الضعيفة القلقة . =

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّة
وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

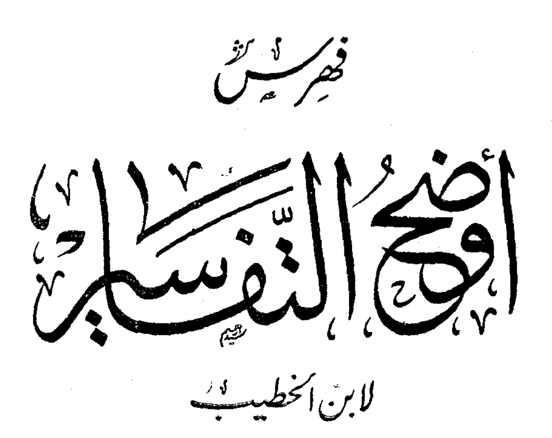
(سورة الناس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ألجأ إليه وأستعين به . ورب الناس: مربيهم ﴿ملك الناس﴾ الذى يحكمهم ، ويرعى مصالحهم ، ويضبط أعمالهم ، ويدبر شئونهم ﴿إله الناس﴾ معبودهم ، الذى لا إله غيره ﴿من شر الوسواس﴾ الذى يلقى حديث السوء فى النفس ؛ وهو الشيطان ﴿الخناس﴾ الذى يوسوس إلى الإنسان ؛ فإن لم يجد عنده استعداداً لوسوسته : رجع عنها وأعاد الكرة ثانية بعد برهة . وهو من خفس : إذا رجع ﴿من الجنة والناس﴾ أى إن الشياطين قسمان : من الجن ، ومن الإنس ، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكا وخطراً من شياطين الجن . (انظر آيتى ١١٢ من سورة الانعام ، و ٢٩ من فصلت) .

﴿تنبيه﴾ جاء فى صفحة ٧٠٩ عند تفسير قوله تعالى «إن عذاب ربهم غير مأمون» هذا الحديث الشريف : «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل النار : فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل الجنة : فيدخلها» .

وقد أوردناه ـ فى هذا الموضع ـ بمعناه لا بلفظه . وقد أثبتناه بلفظه ـ رواية عن مسلم ـ فى صفحة ٧٤٣ عند قوله تعالى «بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ» .


فهرس
أوضح التفاسير
لابن الخطيب



(تم الفهرس)